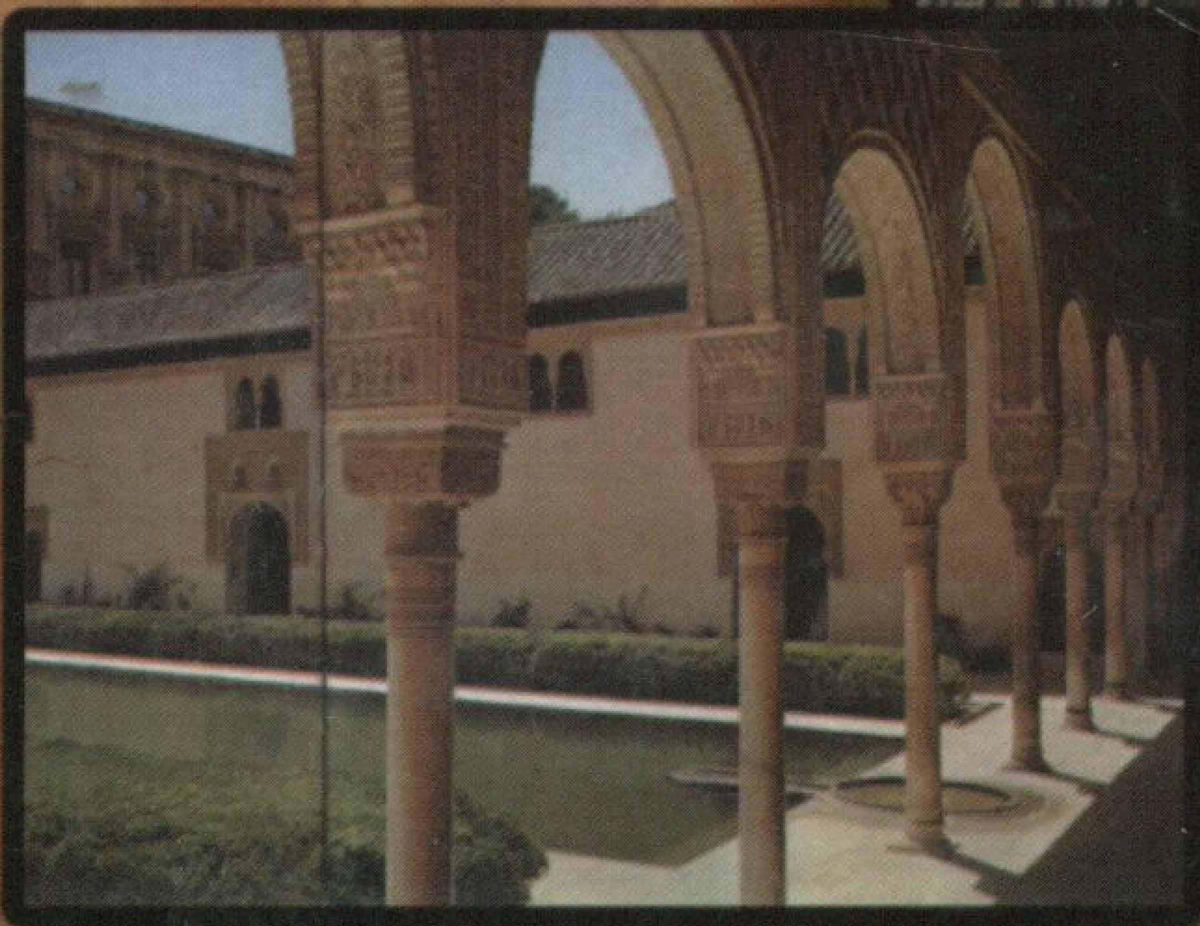
دراسات حضارية في التاريخ الاندلسي

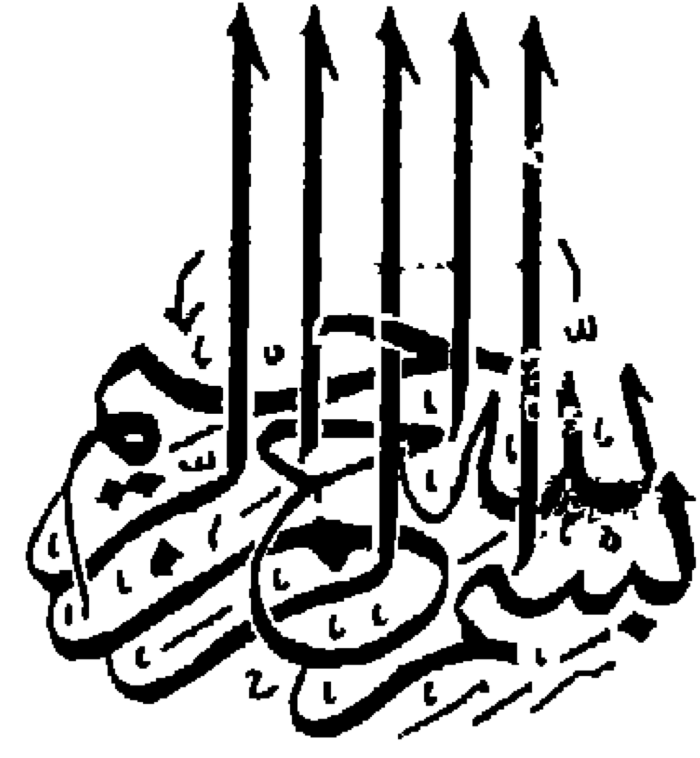
الأستاذ الدكتور محمد بشير العامري







دار غيداء



دراسات حضارية

في التاريخ الاندلسي

حكمة تراثية

قال العماد الاصفهاني: (اني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو كذا، لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان افضل، ولو ترك هذا لكان اجمل وهذا من اعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النفس على جملة البشر)

قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة　　كذلك عين السخط تبدي المساويا

الفهرس

المقدمة

بعون الله وتوفيقه وبدافع خدمة التراث العربي الاسلامية ومكانته ونتاجاته الانسانية والعلمية ودور الاشعاع الحضاري الاندلسي على العالم وانبهار واعجاب الباحثين بما سجلته المصادر الاندلسية والمغربية من ابداعات في جوانب الحياة العامة وبه التسامح والاحترام والتاخي بين اهل الديانات السموية الثلاثوالتطور الذي اصاب المجتمع الاندلسي كان عاملاً للنجاح واستقرار الاسلام اكثر من ثامني قرون.

اكدت المستشرقة الالمانية هونكا في كتابها (شمس العرب على الغرب) اكدت فيه ان اوربا تدين للعرب ولحضارتهم، وان الدين الذي في عنق اوربا واسائر الامم للعرب فضل كبير عليه.

كما اعترف المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب على ابداع هل الاندلس في العلوم . والفنون الاداب، ونرى ان الخدمات البلدية في مدن الاندلس من انشاء شبكة الماء الصافي والانارة بالزيت ليلاً، وانشاء المساجد وهتمام بصناعة الابواب وتشيد الاسوار والابراج والحدائق العامة ومحاربة الجهل والتعليم المجاني للاولاد الفقراء وانشاء الخيلفة 27 مكتب لتعليم اولاد الفقراء بشكل كتاتيب لتعليمهم القرآن الكريم مجاناً فضلاً عن ظهور عباقرة الطب والصيدلة والعشابين في مدن لاندلس منهم الزهروي صاحب كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) وابن رشد القرطبي صاحب كتاب (الكليات في الطب) كما ظهر المنجمون واهل المؤلفات في الفلاحة مثل ابن بصال الطليطلي وابن العوام الاشبيلي وغيرهم كثيرون الكتاب يعرض ابحاث تاريخية حضارية صنفت لخدمة التراث الاندلسي منها شاركت في الندوات والمؤتمرات لتقديمها هدية لكل محب وحريص على تراث اجداده في الاندلس اسال الله ان اكون وفقت فيما قدمته من ابحاث وبه نستعين.

الباحث

أ. د محمد بشير حسن العامري

جامعة بغداد / 1433– 2012

الاعياد والاحتفالات في الاندلس

تمهيد:

يحتفل المجتمع الأندلسي بالأعياد والمناسبات الدينية والدنيوية شأنه بذلك شأن ما كان يحدث في المشرق والمغرب الإسلامي، حيث كان للعيد وما يزال من مكانة طيبة في نفوس المجتمع وكان يشكل نقطة تحول عند الإنسان كما يحثه اكثر على تذكر نعمة الخالق سبحانه وتعالى والتقرب الى أحكامه وتعاليم الرسول الكريم "ﷺ" بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن والشكر والمغفرة ومساعدة الفقراء والعفو عند المقدرة بالإضافة الى ما يتركه العيد من آثار الفرح والسرور والبهجة والتفاؤل وتصحيح الأخطاء وتناسي أحقاد الماضي، وفيه تتم تبادل الزيارات بين الأهل والأقارب والأصدقاء ومتابعة الفقراء واليتامى والمحتاجين وتقديم ﷺ العون لهم وإدخال الفرحة في نفوسهم كما أوصى الله تعالى ونبيه العظيم "ﷺ". وبالعيد تقدم الاطعمة وتنحر الأضاحي وتتبادل الهدايا بين الناس، كما تتم فيه زيارة القبور والمرضى وتشاهد فيه المعانقة والمصافحة بين الأهل والجيران والأصدقاء"[1].

امتازت الأندلس بالطبيعة الخلابة والمناخ الجيد المتنوع، فترى الجبال والسهول والهضاب والوديان والمناخ الشديد البرودة والمعتدل والحار، مما ساعد ذلك على تنوع المحاصيل وكثرتها، وان جمال الطبيعة والمناخ منح المجتمع الأندلسي بهجة وسرور وفرح وخاصة في الاحتفال بالأعياد والمناسبات.

مجدّ شعراء الأندلس طبيعتهم وافتخروا بها لدرجة انهم وصفوها "بجنة الخلد" والتي وعد الله تعالى بها عباده الصالحين، ومن هؤلاء الشعراء ابن خفاجة الأندلسي في أبياته هي"[2].

يا أهل اندلس لله دركم ... ماء وظل وانهار وأشجار

ما جنة الخلد الا في دياركم ... وهذه لو كنت خيرت اختار

لا تتقوا بعدها ان تدخلوا سقرا ... فليس تدخل بعد الجنة النار

امتازت سلطنة غرناطة بجمالية وخيرات اقتصادية"[3]، كما وصفها لنا ابن الخطيب الغرناطي بقوله: "ان الطبيعة الكريمة للمملكة قد اجتذبت المسلمين من أفريقيا والمشرق على مدى العصور منذ الفتح العربي، كما بدأ سيل المهاجرين من الداخل يفد على مملكة غرناطة منذ سقوط الدولة الأموية بالأندلس علاوة على طوائف البربر الذين وفدوا من المغرب وطاب لهم المقام بأرض الفردوس، حتى غدت بهم غرناطة يوما إمارة تميزت بعصر البرابرة (أهل المغرب)، رغم ما بها من سكان آخرين، وقد زاد تدفق هؤلاء البرابرة (أهل المغرب) على مر الأيام وخاصة على القواعد الجنوبية في عهد دولتي المرابطين والموحدين، يضاف الى هؤلاء بعض المحاربين القادمين من أفريقيا والذين كانت تستهويهم خيرات البلاد وتغريهم نضرتها بالمقام فيخلفون بها مستوطنين"[4].

---

(1) نشر في مجلة كلية المأمون الجامعة، العدد/ 3 بغداد 2001.

(2) ديوان ابن خفاجة، رقم 208.

(3) العبادي، د. احمد مختار، "الاعياد في مملكة غرناطة" مقالة في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد- اسبانيا، المجلد 15، مدريد- 1970، ص 138.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، "- كناسة الدكان بعد انتقال السكان-"، تحقيق د. محمد كمال شبانة، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر د. ت، ص 17.

كما يجب التنويه والتأكيد وملاحظة الهجرات التي استقبلتها سلطنة غرناطة بعد سقوط المدن الأندلسية بيد القوات للماليك الاسبانية المسيحية وسوء معاملة السكان المسلمين مما أدت بهم الى الهجرات الى غرناطة وهي دعوة نادى بها العلماء والفقهاء والأدباء وعملوا على حث الأندلسيين على الهجرة من المدن التي سيطر عليها أعداء الإسلام، كما انشد عن ذلك الشاعر ابن العسال الطليطلي بأبياته"[1]:

شــــدوا رواحلكــــم يـــا أهـــل انــــدلس   فـــما المقـــام بهـــا الأمـــن الغلـــط

الثـــوب ينـــسل مـــن أطرافـــه واري   ثـــوب الجزيـــرة منـــسولا مـــن الوســـط

الهجرات أدت الى زيادة أعداد المجتمع وتنوع صفاته وعاداته وتقاليده بالإضافة الى تفاقم وازدحام السكن في غرناطة حيث صرح لنا ابن الخطيب الغرناطي عن ذلك الموقف بقوله: "من أولئك النازحين أسرات عريقة أندلسية لجأن الى مناطق الجنوبية والمدن الساحلية"[2] ومن دون شك بأن هؤلاء القادمين الى غرناطة كانوا يحملون معهم عاداتهم وتقاليدهم مما زاد الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية حيث كانت تكلفهم وقتاً وجهداً بالإضافة الى أموال كثيرة تصل أحياناً الى حد الإفراط والإسراف والتحدي للقيم والتقاليد الإسلامية مما أدى الى سخط وغضب العلماء والفقهاء المسلمين حيث صدرت الفتاوى العديدة عنهم في إقامة الاحتفالات والأفعال والأعمال فيها– كما سترى ذلك.

أكد المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي على اهتمام أهل غرناطة وولعهم بالأعياد والاحتفالات بعد ان استعرض مذهبهم واشكالهم وهمتهم واخلاقهم ولسانهم وملابسهم ونسائهم وزينتهم:

"... وأعيادهم حسنة مائلة الى الاقتصاد والغناء بمدينتهم وملابسهم فاشن حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث، وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر، وتنعم الجسم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور في خفة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المجاورة، ألا ان الطول يندر فيهن وقد بلغن من التفنن في الزينة، والتماجن في أشكال الحلي الى غاية تسأل الله ان يغض فيها عين الدهر "[3].

الأعياد الدينية:

ومن الأعياد الدينية التي تحتفل بها سلطنة غرناطة هي:

ليلة القدر المباركة في 27 رمضان/ عيد الفطر المبارك، عيد الأضحى المبارك/ ليلة الإسراء والمعراج/ ليلة المولد النبوي الشريف/ يوم عاشور في العاشر من محرم ذكرى استشهاد الحسين بن علي (عليه السلام).

كما تحتفل غرناطة بالأعياد الاجتماعية والدنيوية وتشمل:

عيد العصير للعنب والكروم والأخرى عند جني المحاصيل/ عبد النيروز والمهرجان/ الاحتفال عند ختان أبناء السلاطين وزواج أبنائهم وبناتهم وتقليد منصب العرش للسلاطين والولاة/ ومبارزة الفرسان في حلبات المصارعة/ وإقامة الحفلات في مصارعة الأسود والثيران.

---

(1) ابن خلكان، وفيات الاعيان.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، كناسة الدكان، ص 17.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، "– الإحاطة في اخبار غرناطة–" تحقيق: محمد عبد الله عنان/ دار المعارف مصر 1955 ج1/ 37–38انظر ابن الخطيب الغرناطي،– "اللمحة البدرية في الدولة النصرية–"، نشر دار الآفاق الحديدة بيروت– 1978، ط2، ص 41.

وتشارك بعض العوائل الأندلسية وتحتفل مع أعياد النصارى الأسبان وذلك في:

عيد ميلاد السيد المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) ويعرف بالأسبانية: نبيداد (navidad) في 25 كانون أول، عيد رأس السنة الميلادية (الليلة القديمة أو العجوز وبالأسبانية لا نوجي بيخا (la Noche Vieja)، عيد العنصرة أو عيد سان خوان (بالأسبانية san juan) في 24 نيسان من السنة الميلادية.

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

من الأعياد المهمة عند المسلمين في المشرق والمغرب والأندلس لما له من مكانة دينية مقدمة حيث يمثل ولادة سيد خلق الله وأعظمهم نبلاً وأشرفهم خلقاً كما خاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] ولم تكن هذه المناسبة الشريفة تحمل صفة رسمية في الأندلس وسلطة غرناطة ألا في وقت متأخر وذلك في منتصف القرن 7هـ/ 13م، حيث كانت قبل هذا التأريخ تحمل صفة اجتماعية الى ان جعلها حاكم سبتة Ceuta الفقيه أبو العباس السبتي العزفي (ت 633هـ/ 1236م) وولده أبو القاسم العزفي"[3] واصبح المولد النبوي في عهدهم مناسبة رسمية خالدة وعزيزة في سبتة وغرناطة وباقي المدن في الأندلس والمغرب، مثلما تقام شعائره في الشرق الإسلامي ومغربه، حيث صنف أبو العباس العزفي كتاباً قيماً لهذه المناسبة الكريمة اسماه "كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم" وقد أكمله ولده أبو القاسم العزفي بعد وفاة والده.

أشادت المصادر الأندلسية والمغربية بالعائلة العزفية ودورها الرائد في النهضة العلمية والأدبية في سبتة وتعظيم الاحتفال بالمولد النبوي وفق تعاليم الإسلام وأحكامه العادلة مما جعل العزفيين أن يحظوا بتقدير العلماء والفقهاء وتأييدهم في إحياء مراسيم السنّة المحمدية الشريفة في الأندلس.

استعرض "كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم" مراسيم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والشعائر التي تقام به وموقف العلماء من البدع والأفعال والعادات والتقاليد الغربية على الشعائر الإسلامية سنذكرها بالتفصيل

---

(1) القلم: 3.

(2) الانبياء: 107.

(3) عن حياة الفقيه ابو العباس العزفي وولده الفقيه ابو القاسم العزفي ينظر: ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة/ ج3/ 11 والحاشية 14،2. ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب/ تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاويت واخرون (قسم الموحدين) دار الغرب الاسلامي، دار الثقافة، بيروت 1406- 1985. ج5/ 419/ 425، 462. المقّري/ نفح الطيب/ تحقيق: د. احسان عباس/ بيروت 1968، ج2/ 36/ 643 (ابي العباس العزفي) ج5/ 232 (عن ابي القاسم العزفي). الونشريسي/ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي واخرون، الناشر دار الغرب الاسلامي، بيروت 1409هـ- 1981م (11 جزء) 11/ 279- 280.

الانصاري/ اختصار الاخبار عمن كان بثغر سبتة من سني الاثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي/ المطبعة الملكية، الرباط 1388هـ/ 1969ص. 15، 22.

الرعيني الاشبيلي/ "برنامج شيوخ الرعيني"، تحقيق ابراهيم شبوح، دمشق 1381- 1962 ص 260، 266، 270، 420. ترجمة رقم 4 (ابي العباس العزفي).

معتمدين على النسخة الخطية المحفوظة في خزانة مكتبة دير الاسكوريال بمدريد- أسبانيا ويحمل المخطوط الرقم 1741 ويقع في 109 ورقة وتضم كل ورقة 29 سطر بخط مغربي جميل وواضح (معلومات الأعياد وتقع في الأوراق 3- 71) وتتوفر للمخطوط نسخ أخرى في مكتبة الدراسات العربية بمدريد ويحمل الرقم X ونسخة ثالثة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن وتحمل الرقم 851 و 919.

تطرق الفقيه العزفي في كتابه "الدر المنظم" عن اهتمام المسلمين في الأندلس بإقامة ليلة المولد النبوي الشريف وموقف العلماء من الذين يحتفلون باعياد المسيحيين ويقيمون الموائد تقليد لهم والنصائح والتوجيهات التي أصدرها مجلس العلماء والفقهاء في غرناطة والاندلس كما وردت في كتابه نذكر منها:

الورقة ب5 "... وانظروا الى ما جر على هذا الزمن الغيبة عن مجالس العلماء والمزاحمة بالركب لأهل التقوى: وعصابة الهدى حاملين السنن القائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم فأفتتن لتمسكهم بمناهج السلف اللاحقة السنن، ولا تعتزوا بمن ينسب الى العلم وقد اتبع في طاعة النسوان والصبيان هواه، قصده ذلك عن ان يكون قواماً لله بالقسط ولو ان والله تعالى يتداركنا بتوبة نصوح تلحقنا برداء تقواه... فما أعانهم التوفيق، ولا القرين المرشد ولا الرفيق، وان يكون سؤالهم عن ميلاد نبيهم محمد ﷺ خيرة الله من خلقه وذلك من شكر نعم الله علينا بعض واجبه وحقه، هاديهم من ضلالتهم ومرشدهم من غيبهم، العزيز عليه عنهم الحريص على هدبهم الشديد عليه ضلالتهم وفتنتهم، الرؤوف الرحيم، شفيعهم الضي ضوعف لهم به ثواب محسنهم وتجوز عن مسيئهم، بل جماهير عامهم ودهمائهم، بل الذين يدعونهم بطلبتهم وعلمائهم لا يعرفونه ولا يعرفون بل يقنعون بأنه عندهم في كتبهم ويكفون، والحمد لله...... (الورقة 61)

ومولده ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة، ﷺ، وشرف كرم هذا أولى ان سأل عنه ويتهمم بمعرفته وحفظه لفضله وبركته ﷺ...

(الورقة ب6) قال المؤلف رحمه الله ورضى عنه، فأمعنت النظر، وأعملت الفكر فيما يشغل عن هذه البدع ويدفع في صدر هذا المنكر، ولو بأمر مباح ليس على فاعله جناح، بما تطمئن اليه نفوسهم، وتمتد اليه أعناقهم وتميل رؤوسهم، فعلم الله النية واطلع على الطوية فألهمني سبحانه ان انبههم على أمر إذا تقرر لديهم قامت الحجة عليهم ديناً ودنيا، وانقطع العذر إذا تعوضوا منه احسن عوض، يقوم به الشفاء ويطعن به المرض، فبهتهم على ميلاد نبيهم المصطفى سيد ولد آدم، خاتم النبيين، ﷺ، وام من العجب الإقبال على مالا ينبغي والأعراض عما وجب، فكثيراً ما يسألون عن ميلاد عيسى على نبينا وعليه السلام وينتظرون الانتهاء اليه من الأيام، فيا أمة محمد، ويا خيرة الأمم كفى بنا جفاء ان لا نعرف ميلاد نبينا عليه افضل الصلاة والسلام، ولا نعرفه وهو أهم ونتعرف ميلاد غيره من الأنبياء، كميلاد عيسى، ويحيى بن زكريا، ولا علم لنا بهم فبينما جاء من الأنبياء، أو لم يكن سؤالهم عن ميلاد نبيهم عليه افضل الصلاة وأطيب السلام والتحيات أحق وأولى، والتهمم به وبمعرفته احمد سعيا".

ومن خلال النصوص المذكورة أعلاه يلاحظ حرص المؤلف العزفي وتأمله على ما كان يحدث في المجتمع الأندلسي من تهرب بعض المسلمين من الاحتفال بالمولد النبوي الشريف والإنصراف بتقليد المسيحيين في احتفالاتهم بالسيد المسيح ويحيى بن زكريا عليهم السلام فكان الأجدر بهم الاهتمام بأعيادهم الإسلامية وإقامة الشعائر لها.

أما كتاب "جنى الجنتين في شرف الليلتين" لابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ/ 13679م) صاحب كتاب "المسند" وكتاب جنى هذا مخطوط في الخزانة العامة بالرباط ويحمل الرقم K 1228، خصص الباب الثاني من المخطوط الحديث عن ليلة المولد النبوي الشريف في الأندلس والمغرب ويتضمن الفصول:

الفصل الأول: في تعين ليلة ولادته ﷺ. (الورقة 32- 40)

الفصل الثاني: في فصل هذه الليلة الكريمة.

الفصل الثالث: فيما اختصت به هذه الليلة الكريمة من الآيات الطاهرة المقارنة لولادته ﷺ ذكرها كثيراً من أئمتنا رضوان الله عليهم متفرقة فجمعت ومن كثير من المصنفات دونتها ومن غصون بطون جملة من الأفاتر استخرجتها وإذا ذكرها ان شاء الله تعالى على التوالي حسب ما وقع الى ذلك وبالله التوفيق و... ونقله عنها أبو علي الحسن بن الحافظ أبي الحسين بن القطان في كتاب "الأعلام" وصاحب كتاب "الدر المنظم" وصاحب كتاب "الزاهر".

أجرى ابن مرزوق التلمساني مقارنة بين مكانة وقدسية وأفضلية ليلة القدر المباركة وليلة المولد النبوي الشريف، تضمنت آراء الفقهاء ونظرياتهم مقرونة بالأحاديث والأقوال والأحداث التاريخية نذكر منها باختصار ما يأتي:

- الوجوب الأول: ان الشرف حسب ما قدمناه هو العلو والرجعة وهما نسبتان إضافيتان فشرف كل ليلة بحسب ما شرفت به، وليلة المولد الشريف شرفت بولادة خير خلق الله عز وجل فبقت بذلك أفضليتها. (الورقة 61)
- الوجوب الثاني: ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ ليلة القدر معصياة له.
- الوجوب الثالث: ان ليلة القدر إحدى ما منحه من شرفت ليلة المولد بوجوده من المواهب والمزايا، وهي لا تحصى كثيرة، وما سرف بإحدى خصائص من ثبت له الشرف المطلق لا يشترك منزلة اشرف بوجوده، ان ليلة المولد اشرف بهذا الاعتبار وهو المطلوب.
- الوجوب الرابع: ان ليلة القدر شرفت باعتبار ما خصت به وهو منقض بانقضائها الى مثلها من السنة المقبلة على الأصح من القولين، وليلة المولد شرفت بما ظهرت آثاره وبهرت أنواره دائماً أبداً في كل فرد من أفراد الزمان من ليلة بهذا الى انقضاء الدنيا.
- الوجوب الخامس: ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد افضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى فتكون ليلة (الورقة 100) المولد افضل من هذا الوجه.
- الوجوب السادس: الليلتان اشتركتا في الفضل فنزول الملائكة فيها معاً حسب ما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق ﷺ في ليلة القدر.
- الوجوب السابع: ليلة القدر شرفت بشرف الملائكة عليهم الصلاة والسلام وانتقالهم من محالهم من الملا الأعلى الى الأرض وليلة المولد شرفت بوجوده ﷺ وظهوره، وما شرف بالوجود والظهور اشرف مما شرف بالانتقال الأمر ليلة القدر.
- الوجوب الثامن: "مفقود ولم يرد النص بالمخطوط".
- الوجوب التاسع: تشرفت ليلة القدر بكونها موهبة لامة محمد ﷺ عند إتيانه عليه السلام، وشرفت ليلة المولد بوجود من وهبت ليلة القدر لامته ﷺ فكانت افضل.
- الوجوب العاشر: ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد ﷺ وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد (الورقة 101) اعم نفعاً بهذا الاعتبار.
- الوجوب الحادي عشر: ليلة المولد فضلت غيرها من ليالي السنة بولادته ﷺ فأنك تقول ليلة مولد محمد ﷺ، ونقول في ليلة القدر، وهو إما الشرف وإما التقدير.

- الوجوب الثاني عشر: ليلة القدر، أما ليلة الشرف أو ليلة التقدير فهي وان كان التقدير فيها من لوازم شرفها باعتباره، وليلة المولد ليلة شرف عام لا أمر فيه، فبين ليلة المولد.
- الوجوب الثالث عشر: ليلة القدر إنما يحظى بها العامل فيها، فمنفعتها قاصرة وليلة المولد متعدية منفعتها وما كانت منفعته متعدية، افضل من غيره وهو المدعى.
- الوجوب الرابع عشر: ليلة القدر ثبت في فضلها ما ثبت مما قدمناه ألا انه عرض فيها ما عرض من اختلاف في البقاء والرفع وان وليلة مولده ﷺ شرفها بأملها فكانت افضل بهذا الاعتبار.
- الوجوب الخامس عشر: المدعى ان ليلة المولد افضل ويدل عليه با يقول زمن شرف بولادته ﷺ وإضافة اليه واختص بذلك، فليكن الزمن الذي اختص بولادة ﷺ افضل (الورقة 102) الأزمان.
- الوجوب السادس عشر: ليلة القدر فرع ظهوره ﷺ والفرع لا يقوى قوة الأصل ففطنت ليلة المولد بهذا الاعتبار.
- الوجوب السابع عشر: ليلة المولد حصل فيها من الفيض الإلهي فيا عم الوجود، ووجوده مفارق لوجوده ﷺ ولم يقع ذلك ألا فيها، فوجب فضلها على غيرها.
- الوجوب الثامن عشر: ليلة المولد اظهر الله فيها سر وجوده ﷺ التي ارتبطت به السعادات الأخروية على الإطلاق واقتحمت الحقائق وتميز به الحق من الباطل.
- الوجوب التاسع عشر: وهو تنويع في الاستدلال وان كان معنى ما تقدم وهو أنا نقول لو لم تكن ليلة المولد افضل من ليلة القدر للزم أحد أمور ثلاثة وهي:
  - إما تفضل الملائكة على النبي ﷺ وإما العمل المضاعف وإما التسوية كلها ممتنع فالأول: فعلى الصحيح المرتضي، الثاني والثالث: فاتفاق وبيان الملازمة ان التفضل في الأول حصل بولادته ﷺ وفي الثانية (الورقة 103) أما بنزول الملائكة أو العمل.
- الوجوب العشرون: بعض زمن ليلة المولد الشريف هو زمن ولادته ﷺ وكل زمن ولادته ﷺ افضل الأزمنة، فبعض ليلة المولد افضل بعضها سائر الأزمنة فضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار.
- الوجوب الحادي والعشرون: افضل الأزمنة من ولادته ﷺ ولا شيء من زمن ولادته ﷺ بليلة القدر، فلا شيء من افضل الأزمنة بليلة القدر، وينعكس الى قولنا لا شيء من ليلة القدر بأفضل الازمنة.

كما أكد ابن مرزوق الى ما قام به العزفيين من دور في إحياء ليالي المولد النبوي الشريف في المغرب والأندلس، حيث نقل عن بعض علماء المغرب بالفتاوي والآراء بقولهم: "إن المسلك الذي سلكه العزفي مسلك حسن ألا ان المشتغل في هذه الليلة بالصلاة على النبي ﷺ والقيام بإحياء (الورقة 113) سننه ومعونته اليه ومساهمتهم وتعظيم حرفتهم والاستكثار من الصدقة واعمال البر وإعانة الملهوف ونصر المظلوم، هو افضل مما سوى ذلك مما احدث إذ لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول الشهرة وطريق الحق والسلامة معروف ولا افضل في هذه الليلة مما ذكرناه من أعمال البر والاستكثار من الصلاة ليحضى المستكثر فيها بعض ما ورد في فضلها".

تؤكد المصادر الأندلسية على ان سلاطين غرناطة اختلفوا بالمولد النبوي بشكل منتظم حيث أورد لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي حوادث عن الاحتفالات بالمولد النبوي في غرناطة نذكر نصوص منها: "... ولكن أبا الحجاج في

رسائله الواردة بالكناسة أبان هذه الأزمة الى أبي عنان يعتذر عن هرب أخيه، بأنه تم في غفلة من الحرس ودون علمه، منتهزاً فرصة الاحتفال بمولد الرسول ﷺ..."[1].

كما وضح ابن الخطيب الغرناطي الأماكن التي تقام بها الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف والأعياد الدينية الأخرى في غرناطة بقوله: "... وبظاهر حضرتنا أماكن مباركة مشهورة، وزوايا مؤملة مقصود، ينفر اليها الجمهور في الليالي التي تقوم بها للبر سوف، وتوفى من تعظيمها حقوق، وخصوصاً ليلة ميلاد رسول الله ﷺ ابتغاء البركة لديه، فهي بحيث ذكر من المواسم التي يتندب اليها الناس، وتتسابق منهم الأنواع والأجناس..."[2].

ومن الواضح ان تلك الأماكن هي المساجد والربط والقصور والساحات والحلبات التي تقام فيها الاحتفالات، ففي قصر الحمراء وبقاعاته وحدائقه الواسعة كان يقام الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بالإضافة الى ان يقام أيضاً في الهواء الطلق من اجل ان يشارك به جموع المسلمين.

أما القصائد والموشحات والمقامات والمدائح النبوية التي كانت تلقى وتنشد بمناسبة الاحتفال، وقد تحدثت لنا المصادر الأندلسية عن ذلك في الأدب الأندلسي.

أما موقف العلماء والفقهاء في سلطنة غرناطة من إقامة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بالطريقة الإسلامية الصحيحة فقد صدرت الفتاوى العديدة عن ذلك تؤكد الالتزام بتعاليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وذكرت نصوص وأمثلة عن ذلك نذكر ما أورده لنا الفقيه ابن مرزوق في مخطوطته "جنى الجنتين في شرف الليلتين"

---

(1) مخطوط "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" للعزفي، مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد/ اسبانيا ويحمل رقم 1741 ويقع في 109 ورقة وتحتوي كل ورقة 29 سطراً وله نسخ عديدة منها في المكتبة العربية بمدريد وتحمل الرقم X، وثالثة في مكتبة مسجد الياني في تركيا برقم 150 ونسخة رابعة في مكتبة المتحف البريطاني برقم 851، واخرى برقم 919. كما صنف الفقيه ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ/ 1379م) كتاباً بعنوان "جنى الجنتين في خير الليلتين" عن المولد النبوي الشريف وليلة القدر المباركة، وهو مخطوط في الخزانة العامة بالرباط ويحمل الرقم 1228 لدينا نسخة مصورة منه تحتوي على 313 ورقة وتضم كل ورقة 19 سطر بخط مغربي جميل وواضح فيه الباب الاول عن ليلة القدر، والباب الثاني عن ليلة المولد النبوي. كما كتب ابن دحية الكلبي البلنسي (ت 633هـ/ 1235م) صاحب كتاب "المطرب في اشعار اهل المغرب" كتاباً عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في الأندلس بعنوان: "كتاب التنوير في مولد السراج المنير" وقد اشار المقّري في نفحة ج2/ 104 الى كتاب التنوير واكد المستشرق الاسباني يونس بوينخس F.Pons Bouiges بانه توجد نسخة خطية لكتاب التنوير في المكتبة الوطنية في باريس وتحمل الرقم 4761.

انظر: F. Pons Bouiges

Ensayo Bio- Biibllograficos sobre los Historiadores y Geografos Arabigos- Espanoles, Madrid 1898, p.

"فهرسة للمؤرخين والجغرافيين العرب في اسبانيا" ترجمة رقم 238282 n .,

كما ذكر المحامي عباس العزاوي في مقدمته لتحقيق كتاب "النبراس في تاريخ بني العباس" لابن دحية الكلبي البلنسي، بانه كانت لديه نسخة من مخطوط "كتاب التنوير في مولد السراج المنير" ولكنها فقدت.

(2) ابن الخطيب الغرناطي/ كناسة الدكان، ص 27، وانظر: ابن الخطيب الغرناطي/ اللمحة البدرية ص 105 (اثر انقضاء المولد النبوي).

لقبس منه "فقد روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا علي فأن صلاتكم تبلغني حيث كنت" أخرجه أبو داود"[1].

كما ينصح العلماء والفقهاء المسلمين بالإكثار من الصلاة والتسليم على الرسول العظيم ﷺ وذكر سيرته وخصاله والاقتداء بسيرته، ويوجد اكثر من أربعين حديثاً في فضل الصلاة على الرسول الكريم ﷺ ذكرها الصحابة نذكر منها في فضل ظهوره ﷺ: "من النعم التي نعم الله عز وجل بها على مخلوقاته، ونذكر ما خص به عليه السلام من الصفات الجميلة والأخلاق العظيمة والسيرة الكريمة، ويتذكر ما وقع في تلك الليلة من الآيات البينات والمعجزات والمعجبات ويستحضر حمد الله عز وجل وشكره الذي لا يغني من بحر شكره على ما هداه اليه من الإسلام وجعله من أمته عليه الصلاة والسلام، ويستغفر الله عز وجل في تقصيره في أداء ما وظفه عليه وتشطيه عن المنازعة لتحصيل ما ندبه أنليه، فتجمع يد الحمد والشكر والصلاة على النبي ﷺوالاستغفار وتختم بالدعاء بما يعود عليه من مصالح الدنيا والآخرة فلعل الله ببركة تلك الليلة الكريمة ان يتقبل دعاء الله من خيره ورحمته بفضله"[2].

أما الوصايا التي جاءت بها في المصادر الفقهية عن إقامة ليلة المولد النبوي الشريف ما ذكره الأمام الشاطبي (نسبة الى مدينة شاطبة الأندلسية Jativa ت 790هـ) في فتاويه في الوصية الخاصة بإقامة المولد النبوي الشريف والأنفاق عليه من مال الورثة هي: "وهي الوصية بالثلث ليوقف على إقامة ليلة المولد النبوي ﷺفمعلوم ان إقامة المؤكد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة، فالأنفاق على إقامة البدعة لا يجوز والوصية به غير نافذة، بل يجب على القاضي فسخه ورد الثلث الى الورثة يقتسمونه فيما بينهم، وابعد الله الفقراء الذي يطلبونه إنقاذ مثل هذه الوصية"[3].

كما تطرق الفقيه ابن الحفار الغرناطي (ت 811هـ) في كتابه "نوازل لوصايا وأحكام المحاجير" عن مراسيم الاحتفال بالمولد التبوي الشريف في غرناطة وعبر عن موقفه من ذلك بقوله: "ان السلف الصالح لم يفعلوا في ليلة المولد شيئاً زائد على ما يفعلونه في سائر الليالي لان النبي ﷺإنما يعظم بالوجه الذي شرع في تعظيمه، وهم قد اختلفوا في تعين ليلة ولادته، ولو شرعت فيها عبارة لعينها الصحابة وحققوا...... ان تلك الليلة تقام على طريقة الفقراء، وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنعة من شنع الدين، لان عمدتهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطح، ويقررون لعوام المسلمين ان ذلك من اعظم القربان، وأنها طريقة أولياء الله وهم قوم لا يحسن أحدهم أحكام ما يجب عليه في يومه وليلته، بل هم ممن استخلفهم الشيطان على إضلال عوالم المسلمين وإذا يزينون لهم الباطل، ويضيفون الى دين الله ما ليس منه، لان الغناء والشطح من باب اللهو واللعب وهم يضيفون إلى أولياء الله، وهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا بذلك الى أكل أموال الناس بالباطن فصار الحبيس عليهم ليقوموا بذلك طريقتهم تحبيساً على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما حبس في هذا الباب على هذه الطريقة ويستحب لهذا المحبس ان ينصرف هذا الأصل من القوت الى باب آخر من أبواب الخير الشرعية وان لم يقدر على ذلك فيفعله لنفسه"[4] وبذلك يتضح بان الغناء والرقص من الأعمال والانفعال التي نهى عنها العلماء في غرناطة في إحياء ليلة المولد النبوي الشريف.

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي/ كناسة الدكان، ص 134.

(2) ابن مرزوق التلمساني "مخطوط جني الجنتين" الورقة 112.

(3) المصدر السابق، الورقة 115.

(4) الشاطبي الاندلسي "فتاوي الامام الشاطبي" ص 203، ترجمة رقم 50 المسالة الاولى.

كما تحدثت المصادر الفقهية الأندلسية عن ما كان يصنع من طعام أو معجنات أو حلوى في ليلة المولد النبوي الشريف في المدن الأندلسية، نذكر ما أورده المؤرخ الفقيه عبد الحق بن إسماعيل البادسي في كتابه "المقصد الشريف" نقلا عن شهود عيان حضوروا مأدبة طعام في مدينة سبتة ليلة المولد الشريف بقوله: "... لما استقر الشيخ عبد الملك المؤذن بمدينة سبتة حرسها الله تعالى صار يصنع ليلة المولد طعاماً للفقراء يأكلونه، وكان طعامه الكعك والعسل، ويحضر تلك الليلة الفقراء والمحبون يعمل فيها السماع"[1].

اتفقت آراء وفتاوى العلماء والفقهاء الأندلسيين وأفكارهم وتشريعاتهم وتوجيهاتهم مع ما جاءت به المصادر المشرقية في محاربة البدع والعادات والتقاليد الغريبة عن تعاليم الإسلام في إحياء ليلة المولد النبوي الشريف، وقد صنف الامام السيوطي (ت 5911) رسالته الموسومة بعنوان "حسن المقصد في عمل المولد" منتقداً فيها كل البدع التي تقام في إحياء ليلة المولد النبوي الشريف، عادا اجتماع الناس لتلاوة القرآن الكريم ومراجعة الأحاديث النبوية الشريفة والسيرة المحمدية العظيمة ثم تناول الطعام البسيط بين الفقراء من الأعمال الحسنة الطيبة، حيث ترتسم بذلك آيات التعظيم والتقديس لتلك الليلة المباركة مع إظهار الفرح والبهجة لها.

أما الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي الإسكندري الفاكهاني المالكي (ت 734هـ) فقد ألف كتاباً بعنوان "المورد في الكلام على عمل المولد" يذهب منه الى ان عمل المولد بدعة مذمومة.

أما الفقيه المغربي الأندلسي الونشريسي (ت بفاس عام 914هـ/ 1508م) فقد خصص فصلاً عن عمل المولد النبوي الشريف في كتابه "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب" نقل فيه آراء الفقهاء والفتاوي عن مراسيم ليلة المولد نذكر منها "يسأل الولي العارف بالطريقة والحقيقة أبو عبد الله ابن عباد رحمه الله ونفع به عما ينفع في مولد النبي ﷺ من وقود الشمع وغير ذلك لأجل الفرح والسرور بمولده عليه السلام؟ فأجاب: الذي يظهر انه عيد من أعياد المسلمين، وموسم من مواسمهم، وكل ما يقتظيه الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر وتتره بالسمع والنظر، والتزين بما حسن من الثياب وركوب فارة الدواب، أمر يباح ولا ينكر، قياساً على غيره من أوقات الفرح والحكم بأن هذه الأشياء لا تسلم من بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه الوجود وارتفع فيه علم العهود، وتقشع بسببه ظلام الكفر والجحود، ينكر على قائله لأنه مقت وجحود وادعاء ان هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الايمان، ومقارنة ذلك بالنيزور والمهرجان، أمر قد ثقل تشمئز منه النفوس السليمة وترده الآراء المستقيمة"[2].

كما أكد الفقيه الونشريسي على انه لا يجوز الصيام في ليلة المولد النبوي الشريف وذلك لان هذه الليلة يوم فرح وسرور حيث انكر الفقيه ابن عباد ذلك عندما استدعي الى مائدة طعام عملت بمناسبة ليلة المولد النبوي الشريف فاعتذر احد الحاضرين عن تناول الطعام قائلا لابن عبادة انه صائم، فأجابه ابن عباد: بأنه لايستحسن الصيام في مثل

---

(1) ابن الحفار الغرناطي/ نوازل الوصايا واحكام المحاجير (ورد ذكره في كتاب فتاوي الشاطبي) ص 203 حاشية 192.

(2) البادسي، المقصد الشريف والمنزع الشريف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد احمد عراب، المطبعة الملكية، الرباط 1402هـ/ 1982م ص 100. الشيخ عبد الملك المؤذن كان اندلسياً، وكانت له ساحة أو جولة في مدينة سبتة وطاف فيها على الصالحين متفقداً احوالهم.

هذا اليوم المبارك لانه عيداً من المسلمين، والاقتداء بالمثل العليا والاخلاق الفاضلة والعطف على الفقراء لاهميتها والحث على مساعدة الفقراء واليتامى والمساكين من المسلمين"[1].

احتفال ليلة القدر بالاندلس:

اما الاحتفال في ليلة القدر المباركة في 27 رمضان كان لها مكانة دينية مقدسة في العالم الاسلامي، وفي الاندلس كانت تقام المجالس في المساجد والربط والزوايا وبها تقرأ ايات الذكر الحكيم والاحاديث الشريفة والمواعظ والصلوات، وكان لهذه الليلة منزلة مقدسة وبها انزل القران الكريم على سيدنا محمد ﷺ ومنزلتها كمنزلة ليلة المولد النبوي الشريف، وقد اوجد لنا الفقيه ابن مرزوق مقارنة بين الليلتين (ليلة القدر المباركة وليلة المولد الشريف) كما اوردنا ذلك سابقا كانت المساجد تنار بالشموع والزيت في ليلة القدر المباركة حتى الفجر، وقد تطرق لنا أبن الخطيب الغرناطي وارخ لهذه الليلة العظيمة كما ورد في النص بقوله: "... ونزلوا الى القلعة سحور الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام 760هـ فاستظهروا بالمشاعل والصراخ... فما راعه الا النداء والضجيج واصوات الطبول"[2].

كما احتفلت الاندلس بليلة الاسراء والمعراج التي وردت في القران الكريم "سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى" شأنهم بذلك عما كان يحدث في المشرق الاسلامي ويتم الاحتفال الديني لهذه الليلة المباركة.

الاحتفال بعيد الفطر المبارك بالاندلس:

اما عيد الفطر المبارك وعيد الاضحى المبارك فهما مناسبتان دينيتان عند المسلمين وتحدثت المصادر الاندلسية عن هذه الاعياد لما لها من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، وقد خصصت مقالة عن العيد لابي محمد عبد الله الاسدي في (رسالة في الحسبة) لعمر بن عثمان بن عباس الجرسفي"[3].

كما انشد شاعر غرناطة ابن زمرك قصيدة في مناسبة عيد الفطر المبارك ذكر فيها اصطلاح (العديات) والهدايا التي قدمها ومنحها للامير الغرناطي السلطان محمد الخامس للحضور"[4].

الاحتفال بعيد الاضحى المبارك:

وفي العاشر من شهر ذي الحجة من السنة الهجرية كانت العوائل الاسلامية من مختلف الطبقات والمذاهب والمستويات الاجتماعية تحتفل بفرح وبهجة وعظمة وتقدير لهذه المناسبة في عيد الاضحى المبارك وتقليداً للقيم العربية الاسلامية، وتتم بهذا العيد التضحية او نحر المواشي كالاغنام والابقار والمواشي الاخرى بالاضافة الى ارتداء الملابس الجديدة للكبار والصغار، كما ان العوائل المتوسطة كانت تعمل الموائد والتي تحتوي على البيض والخضراوات والفواكه،

---

(1) الونشريسي/ المعيار المعرب والجامع المغرب/ ج11/ 279– 280.

(2) المصدر السابق/ ج10/ 279– 280.

(3) ابن الخطيب الغرناطي/ اللمحة البدرية، ص 121.

(4) انظر: بدروا جالميتا (المستشرق الاسباني)، صاحب السوق، اطروحة دكتوراه بالاسبانية في 761 صفحة/ نشر المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد 1970م.

Pedro Chalmeta, El Senor del Zoco, Ihac. Madrid 1970. p. 441

وانظر فرناندوا دي لاكرانخا (المستشرق الاسباني) مقالة المقامة للعيد.

Fernando de la Granja, la Magama de la Fiesta de ibn Azdi Revista al- Andalus, Madrid- Granada 1970, n XXXV. Pp. 119- 142

وفي القرن الثاني عشر الميلادي ذكر الاديب الفقيه ابن قزمان القرطبي انه يتم توجيه احد المواطنين او المسؤولين من الرجال الذين يدافعون عن العادات والتقاليد حيث كان يعرض على كل عائلة اكتساب او اقتناء خروف كل عام، وفي كل بيت لابد من ان يتم الفرح والطرب لبضعة ايام من العيد بالاضافة الى انشاد القصائد ويتم تناول الفواكه والكرزات.

وفي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي كتب ابن المربع الازدي (مقامة العيد) الى حاكم مالقة ابو سعيد فرح بمناسبة حصوله على خروف لتضحيته في العيد، يذكر ان يجب ان يكون حياً ونشطاً، كما تحدثت المصادر الفقهية الاندلسية عن قضايا فقهية في المحاكم على ان رجل فقير الحال قد اجبرته زوجته واصرت عليه على شراء خروف لنحره في يوم عيد الاضحى المبارك"[1].

اما الاطعمة التي تقدم على الموائد الاندلسية في العيد منها طبيخ الحنطة مع الحليب اقتداء بها كانت تتناوله السيدة امنه بنت وهب (رضى الله عنها) بمناسبة ولادة الرسول الكريم ﷺ بالاضافة الى تقديم الطعام.

كان المسلمون في غرناطة يخرجون الى الشوارع والساحات العامة ايام الاعياد، حيث يزدحم الرجال والنساء بعطورهم المصنوعة من ماء الورد (الغالية) ويلعبون برمي البرتقال واغصان باقات الورود بعضهم على البعض الاخر تعبيراً عن الفرح كما تتخلل الزغاريد والاغاني والدبكات تلك الحشود"[2].

الاحتفال بيوم العاشر من عاشوراء بالاندلس:

اما يوم عاشوراء فهو مناسبة عظيمة في الاندلس والمشرق والمغرب الاسلامي ويصادف العاشر من محرم الحرام ذكرى استشهاد سيد الشهداء الحسين بن ابي طالب (عليه السلام وكرم الله وجهه) حفيد سيد الكائنات محمد ﷺ ويحتفل المجتمع الاندلسي بالمناسبة وتلقى القصائد والخطب الدينية استذكاراً بالبطولة والشهادة ومما انشد في الاحتفال في عهد الامير عبد الرحمن الثاني (الاوسط) من الفقيه والمؤرخ الاندلسي عبد الملك بن حبيب الالبيري للامير هذه الابيات بالمناسبة:

لاتنس- لاينسك الرحمن- عاشورا	واذكره، لازلت في الاحياء مذكورا
قال الرسول- صلاة الله تشمله	قولا وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة	يكن بعيشه في الحول مجبورا
فارغب- فديتك فيما فيه رغبنا	خير الورى كلهم حيا ومقبورا

وفي غرناطة تحتفل فئة وطبقة من المجتمع باحياء ذكرى عاشوزاء مثل باقي مدن الاندلس واعتاد بعض الاهالي من الصيام في ليلة العاشر من محرم تضامنا مع الشهادة والبطولة التي وقعت بالمناسبة"[3].

---

(1) راحل اريه/ اسبانيا الاسلامية Rachel Arie, la Eespana Musulmana, Barcelona 1982, p. 308

(2) المصدر السابق. يصر ابن الخطيب الغرناطي/ اللمحة، ص 122 عن عيد الاضحى المبارك باصطلاح عيد النحر.

(3) المصدر السابق.

كما انشد شاعر غرناطة ابن زمرك قصيدة الى السلطان الغرناطي محمد الخامس بمناسبة ليلة عاشوراء"[1] كما ان المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي كان يؤرخ عدد من الحوادث الهامة في ليلة عاشوراء نذكر منها ماحدث عام 751هـ"[2].

الاعياد الدنيوية والاجتماعية في سلطنة غرناطة:

احتفلت الأندلس بأعياد ومناسبات دنيوية أو اجتماعية ومن أبرزها "عيد العصير" أو جني العنب من حقول غرناطة وعصره، حيث كان أهالي غرناطة يخرجون الى الحقول مع عوائلهم ويتركون بيوتهم من اجل قطف العنب والكروم، كما كانوا يمكثون أيام عديدة حيثما يتم إكمال القطف وعصر العنب في حقولهم، وقد أكد لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي عن ذلك موضحاً خيرات غرناطة وغناها بمحاصيل الكروم والفواكه وفرحتهم في الاحتفال بثرواتهم الزراعية، بقوله: "وفواههم رغده، والعنب بحر لانافة كرومه التي ينالها الخرج على أربعة عشر ألفاً لهذا العهد وفواكههم اليابسة عامة العام متعددة، يدخرون العنب سليماً من الفساد الى ثلثي العام، الى غيرعه من التين والزيت والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز، الى غير ذلك مما لا ينقطع مدة ألا بفضل يزهد في استعماله... وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حلال العصير أو ان إدراكه بما يشتمل عليه دورهم، والبروز الى الفحوص بأولادهم وعيالهم، معولين على شهامتهم وأسحلتهم على كثب عدوهم، واتصال أبصارهم بحدود أرضه"[3].

وكان يستفاد من عصير العنب في صناعة النبيذ والخمور التي كانت رائجة في الأندلس منذ وقت طويل حتى قرر الخليفة الحكم المستنصر من اتلاف حقول الكروم لمنع الخمور ولكنه معاونيه الحول أوضحول له بأن أهلَ الاندلس لهم غيرة عريقة ويمكن لهم من تصنع الخمور من محاصيل اخرى، لذا تراجع عن قراره بإتلاف أشجار الأعناب من حقول الأندلس حرصاً منها على ثروة الأندلس وسعياً لتحريم تناول الخمور في الأعياد والمناسبات كما ورد بالنص "وذكر الحميدي في تويخة ان الحكم رام قطع الخمر من الأندلس، فأمر بإراقتها وتشدد في ذلك، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله، فقيل أيهم يعملونها من غيره، فتوقف عن ذلك"[4].

أما أعياد النيروز والمهرجان فيما مناسبتان من أعياد الأعاجم من الفرس والأكراد حيث يقع النيروز في اليوم الأول من السنة الشمسية ويصادف في فصل الربيع، أما المهرجان فيصادف في 24 تموز (يوليو) وكان يحتفل بهذه الأعياد في الاندلس.

تحدث المؤرخ الفقيه ابن بشكوال نقلاً عن ابن العسفي في مخطوطته "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" عن الاحتفال بلنيروز والمهرجان ومهاجمة اهل الاندلس وانتقادهم في تقليد اعياد النصارى بقوله (الورقة 41) "... وقد جمع في ذلك شيخان الفقيه الراوية الثقفة التاريخي المسند ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الانصاري القرطبي

---

(1) ويذكر ابن حيان القرطبي/ المقتبس/ تحقيق د. محمود علي مكي، بيروت 1979، ص 55. ان الامير عبد الرحمن الثاني يقدم الاضاحي للامام.

(2) مكي/ د. محمود علي "التشيع في الأندلس" مقالة نشرت في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، العدد الثاني السنة 1954 ص 93- 149.

(3) ابن زمرك/ ديوان.

(4) ابن الخطيب الغرناطي/ اللمحة البدرية/ ص 108 والف ابن الابار كتاباً عن ليلة عاشوراء بعنوان "معادن اللجين في مراثي الحسين" المقّري/ نفح/ ج4/ 320.

جزءاً حسناً وهو مما اذن لنا منه وكتب به غير مرة الينا قال في باب كراهية النيروز والمهرجان والميلاد وذم الاحتفال لها، وترك تعظيمها والاستعداد لدخولها، وكان يمنع أكل مايذبح لها، كان السلف رضي الله عنهم، واهل الخير والفضل والدين والورع يكرهون هذه الفصول المذمومة ويعيدونها على فاعلها والمستعمل لها والمحافظ عليها لانها اعياد النصارى، ثم قال رسول الله ﷺ "من تشبه بقوم فهو منهم" ثم قال بعد ذلك فأني رأيت، عصمنا الله وإياك من فصلات الفتن وأعاننا على إحياء الستن، الجمهور اللفيف والعالم الكثيف من أهل عصرنا قد تواطئوا على تعظيم شأن هذه البدع الثلاث: الميلاد وينيروا والمهرجان، وهو العنصرة، تواطأ و فاحشا، والتزموا الاحتفال لها والاستعداد لدخولها التزاماً قبيحاً، منهم يرتقبون مواقيتها ويفرحون بمجيئها، ولعمري لقد نشبوا في فتنة هوى، أوقعتهم في بدعة عمى، وشاقوا الله ورسوله من حيث لا يعلمون، واستهلوا هذه البدع حيث ألفوها وعظموها حتى صارت عندهم كالسنة المتبعة، وسكت العلماء، رضي الله عنهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها، وتأنى السلطان في تغييرها، وتمكن الشيطان من تزيينها، فوقع الناس من هذه البدع في أمر عظيم إلا ان يتداركنا الله برحمته"[1].

يلاحظ من النص موقف العلماء المشدد من مشاركة المسلمين في الاحتفال في أعياد النيروز والمهرجان والميلاد، حيث اعتبروها بدع وحثوا المسلمين على تجنب المشاركة في احتفالاتها، كما أكد العلماء وعلى المسلمين بتجنب الصيام في مثل تلك الأيام كما ورد في النص: "قال ابن وضاح رحمه الله: حدثنا محمد بن سعيد بن أبي مريم ومحمد بن يحيى الصدفي المصري قالا: حدثنا أسدين موسى عن الربيع بن صبيح عن ابان بن ابي عياش: قال: ألقيت طلحة بن عبد الله بن كريز الخراعي، فقلت له: قوم من إخواننا من أهل السنة والجماعة ما يطعنون على اخذ ويجتمعون يوم النيروز والمهرجان ويصدمونها، فقال طلحة: بدعة من اشد البدع والله!!،اشد تعظيماً للنيروز والمهرجان من غيرهم، ثم استيقظ انس بن مالك رحمه الله، فقربت إليه فسألته كما سألت طلحة، فرد على مثل قول طلحة كأنما كان معه على ميعاد"[2].

كما حرم العلماء أكل ما يصنع ويعد وينصب في ليلة النيروز والمهرجان من خلال ما أكدت عليه النصوص التي وردت في مخطوط "الدر المعظم في مولد النبي المعظم" بالنص الآتي: "فقد روينا ان رجلاً ولي السوق بقرطبة، فبرح على الناس في النيروز ألا يزيدوا على ما في حوانيتهم فأعجب فعله ذلك ابن وضاح وغيره من أهل العلم، ومما ينبغي لأهل العلم والخير والفضل والدين ان يجتنبون في هذه الفصول المذمومة ما يذبح فيها من الحيوان وترك أكل لحمه ويرويه مما أهل لغير الله به، وقد سمعت شيخنا ابا محمد بن عتاب، رحمه الله يوم النيروز وهو يحكي عن أبيه رحمه الله ومكانه من أهل الفضل والدين والعلم مكانة انه كان ينهى عن أكل اللحم في هذه الفصول، وكان يقول: انه إنما أهل به لغير الله ويشدد في ذلك"[3].

وحرم العلماء من قول الشهادة للمحتفل في ليلة النيروز والمهرجان، كما ترفض الهدايا المقدمة فيها، كما ذكر لنا ذلك الفقيه العزفي في كتابه بقوله: "ولا تقبل للذي يستعد لها شهادة، ولا يصلى خلفه إلا ان يتوب الى الله عز وجل من

(1) ابن الخطيب الغرناطي/ اللمحة البدرية، ص 40 ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة في اخبار غرناطة/ ج1/ 37 العبادي "الاعباد في مملكة غرناطة" ص 140، Rachel Arie, la Espana Musulmana, p. 312

(2) ابن الابار، كتاب الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، ط1 القاهرة 1963 ج1/ 203.

(3) العزفي، مخطوط "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"، الورقة أ4 (نسخة الاسكوريال).

ذلك تربة صادقة، ولا تقبل لاحد في يوم النيروز ولا في ليلة المهرجان، ولا في ليلة العجوز، ومن قبل الهدية في هذه البدع الثلاث من أحد فقد شرك المبتدعين لها في إثمها وعارها"[1].

كما منع الفقهاء من صنع أو عمل التماثيل أو الألعاب المعمولة من الحجارة والأخشاب والخزف وغيرها على هيئة حيوانات وأشكال متنوعة اخرى في أعياد النيروز والمهرجان، كما أورد ذلك الفقيه العزفي في كتابه نقلاً عن العلماء والفقهاء بقوله: "ومما ينبغي ان يشدد على الناس فيه ما يصنع في النيروز من الصور المنهى عنها التي وردت الآثار عن النبي ﷺ بالمنع من فعلها بقوله عليه السلام: "من صور صورة كلف يوم القيامة ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ أبداً... "[2].

ومن العادات المخالفة لتعاليم الإسلام التي تصنع وتستعمل في الأعياد والمناسبات صناعة اللعب والتماثيل منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي على هيئة حيوانات وبصورة خاصة النعامة على الرغم من مواصلة إصدار فتاوى العلماء والفقهاء بتحريم ذلك العمل، كما أكدت لنا الحفريات التي أجريت في أسبانيا وذلك بمدينة المرية قبل أكثر من ربع قرن بالإضافة الى قصر الحمراء بغرناطة أيضاً حيث تم العثور على هياكل من الألعاب وعلى شكل تماثيل من الخزف أو فخار أو من الزجاج على هيئة خيول أو ذوات الأربع قوائم مع راس صغير أو رقبة طويلة كالنعامة، وأواني من الطين وقناديل صغيرة، وهي دلائل واضحة على مراسيم وتقاليد المجدتمع الغرناطي في عهد دولة بني نصر في الاحتفال بالنيروز والمهرجان"[3].

احتفلت غرناطة في مناسبات عديدة ومتنوعة على نطاق اجتماعي مثل ختان أولاد السلاطين (العذار) بالإضافة الى حفلات الزواج لأبناء السلطان وكذلك مراسيم تنصيب السلطان على العرش أو توريث السلطنة الى الأبناء، حيث كان لهذه المناسبات عاداتها وتقاليدها والولائم التي تقام لها والرقصات والأغاني والقصائد التي كانت تنشد لها، كما نقلت لنا المصادر الأندلسية أخباراً وصوراً عن تلك المظاهر الاجتماعية"[4].

كما اشتهرت غرناطة بحفلات مبارزة الفرسان ومصارعة الأسود والثيران ومهاجمتها بالسيوف والرماح حيث كانت تقام لها الحلبات والساحات الخاصة، كما يجتمع الناس لمشاهدة تلك العروض الجميلة والمثيرة للدهشة مثل ما كانت تقام في ساحة باب الرملة، في قلعة قصر الحمراء، أما برج الغدر ويعرف مكانه اليوم ببرج الأراضي السبعة: وقد وصف لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي إحدى تلك الاحتفالات بأنها كانت تقام في إحدى هذه الساحات دائرة خشبية في الهواء تسمى "الطبلة" ثم تأخذ الفرسان في قذفها برماحهم أثناء ركضهم بخيولهم"[5] وكان يحضر مثل هذه الحفلات وفود من مناطق مختلفة من داخل الأندلس وخارجه وتقيم هذه الوفود في دار الضيافة الذي يقع الى جوار قصر الحمراء بغرناطة"[6].

---

(1) المصدر السابق، الورقة أ4.

(2) المصدر السابق، الورقة أ5.

(3) المصدر السابق، الورقة ب5.

(4) المصدر السابق، الورقة ب5.

Rachel Arie, la Eespana Musulmana, p. 311. (5)

(6) انظر: المقّري/ نفح الطيب، ج9/ 165ج10/ 13- 16 (طبقة محي الدين عبد الحميد).

موقف الفقهاء بالأندلس من بعض الأعياد واحتفالاتها:

إن مظاهر الاحتفالات ومراسيمها قد تركت بعض آثارها وبصماتها على المجتمع الاسباني اليوم حيث يقام احتفال سنوي في المبارزة بين الفرسان المسلمين والمسيحيين في مدينة بلنسية Valencia في 28 آب (أغسطس) من كل عام ويعرف الاحتفال بالأسبانية: موروس وكر سيتانوس Moros y Critianos وفيه تتم المبارزة والمنازلة بين المقاتلين الفرسان والجمهور المحتشد من مختلف مدن أسبانيا وخارجها ينتظر نتائج الصراع الحربي ومن هو المنتصر؟

أما عن المصارعة بين الثور والأسد أو الكلاب والإنسان والتي اشتهرت أسبانيا هذه الالعاب والاحتفالات التي تقام وهي معروف حتى يومنا، فكانت تقام تلك المنازلات في ساحات خاصة لها وحسب برنامج واستعدادات تعمل لها، وقد وصف لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي مشاهد عن ذلك بقوله: "هي ان يطلق الثور أو البقر الوحشي كما يسميه، ثم تطلق عليه كلاب لان المتوحشة، فتأخذ في نهش جسمه واذنيه، وتتعلق كما في صورة القرط من آذانها"[1].

كما تحدث المؤرخ الغرناطي عن حادثة مطاردة ومبارزة ومنازلة السلاطين وأبنائهم للحيوانات المتوحشة والقوية للتأكيد على بطولة السلطان وأبنائه وتحديه للموت، نذكر عم ذلك حادثة هي: "ان ابا سعيد محمدبن نصر كان ولياً للعهد، خرج للصيد يوماً فقابله خنزير جبلي (بالأسبانية Jabaklin) فطرح نفسه عليه فكب به فرسه، واستقبله ذلك الخنزير، فأستل الأمير سيفه وعاجله فضربه تحت عينيه ابانت فكيه، واطارت محل سلاحه وتلاحق به فرسنه وقد يئسوا من خلاصه، وقرأ واما بهتوله، وبشروا بذلك والله السلطان محمد الفقيه الثاني، فسر سروراً عظيماً"[2].

وانشد شاعر غرناطة ابن زمرك يمدح بها سلطانه محمد بن يوسف الغني بالله في منازلته للأسد ويمجد فروسيته وشجاعته في أبيات عديدة نذكر منها:

طـــارت مقـــدام الـــصوار بجـــادح   يـــصاب منــــه الـــصماخ أو الابـــط"[3]

وقوله في موقف آخر:

وطـــارت الـــصوار بكـــل ضـــار   كـــما ابتلعـــت عفريتـــاً شـــهابا"[4]

وانشد أيضاً:

ســـود وبـــيض في الطـــراد تتابعـــت   كالليـــل طـــارده بيـــاض نهـــار"[5]

(1) ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة في اخبار غرناطة ج4/ 479.

(2) المؤلف المجهول/ "نبذة العصر في اخبار بني نصر"، نشر الفريد البستاني/ ترجمة للاسبانية للاب كارلوس كيروس/ العرائش- المغرب 1940، ص 3.

(3) ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة في اخبار غرناطة/ ج1/ 16

(4) المصدر السابق.

(5) المقّري: نفح الطيب/ ج9/ 165 (طبقة محيي الدين عبد الحميد).

وللفقهاء موقف خاص عن مراسيم الاحتفال بمصارعة الحيوانات حيث ترفض الفتاوى والتصريحات الفقهية عن إيذاء الحيوان والتحرش به والاعتداء عليه وتوصي بالرفق بالحيوان في الأحاديث الشريفة التي تؤكد بأن إنسان دخل الجنة لأنه أطعم وسقة قطة وان أمراءه دخلت النار لأنها آذت القطة.

مشاركة أهل الأندلس لأعياد النصارى الأسبان :

أما الأعياد الاسلامية التي كانت تقام في غرناطة والأندلس والتي تأثرت بأعياد النصارى واحتفالاتهم هي: عيد ميلاد السيد المسيح (بالأسبانية: نبيداد Navidad) في 25 كانون أول من كل عام ميلادي، وليلة العجوز (بالأسبانية: نوجي بيجب Noche Vieja) الليلة الأخيرة أو القديمة من كل عام ميلادي، وليلة عيد الفصح أو القديس (بالأسبانية: سمانا سانتا Samana Santa) أسبوع الفصح في فصل الربيع من كل عام. ولا تزال هذه الأعياد يحتفل بها في اسبانيا، حيث قلد عدد من المسلمين إخوانهم النصارى في أعيادهم واحتفالاتهم، وكانوا يستعدون لها وينصبون الموائد الخاصة بها والتي تحتوي على أكلات ومعجنات وحلوى خاصة، وكانوا يرتدون الملابس الفاخرة والجديدة فيها ويرقصون ويغنون في لياليها، وهذا ما يرفضه العلماء والفقهاء في الأندلس، وقد تصدى لها رافضاً بفتاوي أبو بكر الطرطوشي ت 520- 525هـ في كتاب (الحوادث والبدع) بقوله: "... من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان، كذلك على إقامة ينير بابتياع الفواكه كالعجم وإقامة العنصرة وخميس أبريل شراء المجبنات والإسفنج وهي من الأطعمة المبتدعة، وخروج الرجال جيعاً أو أشتاتاً مع النساء مختلطين للتفرج، وكذلك يفعلون في أيام العيد ويخرجون للمصلى، ويقمن في الخيم للتفرج لا للصلاة"[1].

ان مشاركة المسلمين في أعياد المسيحيين على ارض الأندلس جاءت نتيجة صلة المجاورة والمخالطة في المجتمع، وقد نبه الفقهاء على ذلك واعتبروها بدعة وطالبوا بعدم تقليد المسيحيين في أفعالهم وأعمالهم وطعامهم، كما نهوا عن البذخ والترف والإسراف بالأعياد لان ذلك يتنافى مع الإسلام وتعاليمه.

وضح لنا الفقيه العزفي في كتابه "الدر المنظم" ما كان يحدث في بعض المدن الأندلسية من انتهاكات في المجتمع لتعاليم الإسلام وقواعده في إقامة المسلمين الحفلات ومشاركتهم لأعياد المسيحيين، وقدم النصائح للمسلمين بترك تلك الأفعال والتشبه بالنصارى في أفراحهم بقوله: "وان محب أيها الناصح لنفسه فعجب من إحصائهم لتواريخهم والاعتناء بمراقبتها فكثيراً ما يتسألون عن بلاد عيسى على نبينا وعليه السلام، وعن ينير السابع ولادته وعن العنصرة ميلاد يحيى، على نبينا وعليه السلام، فما أعانهم التوفيق"[2].

أما الأفعال والأعمال التي كان يقوم بها المسلمين في أعياد المسيحيين والموائد التي نصبت والحوانيت التي جهزت بالسلع لها، فقد تحدث عنها الفقيه العزفي في كتابه بقوله: "وأضافوا لتخفي عنها بالسؤال والمحافظة عليها والإقبال، من بدع وشنع ابتدعوها، وسنن واضحة أضاعوها، بموائد نصبوها لأبنائهم ونسائهم وصنعوها وتخيروا فيها أصناف الفواكه وأصناف الطرف وجمعوها، وتهادوا فيها انتحبوها والمدائن التي صوروا فيها الصور واخترعوها، ونصب ذوو اليسار نصبات في اللبار، كما نصب أهل الحوانيت، فنضدوها، فقوم أباحوا أكلها لعيالهم وقوم منعوها وحلوها كالعروس لا تغلق دونها الأبواب، وفي منصتها رفعوها، وبعضهم آكل من أطرافها ثم باعوها.

---

(1) المصدر السابق، ج10/ 157.

(2) المصدر السابق نفسه.

ولقد ذكر لنا غير واحد من المسافرين ان النصبة ببعض بلاد الأندلس، جبرها الله وآمنها بلغ ثمنها سبعين ديناراً، ويزيد على السبعين لما فيها من قناطر السكر وأرباع الفانيد وأنواع الفواكه ومن غرائز التمر وأعداد الزبيب والتين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها، وضرورة ذوات القشور من الجوز واللوز والجلوز والقسطل والبلوط، والصنوبر الى قصب السكر وروائح الاترج والنارنج والليم، وفي بعض البلاد طاحن من مالح الحيتان ينفقون فيه ثلاثين درهماً الى نحوها"[1].

وقد شاهدت في بعض الأعوام سد الحوانيت ممن لا يبيع ما يحتاجون اليه، كسوق القيسرية والعطارين وغيرهما من الأسواق وفي ذلك لضعفائهم من الدلالين وغيرهم،

قطع المعايش وتعذر الأرزاق ويطلقون الصبيان من المكاتب ويشربون قلوبهم حب البدع الرواتب، فهذه أفعالنا، فهل منا من تائب لائم لنفسه معاتب وكان هذا في ينير، ثم صنعوا نحو مئة في العنصرة وفي الميلاد، فكيف ينشأ على هذه الفتنة الأقصر عليها مائل إليها من الاولاد، اذ يلقون اليهم انه من عمل هذا العمل، لم يخل عامة ذلك من رغد العيش وسعة الرزق وبلوغ الامل وربما جعلوا حماره تحت اسرتهم تفاؤلاً وامارة ليكونوا في عامهم ذلك اكسى من الحماره، فهل سمعتهم يا اولي الالباب باعجب من هذا العجاب طاعة ذوي النهى والاحلام من الرجال الى الولدان ورباب.

واری انه ما جر على اهل الأندلس هذا الا جوار النصارى دمرهم الله من جيران ومخالطتهم لتجارتهم، ومكاشفتهم عند الكيتونة في اسارهم ولذلك حذرنا من ترائي النيران"[2].

أما الوسائل التي اتبعتها الكنيسة المسيحية مع الصبيان المسلمين ليشاهدوا ما يحدث في الاحتفال داخل الكنائس، فقد نقل لنا الفقيه ابن العزفي عن الفقهاء والعلماء مظهراً عن ذلك بقوله: "وخرج فيه عن ابن وضاح: قلت لسحنون: انهم اعتدنا اذا كان أعياد النصارى قالوا للصياد ديثونا ببيض وهدايا نقبلكم الى الكنائس، قال: أي شيء هذا، قلت: مثل الميلاد والعنصرة يقبلونهم وياخذون منهم الهدايا. قال: هذا بئس الرجل، لا يصلي خلفه ويقدم غيره ان قووا على ذلك"[3].

أما الهدايا التي تقدم بمناسبة أعياد المسيحيين وموقف العلماء منها، فهناك اراء وفتاوي عديدة منها: "قال ابن وضاح، رحمه الله، فسألت أبا زكريا يحيى بن سليمان عن امام يقبل هدايا الصبيان في أعياد النصارى وبعظهما، قال، ما اراه مسلماً. قلت: لا يصلى وراءه. قال: انا اقول لك ما اراه مسلماً وانت تقول لا يصلى وراءه. قال ابن وضاح: وسألت سحنون عن ذلك. فقال: رجل سوء...

قال احمد بن زياد رحمه الله سألت محمد بن وضاح عما يضع الناس في اول ليلة من ينير فقال: بدعة. فقلت له: أفأرد ما أهدي الي. قال: ما احسن ذلك. قلت له: حسن، قال: نعم أو أستشرني في ان تتصدق بمائة دينار ثم قال: بمائة دينار الا الف دينار أو ترد ما اهدى اليك لاشرت عليك ان تردها اهدى اليك وتمسك الف دينار، قلت: ويبلغ به هذا كله. قال: نعم.

---

(1) العزفي/ مخطوط (الدرّ المنظم في مولد النبي المعظم) الورقة.

(2) الطرطوشي/ ابو بكر محمد بن الوليد (ت 520هـ/ 1126م)، كتاب الحوادث والبدع/ تحقيق محمد الطالبي/ المطبعة الرسمية (تونس 1959م).

(3) العزفي/ مخطوط (الدرّ المنظم في مولد النبي المعظم) الورقة أ6 (نسخة الاسكوريال).

وسألت محمد خميس المعلم محمد بن وضاح عن ليلة العجوز، والذي يفعله اهل بلدنا فيها، فكره ذلك دعا به عيباً شديداً، ونزع بآية من القرآن منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ثم قال محمد بن وضاح: لقد اعجبني ان ابن خميس المعلم جعل الصبيان يأتونه في هذه الليلة بالهدايا كما يفعل الصبيان، فردها واعجبه ذلك من فعله... وقد قيل لعبد الرحمن بن مدراج: ما قولك في قوم من اهل الخير يجتمعون ليلة قبل ينير أو ليلة بعده مع اقاربهم واصهارهم فياكلون الادام والفاكهة ويجتمعون الليلة المذمومة. فقال: كل ذلك منه وحواليه ومع ذلك. وقد قال غيره: أي بدعة أفحش واسمج من ان يكون المسلمون يحتفلون ويستعدون لدخول شهر أو سنة من شهور العجم وهم اعداؤنا وانما عاديناهم على كفرهم بالله"[1].

أما عن الصيام في اعياد النصارى، فقد نبه عليه الفقهاء واكدوا على ان بعض المسلمين كانوا لا يطبخون طعاماً ولا يتزينون في تلك المناسبات المسيحية كما ذكر لنا ذلك الفقيه العزفي بقوله: "وقد كان رحمكم الله جماعة من السلف يصبحون صياماً في يوم ينير ويأتون المساجد فيقيمون يومهم فيها يصلون ويذكرون الله فيها ولا ياكلون يومهم ذلك اداما ولا فاكهة، وقد كان خالد بن سعد قال: حدثت عن شيوخ بني قاسم بن هلال انهم كانوا اذا كانت ليلة ينير ليس يوقد عندهم نار ولا يطبخ عندهم شيء. وحكى ايضاً قال سمعت محمد بن مسروق يقول: كان عندنا يقال لهم بنو الاسباط كان لا يوقد عندهم نار ليلة ينير أو كما قال، وكانوا علماء رحمهم الله وغفر لهم.

وذكر ابن حبيب رحمه الله عن بعض حكماء السلف انه كان يقول: اياكم يا معشر النساء، لا ترششن بيوتكم بالماء يوم العنصرة، ولا تلقين في ثيابكن ورق الاكرنب ولا تغسلن في ذلك اليوم الا من جنابة، فمن فعل ذلك منكن فقد شرك في دم يحيى ابن زكريا ﷺ"[2].

كما كانت تحدث بعض الأفعال والاعمال الصبيانية والهزلية اثناء الاحتفالات في الاعياد منها قيام بعض الشباب ببعض التصرفات كما ذكرها عمر بن الغرسفي المحتسب الاندلسي حيث عاقب الشباب الذين يرشون الشوارع والاسواق بالماء في يوم المهرجان من اجل جعل الشوارع تزلق المارة بها"[3].

ان من ابشع ما كان يحدث في احتفالات الاعياد هو تناول البعض من اهل الأندلس الخمور والحشيشة- او الحشيش نبات أو محصول يزرع في المغرب وفي مزارع ومناطق معينة ومنه انتقل الى الأندلس- ويعلل الباحث العبادي سبب ظهور الحشيشة في غرناطة وانتشارها في المجتمع الاندلسي وفي غرناطة بالاخص راجع الى الاضطراب والخمول الذي كانت تعانيه غرناطة في ذلك العهد"[4].

أما ابن الخطيب الغرناطي، فقد تحدث عن اسباب ودوافع انتشار الحشيشة بقوله: "وبلغت الأندلس لهذا العهد (فترة حكم السلطان ابي سعيد البرميخو) ومن خمول الامر، واحتلال السيرة مالا فوقه، حدثني صاحب شرطته وهو لا باس به، قال اطربته باجتناب الناس الخمر في ايامه، وطهارة بلد من قاذوراتها، فقال لي في الملا المشهود: والحشيش كيف حالها؟ قلت: ماعثرت على شيء منه فقال: هيهات، انزل الى بيت فلان وفلان وفلان، وعد كثير من

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) المصدر السابق نفسه/ الورقة ب4 (نسخة الاسكوريال).

(3) المصدر السابق نفسه/ الورقة ب5 (نسخة الاسكوريال).

(4) المصدر السابق نفسه/ الورقة ب6 (نسخة الاسكوريال).

الساسه والاوغاد واصفاعين ورسم مكانهم قال صاحب الشرطة: اما تصرفت الى ماذكر، فوالله مااخطأت شيئاً عما رسمه، ولا فقدت شيئا مما ذكره وذلك لغيانه بيوتهم وانخراطه في جملة متابيهم، فوالله استاذي في الشرطة[1].

اما موقف العلماء والفقهاء من تناول الخمور وتعاطي المخدرات فكان موقفا صلبا مطالبين بانزال اشد العقوبات بحق مرتكبيها كما ورد في النص عن ماحدث للقاضي: "ابو بكر محمد بن فتح بن علي الاشبيلي الملقب بالاستبراق بعد ان تقلد له قبل خطة السوق فلقى سكرانا من الجند قد افرط في القحة واشتد في العربدة فحمل على الناس فافرجوا عنه، فاعترضه بنفسه وقبض عليه واستبصر في حده فذهب اقصى مذاهب الصرامة الى ان هلك[2].

فقد انشر شعراء الاندلس قصائد وابيات شعرية تؤكد على تناول الخمرة والحشيش في غرناطة وباقي مدن الاندلس واستنكرها من البعض، نذكر ماانشده شاعر غرناطة محمد الحجر الرعيني المعروف بابن خميس (ت5708) نذكر منها[3]:

دع الخمـــر واشرب مـــن مدامـــة حيـــدر   معتقـــة خـــضراء لـــون الزبرجـــد

كما انشد شاعر غرناطة ابن الوحيد (ت5711) قصيدة عن الحشيشة نذكر منها[4]:

خـــضراء بـــل لاتفعـــل الخمـــر فعلهـــا   لهـــا وثبـــات في الحـــشا وثبـــات

وحـــج نـــارا في الحـــشا وهـــي جنـــة   وتبـــدي لذيـــذا العـــيش وهـــي نبـــات

كما تطرق ابن سعيد المغربي عن الحشيشة وهو ينتقد اهل مصر لتناولهم لها واعتبرها من العادات القبيحة عندهم وهو لايعلم بان في مجتمعه الاندلسي كانت معروفة في بعض المناطق[5].

واعتاد الامراء بالاندلس الخروج الى النزهات ومعهم قارعوا اوتار الغناء والمغنين بصحبتهم اواني الشراب، وصارت من الامور المالوفة لدى اهل الاندلس حتى قبل مجئ حكام غرناطة من بني نصر[6].

Rachel Aarie: la Espana Musulmana, p. 312 (1)

وبعض العوام يستخدمون العصى اثناء اللعب، مما جعل المحتسب يحذر من هذا الاعمال، ويامر بمنع هذه الأفعال لانها تمنع المادة من الناس وتعرضهم للاذى. الجرسقي/ رسالة في اداب الحسبة/ تحقيق ليفي بروفنسال القاهرة 1375هـ/ 1955/ ص 124.

(2) احمد مختار العبادي/ الحياة الدينية واللغوية في غرناطة/ مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد 6 (بغداد 1399/ 1978م) ص 24- 25.

(3) ابن الخطيب الغرناطي/ نفتضة الجراب في علالة الاغتراب/ تحقيق د. احمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، ودار الشؤون الثقافية (افاق عربية) (بغداد د. ت) ص 183.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 21.

(5) المصدر السابق نفسه، ص 21.

(6) ابن الخطيب الغرناطي/ اللمحة البدرية في الدولة النصرية/ ص 53. حاول الخليفة الحكم الثاني محاربة صناعة الخمور بالاندلس باتلاف الكروم ولكن مساعديه اخبروه بان اهل الأندلس بارعين ومن الممكن صناعة الخمور من جميع الفواكه، فترك الموضوع.

ومن الاحتفالات الاندلسية ووسائل التسلية واللهو الغناء والموسيقى والرقص الفلامنكو FLAMENCO ذات الاصول العربية ويشبه رقص الجوبي في الريف العراقي والموسيقى كانت تعزف في كل شارع وزاوية والناس يستمعون ومعظمهم يملكون هذه الاجهزة الموسيقية في بيوتهم[1].

تحدث ابن خلدون عن الاحتفالات في الاندلس بقوله ان انحسار المسلمين وزحفهم من جميع مدن الاندلس صوب مملكة غرناطة، من العوامل التي ساهمت في ازدهار مظاهر الفن من غناء وطرب وموسيقى، فقد حافظوا على تراثهم الموسيقي العريق وساهموا في تصديره الى بلاد المغرب وهذا مما مهد السبيل لظهور مجالس فنية في غرناطة ومدنها اجتمعت فيها الوانا من الغناء الشعبي التقليدي والحركات الراقصة التي اصبحت مظاهر للحفلات بالمجتمع[2].

ومن ابرز الاحتفالات في غرناطة هما موسم جني العنب والتين ويعرف باحتفال العصير، وموسم صباغة الحرير حيث يحتفل اهل غرناطة بالخروج لجمع القرمز ومعهم الادوات الموسيقية ويرتدون الملابس الجميلة ذات الالوان الجذابة، وهما وسائل لقضاء وقتهم في غناء ورقص وشراب[3].

ومما اشتهر به بلد الاندلس من العاب الفروسية وركوب الخيول الفارهة وكان لها حضور بارز في الاحتفالات السلطانية التي تقام بالمدن الاندلسية ووسط اهتمامهم ونفوقهم بالعاب الفروسية بانهم "احدق الناس بالفروسية وابصرهم بالطعن والضرب" [4].

ويتم استعراض الفرسان وسباقات الخيل تعتبر من ابرز مظاهر الاحتفالات التي شهدت ازدحام السكان نساء رجالاً وصبياناً وشيوخاً للتمتع بها، ويشهدها اعناد من الوفود، ويقام الاحتفال عادة في الساحات العامة ويجسد الشعراء هذه الاستعراضات بقصائدهم الشعرية، اذ انشد فيها شاعر غرناطة ابن زمرد قصائد تمجد سلاطين غرناطة وفروسيتهم"[5].

رافقت الاحتفالات بالاندلس العاب متعددة ومتنوعة للمتعة والتسلية وقضاء أجمل الاوقات منها مصارعة الثيران والكلاب التي تنهش في جسم الثور واذنيه وتتعلق بها على هيئة تعلق الافراط، ولعبة العصي التي مارسها اهل غرناطة المصارعة بين الفريقين، ويتظاهر احدهم بالفرار ويلحقوا به وهكذا يقضون وقتاً مسلياً"[6]. ولعبة الكتف، اذ يمتطون الخيول ويدافعون عن حماية اكتافهم بواسطة الدرقات ثم يطاردوا بعضهم البعض الاخر"[7]. وشاعت لعبة

---

(1) عند المقّري/ نفح الطيب، ج2/ 348 (طبقة احسان عباس).

(2) ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة في اخبار غرناطة، ج1/ 299.

(3) Ribera, Julia: la Musica de las Cantigas, Estudio Ssobre Su Origen Y Naturaleza (Madrid 1932) pp. 61- 62.

(4) ابن خلدون المغربي/ المقدمة/ دار القلم (بيروت د. ت) ص 402، 418.

(5) المقّري/ نفح الطيب/ ج1/ 178 (طبعة بيروت د. احسان عباس).

(6) المقّري/ نفح الطيب/ ج3/ 151 ج4/ 147 (نسخة بيروت).

(7) مجهول/ نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق، دار حسان للطباعة، ط1 (1405هـ/ 1984م) ص 39– 43.

الشطرنج في غرناطة حتى ان كلمة الشطرنج العربية صارت باللغة الاسبانية Ajedrez"[1]. ولعبة الحاوي أو العجابي وهي صف الاطباق على العصى ويقوم اللاعب بتدويرها بمهارة"[2].

وسادت لعبة ممارسة القنص والصيد والرمي لتظهر مهارة وشجاعة وقدرة الفرد"[3]. وزينت رسوم الصيد والقنص جدران قاعة العدل بقصر الحمراء دلالة على حبهم وولعهم بذلك"[4].

---

(1) ابن عبدون، محمد ابن احمد التحبي (ف 6هـ/ 12م)/ رسالة في الحسبة تحقيق: ليفي بروفنسال Levi- Provencal (القاهرة 1375هـ/ 1955م) ص 124.

(2) المصدر السابق نفسه/ ص 143.

(3) المصدر السابق نفسه .

(4) المصدر السابق نفسه .

التأثيرات الأندلسية العسكرية

في اللغة الاسبانية وا لجانب الحربي الاسباني

كان للفتح العربي لاسبانيا دور حضاري مجيد وأثر بارز تجلى واشتمل على جوانب متعددة، حيث أدخل الفاتحون المسلمون النظم الجديدة ذات القيم الإنسانية العريقة التي خدمت المجتمع ومازال صداها ظاهراً في الأندلس.

أن القرون الثمانية من الوجود العربي على أرض الأندلس واتصاله بجيراته من الأقطار الأوروبية له أثر مباشر ظهر واضحاً في مجال اللغة، حيث اقتبست اللغة الأسبانية والبرتغالية اصطلاحات عربية واسعة في مختلف المجالات.

فبحثنا يتناول الاصطلاحات العربية والتي استخدمها الأندلسيون في حياتهم والتي تحمل الطابع العسكرية، حيث استعارها الأسبان من الأندلسيين، وقاربت المائة مصطلح بقليل.

وهناك دراسات وبحوث كتبت عن موضوع اللغة العربية وتأثيرها في اللغة الاسبانية بعضها مختصر جداً ولا يفي بالغرض المطلوب والأخرى تنقصها المعرفة والدقة والتوضيح والتلفظ العربي للكلمة الاسبانية وتتخللها الأخطاء الإملائية في اللغة الاسبانية لجهل الكاتب باللغة، ومن أهم البحوث المتميزة للمختصين بالدراسات الأندلسية، بحث الدكتور حكمه علي الأوسي ومقالته القيمة "جوانب من التأثير العربي في اللغة الاسبانية"[1] حيث أحصى لنا ما يقرب من عشرة مصطلحاً حربياً، ومن المستشرقين الفرنسي الاستاذ ليفي بروفنسال Levi Provencal وكتابه المترجم "الحضارة العربية في اسبانيا"[2] وأورد لنا ما يقرب من عشرة مصطلحات عسكرية وتعليقات مفيدة نورد منها العبارة الآتية: (ان الاستعارات من اللغة العربية أعطت اللغات القومية المعاصرة في شبه الجزيرة، القشتالية والبرتغالية والقطلونية أريجا عبقاً ونفاذاً من اللغة العربية، وهي تثير الفضول، وتستدعي الدراسة، ودراستها لا تقف عند حد دلالاتها اللغوية، وما يمكن أن تظفيه إلى فقه اللغة فحسب، وأنها تكتني طابعاً مهماً ومتميزاً إلى حد كبير، حيث تمتد بها إلى ماهو أبعد من هذا فتشمل على وقائع الحضارة اغلتي برزت مثل هذه الاستعارات اللغوية، وتقدم لنا الدليل ضمناً، ولكن لا سبيل إلى أنكاره، على التأثير العميق الذي مارسته الثقافة العربية الأندلسية في الشعوب المسيحية وفي الكتلة الابيرية نفسها)"[3].

أن الاسباب والدوافع التي جعلت الاسبان عبر التاريخ يقتبسون من الأندلسيين تلك المصطلحات والمفاهيم العسكرية تعود إلى روعة وحبكة التنظيم والدقة والضبط وحسن الإدارة الحربية والتفوق العالي الذي أحرزه الجيش الأندلسي في كسب المعركة مع العدو عبر تاريخه المجيد والتي كانت واضحة أمام أعين العدو والصديق، كل ذلك جعلهم بحاجة إلى التقليد والاقتباس مما وصل إليه الأندلس من النجاح والاحترام والمكانة العسكرية بين جيرانه الذين كانوا لا ينقطعون في إرسال السفارات وعلى مستويات رفيعة المناصب في السلطة إلى العاصمة قرطبة أما لطلب العون العسكري أو الاقتصادي أو الفكري وعارضين على الخليفة توقيع اتفاقيات السلام أو تجديدها، وهذه السفارات كانت تُستقبل بالحفاوة وغاية الكرم العربي الأندلسي وسط العروض العسكرية الرائعة فالزوار المسيحيون ينبهرون لحسن

---

(1) مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد – العدد 32، آذار 1982 الصفحات 29 – 55، والدكتور لطفي عبد البديع وكتابه "الإسلام في اسبانيا" الطبعة الأُولى – مكتبة النهضة المصرية 1958، حيث أحصى لنا أثني عشر مصطلحاً حربياً.

(2) ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف 1399هـ/ 1979، الصفحات 116 – 117.

(3) المصدر السابق، صفحة 115.

التنظيم والأسلحة والدقة المتناهية في حركات العرض، كما أخبرنا أكثر من مؤرخ أندلسي عن ذلك: "ذكر ابن حيان وغير واحد ان ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الفخامة ورفعة الشأن، وهادتهُ الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفتهُ بعظيم الذخائر، ولم تبق امة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس وسائر الأُمم إلا ووفدت عليه خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية..."[1].

لا ينكر أن الأندلسيين قد استفادوا من لقائهم واتصالهم ومشاهداتهم من جيرانهم المسيحيين الأسبان وغيرهم، حيث قلد سكان الثغور الأندلسية المتأخمة مع المسيحيين استخدام البوق في المعارك بدلاً من الطبول، واستخدم بعض المؤرخين الأندلسيين أحياناً بعض الكلمات الاسبانية في مؤلفاتهم.

ومما يجدر الإشارة إليه أن أغلب المؤلفات الأندلسية في الجانب الحربي وجوانب أُخرى اعتمدت على مؤلفات المشرق ونظرياته ونستطيع القول أن المشرق كان بمثابة المادة الأولية والأندلس هو المختبر الذي يضع ويطور تلك المواد بقالب جديد وبطعم لذيذ وجذاب.

فأسلوب المؤرخ الأندلسي نستطيع أن نوضحه عندما نلقي الضوء والنظرة السريعة على العبارة التي وردت في المخطوط العسكري المرسوم "كتاب البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار وغامض ما اجتمعت عليه الولاة بالأمصار" لأبي بكر الأشبيلي.

"... ثم اني امعنت النظر في كتب المتقدمين في هذه الصناعة والمؤلفين مما رأيت أحداً منهم استقضى كتابه ولا فرق خطاه وصوابه فكلها مملوءة إلا من الإحسان ومضغه معطلة من البيان يخلطون كل التخليط فلا يحصل منها إلا على التشطيط وما ذاك لقلة معرفتهم بها إلا لضناتهم وشحتهم عليها فيتركون ما عليه المعول ويملؤون كتبهم بما لا يخفي ولا يجهل ويؤدي عن العائدة بغيرها ويطمس عينها ويعني أثرها..."[2].

فالنص يوضح طريقة المؤلف في البحث والتدوين والتوضيح والدقة والصراحة والنقد التاريخي مما ظهر من مؤلفات في باب صناعة القوس، وفي مكان اخر من المخطوط أوضح لنا دوافع تأليفه بالنص الآتي: "... واني لما وقفت على ما في الرمي من الأجر العظيم والذكر الحكيم مع انا في هذه الجزيرة المنقطعة (الأندلس) التي هي بين عدو مقلق وبحر مقلق، علمت انه فيها أجل قوة وأكبر منفعة فأصرفت إليه عنايتي وأعلمت في الخصوص منه والعموم جيلتي فلقيت فيها شيوخاً جله وأكابر علماً من كل فرقة ومله فكل بما عنده ضنين وباذاعته غير مبين فأنها وأن كانت هذه الصناعة مهجوراً بابها غير مألوف جنابها فأن أهلها يسحبون فيها ذيول الزهو والإعجاب ويرونها ويحق أجل الذخائر وأفضل الاكتساب منهم يتحاسدون عليها تحاسداً الأكمة البصير ويتكادمون عليها تكادم الحمير حتى تؤديهم إلى الشرف ويورثهم غاية التلف..."[3].

---

(1) برواية المقّري، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب/ تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1388هـ/ 1968م/ ج 1/ 366.

(2) المؤلف أبو بكر محمد بن أصبغ الأشبيلي المعروف "بحل ثورة" مخطوط عسكري فريد في باب القوس، توجد منه نسخة في مكتبة غوطا في برلين ونسخة أُخرى ضمن مجموع عسكري بالخزانة العامة بالرباط، وأعمل حالياً على تحقيقه ومقارنته مع مخطوطات عسكرية أُخرى حصلت عليها من مكتبات مختلفة لاخراجه الى النور في القريب العاجل ومن الله تعالى التوفيق. (النص ورد في ورق op عن نسخة برلين، 18 عن نسخة الرباط).

(3) مخطوط كتاب البدائع والأسرار... ورقة 4p عن نسخة برلين، 13- 14 عن نسخة الرباط

ولم يقتصر التأثير الأندلسي على اللغة الاسبانية فحسب بل اشتمل الاقتباس والتقليد على مجالات عسكرية متنوعة منها الاهتمام بصناعة الأسلحة الأندلسية وتنظيم الجيش والخطط القتالية، يلاحظ ذلك من المصورات واللوحات الحربية التي عثرنا عليها في الكتب الدينية المسيحية والتي يطلق مصطلح بياتو (Beato) الموجودة في الكنائس والأديرة المسيحية في مناطق مختلفة من مقاطعات اسبانية- كما تظهر للقارئ في اللوحات المصورة والمرفقة بالبحث- واحتوت هذه اللوحات مظاهر عسكرية لمراحل زمنية مختلفة منها يعود إلى عصر الامارة والخلافة الأندلسية.

ولو أجرينا نظره ومقارنة بين اللوحات العسكرية الأندلسية التي تعود إلى عهد الحاجب المظفر بن المنصور (ت 399هـ/ 1009م) وبين اللوحات العسكرية المسيحية (الاسبانية المتضمنة أنواع الأسلحة وطريقة حملها والملابس التي يرتديها الفرسان والمشاة وطرائق القتال والسفن الحربية لوجدنا أوجه التشابه والتقارب شاخصة للعيان وتبين لنا من دون شك التأثير الإسلامي الذي أخذه الاسبان أثناء زياراتهم ومشاهداتهم العروض العسكرية التي تظهر أثناء استقبال السفارات- كما أوضحنا سابقاً- في فحص البلوط في ضواحي قرطبة وغيرها أيام عهد الخلافة الأندلسية.

استفاد الاسبان من الأندلسيين في امور عسكرية أخرى حيث اشتمل على الاهتمام بالمؤلفات العسكرية والاعتناء بالخيول وتهجينها وأساليب القتال أثناء الالتحام مع المسلمين ومعرفة الطرائق العسكرية المؤدية إلى المواقع الاستراتيجية المهمة والتي اكتشفها وسلكها المسلمين حيث استفادوا منها وقت إسقاط المدى الاندلسية.

وفي مجال تطوير الاسلحة الهجومية والدفاعية في الاندلس فقد لاحظنا تطوراً ملحوظاً في صناعتها بناسب الزمن وما كان يحيط الاندلس من مخاطر الممالك المسيحية وما لديها من أسلحة متطورة وخبرات عسكرية وقد بلغ التطور في الاسلحة الاهمية وذلك عند اختراع صناعة المدافع والبارود أثناء حكم مملكة غرناطة وقد يعود السبب إلى زيادة المخاطر العسكرية وشراسة هجمات العدو المستمرة بعد إسقاط اغلب المدن الاندلسية وما بلغ من امتلاك الاندلسيون من خبرات عسكرية جراء ما أصاب الاندلس من مخاطر، إضافة إلى ما وصل الاندلس من مساعدات إسلامية من خارج شبه الجزيرة الاندلسية.

فنلاحظ معلومات عسكرية قيمة في المدونات الاندلسية والمغربية تضمنت مصورات لأنواع مختلفة للمدافع وشروحات مفيدة عن تعمير المدافع وتوصيات عند استخدام هذه المدافع، تعطينا صورة واضحة عن مدى التطور والخبرات التي ظهرت في الاندلس في باب صناعة الأسلحة الثقيلة.

وكتاب "العزة والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع" لمؤلفه المورسكي إبراهيم بن أحمد غانم بن محمد زكريا الأندلسي"[1] خير دليل للباحث على ما وصل إليه الجيش الإسلامي في الاندلس في صناعة المدافع وتعميرها.

---

(1) عمل الأستاذ محمد عبد الله عنان دراسة موجزة عن المدون المتوفرة منه نسخ متعددة في مكتبة الخزانة العامة في الرباط والخزانة الحسنية (قصر الملكي بالرباط) ودار الكتب المصرية وغيرها، عرض لنا لوحات المدون ومصورات المدافع في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، العدد 31 لعام 1971، في الصفحات 11- 19.

أما المورسكيون Los Moriscos فهم العرب المتنصرون والذين بقوا يتمسكون بعقيدتهم الإسلامية ويزاولون شعائرهم خفية بعد ضياع الأندلس وذلك لخوفهم من اضطهاد وتعسف محاكم التفتيش الاسبانية التي شكلت بعد انتهاء حكم الإسلام في اخر معقل إسلامي أندلسي- غرناطة- حيث تكلموا أو كتبوا اللغة الالخميادوا Aljamiado أي الاسبانية التي تكتب بالعربية، وهناك

والمدون المغربي الموسوم "النشر اللائق لمن أراد الجهاد بالصواعق" لمؤلف مجهول من نفائس التراث العسكري في صناعة البارود، عثرنا عليه في المكتبة (الخزانة) الحسنية في القصر الملكي بالرباط، وقد أهداه المؤلف في نسخة للسلطان سيدي محمد بن عبد الله الحسيني العلوي (1171- 1204هـ/ 1757- 1790م).

ولا يخفى على الجميع بأن أوربا استفادت وأخذت من تراثنا العربي والإسلامي الكثير وفي مجالات متعددة ومنها الجانب العسكري، ففزيارة للمتحف الحربي بمدريد لاحظ الباحث أصنافاً متعددة من المدافع المعروضة في القاعات فيها من التشابه الكبير مع ما عرض في "كتاب العزة والرفعة"- المذكورة أعلاه- وأغلبها معاصرة للمدة نفسها الزمنية، فلا نستبعد أن تكون قد اقتبست صناعتها من الأندلس.

ومن خلال الملاحظ على المخطوطات الإسلامية في الجانب العسكري والكائنة في مكتبات أوروبا مثل مكتبة دير الاسكوريال والمكتبة الوطنية بمدريد وباريس وألمانيا وغيرها، لاحظنا التأثيرات والملاحظات والشرحات والخطوط على أغلفة وصفحات تلك المدونات وباللغات الأجنبية واللغة العربية دونت من جانب الخبراء وربما من العسكريين والمستشرقين حيث علقوا عليها بعد فحصها ودراستها بتمعن، فلا نستبعد من ان الأوروبيين استفادوا منها في صناعتهم الحربية.

يمكن ان يستدل الباحث على مدى الاهمية لمحتويات هذه المدونات وأسرارها في الصناعة الحربية الأوروبية وتطورها في العصور الوسطى وبعدها.

ففضل الاندلس على العالم الأوروبي كبير وواسع ولا يستطيع أي منصف أن ينكره، وصح قول المؤرخ فيشر وغيره من المستشرقين المنصفين عندما قال: لقد أفاق العالم الغربي على نور الإسلام وكان يخط في نوم الجهالة والظلام.

وأما المصطلحات العسكرية العربية المقتبسة فاشتملت على جوانب متعددة نحددها في: انواع الأسلحة الهجومية والدفاعية والسفن الحربية والملابس وفن العمارة الحربية من قلاع وحصون وأسوار ووسائل ومعدات ركوب الجند والرتب والأصناف العسكرية وما إلى ذلك.

أود أن أوضح ان اغلب المصطلحات العربية الواردة في القاموس الاسباني والتي تحمل حرف الألف واللام العربية للتعريف وفي ما يأتي المصطلحات الحربية مرتبة على الحروف الأبجدية والمصطلح الاسباني والتلفظ العربي للمصطلح الواردة بين القوسين:

امان (أمان) Aman:

السلام أو الهدنة أو الخضوع الذي يطلبه الجيش أثناء القتال.

امير (أمير) Amir:

صفة دينية تعني أمير المؤمنين أو الحاكم على المسلمين، أما الصفة العسكرية فهو أمير الجيش ويشرف على عشرة آلاف جندي فأكثر، وأمير التعبئة ويكون مسؤولاً عن خمسة آلاف جندي، وأمير الكردبوس وتحته ألف جندي.

الأمير (الاميرانتي) Almirante:

ونعني به أمير البحر الذي يرئس ويبعث الأساطيل البحرية.

مدونات كثيرة في مكتبة دير الاسكورنال بمدريد EL ESCORIAL والمكتبة الوطنية بمدريد وغيرها، وألف الاسبان وغيرهم الكتب التاريخية الكثيرة عنهم.

بحري (بهري) Bahri:

العسكري الذي يعمل بالبحر.

البناء (الباني‍ل) Albanil:

المعلم أو الاسطة للبناء الذي يقوم بتشيد القصور والحصون والفلاع.

بردعة (بردا) Barda:

درع يستخدم قديماً لحماية الصدر والجوانب والورك للخيول لحمايتها في الحرب"[1].

برشي (برثينو) Barcino:

والأبرش من الخيل: مثل الأرقط، والبرش في شعر الفرس لكن صغار تخالف سائر لونه، والبرش لمع بياض في لون الفرس من أي لون، وقيل أن تكون في الفرس نقط صغار وشعرات بين ذلك كثيرة"[2].

بركة (برَكة) Barca:

زروق كبير يستخدم لنقل الحمولات من المراكب إلى الساحل"[3].

البروز (البروثو) Alborozo:

استعراض عسكري يقام في الساحات ضمن احتفال رسمي بحضرةُ الأمير أو الخليفة ويقام قبل الأعداد للخروج إلى الصوائف أو بعده وكان يقام في فحص البلوط من ضواحي قرطبة أو أماكن أُخرى من أجل التعرف على المجاهدين وحثهم"[4].

بريخ (برياكانا) Baracana:

بناء للاستحكامات يشيد من أجل تحصين الأبواب أو الساحات أو بوابات الجسور"[5].

ترسانه (الترااسانه) Atarazana:

دار صناعة السفن التي غالباً ما تبنى قرب السواحل لغرض بناء أو إنشاء أو تصليح السفن، ففي الأندلس كانت دور صناعة السفن تقام عند المدن الساحلية كمدن طرطوشة والمدية وسيته والجزيرة الخضراء وغيرها.

---

(1) ابن منظور/ لسان العرب، دار صادر 9/ صفحة 255.

(2) ابن جزى الكلي الغرناطي/ عبد الله بن محمد، كتاب مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال (كتاب الخيل) تحقيق محمد العربي الخطابي/ دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان 1406هـ/ 1986/ ص 70.

(3) ابن منظور لسان العرب ج 12/ 278.

(4) عن فحص البلوط انظر: الحميري/ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار (صفة جزيرة الأندلس) تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط 1937، ص 140- 143 واليه ينسب الفقيه القاضي منذر بن سعيد البلوطي.

(5) ابن منظور/ لسان العرب، ج 3/ 485.

ثغري (تاكرينو) Tagrino:

المقاتل أو المرابط في الثغور الأندلسية المتاخمة مع المسيحيين وأغلب المرابطين بالثغور يجيدون اللغة الاسبانية القشتالية أو القطلونية بالإضافة إلى لغتهم الأُم العربية أو البربرية"(1).

الثفر (الثاهري) Ataharre:

السير الذي في مؤخر السرج، وثفر البغير أو الحمار أو الدابة مثقاة، وأثفر الدابة عمل لها ثفر أو شدها به"(2).

الجبة (الجبة، جبا) Aljuba, Chupa:

لباس إسلامي يغطي الجسم ويكون طويلاً والأكمام قصيرة وضيقة، وقد قلد ارتداءه أغلب الاسبان المسيحيين في التاريخ"(3).

الجعبة (الخابا) Aljaba:

كيس أو خرج يحمله المقاتل معلقاً برقبته يحفظ فيه السهام المستخدمة للأقواس، ويكون عريضاً ومفتوحاً ومصنوعاً من الجلد أو القماش الثخين ويلبس أثناء القتال"(4).

جلفاط (كلفاتي) Calafate:

جلفط السفينة: قيرها. والجلفاط الذي يشدد السفن الجدد بالخيوط والخرق ثم يقيرها، وفي حديث الخليفة عمر (ﷺ): لا أحمل المسلمين على أعواد نجرها النجار وجلفطها الجلفاط، الذي يسوي السفن ويصلحها"(5).

جُمَل (كومينا) Gu mena:

حبل غليظ يستخدم في المركب عند الرسو قرب السواحل، ويستفاد منه لأغراض أُخرى في البحر.

جهاز (خايث) Jaez:

طغم محلى أو مزركش بالألوان الزاهية يوضع على الخيول أثناء العروض العسكرية والاحتفالات الأُخرى.

حافظ (هافيث) Hafiz:

حماية أو حفظ أو تدارك المخاطر في المعركة وأماكن أُخرى من الأعداء أو العوارض الطبيعية وغيرها.

---

(1) انظر الكتاب الاسباني: المعجم الأساسي للتاريخ الإسلامي.

F. Maillo Salgado, Vocabulario basico de Historia del Islam, Madrid- 1987, pp. 170- ss.

(2) ابن سيده المرسي/ أبـــو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي النحوي الأندلسي (ت 458هـ/ 1065م/ كتاب المخصص/ المطبعة الأميرية، بولاق 1318هـ الجزء الثاني/ 187، ابن منظور/ لسان العرب، ج 5/ 173.

(3) دوزي R. Dozy, Glossaire des Mots Espagnols et Portugais Amsterdam- 1965, p. 127

(4) المقالة للمستشرق الاسباني فدريكو كوريتي "F. Corriente "Apostillas de Lexico- grafia Hispano- Arabe

Actas de la II Jornadas de cultara Arabe e Islam (1980). Madria Institato Hispano- Arabe de cultara (1985) p. 124.

منشورات المعهد الاسباني العربي/ أعمال المؤتمر الثاني للثقافة العربية الإسلامية.

(5) ابن منظور/ لسان العرب/ نشر دار صادر ج 7/ 439.

الخنجر (الفانخي) Alfanje:

سكينة حادة ومنحنية أو مقوسة وأشبه بسيف صغير، يستخدم للقتال وحماية المقاتل.

الخليفة (كاليفا) Califa:

أمير المؤمنين والمسؤول عن رعاية المسلمين وشؤونهم والدفاع عن الإسلام ونشرها وهو لقب ديني، وقد أشار إليه ابن خلدون في عبره من أن الخليفة مسؤول عن خمسين جندياً في التسلسل القيادي للقوات العربية الإسلامية"[1].

الدرب (الدربي) Adarve:

الطريق الضيق بعد السور حيث يمر ويعبر منه الجنود، ويقع في الجزء العلوي للقلعة.

الدرقة (الدركه) Adarga:

من الآلات الدفاعية، والترس يصنع من جلد البقر أو من جلد بعض الحيوانات المتوحشة أو أغطية السلحفاة وأشهرها في المغرب والأندلس الدورة اللحطيه، وله أشكال متنوعة كالبيضوي الشكل أو المربع أو المستطيل ويحمله المشاة والفرسان"[2].

الدليل (الدليد) Adalid:

من المقاتلين الذين يتقدمون الجيش من أجل إرشادهم عن أفضل وأسهل وأقصر الطرق العسكرية بالإضافة إلى أنه يحمل للجيش أخبار العدو وتحركاته وخططه وأسراره.

رابطة (رابدا) Rabida:

مصلى أو مكان لتعبد المقاتلين الأتقياء المقيمين بالثغور أو السواحل الأندلسية لمراقبة تحركات العدو والدفاع عن أرضهم.

الربض (الرابال) Arrabal:

الحي أو الحارة أو الجانب خارج المعسكرات لسكن عوائل المقاتلين، كربض قرطبة في الجانب الآخر من نهر الوادي الكبير حيث وقعت فيه حادثة معروفة في التاريخ الأندلسي أيام الأمير الحكم الأول (180- 206ه/ 796- 822م) وتاريخ الحادثة سنة 202ه/ 808 وعلى أثرها سمي الأمير بالحكم الربضي"[3].

الرزاز (الرايش) Arrices:

الأبزيم الذي يربط سرج الخيل من جهتين ويمنع من سقوط أو زحف السرج الفارس الذي يمتطيه"[4].

---

(1) ابن خلدون/ المبتدأ والخبر/ بيروت 1958- 1959، ج 3/ 299

(2) دوزي/ معجم Dozy, Glossaire, p. 41

وانظر كوريتي F. Corriente, "Apostillas de Lexicografia H. A." P. 121

Dozy, Glossaire, p. 40, M. Salgado, Vocabulario, p. 17. (3)

(4) حول الحادثة انظر: ابن عذارى/ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب/ تحقيق كولان وليفي بروفنسال/ نشر دار الثقافة- بيروت، الجزء الثاني ص 75، ابن الابار/ الحلة السيراء/ تحقيق د. حسين مؤنس/ القاهرة- 1963ج 1/ 44.

الرشق (الريخاكي) Arrejaque:

القوس الذي يرمي النبال أو السهام بصورة سريعة"[1].

صاحب المدينة (ثل مدينة) Zalmedina:

الحاكم أو الوالي أو المسؤول عن المدينة الأندلسية، ومن واجباته حفظ الأمن والاستقرار وتطبيق القوانين"[2].

صاحب الشرطة (ثاباثوريا) Zavazorba:

وظيفة ظهرت بالأندلس، والغرض منها مطاردة المجرمين حيث كان لصاحب الشرطة في قرطبة أعوان يقومون بتنفيذ توجيهاته"[3].

صائفة (أثيفا) Aceifa:

معركة أو حملة عسكرية تشن وقت الصيف، حيث اعتاد المسلمون القيام بالصوائف من أجل نشر الإسلام وإيقاف زحف واعتداء الكفار على الثغور الأندلسية"[4].

طابية (تابية) Topia:

سياج أو حاجز لسور قلعة أو حصن أو قصر.

الطبل (التبال) Atabal:

آلة مميزة بين الجيوش المتقابلة في الأندلس، وهو كاراية، فالنصارى كانوا عند بدء القتال ينفخون في أبواقهم، بينما المسلمون يقرعون طبولهم، ويبدو أن المسلمين في ثغر سرقسطة قلدوا النصارى في استخدام البوق.

طبال (تامبرليدو) Tamborilero:

الذي يحمل الطبل ويجيد الضرب عليه في المعارك والاحتفالات وأثناء العروض العسكرية واشارة لبدء المعركة. فالطبل يعتبر مصدر نفور لجيش الأعداء وخيولها.

طلق (تالكو) Talco:

مركب كيمياوي من سيليكات المغنيسيوم يستفاد منه في صناعة القذائف التي تستخدم في المناجيق والعرادات والمدافع.

طريدة (تاريدا) Taridal:

مركب أو سفينة تستخدم في البحر الشامي لنقل الخيول أو المكائن الحربية المستعملة في القتال البحري"[5].

---

(1) ابن سيده/ المخصص/ ج 2/ 188.

(2) ابن منظور/ لسان العرب/ ج 11/ 407.

(3) F. Corriente, "Apostillas de Lexicografia H. A." P. 155.

(4) نفس المصدر السابق F. Corriente, op. cit, P. 128

(5) انظر ابن أرقم الوادي آشي/ أبو عبد الله محمد بن رضوان/ "كتاب الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الأحوال" مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بضواحي مدريد تحت رقم 902، الورقات 221، 270، ألفه لأبي عبد الله محمد الغالب بالله بن يوسف (635-671هـ/ 1237- 1272) مؤسس دولة بني الأحمر النصرية. حيث قام باختصاره عبد الله بن محمد ابن جُزيء الكلبي رفي كتاب

طيفورية (تلفورية) Tafurea:

مركب مسطح جداً ويستفاد منه لنقل الخيول في البحر.

عامل (أميل) Amel:

مسؤول أحد المقاطعات أو الكور الأندلسية عسكرياً، مهمته الاشراف على المجاهدين.

العراده (الكراده) Algariada:

ماكنة حربية تستخدم في الهجوم العسكري من أجل رشق القذائف من صخور وأحجار وكتل حديدية على الأسوار والأبنية من قلاع وحصون الأعداء"(1).

الرياس (الريش) Arriaz:

مشتقة من الرأس ونعني بها هنا رأس السيف أو بدايته.

الريس (الرايث) Arra ez:

ربان أو قبطان أو أمير البحر أو نقيب البحر.

زورق (ثيرا) Zabra:

نوع من المراكب يعمل بواسطة لوحتين خشبيتين.

زناتة (خينتي) Jinete:

إسم يطلق على إحدى القبائل البربرية المعروفة، ونظراً لمهارتهم وبراعتهم في الفروسية صارت الكلمة تطلق على كل فارس حادق بالرماية.

ساقة (ثاكه) Zaga:

وتطلق على مؤخرة الجيش، حيث كانت الخطة الخماسية المتمثلة بالمقدمة والمؤخرة (الساقة) والجناح الأيمن والأيسر والقلب، من الخطط المعروفة والمفضلة في القتال بالأندلس بالإضافة الى خطط أخرى، وفائدة جناح الساقة هو حماية الجيش والغنائم والاسلحة والدفاع عنها.

(مطلع اليُمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال، كتاب الخيل) تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1406هـ/ 1986. وعن (الشكيمة) انظر كذلك: ابن سيده/ المخصص ج 2/ 188، ابن هذيل الأندلسي/ حلية الفرسان وشعار الشجعان/ تحقيق محمد عبد الغني حسن/ دار المعارف- مصر ص 174.

(1) انظر المقالة الاسبانية للمستشرق الاسباني خواكين بالبيه J. Vallve Bermejo (صاحب المدينة في قرطبة) مجلة القنطرة الاسبانية.

"El Zalmedina da Cordoba" Revista al- Qantara, Vol. II, Madrid 1981 pp. 277- 318.

وكذلك مقالة خلاف/ د. محمد عبد الوهاب/ صاحب المدينة في الأندلس/ مجلة معهد التربية للمعلمين/ العدد الأول، الكويت 1979.

سروال (تراكويز) Zaraguelles:

من أنواع الملابس الرجالية ويشبه البنطلون ويكون عريضاً وطويلاً وفي نهايته طيه أو كفه، إرتداه العلماء والمقاتلين في الاندلس"(1).

السوط (الثوتي) Azote:

حبل من الجلد أو القطن مصنوع على شكل ضفيرة ويستخدم أداة للضرب او سلاحا في القتال مع العدو"(2).

شبكة (خابيكة) Jabega:

شرك طويل جداً مصنوعة من القطن أو الليف، وفيها حبلان من كل طرف واحد، ترمى من الأرض أو السفن.

شكه (جاكي) Chaque:

ثوب أو شبكة يرتديها الرجل المقاتل أشبه بالجاكيت لحمايته.

شكيمة (خكيمه) Jaquima:

الشكيم أو الشكيمه من اللجام– الحديدة المعترضة في الفم للفرس، والجمع شكم وشكائم، وشكمت الفرس واشكمته جعلت الشكيمه في فمه"(3).

شفرة (جافاروتي) Chafarote:

سكينة، خنجر، صغير وعريض ومعلوف حتى ليصل إلى النهاية بقليل، وتطلق التسمية على السيف العريض والطويل جداً.

العرض (الادري) Alarde:

خروج الجنود في ساحة العراضات العسكرية من أجل التعداد أو التفتيش، حيث تسجل أسماؤهم وأسئلتهم ويتم تبليغهم بالأوامر والتعليمات العسكرية الصادرة من الخليفة أو الأمير قبل الالتحاق بحملات الجهاد.

علج (إلجي) Elche:

يطلق على الأعاجم من غير المسلمين، كالمسيحيين واليهود في الأندلس، وكثيراً ما تطلق الكلمة في المصادر الأندلسية على الملوك المسيحيين من الأسبان أو الحكام الكبار منهم"(4).

---

(1) خلاف/ د. محمد عبد الوهاب/ صاحب الشرطة في الأندلس/ مجلة أوراق الاسبانية، العدد 3، مدريد 1980، ص 72– 83.

(2) Dozy, Glossaire, p. 34, F. M. Salgado, op. cit, p. 16

(3) الزبيدي/ تاج العروس/ نشر مطبعة الخيرية، مصر 1306هـ/ ج 7/ ط 4، وانظر كذلك شيخة/ د. جمعه/ الفتن والحروب في شعر الأندلس/ رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الطابعة في ثلاث مجلدات وتوجد نسخة منها في مكتبة المعهد الاسباني العربي بمدريد/ تونس 1982 ج 3/ ط 4.

(4) Dozy , recherches , I / 34

الغارة (الكاره) Algara:

حملة أو هجوم عسكري سريع يخرج فيها مجموعة من مجموعة من الفرسان ينطلقون للقتال والالتحام مع قوات العدو"[1].

غراب (كوراباس) Gurapas:

نوع من المراكب العربية شديدة البأس التي استخدمها المسلمون والفرنج في العصور الوسطى في الغارة والغزو عن طريق البحر"[2].

الغريد (الاريدو) Alarida:

الصراخ الذي يطلقه الجند في المعركة ايذاناً ببدء القتال والاشتباك مع العدو وحث نفوس المقاتلين وشد حماسهم.

غزوة (راثيا) Razzia:

معركة أو حملة عسكرية تنطلق بسرعة نحو أراضي العدو وتقاتل وتحصل على الغنائم من الأعداء.

الفار (الفار) Alfar:

عندما ينطلق الفرس في العدو السريع من فر، يفر، فار.

فرقاطة (فريكاتا) Fregata:

نوع من السفن الحربية الخفيفة والمتوسطة الحجم استعملها المسلمون والأوروبيون في البحر المتوسط، وتسير بالشراع ثم صارت تسير بالبحار"[3].

الفارس (الفريث) Alfe rez:

رتبة الملازم أو من يحمل الراية في الجيش الإسلامي.

فتاشين (باتاجي) Pataches:

صنف من السفن الحربية حيث كانت تستخدم لمراقبة تحركات العدو في البحر واخباره، تتميز بخفة حركتها"[4].

فرخة (فاكه) Faca:

سكين محدب في نهايته مقبض خشبي أو من عظم، رفيع النهاية وحاد جداً.

الفرس (الفارات) Alfaraz:

حصان أو فرس يستفاد منه في الحملات العسكرية السريعة كالغارة أو الغزوة، لخفته في الجري"[5].

الفسحة (الفيثار) Alfe izar:

فتحة أو منفذ أو زخرفة في الأسوار والسياج العريض أو فتحة في سقف النافذة أو إطارها"[1].

---

(1) Dozy, glossarire, p. 121

(2) F. corriente, op, cit, p. 131, f.m. Salgado. op.cit, p .53

(3) F. m. Sagado. op. cit, p. 22 –ss.

(4) Dozy, supplement, II / 204

(5) وأنظر: درويش النخيلي/ السفن الاسلامية على الحروف المعجم، مصر 1974، ص104.

الفكاك (الفاكيكي) Alfaqueque:

الأسير أو الفاري أو الموظف الذي يعتق الأسرى ويطلق سراحهم من الأسر، أو أسير الحرب المطلق سراحه"[2].

قارب (كارابو) Carabo:

صنف من المراكب البحرية يستخدم لنقل الجنود البحارة من البر إلى البحر وبالعكس.

قائد (كايد) Caid:

زعيم عسكري ويكون مسؤولاً عن مائة جندي في التسلسل القيادي للقوات العربية الإسلامية، وتطلق التسمية أحياناً على قائد القبيلة.

والكايدي alcaide بالأسبانية تعني بها بالعربية حاكم قلعة أو مدير سجن.

قافلة (كافلة) Ca fila:

ركب من الجمال والمقاتلين أو الرجالة مع كامل أمتعتهم.

قربيلة (كارابلة) Carabrla:

نوع من المراكب المستخدمة لنقل الخيول، ويتميز بكونه سريعاً وطويل الهيكل وضيقاً وله مقدمة أشبه بالكبش الحربي ومؤخرة مع ثلاثة مجازف وسطح في الغالب وعارضة أو قائم الشراع"[3].

قرقور (كاراكا) Carraca:

مركب كبير استخدمه النورمانديين المجوس أثناء غزوهم للسواحل الأندلسية في الجنوب أبان هجماتهم المتكررة، وشكله يشبه السفينة الحراقة التي بمقدارها نقل أكثر من ألفي طن من الحمولة"[4].

---

(1) النخيلي/ السفن الاسلامية على الحروف المعجم، ص 115.

(2) أنظر: ابن حيان القرطبي (377-469 هـ/ 987-1076 م) المقتبس/ تحقيق بدورا جالميتا/ مدريد 1979، صفحة 312-313.

والحدث عن الاسطول الذي بعثه الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 319 هـ/ 2931 الى ارض العدو ((.... أنتهى عدد قطعه الى مائة وعشرين قطعه، مع الحمالة والفتّاشة، وقوارب الخدمة ...)).

وانظر كذلك العذري/ احمد عبد عمر بن انس المعروف بأبن الدلائي (393-478 هـ/ 1003-1085 م) مرصيع الاخبار/ تحقيق د. عبد العزيز الاهواني، مدريد 1965، ص82 ((.. ثم غزا محمد بن رماحس على الاسطول الى بني محمد في سنة ثلاث وثلاثين في ذي الحجة وكان عدد خمسة عشر مركباً حربية وشينيين وفتاشين..))

(3) أبن سيده المرسي/ المخصص/ ج 2/ 186 وأنظر dozy, glossaire, p.108

(4) F. corrient, op. cit, p. 124

القصر (الكاثار) Alcazar:

الحصن أو قصر للأمير أو الخليفة ويكون محصناً بالأسوار ويشبه القلعة وله بوابات محصنة ومحكمة عليها حرس خاص"[1].

القنطرة (الكانتارا) Alcantara:

ويراد بها جسر صغيراً ومعبر نهر، ومن معالم قرطبة الشامخة القنطرة الرومانية التي تربط ضفتي نهر الوادي الكبير وقد حددها الوالي السمح بن مالك الخولاني (101هـ/ 779م) بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز، وتعد من المعالم العسكرية الأندلسية.

القطران (الكيتران) Alquitan:

مادة كيمياوية وتكون دهنية وذات لون داكن أقرب للزمن يستفاد منها في صناعة المقذوفات النارية المستخدمة في المناجيق"[2].

كورة (كوره) Coro:

أقليم من التقسيمات الإدارية والعسكرية في الأندلس، ففي بداية الفتح الإسلامي لاسبانيا تم توزيع الفاتحين على الكور كلاً حسب المنطقة الجغرافية التي قدم منها والأجواء الملائمة والمشابهة لموطنه الأصلي "... وفرق أبي الخطار الحُسام بن ضرار الكَلبي" أهل الشام على الكور، ونظر لسواهم أيضاً بأحسن النظر، فأنزل أهل دمشق بالبيرة وأهل الاردن بَريّة وأهل مصر ببّاجَة، وبعضهم بتدمير...)"[3].

كوميه (كوميه) Gumia:

خنجر أو سكينة ذات نهاية محدبة حيث كانت معروفة في العدوة المغربية.

المحثية (المخية) Almejia:

دثار أو منعطف من نسيج خشن استخدمهُ المقاتلين والعامة في الأندلس.

المخزن (الماثن) Almacen:

محل أو مكان أو موقع أو بناية عامة أو خاصة حيث تحفظ أو تخزن فيها الأسلحة والمعدات الحربية والملابس وحاجات أُخرى كالحنطة والشعير وبقية الحبوب، وعليها مسؤول خاص في الأندلس، ولا تزال هذه الكلمة شائعة في اسبانيا"[4].

---

(1) F . salgado . op . cit , pp . 21-ss.

(2) الجوالقي / أبو المنصور موهوب بن احمد بن محمد الخضر ، (ت 522 هـ/ 1128 م)/ المعرب من الكلام الاعجمي ، نشر دار الكتب المصرية ، القاهرة . 136/ 1941 م ، ص271 .

(3) دوزي / التكملة للمعاجم العربية / ترجمة د. محمد سالم النعيمي ، بغداد 1401 هـ/ 1982 م .

II/335 F . corriente , op . cit , p . 128 R. dozy , supplement aux dictionaries arabes leiden 1881

(4) F . m. salgado , op . cit , p . 20

مخراز (المارادا) Almarada:

خنجر حاد عليه ثلاث خطوط أو حواش"(1).

مسطح (مستيكو) Mistica:

مركب ذو سطح منحدر يعمل بثلاث مجاذف مع شراع، واستخدم هذا الصنف من المراكب في البحر الشامي"(2).

المشرف (المخاريف) Almojarife:

موظف أو مسؤول مالي للجبانة أو مراقب أو ناظر أعلى على الجند وأسلحتهم ومخازن العتاد وغيرها من العقارات"(3).

المر (أمارا) Amarra:

حبل أو سلك معدني أو مرَسَة يستفاد منها في ايقاف حركة المركب وفي نهايتها خطاف يرمى باتجاه اليابسة أو إلى مركب آخر.

المرابط (المرابدي) Almoravide:

المجاهد المسلم الذي يرابط في الثغور أو عند السواحل للدفاع عن أرضه ودينه وللعبارة، ومن هذا المعنى ظهر المرابطون الذين حكموا المغرب والأندلس، ووردت الكلمة في القرآن الكريم "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"(4).

المغاور (الموكابر) Almogaver:

المقاتل الشجاع والبارع في مصارعه ومنازلة العدو بسرعة وبمهارة وبطولة نادرة يشهد لها القائد ورفاقه الجند كما يستفاد منه في مجالات القتال الصعبة"(5).

المغفر (الموفاد) Almofar:

من الآلات الدفاعية التي يغطي المقاتل بها وجهة، وهي بيضوية الشكل أحياناً إلا أن فيها أطرافاً مسدولة على قفا المقاتل وأذنيه، وربما جعل منها وقاية لأنفه أيضاً، وقد تكون من زرد أيضاً"(6).

---

(1) Dozy, glossaire, p. 179

(2) أبن عذاري المراكشي / البيان المغرب/ ج2/ 33، وأنظر أيضاً. F. M. salgado, op cit, p.99

(3) Dozy, glossaire, p. 179

(4) Corominas, j. y pascaal, J. A. diccionario Etimologico Castellano

(5) dozy, supplement, I/ 652

(6) F. m. salgado, op. cit, p. 28

المقدم (المكدين) Almocaden:

القائد أو الزعيم لفرقة المشاة العسكرية، وفي مدينة سبته من العدوة المغربية تطلق على القائد المسؤول عن عشرة جنود من الفرسان الخيالة، ومن واجباته قيادة المسلمين المقاتلين المشاة وقيادة ومراقبة الطلائع وحماية أمتعة وذخائر الحملة العسكرية"[1].

ملبس (بلمث) Velmez:

ملبس مصنوع من القطن أو الصوف يوضع أو يلبس تحت الدرع ليقي الجسم من الأذى وهو أشبه بالقميص.

الملحفة (الملافة) Almalafa:

لحاف أو بطانية أو غطاء ثخين يغطي الجسم من الكتف حتى الأقدام ويرتديه المسلمون من المغاربة، وقد يطلق على غطاء الحيوان أيضاً.

المنجنيق (الماخانيكي) Almajaneque:

ماكنة حربية يستفاد منها في تهديم الأسوار والقلاع والحصون والجسور والسدود، حيث تقذف كتل صخرية أو حديدية أو كرات نارية من الفتائل والخرق المبللة بالنفط على ثكنات العدو[2].

المهر (الميفور) Almifor:

الفرس الخفيف أو الرشيق الذي يستفاد منه في العدو في والكر بالقتال"[3].

المهراس (الميريث) Almirez:

هاون مصنوع من الصخر أو الخشب أو المعدن يستفاد منه في دق وسحق الحبوب وطحنها لتصنيعها، وقد يستعمل لاخراج الأصوات الصاخبة.

الميناء (المينا) Almena:

مؤشرات مستطيلة الشكل لتزيين الأسوار في القلاع والحصون، ولأغراض دفاعية حيث تحمي واجهة المقاتل عندما يستخدم الأقواس والمناجيق أثناء القتال.

النفط (نفتا) Nafta:

سائل عديم اللون عرف بالمشرق العربي بالنار الأغريقية واستخدمه العرب في صناعة القذائف النارية المصنوعة على شكل كرات من الخرق المبللة بالنفط والتي كانت ترمى بواسطة المناجيق أو المدافع وتعرف بالرمانة العربية"[4].

---

(1) ال عمران أية 200 والمرابط في سبيل الله تعالى تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة ، لان المرابط يقيم في وجه العدو متاهباً ومستعداً النويري / شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب 677 هـ ـ 732هـ / 1278 – 1331م / نهاية الارب في فنون الادب / طبعة دار الكتب المصرية ، ج6 / 199 – 200.

(2) F . m. salgado , op . cit , p . 200

(3) القلقشندي / ابو العباس أحمد بن علي / صبح الاعشى في صناعة الانشا ، نشر وزارة الثقافة المصرية عن نسخة دار الكتب ، ج2 / 142 .

(4) F . m. salgado , op . cit , p . 43

النفير (النيفيل) Anafil:

بوق مستقيم طوله 80 سنتمتراً يستفاد منه لاخراج الأصوات العالية في الجيش وقد استخدمه المورسكيون وعرف كذلك في منطقة قشتالة Castilla في الشمال الاسباني.

والي (بالي) Vali:

حاكم أو مسؤول في المقاطعات أو الكور الأندلسية، ومن المعروف أن الوالي الأندلسي كان له اتصال مباشر بالخليفة الاموي في دمشق أثناء فترة الولاية ومن ثم تم استقالة في فترة الأمارة الأندلسية"[1].

التفاعل الحضاري بين العرب والاسبان

ظهرت بوادر التفاعل بين العرب والاسبان إبان الفتح العربي الإسلامي لاسبانيا عام 92هـ (711م) حين اتصل الكونت خوليان Julian حاكم سبتة الاسباني بالوالي موسى بن نصير البكري (من مواليد عين التمر بالعراق) الذي كان حاكم شمال أفريقيا من أجل إنقاذ اسبانيا والانتقام من الملك الاسباني لذريق Rodrigo الذي اعتدى على شرف ابنته فلورندا التي كانت تتثقف في بلاد طليطلة حسب ما جاء في الرواية التي أوردتها المصادر ومفادها "أن جميع ملوك الأندلس كانوا يبعثون أولادهم الذكور والإناث إلى بلاط ملكهم بطليطلة، وهي يومئذ قصبة الأندلس ودار ملكهم، ويكونون في خدمة ملكها لا يخدمه غيرهم، حتى إذا بلغوا أنكح بعضهم من بعض وتولى تجهيزهم. فلما ولي لذريق أعجبته ابنة خوليان فوثب عليها فكتب إلى أبيها أن الملك وقع بها، فأحفظ العلج ذلك، وقال: ودين المسيح لأزيلن ملكه ولأحفرن تحت قدمه. فبعث إلى موسى بالطاعة"[2].

---

(1) أنظر عن المنجنيق: العبيدي، د. صلاح القذائف النارية والبارودية الحربية في ضوء المصادر الاثرية، منشور في مجلة كلية الاداب، العدد 23 (ملحق) بغداد 1978، العبيدي د. صلاح / منجنيق من الحضر، مجلة سومر، الجزء الاول والثاني والثلاثون، بغداد 1976.

56F. corrient, op. cit, p. 126

57 للمزيد من المعلومات عن النفط واهميته في الصناعة العسكرية ينظر المصادر العربية في الجانب الحربي: مخطوط الحيل والحروب وحفظ المدائن والدروب، محمد بن منكني الناصري (ت 784 هـ، 1382 م) مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط تحت رقم 282 وله نسخ اخرى في مكتبة الخزانة العامة في الرباط، وفي دار الكتب المصرية.)

كتاب تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجات في الحروب من الاسواء ونشر الاعلام والالات المعينة على لقاء الاعداء، مرضي بن علي بن مرضي الطرطوسي (ت 589 هـ - 1193 م) الفه للقائد صلاح الدين الايوبي، تحقيق كلود كاهين.

58F. corrient, op. cit, p. 153 F. m. salgado, op. cit, p. 177

(*) بحث نشر في مجلة دراسات تاريخية (بيت الحكمة - بغداد) العدد 2 (نيسان - حزيران) عام 2000م.

(2) مجهول المؤلف/ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم/ طبع في مدينة مدريد بمطبع ريدنير سنة 1867م/ نشر محمد اسامة الكرم/ دمشق د. ت ص 5. وانظر: ابن الكردبوس/ الاكتفاء "نشر بعنوان تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان" تحقيق: د. أحمد مختار العبادي/ معهد الدراسات الإسلامية بمدريد 1971/ ص 43.

قدم الكونت خوليان الاسباني كل العون والتسهيلات والمعلومات عن احوال بلده اسبانيا ومسالكها وممالكها إلى العرب الفاتحين إضافة إلى الدعم العسكري: من تجهيزهم بأربعة مراكب الى حملة القائد طريف بن أبي زرعة المعافري الذي بعثه القائد طارق بن زياد مع 400 رجل من المشاة و 100 فارس في حملة استطلاعية للتعرف على صحة ادعاءات حاكم سبتة وعلى الأوضاع العامة في اسبانيا، ونزل القائد طريف عند موقع في الجنوب الاسباني عرف بإسمه بعد ذلك حيث بنيت فيه مدينة صغيرة أصبحت تحمل اسمه Tariq"[1]. هدد حاكم سبتة خوليان ملك اسبانيا لذريق بالعرب وقوتهم عن طريق غير مباشر عندما طلب الملك منه هدايا عند حضوره إلى مدينة طليطلة فسأل الملك الاسباني حاكمه على سبتة: "فقال له: هل نظرت لنا في طيور؟ فقال: قد نظرت لك في صيد الطيور لم ير مثلها قط، وأنا آتيك بها عن قريب إن شاء الله، ويعني بذلك العرب"[2].

المقومات الحضارية العربية وأثرها في التفاعل مع الاسبان:

حضارة الفكر العربي الأندلسي عطاء مشترك، أسهم فيه الاسبان مع العرب مساهمة كبيرة، فقد أعطى العرب للاسبان وأخذوا منهم، وتم التبادل الحضاري والتعاون فأثمر وتقاسم الاثنان النتاج.

اعتنى أهل الأندلس بمظاهر الحضارة ومنها الاعتناء بالنظافة في حياتهم ويذكر ان "أهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون، وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم. ومنهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حال تنبو العين عنها"[3].

كان الجهاد والنضال من أجل خدمة الإنسانية أحد أسرار نجاح العرب المسلمين في كسب المجتمع الاسباني الذي قدم للفاتحين كل العون والدعم من أجل إنقاذه وسعادته، ويؤكد لنا ابن الخطيب الغرناطي بقوله: "واعلم أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد..."[4] خسرت فرنسا قروناً حضارية لعدم وصول الإسلام إلى أرضها وذلك بوقوف ملكهم شارل مارتل بوجه القوات الإسلامية التي كان يقودها البطل عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء عام 114هـ/ 732م، استشهد فيها الغافقي وعدد كبير من المسلمين وكانت ردود الفعل والتصريحات التي أوردتها المصادر المسيحية تعبر عن الخوف من الازدهار والتفاعل الحضاري والرفض الأعمى للنهضة العربية والبقاء على حالة الجمود والركود، وتأسف المؤرخ توماس ارنولد عن خسارة فرنسا الحضارية بالمعركة بقوله: "إحدى هاته المواقف الرهيبة لنجاة الإنسانية وضمان سعادتها مدى قرون"[5].

---

(1) الحميري/ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (جمعه سنة 866هـ)/ كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار (نشر بعنوان صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار) تحقيق: اليفي بروفنسال، القاهرة/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1937/ ص 127.

(2) ابن الكردوس/ الاكتفاء/ ص 44.

(3) العبادي/ د. أحمد مختار/ في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1978، ص 52- 53.

(4) الحميري/ الروض المعطار، ترجمة رقم 111، ص 121، 134، 169.

(5) المصدر السابق، ترجمة رقم 72، ص 73، ابن غالب الأندلسي/ فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس (نشر بعنوان: نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس) تحقيق: د. لطفي عبد البديع، مطبعة مصر 1956، ص 25، الفاسي "الأعلام الجغرافية" ص 26.

وصرح الملك شارل مارتل عن تصوره وخطته القتالية بقوله: "كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الأندلس وغلبوا جيوشها الجرارة الكاملة العدة بفئتهم القليلة، وبرجالهم المتمردين من الدروع، فقال لهم- الراي عندي لا تعترضوهم في خرجتهم هذه، فإنهم كالسيل يحمل من يعترض سبيله وهم في إقبال أمرهم، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد، وقلوب تغني عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم بالغنائم ويتخذوا المساكن، ويتنافسوا في الرياسة فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر أمر"(1).

كان النشاط الفكري أحد أبرز مقومات الحضارة والتفاعل مع المجتمع، وأصبحت قرطبة مركزاً ومجمعاً للعلم والعلماء. يقول المؤرخ الحجاري عن ذلك: "حضرت قرطبة منذ افتتحت الجزيرة، هي كانت منتهى الغاية، ومركز الراية، وأم القرى، وقرارة أولى الفضل والتقي، وموطن أولى العلم والنهي"(2).

كما أصبحت قرطبة مستودعاً للعلم والمكتبات، كما أصبحت أشبيلية مركزاً للفن والطرب والغناء حتى ليقال "إذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى أشبيلية"(3).

ومما يجدر بالملاحظة أن الحركة الثقافية الأندلسية شملت العنصر النسوي في الأندلس، وحكى ابن فياض في تاريخه في أخبار قرطبة فقال: كان بالربض الشرقي من قرطبة 170 امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا ما في ناحية من نواحيها فميف بجميع جهاتها"(4).

الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) من أبرز امراء الأندلس وأكثرهم عشقاً واهتماماً بالثقافة. كان يرسل مندوبين ثقافيين إلى المشرق الإسلامي لجلب أمهات المؤلفات ونفائسها التي أسهمت بشكل فعال ومؤثر في الحركة الفكرية. فقد وجه عباس بن ناصح إلى العراق في التماس الكتب القديمة، فأتاه بالسند هند وغيرها منها، وهو أول من أدخلها الأندلس وعرف أهلها ونظر هو فيها"(5).

كان الخليفة الحكم المستنصر بالله من أبرز خلفاء الأندلس اهتماماً بالثقافة التي كان لها مكانة مهمة في التفاعل الحضاري والاتصال الثقافي بالممالك الاسبانية، ومن أهم أعمال الخليفة فتح الكتاتيب في المساجد العامة كما ذكر ذلك ابن عذاري بقوله: "ومن مستحسنات أفعاله وطيبات أعماله اتخاذه المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حول

---

(1) المقَّري التلمساني/ شهاب الدين أحمد بن محمد/ نفح الطيب من غص الأندلس الرطيب/ تحقيق د. إحسان عباس دار صادر- بيروت 1968، ج1/ 208.

(2) المصدر السابق/ ج1/ 174- 175.

(3) المقَّري نفح، ج1، 145، 146 / ينظر الخشني القيرواني، محمد بن حارث بن أسد القيرواني ت. 361ه، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتاليف والترجمة القاهرة 1966، مقدمة التحقيق، ص. ز نقلاً عن ابن رشد القرطبي عنان/ محمد عبد الله/ مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام/ ط4 القاهرة 1382- 1962/ ص 69- 70.

(4) عن، المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم ممدوح حقي، دار الكتاب، الدار البيضاء بلا- ت. ص. 52 حسن إبراهيم/ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي/ ط7/ القاهرة 1964، ج1/ 320- 321.

(5) نقلاً عن: المقَّري/ نفح الطيب/ ج2/ 10 وانظر: ابن غالب الأندلسي/ فرحة الأنفس/ ص 36 نقلاً عن المؤرخ الأندلسي أحمد الرازي الكاتب "قرطبة قاعدة الأندلس، وأم المدائن ودار الملك...".

المسجد الجامع وبكل ربض من أرباض قرطبة، وأجرى عليهم المرتبات وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح، ابتغاء وجه الله العظيم. وعدد هذه المكاتب 27 مكتباً، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة"[1].

كما سعى الخليفة الحكم المستنصر بالله إلى تشييد المكتبات العامة المتطورة في الفهرسة التي جذبت رواد الثقافة من الممالك الاسبانية وغيرها وصار لها أكبر أثر في التفاعل الحضاري، ونقل لنا ابن حزم القرطبي عن المكتبة الخاصة بالقصر بقول: "إن عدد الفهارس المحتوية لتسمية الكتب 44 فهرسة في كل فهرسة 50 ورقة ليس فيها إلا ذكر اسماء الدواوين فقط، وإن عدد كتبها بلغ 400 ألف مجلد"[2].

اهتم الخليفة الحكم المستنصر بالله بجمع نفائس الكتب ونوادرها في العلوم، حيث خصص وكلاء أو مندوبين مختصين للبحث عن المشرق الإسلامي ومغربه ومن هؤلاء المندوبين محمد بن طرخان وراق الخليفة الأندلسي في بغداد والمندوب محمد بن محمد المعروف بابن الوفي الذي أقام بالبصرة قرابة 20 سنة وقد انفق 120 ألف دينار لشراء الكتب"[3].

ويؤكد المؤرخ بشكوال عن حب الخليفة وولعه باقتناء الكتب بقوله: "ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمم بها، أفاء على العلم، ونوه بأهله، ورغب الناس في طلبه ووصلت عطاياه وصلاته إلى فقهاء الأمصار النائية عنه"[4].

حاول الخليفة الحكم الثاني منافسة الخلفاء العباسيين في الحركة العلمية والحصول على أثمن وأنفس الكتب ونوادرها التي تصدر في بغداد ليتباهى بها ويتفاخر أمام علماء الأندلس وأهلها ويتحدى بها رواد الحركة الثقافية حيث "بعث إلى أبي الفرج الاصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عينا ذهبا، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني..."[5].

---

(1) أبن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب/ تحقيق كولان وليفي بروفسال، دار الثقافة بيروت بلا ت.) ج 2 ص240.

(2) المراكشي/ عبد الواحد/ المعجب في تلخيص أخبار المغرب/ تقديم د. ممدوح خفي، دار الكتاب، الدار البيضاء د. ت/ ص52.

(3) نقلاً عن ابن حزم القرطبي (في نقط العروس) أوردها ابن سعيد المغربي/ المغرب في حلى المغرب/ تحقيق: د. شوقي ضيف/ دار المعارف/ ط3 القاهرة 1964، ج1/ 45. ليفي بروفنسال/ الشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية/ تطوان 1957، ص 17 – 18، الازدهار الثقافي في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني.

(4) ابن عذاري/ البيان/ ج2/ ص 240.

(5) ابن الابار البلنسي/ الحلة السيراء/ تحقيق حسين مؤنس (القاهرة 1962) ج 1/ ص302. ابن حزم القرطبي/ جمهرة أنساب العرب/ تحقيق: عبد السلام هارون/ ط2/ دار المعارف، مصر 1962، ص 100، مجهول المؤلف/ ذكر بلاد الأندلس/ تحقيق وترجمة للأسبانية المستشرق لويس مولينا/ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية– المعهد ميجيل اسين– مدريد 1983/ ج1/ 169، ابن بشكوال/ الصلة/ القاهرة 1966 ج1/ ص 203 نقلاً عن ابن حزم القرطبي. ليفي بروفنسال/ الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية/ ص 36.

وسعى الخليفة الحكم الثاني إلى تشكيل "المجمع العلمي الأندلسي" في قرطبة يجتمع فيه كبار العلماء ومشاهيرهم في الأندلس، وكان يقع على نهر الوادي الكبير بقرطبة ويدعى "بدار الملك" وصار مركزاً للتفاعل الحضاري بين المشرق والمغرب والأندلس من جهة ومع طبقات المجتمع الأندلسي وجيرانه من الأسبان"(1).

كان الخليفة الحكم الثاني يكرس معظم وقته في مطالعة الكتب والتعليق والتهميش عليها، كما جاء ذلك بالنص "وكان مع هذا كثير التهمم بكتبه والتصحيح لها من أي فن كان من فنون العلم: يقرؤه ويكتب فيه بخطه أما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه..."(2).

كما ازدهرت الحركة الفكرية في عهد الحاجب المنصور العامري الذي أخذ يتابع رواد الثقافة "وكان المنصور بن أبي عامر يدني الشعراء ويجزل صلاتهم وكان الشعراء يقصدون بابه ويمتدحونه فيعطيهم الجوائز السنية والصلات العظيمة حتى أنه لم يمدح قط أحد من الملوك ولا غيره بمثل ما مدح به من الأشعار والخطب والرسائل وما صبر أحد على إعطاء الصلات كصبره مع البر لأهل الأدب والإكرام لأهل العلم حتى فاق بذلك ملوك الأرض وكان مع ذلك شاعراً نبيلاً"(3).

ازدهرت الحركة الثقافية في فترة حكم دويلات مدن الطوائف بالأندلس على الرغم من النزاع السياسي والعسكري، فانتعشت الحركة العلمية في الأدب والشعر وأغراضه في المديح والرثاء والهجاء والوصف وساهم عدد من الحكام في انعاش الحركة الأدبية ومنهم المعتمد بن عباد حاكم أشبيلية ومجاهد العامري حاكم دانية والجزائر الشرقية.

اهتم سلاطين غرناطة بالثقافة والعلماء وتقريبهم ومنحهم المناصب الادارية كما فعل السلطان محمد الثاني كما أكد ذلك ابن الخطيب الغرناطي بقوله: "إيثار العلماء من الأطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء، وقرض الأبيات من الشعر وكثرة الملح وحرارة النادرة"(4).

وظهرت طبقة من الشعراء والأدباء البارزين في غرناطة منهم أبو الحسن بن الجياب والشاعر ابن زمرك وغيرهم كثيرون، كما اهتم سلاطين غرناطة بإنشاء المراكز الثقافية كالمدارس التي كان لها دور بارز في التفاعل الحضاري مع الجيران، ومنها التي شيدها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول "المدرسة العجيبة بكر المدارس في حضرته، فتمت وكملت أوقافها"(5).

---

(1) القاضي عياض/ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك/ تحقيق: د. احمد بكير محمود، بيروت 1384هـ/ 1965م (4 أجزاء) ج3/ 57، ج2/ 573، ابن بشكوال/ الصلة/ ص 202.

(2) ابن بشكوال/ الصلة/ ج1/ ص 201.

(3) المصدر السابق، وانظر: ابن خلدون المغربي/ ديوان العبر والمبتدأ والخبر، طبعة بيروت 1958- 1959م، ج4/ ص 146.

(4) بدر/ د. أحمد بدر/ "الحياة الفكرية في الأندلس من خلال النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر بالله" مقالة في مجلة دراسات تاريخية/ العددان 19- 20، نيسان- تموز 1985 تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق/ صفحات المقالة ص 106- 129، ص 110.

(5) ابن بشكوال/ الصلة/ ج1/ ص 202.

الحركة العمرانية:

العمارة من مقومات الحضارة وعماد التفاعل الحضاري، حيث أصبحت مثار إعجاب وتقدير الاسبان وجيرانهم من الأوروبيين لما تحمل العمارة الأندلسية من أساليب ذوقية ومظاهر هندسية متميزة في البناء والزخرفة والألوان والأشكال المتنوعة. وقد تفاعلت الريازة الإسلامية مع بقايا العمارة المسيحية في اسبانيا.

بلغت العمارة في قرطبة أوج ازدهارها الحضاري باعتبارها حاضرة الأندلس في عهد الخلافة، وقد أورد لنا المقري إحصائية عن العمران الخلافي نقلا عن بعض المؤرخين جاء فيها: إن دور قرطبة بلغت في عهد المنصور 213077 دار للعامة، 6300 داراً للأكابر والوزراء والكتاب والأخباد بالإضافة إلى مصارى الكراء والحمامات والخانات، وبلغ عدد حوانيت قرطبة 80555 حانوتاً، وبلغ عدد حماماتها 911 وقيل 700 حمام وعدد مساجدها 3877 مسجداً"(1).

ضمت قرطبة أيضاً عدداً من القصور منها: قصر الدمشق، وقصر الزهراء، والقصر الفارس، وقصر جبر الزجالي وهذه القصور تمثل قمة الفن الأندلسي والذوق الرفيع والاتقان الهندسي وجمالية الزخرفة.

أسهم المستعربون (Mozarabes) وهم النصارى الأسبان الذين تأثروا بالثقافة الأندلسية وقلدوها وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير وعملوا الختان لأولادهم وتعلموا العربية، في نقل الفن الإسلامي إلى الممالك الأسبانية كما أكد لنا المستشرق الأسباني مورينو بقوله: "إن فن المستعربين في العمارة هو الفن الذي مارسه الشعب الإسباني الخاضع للعرب، والمحافظ قدر المستطاع على دينه ومؤسساته، وذلك في المناطق الواقعة تحت هيمنة المسلمين، بيد أن مجاورته للأقاليم الأسبانية العائدة الى حظيرة النصرانية، أحدثت تأثيرات عميقة في تلك الأقاليم المتسمة بمظاهر الاستعراب، سواء أكان ذلك عن طريق تسلل أشخاص من النصارى وهربهم من السلطة الإسلامية أو لأن الغلبة الحضارية للخلافة في قرطبة شجعت على إخراج أفراد المجتمع المحرر من البؤس الذي آلوا إليه في بدء وصولهم إلى شمالي شبه الجزيرة وذلك بما وفرته لهم من الفرص التي قامت ما كان بإمكان أوروبا أن تمنحهم إياه من السيادة إزاء الاحتواء القرطبي فنتج عن ذلك نوع من التطعيم بين الحساسية المشرقية والأندلسية، حتى عاد ما هو أندلسي ليؤثر من جديد في ما هو حديث العهد بالنصرانية، تحت عنوان المدجنين- المتنصرين العرب ولا سيما في مجال شروع المستعربين في بناء الكنائس، ولا سيما في ق 9- 10م.

ويمكن أن تشير إلى ما أورده المستشرق الأسباني الأثري مورينو عن أديرة مستعربة أخرى تأثرت وتفاعلت مع الفن الأندلسي ومن هذه الكنائس: سان ثيربان دي ماثوتي/ سانيا كودي بينيالا/ وسان مارتين دي كاستانيدا/ سان ميلليان ديلا كوغايا في قشتالة/ وسنتا ماريا دي ميلكي في طليطلة المسلمة وغيرها في جليقية وقلمرية والبرتغال وقطلونية.

وتظهر هذه الكنائس العناصر الفنية المتطورة من تلك التي جلبت من بلاد الأندلس مثل القوس على شكل الحدوة، الممدود والمقطع بأحجار العقد، والشبابيك ذات الستر الهندسية والشبابيك المزدوجة بأقواس حدوية الشكل، والطنوف على جوانب الأقواس والأبواب المسقفة، والقباب ذوات التيجان اليونية أو المتقاطعة الأسطح التي تذكر بقباب المسجد الجامع في قرطبة، واستخدام الآجر، وتيجان الأعمدة الكونكريتية من الكلس الرقيق، والافاريز الموشاة بأشكال هندسية ورسوم نباتية، والطيور تلتقط العنب بمناقيرها وصور الحيوانات متقابلة من ذوات الأربع، وأروقة

---

(1) مجهول المؤلف/ ذكر بلاد الأندلس/ ج1 ص 177 ص 175 "وكان والده عبد الله طلب العلم وروى الحديث". ابن عذاري/ البيان/ ج2/ ص 17 سيرة وثقافة الحاجب المنصور العامري و "كان محباً لأهل العلم، عالماً فقيهاً بالمذاهب، عالماً بالأنساب والتواريخ، جماعاً للكتب والعلماء ن مكرماً لهم محسناً إليهم".

ذوات أعمدة، وهناك مقوسات في ديردي اسكالادا تعمل جميعها على تقسيم الفضاء وتجزئته على طراز المسجد الجامع من قرطبة.

ورث هذا التفاعل الفني النموذجي بين أصالة الفن الإسلامي والنقل إلى الفن النصراني خلال فترة الخلافة الأندلسية في قرطبة"[1].

أما المدجنون (Mudajares) وهم العرب المتنصرون الذين عاشوا في المجتمع النصراني بالشمال الأسباني فقد كان غيابهم عن المسرح السياسي دليلاً صامتاً على موقف التسامح منهم، وقد كانوا عموماً رعايا وأتباعاً مطيعين وموضع تقدير، وامتاز فن المدجنين وعمارتهم على مواد متواضعة ليس فيها فخامة، إذ يستعمل الطابوق بدل الحجارة أو الرخام، ويستعمل الفخار بدل الخزف الناعم"[2].

أما المسجد الصغير في باب المردوم بطليطلة الذي حول إلى كنيسة كريستودي لالوث ويقع قرب أسوار مدينة طليطلة، فقد بني على أنقاض كنيسة، إذ استخدمت في بناء هذا المعبد الذي يشبه السرادق القباب الجصية التي تحاكي الأنماط الأثرية في المسجد الجامع بقرطبة التي تستخدم مواد محلية تستحضر معلماً أثرياً عظيماً، روابان تنصير مدينة طليطلة أواخر ق 6هـ/ 12م في عهد الملك الفونسو الثامن، اضيفت قبة ضخمة إلى خطة المسجد ذات المشربيات والمناظر التسع، فتحول بذلك إلى كنيسة دائرية تضم في داخلها محراباً.

وفي قشتالة استقرت جماعات مسلمة من البنائين وعمال الآجر وقد جاء بعضهم مع ملوك المسيحيين بوصفهم جزءاً من المستوطنات على الحدود والثغور الإسلامية الأندلسية"[3].

أما كنيسة سان رومان في طليطلة فهي صورة اخرى من فن المدجنين، إذ أن شهرتها الفنية جاءت من المزيج الهندسي الفني من الثقافة المحلية التي كانت تلقي بظلالها على المباني الأصلية ومن المعروف أن كنيسة سان رومان بنيت عام 618هـ/ 1221م على الطراز المدجني وكانت تضم أشكالاً ساخرة لاذعة وتحكي قصة تمثل مفاهيم الكتاب المقدس في حين كانت النقوش التي تحيط بهذه الصور أكثر مطابقة للنصب التذكارية الإسلامية منها للمسيحية، ولكن مما يبعث على الدهشة أن تكون أقواس الممرات في الكنيسة مطلية بألوان حمراء وبيضاء ونقوش عربية إضافة إلى النقوش اللاتينية، وكانت الرسوم الكبيرة كافية لتخليص الكنيسة من أي امتزاج محتمل بعبادة المسلمين.

يشير استخدام الألوان المتعاقبة والنقوش العربية إلى صلة أعمق بين البنائين ومستخدمي الكنيسة وبيئتهم لأن هناك إشارة بوجود ثقافة مشتركة بين الإسلام والمسيحية.

وفي القرن 6هـ/ 12م وعند مدينة سانتا ماريا لابلانكا تم تحويل المسجد إلى كنيسة، في الوقت الذي ما تزال معالم مخطط بناء شبيه بالمسجد ظاهرة للعيان.

ويذكر أن الملك الفونسو العاشر (العالم) كان يشرف بنفسه على بناء عدد من المعالم التي لها طابع الفن المدجني في أنحاء مختلفة من اسبانيا ومن أهمها موقع الكنيسة في المسجد الجامع بقرطبة ويعرف حالياً بكاتدرائية القديسة ماري،

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي/ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (ط2) 1978، ص 50و1 وكان السلطان محمد الثالث "يعرض الشعر، ويصغي إليه، ويثيب عليه، فيجيز الشعراء ويرضخ للندماء، ويعرف مقادير العلماء، ويواكل الأشراف والرؤساء".

(2) المصدر السابق، ص 109.

(3) المقّري/ نفح/ ج2/ 78- 79. ويذكر ابن غالب الاندلسي/ فرحة الأنفس/ ص 27ن عدد المساجد 1836 مسجداً.

ووجد في الموقع بناء مسجد كبير بقي على حاله، مغطى بأعمال الجص متعدد الأجزاء تلفه الأقواس والقناطر والتصاميم الهندسية التي تقوم على أعمدة مرصعة بالزخارف والفسيفساء وهو عمل فني على طراز المدجنين قام به معلمو ومهندسو البناء المعماري للتعبير عن الأوضاع السياسية الملائمة. فالكاتدرائية القوطية في ليون كان بناؤها على طراز المدجنين وتتبع المسائل العرقية والدينية التي كانت تتسم بها الممالك المسيحية الاسبانية.

وفي أراكون Aragon كان التركيز على إدخال نمط المدجنين إلى معالمها كثيراً، وهناك سلسلة من الأبراج الجميلة ما تزال قائمة منذ القرن 8هـ/ 14م تذكر المشاهد بمآذن الموحدين إذ كانت سهلة التصميم وذات شكل هندسي وتميزت بمنافذها ذات الأقواس المزدوجة، ولوحاتها المؤطرة المتشابكة ذات القرميد ذي التهوية المريحة.

وقد أدمجت مبادئ الزخرفة التي أدخلها فن المدجنين من خلال مصادر الموحدين والنصريين حكام غرناطة في لغة فنية عامة من الأشكال شارك فيها المسلمون والمسيحيون على السواء.

إن فن المدجنين في العمارة يحمل شواهد فنية على حقبة غزيرة من الإبداع في تشكيل الثقافة الاسبانية"[1].

التسامح الديني الإسلامي مع الديانات الأخرى:

الإسلام دين السماحة والتآلف والتعايش واحترام الديانات الأخرى ومن أبرز الصور والشواهد في الأندلس المصاهرات. فقد تزوج الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير من ايلونا Eylona أرملة الملك الاسباني لذريق Rodrigo بعد موته، كما تزوج أغلب المقاتلين المسلمين من بنات الاسبان النصارى لأن الفاتحين عبروا إلى أسبانيا من دون نساء فتزوجوا من نساء الجزيرة الأسبانية.

كانت المصاهرات شائعة بين أمراء وحكام الأندلس فقد تزوج الأمير محمد بن عبد الرحمن من ماريا التي أنجبت له الأمير عبد الرحمن الناصر، كما تزوج الخليفة الحكم المستنصر بالله من الأميرة صبيح البشكنسية، وتزوج الحاجب المنصور العامري من ابنه الملك شانجه أبوكه ملك بابلونا Pamplona عام 382هـ/ 992م وأنجبت له عبد الرحمن شنجول الذي سمي باسم جده، كما أهدى ملك ليون Leon علم 383هـ/ 993م ابنته تيريسا Teresa إلى الحاجب فأعتقها وتزوجها عربونا لعقد الصلح بين قرطبة وليون"[2].

التسامح الإسلامي بالأندلس سمة بارزة ومهمة في دخول اعداد من النصارى إلى الإسلام، فاعتبرتهم الكنيسة "أعلاج"، جمع عليج Elche. فقد عاش هؤلاء بسلام وأمان وحرية وازدهار في المجتمع الإسلامي ومنحت لغير

---

(1) Manuel Gomez Moreno, El Arte Arabe Espanol hasta los Almohades, Arrte Mozarabr, Ars Hispaniae Universal del Arte Hispanico, Vol. 111 (Madrid- Plus Ultra 1951, P. 335.

ليفي بروفنسال/ الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية/ ص 34 تأثير الشرق على العالم الغربي والأسباني، ذلك التأثير النشيط الفعال دائماً، والقوي النفوذ أحياناً، والذي يتجلى من خلال تعبير مسلمي شبه الجزيرة الشعري والمعماري.

(2) مارغريتا لوبيز غوميز Margarita Lopez Gomez "المستعربون: نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس" مقالة نشرت مترجمة ضمن بحوث بعنوان: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس/ مركز دراسات الوحدة العربية، بإشراف د. سلمى الخضراء الجيوسي- بيروت كانون أول/ ديسمبر 1998/ ج1/ صفحات المقالة (267- 284)، ص 278.

المسلمين حقوق ممارسة نشاطاتهم كعقد المؤتمرات الدينية. فقد عقد مؤتمر أشبيلية عام 86هـ/ 782م والمؤتمر المسيحي في قرطبة عام 238هـ/ 852م"[1].

عمل الأمير عبد الرحمن الثاني على عقد مجمع ديني في قرطبة يضم جميع أساقفة الأندلس برئاسة مطران أشبيلية ريكا فريدو Recafredo في عام 237هـ/ 852م وكان ممثل حكومة قرطبة موظفاً مسيحياً يدعى جومز بن انطوانيان"[2].

ومما يلفت النظر في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن أن رجال الكنيسة النصرانية هالهم ما رأوه من تأثر رعيتهم النصارى بالثقافة الإسلامية واصطناعهم لعادات المسلمين، وقد اشتهرت كلمات المؤرخ البرو القرطبي التي يندد بها أصحاب ملته لإهمالهم الالتزام بأحكام دينهم وتشبعهم بثقافة المسلمين حتى أنهم نسوا اللغة اللاتينية وأصبحوا يجيدون العربية نثراً ونظماً، فقد اعتبروا ذلك تهديداً ينذر باحتمال اعتناق الكثير منهم الإسلام، وقد كان ذلك ما حدث بالفعل.

حصل المسيحيون في الأندلس على حقوقهم ومكانتهم، وقد قبلوا واحترموا هذه العهود وأصبحوا يعرفون بالمعاهدين وأخذوا بتجديدها بانتظام وخضوعهم سياسياً وعسكرياً ومالياً للحكومة الإسلامية بالأندلس"[3] كما منح النصارى امتيازات إنشاء الأديرة منها في جبال قرطبة لغاية أواسط القرن 3هـ/ 9م. وفي جبال حالقة لغاية القرن 6هـ/ 12م"[4] ويعترف المستشرق الاسباني الراهب فرانشسكو سيمونيت في كتابه تاريخ المستعربين في اسبانيا على الرغم من تعصبه الشديد للنصارى، بحصولهم على الحريات في ظل الحكم الإسلامي في اسبانيا بقوله: "لابد أن حرية العقيدة التي نادى الفاتحون بها قد راقت لأهالي الأقاليم المفتوحة، ولا سيما للكثيرين الذين تعرضوا للملاحقة من قبل الحكم السابق لضغوط الغربيين جراء أخطائهم الاريوسية Arrianos أو بسبب معتقداتهم الباطلة، أو بخصوص أصولهم العرقية"[5].

ويؤكد المستشرق الأسباني الأثري تورس بلباس في كتابه (المدن الأسبانية الإسلامية) على التسامح والتفاعل الحضاري بين سكان مدن أسبانيا بقوله: "إن خير ما يمثل ذلك التجمع السكني الخلي من الحدود بين الأقليات هو بقاء الكنائس داخل أسوار المدينة، بل في مراكزها أيضاً، كما تشهد على ذلك كنيسة الملك المجاورة للمسجد الجامع في طليطلة"[6].

---

(1) ليونارد باتريك هارفي Leonard Patrick Harvey "المدجنون" مقالة نشرت في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس/ (صفحات المقالة 285- 300) ص 297.

(2) Leopold Torres Balbas, Arte Almohade Mudejar, Ars Hispaniae Universal del Arte hispaniae, Vol. IV, Madrid Plus 1949, P. 257.

(3) أولغ غرابار Oleg Grabar نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامي في شبه الجزيرة الأسبانية مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، صفحات المقالة 845- 884، ص 858- 859.

(4) د. مكي/ محمود علي مكي/ "تاريخ الأندلس السياسي" مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، صفحات المقالة ص 55- 150، ص 93.

(5) غوستان لوبون/ حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر القاهرة 1956م، ص 276- 277.

(6) العبادي/ في تاريخ الأندلس ص 146- 147.

كما عاشت جاليات المستعربين كذلك في الأرياف والقرى التي كان جميع سكانها أحياناً من النصارى وتشهد أسماء تلك المناطق على ذلك، مثل وادي المستعربين، وهي قرية من قرى طليطلة، وكانت في أثناء الحكم الإسلامي 6 ابرشيات في أقل تقدير داخل أسوار المدينة وأخرى مثلها في قرطبة في القرن 9م"(1) وفي حدود منتصف القرن 9م "بات من الصعب بمكان تمييز النصارى عن المسلمين في المظهر في قرطبة"(2).

ووصل التسامح الإسلامي في الأندلس إلى إسناد وظائف مهمة ورفيعة المستوى إلى نصارى أسبانيا تأكيداً على التعاون والتفاعل والتعايش والثقة المتبادلة بين الديانات في إدارة بلد الأندلس، وعن ذلك يذكر سيمونيت "فكثير من المستعمرين تقلدوا مناصب عالية المستوى في وزارات الخلافة، مثل ربيع بن زيد ريثموند في القرن 10م الذي كان سفيراً عند الخليفة الناصر إلى ملك ألمانيا أوتو الأول قبل أن يصبح أسقفاً، وأبو عمر بن غند سيالبو الذي تسلم رئاسة الوزارة في عهد ملك سرقسطة زمن الطوائف... عاش السكان من المستعربين والمسلمين جنباً إلى جنب، وكانوا ملاكا صغاراً، ذلك أن القوانين الإسلامية منحتهم الحق في تملك الأرض والتصرف بها كما شاءوا، في حين كان هذا الحق شديد التحديد بالنسبة للطبقات الاجتماعية الدنيا تحت حكم القوط الغربيين"(3).

ويؤكد المؤرخ الاسباني البارو دي قرطبة على ابتعاد النصارى الأسبان عن ثقافتهم وتفاعلهم مع المسلمين وحضارتهم بقوله: "هذا هو الشقاء بعينه: جهلت النصارى قانونها ونسي الملايين لغتهم حتى غدا من الصعب أن تجدوا واحداً من ألف من النصارى يجيد كتابة رسالة قصيرة باللاتينية إلى أخيه، بينما تلقون حشوداً لا عد لها من المتقنين في عرض أبهة البلاغة الكلدانية العربية إلى درجة أنهم راحوا يطرزون رسائلهم الرقيقة بمقطوعات من الشعر البليغ وبلباقة فاخرة..."(4).

والأمر الأكثر أهمية بالنسبة إلى الحكام الأمويين في الأندلس كان الحفاظ على التجمع المسيحي للمستعربين كرمز لسياستهم، وللاستفادة من المستعربين في جوارهم وتفاعلهم، إذ كان الأساقفة يقومون بدور الشعراء والمترجمين حتى منتصف القرن 4هـ/ 10م"(5).

إن دخول عدد كبير من النصارى واليهود في الإسلام في الأندلس جعل التفاعل الحضاري ينمو ويزدهر وقد عبر عن ذلك المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال بقوله: "الطابع الفريد للإسلام في الأندلس".

وعلى الرغم من مطاردة السلطات الكنيسة للمنتمين إلى الإسلام وحرق الكاردينال خميث سيسنيروس مليون كتاب تقريباً في ميدان الرملة بغرناطة فلا تزال في أسبانيا أعداد هائلة من الكتب الأندلسية تزهو بها المكتبات بالعالم.

اهتم الملك الفونسو العاشر (العالم) بعد سقوط مرسية عام 1266م بالطلب من المعلم الأندلسي محمد الرقوطي البقاء مدرساً في الكلية التي أسسها عن قصد لكي تجمع الديانات التوحيدية الثلاث، وهناك دليل آخر عن القاضي

---

(1) المستشرق الأسباني ميكيل دي الثا Miguel de Epalza "المستعربون- اقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة" مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس/ صفحات المقالة 233- 266 ص 239.

(2) مقالة المرجع السابق، ص 244.

(3) F. Simonet, Historia de los Mozarabes de Espana Edicion Turner, Madrid 1983 (en4 vols.) Vol. 1/ 43.

(4) Leopoldo Torres Balbas, Ciudades Hispano- Musulmanas, 2 edicion, Instituto Hispano- Arabe de Cultura- Madrid 1985, P. 98.

(5) ماركريت لوبث كومث Margarita Lopez Gomez "المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس" مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، صفحات المقالة 267- 284، ص 270.

عيسى بن جبر قاضي سكونيا وفقيهها الذي ترك كتاب الشريعة في اللغة الخميادية واشترك مع الفرنسيسكاني خوان اليعقوبي في اشتغاله بالقرآن. أما القشتالي مانشيوا من اريبالو فقد حوت نصوصه على أصداء للغزالي التي قد يكون قد حصل عليها عند إقامته في غرناطة نهاية القرن 15 - 16م حيث بقيت الحياة الدينية فيها غنية"[1].

واشتغل ربيع بن زيد من النصارى المستعربين وصاحب التقويم القرطبي في بلاط الخليفة الحكم الثاني مع موظفين وإداريين نصارى ومسلمين بأعداد كبيرة ويظهر لنا تعايش هذه العناصر ذات الاصول المختلفة"[2].

كما عين الملك القشتالي الفونسو السادس عند استيلائه على طليطلة عام 478هـ/ 1085م حاكماً مستعرباً نصرانياً هو سيزناندوا فيليز وفرض ضريبة على المسلمين تدعى اليسور (العشر) وهي مثال للتفاعل الاقتصادي بين المسلمين والنصارى"[3].

الحياة الاجتماعية:

تطورت الحياة الاجتماعية في الأندلس وتفاعلت مع المجتمع الاسباني، حيث حظيت المرأة الأندلسية باحترام وتقدير وإعجاب بجمالها وعفتها وثقافتها وحرصها على العناية بالزواج، وقد وصف ابن الخطيب الغرناطي نساء غرناطة كنموذج أندلسي رائع بقوله: "وحريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السمن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة، إلا أن الطول يندر فيهن، وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبغات والتنافس في الذهبيات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة"[4].

إن المرأة الاسبانية اليوم يجري في عروقها دم الشرق الدافئ وهي لذلك تجمع بين جمال الغرب وفتنة الشرق، ليست فارعة الطول ولا هي قصيرة، مرحة طروب، تستهويك ابتسامتها الشرقية، وتخلبك روحها الخفيفة الجذابة، ويرى الكثيرون أن المرأة الأسبانية أجمل نساء العالم وأخفهن روحا وأكثرهن بشاشة ومرحاً، واكتمال الانوثة في المرأة الاسبانية مضرب الأمثال وهو سر سحرها، وتهتم الاسبانية بزوجها وأولادها وبيتها، إذ تؤمن إيماناً عميقاً بأن مكانها هو البيت، بخلاف نساء دول أوروبا الأخرى، ويعزى ذلك إلى التقاليد الشرقية التي ورثها المجتمع الإسباني"[5]. وكما ذكرنا آنفاً أن: "أهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون"[6].

---

(1) سيمونيت، تاريخ المستعربون في أسبانيا. Simonet, Historia de los, Mozarabes de Espana, I/ 28.

(2) المرجع السابق. Simonet, Historia de los, Mozarabes de Espana, 1/ 46.

(3) Alvaro de Cordoba, Indiculus Luminosus vol. 1/ 43.

(4) المستشرق الاسباني ميكيل دي أبالثا Miguel de Epalza "المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس المسلمة"، ص 240.

(5) دومنيك ايرفوا Dominique Urvoy "علماء الأندلس" مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس/ صفحات المقالة 1179 - 1216 ص 1210.

(6) بيير غيشلر Pierre Guichard "التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين" مقالة في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، صفحات المقالة 961- 994، ص 974.

ويصف شاك Schack المرأة الأندلسية بقوله: "كانت النساء في اسبانيا أكثر تحرراً من مثيلاتهن في بقية البلدان الإسلامية، وقد أسهمت النساء هناك في الأحداث الثقافية والفكرية لعصرهن، كما أن عدد اللواتي حظين بالشهرة لإنجازاتهن العلمية أو اللواتي تبارين مع الرجال للفوز بقصد السبق في الشعر، لم يكن بالرقم الصغير"[1].

ويقول المستشرق الفرنسي هنري بيرس عن تحرر المرأة الأندلسية وتحضرها: "أن النساء الأندلسيات، لم يكن سجينات الأعراف والعادات المتزمتة، وأكثر الأمثلة وضوحاً على التحرر النسوي في اسبانيا الإسلامية هو مثال ولادة"[2].

يوضح لنا الفيلسوف ابن رشد القرطبي (ت 595هـ/ 1198م) عن كثرة إنجاب النساء الأندلسيات وعملهن على خدمة أزواجهن بقوله: "أن كفاءة النساء غير معروفة في هذه المدن إذ أن النساء يصلحن للإنجاب وتكثير النسل وبالتالي فإنهن مخلوقات لخدمة أزواجهن وتكثير النسل ورعايته. ويبطل هذا الأمر الفعاليات الأخرى التي يمكن أن تقوم بها المرأة"[3].

الفن وآثاره في التفاعل الحضاري:

للفنان علي بن نافع الملقب بزرياب أثر بارز ومهم في تطوير المجتمع الأندلسي فنياً، وقد أثرت أفعاله وأعماله وخدماته في المجتمع الاسباني حيث أطل زرياب ضيفاً على قرطبة وزائراً من العراق، وهو تلميذ الفنان إسحاق الموصلي الذي قدمه للخدمة في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد غنى زرياب في إحدى جلسات الخليفة وأعجب به وجراء الحسد والمنافسة بسبب عشق الخليفة لغناء زرياب وأسلوبه الفني الرفيع، تمت مطاردته من حساده فهرب واختار الأندلس موطن الموسيقى والغناء والرخاء الاقتصادي فاستقبله الأمير الأندلسي عبد الرحمن الثاني ليطرب به مجتمعه بعد أن سمع الكثير من زرياب، وأجرى له راتباً شهرياً قدره مئتا دينار، كما أجرى على بنيه الذين قدموا معه مبلغاً قدره 24 ديناراً شهرياً لكل منهم، وأن يجري على زرياب المعروف العام ألف دينار، ولكل مهرجان نوروز 500 دينار، وأن يقطع له من الطعام 300 مدى ثلثاها شعير وثلثها قمح وأقطعه من الدور المستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع ما يقوم 40 ألف دينار"[4].

أدخل زرياب الى الاندلس ثقافة اجتماعية وفنية تمثلت بزيادة أوتار عوده وترا خامساً اختراعاً منه، كما جعل مضارب العود من قوادم النسور، وكان زرياب إضافة إلى ذلك عالماً بالنجوم، واهتم بتقديم النصائح لأهل الأندلس بترتيب وتمشيط شعورهم واستخدام العطور وأواني الزجاج على الموائد وطريقة تناول الطعام، وفن الطبخ، ولبس الألوان البيضاء في الصيف والألوان الداكنة في الأيام الباردة. وذكر الشقنندي في رسالته في فضل الأندلس" أسماء الآلات الموسيقية في أشبيلية وربما التي أدخلها زرياب بقوله: "وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف أدوات الطرب كالخيال، والكريبج، والعود، والروطة، والرباب، والقانون المؤنس، والكثيرة، والقار، والزلامي، والشقرة، والنورة، وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه، والبوق، وإن كان جميع هذا موجود في غيرها من بلاد الأندلس فإنه

---

(1) بيير غيشار Pierre Guichard، مقالة المرجع السابق/ ص 989.

(2) ابن الخطيب الغرناطي/ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، نشرة دار الآفاق الجديدة، بيروت 1978، ص 40. المقّري/ نفح/ ج1/ 208.

(3) حسن محمد جوهر/ مصطفى حسن شرف/ اسبانيا، الفردوس المفقود، سلسلة مطبوعات الشعب، ط أولى القاهرة 1976، ص 24- 25.

(4) المقّري/ نفح/ ج1/ 208 سبق وأن أوردنا النص كاملاً.

فيها أكثر، وليس في بر العدوة من هذا شيء إلا ما جلب إليه من الأندلس وحسبهم الدف واقوال واللبراوابو قرون وديلبة السودان وحماقة البربر"[1].

وقد تركت الاصطلاحات الموسيقية الأندلسية بصماتها على اللغة الاسبانية وتفاعلت مع المجتمع والفن الاسباني منها: العود Alaud، الطبل Atabale، والبوق Alboque، والدف Adufe والنفير Anafil، والصنوج Sonajas، والكريبج Carrizo، والكتيرة Citara، والقيثارة Guitarra، والرباب Rabel، والروطة Rota.

ونشأ فن الغناء والرقص الفلامنكو Flamenco في اسبانيا ذات الأصول الأندلسية والذي امتزج وتفاعل في المجتمع والفن الاسباني، وقد ترك الكثير من النصارى الأسبان آثارهم في الفكر والفن وفي حياة الغناء والطرب"[2].

ويؤكد المستشرق الأسباني خوليان ريبيرا J. Ribera وغيره أن الغناء الأندلسي المعروف اليوم بالفلامنكو ليس إلا أثراً من آثار الغناء الأندلسي الإسلامي"[3].

والرقصة الشعبية التي يرقصها كل أفراد الشعب الاسباني هي الفلامنكو التي تستعمل الصاجات الخشبية، وتعتمد الرقصة على عضلات الساقين والحركات التعبيرية ويتعلمها الأطفال من الآباء والأمهات وتشبه رقصة (الجوبي) في الريف العراقي.

ورقص الفلامنكو بالنسبة للأسبان أمر حيوي، يؤدى في كل مكان، وقد ترقص راقصة وحدها أو يقوم بالرقص راقص أو راقصة أو راقصتان معاً، كل واحدة في ثوب مختلف اللون، وقد صففت شعرها بطريقة مختلفة عن غيرها، فقد ترشق واحدة الوردة الحمراء التقليدية في خصلات شعرها، وتلف وتتثنى وتعتدل وتضرب الأرض بحذائها الأحمر، بينما ترشق زميلتها في شعرها مشطاً أبيض اللون، وتزين أذنيها بقرط من طراز المشط عينه، ومن لونه، ثم تشرع الفتاتان بالغناء، وهو عبارة عن أنشودة تعبر عن حب كل منهما لبلدتها، مسقط رأسها، وتصف فيها سهولها وأغوارها، وتتغزل في شجاعة رجالها، كل ذلك وهي ترقص على أطراف لاقدميها، وتهتز هزاً شديداً"[4].

أما عن مراسيم الأعياد والمناسبات الدينية والدنيوية في المجتمع الأندلسي فلابد من الإشارة إلى أن العرب المسلمين والأسبان النصارى قد اشتركوا في تقليد الاحتفالات والمشاركة في مراسيمها مما يؤكد روح الامتزاج الحضاري والتعايش والتفاعل بين العادات التقاليد لكلا الشعبين والديانتين، إذ قلد أهل الأندلس جيرانهم النصارى الأسبان في المشاركة بأعيادهم وأفراحهم وهو دليل واضح على الاختلاط والتفاعل. فمن الأعياد الدينية عند الاسبان

---

(1) Schack, Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Siclien, 3rd ed, Selvilla 1981, P. 65.

مترجم إلى الاسبانية بعنوان الشعر وفن العرب في اسبانيا Poesia Y Arte de los Arabes en Espana Y Slcilia Trad. Juan Valera Madrid (Hiperion) 1988.

(2) Henri Peres Esplendor de Al- Andalus, (La Poesta Andaluza en Arabe clasico en el sigb x 1, sus Aspectos- Generales, Sus Principales Temas Y su valor Documental Translated by Mercedes Garia Arenal, Madrid- Hiperion 1983, PP. 400- 402.

(3) Averroes, Commentary on Plato,s Republic, E. I J. Rosenthal Cambridge- University Press 1977, P. 59.

انظر ماريا خسوس بيكيرا/ المقالة السابقة الذكر، ص 1001.

(4) ليفي بروفنسال/ حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت د. ت، ص 54- 56. ليفي بروفنسال/ الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية/ ص 20- 23.

د. سيمون الحائك/ عبد الرحمن الأوسط/ المطبعة البولسية بيروت د. ت/ ص 26- 41.

ميلاد السيد المسيح عليه السلام في 25 كانون أول (الليلة العظيمة La Noche Bauena) وليلة العجوز (La Noche Vieja) آخر ليلة في السنة الميلادية، وأسبوع الفصح (La Semana Sant) وتعرف هذه الأعياد بـ (نابيدادس Naviedades).

النتاجات العلمية الأندلسية:

نبغ العرب في الأندلس في مجالات عديدة ومن أبرزها الطب وقد نبغ عدد كبير من الأطباء الأندلسيين ومنهم الطبيب الطليطلي ابن الوافد صاحب كتاب (الأدوية البسيطة) الذي ترجم إلى اللاتينية أكثر من 40 مرة. ومن مشاهير أطباء الجراحة بالأندلس أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي صاحب كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) وقد ترجم إلى اللاتينية، وما تزال جامعات أسبانيا وأوروبا تعتمد عليه وتدرس نظرياته.

وظهر في أشبيلية الطبيب مروان بن زهر الأشبيلي وأول عالم بالطفيليات. وظهرت طبقة من النساء الطبيبات منهن اخت الحفيد بن زهر الاشبيلي وابنتها وكانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة للنساء"[1].

وذكر ابن جلجل في كتابه (طبقات الأطباء والحكماء)"[2] عظماء الأندلس في الطب، ويؤكد ان مختبر للأدوية ظهر في بلاط الخليفة الحكم الثاني عمل فيه صيادلة من الصقالبة "وتولى إقامة خزانة طبية بالقصر لم يكن قط مثلها ورتب لها 12 صبياً (صقالبة)، وطباخين للأشربة، وصانعين للمعجونات، واستأذن أمير المؤمنين أن يعطى منها من احتاج من المساكين والمرضى، فأباح له ذلك"

اشتغل في الطب عدد كبير من النصارى واليهود، وهذا دليل على التسامح والثقة المتبادلة والاعتراف بعلوم الديانات. ومن هؤلاء:

1. خالد بن يزيد بن رومان النصراني.
2. ابن ملوكة النصراني.
3. إسحاق الطبيب. أهتم أطباء الأندلس بالأمراض الوافدة على بلدهم مثل وباء الطاعون الذي انتشر في أوروبا في منتصف القرن 8هـ/ 14م ووقف القوم منه متفرجين ومكتوفي الأيدي باعتبار أنه من حكم القضاء والقدر وسارع ابن الخطيب الغرناطي إلى دراسة الوباء ووضع علاجاً له وصنف كتاباً بعنوان "حقيقة السائل عن المرض الهائل".

ويذكر العلامة الأمريكي فكتور روبنصون أنه كان في طليطلة وحدها ما يربو على 400 مستشفى"[3] معالج طبيب حسداي بن شبروط الخاص بالخليفة عبد الرحمن الناصر الأمير شانجة المعروف بالسمين المصاب بالسمنة المفرطة"[4].

---

(1) الشقندي/ فضائل الأندلس نشره المستشرق الاسباني كارثيه كومث في كتابه الأندلس ضد البربر، وعنوانه بالاسبانية.

Emilio Garcia Gomez, Andalucia Contra Berberia, Barcelona 1976. P. 122.

(2) الناعوري/ د. عيسى/ في ربوع الاندلس/ الدار العربية للكتاب/ ليبيا- تونس 1398هـ/ 1978م، ص 96.

(3) د. سالم/ عبد العزيز "الغناء والموسيقى بالأندلس" مقالة في دائرة معارف الشعب/ ج3/ ص5 وانظر عن اصول الفلامنكو باللغة الاسبانية: جذور الفلامنكو وسر اغنية خوندو.

Blas Infante/ origenes de lo flamenco Y secreto del Cante jondo. Sevilla 1980.

(4) حسن محمد جوهر/ مصطفى حسن شرف/ اسبانيا فردوس العرب المفقود/ ص 16.

وفي الاختراعات والإبداعات العلمية قام عباس بن فرناس التاكراني بأول محاولة للطيران بالعالم و "كان عالماً متقناً وفيلسوفاً حاذقاً وشاعراً وكاتباً بليغاً ومنجماً محققاً جيد الاختراع كثير الإبداع، احتال بقرطبة في تطيير جثمانه فكسا نفسه الريش ومد لنفسه جناحين على وزن معلوم وتقدير قدره، فتهيأ له أن استطار في الجو من ناحية الرصافة وهي على ستة أميال من قرطبة، واستعلى في الهواء فخلق فيه حتى وقع من مكان مطاره على مسافة بعيدة، وساء على ذلك موقعه، لما تأذى من عجب ذنبه، إذ لم يحسن الاحتيال في وقوعه ولم يقدر أن الطائر إنما يقع على زمكاه فكهما عن ذلك، وقد كان أفزع من عاين مطاره من أهل قرطبة، فكثر تحدثهم عما عاينوه منه ولا يعلمون شأنه"[1].

وأصبحت الأندلس في عصر الخلافة وأثناء حكم عبد الرحمن الناصر مركز التفاعل الحضاري كما صور لنا ذلك ابن حيان القرطبي بقوله: "وكان ملكه بالأندلس في غاية ما يكون من الضخامة، ورفعة الشأن، وهادته الروم، واندلفت إليه، تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت من ملوك الروم والافرنجة، والمجوس وسائر الأمم، إلا وجرت إليه، أو وفدت خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية"[2].

استشهادات حضارية متفرقة :

الازدهار يتطلب حرية في التجاذب والتفاعل الفكريين، والفكر المسيحي يكاد ينحصر في الأديرة وفي أقلام الرهبان والقسس، حيث كان العالم المسيحي خاضعاً للسلطة الكنيسة المتعصبة التي ترفض كل جديد.

كان العطاء الفكري والحضاري مشتركاً متبادلاً في الأندلس، وكان العرب يحملون عناصر قوية خيرة لحضارة تتطلب التكامل وتنشد التعاون على إنمائها وانتشارها، وقد وجدت التربة الصالحة للغرس والمياه العذبة والأجواء المناسبة في أرض أسبانيا.

يقول المؤرخ الإنكليزي جورج ملو في كتابه (فلسفة التاريخ) "أن مدارس العرب في اسبانيا كانت هي مصادر العلوم، وكان الطلاب الأوروبيون يهرعون إليها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة"[3].

ويقول المؤرخ الفرنسي فالبير في كتابه (استرداد الأندلس): "إن البعثات العلمية كانت في أوروبا على قدم وساق لإرسالها إلى الأندلس الإسلامية لتلقف العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى، وذلك بنتيجة الدعايات التي انتشرت في قصور ومراكز معظم المقاطعات الأوروبية"[4].

وممن درس في قرطبة وتخرج على أيدي علمائها شانجة Sancho ملك ليون واستوريا"[5] وهو دليل أكيد على الإعجاب والتفاعل الحضاري والتعايش العلمي بين العرب والأسبان.

---

(1) ابن ابي اصيبعة د ت 677هـ/ عيون الابناء في طبقات الأطباء/ تحقيق: نزار رضا، بيروت 1965 ج2/ ص 70.

(2) ابن جلجل/ طبقات الأطباء والحكماء/ تحقيق: فؤاد سيد/ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1955، النصوص: ص 92، 113، 96 ترجمة رقم 38، ص 97 ترجمة 39، ص 40 ترجمة 97- 98.

(3) نقلاً عن حسن محمد جوهر/ اسبانيا فردوس العرب المفقود، ص 6، وانظر سيجريد هونكه، شمس الله على الغرب، ترجمة د. فؤاد حسنين علي/ القاهرة 1384هـ/ 1964م، ص 131- 255 (فصل الأيدي الشافية).

(4) الحجي/ د. عبد الرحمن/ أندلسيات/ المجموعة الثانية/ بيروت (دار الإرشاد) 1389هـ/ 1969م ص 81.

(5) ابن سماك العاملي المالقي الغرناطي/ الزهرات المنثورة/ الزهرة رقم 86، ص 132، المقّري/ نفح ج3/ ص 374 ابن سعيد المغربي/ المغرب في حلي المغرب، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط3- القاهرة 1964، ج1/ ص 333.

كان المسجد المركز الديني والعلمي ويذكر الفيلسون رينان: "أنني لم أدخل مسجداً من غير أن أهتز خاشعاً أي من غير أن أشعر بشيء من الحسرة على أنني لست مسلماً"[1].

ويعلق المستشرق الأسباني كوندي Conde على احترام النظم العسكرية في الحملات الجهادية بالأندلس بقوله: "أن حرس الحدود من المسلمين يحيون حياة جدية قاسية، وكانوا يخصصون أنفسهم عن طيب خاطر للتمرن الدائم على التدريبات العسكرية ويلزمون أفئدتهم بالقسم عن الدفاع عن حدودهم ضد مهاجمات المحاربين المسيحيين، وهم جميعاً من علية القوم وصفوة الفرسان، فلم يكونوا يسمحون لأنفسهم بالفرار"[2].

أعجب المؤرخ الأسباني سانجث البرنص بالأسلوب الرفيع والبارع التي نهجه القاضي ابن حارث الخشني صاحب كتاب (قضاة قرطبة) والذي وصفه في عهد الخليفة الحكم الثاني بقوله: "أن القارئ المتمعن في الكتاب يشعر وكأن أهل قرطبة الذين عاشوا قبل ألف عام قد بعثوا من القبور لأنه يرى أمام ناظريه كل نواحي حياتهم"[3].

ازدهرت الخدمات البلدية في قرطبة إبان عهد الخلافة ونصبت الإضاءة الزيتية في الأزقة في الوقت الذي كان يعم الظلام عواصم أوروبا، ويؤكد المراكشي ذلك بقوله: "وسمعت بلاد الأندلس من غير واحد من مشايخها أن الماشي كان يستضيء بسروج قرطبة ثلاثة، فراسخ لا ينقطع عنه الضوء"[4].

وينقل لنا ابن صاعد الأندلسي (ت 462هـ/ 1070م) صورة مغايرة للأندلس وعن أوضاع سكان أسبانيا وأوروبا وأحوالهم من الجلالقة بقوله: "أشبه بالبهائم منهم بالناس لأن من كان منهم موغلا في بلاد الشمال فضمرت أبدانهم وابيضت ألوانهم وانسدلت شعورهم فعدموا بهذا دقة الأفهام، وثقوب الخواطر وغلب وعليهم الجهل والبلادة وفشا فيهم العمى والغباوة"[5].

كما صور لنا الجغرافي البكري القرطبي الصقالبة وحياتهم وأوضاعهم المختلفة نقلاً عن الطرطوشي بقوله: "أهل غدر ودناوة أخلاق، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام الا مرة او مرتين بالماء البارد ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تنقطع عليهم، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسامهم وتصح أبدانهم، وثيابهم أضيق الثياب وهي مفرجة تبدو من تفاريجها أكثر أبدانهم"[6].

وتحدث المستشرق الأسباني ليفي بروفنسال عن الاشعاع الحضاري الأندلسي على أسبانيا والعالم بقوله: "لم يصل إشعاع الثقافة الأندلسية على الأراضي المسيحية أقصى مدى اندفاعه في القرن 10م لكي يأخذ بالتلاشي بعد ذلك فقد امتد على العكس حتى القرن 15م باسطاً خيوطه على جميع أجزاء شبه الجزيرة، ولم يفعل ملوك قشتالة شيئاً وكذلك ملوك أراكون ليردونه عن بلادهم الخاصة، بل شجعوا هذا الإشعاع أيضاً وذلك بأن تبنوا أنفسهم في احتفالاتهم

---

(1) المقّري/ أزهار الرياض/ ج2/ 258 المقّري/ ج1/ ص 343، ابن خلدون/ العبر/ ج4/ ص 137.

(2) أعدها سليم طه التكريتي/ دور الأندلس في نقل الحضارة العربية الاسلامية إلى اوروبا، مقالة في مجلة الأقلام/ السنة الخامسة/ شوال 1377هـ/ كانون الثاني- بغداد 1969 (صفحات المقالة: 47- 53) ص 47.

(3) المقالة السابقة/ ص 48.

(4) المقالة السابقة، ص 50.

(5) لوبون/ غوستاف/ حضارة العرب/ ترجمة من الفرنسية/ عادل زعيتر، القاهرة 1384هـ/ 1964م، ص 579.

(6) Conda, Historia de la Dominacien de Espana, Madrid 1855, Buenas- Aires 1977, Tomo 11/ PP. 162- 166.

بيلاطاتهم شتى المبتكرات المستقاة من الحضارة المجاورة مباشرة، وأن قيام بعض عواهل الأسبان بضرب عملات ذات وجهين عربي وقشتال هو أمر كثير الوقوع"[1].

ويؤكد ليفي بروفنسال آثار العرب الثقافية في أسبانيا بقوله: "إن أعمق أثر كما يبدو تركه سكان شبه الجزيرة الأصليون في العصور الوسطى في الأندلس من جهتي حدودها الإسلامية هو ذلك الأثر الذي خلفوه في لهجاتها الدارجة"[2].

دخلت المصطلحات الأندلسية في اللغة الاسبانية في الجانب الحربي والإداري والاقتصادي ولا تزال أسماء وقرى ومدن وشوارع وساحات وقلاع أمثلة وعادات وتقاليد عربية حية في المجتمع الاسباني وهو دليل الاعتزاز والتعايش والإعجاب بحضارة العرب ومجدهم في أسبانيا.

---

(1) Sanchez- Albornoz, En Torno alos Origenes del Feuda- Lismo, Buenas- Aires 1977, Tomo 11/PP. 162- 166.

(2) المراكشي/ عبد الواحد/ المعجب في تلخيص أخبار المغرب والاندلس/ تقديم ممدوح حقي/ دار الكتاب- الدار البيضاء د. ت/ ص 520.

70 المسالك والممالك، ص 81

71 حضارة العرب/ 278.

72 المرجع السابق/ 279.

الصلات الفكرية بين الأندلس ومدينة واسط بالعراق

سادت الصلات الفكرية بين الأندلس والولايات الإسلامية الأخرى وتطورت ونمت بشكل واسع، وفي مجالات متعددة من العلوم والمعرفة كاللغة والأدب والفقه وغيرها في القرن الثالث والرابع والخامس الهجري، أي في العهد الأموي والعباسي، وقد حظيت العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد وغيرها من المدن العراقية بمكانة متميزة ومتطورة، حيث ازدهرت تلك الصلات وأصبحت بغداد بهذه الفترة قبلة العلماء وكعبة القصاد ومنار العلم ومتعة الدنيا، شأنها شأن البصرة والموصل والكوفة وواسط، تستقطب الناس من اندلسين ومغاربة ومشارقة على مختلف الوانهم وأجناسهم وأحوالهم لما أصبحت عليه من الرقي والمكانة المزدهرة في جميع ميادين الثقافة والحضارة.

ان بحث الصلات الفكرية بين الأندلس ومدينة واسط لم يحظ كثيراً باهتمام وعناية المؤرخين المحدثين، عدا ما دونه لنا الدكتور عبد القادر سلمان المعاضيدي في كتابه "واسط في العصر العباسي" في فصل موجز عن الصلات العلمية بين واسط والعالم الإسلامي، حيث قدم للباحث صورة تاريخية موجزة عن الأندلس وواسط، لذا فقد رأينا من المفيد ان نستكمل الفائدة في دراستنا في هذا الموضوع، آملين ان نقدم المزيد من المعلومات لكي تتضح لدى القارئ العربي والباحث المختص صورة كاملة عن عمق الصلات الثقافية بين الأندلس ومدينة واسط العريقة بتاريخها المجيد.

وقد شجعت الصلات الثقافية بين الأندلس وواسط وساهمت في ازدهار الحضارة الإسلامية عوامل عدة منها:

1. تطور مدرسة الحديث في واسط وظهور نخبة من العلماء والفقهاء من الطراز الأول، وكانت مدرسة الحديث في واسط وغيرها من مدن العراق والمشرق قد ازدهرت في العصر الأموي وأنجبت محدثين تفخر بهم واسط، ويقصد بالمحدثين أولئك الذين اتجهوا الى دراسة الأصل للعقيدة والتشريع الإسلاميين- وهو الحديث- اتجاهاً مباشراً، أي دون الاكتفاء بالمساند والمصنفات المتداولة المعترف بها، فإذا كان الفقيه المالكي في المشرق والأندلس مثلاً يقبل الأحاديث الواردة في "الموطأ" على إنها أحاديث صحاح لاشك فيها، فان المحدث يتجاوز أحاديث "الموطأ" الى سانديها ومصادرها، ويلتمس المحدثين المعاصرين ليسمع منهم بنفسه ويستمع الى نقدهم لأسانيد الأحاديث وآرائهم في رجالها وحكمهم عليها من ناحية الصحة أو الضعف"[1]. وبهذا ظهرت في واسط طبقة من المحدثين والفقهاء اتصفت بالتحليل والنقد والرصانة مما أكسبتها سمعة عالية في الأندلس وغيرها من الولايات الإسلامية للاتصال بها والاستماع اليها والتدوين منها.

لا يخفى علينا ما للدين الإسلامي من مكانة مهمة في توجيه المسلمين في الاهتمام بالعلم والاستزادة منه والرحلة من اجله، وقد أكد القرآن الكريم على ذلك بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2]. وقد ورد ذكر طالب العلم في موضع آخر من القرآن الكريم بلفظة السائح، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ﴾[3]. وبهذا نرى ان الرحلات العلمية أصبحت من

---

(1) مؤنس، د. حسين، "شيوخ العصر في الأندلس"، (القاهرة 1965) المكتبة الاندلسية 146، ص 39.

(2) التوبة: الآية 122.

(3) التوبة الآية 122. السائحون يقصد بهم طلاب الحديث.

السنن الحميدة للمسلمين، بل يعدها البعض من الفقهاء بانها واجبة على العالم القادر من أجل الاستزادة والمنفعة له وللآخرين.

2. كان لفريضة الحج، أهمية كبيرة ومكانة عالية في اتصال حجاج بيت الله الحرام بالعلماء أثناء رحلاتهم، حيث زار واسط عدد كبير من علماء الأندلس الذين قدموا لتأدية هذه الفريضة.

3. انتشار المذهب المالكي في واسط وظهور عدد مهم من الفقهاء من معتنقي هذا المذهب، ساعد على اتصال الأندلسيين، معتنقي هذا المذهب، حيث قدم جمع غفير منهم للاستماع والتدوين والحصول على الإجازات العلمية من فقهاء واسط وعلمائها. وكان للمجالس العلمية التي كان يعقدها العلماء في المدارس وفي بيوتهم أثر بارز في ازدهار الفكر بمدينة واسط، وقد ذكر لنا عن ذلك أسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف بـ "بحشل" المتوفى سنة 292هـ (905م) في كتابه "تاريخ واسط" حيث أورد قائمة لمشاهير العلماء والفقهاء والأدباء اللذين ساهموا في رفد الحركة الفكرية في واسط وعملوا على تشجيع العلماء لزيارتها. وقد زارها واستوطن فيها نخبة بارزة من قادة الفكر.

4. الموقع الجغرافي لمدينة واسط بين الحضارتين العريقتين بالثقافة مدينة بغداد والبصرة وقربها من الكوفة، انعم على واسط واكسبها مكانة مرموقة واتصال واسع سريع مع علماء العراق والمشرق الإسلامي.

5. كان للتجارة أثر بارز في الصلات الحضارية بين واسط وغيرها من الولايات الإسلامية، لما وصلت اليه من مكانة متقدمة في الصناعة. وقد ساعد ازدهار التجارة على تعدد الطرق والمسالك بين واسط والكوفة وبغداد والبصرة وكان هناك طريق خاص يربط واسط مع مكة وهو طريق الحج"[1].

6. كان للاستقرار والهدوء السياسي الذي تمتعت به واسط وغيرها من حواضر المشرق وبالعكس، امراً طبيعياً وفي غاية الأهمية لارتياد مراكز العلم والاتصال بكبار العلماء والفقهاء والأدباء للأخذ عنهم، ومن ثم الرواية عنهم، وان كان بعض الراحلين يبغون منافع دينية أو سياسية أو اقتصادية، إلا ان الكثير منهم كانوا يجعلون تحصيل العلم هدفاً أساسياً لرحلتهم حتى أصبحت الرحلة صفة يتصف بها العالم"[2].

تعددت الأهداف السياسية للرحلات العلمية لمدينة واسط، وتباينت الأغراض والأبواب الثقافية لكل من حضر اليها ومن اهم المدارس فيها:

1. مدارس القرآن الكريم.
2. مدارس الحديث.
3. مدارس الفقه الإسلامي.
4. مدارس اللغة والنحو والأدب.
5. مدارس الفلسفة والتاريخ والجغرافية وغيرها.

هذا فان عدداً من العلماء الواسطيين قد رحلوا الى الأندلس وغيرها من الولايات الإسلامية وقرءوا القرآن الكريم وسمعوا الحديث النبوي الشريف في مدارسها، فضلاً عن علوم العربية من نحو وبلاغة وأدب، فحملوا ثقافة

---

(1) للمزيد من المعلومات عن الطرق التجارية وطريق الحج. انظر بحث د. عبد القادر سلمان المعاضيدي، واسط في العصر الاموي، ص 437، اورد نصوص الجغرافيين والرحالة الذين تتطرقوا عن طرق واسط.

(2) صادق، جعفر، الكوفة مركز استقطاب لعلماء الأندلس، ص 272.

تلك الولايات الإسلامية من نظريات وتطبيقات فكرية الى واسط، وبهذا اختلطت وانصهرت الثقافة الأندلسية المغربية مع الثقافة المشرقية.

نالت مدارس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي الحظوة أو المرتبة المتقدمة على الأهداف والدوافع الأخرى للصلات الفكرية، لما كان لمدينة واسط من مكانة وشرف احتضان نخبة من أعلام هذه المدارس.

ومن الواضح بان شيخ الحديث عالم منصرف الى العلم وحده، حافظ قوي الذاكرة يحفظ الأحاديث النبوية الشريفة حضر مجلساً وجاءت مناسبة لاستخدامها، وهو يجمع بين فقه القرآن الكريم وفقه الحديث النبوي الشريف مع معرفة تمة بالعربية وآدابها، وهذه الصفات تحلى بها علماء الأندلس وواسط وغيرها من المراكز الثقافية في المشرق والمغرب.

أما شيوخ الفقه فهمة ناس عمليون، يحصلون من العلم ماييسر لهم من سبل العيش والعمل في قسم الفرائض أو كتابة الوثائق والشروط، وربما ولاية القضاء، والغالب ان يقبل الفقيه من هذا الطراز لينصب على الوظائف الإدارية التي تحتاج لعلم الفقه، وهذا ما نلمسه في الاندلس "[1].

وكان الأندلسي بطبعه طموحاً ذا عزيمة وقدرة على العمل والتتبع للتطور الثقافي، لذلك اندفعت مئات من طلاب الأندلس الى المشرق ومراكزه الفكرية للسماع على الشيوخ والحصول على الإجازات العلمية، وعادت هذه الجماعات إرسالا لتدخل في تنافس شديد استخدمت فيه كل وسائل التخطئة والتشكيك، وعلم الحديث يعتمد على الذاكرة قبل كل شيء، والذاكرة خوانة ومن اليسير مغالطة شيخ في مجلس الدرس وتوجيه الأسئلة عليه مرات عديدة حتى يخطيء، وقد أكد لنا ابن حزم القرطبي (ت 456هـ) ذلك في رسالته نذكر منها: "فنه لا يفلت من هذه الحبائل ولا يتخلص من هذه النصب إلا الناهض الفائت والمطفف المستولي على الأمر"[2].

وفي القرن الثالث والرابع الهجريين وصلت الحضارة الإسلامية الى أوج ازدهارها الفكري، أصبحت كل من قرطبة Cordoba وواسط مناراً للعلم والعلماء ومنها انتقلت الكثير من عوامل الحضارة في ميادينها الثقافية المختلفة للعالم، وقام العديد من الرواد والعلماء والأدباء والفنانون بزيارة المشرق والمغرب والأندلس، ونمت عملية الامتزاج الحضاري والتبادل الفكري والتي كان لها دورها الإيجابي في ربط وتعميق العلاقات بين الاخوة من أبناء الدين والقومية والتاريخ في المشرق والمغرب، وكان لذلك فعله الواضح في تعريف التراث بشكله الشامل لجميع العرب والمسلمين والعمل على حفظه من الضياع أو النسيان أو التشويه أو التحريف"[3].

استمرت واسط في عطائها الفكري وازدهارها الحضاري، فراجت فيها أسواق الأدب والعلم، ونشطت المدارس في تخريج الدارسين، وتعددت وازدهرت الرحلات بينها وبين العالم الإسلامي، حيث زارها القرن الثامن الهجري الرحالة المغربي الأندلسي ابن بطوطة (ت 779هـ) واعجب بها غاية الإعجاب وبسكانها، حيث قدم لنا وصفاً يليق بمكانتها بقوله: "حسنة الأقطار، كثيرة البساتين والأشجار، بها أعلام يهدي الخير شاهدهم، وتهدي الاعتبار

(1) انظر: مؤنس، "شيوخ في العصر الأندلس"، ص (57- 58).

(2) برواية المقّري، "نفح الطيب"، تحقيق: د. احسان عباس، نشر دار صادر (بيروت 1388- 1968)، ج4/ 161.

(3) أمين، د. حسين، "العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد"، ص 11.

مشاهدهم، وأهلها من خيار أهل العراق، بل هم خيرهم على الإطلاق، أكثرهم يحفظون القرآن الكريم ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة، واليهم يأتي أهل بلاد العراق برسم تعلم ذلك"(1).

ولابد ان نشير الى ان العالم الإسلامي قد نعم بوحدة ثقافية في تاريخه المجيد، وقد تهيأت لها كل الأسباب حتى في ضل الصراعات والانقاسامات السياسية بين حكام الولايات، وبذلك لم يعرف الحدود المصطنعة المعروفة اليوم والتي تحد بشكل أو بآخر من حرية الانتقال للمسافر في بلاد الإسلام، فكان العالم والمتعلم والكتاب يتنقل بكل حرية في الرقعة الجغرافية المتدة من سواحل الأطلسي الى أواسط آسيا، فكان من نتائج ذلك ان أصبحت الحركة الفكرية تتصف بالمتانة في الأسس والمقومات والاشتراك في كثير من المظاهر "(2).

لقد تناقلت واسط أصداء العلماء وآرائهم ونظرياتهم اللغوية والأدبية والفقهية في مدارس ومجالس العلم بالأندلس، عبر العلماء الذين تتلمذوا فيها وأخذوا من علمائها، وبذلك أصبحت واسط مركز استقطاب لعلماء الأندلس، تنافس كل من بغداد والموصل والبصرة والكوفة. وقد حاول المستشرق الإسباني أميليو كارثيه كومث E. Garcia Gomez ان يبرز في قوة وبيان مدى ماكان للحضارة العراقية من نفوذ طاغ على المدن الأندلسية في عصر الطوائف بالأندلس (400- 484هـ/ 1009- 1091م) التي لم تكن إلا صوراً للمدينة الشرقية العظيمة"(3).

لقد سمحت حرية انتقال الثقافة العربية الإسلامية الى انتقال ألوان الثقافة الشرقية ومنها أفكار مذهبية جديدة من العراق وغيره من الولايات الإسلامية على المذهب المالكي إلى الأندلسي، بعد ان كانت الخلافة الأموية في الأندلس تفرض عليها رقابة قوية وتختار ما يتناسب مع ما يكفل لها السلطة الروحية في البلاد"(4).

لقد حاول الدكتور محمود علي مكي في بحثه بالاسبانية الموسوم "أصول الثقافة المشرقية ودخولها الأندلس"(5). أن يوضح عمق الصلات الفكرية وحجم المؤثرات العراقية في الثقافة الأندلسية، وقد أبرز وأكد الى ان العراق كان المزود الأول والحقيقي للأفكار الفقهية وعلمائها لبلد الأندلس.

وممن زار واسط من مشاهير الأندلسيين من اجل الاستماع والتدوين أو الحصول على الإجازات في العلوم الإنسانية، نخبة كبيرة ومهمة نذكر منهم:

- احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ماسوية بن حمد الأنصاري المعروف بـ ابن الحداد.

---

(1) ابن بطوطة، "تحفة النظار في غرائب الأمصار"، (رحلة) ص 200.

(2) عجيل، كريم، "الحياة العلمية في مدينة بلنسيه"، مؤسسة خرسانه (بيروت 139هـ)، ص 497.

(3) E. Gracia Gomez, Baghdad y su Reinos de Taifas, Revista de Occidente, T. XL III, 1934 مقالة بالاسبانية عن بغداد ودويلات الطوائف، نشرت في مجلة الغرب، السنة 1934، العدد 43، ص 9.

(4) د. مكي، د. محمود علي، "التشيع في الأندلس"، ص 128.

(5) MAKKI, Mahmud Ali, Ensayo Sobre los A portaciones Orientales en la Espana Musulmana, R. del Instuto de Estudios Islamicos en Madrid, Vols. Lx, x, Madrid (1961- 1962). PP. 65- 231, Vols. XI, XII, Madrid (1963- 1964) مقالة بالإسبانية عن "أصول الثقافة المشرقية ودخولها الأندلس" د. محمود علي مكي، نشرت بالإسبانية في مجلة المعهد للدراسات الإسلامية (المعهد المصري) في مدريد. المجلد 11- 12 (مدريد 1961- 1962).

اصله من بلنسية (Valencia) له رحلة الى المشرق سنة 425هـ أدى فيها فريضة الحج، وتجول في بلاد المشرق الأقصى طالباً للعلم بالموصل وبغداد وواسط وبلاد فارس وخراسان وغيرها، وعاد الى مصر سنة 476هـ وقفل بلاده الأندلس، أما الوقت الذي استغرقته رحلة ابن الحداد فيقرب من خمسة عشر عاماً"[1].

وبعد ان يئس ابن الحداد من اللحاق بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين (ت 500هـ/ 1106م) للمشاركة في الجهاد "لقي بها أبا الأصبغ عيسى بن سهل، وكانت له معه مناظرة في مسائل من العلم أدته الى عمل رسالة سماها: "رسالة الامتحان لمن برز في علم الشريعة والقرآن" خاطب بها ابن سهل المذكور، وطلب منه الجواب على مسائل عويصة تدل على قوته في العلم واتساعه"[2].

مسلمة بن القاسم بن عبد الله بن حاتم، يكنى أبا القاسم.

من أهل قرطبة Cordoba، دخل العراق، فسمع بالبصرة من أبي روق الهزاني، وكتب بواسط عن علي بن عبد الله بن ميشر "[3].

أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الازدي الحميدي، الحافظ.

ولد ابوه بقرطبة، وولد هو بالجزيرة بليدة Belda، وأول ماسمع من الفقيه أبي القاسم بن أصبغ، ورحل سنة 448هـ الى مصر ودمشق، وأقام بواسط مدة بعد خروجه من بغداد، ثم عاد الى بغداد واستوطنها وكتب بها كثيراً من الحديث والأدب وسائر الفنون.

كان اماماً من أئمة المسلمين في حفظه ومعرفته وإتقانه وثقته وصدقه ونبله وديانته وورعه ونزاهته، وكان عالماً بالحديث وعلله، ومحققاً في علم الاصول، وكان قد سمع بالأندلس من أبي عبد البر وابن حزن القرطبي ولازمه، وقرأ عليه مصنفاته واكثر من الأخذ عنه واعتنق مذهبه الظاهري، الا انه لم يكن يتظاهر به"[4].

وذكر الحجاري في "المسهب" عن الحميدي: انه طرق ميورقة Mallorca بعدما كانت عطلاً من هذا الشأن وترك لها فخراً تباري به خواص البلدان"[5].

توفي الحميدي ببغداد سنة 488هـ ومن أهم مصنفاته: "جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس" وكتاب "تاريخ الإسلام" وكتاب "من ادعى الامان من أهل الايمان" وكتاب "الذهب السبك في وعظ الملوك" وكتاب "تسهيل السبيل الى علم الترسيل" وكتاب "مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء" وكتاب "ماجاء من النصوص

---

(1) ابن عبد الملك المراكشي، النيل، ج2/ 451- 452. ابن الابار، "التكملة"، ج1/ 23، ابن فرحون المالكي، "الديباج المذهب"، ص 54، عجيل، "الحياة العلمية، ص 503.

(2) ابن الابار، "التكملة"، ج1/ 23 وانظر: عجيل، المصدر السابق، ص 503.

(3) ابن الفرضي، "تاريخ علماء الأندلس"، ج2/ 823، ترجمة رقم 1421.

(4) المقّري، "نفح الطيب"، ج2/ 112- 114، ترجمة رقم 63. وللمزيد من المعلومات عنه انظر ابن بشكوال، "الصلة"، 530، الصفدي، "تذكرة الحفاظ"، 1318، الصفدي، "الوافي بالوفيات"، الذهبي، العبر، ابن خلكان، "وفيات الأعيان"، ج3/ 410، ياقوت الحموي، "معجم البلدان"، ج 18/ 282.

(5) نقلاً عن المقّري، "نفح الطيب"، ج3/ 114.

والأخبار في حفظ الجار" وكتاب "النميمة" وكتاب "الأماني الصادقة" وغير ذلك من المصنفات والأشعار الحسان في المواعظ والأمثال ومن مشهور مصنفاته الفقهية كتاب "الجمع بين الصحيحين".

سليمان بن خلف التجيبي الأندلسي الباجي، المعروف بابي الوليد الباجي (ت 474هـ).

من مدينة باجة Baja من شرق الأندلس، فقيه متكلم وأديب شاعر، وكان من اعظم من حفل بهم تاريخ الأندلس الفكري من الرجال، رحل سنة 426هـ ودرس في المشرق ثلاثة عشر عاماً، فزار كل من بغداد وواسط ودمشق وغيرها، فقال فيه أبو علي الصدفي (ت 514هـ): ما رأيت مثل ابي الوليد الباجي، وما رأيت احداً على هيئة وتوقير مجلسه، وهو ابن شيخ الأندلس"[1].

وقال عنه ايضاً ابن بسام الشنتريني (ت 542هـ) صاحب كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" ما نصه: ان أبا الوليد الباجي نشأ وهمته في العلم، وانه بدأ بالأدب فبرز في ميادينه، وجعل الشعر بضاعته، فقال به من كل الرغائب، ثم رحل فما حل بلداً الا وجده ملآن بذكره، نشوان من قهوتي نظمه ونثره فمال الى علم الديانة، فمشى بمقياس، وبنى على أساس، حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه، ويرتاحون للأخذ عنه"[2].

وعاد أبو الوليد الباجي الى وطنه ليجده فريسة الفوضى والاضطراب، فندب نفسه للإصلاح بين الرؤساء، وتحدث الى بعضهم فلم يصغوا له، واسبردوا نزعته، على حد قول المقري في "نفح الطيب" فانصرف الى القضاء والتدريس والتأليف، وكانت حلقة دروسه من اكبر حلقات الاسماع في الأندلس"[3].

وصنف أبو الوليد مؤلفات كثيرة منها: "التسديد الى معرفة التوحيد" وكتاب "سنن المنهاج وترتيب الحجاج" وكتاب "أحكام الفصول في أحكام الأصول" وكتاب "التعديل والتجريح لمن خرج عنه النجاري في الصحيح" وكتاب "شرح الموطأ" بنسختين وكتاب "المنتقي" في سبع مجلدات في مذهب مالك، وكتاب "الاستيفاء" وكتاب "الايماء" بالفقه في خمسة مجلدات وغيرها.

حسين بن محمد بن فيرة بن حيون، ويعرف بـ أبي علي الصدفي وبـ ابن سكرة، القاضي الشهير.

الشهيد، من أهل سرقطة Zaragoza، سكن مرسيه Murcia وسمع في بلنسيه Valencia وبالمريه Almeria وغيرهما، ثم رحل الى المشرق رحلة سماع وحج حجة طويلة عام 481- 490هـ ولقي بمكة أبا عبد الله الحسن بن علي الطبري، وابا بكر الطرطوشي وغيرهما، ثم سار الى البصرة، وخرج الى بغداد فسمع بواسط من أبي المعالي محمد بن عبد السلام الأصفهاني وغيره، ودخل بغداد سنة 482هـ فأطال الإقامة بها خمس سنين كاملة، وسمع من الحميدي (ت 488هـ) وغيره، وتفقه عند أبي بكر الشاشي، ثم رحل منها سنة 487هـ فسمع بدمشق ومصر وبالاسكندرية، ووصل الى الأندلس في صفر سنة 490هـ. واستوطن مرسيه، ويذكر المقري ان أبا علي الصدفي: "قعد يحدث الناس بجامعها، ورحل الناس من البلدان اليه، وكثر سماعهم عليه، وكان عالماً بالحديث وطرقه، عارفاً بعلله، وأسماء رجاله ونقليه،

---

(1) نقلاً عن المقّري، "نفح الطيب"، ج2/ 67.

(2) المصدر السابق بنفس الصفحة.

(3) مؤنس، "شيوخ العصر"، ص 61.

وكان حسن الخط جيد الضبط، وكتب بخطه علماً كثيراً، وقيده، وكان حافظاً لمصنفات الحديث، قائماً عليها، ذاكراً لمتونها وأسانيدها ورواتبها"[1].

واهم الكتب التي صنفها الصدفي منها: "صحيح البخاري وصحيح مسلم" وقد صنف له ابن الابار (ت 658هـ) كتاباً أسماه "المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي"[2].

تقلد الصدفي قضاء مدينة مرسيه وبعدها فر الى مدينة المرية ليلتحق بالجهاد في وقعة كتندة Cotanda (عام 514هـ/ 1120م) فاستشهد فيها ونجا منها زميله أبو بكر بن العربي"[3].

عبد العزيز بن علي بن محمد بن مسلمة، أبو الاصبغ وقيل أبو حميد الأندلسي المعروف بـ ابن الطحان الاشبيلي.

ولد باشبيلية Sevilla سنة 498هـ وقرأ على جماعة ببلده منهم أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني، وبقرطبة سمع من يحيى بن سعادة، ودخل بغداد فسمع من شيوخها، وصار الى واسط فقرأ عليه القراءات بها جماعة سنة 559هـ. وابن الابار قال: "وسمعت غير واحد يقول: ليس بالمغرب أعلم بالقراءات من ابن الطحان"[4].

توفي ابن الطحان عام 559هـ بحلب، وله من المصنفات كتاب "نظام الأداء في الوقف والابتداء" و "مقدمة في مخارج الحروف" و "مقدمة في أصول القراءات" وكتاب "الدعاء" حيث كان من القراء المجودين الموصوفين بالإتقان ومعرفة وجوه القراءات"[5].

يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد، أبو بكر الأزدي القرطبي، الملقب بـ ضياء الدين.

احد الأئمة المتأخرين في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك.

قال عنه ابن خلكان: "انه رحل من الأندلس في عنفوان شبابه وقدم مصر فسمع بالإسكندرية ودخل بغداد سنة 517هـ وقرأ بها القرآن الكريم، وسمع عليه كتباً كثيرة منها "كتاب سيبويه" وقرأ الحديث، وكان دنياً ودعا عليه

---

(1) المقَّري، "نفح الطيب"، ج2/ 91- 92، ترجمة 48، المقَّري، "أزهار الرياض"، ج3/ 52. وانظر: القاضي عياض، "ترتيب المدارك"، ج1/ 601، 804، ج2/ 16، 26، 30 وغيرها، ابن فرحون، "الديباج المذهب"، ص 38، مؤنس، "شيوخ العصر"، ص 91.

(2) ابن الابار، "المعجم في أصحاب القاضي الصدفي".

(3) كتنده Cotanda تقع بالقرب من دروقة Daroca. انظر الحميري، "الروض المعطار"، ص 235 "دروقة مدينة بالاندلس من عمل قلعة أيوب Calatayud عظيمة في سفح جبل، وهي من عجائب البنيان، وقيل بين دروقة وبين قلعة أيوب ثمانية عشر ميلاً، وبينها وبين سرقسطة Zaragoza خمسون ميلاً".

(4) عند المقَّري، "نفح الطيب"، ج2/ 634 ترجمة 259، ابن الابار، "التكملة"، ص 628 ترجمة 1759، ابن النجار، "ذيل تأريخ بغداد"، ج15/ 256، ترجمة 924، الدبيثي، "المختصر المحتاج اليه"، ج3/ 45- 46 ترجمة 821. ابن الجزري، "غاية النهاية"، ج1/ 395.

(5) المقَّري، "نفح الطيب"، ج2/ 634. ابن الجزري، "غاية النهاية"، ج1/ 395، ذكر له كتاب "شعار الاخيار الابرار في النسيج والاستقار".

وقار وسكينه، وكان ثقة صدوقاً ثبتاً نبيلاً قليل الكلام كثير الخيران مفيداً، أقام بدمشق مدة، واستوطن الموصل، ورحل الى اصبهان ثم عاد الى الموصل، وأخذ عنه شيوخ ذلك العصر "[1].

روى عنه بواسط محمد بن محمد الحلي، وكان بهاء الدين بن شداد (ت 632هـ) قاضي العسكر في جيش السلطان صلاح الدين الأيوبي، وصاحب كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" يفتخر برواية أبو بكر القرطبي، وروى عنه. وولد أبو بكر القرطبي عام 486هـ بقرطبة وتوفي بالموصل سنة 567هـ، ومن اهم مصنفاته "دلائل الأحكام"[2].

أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خطاب المغربي الأندلسي (ت 595هـ).

من علماء الحديث في المغرب والأندلس، رحل الى المشرق وقدم بغداد عام 587هـ والتقى فيها برجال الحديث، ثم غادرها الى واسط، وقرأ بها القرآن الكريم على أبي بكر الباقلاني (ت 593هـ)"[3].

محمد بن عبد الله بن محمد، أبو عبد الله المرسي السلمي.

الأديب النحوي المفسر المحدث، خرج من الأندلس سنة 607هـ من مرسيه Murcia، وتنقل في البلاد وقدم الى واسط، وسمع بها الحديث من الشيخ أبي طالب بن عبد الرحمن بن عبد السميع الهاشمي الواسطي والشيخ أبي الفتح بن المندائي (ت 605هـ)"[4].

إبراهيم بن محمد بن ابراهيم بن همام الأندلسي الاشبيلي، أبو إسحاق (ت 615هـ).

رحل الى المشرق وزار بغداد وسمع الحديث بها، ثم قصد واسط، وسمع الحديث من أبي الفتح ابن المندائي "[5]. وحدث ببغداد وخراسان وغيرها.

---

(1) ابن خلكان، "وفيات الأعيان"، ج5/ 219 (باختصار). ابن الجزري، "غاية النهاية"، ج2/ 372، المقّري، "نفح الطيب"، ج2/ 118، ترجمة 65. الدبيثي، "المختصر المحتاج اليه"، ج3/ 243، ترجمة 1345، ابن تغري بردي، "النجوم الزاهرة"، ج6/ 66، ابن الأثير، "الكامل"، وفيات سنة 567.

(2) المقّري، "نفح الطيب"، ج2/ 118.

(3) عبد الله بن منصور بن عمران الواسطي، المعروف ب، أبي لكر الباقلاني (ت 593هـ) من مشاهير علماء واسط في الحديث. انظر ترجمته عند المنذري، "التكملة لوفيات النقلة"، ج1/ 1381.

(4) محمد بن احمد بن بختيار بن علي ابو الفتح المندائي الواسطي من مشاهير علماء واسط، تتلمذ عليه عدد كبير من علماء الأندلس والمشرق (ت بواسط عام 605هـ). انظر ترجمته عند الدبيثي، "المختصر المحتاج اليه، وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد" ج15/ 11 ترجمة 30. وعن أبو عبد الله المرسي، انظر: ياقوت الحموي، "معجم الأدباء" 18/ 211، السيوطي، "بغية الوعاة"، ج1/ 44، 145- المعاضيدي، "واسط في العصر العباسي"، ص 330.

(5) المقّري، "نفح الطيب"، ج2/ 517 ترجمة 30.

عبد العزيز بن الحسين بن عبد العزيز بن هلالة اللخمي الأندلسي الطبري، أبو محمد.

ولد عام 577هـ ومن المرتحلين من الأندلس الى المشرق، ورحل فسمع بمكة وبغداد وبواسط من أبي الفتح بن المندائي وباصبهان، وبخراسان. وذكره المقري بقوله: "وخطه مليح مغربي في غاية الدقة، وكان كثير الأسفار، ديناً متصوفاً كبير القدر"[1].

وقال ابن نقطة عنه: "كان ثقة فاضلاً، صاحب حديث وسنة، كريم الأخلاق"[2]. وقال عنه ايضاً مفضل القريشي: "كان كثير المروءة غزير الإنسانية، وقال ابن الحاجب (في حقه) كان كيس الأخلاق، محبوب الصورة، لين الكلام، كريم النفس، حلو الشمائل، محسناً الى أهل العلم بماله وجاهه"[3].

توفي بالبصرة عاشر رمضان سنة 617هـ"[4].

مجد الدين عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميل بن فرج بن خلف، أبو الخطاب بن دحية الكلبي البلنسي، الحافظ، الظاهري المذهب.

ولد بمدينة بلنسية Valencia سنة 544هـ. كان أبو الخطاب بن دحية من كبار المحدثين، ومن الحفاظ الثقاة الإثبات المخلصين، وهو من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث النبوي الشريف، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب، استوطن بجاية Pechina والمرية Almeria، ويقول عنه المقري: "انهمن احفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملاً غالباً، ولا يحفظ الإنسان من اللغة حوشيها إلا وذلك أضعاف محفوظ من مستعملها وكان قصده- والله تعالى اعلم- ان ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره... له رسائل مخاطبات كلها معلقات مقفلات"[5].

وقال ابن خلكان عنه: "وكان أبو الخطاب من أعيان العلماء، ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها واشتغل بطلب الحديث في اكثر بلاد الأندلس الإسلامية، ولقي بها علماء ومشائخها ثم رحل منها بر العدوة ودخل مراكش واجتمع بفضلائها، ثم ارتحل الى أفريقية ومنها الى الديار المصرية ثم الى الشام والعراق، وسمع ببغداد من بعض أصحاب الحصين، وسمع بواسط من أبي الفتح محمد بن احمد بن المندائي"[6].

وقال عنه أبو جعفر بن الزبير في كتابه "صلة الصلة" مانصه: "وكان معتنياً بالعلم مشاركاً في فنون منه، مجتهداً معتنياً بالأخذ عن الشيوخ، ذاكراً للتاريخ والأسانيد ورجال الحديث والجرح والتعديل".

أما ابن الابار (ت 658هـ) فذكر عنه: "وكان بصيراً بالحديث معتنياً بتقييده وكباً على سماعه".

---

(1) المصدر السابق، ج2/ 626 ترجمة 245.

(2) نقلاً عن المقّري، نفس المصدر السابق والصفحة.

(3) ذكره المنذري، "التكملة"، وفيات سنة 617، الترجمة 1759. وانظر: الدمياطي (المستفاد من ذيل تاريخ بغداد) (مخطوط ج5/ ورقة 48ب) نقلاً من المعاضيدي/ واسط في العصر العباسي، ص 33.

(4) المقّري، "نفح الطيب"، ج2/ 99 ترجمة 55.

(5) المقّري، "نفح الطيب"، ج2/ 99 ترجمة 55.

(6) ابن خلكان، "وفيات الأعيان"، ج3/ 448- 449، ترجمة 497.

توفي ابن دحية الكلبي بالقاهرة عام 633هـ بعد ان صنف اكثر من عشرين كتاباً في أبواب لأغراض متعددة، ومن الجائز انه قد ادخل هذه المؤلفات الى واسط أو انه صنفها بها، ومن هذه الكتب: "المطرب من أشعار أهل المغرب" و "التنوير في مولد السراج المنير" و "النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس" و "وهج الجمر في تحريم الخمر" وغيرها.

القاضي أبي القاسم بن سلمون الغرناطي (ت 767هـ).

الغرناطي المولد والنشأة، ولد بغرناطة عام 688هـ ودرس منهج تاج الدين أبو الحسن بن احمد بن الحسن الغرابي، نسبة الى غراب بلدة في ارض واسط، وكان فقيهاً، جليلاً، فاضلاً، بصيراً بعقد الشروط والأحكام".

حمد بن خليفة بن عبد الجبار بن خليفة بن محمد بن خليل بن مسلم البلوي.

المؤدب من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله تناقل أخبار من كتاب احمد بن الحسين البرجلاني، وبرجلان قرية بواسط".

وبهذا نرى عمق الصلات الفكرية بين واسط وغيرها من مدن العراق التي شهدت في أواخر القرن الثالث وحتى نهاية القرن الخامس الهجريين نهضة علمية كبيرة نضجت فيها العلوم على اختلاف أنواعها ونمت وازدهرت". وقد تصدرت علوم اللغة والقرآن الكريم والحديث الشريف قائمة العلوم التي اهتمت بها كل من الأندلس ومدينة واسط وعلمائها، أضف الى ذلك العلوم الأخرى، لما كان لها من دور وأهمية إبان هذه الفترة الإسلامية.

هذا غيض من فيض كثير من المعلومات التي أوردتها لنا المصادر الأندلسية والمشرقية عن الصلات الفكرية، فضلاً عن ان هذه المصادر سهت عن ذكر أغلب الأندلسيين الذين وفدوا على العراق وزاروا واسط لطلب العلم، ومن الجائز ان تكون لهم محلة خاصة بهم في ارض واسط، لكثرتهم واستقرار بعض منهم، شأنهم في ذلك شأن الزوار المستقرين كالانباريين مثلاً وغيرهم.

وبهذا أتوضح صورة العلاقات الثقافية بين الأندلس وواسط وتطورها عبر التاريخ الإسلامي وازدهارها في ميادين العلوم الإنسانية، وما قدمناه يمثل صوراً حية من بطون التراث في العصر الأموي والعباسي يوضح دور العلم والعلماء في المجتمع العربي الإسلامي وعمق الروابط الثقافية بين حضارتين تفصلها الجبال والبحار والصحاري والمسافات الطويلة والمخاطر المهلكة في الوقت الذي كانت فيه وسائل المواصلات متخلفة، ولكن الأيمان بالعلم كان الغاية من اجل تحقيق الأهداف النبيلة التي يستهدفها العلم ورجاله.

ملحق رقم 1

الترجمة العربية عن الإسبانية لمفردات البحث الموسوم: "أصول الثقافة المشرقية ودخولها الأندلس (إسبانيا الإسلامية)" للدكتور محمود علي مكي، نشر بالإسبانية في إعداد مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد إسبانيا (الأعداد: 9- 12، السنوات 1961- 1964) صفحات النص المترجم في الصفحات 8- 123 العدد: 11، 12، 1963- 1964.

Ensayo SOBRE Las Aportaciones Orientales enLa
Espana Musuimana Ysu Intuencia enLa
Formacion de La Cultura Hispano Arabe
Capitulo Cuarto: AL- Iraq Yla Espana Musulmana

الفصل الرابع: العراق وإسبانيا الإسلامية (الأندلس)

En la vida Politica: Los Partidos en el Iraq Ysus Repercisiones Espana.

الحياة السياسية، الأحزاب في العراق وصداها في إسبانيا

الحزب العباسي ص 8

1. El partido Abbasi

المذهب الشيعي

2. El partido Chlla

الحزب الخارجي ص 11

3. El partido Jariyi

في الحياة الاجتماعية والإدارية ص 16

4. En Lavida Socialy Administrativa

في الحياة الدينية ص 20

5. En Lavida Religiosa

In Fluencia de La Jurisprudencia Iraqi en Espana

المؤثرات الفقهية العراقية في إسبانيا (الأندلس) ص 21

المدرسة الحنفية في إسبانيا ص 21

La Escuela hanafi en Espana

من مشاهير اعلامها بالأندلس:

1. محمد بن عيسى القرطبي المعروف بـالأعشى (ت 221هـ/ 835م).
2. محمد بن سليمان من مدينة وشقه Huesca، وكان قاضياً في مدينة سرقسطة Zaragoza ووشقة (ت 296هـ).
3. احمد بن سليمان واصله من القيروان وسكن بجانه (بالمرية) Pechina (ت 296هـ/ 908م).
4. عبد الرحمن بن بكر، من تاهرت بالجزائر، وكان مقيماً في قرطبة Cordoba.
5. صحيب بن منيع، قاضي اشبيلية Sevilla (ت 318هـ/ وربما 330هـ).
6. سعيد بن جبير الكلاعي (ت 325هـ/ 937م).
7. ثابت بن قاسم من سرقسطة (ت 325هـ/ 963م).

وفي نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين لم يكن للمذهب الحنفي أهمية كبيرة وتاريخ واضح في الاندلس، ماعدا ما قام به أبو الوليد الباجي (ت 474هـ/ 1081م) الذي درس وتفقه في مدينة واسط. وابو بكر بن العربي (ت 543هـ/ 1148م) الذي زار العراق، حيث عملوا على إدخال أفكار حنفية ومسائل مهمة في المذهب المالكي وتفسيره.

نشاط المحدث في العراق ص 25

Actividad Tradicionista en Iraq

نشاط المحدث في إسبانيا (الأندلس) ص 28

Actividad Tradicionista en Espana

وقد ظهر في علم الحديث نخبة من الأندلسيين منهم:

1. محمد بن وضاح القرطبي (ت حوالي 297هـ/ 900م) وله رحلة الى العراق عام 218هـ/ 833م زار فيها ايضاً ولايات إسلامية أخرى كالقيروان ومصر واستمع ودون وحصل على الإجازات من علمائها وفقهائها.
2. بقي بن مخلد (ت بقرطبة سنة 276هـ/ 889م) من عائلة أندلسية عريقة النسب، ودرس على نفس الفقهاء الذين تتلمذ على أيديهم ابن وضاح.

Discipulos de Ibn Waddah Y Baqi- Reconciliacion entrela Jurista Prudencia Yla Tradicion

تلاميذ ابن وضاح وبقي بن مخلد، العلاقة بين الفقه والحديث ص 36

نخبة من الفقهاء والمحدثين الأندلسيين الذين رحلوا للعراق للاستماع والدراسة والتدوين والحصول على الإجازات بفترة متقاربة من الزمن وهم:

1. ابن حيون الحجاري، من وادي الحجارة Guadalajara (ت 305هـ/ 917م).
2. ابن فطيس، من البيرة EALVIRA (ت 319هـ/ 931م).
3. قاسم بن ثابت، من سرقسطة (ت 302هـ/ 914م) وألف واهتم بتدوين الغريب من الحديث.
4. ابن الأحمر، أبو سعيد يونس (ت 358هـ/ 969م) وألف "المسند" ضم 4033 حديث.
5. احمد بن دحيم بن خليل القرطبي (ت 338هـ/ 949م) وكان قاضياً في طليطلة Toleda.
6. قاسم بن أصبغ، من بيانة (قرطبة) Baena، الف كتاب "المصنف" و "المجتبى" في ست أجزاء الى الخليفة الحكم المستنصر بالله (ت 366هـ/ 976م) ضم 2490 حديثاً. وكان قاسم من المدافعين عن الثقافة العراقية التي كونته.
7. ابن أيمن (ت 330هـ/ 941م) وكان صاحب ابن قاسم الذي لا يفارقه، ودرس معه في العراق، وصنف ايضاً كتاب "المصنف".
8. احمد بن خالد الجباب (ت 322هـ/ 934م) من تلاميذ بقي وابن وضاح، حيث درس في العراق، وكان عالماً يجمع بين الحديث والفقه.
9. خالد بن سعيد (ت 325هـ/ 963م)، اهتم بعلم الجرح والتعديل، من تلاميذ ابن حيون، وابن فطيس وابن ايمن.
10. احمد بن عيسى بن حزم (ت 350هـ/ 961م) قام برحلة الى العراق عام 311هـ/ 923م، وصنف كتاباً في 85 جزء عن الفقهاء في الأندلس والمغرب والمشرق.
11. ومن فقهاء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) في الأندلس: محمد بن يحيى بن لباب المعروف بالبرجون (ت 330هـ/ 941م) القاضي بالبيرة وصاحب العقود في قرطبة.
12. عبد السلام بن مغيث (توفي بعد سنة 350هـ/ 961م).

المدرسة (المذهب) الظاهري، ص 42

- La Escuela Zahiri

في منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) انتشر في العراق المذهب الشافعي، أصبحت بغداد بعد فترة قصيرة زعيمة الشافعية بعد ان كان هذا المذهب سائداً في الفسطاط وفي فترة متأخرة تظهر مجموعة من الشافعيين في خلافة الحكم المستنصر بالأندلس وكان اصلها من بغداد.

أما عبد الله بن قاسم بن هلال القرطبي (ت 272هـ/ 884م) فكان تلميذاً لداود بن علي بن اصبهان (ت 270هـ/ 883م) مؤسس المذهب الشافعي.

علي بن نوادر البرمكي، تاجر عراقي أصله من بغداد حضر الى الأندلس عام 337هـ/ 948م وكان يدين بالمذهب الظاهري، وقد استقبله الخليفة عبد الرحمن الناصر حيث رافقه ابنه الحكم المستنصر بالله.

أما ابن حزم القرطبي (ت 456هـ/ 1063م) فقد اعتنق المذهب الظاهري في الأندلس، وكان من المدافعين عنه، علماً بان المذهب الظاهري لم يلقي الاهتمام والشعبية من الأندلسيين مثل الخطوة التي تمتع بها المذهب المالكي.

Espana Ladireccion Maliki de Iraq Ysu influenciaen44 ص

الاتجاه المالكي في العراق ومؤثراته على الأندلس

في منتصف القرن الثالث الهجري انتشر المذهب المالكي في العراق وظهرت مجموعة تدين به وتدافع عنه، من عائلة بني حماد ببغداد، ومن أبنائها إسماعيل بن أصبغ، قاضي القضاة ببغداد (ت 282هـ/ 895م) وقد أشاد به الفقيه أبو الوليد الباجي وجعله بالمرتبة الثانية بعد مالك بن انس. استمرت عائلة بني حماد تدين وتدافع للمالكية قرابة قرن ونصف، أي حتى القرن الخامس الهجري.

واما أيوب بن سليمان، واصله من قرطبة، فكان من تلاميذ إسماعيل، وقد ادخل كتب العراق التي تتحدث عن المالكية، أضف الى ذلك قاسم بن اصبغ (ت 340هـ/ 951م) الذي تأثر هو الآخر باسماعيل المالكي وصنف كتاب "أحكام القرآن".

- El Mutalismodel Iraq Ysu Influencia en La Espana Musulmana

المذهب المعتزلي في العراق ومؤثراته في إسبانيا الإسلامية ص 48

المعتزلة في إسبانيا ص 49

El Mutalismo en Espana

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الثاني استفادت الحضارة الأندلسية من الثقافة العراقية، حيث كان المورد الحقيقي لها، وان اغلب الرحلات العلمية للأندلسيين توجهت للعراق، وكان لامناص منها لتسلل إليه للاستفادة من ثقافته.

المعتزلة والسلطة ص 50

El Mutazilismo Y el Estado

اهم السمات البارزة على المعتزلة ومذهبهم في الأندلس:

1. من خلال تطور الزمن، تبين للأمويين في الأندلس، بان مذهب المعتزلة لم يلقى التأييد في المشرق بل بالعكس واجه المحاربة والتهديد.
2. غالباً ما كان يشكل المذهب المعتزلي موقف خطر امام الأمويين شأنه شأن الخوارج والشيعة والعباسيين.
3. ان الموقف السياسي والروحي للإسلام في الأندلس كان في وضع حرج وخطر منذ بداية حكم الأمير عبد الرحمن الثاني، وذلك للحركات المعادية التي واجهته من المسيحيين والمستعربين.

Los primeros Mutaziles Espanoles.

المعتزلة الأوائل في إسبانيا ص 55

- عبد الإله علي بن وهب (ت 261هـ/ 874م) وكان قاضياً لقرطبة، وبعد تعلمه في إسبانيا رحل الى المشرق، فدرس على يد أصبغ بن فرج بمصر (ت 218هـ/ 833م).
- فرج بن سلام، من قرطبة (ت 255هـ/ 868م).
- خليل بن عبد الملك المعروف بـ خليل عقله (عاش في منتصف القرن الثالث الهجري) ورحل الى العراق.
- يحيى بن يحيى القرطبي المعروف بـ ابن سمينة (ت 315هـ/ 927م).

Eimutazilismo durante ladictdyra Amiri

المعتزلة أثناء فترة الاستبداد العامري ص 59

ومن معتنقي هذا المذهب بهذه الفترة (العامرية)

1. عائلة بنو حدير (حدير بن موسى بن محمد، شغلت المنصب في حكم الأمير الحكم الأول).
2. عائلة بنو سعيد (منهم منذر بن سعيد) القاضي الأعلى بقرطبة.

Consolidacionde la Ortodoxia en Espana: ص 63

توطيد صحة المعتقد (للمعتزلة) في إسبانيا (الأندلس).

- Enlavida Literaria الحياة الأدبية ص 66

Lavida Literaria en el Iraq. Lainnovacion de los Modernistas

الحياة الأدبية في العراق، الإبداعات للمحدثين ص 66

a- la poesta الشعر ص 67

- Infiuencia del Iraq en la Poesla Arabiog- Espanola

المؤثرات العراقية في الشعر العربي الأندلسي ص 69

مقدمة في الشعر الحديث ص 69

- Intriduccion de la Poesla Modernlsta

- Influencia de la poesla Modernista en lost emosdela Poesla Arabigo- Espanola.

المؤثرات في الشعر الحديث في مواضيع الشعر العربي الأندلسي ص 73.

1. Poesla baquica .شعر الخمر ص 73
2. Poesla pronografica .شعر الوصف ص 75
3. Poesla .شعر الهجاء ص 78
4. Poesla Ascetica .شعر الزهد (التصوف) ص 79

- inflencia de la poesla Neo- Closica en la poesla Hispan- Musulmana

مؤثرات الشعر المعاصر في الشعر العربي الأندلسي ص 81

- La prosa النثر ص 86
- La Gramaticay La lexicografia القواعد وتاليف القاموس ص 88
- Actividad de los Iraqies en estasciencias

المؤثرات العراقية في هذه العلوم ص 88

- Escuela de Baseraمدرسة البصرة ص 89
- Escuela de Kufaمدرسة الكوفة ص 92
- Desarrollo de la Literatura gramaticaly lexico grafica en la Espana Musulana

تطور الأدب النحو وتصنيف القاموس في إسبانيا الإسلامية ص 92

- Las Obras gramaticales orientales ysn diffusion enle Espana Musulmana

الاعمال النحوية المشرقية ومدى انتشارها في إسبانيا الإسلامية ص 97

- Lasobras Lexicografica Orientalesles en Espana

الأعمال لتأليف القواميس (المعاجم) المشرقية في إسبانيا ص 100

- Las Primeras Obras Originaes de los espanoles sobre gramatica y lexicografia

الأعمال الاصيل الأندلسيين في النحو والمعاجم ص 103

- Difusion en Espana de las obras oriente les de tipo Miscelaneo

انتشار الأعمال الجامعة للمشرق في الأندلس ص 106

- Ibn Abd Rabbihi y su Iqd al- Farid

ابن عبد ربه والعقد الفريد ص 113

- Abu Ali al- Qali y la Cultura oriental en Espana

أبو علي القالي والثقافة المشرقية في إسبانيا (الأندلس) ص 115

- Conclusion: Formacion y per Feccion de

الاستنتاج

- La personalidad Hispano- Musulmana durante la epeca del caliphate

التركيب والإتقان في الشخصية الأندلسية خلال عصر الخلافة ص 117

Bosguejo historiee -مجمل تاريخي ص 117

الشخصية الأندلسية- Degeneracion de la persenalided his- Musulmana

ملحق رقم 2

تراجم أندلسية من علماء وفقهاء وأدباء قصدت العراق للدراسة والبحث والإجازة، وليس من المستعبد انها زارت واسط فأفادت واستفادت من مناهلها العلمي. ومن مشاهيرها:

محمد بن عيسى القرطبي، أبو عبد المعروف بالأعشى (ت 221هـ).

رحل سنة 175هـ فذهب الى العراق مخالفا بذلك زملاءه الأندلسيين الذين كانوا في ذلك الوقت يترددون على المدينة للتفقه على مذهب مالك بن أنس، وقد نقل الى الأندلس من كتب العراق منها كتاب المحدث وكيع بن الجراح.

انظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص10، 11، القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج1/ 501، 510، 550، 553، 566، ج2/ 32، 142، 678: مكي، الشيخ في الأندلس.

يحيى بن الحكم البكري الجياني الملقب بـ الغزال لجماله، شاعر الأندلس (ت 250هـ).

اصله من جيان Jaen، ولد سنة (154هـ) وكان رجلاً حكيماً أرسله الأمير عبد الرحمن بن محمد (الأوسط أو الثاني ت 238هـ) من الأندلس سفارة الى بلاط مالك النورماند، رحل الى العراق بعد وفاة الشاعر أبي نؤاس.

قال عنه ابن حيان القرطبي في "المقتبس" كان الغزال حكيم الأندلس، وشاعرها وعرافها، عمر اربع وتسعين سنة، ولحق إعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالأندلس.

المقري/ "نفح الطيب"، ج2/ 254 ترجمة رقم 165، ابن دحية الكلبي، "المطرب من أشعار أهل المغرب، ص 133 وقال عنه (أقام الغزال في رحلته تلك مرة يتجول في ديار المشرق، وما انفك في كل قطر منه من غريبة يطلعها، وطريقة يبدعها، ثم انه رجع الى نفسه وحن الى مسقط رأسه وانصرف الى الأندلس". أنخل جنثالث بالنثيا A. C. Palencia، تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة د. حسين مؤنس) ص 55.

- عباس بن ناصح الثقفي الجزيري (ت 250هـ) اصله من الجزيرة الخضراء Algeciras، بعثه الأمير عبد الرحمن الثاني من الأندلس الى العراق للاطلاع على الحركة الثقافية منه والحصول على المؤلفات في الفلسفة والطب والفلك وغيرها.
- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1/ 45، ابن دحية الكلبي، (المطرب في من أشعار أهل المغرب)، ص 133، القاضي عياض، (ترتيب المدارك) ج1/ 203، 272، المقري (نفح الطيب)، ج1/ 633: ليفي بروفنسال Levi Provencal، (حضارة العرب في الأندلس) ص 51، مكي "التشيع في الأندلس" ص 104.

محمد بن عبد السلام القرطبي، أبو عبد الله (ت 286هـ).

سمع ببغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام وبالبصرة وبمكة ومصر، وادخل الأندلس علماً كثيراً من الحديث واللغة والشعر.

المقري، "نفح الطيب" ج2/ 236 ترجمة رقم 148.

قاسم بن ثابت، أبو محمد، العوفي، السرقسطي (ت 302هـ).

رحل مع ابيه الى مصر ومكة والعراق، فادخلا الى الأندلس علماً كثيراً، وكان قاسم عالماً بالحديث واللغة متقدماً في معرفة الحديث والنحو والشعر.

انظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة 1060، المقري، "نفح الطيب" ج2/ 49 ترجمة 15.

ابن حيان المهاجري (ت 305هـ).

من وادي الحجارة Guadalajara، درس على يد بقي بن وضاح، رحل إلى العراق وقضى فيه 15 سنة يتحدث عن العلم.

انظر ابن الفرضي، تاريخ "علماء الأندلس"، ترجمة 1164.

أبو عبد الله محمد بن فطيس الغافقي، الالبيري، الزاهد (ت 319هـ).

من البيرة Elvira، قال الحميدي عنه: هو من أهل الحديث والحفظ والفهم والبحث عن الرحلة. رحل الى المشرق عام 257هـ فزار مصر والعراق، وروي بالأندلس عن جماعة منهم بقي بن مخلد وابن وضاح. وسمع بمكة وغيرها من مائة شيخ. وقال ابن الفرضي في حقه: كان شيخاً نبيلاً، ضابطاً لكتبه، ثقة في روايته، صدوقاً في حديثه، مات وهو ابن تسعين سنة.

انظر الحميدي، "جذوة المقتبس"، ص 78، ابن الفرضي، "تاريخ علماء الأندلس" ج2/ 42، "بغية الملتمس"، ترجمة رقم 252، المقري، "نفح الطيب"، ج2/ 62، ترجمة 36.

احمد بن سعيد بن حزم (ت 320هـ).

رحل الى العراق عام 311، الف موسوعة في 85 مجلد، ذكر فيها تراجم اندلسية ومشرقية.

انظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة 140، الحميدي، جذوة المقتبس، ترجمة 213.

احمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان، ويعرف بـ ابن الحباب (ت 322هـ).

قرطبي الأصل ومن تلاميذ بقي بن مخلد وابن وضاح، اكمل دراسته بالعراق. وقال عنه ابن فرحون المالكي: كان بالأندلس امام وقته غير مدافع في الفقه والحديث والعبادة ضابطاً متقناً خيراً فاضلاً ورعاً منقبضاً متقشفاً جمع علوماً جمة.

انظر ابن الفرضي، "تاريخ علماء الأندلس"، ترجمة 94، الحميدي/ جذوة المقتبس، ص 204، ابن فرحون "الديباج المذهب"، ص 34.

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبي (ت 328هـ).

سمع من بقي بن مخلد، ورحل الى مصر ومكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والإسكندرية والقيروان وسمع بها من مائة وستين رجلاً. قال فيه أبو محمد الباجي: لم أدرك بقرطبة اكثر حديثاً منه، وكان عالماً بالفقه، متقدماً في علم الوثائق رأسا فيها، وكان مشاوراً، سمع من الناس كثيراً، وكان ثقة صدوقاً.

انظر: الحميدي: "جذوة المقتبس"، ص 80، بغية الملتمس، ترجمة 260، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2/ 48، المقري/ "نفح الطيب"، ج2/ 62 ترجمة 37.

ابو عبد الله محمد بن عبد الملك بن ايمن بن فرج القرطبي (ت 330هـ بقرطبة).

سمع من محمد بن وضاح وأخذ من قاسم بن اصبغ، ورحل الى المشرق عام 274، فزار مصر والعراق وادرك به عبد الله بن احمد بن حنبل، وقال فيه الحميدي وابن حزم القرطبي انظر: ابن الفرضي، "تاريخ علماء الأندلس"، ج2/ 52، الحميدي، "جذوة المقتبس" ص 63، الضبي، "جذوة المقتبس"، ترجمة 197، المقري، "نفح الطيب"، ج2/ 237، ترجمة 1490، ابن فرحون الديباج المذهب، ص 320.

أحمد بن رحيم بن خليل (ت 338هـ).

تولى القضاء في طليطلة Toledo، ورحل الى العراق لدراسة الحديث.

انظر: ابن الفرضي، "تاريخ علماء الأندلس"، ترجمة 110.

قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف، أبو محمد البياني (من بيانه Baena) ت 340هـ.

درس مع ابن وضاح، وليس لديه الحظوة للتعليم هل بقي بن مخلد، ورحل مع زميله ابن ايمن القرطبي عام 274هـ الى العراق، وتعلم على مشاهير الفقهاء مثل أحمد بن حنبل ومحمد بن اسماعيل الترمذي من مؤلفين السنة. وأصبح ابن أصبغ من المدافعين عن الثقافة العراقية، وكان بصيراً بالحديث، نبيلاً في النحو والعربية والشعر.

انظر: ابن خير، "الفهرسة"، ص 206، النباهي، المرقبة العليا، ص 84، ابن فرحون/ "الديباج المذهب"، ص 222، المقري، "نفح الطيب"، ج2/ 47 ترجمة 14.

محمد بن معاوية بن عبد الرحمن المعروف بـ ابن الاحمر (ت 358هـ).

رحل من الأندلس الى العراق عام 295هـ ثم مصر ورجع الى الأندلس عام 325، وألف كتاب "المستن" الذي يحتوي على 4033 حديث، وذكر فيه 3560 رواية.

انظر: ابن الفرضي/ "تاريخ علماء الأندلس" ترجمة 1287ج2/ 46-47، الحميدي/ "جذوة المقتبس"، ص 87 (ترجمة 140). ابن خير، "الفهرسة" ص 143.

عبد الله أبو محمد الاصلي (ت 392هـ)

أصله من كورة شذونه Sidonia ورحل الى العراق ولقي به الابهري رئيس المالكية، وأخذ عنه الابهري، وحدث عن الدار قطني ومكث في المشرق نحو ثلاثة عشر عاماً، وسمع ببغداد، ثمن انصرف الى الأندلس بموت الخليفة الحكم المستنصر. ألف كتاباً على الموطأ سماه "الدليل".

انظر: ابن فرحون، "الديباج المذهب"، ص 138- 139.

أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي (ت 520هـ).

من طرطوشه Tartosa، صحب القاضي ابا الوليد الباجي، ثم رحل المشرق سنة 476هـ ودخل بغداد والبصرة فتفقه على أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني، وتقدم في الفقه مذهباً ومن تصانيفه: كتاب "سراج الملوك" و "مختصر تفسير الثعالبي" و "الكتاب الكبير في مسائل الخلاق" وكتاب "في تحريم جبن الروم" وكتاب "بدع الامور ومحدثاتها" وكتاب "شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد".

انظر: ابن بشكوال، "الصلة"، ج2/ 545، الضبي/ "بغية الملتمس"، ص 125- 129، ابن فرحون/ "الديباج المذهب"، ص 276، المقري، "نفح الطيب"، ج2/ 85 ترجمة 46، المقري/ "ازهار الرياض"، ج3/ 162، أنخل حونثالث بالنثيا "تاريخ الفكر الاندلسي"، ص 174.

يوسف بن علي بن محمد بن عبد الله بن علي القضاعي (ت 542هـ).

من أهل أنده وسكن المرية. دخل العراق قاصداً بغداد للدراسة والتدوين، ورحل الى البصرة واستمع الى مشاهير شيوخها.

انظر: ابن الزبير/ "صلة الصلة"، ص 206، ترجمة 400.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، السلمي، المرسي (ت 655هـ).

ولد بـ مرسيه Murcia عام 570هـ وخرج من بلاد المغرب سنة 607هـ ودخل مصر والحجاز ودخل مع قافلة الحجاج الى بغداد، واقاه بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاق والاصلين بالنظامية ثم سافر الى خرسان، وسمع نيسابور وهراة ومرو. وعاد الى بغداد.

كان من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم من علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والنحو واللغة. ومن مؤلفاته "ري الظمآن" و "الضوابط الكلية" في النحو، وتعليق على الموطأ.

انظر: المقريظن "نفح الطيب"، ج2/ 241- 242 ترجمة 158.

أبو عبد الله ويقال أبو حامد، محمد بن عبد الرحيم المازني، القيسي الغرناطي (ت565هـ بدمشق).

له رحلة دخل فيها الاسكندرية سنة 508هـ ودخل بغداد عام 556هـ ثم خراسان، ثم رجع الى الشام، وأقام بحلب سنين، وكان يذكر في رحلته أنه رأى عجائب في بلاد شتى، وصنف كتاب "تحفة الالباب" وكان حافظاً عالماً، وأديباً.

انظر: المقري/ "نفح الطيب"، ج2/ 235، ترجمة 147.

علي بن احمد بن يحيى الازدي، يعرف بالجياني (ت 623هـ).

من أهل جيان Jaen، جال ببلاد المشرق من الحجاز والعراق والشام ومصر وغيرها من البلاد وأخذ من علماءهم وقيد عنهم احاديث وقدم المغرب واستقر بـ سبتة Ceuta.

انظر: ابن الزبير لا/ صلة الصلة، ص 130 ترجمة 265.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن احمد بن علي بن سعيد العنسي، يكنى أبا القاسم الغرناطي. ت 630هـ.

سمع من شيوخ مصر والاسكندرية ودمشق وبغداد أثناء رحلته الى المشرق. وكتب الحديث وعنى بالرواية، فقد بأصبهان حين استولى عليها التتار.

انظر: المقري/ "نفح الطيب"، ج2/ ترجمة 153.

ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الشاطبي البلنسي الاندلسي ت 641هـ.

ولد في بلنسيه Valencia سنة 539هـ واشتهر برحلته التي بدأها عام 578هـ وختمها عام 581هـ. زار فيها مدن العراق وتحدث عنها في فصل.

انظر: رحلة ابن جبير، منشورات مكتبة الهلال، بيروت 1981.

علي بن موسى بن سعيد العنسي المغربي الاندلسي (ت 685 بتونس).

ولد سنة 610هـ بقلعة يحصب بـ غرناطة Granada. رحل الى دمشق والموصل وبغداد وعاد الى دمشق ومنها الى الحجاز وتحدث عنه ابن الخطيب الغرناطي وقال: "... المصنف، الاديب، الرحالة، الطرفة، الاخباري، العجيب الشأن في التجول في الاقطار". وأهم مصنفاته: "المغرب في حلى المغرب" و "المشرق في حلى المشرق" و "المرقصات المطربات" و "المقتطف من ازاهر الطرف" و "رايات المبرزين وغايات المميزين".

انظر: ابن الخطيب/ "الإحاطة في اخبار غرناطة"، ج2/ 333، ابن فرحون، "الديباج المذهب"، ص 208، المقري/ "نفح الطيب"، ج2/ 262- 292، ترجمة 166.

احمد بن محمد بن ابي الجليل مفرج، يكنى ابا العباس وابن الرومية العشاب ت 637هـ بأشبيلية.

ولد بـ أشبيلية Sevilla، إماماً بالحديث، حافظاً، ناقداً، وتفقه طويلاً على مذهب مالك، وكان عارفاً بالعشب والنبات، صنف كتاباً حسناً كثير الفائدة في الحشائش، ورتب فيه اسماءها على حروف المعجم، ورحل الى البلاد، ودخل حلب ومكة وبغداد وغيرها. وبرنامج رواياته يشتمل على اصناف النباتات مرتبة اسماءهم على البلاد العراقية وغيرها.

انظر: ابن فرحون/ "الديباج المذهب"، ص 42، المقري/ "نفح الطيب"، ج2/ 596، ترجمة 221.

المصادر الأولية

ابن الابار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت 658هـ).

- التكملة لكتاب الصلة، طبعه العطار، جزءآن، القاهرة 1355هـ- 1956م.
- المعجم في اصحاب القاضي الصدفي (أبي علي حسين بن محمد ت 594هـ).
- تحقيق د. ابراهيم الابياري (المكتبة الاندلسية- المجلد 16) دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط أولى 1410هـ/ 1989.
- ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الانصاري (ت 578هـ) الصلة، تحقيق د. ابراهيم الابياري، في ثلاث اجزاء (المكتبة الاندلسية، المجلد: 11، 12، 13) دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت ط اولى، 1410هـ/ 1989م.
- ابن بطوطة، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي (ت 779هـ) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق طلال حرب، دار الكتب العلمية، ط اولى، بيروت 1407هـ/ 1987.
- ابن تعزي بردي، ابو المحاسن جمال الدين (ت 874هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 12 جزءاً القاهرة 1328- 1375هـ.
- ابن الجزري، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد (ت 833هـ).
- غاية النهاية في طبقات القراء، عنى بنشرة ج برجستراسر (ثلاثة اجزاء في مجلدين)، القاهرة 1351هـ/ 1932م.
- ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت 776هـ) الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة 1375هـ/ 1955: بجزئين.
- ابن دحية الكلبي، ابو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد البلنسي الاندلسي (ت 633هـ) المطرب من اشعار اهل المغرب، تحقيق د. ابراهيم الابياري، د. حامد عبد المجيد، د. احمد احمد بدوي، المطبعة الاميرية، القاهرة 1954.
- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت 681هـ).
- تحقيق د. احسان عباس (8 اجزاء) دار صادر بيروت (1388- 1968م) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان.
- ابن الزبير، ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير (ت 708هـ).
- صلة الصلة، تحقيق ليفي بروفنسال Levi- Provensal، الرباط 1937.
- ابن عبد الملك المراكشي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي (ت 703هـ) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الاول (القسم الاول والثاني) تحقيق: د. محمد بن شريفة، بيروت، بقية السفر الرابع/ تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1964.
- السفر الخامس (القسم الاول والثاني) تحقيق: د. احسان عباس بيروت 1965.
- السفر السادس تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1973.
- ابن الفرضي، ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي (ت 403هـ).
- "تاريخ علماء الأندلس" تحقيق: ابراهيم الابياري، في ثلاث مجلدات (المكتبة الاندلسية، المجلد: 3، 4، 5) دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط اولى، (1410هـ/ 1989م).
- ابن فرحون المالكي، برهان الدين بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري (ت 799هـ).

- "الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب" نشر دار الكتب العلمية، بيروت د. ت (بهامشية كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتي).
- ابن النجار البغدادي، الحافظ محب الدين ابي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن (ت 643هـ).
- "ذيل علماء بغداد" صحح بمشاركة د. قيصر فرج، دار الكتب العلمية، د. ت- بحشل، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي (ت 292هـ).
- "تاريخ واسط" تحقيق: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد 1387هـ/ 1967م.
- الحميدي، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي (ت 488هـ).
- "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس" تحقيق ابراهيم الابياري، بجزئين (المكتبة الاندلسية، المجلد 7، 8) دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/ 1989.
- الحميدي، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الضهاجي (ت نحو 710هـ)
- "الروض المعطار في خبر الاقطار" (معجم جغرافي، تحقيق: د. احسان عباس، مكتبة لبنان، ط1 1975، ط2 1984.
- الخنشني، ابو عبد الله محمد بن حارث بن اسد القيرواني (ت 361هـ).
- "قضاة قرطبة" نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966م.
- الدبيثي، محمد بن سعيد بن محمد (ت 637هـ).
- "المختصر المحتاج اليه" تحقيق: د. مصطفى جواد، مراجعة: د. ناجي معروف، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1397هـ/ 1977م.
- الذهبي، شمس الدين بن محمد (ت 748هـ).
- "العبر في خبر من عنبر" تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، الجزء الاول، الكويت، 1960، (الجزء الثالث 1961، تحقيق: فؤاد سيد) (الجزء الرابع 1963، تحقيق د. صلاح الدين المنجد).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك.
- "الوافي بالوفيات" باعتناء: س ديد رنيغ، وهلموت ريتر، و د. احسان عباس، ومحمد يوسف نجم 1961-1971.
- الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت 599هـ).
- "بغية المتلمس في تاريخ رجال اهل الأندلس" تحقيق: ابراهيم الابياري، بجزئين (المكتبة الاندلسية، المجلد: 14، 15) دار الكتاب ط اولى 1410هـ/ 1989م.
- القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544هـ).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك المعرفة اعلام مذهب مالك، لنشر مكتبة الحياة (تحقيق: د. احمد بكير محمود) بيروت 1388هـ/ 1968م في ثلاثة اجزاء.
- المقري، احمد بن محمد المقري التلمساني، شهاب الدين (ت 1041هـ).

1. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. احسان عباس (في اجزاء والجزء الثامن كله فهارس) دار صادر، بيروت 1388هـ/ 1968م.
2. ازهار الرياض في اخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، وابراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة 1339- 1341هـ/ 1939- 1942م.

- المنذري، زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت 656هـ).
التكملة لوفيات النقلة، تحقيق د. بشار عواد معروف (في اربعة اجزاء). والرابع كله فهارس، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت 1408هـ/ 1988.
- النباهي، ابو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن، المالقي (ت قبل 793هـ).
المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء فأفتيا، نشر ليفي بروفنسال، القاهرة 1948.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الرومي (ت 626هـ).
1. معجم البلدان، طبعة وستفيد المصورة أتطهران 1965.
2. معجم الأدباء (إرشاد الأديب الى معرفة الأديب، تصحيح د. س فرجليكن ط2 مصر 1924.

المراجع والمقالات التاريخية

- أمين د. حسين
"العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغداد في العصر العباسي"
مقالة نشرت في مجلة المؤرخ العربي (تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب- بغداد) العدد 24 السنة 1984 (الصفحات 11- 17).
ونفس المقال منشور في مجلة المناهل المغربية، العدد 33 مارس 1985 (الصفحات 116- 125).
- أنخل كونثالث بلنيثه Angel Gonzalez Palencia
تاريخ الفكر الاندلسي، الترجمة من الاسبانية الى العربية د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ط اولى القاهرة 1955.
- بروفنسال، ليفي Levi-Provensal
حضارة العرب في الأندلس، الترجمة من الفرنسية الى العربية ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت- د. ت.
- الزبيدي، د. محمد حسين.
المراكز الثقافية في العراق في القرنين الرابع والخامس.
مقالة نشرت في مجلة المؤرخ العربي، العدد 20، السنة 1981 (الصفحات 202- 220)
- صادق، جعفر حسن.
الكوفة مركز استقطاب لعلماء الأندلس.
بحث نشر في مؤتمر (دور الكوفة في التراث العربي الاسلامي- المؤتمر العلمي الثالث المنعقد في كلية الفقه للفترة 3- 4/ 5 1988 بجامعة الكوفة) (الصفحات 270- 289).
- عجيل، كريم
الحياة العلمية في مدينة بلنسية. اصدر مؤسسة الرسالة- بيروت. ط اولى، 1396هـ/ 1976م.
- مؤنس، د. حسين.
شيوخ العصر في الأندلس، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965م.
- المعاضيدي، د. عبد القادر سلمان.
1. واسط في العصر الاموي (81- 132هـ) جامعة بغداد 1396هـ/ 1976.
2. واسط في العصر العباسي دار الحرية للطباعة، بغداد 1983.
- مكي، د. محمود علي.

1. التشيع في الأندلس، مقالة نشرت في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، المجلد الثاني، مدريد 1954 (الصفحات 94- 145).

2. "اصول الثقافة الشرقية ودخولها الأندلس" مقالة بالإسبانية نشرت في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد (الاعداد 9- 12 للسنوات 1961- 1964) (الصفحات 8- 123) (الاعداد 11- 12).

"Ensayo Sobre las Aportaciones Orintales en la Espana Musulmana y su Influencia en la formagion de la Cultura Hispano Arabe".

- كارثيه كومث E. Garcia Gomez

بغداد وملوك دويلات الطوائف، مقال بالاسبانية نشرت في مجلة الغرب، العدد 43، السنة 1934.

E. Garcia Gomez, "Baghdad y su Reinos de Taifas", Revista de Occidente, T. XL III, 1934.

الكوفة وقرطبة حاضرتان خالدتان في التاريخ العربي الاسلامي

من الحواضر الخالدة في التاريخ العربي والاسلامي: مدينة الكوفة في المشرق ومدينة قرطبة في الاندلس، حيث انبثق منهما شعاع النور والحضارة والانسانية يسطع على العالم الذي كان يعمه الظلام والامية والتعصب الصليبي.

كانت اواصر العلاقة التاريخية الثقافية والحضارية قريبة بين الكوفة وقرطبة على الرغم من بعد المسافة والزمن بينهما، حيث كانت الكوفة رافداً ومناراً للثقافة على قرطبة وغيرها من المدن الاسلامية.

حاولنا تسليط الاضواء التاريخية على الحاضرتين من ايراد النصوص التي احتوت على احداث متشابه وانجازات حضارية بارزة وايجاد الروابط بينهما من المصادر المشرقية والاندلسية.

لقد تألقت وابدعت الحاضرتان بالمظاهر الحضارية في جوانب متعددة من بناء المساجد والمدارس والحمامات والقصور واستقبال السفارات، وقد حاولنا تزويد البحث بالمشاهدات والاوصاف التي جاء بها المؤرخ والجغرافي المشرقي والاندلسي، وايرادهم المعالم البارزة لكل مدينة.

لايفوتنا من ذكر المقارنة التي اوردها لنا الجغرافي الاندلسي البكري بين حياة واوضاع العالم الاسلامي في الاندلس والعالم المسيحي في اوروبا حيث قال: "... (ان الافرنج) لايتنظفون ولايغتسلون في العام الا مرة او مرتين بالماء البارد.." ونص اخر لمؤرخ اندلسي بين فيه من "ان الماشي كان يستضيء بسروج قرطبة ثلاث فراسخ لا ينقطع عنه الضوء" وهكذا كان الحال في الكوفة.

ومن حسن الصدفة ان نعثر في تاريخ المدينتين على شخصيتين متقاربتين في السياسة والطموح والاعمال: شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي والي الكوفة، وشخصية المنصور بن ابي عامر حاجب قرطبة، ومع المسافة الزمنية والتي قاربت ثلاث قرون بين حكم كل منهما الا ان اوجه التشابه والتقليد في السياسة تبدو واضحة، وقد حاولنا تسليط الاضواء التاريخية على الاحداث السياسية والطموحات والانجازات والمفارقات بينهما حيث ظهرت واضحة للعيان وبدت الشخصيتان كالتوائم قد فرقهما الزمن حيث كان لهما دور واثر بالغ في تاريخ الكوفة وقرطبة.

ان من المع حواضر الاسلام في تاريخنا العربي كوفة المشرق وقرطبة الاندلس لما تميزتا من مآثر حضارية كالمساجد والقصور والقلاع والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

فمثلما كانت مدينة الكوفة المركز الذي اتخذ كعاصمة اثناء حكم الخليفة الراشدي الرابع الامام علي بن ابي طالب (ﷺ) اصبحت قرطبة بعد اكثر من نصف قرن عاصمة الاندلس ومقراً للفنون والاداب وملتقى السفراء والشعراء في خلافة عبد الرحمن الناصر.

لقد شهدت الكوفة صفحات رائعة من البطولة والازدهار عبر تاريخها المجيد في العصر الراشدي والاموي والعباسي واصبحت قبلة المشرق بدون منافس ومنازع في العلوم حيث انشأت فيها اولى المدارس الفقهية واللغوية التي كان يشع نورها في الاندلس وقد زارها ودرس فيها نخبة من العلماء والفقهاء الاندلسيين، فكانت الكوفة بحق الجسر وحلقة الوصل ومركز الاشعاع لعلماء قرطبة (Corboba).

لقد ذاع صيت قرطبة في العصور الوسطى عندما نشأت فيها اول جامعة اسلامية في مسجد قرطبة حيث زارها ودرس فيها عدد كبير من الفقهاء والعلماء من الاندلس والمغرب والمشرق بالاضافة الى اعداد من المسيحين كوفود او طلب مساعدة.

ومن المعروف بأن قرطبة تم فتحها في فترة دخول طارق بن زياد للاندلس حيث بعث اليها مغيث الرومي ومعه 700 فارس من مدينة استجة Ecija عام 92هـ/ 711م حيث عسكر المقاتلون في منطقة شقنده Secunda قرب ضفاف نهر الوادي الكبير Guadalquivir [1].

لقد البس الاسلام مدينة قرطبة ثوباً جديداً زاهياً ويرجع الفضل في رفع قرطبة الى مصاف الحواضر الاسلامية الكبرى كالكوفة والبصرة في المشرق الى واليها السمح بن مالك الخولاني (100- 102هـ/ 719- 721م).

وفي الوقت الذي اهتم الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) في متابة اختيار موقع جيد لانشاء الكوفة نلاحظ ان حفيده الخليفة عمر بن عبد العزيز (ﷺ) اهتم بتوسيع مدينة قرطبة ومنشئاتها العمرانية حيث تبين لنا النصوص التاريخية التالية ذلك: "وكتب الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) الى سعد بن ابي وقاص: انبئني ما الذي غير الوان العرب ولحومهم، فكتب اليه: ان العرب غير الوانها وخومة المدائن ودجلة، فأجابه: ان العرب لايوافقها الا ما يوافق ابلها من البلاد، فأبعث سليمان وحذيفة (ﷺ) وكانا رائدي الجيش، فليرتاد منزلاً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر، فبعث سعد وحذيفة وسليمان (ﷺ) فسارا كل واحد منهما لايرضى شيئاً حتى اتيا الكوفة، فأكبا عليها، وفيها ديارات ثلاثة، فأعجبتهما البقعة فنزلا وصليا، ودعا كل واحد منهما..."[2].

وفي قرطبة قام الوالي السمح بن مالك الخولاني بمراسلة الخليفة عمر بن عبدالعزيز (ﷺ) "يستشيره في امر القنطرة التي تربط ربض شقنده بمدينة قرطبة ويخبره بأن مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها، وكان لها جسر يعبر عليه نهرها ووصفة بحملة وامتناعه من الخوض الشتاء عامةً فإن امرني امير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلتُ فإن قبلي قوة على ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد وان احبّ صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم فيقال والله اعلم ان عمر رحمه الله امر ببنيان القنطرة بصخر السور وان يبني السور باللبن اذ لا يجد له صخراً فوضع يداً فبنى القنطرة في سنة احدى ومائة"[3] فبنى السمح قنطرة قرطبة، واستخدم في بنائها الاحجار الضخمة الباقية ماتهدم من السور الروماني الواقع غرب المدينة، اما السور فلم يتمكن السمح من بنائه اذ عجلته المنية فأستشهد عام 102هـ/ 720م في مدينة طرسونة Tarsona وبقى السور على حاله الى ان شيده الامير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، وقد تألقت قرطبة واخذ شعاعها يظهر على العالم الاسلامي والمسيحي منذ ان اتخذها الامير الداخل حاضرة له ولابنائه من بعده بعد ان قضى على الفتن والثورات واهتم بعمرانها وعلمائها، واصبحت في عهده قبلة المغرب والمشرق بالعلم والمعرفة ومهد الحضارة والحياة الهادئة والرفيعة ومصدر وموطن الفلاسفة والشعراء ومركز الفنون والاداب، حيث كانت اكثر مدن

---

(1) اخبار مجموعة في فتح الاندلس/ لمؤلف مجهول، تحقيق المستشرق الاسباني اميليو لافونتي القنطرة، مدريد 1867 ص13، 14، وانظر: ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت د. ت، ج2/ 9.

(2) الطبري/ محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م) تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط4، دار المعارف مصر 1977، ج4/ 41 وانظر: ابن الاثير/ علي بن الكرم (ت 630هـ/ 1232م) تحقيق ابو الفداء عبدالله القاضي، نشر دار الكتب العلمية ط اولى، بيروت 1407هـ/ 1987م ج2/ 372، الحميري/ محمد بن عبد المنعم/ الروض المعطار في خبر الاقطار/ تحقيق د. احسان عباس، ط2، بيروت مكتبة البيان 1984، ص502.

(3) اخبار مجموعة في فتح الاندلس، لمؤلف مجهول، ص24.

اوروبا سكاناً، وقد بلغت في عهد الخلافة الاموية توسعاً وتطوراً عمرانياً لم نشهده في دول الغرب المعاصرة التي كانت ترزخ في ظلمات الجهل والانحطاط والتأخر في جوانب عديدة من الحياة.

فمثلما تحدث مؤرخو المشرق عن الكوفة وفضائلها نلاحظ ان مؤرخي الاندلس قدموا لنا وصفاً لائقاً بها في التاريخ الاسلامي فذكر لنا احدهم ان "قرطبة هذه وان كانت دار ملك المسلمين ومقر تدبيرهم الى انتشأت الفتنة (البربرية) واختل امر بني امية بالاندلس، وبلغت قرطبة هذه من القوة وكثرة العمارة وازدحام الناس مبلغاً لم تبلغه بلدة... وسمعت ببلاد الاندلس من غير واحد من مشايخها، ان الماشي كان يستضيء بسروج قرطبة ثلاث فراسخ لاينقطع عنه الضوء"[1].

بحق ان تفتخر مدينة الكوفة بأن حفيدتها قرطبة كانت في العصور الوسطى حاضرة عصرية مضاءة بنور الاسلام في حين كانت اوروبا لاتعرف الاضاءة وحتى النظافة كانت عندهم شيئاً ثانوياً في حين اعتبرها الاسلام جانباً اساسياً لدوام الصحة للبشر، حيث تحدث لنا عن اوضاع الاوربيين من الافرنج وغيرهم من النصارى المؤرخ والجغرافي الاندلسي البكري حيث قال: "...لايتنظفون ولا يغتسلون في العام الا مرة او مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها الى ان تنقطع عليهم، ويزعمون ان الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به اجسامهم وتصح بدانهم وثيابهم اضيق الثياب، وهي مفرجة يبدو من تفاريجها اكثر ابدانهم... "[2].

ولا يخفى علينا بأن الحمامات كانت معروفة في العصور الوسطى ومنتشرة في الحواضر الالامية كالكوفة وقرطبة وغيرها انطلاقاً من مبادئ الدين الاسلامي الحنيف كما يظهر من الاحاديث النبوية الشريفة "تنظفوا فإن الاسلام نظيف" و "النظافة من الايمان". فالحمامات العامة ذكرها لنا الرحالة والمؤرخون بأن بين حمام وحمام حمام حيث كانت من اهم المنشآت المدنية في الحواضر الاسلامية لكثرتها وتعددها من جهة، ولارتباطها الوثيق بالطهارة المتأصلة بعمق في الاسلام من جهة، وقد تميزت قرطبة بوجه خاص بكثرة حماماتها حتى ذكر ان عددها 300 حمام والبعض من يقول بأن هذا الرقم كان خاصاً بحمامات النساء[3] علماً بأن ابن حيان القرطبي عدد لنا حمامات قرطبة في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر بلغ 900 حماماً[4]. ويذكر المقَّري[5] بأن ددها بلغ في قرطبة 911 حماماً في حين احصى لنا ابن غالب الاندلسي نقلاً عن ابن حيان بأن ددها اكثر من 700 حمام المبرزة للناس[6].

---

(1) عبد الواحد المركشي (ت 631هـ/ 1233م)/ المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تقديم د. ممدوح حقي، الناشر دار الكتب، الدار البيضاء د. ت، ص502.

(2) البكري/ ابو عبيد (ت 487هـ/ 1094م) كتاب المسالك والممالك (جغرافية الاندلس واوروبا) تحقيق د. عبدالرحمن علي الحجي، بيروت 1387هـ/ 1968م، ص81.

(3) ابن عذاري/ البيان المغرب، ج2/ 346.

(4) المقَّري التلمساني/ شهاب الدين احمد بن محمد (1041هـ/ 631م)/ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، د. احسان عباس، بيروت 1388هـ/ 1968م ج2/ 79 (نقلاً عن ابن حيان القرطبي).

(5) المصدر السابق ج2/ 79 حيث اورد لنا في موضع اخر ان عدد الحمامات بلغ 700 حماماً.

(6) ابن غالب الاندلسي/ محمد بن ايوب الغرناطي، فرحة الانفس في اخبار الاندلس، تحقيق د. لطفي عبدالبديع، مقالة منشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد الاول، الجزء الثاني 1375هـ/ 1955م، ص27.

ومثلما كانت الكوفة عاصمة الاسلام في الشرق غدت قرطبة في المغرب الاسلامي تنمو وتزدهر كقوة سياسية وحضارية واصبحت مركزاً ترنو اليه الانظار بفضل الحركة العلمية والعمرانية والاجتماعية، ووجد حكام الدول المسيحية المجاورة انهم بحاجة الى حضارة قرطبة واخذوا يسعون الى كسب ودها وصداقتها وكذلك كان طالبوا العلم والمعرفة انفسهم مشدودين نحوها فوردت وفود الدول المجاورة الى قرطبة لشتى المقاصد كطلب العون او التماس الصداقة او تقديم الطاعة وبذلك تقدمت القوة الحضارية لمدينة قرطبة الى قمة عالية، يبدو فيها الفرق واضحاً بينها وبين الدول المجاوة والبعيدة واصبحت منتجع، وسبيلها الكريم الواسع مهيعاً، لطلاب العلم والمعرفة من كل مكان قصدها عدد من علماء وادباء المشرق الاسلامي كأبي علي القالي صاحب كتاب الامالي وغيره من المسلمين(1).

ومن المعروف بأن الكوفة تألقت كحاضرة مشرقي للاسلام في عهد الخليفة الامام علي بن ابي طالب (ﷺ) حيث اصبحت مركزاً لحكومته الاسلامية فاوجد لها الامن والاستقرار وشع الحركة الثقافية حتى قال فيها الامام (ﷺ): "الكوفة كنز الايمان وحجة الاسلام وسيف الله ورمحها يضعه حيث شاء، والذي نفسي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الارض وغربها كما انتصر بالحجاز"(2)، اما قرطبة فقد بلغ شأنها من الازدهار والرخاء والثراء مالم تبلغه الحواضر الاخرى من قبل في عهد الخليفة الحكم المستنصر (350- 366هـ/ 961- 976م) حيث بالغ مؤرخو وجغرافيو الاندلس والمشرق في وصفها ابدع وصف، واشادوا بعظمتها وتفوقها على سائر مدن الاندلس، فيقول الحجاري في المسهب: "كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الانام، بها استقر سرير الخلافة المروانية، وبها تمحضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية، وهي من الاندلس بمنزلة الرأس من الجسد، ونهرها من احسن الانهار، مكتنف بديباج المروج، مطرز بالازهار، تصدح في جنباته الاطيار، وتنعر النواعير، ويبسم النوار، وقرطاها الزاهرة والزهراء، حاضرتا الملك وافقاه النعماء والسراء، وان كان قد احنى عليها الزمان، وغير بهجة اوجهها الحسان، فتلك اعادته، وسل الخورنق والسدير وغمدان"(3).

وينطبق هذا الوصف على حاضرة الكوفة فلو كان الحجاري في المشرق وعلى الضفة الثانية لنهر الفرات وامام مدينة الكوفة لقدم لنا وصفاً رائعاً لايقل جمالاً عما ذكره لنا عن حفيدتها قرطبة فهي بمنزلة الرأس من الجسد للعراق حيث تتوسطه ومنها يمر نهر الفرات ومناخها جميل وتزدحم اراضيها بالنخيل بأصنافه الجيدة المعروفة وللنخيل حكايات واشعار ليس في المشرق فحسب بل في الاندلس عندما حمل الامير عبد الرحمن ابن معاوية الملقب بالداخل وصقر قريش، نخلة اثناء دخوله للاندلس وغرسها في منية الرصافة بقرطبة لتذكره برصافة جده هشام بن عبد الملك (105- 125هـ/ 724- 743م) وبالتالي تذكره بوطنه حيث قال مرتجلاً هذه الابيات من الشعر:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة — تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى — وطول التنائي عن بني وعن اهلي

(1) الحجي/ د. عبدالرحمن علي/ التاريخ الاندلسي/ الناشر دار الاعتصام، القاهرة 1403هـ/ 1983م، ص302- 303.

(2) ياقوت الحموي/ معجم البلدان، ج4/ 490.

(3) عند المقّري/ نفح الطيب، ج2/ 152.

نـــشأت بـــأرض انـــت فيهـــا غريبـــة فمثلـــك في الاقـــصاء والمتـــأى مـــثلي[1]

وله في النخلة ايضاً:

يـــا نخـــل انـــت غريبـــة مـــثلي في الغـــرب نائيـــة عـــن الاصـــل[2]

اما اليعقوبي فقدم لنا وصفاً بديعاً عن حاضرة الكوفة واهلها لايقل روعة عما ذكره لنا الحجاري عن قرطبة، وهو بحق وانصاف حيث قال:

"اهل الكوفة على قلة اموالهم تجمل وستر وكفاف وعفاف ليس في البلدان اشد عفافاً منهم ولا اشد تجملاً، وهي طيبة الهواء عذبة الماء، وماؤها ماء الفرات الاعظم، وهي دار العرب ومادة الاسلام ومعدن العلم، وبها ائمة القراء الفصحاء الذين ترجع عامة الناس الى قراءتهم وفقاؤها الفقهاء الذين عليهم المعتمد، وهم اهل العلم بالشعر وفصيح اللغة لان اهلها عرب كلهم لم تخالطهم الانباط ولا الفرس ولا الخزر ولا السند ولا الهند، ولا تناكحوا في هذه الاجناس فيعدوا لغاتهم، وان اصل الرواية ومعرفة اللغة كان فيهم، ومن رواتهم صار الى اهل البصرة وغيرها"[3].

ومن ابرز واهم المعالم الحضارية في الحواضر الاسلامية المسجد الجامع لماله من اهمية دينية بالاضافة الى انه اتخذ كمركز ومقر للحكومة الاسلامية، ففي الحاضرة الكوفة تم انشاء المسجد من الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) حيث كان مركز للعبادة والحكم كما يروي لنا ياقوت الحموي عن تخطيطه حيث قال: "وكتب عمر بن الخطاب الى سعد ان اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم، فخط على اربعين الف انسان وجاء بالاجر وجاء باساطينة من الاهواز"[4].

اما موقع المسجد فكان في موضع التمارين من السوق، وبني على اساطين رخام كانت للاكاسرة ولم يجعلوا في المسجد مجنبات ولا مواخير، حيث كانت المساجد ماعدا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً، وامر سعد بن ابي وقاص (ﷺ) الناس ببناء مساكنهم وراء موقع المسجد[5].

اما عن مسجد قرطبة وجماليته وروعته في البناء والزخرفة فقد قدم له وصفاً رائعاً الرحالة ابن جبير الاندلسي حيث قال: "والجامع العتيق اخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق، وهو جامع كبير، في الجانب القبلي منه خمسة ابلطة وفي سائر الجوانب بلاطات، وهذه البلاطات على اعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، ولا قسي عليها، على الضفة التي ذكرناها في مسجد رسول الله (ﷺ) وهي في نهاية الطول متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها فما ارى في الارض مسجداً اطول

---

(1) ابن الابار/ ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي (ت 658هـ/ 1308م) الحلة البتراء تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة 1963، ج1/ 37 وانظر: ابن الخطيب/ لسان الدين ابو عبد الله (ت 776هـ/ 1374م) اعمال الاعلام (نشر بعنوان تاريخ اسبانيا الاسلامية) تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت 19956م ص10، ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 90.

(2) ابن الابار/ الحلة البتراء ج1/ 38.

(3) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت 292هـ/ 904م)، تاريخ اليعقوبي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف 1384هـ/ 1964م (نقلاً عن الحميري/ الروض المعطار ص106).

(4) ياقوت الحموي/ معجم البلدان ج4/ 490، وانظر: الحميري/ الروض المعطار ص501.

(5) الحميري/ الروض المعطار ص501.

عمدة منه ولا اعلى سقفاً، وبهذا الجامع المكرم اثار كريمة فمنها بيت بازاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة، يقال: انه كان مصلى ابراهيم الخليل (ﷺ)، وعليه ستر اسود صوناً له، ومنه خرج الخطيب لابساً ثياب السواد للخطبة، فالناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه، وعلى مقربة منه، مما يلي الجانب الايمن من القبلة، محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير، وهو محراب امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ﷺ) وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف، فالناس يصلون فيه باكين داعين. وفي الزاوية من اخر هذا البلاط القبلي، المتصل باخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير محلق عليه ايضاً بأعواد الساج، هو موضع مغار التنور الذي كان اية لنوح (ﷺ)، وفي ظهره، خارج المسجد، بيته الذي كان فيه..."[1].

فمسجد الكوفة كان مركز الاشعاع الحضاري الديني للمدارس الفقهية حيث درس فيه عدد كبير من علماء الاندلس والمشرق وتلقوا علومهم الدينية التي ساهمت بدور كبير في تخريج نخبة من الفقهاء في مسجد قرطبة والذي كان كالجسره وارتباطه الوثيق المشرقية الاصيلة والذي زوده بالعلوم والرجال الذين تحملوا اعباء التدريس والتوعية في الاندلس ومساجدها وجامعاتها الثقافية.

وكان مسجد قرطبة موضع تعظيم اهل الاندلس وذلك لانه اعتبر المركز الديني والثقافي الاول في الولاية الاسلامية، وكان المسلمون يحتفلون فيه بالمناسبات الهامة الدينية والفكرية والسياسية والعسكرية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، واحياء ليالي رمضان كليلة القدر المباركة والاسراء والمعراج وختم القرآن، وعقد الالوية العسكرية اثناء الخروج الى حملات الجهاد والصوائف واحتفال الخلفاء بتلقي البيعة واستقبال الوفود الاسلامية وغيرها.

فتعظيم اهل الاندلس لمسجد قرطبة له اثر بالغ في التاريخ حتى اصبح المثل الاعلى لمساجد المغرب والاندلس، فقلد المرابطون تصميمه في جامع تلمسان، واتخذ الموحدون تخطيطه نموذجاً لجوامعهم، واصبح فن العمارة والزخرفة الخلافي المتمثل في مسجد قرطبة يؤلف مدرسة فنية تلقت فنون الغرب المسيحي دروسها عليها، وكما كان هذا الجامع معظماً عند المسلمين، فقد كان المسيحيون يعتبرونه اروع امثلة في العمارة الاسلامية[2].

كان للتأثيرات الفنية المشرقية على مسجد قرطبة واضحة جراء هجرة عدد كبير من اهل قرطبة الى المشرق الاسلامي او دخول المشارقة الى قرطبة فمثلاً كان الخط الكوفي يزين اسوار وجدران المسجد الجامع وغيره.

ان مسجد قرطبة وصفه لنا عدد كبير من الجغرافيين والمؤرخين من اندلسيين ومغاربة ومشارقة وصفاً جميلاً نقتبس ما ذكره لنا الحميري: "من اجل مصانع الدنيا كبر مساحةٍ، واحكام صنعةٍ، وجمال هيئةٍ، واتقان بنيةٍ، تهمم به الخلفاء المروانيون، فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميماً بعد تتميم، حتى بلغ الغاية في الاتقان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف، فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً، وطوله مائة باع وعرضه ثمانون باعاً، ونصف مسقفن ونصفه صحن بلا سقفن وعدد قسي مسقفه تسع عشرة قوساً... وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان لثقله، فيه اربع اوراق من مصحف عثمان بن عفان (ﷺ) الذي خطه بيمينه، وفيه نقطة من دمه.. ولهذا الجامع عشرون باباً مصحفة بصفائح النحاس... وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغريبة الصنعه..."[3].

---

(1) ابن جبير/ ابي الحسن محمد بن احمد بن جبير (ت 614هـ/ 1217م) رحلة ابن جبير، نشر مكتبة الهلال، بيروت 1981، ص168.

(2) سالم/ السيد عبد العزيز/ قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1972، ج2/ 36.

(3) الحميري/ الروض المعطار، ص154– 155، وعن مصحف عثمان بن عفان (ﷺ) فقد تحدث لنا المقّري/ نفح الطيب، تحقيق 6، والمصحف العثماني بقرطبة هو احد المصاحف الاربعة التي بعث بها الخليفة عثمان (ﷺ) الى الامصار: مكة، البصرة، الكوفة، الشام.

ومن الجدير بالذكر بأن الخط الكوفي ذاع صيته في قرطبة وامتاز على انواع الخط الاخرى حتى ان اغلب الكتاب والفقهاء قد تعلموه ويروي لنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي نصاً يذكر فيه:

"حكى ابن فياض في تاريخه في اخبار قرطبة قال: كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا ما في 23 ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها"[1].

يتبين لنا من هذا النص ان الخط الكوفي شاع صيته في المساجد والمنشآت العلمية الاخرى ليس بين الرجال فحسب بل ان عدداً كبيراً من نساء الاندلس كتبن المصاحف والوثائق بالخط الكوفي.

ومن معالم الكوفة العمرانية قصر الكوفة ويسمونه قصر سعد وقد بنى من اجر بنيان الاكاسرة بالجبرة حيث بالغ في بنائه، ولما علم الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بذلك ارسل اليه عامله محمد بن مسلمة وامره ان يحرق باب قصر الكوفة ثم يرجع، ففعل وابلغه كتاب الخليفة اليه ونصه: "بلغني انك اتخذت قصراً جعلته حصناً ويسمى (قصر سعد) بينك وبين الناس باب، فليس لقصرك باباً يمنع الناس من دخوله (وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت)"[2].

هذه الحادثة توضح سياسة الاسلام وعدالته ورفضه للتكلف والمبالغة وتؤكد على البساطة وعدم التبذير والافراط بمال المسلمين، والنص يذكر بحادثة وقعت بقرطبة ايام خلافة عبد الرحمن الناصر واثناء بناءه لقصر الزهراء حيث كان الخليفة الناصر كلفاً بعمارة الارض واقامة معالمها وتخليد الاثار الدالة على قوة ملكه وعزة سلطانه، وعلو همته فافضى به الاغراق في البناء وزخرفتها، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع بقرطبة فاراد القاضي منذر بن سعيد البلوطي، وجه الله في ان يعظه ويقرعه في التأنيب ويغض منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطابة، والتذكير بالانابة، فأبتدأ خطبته بقوله تعالى ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾ وافضى القاضي الى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والسرف في الانفاق عليه والدعاء الى الله تعالى في الزهد في هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها ونهي النفس عن اتباع الشهوات، حتى بكى الناس وخشعوا، وضجوا وتضرعوا، واعلنوا الدعاء الى الله تعالى، فعلم الخليفة الناصر انه هو المقصود به، فاستجدى وبكى، وندم على ماسلف منه من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه، واستعصمه برحمته.

الحجاج بن يوسف الثقفي والي الكوفة والمنصور بن ابي عامر العامري حاجب قرطبة شخصيتان متقاربتان وفريدتان في السياسة الاموية.

تحدث عدد من المؤرخين والادباء العرب عن ولاة العصر الاموي بالكوفة وقرطبة حيث نسخ بعضهم الحكايات والروايات والاساطير الغريبة والعجيبة حولهم وسجلوا الاحداث والاقوال والافعال عنهم، ومن شأن التاريخ تسجيل اعمال الرجال وذكر حسناتهم وسيئاتهم ليكونوا عبرة لمن بعدهم ولئلا يضيع جزاء من احسن وعقاب من اساء.

وعن وصف مسج قرطبة انظر: العذري/ احمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائي/ كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان نصوص عن الاندلس من كتاب..) تحقيق د. عبد العزيز الاهواني، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد 1965 ص123 – 124 وقد احصى لنا عدد مساجد قرطبة 491 مسجداً.

(1) عبد الواحد المراكشي/ المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص520.

(2) ابن الاثير/ الكامل في التاريخ، ج2/ 374.

وبعض الحكام والولاة قد غطت شهرتهم وسمعتهم كرجال دولة او ممثليها اخمدوا وقضوا على الفتن والثورات والاضطرابات المسلحة الخطيرة وحققوا الامن والاستقرار في بلاد مترامية الاطراف تضم شعوباً وقبائل مختلفة، ولغات عديدة، وعصبيات ورواسب من احقاد، ومذاهب دينية وسياسته حيث وسع كل منهم حدود دولته بالاضافة الى الاعمال الحضارية التي لايزال بعضها شاخاً.

ومن حسن الصدفة في التاريخ الاموي ان نعثر على شخصيتين متشابهتين في جوانب متعددة هما الحجاج والمنصور، وعلى الرغم من فارق الزمن بينهما قارب على 286 سنة من ادارة الحكم وتولي المناصب بين الاول والثاني، حيثتولى الحجاج الولاية على الحجاز سنة 73هـ/ 692م من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، والمنصور سنة 359هـ/ 968م وظيفة وكالته ورعايته للخليفة هشام المؤيد بقرطبة من قبل والده الحكم المستنصر.

ونستطيع ان نقول بعد التدقيق والتحقيق والمناقشة والبحث التاريخي الموضوعي البعيد عن العاطفة ان الحجاج عمل على ايجاد الامن والاستقرار بسياسته وحنكته العسكرية القوية في ادارة الكوفة مثلما قام به المنصور في قرطبة حيث فرض الهدوء والسكينة وانهى الفتن والثورات فكان من الحزم والكيدوالجلد على حد قول مؤرخ الاندلس ابن حيان القرطبي[1] وهي نفس الصفات التي تنطبق على والي الكوفة.

ومن البديهي ان لبعض الولاة والحكام في التاريخ اخطاء فالحجاج والمنصور قد ارتكبوا بعض الاخطاء في سياستهم- لربما عن غير قصد- والخطأ يرافق كل عمل، ويصاحب كل العاملين غالباً، وكلما كبرت الاعمال وتوسعت كبرت الاخطاء، ومن لا يعمل لا يخطئ. وهذا هو منطق الدنيا، والحساب عند رب العالمين. وهو وحده السميع العليم بالحقائق والنوايا والاسرار والاقدار.

فالحجاج على الرغم مما صورته لنا المصادر التاريخية بالقوة والقسوة لكن كان له اهتمام كبير بالعدل والقضاء بين الناس، ففي الكوفة واثناء ولايته لها كان يبحث عن افضل القضاة ويسأل عنهم قبل توليتهم وعندما طلب القاضي شريح بن الحارث الكندي[2] وكان من افضل القضاة بالكوفة حيث تم تعينه لاول مرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) وظل الى ان استعفاه الحجاج وعندما طلب القاضي اعفاء من منصبه قال له الحجاج: والله لا اعفيك لو تبغيني رجلاً!!، فقال شريح عليك بالعفيف ابي بردة ابي موسى[3] هذه الحادثة والسيرة التي وقعت مع والي الكوفة تذكرنا بقصة وقعت للمنصور في قرطبة رواها لنا ابن حزم القرطبي حيث قال: "كان محمد بن ابي عامر نازلاً عندي في حجرة فوق بيتي، فدخلت عليه في بعض الليالي في اخر الليل فوجدته قاعداً على الحال التي تركته عليها اول الليل حين فصلت عنه، فقلت له: ما اراك نمت الليلة! قال: لا، قلت: فما اسهرك؟ قال: فكرة عجيبة! قلت: في ماذا كنت تفكر؟ قال: فكرت إذا

---

(1) ابن خاقان/ مطمح الانفس، ص80- 81.

(2) برواية المقّري/ نفح الطيب ج1/ 376

(3) شريح بن حارث الكندي انظر ترجمته في: ابن حجر العسقلاني (ت 853هت/ 1449م) الاصابة في تمييز الصحابة، نشر دار احياء التراث العربي بيروت د. ت ج2/ 388 وانظر ايضاً: ابن الاثير/ الكامل في التاريخ ج2/ 403 (احداث سنة 18هـ)

اقضي الى الامر ومات محمد بن بشير القاضي[1] بمن استبدله، ومن الذي يقوم مقامه؟ فجلت الاندلس كلها بخاطري فلم اجد الا رجلاً واحداً... قلت: لعله محمد بن السليم[2] قال: هو والله هو"[3].

مما ورد في النصين اعلاه نستنتج مدى الحرص والاهتمام المتناهي في اختيار القاضي في الحاضرتين الكوفة وقرطبة بعد الفحص والتدقيق في سيرة القاضي لخطورة وظيفته بسبب اهمية وكبر المدينتين وازدحام الناس فيهما.

اما عن الجندية والنظم العسكرية فقد اهتم الحجاج بالجيش اثناء ولايته على الكوفة حيث جعل الخدمة الالزامية والجيش عربياً، ونلاحظ في بداية تولي الحجاج السلطة يبدو ان الناس لم يعودوا مندفعين للقضاء على الفتن والاضطرابات والفوضى وقد ماتت فيهم روح الجهاد وصاروا يتهربون من الجندية، ويمكن القول الاسباب هذه دفعت الحجاج ان يجعل التجنيد الزامياً، لانه وعى ان ليس من دواء بغير القوة يقضي على مايعكر صفو الامن، لذا بدأ الحجاج بإثارة الحمية الاسلامية في عرب الكوفة والبصرة حيث كان يزود قواده بكل مايحتاجه الجند من عطاء وسلاح وذخيرة.

ويمكن القول ان الحجاج كان سياسياً ورجل حرب بارع استطاع ان يفرض سيطرته العسكرية على العراق بفترة قصيرة وكثيراً ما خاض المعارك بنفسه ومن المعروف ان صفة الثبات من اهم مستلزمات النصر لرجل الدولة المسؤول، لان قواده وجنوده يستمدون الثبات والعزيمة والشجاعة منه، حيث ان الحجاج في احدى معاركه وجد جيشه قد تقوض صفة امام جيش ابن الاشعث[4].

وكان الحجاج دائم الصلة بقواده في كل خطواتهم، ويبعث اليهم أناساً يشاهدون المعارك ووضع الجيوش وشدة الحرب وقوة العدو، ويعودوا اليه بالاخبار ويصفون له المعارك فيزود الجيوش بكل حاجاتهم من ذخيرة بالسلاح والمال والمقاتلين، ويبدي لهم الرأي والمشورة.

ومن تنظيمات الحجاج العسكرية في المخابرة والاتصال بقواده بناء المناظر او المنابر كالابراج العالية في المرتفعات ونقل الاشارات عليها بإشعال النار او نحوه فينتقل الخبر بها حيث كان يضع ناراً تدخن نهاراً وتضيء ليلاً يسمونها

---

(1) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك ج6/ 324 (احداث سنة 79هـ) وانظر: ابن الاثير/ الكامل في التاريخ ج4/ 191 (احداث سنة 79هـ)، ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ/ 1372م) البداية والنهاية/ تحقيق د. احمد ابو ملحم واخرين، نشر دار الكتب العلمية ط3 بيروت 1407هـ/ 1987م، ج9/ 32. اما عن شخصية عفيف ابي بردة ابي موسى انظر: ابن كثير الدمشقي البداية والنهاية ج9/ 240.

(2) ترجمة القاضي محمد بن بشير المعامري اصله من جند باجه من عرب مصر. انظر الخشني/ ابي عبدالله محمد بن حارث بن اسد القيرواني (ت 361هـ/ 971م)/ قضاة قرطبة، الدار المصرية 1966 ص28- 38 وانظر ايضاً: النباهي المالقي/ ابو الحسن بن عبدالله بن الحسن (ت 793هـ/ 1390م) كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (نشر بعنوان تاريخ قضاة قرطبة) نشر المكتب التجاري بيروت د. ت ص47- 53.

(3) ترجمة محمد بن السليم انظر: الخشني/ قضاة قرطبة، ص120، النباهي/ المرقبة العليا ص55- 56.

(4) عبد الواحد المراكشي/ المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص47.

المناظر ليعلم في اقل مايدور في ثغور البلاد كما يذكر لنا ياقوت الحموي: "..وان كان ليلاً اشعلوا نيراناً، فتجردوا الخيل اليهم"(1).

ان الروح العسكرية العالية عند الحجاج تظهر بوضوح عند المنصور العامري في قرطبة حيث وضع امكانيات الاندلس لخدمة الجهاد وقاد 56 غزوة مابين صائفة وشاتية وربيعية وخريفية في كل عام خلال 27 سنة من حكمه حيث وطئت قدمه وجيشه كل بقاع اسبانيا وكتبت عنه كتب التاريخ والحكايات والاساطير التي تمجد بطولته العسكرية وانتصاراته على الاعداء وتحقيق احلامه وطموحاته التي كان يحلم بها من اجل نشر الاسلام وتأديب الكفار وجمع الغنائم وتوسيع جيشه بتشكيل صنوف من الفرق العسكرية فتجمع لديه عدد من المقاتلين من مختلف الطبقات من العرب والبربر والصقالبة لدرجة وصلت به الى الاستغناء عن اعداد من جيشه في فترات معينة كما يخبرنا ابن الخطيب الغرناطي بالنص التالي: "ومن لدن سنة 388هـ/ 998م صدر الامر من المنصور بإعفاء الناس من اجبارهم على الغزو، استغناءً بعدد الجيش، واستظهاراً بأصل العز واسمعهم الخطباء ذلك بأثر قراءة كتب الفتح، وعرفهم بأن من تطوع خيراً فهو خير، ومن خف اليه، فمبرور ومأجور، ومن تثاقل، فمعذور فتمت على الناس النعمة"(2) ومع ذلك كان المنصور حريصاً على الجيش ويتابع من فرَّ عنه من الجنود ويوبخهم بشدة(3).

ذاع صيت قرطبة في ارجاء العالم ايام المنصور وازدهرت في جميع الجوانب لدرجة ان الغنائم تكدست لدى الناس وفي الاسواق وقد وصف لنا عبد الواحد المراكشي اوضاع الاندلس ايام المنصور فقال: "وملأ الاندلس غنائم وسبيا من بنات الروم واولادهم ونسائهم وفي ايامه تغالى الناس بالاندلس فيما يجهزون به بناتهم من من الثياب والحلي والدور، وذلك لرخص اثمان بنات الروم، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكرنا، ولولا ذلك لم يتزوج احد حرة، بلغني انه نودى على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة- وكانت ذات جمال رائع- فلم تساو اكثر من عشرين ديناراً عامريه"(4).

وكان المنصور كثير الاهتمام بالخيل لدرجة انه كان يزرع في كل ستة الف الف مدى من الشعير قصيلاً لدوابه الخاصة به، والا قدم من كل غزوة من غزواته، لايحل على نفسه حتى يدعو صاحب الخيل فيعلمه ما مات منها وما عاش، وصاحب الابنية، فيعلمه بما وهي من اسواره ومبانيه وقصوره ودوره(5).

وتحدثنا المصادر التاريخية على ان المنصور اهتم كثيراً بمتابعة جيشه وبث العيون واستمع الى مايدور حوله من قريب ومن بعيد "فقد حكى ان المنصور بن ابي عامرن ملك الاندلس دخل في مغازيه الى بلاد الكفر بالاندلس، وتوغل فيها، فدخل عليه الشتاء، واحاط به العدو وحصروه، وسدوا عليه الدروب، وحصنوها بالرجال، فثقل ذلك عليه وخاف الهلاك على نفسه وعلى المسلمين، فخرج متنكراً يمشي في عسكره، فوافق رجلين يلعبان بالشطرنج والى جانبهما رجل اخر. فقال احد اللاعبين شاه مات كما مات المنصور بن ابي عامر، فقال الرجل الذي الى جانبهما: لم يمت ولم يمت

---

(1) ابن الاثير/ الكامل في التاريخ، ج4/ 226 (احداث سنة 85هـ وذكر هلاك عبد الرحمن بن الاشعث)

(2) زيدان/ جرجي/ تاريخ التمدن الاسلامي/ منشورات دار مكتبة الحياة، بروت د. ت، بجزءين، ج1/ 234

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج4/ 16

(4) ابن الخطيب الغرناطي/ كتاب اعمال الاعلام، ص68

(5) النباهي/ المرقبة العليا، ص83 انظر نص رسالة المنصور التي وجهها الى من فر من جيشه اثناء احد المعارك

المنصور بن ابي عامر، ولم يزل يذبذب للمغلوب حتى غلب، فتقدم اليه المنصور بن ابي عامر والرجل لا يعرفه وقال: قد قلت انه لم يمت وصدق قولك وقلت ان المنصور بن ابي عامر لم يمت فها الطريق في خلاصه.."[1].

لقد اعتاد المنصور اثناء حروبه منع الاهالي في الاندلس من اشعال النار خلال غزواته في الليل من اجل التعتيم على قوات العدو وليخفى على العدو اثره، ولا ينكشف اليه خبره[2].

وهذه الطريقة من انواع الحيل الحربية التي طبقها جيش قرطبة مع العدو، على العكس ما كان يفعله الحجاج بايقاد النيران ليلاً والتدخين نهاراً ثم الانسحاب من هذه الاماكن ليوهم العدو بأن القوات الاسلامية تعسكر فيها، مثل هذه الحوادث الحربية تبرهن على درجة الدهاء العسكري عند الحجاج والمنصور.

للراية في الجيش الاسلامي معاني متعددة فألوانها المتعددة لها معاني تاريخية حيث توحي بالقوة وتشكل نوع من الرعب والتحدي للعدو، ففي احد معارك المنصور تركت احد الرايات فوق قمة جبل في شمال الاندلس لأيام عديدة بعد انسحاب قوات قرطبة من تلك المنطقة ولكن القوات المسيحية الاسبانية لم تجرؤ على التقدم والزحف باتجاه المنطقة التي كانت فيها الراية الاسلامية خوفاً واعتقاداً من بقاء المسلمين في المنطقة[3].

ان من اصعب الامور في الجيش الاسلامي الخيانة وافشاء الاسرار والخطط الحربية وتسليمها للعدو او تقديم العون والتسهيلات والمساعدات له، وكانت العقوبات الاسلامية بحق الخائن وصلت الى القتل وهذا ما حدث للمنصور عندما امر بقتل ابنه عبدالله سنة 380هـ/ 990م في اثناء غزوته الخامسة والاربعين وذلك لانه قدم مساعدات واسراراً عسكرية للعدو الاسباني فأمر المنصور بضرب عنقه وانفذ رأسه الى الخليفة هشام المؤيد بقرطبة مع كتاب الفتح ودفن جسد ابن المنصور في الموضع الذي قتل فيه[4].

ان الالتزام والضبط والاخلاق صفة وسر من اسرار تفوق نجاح المسلمين وانتصارهم في اغلب معاركهم ومن حادثة وقعت للمنصور اثناء استعراضه للجنود في احد المعسكرات بقرطبة تعطينا صورة عن الضبط والدقة والالتزام للمقاتلين ايام المنصور: ".. ولقد وقعت عينه (المنصور) على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل او جدّ بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله، فقال: على بشاهر السيف، فمثل بين يديه لوقته فقال: ما حملك على ان شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن؟ فقال: اني اشرت به الى صاحبي مغمداً فزلق من غمده، فقال: ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى، وامر به فضربت عنقه وطيف رأسه، ونودي عليه بذنبه"[5].

---

(1) عبد الواحد المراكشي/ المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص60- 61

(2) ابن عذاري/ البيان المغرب، ج2/ 298

(3) الانصاري/ عمر بن ابراهيم الاوسي/ تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق جورج سكانلون، القاهرة 1961، ص39- 40

(4) ابن بسام الشنتريني، ابو الحسن علي (ت 542هـ/ 1147م) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، القاهرة 39- 1942 القسم الاول، المجلد الرابع ص49. وانظر: المقرى، نفح الطيب، ج1/ 602 (نقلاً عن ابن بسام)، ابن عذاري/ البيان المغرب، ج2/ 271، ابن خاقان، ابو نصر الفتح (ت 529هـ/ 1134م) مطمح الانفس وشعار التانس في ملح اهل الاندلس/ تحقيق هدى شوكت، بيروت 1409هـ/ 1989م) ص18، الناصري/ ابن منكلي/ كتاب الحيل والحروب وحفظ المدائن والدروب، مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) تحت رقم 285 الجزء الثاني ص17.

(5) المقّري/ نفح الطيب ج5/ 595

والحجاج اول من اجرى في البحر نوعاً جديداً من السفن واهتم بالحملات العسكرية في البحر[1] ونلاحظ ان المنصور هو الاخر اهتم بإنشاء اسطول كبير في الموضع الكائن في الساحل الغربي للاندلس المعروف بأبي دانس Alcacer do sal، وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وحمل الاقوات والاطعمة والعدد والاسلحة استظهاراً لعزيمته على تطور الاسطول الاسلامي في العصر الاموي بقرطبة[2].

ومن اهم اصلاحات الحجاج العمرانية بنائه مدينة واسط حيث تم تشييدها بعد ان انهى حروبه مع ابن الاشعث ودخل الكوفة وكان كثير من اهلها قد شايع ابن الاشعث فقسا الحجاج عليهم لفعلتهم، وجد ان الجو لم يعد يساعد على بقائه في هذه المدينة المملوءة بالغضب والنقمة عليه، لذلك حاول اختيار مكان مناسب يتوسط البلاد بعد ان توسعت رقعتها حيث كان بين موضع واسط والكوفة اربعون فرسخاً (والفرسخ 8 كم) وقد ذكر لنا ياقوت الحموي عن مدينة واسط قائلاً: "ورأيت واسطاً مراراً فوجدتها بلدة عظيمة ذات رساتيق وقرى كثيرة وبساتين ونخيل تفوت الحصر، وكان الرخص موجوداً فيها من جميع الاشياء مالا يوصف..."[3].

اما المنصور فقد انشأ هو الاخر مدينة الزاهرة في اطراف قرطبة لنفس الاغراض التي انشأت بها واسط وليخلد له انجازاً عمرانياً ولتكون مقراً لجنده وليتخلص من المشاكل في مدينة الزهراء التي انشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر[4].

وبعد استعراضنا للنصوص التاريخية يتبين لنا مدى التقارب والتشابه الكبيرين بين الشخصيتين البارزتين في التاريخ الاموي في حاضرة الكوفة وحاضرة قرطبة من حيث السياسة والروح العسكرية والانجازات الحضارية لكل منهما وكأنه يبدو للعيان بان هناك تنسيق قائم بينهما، فلا غرابة ان يكون المنصور قد اراد ان يقلد الحجاج في شخصيته وسياسته ونزعته العسكرية الاستعلائية، فلا نغالي اذا قلنا بان حجاج الكوفة ظهر من جديد في قرطبة بشخصية المنصور ولا نستبعد ان يكون المنصور قد قرأ كتب التاريخ واطلع على شخصية وسياسة الحجاج واعجب بها محاولاً تقليدها لتحقيق احلامه على الاندلس، وهذا شأن التاريخ ان يعيد نفسه، فكثيراً ماظهر في التاريخ من شخصيات وبرزت باعمالها او سياساتها حاولت ان تقلد او تقتدي بشخصيات بارزة كان لها صيت وباع تاريخي سلبي او ايجابي على الرعية.

---

(1) ابن عذاري/ البيان المغرب ج2/ 284 انظر ايضاً: ابن الخطيب/ اعمال الاعلام، ص75

(2) ابن سماك العاملي/ ابي القاسم محمد بن ابي العلاء محمد (النصف الثاني من القرن 8هـ/ ق14م) الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة، تحقيق د. محمود علي مكي، نشر المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد 1404هـ/ 1984م ص86– 88 (الزهرة رقم 48) وانظر كذلك: المقّري/ نفح الطيب، ج1/ 419 (نقلاً عن ابن سماك العاملي)

(3) الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/ 868م) البيان والتبيين/ تحقيق د. حسن السندوبي، ط2، 1932 ج2/ 242

(4) المقّري/ نفح الطيب، ج1/ 414 وانظر: ابن عذاري/ البيان المغرب ج2/ 295 والحملة البحرية للمنصور كانت في الغزوة الثامنة والاربعون سنة 387هـ/ 997م في حملته الى مدينة جليقية Galicia في الشمال الغربي من اسبانيا.

دراسة جنى الجنتين في شرف الليلتين

المقدمة:

من روائع المخطوطات المغربية الاندلسية في مكتبة الخزانة العامة بالرباط ويحمل الرقم K10228 ويضم 146 ورقة وكل ورقة تحتوي على 19 سطراً دونت بخط مغربي واضح وجميل وقد ورد اسم المخطوط في المصادر الاندلسية والمغربية احياناً بعنوان "جنى الجنتين في فضل الليلتين".

ومؤلف المخطوط من مشاهير علماء المغرب والاندلس ولد في تلمسان عام 710هـ/ 1310م أو 711هـ/ 1311 – 1312م، وبعدها اخذ يرافق والده احمد بن مرزوق في رحلاته منها رحلته الى المشرق لغرض اداء فريضة الحج، وقد زار بها المدن الاسلامية الكبرى والتقى بعدد كبير من علماؤها مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة وبيت المقدس والاسكندرية والقاهرة، وقد استقر في الاسكندرية وتولى بها مشيخة المسجد.

وبعد سنوات قصيرة عاد ابن مرزوق الى وطنه المغرب واثناء عودته التقى بعدد كبير من العلماء والفقهاء وصارت له صلة وتعاون في مجال العلوم حيث ساعدته الرحلة على الاطلاع والتعرف والاستفادة أكثر من المشاهير.

لقد وصل ابن مرزوق مدينة تلمسان في منتصف رمضان من عام 737هـ/ 1337م وقد التحق بوظيفة جديدة في بلاط بني مرين وتولى مشيخة جامع العباد، وبعد تسعة ايام من عودة ابن مرزوق من رحلته استطاع السلطان المريني ابو الحسن من فتح مدينة تلمسان، وفي 27 من رمضان من نفس العام زار ابن مرزوق البلاط لتقديم التهاني الى السلطان ابو الحسن الذي اختاره لتولي وظيفة مهمة هي كاتب البلاط ثم العالم وصاحب الصلاة في البلاط رافق ابن مرزوق السلطان ابو الحسن المريني في معركة طريف في 19 صفر عام 741هـ/ 14 آب 1340م التي حدثت في المضيق لجبل طارق، وقد شارك ابن مرزوق فعلياً في العمليات العسكرية واعمال الحصار، وقد انتهت المعركة بخسارة المرينيين وانتصار الاسبان وقد اطلقت المصادر المسيحية عليها بمعركة السلادو salado نسبت الى النهر التي وقعت بقربه.

وقد اختار السلطان ابو الحسن المريني الفقيه ابن مرزوق على رأس وفدتم ارساله الى مملكة قشتالة المسيحية من اجل التفاوض مع الملك القشتالي وتوقيع وثيقة صلح وتحرير وعتق الاسرى منهم الاسير الامير ابو عمر تاشفين ابن السلطان المريني ابو الحسن الذي وقع اسيراً بيد الاسبان اثناء موقعة طريف.

شارك ابن مرزوق ايضاً في المعركة التي قام بها المرينين ضد تونس وذلك بعد عام 748هـ/ 1347م، علماً بان المؤرخ ابن خلدون لم يؤكد لنا حضور ابن مرزوق في كتابه "المسند" بأنه كان في بجاية مع الامير ابو عمر تاشفين.

تم اعتقال الفقيه ابن مرزوق لاول مرة في السجن بتلمسان وذلك عام 752هـ/ 1351م من قبل السلطان المريني الذي مات في نفس العام، وبعدها اصبح لابن مرزوق معرفة واسعة في غرناطة مع السلطان القصري ابو الحجاج يوسف (733- 755هـ/ 1333- 1354م) ووزيره لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي وصارت له علاقات طيبة وصداقات متينة مع الشاعر الغرناطي ابن زمرك الذي مدحه في قصائده الشعرية كما ذكر لنا ابن الخطيب في "الاحاطة في أخبار غرناطة".

وفي نهاية عام 754هـ/ 1353م وجه السلطان ابو عنان حاكم مدينة فاس Fez الدعوة الى الفقيه ابن مرزوق لحضور بلاطه وقد استجاب ابن مرزوق لذلك وبعدها ارسله السلطان على زعامة سفارة الى بلاط تونس لغرض طلب يد وزواج بنت السلطان الحفصي ابو يحيى ولكن سلطان تونس رفض ذلك ولم يفلح ابن مرزوق في مهمته مما أدى إلى سجنه من قبل السلطان أبو عنان ولم يطلق سراح ابن مرزوق إلا بعد موت السلطان أبو عنان وذلك عام 759هـ/ 1351م.

رحل ابن مرزوق الى تونس وتولى بها مشيخة مسجد المشماعين وبها تم اعداده كتاباً مهماً عن ليلة القدر المباركة في 27 رمضان ليلة المولد النبوي الشريف اسماه: "جَنى الجنتين في فضل (أو شرف) الليلتين".

وفي عام 773هـ/ 1371م غادر ابن مرزوق تونس الى الاسكندرية والقاهرة واستقبله الملك الرشيد ناصر الدين شعبان بن حسين (حكم 764- 778هـ/ 1363- 1376م) الذي رحب به كثيراً وتم تعينه قاضياً وخطيباً ومعلماً في ثلاث مساجد.

وفي شهر ربيع الاول من عام 781هـ/ 1379م توفي ابن مرزوق في القاهرة حيث اقيم له تشيع مهيب شارك فيه كبار العلماء منهم الفقيه ابو القاسم واشهب وتم دفنه في مقبرة "القراف الصغرى" رحم الله العالم الفقيه ابن مرزوق واسكنه فسيح جناته.

درس ابن مرزوق وتتلمذ على يد عدد كبير من العلماء في المدينة المنورة وكان عددهم 14 عالماً كما احصتهم المصادر الاسلامية كما درس على يد ابيه احمد بن مرزوق قراءة القرآن الكريم في المدينة المنورة وفي مكة المكرمة قرأ ودرس ابن مرزوق عند 17 عالماً كما ذكرت لنا المصادر، اما في القاهرة فكان عدد العلماء الذين اخذ عنهم ابن مرزوق فكانوا 40 عالماً وفي بيت المقدس 4 علماء وفي الاسكندرية 3 علماء وفي طرابلس 1 عالم وفي تونس 9 علماء وفي المغرب 14 عالم، وبذلك يكون مجموع عدد العلماء الذين تتلمذ عندهم 104 عالم وفقيه حسب ما احصته لهم المصادر المشرقية والمغربية والاندلسية.

وقد تحدث ابن الخطيب الغرناطي عن ابن مرزوق ونعته بأوصاف وعباراتع التمجيد مثلما عبر عنه أيضاً المقري التلمساني صاحب كتاب "نفح الطيب" بقوله: "... الشيخ الخطيب الفقيه الكبير الشهير الصدر الاوحد سلالة الصالحين، وخطيب والدكم كبير الخلفاء والسلاطين، ويالها من مزية دنيا ودين، ابا عبد الله ابن مرزوق جبر الله تعالى على يدكم البره حاله، وسنى من مقامكم السنى آماله، جرى عليه من المحن، وتباريح الاحن، ما يعلم كل ذي مروءة وعقل، واجتهاد ونقل..."(1).

مؤلفات ابن مرزوق التلمساني

- "عجلة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع من مشايخ دون من احوز من ائمة المغرب والشام والحجاز".
مخطوط مكتبة الخزانة العامة بالرباط برقم 7,579
انظر: المقري/ نفح الطيب ج5/ 392
- "المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن"
تحقيق وترجمة للاسبانية: ماريا خسوس بيكيرا
طبعة المعهد الاسباني العربي maria jesus viguera للثقافة مدريد 1977 (الطبعة الاسبانية)
الطبعة العربية: محمود بو عياد، الجزائر 1981
- "برح الجفاء في شرح الشفاء" وهو تحليل لكتاب "الشفاء" للقاضي عياض السبتي (ت 544هـ/ 1149م)
- "تيسير المرام في شرح عمدة الاحكام" وهو تحليل لكتاب "عمدة الاحكام عن سيد الآنام "لتقي الدين الجمالي (ت 600هـ/ 1203م) مخطوط محفوظ في مكتبة ايا صوفيا (تركيا) برقم 1,331، وله نسخة ثانية في

(1) المقَّري/ نفح الطيب/ ج2/ 127.

مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم 1,222، ونسخة ثالثة في مكتبة الخزانة العامة بالرباط، ويقع في خمس مجلدات

- "شرح الاحكام الصغرى" وهو تحليل وتعليق لكتاب (الاحكام الصغرى) لعبد الحق العربي الاشبيلي.
- "ازالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب" وهو تحليل عن "المختصر في الفروع" لابن الحاجب
- "الاحاديث الاربعون النبوية من مارويات الخلفاء العلويين"

وقد ذكره ابن مرزوق في "المسند"

مخطوط الخزانة العامة بالرباط ويحمل الرقم D3,582 ويقع في 54 ورقة كل ورقة تحتوي على 13 سطر، بخط مغربي

- "ديوان خطب دينية"

اورده ابن مرزوق في "المسند"

مخطوط مكتبة الخزانة العامة بالرباط ويحمل الرقم 4070 ويقع في 54 ورقة وكل ورقة تحتوي على 26 سطراً، بخط مغربي، وتم نسخه في عام 1212هـ/ 1797م، وهو مخطوط قيم يتحدث عن قضايا دينية وفقهية.

- "إيضاح المراشيد في اجوبة ابي الرشيد"

ذكره ابن مرزوق في "المسند"

- "انوار الدراري في مكررات البخاري"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 430

- "النور البدري في التعريف بالفقيه المقري"
- ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 204، 340
- "نهاية الامل في شرح الجمل"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 429

- "اسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الام"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 430

- اظهار صدق المودة في شرح البردة"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 429

- اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 429

- "تمهيد المسالك إلى شرح الفية ابن مالك"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 357

- "فهرست الخطيب"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 470

- "المقنع الشافي"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 429

- "مناقب الشيخ المصمودي"

ذكره المقري في "نفح الطيب" ج5/ 430

- "جنى الجنتين في خبر (او فضل او شرف) الليلتين"
مخطوط مكتبة الخزانة العامة بالرباط برقم K1,228
نصوص مختارة من مخطوط "جنى الجنتين في شرف الليلتين" لابن مرزوق التلمساني
الورقة 10 - مقدمة المخطوط -

وسألت الله عز وجل ان لا يخليني من أجره وثوابه، وان يحشرني في زمرة النبي محمد (ﷺ) وأصحابه وسائر من اثبت أممه في ديوان احبائه، وقسمته على ثلاثة ابواب:

- الباب الاول: في ما يختص بليلة القدر وفيه فصول.
- الباب الثاني: في ما يختص بليلة المولد الشريف.
- الباب الثالث: في الغرض المقصود من جواب وفيه فصول. السؤال الواقع.

الفصل الاول من الباب الاول: فيما يختص بليلة القدر من سبب نزولها واصل تسميتها بهذا الاسم ومعناه وفضلها، فلتتكلم بحول الله عن ذلك بحسب الموضع والامكان فنتكلم بعون الله او لا في سبب نزولها واصل اختصاص ﷺ) بفضلها فنقول: ذكر غير واحد من المفسرين رحمة الله عليهم للتفضل بهذه الليلة على رسول الله (ﷺ)/ (الورقة 11) اسبابا حسب ما يقع التنبيه عليه ان شاء الله تعالى وجعلها عندما جاء من طريق تعتمد صحته ويعول على نقله وهو ما رويناه باسانيدنا المعتمدة الى امام دار الهجرة ابا عبد الله مالك بن انس (رضي الله عنه) في "الموطأ" انه سمع من يوثق به من اهل العلم، يقول: ان رسول الله (ﷺ) ارى اعمار الناس من قبله او ما شاء الله من ذلك فكانه تقام اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من الشهر...

الورقة 15 الفصل الثاني: في تسميتها بهذا الاسم الذي عرفت به،قال مجاهد سميت ليلة القدر لأنها ليلة الحكم وهو التقدير، وقال ايضاً سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما شاء من امر الى مثلها من السنة المقبلة من امر الموت والاجل والرزق وغيره وتسليمه الى مديرات الامور/ (الورقة 16) وهم اربعة من الملائكة اسرائيل وميكائيل وجبريل وملك الموت عليهم السلام. وقال ابن عباس (رضي الله عنه) يكتب من امر الكتاب ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت حتى الحاج.

قال عكرمة: يكتب حجاج بيت الله في ليلة القدر بأسمائهم وأسماء امهاتهم فلا يغادر منهم احد ولا يزاد فيهم، وقاله سعيد بن جبير.

وقال ابن عباس (رضي الله عنه) ان ذلك امنا يكون في النصف من شعبان ويسلم لارباب التقدير في ليلة القدر...

وقال القاضي ابو الفصل (رضي الله عنه) ومعنى ذلك والله اعلم اظهار ما قدر الله تعالى في اذن مع ذلك لحمله وحيه وملائكته بسمائه ونعوذ امره بذلك لهم او اظهار ما قدره ينشأ من افعاله الدالة على ذلك عندهم وإلا فقدر الله عز وجل وسابق علمه والآجال والارزاق وقضاوه بما كان ويكون الاول له فهذا هو معنى ما ورد في هذه الآثار والله اعلم، وقيل انما سميت بذلك لان الطاعات فيها قدر عظيم وثواب جزيل..

الورقة 18 الفصل الثالث: فنص السورة الكريمة اقتضى ما دل على معظمه قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ وهذا بيان صريح للفضل. قال الامام فخر الدين بن الخطيب رحمة الله عليه يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها. قلت من اخلاق ما قاله الغبراء فانه حكى عنه غير واحد انه قال كلما في القرآن من قوله وما ادراك فقد ادراه اياه وما كان من قوله وما يدريك فبم يدره وحكى مثله عن شعبان وعلى كل التقدير من ففيه الابهام المقتضى

التعظيم وقوله تعالى خير من الف شهر هو جازٍ على ما سبق في تعيين السبب او المجموع حسب ما اخترناه فيبين سبحانه وتعالى فضلها وعظمتها...

الورقة 28 فائدة فيما يقال في ليلة القدر: روينا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت يا رسول الله ان واقعة ليلة القدر ماذا اقول فيها قال قولي اللهم انك عفوت العفو فأعفو عني، وفيما ذكرنا في هذا الفصل غنية كافية في الغرض وبالله عز وجل التوفيق.

الورقة 21 الفصل الرابع: فيما يختص بهاما الفصل فقد سبق في العمل فيها من الفصل وسبق ما تميزت به من الشرف والقدر، واما ينفرد به من الاختصاص فحسبك بما اخبرنا الله عز وجل في محكم كتابه من تنزيل الملائكة والروح فيها وقد اختلف المفسرون في الروح بعد اتفاقهم على ان الملائكة تنزل من كل سماء ومن سدرة المنتهى ومسكن جبريل (عليه السلام) وهو الاصح ومن قائل ان الروح صنف من الملائكة جعلوا حفظه على نارهم وان الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة..."

الورقة 23 الفصل الخامس في تعيينهااعلم ام العلماء اختلفوا في تعيين ليلة القدر اختلافاً كثيراً سببه اختلاف الاحاديث الواردة في الباب، ونحن نذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما اشتهر ونوعه الى ما اعتدمه القائل من دليل خبري او اعتباري حسب ما أتفق عليه ان شاء الله عز وجل لما في ذلك من تكميل الفائدة بحول الله عز وجل وهو المستعان فنقول وبالله التوفيق، اختلفوا أولاً هل كانت هذه الليلة مختصة بزمان رسول الله (ﷺ) أولاً؟ فالجمهور على انها نست مختصة على ما سنذكره في الفصل بعد هذا ان شاء الله تعالى، كما اختلفوا في اشغالها في الاعوام كما/ الورقة 24 سيأتي أيضاً فعلى ما ذهب اليه الجمهور من عدم الاختصاص والاشغال اختلفوا في تعيينها على أقوال:

- القول الاول: انها ليلة سبع وعشرين من رمضان وهو قول علي وعائشة زوج النبي (ﷺ) ومعاوية بن ابي سفيان وعبد بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم أجمعين) في جماعة من الصحابة (رضي الله عنهم) وجملة من التابعين، ويشهد لهذا القول ما رويناه من طريق مسلم في مسنده والترمذي في جامعه واللفظ له عن زر بن حبيش (رضي الله عنه)..../ الورقة 25.
- القول الثاني: انها في ليال السنة كلها وتنتقل، وروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب ابو حنيفة وهو على القول ايضاً بها وعدم رفعها وتعيينها اضعف الاقوال.
- القول الثالث: انها في جميع شهر رمضان لقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ﴾ فجعله محلاً عاماً في جميع الشهر ولياليه كلها ليجتهد المرء في تحصيلها طمعاً في ادراكها كما اخفيت الصلاة ابو سعى في جميع الصلوات على القول على القول بتعينها في (الورقة 26)

الصلوات الخمس وكإخفاء اسم الله العظيم منها عظيم في جملة اسمائه الحسنى واخفا ساعة الاجابة في ساعات الجمعة وكذلك ساعة الليل وكإخفاء غضب الله في المعاصي ورضاه في الطاعات وقيام الساعة في الاوقات، والعبد الصالح في العباد، قال ابن بزيرة وهذا هو الصحيح رحمة من الله عز وجل وحكمه.

- القول الرابع: انها في العشر الاخير من رمضان وعليه تدل الاحاديث الواردة في الصحيح، وهو قول مالك والشافعي والاوزاعي واسحق وابي ثور واحمد بن حنبل (رضي الله عنهم)، وهو القول الذي يجمع اشتات الاحاديث المتعرفة في التعين في العشر...
- القول الخامس: انها الليلة الاولى من الشهر، قاله ابو رزين العقيلي.
- القول السادس: انها ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدرٍ وهو قول/ (الورقة 27) الحسن وابن اسحق وعبد الله بن الزبير وكانهم نزعوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ

﴿ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ ﴾ [1] وكان ذلك في هذه الليلة، قال ابن العربي ورواه ابن مسعود عن النبي (ﷺ).

- القول السابع: انها ليلة تسع عشرة منه وهي سابقة العشرين.
- القول الثامن: انها في الحادي والعشرين منه، وقال أيضاً الشافعي (رضي الله عنه) لحديث الماء والطين رواه ابو سعيد الخدري (رضي الله عنه) خرجه عنه مالك وغيره، وقد استوفى الحافظ ابو عمر والاستذكار باحسن ما يستدل به في الباب من الاحاديث المأثورة والآثار المبسوطة، وانما نورد هنا ما تحمله هذه العجالة المقتضبة لما تدعوا اله الحاجة في المطلب ان شاء الله تعالى.
- القول التاسع: انها ليلة الثالث لاوالعشرين لما رواه ابن عمر (رضي الله عنهما)، ان رجلا قال يا رسول الله اني رأيت ليلة القدر في سابعة تبقى، فقال (ﷺ): "ارى رؤياكم تواطأت على ثلاث وعشرين، قال معمر فكان اثوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيباً وشهد له حديث الماء والطين. قال (ﷺ): "ورأيت كأني اسجد في صبيحتها في ماء وطين.

قال عبد الله بن انس فرايته صبيحة ثلاث وعشرين يسجد في الماء والطين، قال/ (الورقة 28) الحافظ ابو بكر بن العربي رحمة الله عليه في كتاب "العارضة" له وقد روى اهل الزهدان ان جماعة منهم سافروا في البحر في رمضان فلما كان ليلة ثلاث وعشرين سقط احدهم من السفينة في البحر فخرخر الماء في حلقه فأذا هو حلوٌ، قال وكان ما يترل من السماء في تلك الليلة من البركة والرحمة تغلب الاجاج عذباً فما ظنك اذا وجدت.

- القول العاشر: انها ليلة خمس وعشرين لحديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان (ﷺ) قال: "اقيموها في العشر الآواخر في تاسعة تبقى في خاصة تبقى" رواه مسلم.

قال مالك ابن انس رضي الله عنه يريد بالتاسعة احدى وعشرين والسابعة ليلة ثلاث وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين.

- القول الحادي عشر: انها ليلة تسع وعشرين لما روي ان رسول (ﷺ) قال: ليلة القدر ليلة تسع وعشرين او ليلة سبع وعشرين وان الملائكة في تلك الليلة بعدد الحصى.
- القول الثاني عشر: انها في اوتار العشر الاخير، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما، قلت واختاره الشيخ ابو الحسن النجمي من اصحابنا وانها تختص بليلة منه لا تكون في غيرها وهذا القول تساعده الاحاديث المتكاثرة المتواردة في صحاح المسانيد.
- القول الثالث عشر/ (الورقة 24) انها في الاشفاع، قال الحسن ارتقبت الشمس في ليلة اربع وعشرين سنة فرأيتها تطلع بيضاء كالشعاع لها، يعني من الانوار المتكاثرة في تلك الليلة.
- القول الرابع عشر: انها في ليلة ست وعشرين وتشهد له بعض بعض الاحاديث، قلت واخبرني بعض الاولياء المشهورين بالولاية والمكاشفات رضي الله عنه ونفع به انه رواها ليلة ست وعشرين، فقلل في جملة حديثه رأيت كذا وذلك في ليلة ست وعشرين وكانت ليلة القدر على ان قوله وكانت يتحمل ان تكون في تلك السنة على القول بانتقالها او فيها معينة في كل سنةٍ وتهيئت سؤاله واستفساره عن ذلك.
- القول الخامس عشر: انها ليلة النصف من شهر رمضان حكاه ابن العربي في بعض كتبه.

---

(1) القرآن الكريم: الانفال (8) الآية 41.

- القول السادس عشر: انها ليلة النصف من شعبان حكاه سند بن عنان واستدل قائل هذا بقوله جل وعز فيها "يعرف كل امر حكيم"(1) وبما ورد في ذلك من احاديث وقد قدمنا ما قاله ابن العربي في الاحاديث الواردة في النصف من شعبان.
- القول السابع عشر: انها اذا كانت في يوم من هذه السنة كانت من العام المقبل في آخر وينسب لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه...

(الورقة 31) الفصل السادس: في بقائها ودوام فضلها واختصاص هذه الامة بها.

اعلم انه قد شهدت طائفة من العلماء، فقالت ان هذه الليلة رفعت وانها لم تقع الا مرة واحدة، وينسب هذا القول لابي حنيفة رحمه الله تعالى وهو قول مرغوب عنه لا عمل غليه عند المحققين من الفقهاء والمحدثين وانه لا حجة له في تمسكه بقوله (ﷺ)... قال القاضي ابو بكر بن العربي رحمة الله عليه: ومن فضل الله على هذه الامة ان اعطاها قيراطين من صلاة العصر الى غروب الشمس واعطى اليهود والنصارى جميعاً قيراطين من اول النهار الى صلاة العصر واعطاها ليلة القدر فجعل لها عاماً بألف شهر فما فاتهم في تقاصر الاعمار التي كانت لمن سبقهم ادركوه فيها فحقق عليهم شعب الدنيا وادركوا عظيم الثواب في الاخرة والحمد لله رب العالمين قلت هكذا وقع لهذا الامام فجعل لها عاماً بالف/ (الورقة 32) وصوابه فجعل لها ليلة بالف شهر، وان كان كما قال الا ان الواقع ما ذكرناه وهو ابلغ في التفصيل وسعة الاحسان.

فهذا ما ورد في العرض الذي قصدناه من ذكر ما يتعلق بهذه الليلة الشريفة نفعنا الله بها ولا حرمنا من فضلها اوردنا منه ما صح واشتهر واقتصرنا منه على ما يحمله هذا المختصر وعلى ما دعت اليه الحاجة واعتمده الائمة المقتدى بهم ولبيان طرق الدلالة على المدعى في هذه المسئلة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الورقة 32 الباب الثاني: فيما يختص بليلة المولد الشريف والكلام في تعيينها وفضلها وخواصها وفيه بحسب هذا التنوع فصول.

الفصل الاول بحسب هذا التشويع فصول

الفصل الثاني: في تعيين ليلة ولادته (ﷺ).

قال الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، اتفق علماء الاسلام من اهل السير الجماهير ومن اهل التاريخ والاثر المشاهير على انه (ﷺ) ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام الفيل ثم قال واختلفوا فيما مضى من ذلك التشهد لولادته (ﷺ) على اربعة اقوال فمنهم من قال ولد يوم الاثنين لليلتين من شهر ربيع الاول، ومنهم من قال لثمان خلون منه/ (الورقة 32) ومنهم من قال لعشر خلون منه ومنهم من قال لأثني عشرة منه وهو الصحيح، حدثنا بذلك عنه في الجملة شيخنا المحدث الحافظ الصدر رفت الدين ابو محمد عبد الكريم بن منير الحلبي عن الامام عز الدين الحراني عن ابي الفرج المذكور وهذا هو الذي صححه الامام ابو العباس احمد بن محمد اللخمي العزفي السبتي...

الورقة 40 الفصل الثاني/ (الورقة 41) في فضل هذه الليلة الكريمة قد قدمناه ان فضله الزمان انما تكون بحسب ما يقع فيه من الفضائل وما يختص به من الخصائص التي منها ما يظهر سيئه ومنها ما لا يظهر حسب ما يفصل بعد ان شاء الله تعالى، وان الزمان بذاته لا يتفاضل والله اعلم اذا علمت هذا وان الامر كذلك فلا افضل من زمان ولد فيه سيد الخلائق اجمعين ورحمة الله للعالمين وسيأتي ذلك مستوفياً ان شاء الله تعالى عند نصب الادلة في الباب الثالث من

(1) القرآن الكريم: الدخان (44) الآية 4.

اهمها المشاهدة المحسوسة وبركاتها المشهورة المعروفة لا تدفع حسب ما يقع ايضاً ايضاحه في الباب المذكورة، وفي الفصل الذي يلي هذا ان شاء الله تعالى.

الفصل الثالث: فيما اختصت به هذه الليلة الكريمة من الآيات الظاهرة المقارنة لولادته (ﷺ)، وهذا الفصل هو لبابي هذا المجموع وزبدته فقد جمعت فيه ما يبرون وعلو الخاطر ويعزو وجوده مجموعاً في غير هذا المقتضب ويقضي المصنف السليم القلب منه بالعجب. فاقول ان الآيات والواقعة حين ولادته (ﷺ) وسلم ذكرها كثيراً من ائمتنا رضوان الله عليهم متفرقة بجمعتها ومن كثير من المصنفات دونتها ومن غصون بطون جملة من الدفاتر استخرجتها وان ذكراها ان شاء الله تعالى على التوالي حسب ما رفع الى من ذلك وبالله التوفيق/ (الورقة 42) فمن ذلك الحديث الطويل الذي اخرجه الحافظ ابو سعد عبد الله بن محمد النيسابوري وابو محمد عبد الله بن زكريا عيسى بن علي في الخصائص ونقله عنهما ابو علي الحسن بن الحافظ ابي الحسن بن القطان في كتاب "الاعلام" وصاحب "الدر المنتظم"[1] وصاحب "كتاب الزاهر"...[2].

(الورقة 91) الباب الثالث في الغرض المقصود من الجواب عن المسئلة عنها وفيه فصول منها ما يتعلق بمعاني الالفاظ المحتاج اليها في تحقيق المسئلة وغير ذلك، الاول في مادة شرف. اعلم ان هذه المادة في اللغة موضوعة للعلو. قال الجوهري التشرق العلو والمكان العالي وقال/ (الورقة 92)...

. . (الورقة 93) الفصل الثاني (الورقة 94) في اقظية بعض الازمان على بعض بحسب ما يختص به لا بذواتها وهذا مما لا تتنازع فيه بين اهل العلم وهو قطعي حسب ما اشار اليه عز الدين. فقد دلت الادلة على تفضيل شهر رمضان جملة على غيره وتفضيل ليلة القدر منه على غيرها من لياليه كما دلت الادلة على تفضيل اشهر الحج على غيرها من الاشهر ويوم عرفة من الاشهر ويوم عرفة على غيره من ايامها وويوم الجمعة على تفضيل ايام الاسبوع والساعة فيه على غيرها من ساعاته الى غير ذلك من الازمان لخصوصيات منها ما هو ظاهر ومنها مالم يظهره لا كنا نعلم انه لخصوصية الله عز وجل اعلم بها كما سيأتي، وهذا مما يحتاج الى تقريره لتوقف مسئلتنا الخاصة عليه يظهر ذلك في بسط اوجه الادلة الموردة وتقريرها ان شاء الله تعالى.

الفصل الثالث: فيما يفضل من بعض الازمان على بعض اعلم ان فضل الازمنة كما سبق تارة يكون لما يختص به من الاعمال المقررة فيها والمقدرة بحسبها لشهر رمضان فانه فضل غيره من الاشهر باختصاصه بالصيام والقيام ويوم الجمعة لما ورد فيه من الخبر واختصاصه بالجميع ولا كذلك يوم عرفة فانا لا نفقه موجب اختصاصه بالعمل المختص به دون ايام العشر وكذلك اختصاص اشهر الحج من بين سائر اشهر السنة فانا لا نفقه وجهه والايام كلها لله عز وجل وكذلك اختصاص بعض الامكنة المعظمة بعمل دون عمل كاختصاص الحجر وما تغتسل وهذا اشار الفاروق رضي الله عنه في قوله/ (الورقة 95) اما اني اعلم انها حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول (ﷺ) قبلك ما قبلته على انه روى ان باب علي بن ابي طالب رضي الله عنه عند اجابه بها وابدى له الحكمة في ذلك ما بدى له على انها زيادة لم تثبت على علي ثبوت المأثور عن عمر رضي الله عنه حسب ما عرف ذلك في كتبه والله اعلم فثبت اذا ان ما ثبت افظيته منه فاعلمنا من وجهة الخبر بسبب التفضيل فيه ومنها لا تعرفه من الازمنة والامكنة، اما فضيلة الاجر المشرفة الثلاثة فقد علمنا من

---

(1) "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" لابي العباس العزفي السبتي/ مخطوط خزانة الاسكوريال بمدريد/ اسبانيا.

(2) كتاب الزاهر/ لابي بكر بن الانباري/ تحقيق د. حاتم الضامن/ وزارة الثقافة والاعلام (بغداد 1979م).

الادلة القرآنية والاخبار النبوية موجب افظيتها ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾[1] ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾[2] الى غير ذلك من الاحاديث في الباب مشهورة معروفة وان كانت حكمة الاختصاص فيها اولا لا نفقه.

(الورقة 95) الفصل الرابع :تقرر فيما تقدم ان الازمان تارة توصف بالفضل للمعني الذي اختصت به العمل المقدرة فيها وتارة توصف بالفضل لشرف المختص بها، وليلة القدر مما ابذى فيها موجب الشرف ووجهه حسب ما قدمناه مما نص عليه محكمُ القرآن وما جاءت به الاخبار الصحيحة المأثورة عن النبي (ﷺ) وشرف مولده صلوات الله وسلامه عليه غير خفي اها شرفت بولادة خير الخلائق واكرمها وازكى البرية واشرفها وخاتم الانبياء وسيد الرسل وسر الوجود ومعناه/ (الورقة 96) ووسيلة الانبياء والمرسلين وامام الملائكة والنبيين ورحمة الله للعالمين وافضل الخلائق اجمعين صلوات الله عليه وعلى اله الاكرمين وصحبه المنتجبين وسلم عليه وعليهم.

الفصل الخامس:من الباب الثالث ليعلم الناظر فيما سطرناه الواقف على ما اوردناه المتأمل بعين الانتقاد ما قررناه الملاحظ بعين الانصاف ما مهدناه اني لم أقصد علم الله فيما تعرضت لتسيطره ونهضت لتقريره الا الاستعباد والارشاد وان اعرض عليكم معشر الفضلاء ما نسخ لتنظروه لا بغرض الانتقاد مع ابداء ما ظهر مرونهم او ذهول ومخالفة للمعروف من منقول او المعهود من معقول او انني علم الله لم أقصده التطاول عليكم بالخلاف ولا طلب الا ما عرف منكم ويليق بكم من الانصاف وما انا بحول الله اشرع في بسط الدليل وتمهيد الفضل والسبيل فيما اليه قصدت واياه من الاختيار صرت والامر المطاع فيه امتثلت وبالله عز وجل استعنت وعليه سبحانه توكلت وبقول الاول تمثلت عطف علينا فاننا لها برحٌ وانتم منا اهل افيد وامن فوائدكم افيضوا اصابة من مواردكم انظر وانظر التامل تاولوا احسن التأول فلولا ابتدا بتحرير الدعاء وتقرير المدعا اذ هو الاول في المباحث والاولى فاقول في علمكم رضي الله عليكم ان هذه المسئلة عدم النصر فيها لعلماء بناصري فيها وقفنا عليه ووطنا بعد الاستقصاء والبحث اليه فحق على من قاده العقل السليم لسلوك/ (الورقة 97).

الورقة (98)/ فان قال احدى الليلتين تثبت فيها من الادلة القرآنية والاخبار النبوية مالم يثبت في الاخرى ومن شرحه النظر فيما اشرت اليه تقارب المستند من الادلة التي اشرت اليها الواردة في ليلة القدر ورد في ليلة المولد الشريف ما يقاومها بل يستند مما يدل عليه التواتر المعنوي الذي فيه وقد قدمناه في ذلك، فاذا تقرر وتحرر القصد والنظر فنقول الكلام في الاستدلال على المطلوب في موضعين باعتبارين الاول في ايراد ما استدل به الثاني في ايرادها اتوقع وروده على وجوابي/ (الورقة 99) عنه بحول الله تعالى، اما الفصل فنقول الدليل على ما تختاره من اثره ليلة المولد بالمعنى الذي قدمناه من وجوده الاول ان الشرف حسب ما قدمناه هو العلو والرفعة وهما نسبتان اضافيتان كل فحسب ما شرفت به وليلة المولد شرفت بولادته خير خلق الله عز وجل فبينت بذلك افضليتها بهذا الاعتبار الثاني: ان ليلة المولد ليلة ظهوره (ﷺ) ليلة القدر معطاة له حسبما قدمناه وما شرفت بظهور فان المتشرف من اجله اشرف مما شرف بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار اشرف.

---

(1) القرآن الكريم: ال عمران (3) الاية 96.

(2) القرآن الكريم: البقرة (2) الاية 144.

الثالث: ان ليلة القدر احدى ما منحه من شرف ليلة المولد بوجوده من المواهب والمزايا وهي لا تحصى كثيرة وما شرف باحدى خصابه من ثبت له التشرف المطلق لا ينعزل منزلة الشرف بوجوده فظهر ان ليلة المولد اشرف بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

الرابع: ان ليلة القدر شرفت باعتبار ما خصت به وهو منقض بانقضائها الى مثلها من السنة المقبلة على الاصح من القولين وليلة المولد شرفت بها ظهرت اثاره وعبرت انواره دائماً ابداً في كل فرد من افراد الزمان من ليلة تبدأ الى انقضاء الدنيا.

الخامس: ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد بظهور النبي (ﷺ) فيها ومن شرفت به ليلة المولد افضل. ممن شرفت بهم القدر على الاصح المرتضى فتكون ليلة/ (الورقة 100) المولد افضل من هذا الوجه وهو المطلوب.

السادس: الافضلية عبارة عن فضل زائد في الافضل والليلتان معاً اشتركتا في الفضل فتنزل الملائكة فيها معاً حسب ما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق (ﷺ) في ليلة المولد ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعاً في المفاضلة بين الملائكة والانبياء عليهم السلام.

السابع: ليلة القدر شرفت بنزل الملائكة عليهم الصلاة والسلام وانتقالهم من الملاك الاعلى الى الارض، وليلة المولد شرفت بوجوده (ﷺ) وظهوره وما شرف بالوجود والظهور اشرف مما شرف بالانتقال.

الثامن: ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها، فانت اذا قدرت اهل الارض كلهم عاملين فيها فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد ولا يلحقون عمله في لحظة وان كان في غيرها فثبتت افضلية ليلة المولد بهذا الاعتبار.

التاسع: شرفت ليلة القدر بكونها موهبة لامة محمد (ﷺ) عناية به عليه السلام وشرفت ليلة المولد بوجوده من وهبت ليلة القدر لامته (ﷺ) اعتبار به فكانت افضل.

العاشر: ليلة القدر وقع التفضل فيها على امة محمد (ﷺ) وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات عند الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1] فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد/ (الورقة 101) اعم نفعاً بهذا للاعتبار فكانت اشرف وهو المطلوب.

لحادي عشر: ليلة المولد فضلت غيرها من ليالي السنة بولادته (ﷺ) فانك تقول فيها ليلة مولد محمد (ﷺ) وتقول في ليلة القدر، وهو اما الشرف واما التقدير والاضافة في ليلة المولد اضافة اختصاص وهي ابلغ من الاضافة الى مطلق الشرف فكانت افضل بهذا الوجه وهو المطلوب.

لثاني عشر: ليلة القدر اما ليلة الشرف او ليلة التقدير فهي وان كان التقدير فيها من لوازمه شرفها باعتباره وليلة المولد ليلة شرف عام لا امراً فيه فيثبت فضل ليلة المولد وهو المطلوب.

الثالث عشر: ليلة القدر انها يحظى بها العامل فيها منفعتها قاصرة وليلة المولد متعدية منفعتها وما كانت منفعته متعدية افضل من غيره وهو المدعا.

الرابع عشر: ليلة القدر في فضلها ثابت مما قدمناه الا انه عرض فيها ما عرض من اختلاف في البقاء والرفع واوضعف، وليلة مولد (ﷺ) شرفها باولها ستذكره بعد ان شاء الله تعالى فكانت افضل بهذا الاعتبار.

---

(1) القرآن الكريم: الانبياء (21) الاية 107.

الخامس عشر: المدعا ان ليلة المولد افضل ويدل بان نقول زمن شرف بولادته (ﷺ) واضافته اليه واختص بذلك فبين اهل الازمنة قياساً على افضلية البقعة التي اختصت به ويحل عليه الصلاة والسلام من اطباقها على سائر الامكنة وقد فضلها اجماعاً فليكن الزمن من الذي اختص بولادته (ﷺ) افضل/ (الورقة 802) الازمان بهذا الاعتبار.

السادس عشر: ليلة القدر فرع ظهور (ﷺ) والفرع لا يقوي قوة الاصل فضلت ليلة المولد بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

السابع عشر: ليلة المولد حصل فيها من الفيض الالهي النوراني ماعم الوجود ووجوده مقارن لوجوده (ﷺ) ولم يقع ذلك الا فيها فوجب فضلها على غيرها وهو المدعا.

الثامن عشر: ليلة المولد اظهر الله فيها سر وجوده (ﷺ) التي ارتبطت السعادات الاخروية على الاطرق وانتحفت الحقائق وتميز به الحق من الباطل وظهر ما اظهره الله تعالى في الوجود من انوار السعادة وسبيل الراشد وافترق به فريق الجنة من فرق السعير وتميز وعلا به الدين واصبح الكفر وهو الحقير الى غير ذلك واسرار وجود الله عز وجل في مخلوقاته وما عبر الوجود من آياته ولم يثبت في ذلك في ليلة من ليالي الزمان فوجب بذلك تفضيلها بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

الثامن عشر: وهو تنويع في الاستدلال وان كان معنى ما تقدم وهو انا نقول لو لم تكن ليلة المولد افضل من ليلة القدر لزم احد امور ثلاثة وهي: أما تفضيل الملائكة على النبي (ﷺ) أو العمل المضاعف او التسوية وكلها ممتنع أم الاول جعل الصحيح المرتض وأما الثاني والثالث فاتفاق وبيان الملازمة ان التفضيل في الاول حصل بولادته (ﷺ) وفي الثانية/ (الورقة 102) اما بنزول الملائكة او العمل.

العشرون: بعض زمن ليلة المولد الشريف هو زمن ولادته (ﷺ) وكل زمن ولادته (ﷺ) افضل الازمنة فبعض ليلة المولد افضل الازمنة واذا فضل بعضها سائر الازمنة فضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار.

الحادي والعشرون: افضل الازمنة زمن ولادته (ﷺ) ولا شيء من زمن ولادته (ﷺ) بليلة القدر فلا شيء من افضل الازمنة بليلة القدر وينعكس الى قولنا لا شيء من ليلة القدر بافضل الازمنة وهذا ابطال الدعو الخصم.

المقام الثاني: فيما أقدر وروده على الادلة التي استدلت بها وما اقدر الاستدلال على خلاف ما صرت اليه.

النوع الاول: وفيه ابحاث أعلم ان ليلة التي ولد فيها رسول الله (ﷺ) بعينها لا ينبغي ان يختلف في تفضيلها على كل ليلة من الليلالي على الاطلاق باعتبار الواقع فيها انما الكلام في تفضيل ما وافقها من ليالي السنة وهذا هو الذي ينظر فيه مع ليلة القدر، فان قلت دل الدليل على ان ما تختص به ليلة القدر موجود في كل سنة على القول المشهور من بقائها وعده رفعها ولم يثبت في ليلة المولد بوجوب اعتبارها في كل سنة فوجب تفضيل ليلة القدر. قلت دل الدليل على مراعاة ضلها باعتبار تكرر ومنها حسب ما رويناه في صريح الصحيح/ (الورقة 104) وهو ما ما حدثنا به شيخنا الامام شمس الدين بن الفراح ناصر الدين ابراهيم بن مضر الواسطي وابو الكنى منصور بن عبد المنعم البرواي والامام ابو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي والامام عبد الغافر الفارسي وابو احمد الجلودي وابراهيم بن سفيان الفقيه ومسلم وزهير بن حرب وعبد الرحمن ابن مهدي ومهدي بن ميمون عن عيلان عن عبد الله بن معبد عن ابي قتادة ان رسول الله (ﷺ) سئل عن صوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي. اخرجه مسلم وفي طريق وفيه بعثت او انزل علي فيه، ورويناه في سنن النسائي من طريق ابن الاحمر وهي الطريق التي انفرد بها المغربة على حسبما قررناه في برنامج المرويات وفي "كتاب عجالة المستوفر المستجاز" في ذكر من سمع دون من اجازنا لمغرب ومصر. والشام والحجاز وخرجه من طريق قتادة او عنه اخرجه العزفي وغيره، فليراجع فقلت ثبت بهذا الحديث استمرار افضلية ليلة المولد وصبيحتها فشرف ما باق ورعى زمنها ثابت اذ لا نزاع في صحة الحديث ولا يرد عليه شيء من الاستدلة الواردة المتون مما تقرر عند الائمة

وأهل النظر، فالحاصل في ليلة القدر حاصل فيها مع قربة عدم الاختلاف الموجود في ليلة القدر وهذا دل المنة دليل على ما ذهبنا اليه والمسنة لله عز وجل، فان قلت ليلة القدر اختصت باعمال لم توجد في ليلة المولد/ (الورقة 105) وذلك يدل على كونها افضل واشرف، قلت الاعمال التي اختصت بها ليلة القدر فان كانت شريفة مشرفة الا ان ما اختصت به ليلة المولد المشرف اعم نفعاً فان ثمرة العمل في ليلة القدر انما يعود بالنفع على العامل فقط دون غيره وليلة المولد عاد نفعها على كل الخلائق كما سبق فان قلت ليلة القدر انزل فيها القرآن الى سماء الدنيا ونجم نزوله بعد على النبي (ﷺ) بحسب الوقائع وتقرير الاحكام وهو معتنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[1] فوجب تفضيلها على غيرها، قلت اما كلام الله تعالى القديم فلا يوصف بالنزول ولا يوصف بالاستقرار وانما استقر الالواح المعنى المشتملة على الالفاظ الدالة على المتعين القديم التي نزل بها الروح على سيد المرسلين بصلوات الله عليه وعليهم وقد نزلت مفصلة على النبي (ﷺ) واستقرت بين دفتي المصحف متلوة لنا ولله المفضل والمنة، فالموهبة فيها كانت لنبينا محمد (ﷺ) من حيث انها من جملة ما انعم به عليه السلام لا لأجل الليلة بعينها فكانت ليلة المولد المكرم اشرف بهذا الاعتبار فان قلت ليلة القدر شرفت باعتبارات منها انها في رمضان ومنها نزل القرآن فيها الى السماء الدنيا كما تقرر ومنها تنزل الملائكة عليهم السلام الى الارض للسلام على أهل الايمان.

قلت الثابت من ذلك كله ما نص عليه الكتاب في محكم الذكر هو "نزول الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام" وما جاء من الاختلاف في السلام بل هو بمعنى اضحية او السلامة او غير ذلك مما اوردناه في فضله عن ائمة التفسير، فتقدم موضحاً وأما ما ذكر من غير ذلك مما اورده المفسرون غيرهم من تنزلهم على صور مختلفة وبابوية مختلفة من كوزة في مواضع بتحية مخصوصة فليت حاديثها بالمعتمدة الضحة في الاستدلال كما سبق فلم يبق الان ولها عليها السلام ليلة القدر وذلك لا ينبغي نزول الملائكة ليلة المولد لمثل ذلك والله اعلم وايضاً فان اختصاص ليلة القدر بتنزل الملائكة عليهم السلام هو لسلامهم على القائمين بها والعاملين فيها كما جاء ذلك صريحاً في الاخبار المشار اليها وذلك لا يوجب افضلية ليلة المولد اذ لا يمتنع اختصاص المفضول بخاصية لا توجد في الافضل كما في كثير من الازمنة والامكنة والاعمال فان قلت قد جاء ان خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وهو ثابت في الصحيح فدل على ان يوم الجمعة افضل الازمان ليفضل ليلة المولد قُلت (الورقة 107) هذا السؤال مشترك الالزام ونسبي وبين مراد عن غير ما ادعيتم لي ان التبرع فاقول الجواب عنه من اوجه:

- الاول: ان الكلام في الليلة لا في اليوم ولا يلزم من كونه افضل الايام وان يكون افضل الليالي.
- الثاني: ان موجب افضليته نبينا محمد (ﷺ) وهي ولادة آدم فيه عليه السلام وقبول توبته وهبوطه الى الارض وقيام الساعة فيه فالمراد بالخيرية وجود مثل الاشياء ووقوعها فيه وانها لم توجد الا فيه وانت له.
- انظرت الى هذه الامور وخبرتها وجدت نور رسول الله (ﷺ) فانظر عليها فهو سر وجود آدمخ وبالتوسل به الى ربه قبلت توبته وقيام الساعة رحمة لامته لئلا يطول مقامهم ولبثهم تحت الارض حسبما جاءت بذلك الاخبار الثابتة المأثورة عنه (ﷺ).
- الثالث: انه العيد الذي اختصت به هذه الامة من ايام الجمعة كاختصاص اليهود بالسبت والنصارى بالاحد فهو من المواهب والرغائب التي منحها رسول الله (ﷺ) فيعود من القول فيه ما قدمناه في ليلة القدر فاندفع السؤال وان كان غير وارد والله اعلم.

(1) القرآن الكريم: القدر (97) الاية 1.

فان قلت ويرد عليك يوم عرفة فقد جاء فيه ما رويناه في الصحيح عنه (ﷺ) من مولد وارى الشيطان يوماً هو فيه احقر ولا ادحر ولا اعيظ منه في يوم عرفة وذلك لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عز وجل عن الذنوب العظام، الحديث لكماله فدل على انه افضل الازمان فيكون افضل من ليلة المولد. قلت/ (الورقة 108) الجواب عنه من وجهين:

- الاول: ما تقدم جواباً ان الكلام في الليلة لا في اليوم.
- الثاني: انه من المواهب والرغائب المنعم بها عليه وعلى امته صلوات الله وسلامه عليه كما تقدم قبله...

وقد تقدم الاستدلال غير مرة بهذا على ان ليلة المولد اشرف وايضاً فانه انما اراد افضليتها على سائر الليالي لما اختصت به من العمل فهي افضل الليالي التي تكثر فيها المثوبات وتتضاعف فيها الاعمال ولهذا/ (الورقة 109) وحل بهذا الكلام ما ورد فيها وفي تعينها ونحن لا ننازع فيما اختصت به من العمل وانما الكلام في شرفها على ليلة المولد من قطع النظر عن العمل ولا دليل يدل على ذلك.

فان قلت هذه مسألة اجتهادية وشروط الاجتهاد مغلوبة في القصد او في الاكثر مراحله.

قلت قد قدمنا انها ليست باجتهادية بمعنى ان المقصود من البحث فيها استنباط الحكم بل الغرض احجية أحد الطرفين لينظر فيه سلمناه لككن لم قلت ان الاجتهاد لا يتجزئ بل المختار عند المحققين تجزيته والمسئلة معروفة عند اهل الاصول.

فان قلت الاجتهاد فيها قد يؤدي الى الخطأ فانها ليست بمنصوبة على ما تقدم والخطأ في مثل هذا يؤدي التأثيم. قلت المقصود في كتب أهل الاصول عندهم ان كل مجتهد في المسائل التي لا نص فيها مصيباً خلافاً لمن قال اذا ذهب واحدٌ فيها على ما هو المعروف والخلاف فيها منصوص عن تلك.

(الورقة 111) خاتمة لهذا المجموع المرجو من الله عز وجل النفع ببركته ويشتمل على فصول:

الفصل الاول: الاعتذار عن التقصير، ولما كانت المسألة غير متنهجة السبيل خلية من القال المعتمد فيها والقيل قصد فيها الخطأ والمراد وصعب فيها الاستبداد لتعذر الاقتداء بائمة الهدى ويرحم القاضي الامام ابا طالب عقيل بن عطية نزيل تلمسان وقاضيها فأنه انبهم على غيره ما نصه ولا غروان من حاول استخراج على لم يجد من العلماء من نبه عليه ولا العنى من أهل الادراك من يطرق له الطريق اليه فانه يستوحش وان اصاب ويتهم نظره وان احسس ويستقصر قوله وان اجاد انتهى/ (الورقة 112) ولنا اعترف حقاً بالمقصور والتقصير واعتذر باوحه من اتجهات ابعاد يزاولها الاستعجال لوجوب الامتثال فيها ما يرجع الى الاعتماد عليه من الكتب عند الاستدلال وثاليثها تنقيب الخاطر المقتم وانقسام البال فحسب الواقف مر علمانياً لاعلى ما سطرته المتامل من فقهائنا لما اوردته ان ينظر بعين منص ويتأمل كلام من هو بالتقصير معترف فالخير علم الله قصدت والبراردت في الامر الواجب الامتثال امتثلت والتوسل بجاويد (ﷺ) اعتمدت ومجموع الاشفاع بهذا المجموع نويت فان اصبت فبمثل الثواب اثبت وان أخطأت اجرت. فقد تقدم من كلام أئمتنا في علم له اصول ما استلفته ونبهت منه على ما اعتمدته.

الفصل الثاني: سمعت شيخنا الامام ابا موسى بن الامام رحمة الله عليه وغيره من مشيخة المغرب يحثون فيما اخذ في ليالي المولد في المغرب وما وضعه العزفي في ذلك واختاره وتبعه فيه ولده الفقيه ابو القاسم ومعها من الائمة فاستصوبوه واستحسنوا مقاصده والقيام بها وقد كان فعل عن بعض علماء المغرب انكاره والاظهر في ذلك عندما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب ايضاً وقد وقع الكلام في ذلك فقال معناه لاشك ان المسلك الذي سلكه العزفي مسلك حتمى الا ان المشتغل في هذه الليلة بالصلاة على النبي (ﷺ) والقيام باحياء (الورقة 113) سنته ومعونة اليه ومسقا همتهم وتعظيم حرمتهم والاستكثار من الصدقة واعمال البر واغاثة الملهوف وفك الفاني ونصر المظلوم، وهو افضل مما سوى ذلك مما احدث اذ لا يخلو من مزاحم في النية او مفسد للعمل او دخول الشهرة وطريق الحق والسلامة معروف، ولا

افضل في هذه الليلة مما ذكرناه من اعمال البر او الاستكثار من الصلاة على النبي ﷺ ليحظى المستكثر فيها ببعض ما ورد في فضلها.

فقد روينا عن ابي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ) "لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا غيري عبدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنت" اخرجه ابو داود.

قالوا لو معنى قوله عليه الصلاة والسلام عيدا اي لا تجعلوا قبري غير مقصود الا في الندوة. كما يقصد العيد في العام مرتين بمعناه الحث على الاستكثار من زيارة قبره (ﷺ).

وقوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا أي لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تكون كالقبور التي لا يصلى فيها...

(الورقة 115)... وتذكر ما خص به عليه الصلاة والسلام من الصفات الجميلة والاخرق العظيمة والسير الكريمة ويتذكر ما وقع في تلك الليلة من الآيات البينات والمعجزات والمعجبات ويستحضر حمدا الله عز وجل ونشكره الذي لا يعني بنقطة من بحر شكره على ما هداه اليه من الاسلام وجعله من امته عليه الصلاة والسلام ويستغفر الله عز وجل في تقصيره في ادلة ما وظفه عليه وتشبطه عن المسارعة لتحصيل ما ندبه اليه فيجتمع بين الحمد والشكر والصلاة على النبي (ﷺ) والاستغفار وتحتم بالدعاء بما يعود عليه من مصالح الدنيا والآخرة فعل اليه ببركة تلك الليلة ان يتقبل دعاءه لاحز منا الله من خيره ورحمته بفضله.

استنتاجات:

اهتم الفقيه ابن مرزوق في تأليفه لكتابه "جَنى الجنتين في شرف الليلتين" وذلك بمراجعة الكتب الاسلامية التي صنفت عن المولد النبوي الشريف في المشرق والمغرب الاسلامي، ومن تلك المصادر الاندلسية التي نسخت عن المولد النبوي الشريف، مثل كتاب "الدر المنتظم في مولد النبي المعظم" لابي القاسم االعزفي اللخمي السبتي الاندلسي ت 677هـ/ 1279م حيث صنف هذا الكتاب لاول مرة الفقيه الشيخ ابو العباس احمد (قيانة 577- 633هـ/ 1162- 1236م) وبعد وفاته اكمله ابنه ابو القاسم العزفي وهو مخطوط في مكتبة دير الاسكوريالمدريد، عملنا عنه بحث بعنوان "مراسيم المولد النبوي الشريف في الاندلس والمغرب".

كما استفاد ابن مرزوق من مؤلفات ابن الخطيب الغرناطي في كتابه "الاحاطة" وتحدثنا ابي اسحاق ابراهيم بن موسى الاندلسي (ت 790هـ) في كتابه "فتاوي الامام الشاطبي" عن الوصية لاقامة المولد النبوي الشريف في الاندلس والمغرب وقد استفاد من ابن مرزوق اما الونشريسي (الحمد بن يحيى ت 814هـ/ 1508م) وكتابه "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب" فقد نقل نصوصاً كاملة من مخطوط "جنى الجنتين" بالاضافة الى كتاب "الدر المنتظم" للعزفي عن اقامة المولد النبوي وليلة القدر الشريفة والعظيمة في الاسلام.

وقد الف ابن دحية الكلبي البلنسي (ت 633هـ/ 1235م) الف كتاباً عن المولد النبوي الشريف عنوانه "التنوير في مولد السراج المنير" وهو مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس ويحمل الرقم 10476. كما صنف المؤرخ المشرقي ابن الجوزي (ابو الفرج عبد الرحمن (ت 597هـ/ 1201م) كتاباً عن ليلة المولد الشريف اسماه "مولد الجوزي الشهير بالعروس".

وهناك معلومات كثيرة عن ليلة المولد النبوي الشريف في كتب الفقه والتاريخ بالاضافة الى ما ذكر عن ليلة القدر المباركة، لابد وان اطلع عليه ابن مرزوق في تأليفه "جنى الجنتين في شرف الليلتين".

المصادر التي استفاد منها الكاتب

- ابن الخطيب الغرناطي (ت 776هـ/ 1364).
"الاحاطة في اخبار غرناطة" تحقيق محمد د الله عنان، 4 أجزاء، القاهرة 1393- 1394هـ/ 1973- 1974م.
- ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ/ 1379)، "المسند الصحيح المسند"
تحقيق: محمود بو عياد الجزائر 1981.
- ابن عذاري المراكشي ت بعد عام 712هـ/ 1312.
"البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب" الجزء الخامس (قسم الموحدين)، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني وجماعته، دار الغرب الاسلامي بيروت 1406هـ/ 1985.
- المقري التلمساني (ت 1041هـ/ 1631).
"نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب" تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر بيروت 1388هـ/ 1968 في ثماني اجزاء والثامن كله فهارس.
- الطرطوشي، ابو بكر بن الوليد (ت 520هـ/ 1126).
"كتاب الحوادث والبدع" تحقيق: محمد الطالبي، تونس 1959.
- الونشريسي، احمد بن يحيى (ت 914هـ/ 1508م).
"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب"
تحقيق: د. محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1401هـ/ 1981، في احدى عشر جزءاً.

حقائق تاريخية عن واقع اليهود وتصرفاتهم العدوانية في الأندلس

لعب اليهود في اسبانيا دوراً عدوانياً معروفاً وأصبحوا اداة عبث وخيانة وكانوا منبوذين في داخل المجتمع الاسباني ووضعت عليهم قيود وتعليمات خاصة أصبحوا مضطهدين ومشردين حتى أصدرت الحكومة الاسبانية قرار بعدم زواج للاسبان من اليهود والاقتران بهدم وأخذ الحيطة والحذر منهم نظراً لكثرة جرائمهم وأفعالهم وتصرفاتهم العدوانية الخبيثة تجاه أبناء المجتمع الاسباني النصراني واستحلال الأموال من الاسبان بطرق غير مشروعة والقيام بأعمال النصب والاحتيال والغش على الناس الأبرياء من النصارى الاسبان وتشير المصادر التاريخية ان اعداداً كبيرة من العوائل اليهودية سكنت في اسبانيا Espana أو ما تعرف بشبه الجزيرة الايبرية La Peninsula iberica"[1] وجاء هؤلاء اليهود عن طريق الهجرات للعيش في اسبانيا نظراً لكثرة خيراتها وجودة مناخها وموقعها الجغرافي الجيد، أو هرباً من الاضطهاد السياسي الذي حدث لهم نظراً لعدوانيتهم تجاه البشر، وتذكر المصادر اليهودية ان عدداً من العائلات اليهودية الشهيرة في الأندلس ظهرت وذلك لان أجدادهم جاءوا إليها اسرى مع أشبان ملك الاسبان في زمن التدمير الأول للهيكل المزعوم عندهم- مثل عائلة المؤرخ اليهودي ابراهيم بن داود في مدينة اليسانة Lucena والعائلات التي تنسب نفسها إلى النبي داود عليه السلام. في مدينة أشبيلية Sevilla مثل عائلة ابرامانيل.

صار اليهود في مدينة غرناطة Grnata ومدينة طليطلة Toledo واليسانة KLucena يدعون ان وجودهم على أرض الجزيرة الاسبانية له جذور تاريخية عريقة منذ زمن نبوخذ نصر من أجل الحصول على حق الاستيطان والتمتع بالحقوق والامتيازات"[2] تباين المصادر وتختلف الآراء حول اعداد اليهود في مدن اسبانيا النصرانية وتؤكد على ان اليهود لم يفلحوا في كسب ثقة الاسبان وصاروا مطاردين ومضطهدين، وحاول المؤرخون اليهود في ايراد نصوص وحوادث عن اليهود في اسبانيا، فيقول المؤلف المجهول في مذكراته عن اليهود في الجزر الشرقية (البليار) وهي الجزيرة الكبرى والصغرى واليابسة التي سماها العرب وتعرف بالاسبانيا.

Mallorca/ Menorca/ Ibiza في البحر المتوسط، ان استيطان اليهود يعود إلى 65 ق.م."[3] تشير احصائية ان عدد الأسرى اليهود في اسبانيا قبل الفتح العربي الاسلامي يصل إلى 300 ألف أسير يهودي"[4].

استقبلت مدن اسبانيا أعداداً كبيرة من الأسرى اليهود الذين رحلوا من القدس الشريف إذ استقبلت مدينة مارد Meridao عوائل عديدة منهم. كما أكدت عليه المصادر اليهودية"[5].

تم استخدام اليهود في اسبانيا كعبيد إذ قام الامبراطور الروماني هدريان Hdyrian (عام 136م) بعد ان قضى على تمرد اليهود في فلسطين الذي قاده باركوكاب Barchochab، وقد نقل هدريان إلى الأندلس نحو 50 الف عائلة

(1) Semon Dubnou, History of the Jews from Roman Empire to the Early Medieval Penod. New York vol. II/ 756 zhak Bear, A history of the jews in Christian Spain (Philadelphia), vol. 1/ 32.
(2) Beinart, Granada, Encycbpedia Jadaica, vol. V/ 852.
(3) Lindo/ The Jews in Spain, p.6.
(4) الكواتي/ مسعود/ اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين/ رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الجزائر، معهد التاريخ/ ص 40.
(5) Lindo/ The Jews in Spain, p.6.

يهودية من أجل استعبادهم"[1] ونرى ان الرقم مبالغ فيه للواقع التاريخي للأندلس ان تصرفات اليهود العدوانية تجاه الاسبان النصارى أدى إلى سعي (حبر يهودي) بتحريض الامبراطور انطوانيوس بن اسريورس المعروف بماركوس اوروليبوس على النصارى، حتى أصبح عدواً لدوداً لهم، لدرجة انه امر بقتل النصارى من جنوده العائدين من الحرب. كما اقنع هذا الحبر الامبراطو الساذج بان النصارى يجلبون أمراضاً معدية، تفتك بالشعوب، واستصدر منه أمراً بابادة النصارى القاطنين في روما وقتئذ"[2].

ومن الأعمال البشعة التي قام بها اليهود في اسبانيا، قيام أحد اليهود بحمل بيده صورة كاريكاتورية للمسيح عليه السلام في أحد شوارع مدينة قرطاجنة Catagena، وهو في ثوب فضفاض، واقدام ظلفاء، يحمل كتباً، فقد كتب بجانب الرسم: (رب المسيحيين ينام مع الحمير!!!)"[3]

موقف اليهود في اسبانيا بعد الفتح العربي الاسلامي:

يتوهم البعض من الباحثين بأن اليهود في الأندلس وقفوا إلى جانب العرب المسلمين وساعدوا الفاتحين ورحبوا بالمسلمين، ولكن الحقائق تؤكد ان موقف اليهود جاء تلبية لمصالحهم الشخصية وانقاذ حياتهم من الخطر الاسباني النصراني الذي جاء رداً على عدوانية اليهود داخل المجتمع الاسباني، وتم وضع ضوابط صارمة على اليهود ومتابعة تحركاتهم والحد من نفوذهم وتصرفاتهم الإجرامية.

شهد أهل الذمة من اليهود والنصارى في الأندلس معاملة انسانية من حكام الأندلس، وتم منحهم الامتيازات والحقوق والحريات في العبادة والعمل فضلاً عن الحفاظ على أرواحهم وأموالهم وحقوقهم، وتنعم أهل الذمة بالعدل والمساواة والتسامح والحرية التي حرم منها اليهود طيلة قرنين في ظل الحكم الاسباني النصراني.

أصبح اليهود يشكلون طبقة كبيرة في المجتمع الأندلسي واشتغل عدد كبير منهم في مؤسسات الحكومة الأندلسية والقصور حتى أصبح أفراد منهم أطباء للحكام أو رجال بارزين في الحركة الفكرية من ادباء وفلاسفة وصنفوا عدداً من المؤلفات وصار لهم نصيب بارز في تاريخ الأندلس.

على الرغم من حجم التسامح والاحترام الذي حصل عليه اليهود في الأندلس لكن هؤلاء اليهود أجابوا عنه بالتآمر والاعتداء والسلب والقتل في داخل المجتمع الاسلامي بالأندلس، وصار اليهودي يشكل خطراً بليغاً وينخرط إلى كل مؤامرة وفتنة وعصيان وساهم في خلق الاضطرابات وتوتر الأوضاع الأمنية والاعتداء على القيم والتقاليد والاعراف في مراحل التاريخ الاندلسي وتفاوتت التحركات الخيانية والعدوانية والحوادث الإجرامية لليهود تطرقت إليها المصادر الأندلسية بحزن أليم ماكان لازم القيام بها نظراً لحسن نية المسلمين تجاه اليهود ورد الاعتبار لهم بعد أن كانوا ينتظرونه من الفاتحين الذين وفروا لهم كل الوسائل المطلوبة.

---

(1) ضياء باشا/ الأندلس الذاهبة - دول الطوائف ودولة المرابطين دولة الموحدين/ تعريب عبد الرحمن ارشسيدات/ مراجعة وتحقيق: صلاح ارشيدات (عمان 1989 ج 406. وانظر:
Lindo/ the jews in Spain, p.6-7

(2) عبد المجيد، محمد بحر/ اليهود في الأندلس (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1970، ص 9.

(3) اميل الخوري/ مؤامرة اليهود على المسيحية (بيروت، دار العلم للملايين 1947م، ص 61.

شواهد تاريخية على تواجد اليهود في مدن الأندلس:

استوطن اليهود في أغلب مدن الأندلس وحصلوا على امتيازات وحقوق وحماية من المسلمين ورعاية كاملة، ويؤكد (صاحب كتاب أخبار مجموعة) على وجود اليهود في مدينة البسيرة Elvira، بقوله: (فحضروا مدينتها، فافتتحت فألفوا بها يومئذ يهوداً، وكانوا إذا ألفوا اليهود ببلدة ضموهم إلى مدينة البلد، وتركوا معهم من المسلمين طائفة، ومضى معظم الناس ففعلوا ذلك بغرناطة، مدينة البيرة، ولم يفعلوا ذلك بمالقة، مدينة رية، لانهم لم يجدوا بها يهوداً، ولا عمارة، وانما كانوا قد لاذوا بها وقت حاجتهم)"[1].

كما فتح الوالي موسى بن نصير مدينة أشبيلية Sevilla ووجد فيها يهوداً وادخلهم إلى المجتمع الأندلسي"[2]، إذ امتنعت اشبيلية عن الدخول إلى طاعة المسلمين لعدة أشهر وهرب منهم أعداداً من العلوج الاسبان إلى مدينة باجة Bega"[3].

اتخذ اليهود مدينة طليطلة Toledo إذ فتحها القائد طارق بن زياد كما أكد ذلك الخبر الآتي: (والفى طارق طليطلة خالية ليس فيها إلا اليهود في قوم قلة، وفر علجها مع أصحابه، ولحق بمدينة خلف الجبل وتبعهم طارق، بعد ان ضم اليهود)"[4].

انتشر اليهود في جنوب الأندلس نظراً لخيراته وجودة مناخه، واستقر عدد من اليهود في غرناطة Granada والبيرة، كما أورد ذلك النص بقوله: (والفوا بها يهود ضموهم إلى قصبة غرناطة، وصار لهم ذلك سنة متبعة متى وجدوا بمدينة يهوداً ضموها إلى قصبتها، ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها)"[5] من أروع صور التسامح العربي الاسلامي هو موافقة الحكومة الأندلسية بتخصيص مقبرة لليهود وتقع في أطراف قرطبة"[6].

كما أطلق باب اليهود على أحد أبواب قرطبة التي تطل على حي اليهود الكائن في مدينة قرطبة الاسلامية"[7].

---

(1) المؤلف المجهول/ أخبار مجموعة فتح الأندلس وذكر امرأها رحمهم الله، والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق المستشرق الاسباني: اميليو لافونتي القنطرة، مديد 1867. ص 12.

(2) المصدر السابق، ص 1.

(3) المصدر السابق، ص 16. المقّري التلمساني/ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب/ تحقيق د. احسان عباس، دار صادر (بيروت 1408هـ/ 1988م، ج 1/ 265.

(4) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت د.ت) ج 2/ 12.

(5) ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان الشركة المصرية للطباعة والنشر (القاهرة 1393- 1973) ج 1/ 101.

(6) أوردها ابن حيان القرطبي/ وذكرها ابن بشكوال خلف عبد الملك الخرزة الانصاري/ الصلة، تحقيق: ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني (القاهرة وبيروت 1402هـ/ 1982م) ج 2/ 462.

(7) الخشني/ محمد بن حارث/ قضاة قرطبة/ تحقيق: ابراهيم الابياري/ دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة بيروت 1402هـ/ 1982م) ص 14.

على أثر اعلان الخلافة الأندلسية عام 316هـ وتنصيب عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) أول خليفة بالأندلس واستقلاله عن الخلافة العباسية ببغداد، لم تلبث ان سرت بين أهل الذمة النزعة الاستقلال إذ تروي المصادر العربية ان الجاليات اليهودية الأندلسية، أسرعت بعد اعلان خلافة عبد الرحمن الناصر، بإلغاء تبعيتها الروحية للأكاديميات اليهودية ببغداد، ثم تذكر المصادر في موضع آخر ان قائد الاسطول الأندلسي في ذلك الوقت محمد بن الرماحس، اسر في عرض البحر أربعة من الأساتذة اليهود الذي أرسلتهم أكاديمية سوراً Sura لجلب اعانات اقتصادية من يهود اسبانيا، وغير بعيدة بالمرة ان يكون للحاث الثاني صلة بالحاث الأول خصوصاً وان المراجع العربية تطلق على اسم سوراً على موضع جنب بغداد وقيل بغداد نفسها"[1].

منح حكام الأندلس امتيازات وحقوق لليهود ودعم وتشجيع للعلماء والادباء على الرغم من تصرفاتهم العدوانية ويذكر المؤرخ ابن القوطية القرطبي إلى هروب الفقيه اليهودي طالبوت في عصر الأمير الحكم بن هشام الأول (الربضي) (حكم في الأعوام (180 – 206هـ) بالاختفاء في بيت يهودي لمدة سنة هرباً من الأحداث التي شهدتها قرطبة أثناء فتنة أو هيج حي الربض Arrabal "[2]

اعتمد الأمير الحكم الربضي على مساعدة منصور اليهودي الذي بعثه وكلفه الاستقبال الضيف العراقي الأديب والغني والموسيقار زرياب الموصلي البغدادي كي يدعوه للحضور من المشرق والدخول إلى الأندلس"[3] تمتع اليهود في ظل الخلافة الأندلسية بحقوق وامتيازات وكان لهم نشاط اقتصادي في الصناعة والتجارة وحصلوا على الأموال الطائلة، وحصولوا على تفويض واحترام من خلفاء الأندلس حتى نالوا مراكز مهمة إذ أصبح حسداس بن شربط طبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر والذي كلفه في معالجة الأمير الاسباني سانجو السمين Sanchoel Gordo الذي كان يشكو من سمنته المفرطة التي جعلته موضع استهزاء من الاسبان إذ لا يتمكن من ركوب الخيل والتي لا تمكن من حمل ثقله، وبعد ان عجز الأطباء في أوروبا من شفائه، نجح الطبيب حسد أي بن شريط من شفائه بعد طلب امه الأميرة طوطه Toda والاستنجاد بالخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر والذي استجاب لطلبه"[4].

لعب الكاتب حسد اي بن اسحاق الاسرائيلي نشاطاً مميزاً في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر بالعمل في السلك الدبلوماسي والتفاوض مع حكام الممالك الاسبانية الشمالية بتكليف من الخليفة الأندلسي ففي عام 328هـ اتفق حسد اي مع حاكم برشلونة Barcelona كما ذكر لنا ابن حيان القرطبي بقوله: (وفيها عقد حسد اي بن اسحاق الاسرائيلي الكاتب، السلم مع شنير بن غيفريد الافرنجي، صاحب برشلونة وأعمالها، على الشريط التي ارتضاها الناصر لدين الله وحدها، واشخص حسداي إلى برشلونة لتقريرهم مع شنير، صاحبها)"[5].

---

(1) صفي الدين البغدادي/ مراصد الاطلاع في ذكر المعاهد والديار ج 2/ 753.

(2) ابن القوطية القرطبي/ تاريخ افتتاح الأندلس/ تحقيق: عبد الله انيس الطباع/ دار النشر للجامعيين (بيروت 1975م) ص 75–77.

(3) المقّري التلمساني/ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق د. احسان عباس، دار صادر (بيروت 1388هـ 168 ج 3/ 124–125.

(4) ابن حيان القرطبي/ المقتبس (ج 5) تحقيق: ب: شالميتا في كورينطي، م. صبح نشر المعهد الاسباني العربي للثقافة (مدريد 1979م) 308، 315، 326، 319.

(5) ابن حيان القرطبي/ المقتبس (ج 5) ص 454.

نجح الدبلوماسي حسدايبن اسحاق الاسرائيلي في مهمته السياسية (ودعا حسداي عظماء برشلونة إلى طاعة الناصر لدين الله وسلمه فأجابه جماعة من ملوكهم، منهم اتجه، أحد عظمائهم)"[1].

يلاحظ على الكاتب حسداي بن اسحاق الاسرائيلي في مهمته مع الممالك الاسبانية النصرانية وعقد الاتفاقيات مع ملوك الاسبان نيابة عن الخلافة الأندلسية وعقد الاتفاقيات مع ملوك الاسبان نيابة عن الخلافة الأندلسية وممثلاً عن الخليفة الناصر لدين الله بعد أحداث معركة الخندق عام 327هـ التي كسبت بها مملكة جليقية Galicia وتم ابرام اتفاقية سلام الاطلاق الأسرى المسلمين عند الاسبان، كما ورد ذلك في النص الآتي: (وكان ذلك سبباً لاخراج حسداي بن اسحاق الاسرائيلي الكاتب إلى جليقية في جمادي الآخرة منها في ذلك، سائراً في اتمام سلمه التي اتصلت خطبتها لها، ولما ان سار حسداي إلى الطاغية رذمير واخترِه حث قلبه واستماله، ولطف به، حتى أحبه، وسمع منه، وافتتن به ووالى مجالسته، فطال مكثه لديه سبعة أشهر وأياماً، ورذمير انس به ومستمتع بحديثه، مستقيم إليه، مصغ إلى قوله، لا يظهر له حسداي الغصص بطول قامه، والا الحنين إلى وطنه، بل يريد الاستكثار منه غنيمة له، حتى استبطن سره، وفهم غرضه..)"[2].

استطاع الكاتب حسداي بن اسحاق ان يحقق نجاحاً في مهمته إلى مملكة جليقية والوصول إلى نتيجة من اطلاق سراح محمد بن هاشم التجيجي الذي وقع أسيراً في معركة الخندق 327هـ، وجرى ذلك عام 330هـ كما ورد في الخبر الآتي: (وخرج معه حسداي ابن اسحاق الاسرائيلي الكاتب، رسول السلطان إلى الطاغية رذمير، ووجوه اساقفه أهل الذمة الذين عقدوا الصلح معه..)"[3].

بعد ضعف الخلافة الأندلسية وانهياره حصل تبدل سريع في تصرفات الجالية اليهودية وتحركاتهم العدوانية وانقسام الأندلس إلى دويلات الطوائف وكشف اليهود انيابهم المسمومة وحقائقهم الخبيثة تجاه مدن الأندلس مما أدى بحكام دويلات الأندلس اتخاذ مواقف تجاه اليهود وتصرفاتهم العدوانية ووضع حد لاعمال الخيانة والرذيلة التي نهجتها بعض عناصر اليهود في المجتمع الأندلسي من قتل وسلب ومؤامرات خطيرة، فيذكر ان أحد الثوار بالأندلس ويعرف بابن عكاشة فر يوم المدافعة، فقتله بالقنطرة رجل يهودي من رجال قرطبة Cordoba"[4].

فرضت قيود وضرائب على اليهود بالأندلس جراء أفعالهم الخيانة ونكران الجميل الاسلامي فيذكر انه في عام 464هـ (وفيها افترض على اليهود فريضة ثقيلة في جميع طاعته اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرين ونيف على ثلاثة عشر ألف دينار)"[5].

يلاحظ على واقع اليهود وتاريخهم الغامض وتعطشهم للخيانة والغدر تعيد إلى ذكريات عن حوادث يهود خيبر من بني قينقاع وقريظة وغدرهم بالعهود والمواثيق التي منحت لهم ولنكهن كانوا على الدوام يضيعون الفرص

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق، ص 46-467.

(3) المصدر السابق، ص 473-474.

(4) ابن الخطيب الغرناطي/ أعمال الاعلام فيمن بويع من ملوك الاسلام قبل الاحتلال (نشر بعنوان: تاريخ اسبانيا الاسلامية) تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط 2 (بيروت 1956م) م 158- 159.

(5) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: دار الثقافة (بيروت د.ت) ج 4/ 320د. احسان عباس.

ويفقدون الاحترام ويسعون لتحقيق أهدافهم العدوانية والسعي للحصول على المال بطرق غير مشروعة والطعن بالانسانية والحضارة.

سجلت كتب الحوادث في قرطبة عام 529هـ مقاومة أهالي الأندلسيين لجرائم اليهود فيذكر ابن عذاري أمثلة عن ذلك بقوله: (وثارت العامة أيضاً بقرطبة في هذه السنة في رجب على اليهود لعنهم الله بسبب قتل وجد بين أظهرهم، ففتحت منازلهم، وانتهبت أموالهم، وقتل نفر منهم)"[1].

ارتكب اليهود عدواناً بشعاً بحق المسلمين بالأندلس والاعتداء على التعاليم الدينية والقيم والتقاليد الاسلامية، كما جاء بالخبر الآتي:

(وقتل يهودي مسلماً، سنة 529هـ واستطال المسلمون على اليهود، فنهبت أموالهم، وهدمت ديارهم وذلك بقرطبة)"[2]تحدثت كتب الفقه وأوردت تعليمات ليهود وتوصيات للحكام في اتخاذ التدابير تجاه اليهود وعدوانيتهم، وقد أورد القاضي ابن سهل القرطبي مسائل قانونية حدثت في مدن الأندلس من حوادث عدوانية لليهود، تذكر منها (ان غلاما اقفل عليه في دار يستغيث ويقول انه يكره على اليهودية فارسلت من وثقت به، فكشفت عن ذلك فانصرف ومعه يهودي وغلام بالغ– فأعلمتها بما رفع اليك– فقال اليهود: الغلام عبدي، ابتعته منذ أربعة أعوام من يهودي في طلطلة– والغلام حينئذ يهودي، وأنكر ان يكون ضربه وقال الغلام: انا حر ابن حرين، مسلم ابن مسلمين من أهل مدينة طليطلة قدمت منها منذ ثلاثة أعوام مع رجل من اليهود، فنزلنا فندقاً ثم انتقلت منه إلى هذا اليهود فخدمته واني حين أظهرت الاسلام.

واردت الخروج عن خدمته، ضربني واقفل علي، وكشف الغلام ظهره، وبه أظثار ضرب شديد، ولا يمكنه فعل ذلك بنفسه)"[3].

ومن أحداث عام 459هـ وما شهدته الأندلس من عدوانية اليهود في عهد الحاكم باريس بن بلقين حاكم غرناطة وصارت لليهود صولة على المسلمين في دولته وكان وزيره اسماعيل بن بغزالة اليهودي الذي لعب دوراً خطيراً وحاول ان يقيم لليهود دولة فدس إلى ابن صمادح صاحب المرية في السر ان يدخله غرناطة ويكون اليهودي في المرية فنمى هذا التدبير إلى صنهاجة فدخلوا إلى دار اليهودي مع جملة من العامة فاختفى في بيت فحم وسود وجهه وتنكر فعرفوه وقتلوه وصلبوه على باب المدينة، وقتل في هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة ونهبت دورهم"[4].

شهدت مدن الأندلس حوادث نكراء لليهود وغدرهم للاسلام فساهم اليهود في غرناطة في التخطيط للتآمر والعدوان وتشجيع الأعداء على غزو غرناطة، كما أكد لنا ابن الخطيب الغرناطي بقوله: (ازعج منهم إلى بر العدوة في

(1) البيان المغرب/ ج 4/ 93.

(2) ابن القطان الكتامي الفاسي/ نظم الجمان/ تحقيق: د. محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية/ جامعة محمد الخامس (الرباط د.ت) 217.

(3) القاشي ابي الاصبع عيسى بن سهل الأندلسي/ وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجة من كتاب الأحكام الكبرى). تحقيق: د. محمد عبد الوهاب خلاف (الكويت 1980م) ص 47– 48.

(4) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب/ ج 3/ 265– 266.

رمضان من العام المذكور عدد جم، انكرتهم الأهواء، وأكلتهم الطرق وتفرقوا شذر مذر، وأصاب كثير من الجلاء جمعتهم من اليهود، وتقاعدت بها منهم طائفة)"(1).

اتخذ الملكين الكاثوليكيين الاسبان فرناندو الخامس قشتال Castilla والملكة ايزابيل حاكمه ارغوان Aragon إجراءات صارمة بحق اليهود في غرناطة وطردهم، وعملا على هدم الحي اليهود وشيدا مكانه كنيسة سميت مريم العذراء"(2).

تركت غرناطة بعد سقوطها أعداد كبيرة من العوائل اليهودية ويصل عددهم إلى 500 يهودي جراء الاضطهاد النصراني لهم في ظل حكم الملكين الكاثوليكيين بعد ان تنعموا بالحرية في ظل الحكم العربي الاسلامي"(3).

برز لليهود نشاطاً خطيراً في مدينة اليسانة Lucena والتي تقع جنوب قرطبة وعلى بعد 40 ميلاً"(4).

وكانت الطائفة اليهودية في اليسانة تشكل خطراً كبيراً نظراً لدور العصابات اليهودية وشبكات الجرائم ومركز لتصدير الارهاب إلى باقي مدن الأندلس لكثرة العوائل اليهودية، ووصفها المؤرخ ابن حيان القرطبي ان (مدينة اليسانة يهود الذمة)"(5).

حدثت اتصالات بين يهود اليسانة ويهود العراق وتم تبادل الآراء وتنسيق التوجيهات، وجاء ذلك في الوثائق اليهودية في أحداث عام 239هـ/ 853م إذ كتب كبير أحبار العراق الجاؤون نظرو ناي جواباً على رسالة يهود اليسانة فخاطبهم بقولهم: (اما بخصوص سؤالكم الذي تذكرون فيه ان اليسانة مدينة يهودية ذات سكان يهود كثيرين... دون وجود أي فرد غير يهودي بينكم)"(6).

سعى رئيس الطائفة اليهودية في مدينة اليسانة في القرن الخامس الهجري ويدعى ابن ميمون، عمل على تحريض يهود اليسانة على العصيان وحثهم على دفع ضريبة الجزية للمسلمين في عصر الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة"(7).

أصبحت عائلة ابن نغرالة اليهودية ذات نشاطاً عدوانياً وتشكل خطراً بالغاً ومصدر قلق واضطراب، وكانت مدينة مالقة Malaga وظهر المتمرد اليهودي أبو ابراهيم اليهودي المعروف بابن نغرالة وكان كاتباً بين يدي أبي العباس كاتب حبوس، انتهز ابن نغرالة ضعف خبرة حبوس بالسياسة، فمكر به، وأصبح ابن اداة تأمر والتخطيط للجرائم، كما أكدنا الخبر التاريخي بقوله: (فلما اتفق أعداؤه مع يدير عليه، شاركوا في ذلك ابا ابراهيم (ابن نغرالة) واجتمعوا في منزله،

---

(1) الاحاطة/ ج 1/ 114.

(2) فرحات/ يوسف شكري/ غرناطة في ظل بني الأحمر، بيروت المؤسسة الجامعية للنشر 1982م.

(3) عبد المجيد/ محمد بحر/ اليهود في الأندلس/ الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي (القاهرة 1970م) ص 40- 41.

(4) الشريف الأدريسي (ت 560م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق/ نشر عالم الكتب (بيروت 1989م) ج 2/ 571- 572.

(5) المقتبس تاريخ رجال الأندلس/ تحقيق الاب ملثور انطونيو، Melchor Antonio باريس 1937م الشريف الأدريسي/ نزهة المشتاق ج 2/ 571- 572.

(6) Astor, Eliyaha/ Spaain Encyclopedia Judica (Jurusalem 1972) voi. T/ 308.

(7) الأمير عبد الله بن بلقين (آخر ملوك بني زيزي ت 483هـ مذكرات (كتاب التبيان/ تحقيق: ليفي بروفنسال/ دار المعارف (مصره 195م) ص 130- 131.

وقال له: (ليس الخبر كالعيان! اسمع بإذنك وع قلبك!) وهو بموضع مرتفع على البيت الذي يرمون فيه عملهم، وأبو ابراهيم في ذلك كله يقول عند محاورتهم كالمخاطب للباري (يامن يرى ولا يُرى!) وهو يعني باريس جدنا الذي يراهم ولا يرونه فشكر ذلك باريس لأبي ابراهيم وأيقن بقنه وأمانته، وصار له خادماً من ذلك النهار وشاوره في أكثر رأيه مع بني عمه)''[1].

قام اليهوي يوسف بن نغرالة بدور هام في التآمر والخيانة والغدر وتحريض السلطان المظفر واقناعه بخديعة للاستيلاء على مدينة وادي اش Guadix والافادة من مواردها من ضريبة المزاج وانخداع السلطان بتوصيات وزيره يوسف ابن نغراله والذي منح وزيره عبد الله خراج مدينة وادي اش مقابل دفع مبلغ خمسة عشر ألف دينار دراهم وهي تساوي أكثر من مائة ألف دينار، فدخل عليه اليهودي وحرض السلطان وقال له: (اقبض وادي اش من عنده، ولك مني فيها أزيد من مائة ألف!) فقال له: (لست اقدر على أخذها عنه بهذا الوجه، فتكون مفاسلة، وهم متصرفون في خدمتها) فوجدها اليهودي السبيل إلى حيلة في نزعها باسم سيف الدولة ابينا وقال: (لاخذن البلدة من يد عدو، فأضعها في يد سلطان يشكرني عليها، ويرى لي ذلك عن تخدم ونصيحة!)''[2].

نهب ابن نغرالة الأموال الطائلة من المسلمين، مما أدى إلى تعالي الصيحات وانذار السلطة بتصرفات اليهودي وقالوا لسيف الدولة: (ان الأموال التي يغنم اليهودي ويستأثرها انت أحق بها وأولى وقد اخملك وأخمل الدولة أجمع! ولو انك قتلته، لم يقل لك أبوك في ذلك شيئاً! وما عسى ان يصنع بابنه؟ اراد الفسقة قتل عدوهم على يدي ابن الرئيس، ليخرجوا ايديهم من المسألة فان عاقب، عاقب ابنه، ان شاء حصلوا على الدولة دون ملامة من السلطان فلم يزالوا به أبداً، ينمون باليهودي، ويكذبون عليه، ويمضون إلى اليهودي بالكذب على لسانه)''[3].

ارتكب اليهودي ابن نغرالة مؤامرة خطيرة ونكراء في امارة باريس بن حبوس في ثروة صنهاجة والتي أدت إلى قتله بعد تصرفاته ومحاولاته التمزيق للصف بين أبناء السلطان من زوجان كما ورد ذلم بالخبر الآتي: (وان الخنزير- لعنه الله- لما رأى طغيان النساء وكل فرقة منهم تريد ولاية من تربية من أبناء السلطان ورأى تغير مولاه عليه وامعان النابة مطالبته والازدياد في جاهه، لم يجد في الأرض مهرجاً، ولا وجد إلى التخلص سبيلاً)''[4]

التربيات التي اتخذها حكام الأندلس من أخطار اليهود:

اتخذت الأندلس الاستعدادات اللازمة تجاه تصرفات اليهود وعدوانيتهم والحد من نفوذهم من مدن ادلس وحماية أهل الأندلس من المسلمين من الخطر اليهودي والحذر من مخططاته عندما تفاقم الموقف وزادت جرائم العصبات اليهودية بعد سقوط الخلافة الأندلسية اهتم المرابطون والموحدون بوضع التعليمات لليهود وتحديد تواجدهم وارتداء الأزياء والألوان وعدم الاختلاط بالمسلمين خشية من دنس التعاليم الاسلامية، واصدار التعليمات في ركوب الخيل في الطرقات أصدر السلطان الموحدي المنصور عام 595هـ قرار لليهود حدد فيه الزي اليهودي للتعرف على الشخصية واعلام المسلمين بهم، كما أكد لنا ابن عذاري المراكشي بقوله: (ومن فضائله المشهورة في الوجود ما أمر به من شكلة اليهود وذلك انهم كانوا قد علوا على زي المسلمين وتشبهوا في ملابسهم بعليتهم وشاركوا الناس في الظاهر من

(1) الأمير عبد الله بن بلقين/ مذكراته/ ص 31.

(2) المصدر السابق، ص 38.

(3) المصدر السابق، ص 39- 40.

(4) المصدر السابق، ص 5.

أحوالهم فلا يميزون من عباد الله المؤمنين، فجعل لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين اردان قميصهم طول ذراع في عرض ذراع أزرق وبراتيس زرق وقلانس زرق في سنة خمس وتسعين المؤرخة ولما اتصل الخبر بابن نغرالة اللعين عمل ارجوزته التي أولها:

ليس ذا الأزرق ليس منه خسارا

فافهموا ياقوم هذه الاشارا

يذكر فيها نبذا ونكتا من الحدثان ويتعرض فيها للتفاؤل بهذا الأزرق للسلطان)"(1).

ونهجت سلطة غرناطة سياسة اتخاذ إجراءات بشأن اليهود ووضع الضوابط لهم في تحديد الزي اليهودي الخاص لتميزهم عن المسلمين، ويصف ذلك الزي المقري بقوله: (قلنسوة، صفراء، إذ لا سبيل ليهودي ان يتعمم البتة)"(2).

اهتم سلاطين غرناطة بمتابعة تحركات اليهود الخطيرة ومراقبة تحركاتهم داخل الأندلسي خشية من عدوانيتهم وغدرهم وخيانتهم.

أصدر السلطان نصر أبو الجيوش (دام حكمه للأعوام 708- 713هـ) والام والتعليمات الخاصة باليهود ويذكرها المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي (ذو الرياستين والعمرين) بقوله: (لما تصير الأمر إلى السلطان نصر سنة 708 اشتد في إقامة الحدود، واراقة المسكرات، وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهدهم، وشارة تميزهم ليوفوا حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الطرق والخطاب)"(3).

اهتم السلطان الغرناطي أبو الوليد اسماعيل بن مزج (حكم للأعوام 713- 725هـ) في وضع تعليمات خاصة باليهود في غرناطة إذ انه (أخذ يهود اللغة بالتزام سمة تشهرهم، وشارة تميزهم، ويوفى حقهم من المعاملة التي أمر بها الخطاب والطرق وهي شواشي صفر)"(4).

نال اليهود في غرناطة من الحقوق والامتيازات على الرغم من تصرفاتهم وقد تضمنت معاهدة تسليم غرناطة للملكين الكاثوليكين عام 897هـ/ 1492م فقرات هامة بفضل المسلمين في حماية أهل الذمة ومنحهم الحقوق، ومن أبرز ماحصل عليه اليهود بوثيقة التسليم هو: (يتمتع اليهود من أهل غرناطة والبيانين وأراضها والأراضي التابعة لها، بما في هذا العهد من الامتيازات، وان يسمح لهم بالعبور إلى المغرب خلال ثلاثة أشهر تبدأ من يوم 19 ديسمبر)"(5).

لكن الملكين الكاثوليكيين اصدرا قراراً يأمر بطرد اليهود من أراضي اسبانيا وغرناطة بتاريخ 31 شباط 1492م نظراً لانعدام الثقة باليهود وتاريخهم المظلم.

---

(1) البيان المغرب في أخبار الأندلس (قسم الموحدين) تحقيق: ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر رزمامة، نشر دار الغرب الاسلامي (بيروت 1406هـ/ 1985 ص 2902.

(2) نفح الطيب، ج 1/ 223.

(3) الاحاطة في أخبار غرناطة، ج 1/ 388.

(4) المصدر السابق/ انظر فرحات/ يوسف (بيروت شكري/ غرناطة في ظل بني الأحمر/ المؤسسة الجامعية للنشر، (بيروت 1982م)، ص 63- 77.

(5) عدنان/ محمد عبد الله/ نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنضرين/ ط 2 (مصر 1985م) ص 234.

أكدت الوثيقة على التزام حكومة اسبانيا بنصوص المعاهدة التي تقول (لا يولي على المسلمين مباشر يهودي، أو يمنح أية سلطة أو ولاية عليهم)"[1].

هكذا كان اليهود في الأندلس من غدر وخيانة مما أعاد للمسلمين حقيقة ان اليهودي يبقى غير أمين وطمع مهما قدمت له ومنحته من الحقوق والامتيازات والحماية والرعاية وهذا ما أردنا ثباته بوثائق ونصوص للباحثين والقراء والحذر والحيطة يجب أن تأخذ في التعامل معهم وقد لعنهم التاريخ وسيظل يعلنهم.

(1) المرجع السابق، ص 232.

خزانة الاسكوريال وتراثها الاندلسي

الاسكوريال من الاديرة المهمة ويعرف بالاسبانية بسان لورنشو دي الاسكوريال San Lorenzo de. El Escorial، ويقع في ضاحية تبتعد عن العاصمة مدريد بحوالي 49 كم، ويعتبر من المناطق الاثرية الجميلة في اسبانيا حيث الغابات الكثيفة والمناظر الخلابة الممتدة امام جبال وادي الراما.

يتكون الاسكوريال من الكنيسة التي تعتبر صورة رائعة من الفن وتضم واجهتها تماثيل للملوك يوذا منها تمثال "سان لورنثو" في المدخل الرئيسي بالاضافة الى 44 هيكلاً مزينة برسوم زيتية من اعمال مشاهير الرسامين الاسبان مثل (كارباخال) (بلاثكيث). اما القصر فقد اسسه الملك الاسباني فيليب الثاني Felipe II ابن القيصر شارل، وهو قصر عظيم هائل ذو اربع طبقات وفيه من بدائع الصنع والاتقان ماجعله محلاً لقدوم كثير من مختلف ارجاء العالم.

ومكتبة دير الاسكوريال تعد من الاهمية بمكان للزائر والباحث لما احتوته من فرائد المخطوطات العربية واللاتينية النادرة والعظيمة الفائدة التي من الصعوبة العثور على نسخ اخرى في الخزائن العربية والعالمية.

خزانة الاسكوريال انشئت خاصة للملك فيليب الثاني الذي كان ولعاً بالكتب، واول الكتب التي وصلت الى الخزانة عام 1565م الحامين المكتبة الاول المدعو خوان دى سان خيرنيمو Juan de San Jeronimo، واخذت الكتب والمخطوطات تصل الى الخزانة، مما حث بالملك فيليب الثاني بالامر على اعداد فهرسة منظمة بصورة علمية لتسهل للباحث الاطلاع على المصنفات، حيث اسند العمل للدكتور بنيتو ارياس مونتانو Benito Arias Montano وذلك عام 1577م عندما صدر مرسوم ملكي بذلك العمل.

ابرز الكتب التي تضمها خزانة الاسكوريال هي المخطوطات الاندلسية النادرة والمهمة في مختلف العلوم التي جذبت العالم الباحث من بقاع الارض للاطلاع عليها. اضافت الكتب الزيدانية التي حصلت عليها اسبانيا عن طريق القراصنة اهمية الى خزانة الاسكوريال، يروي لنا عن ذلك المؤرخ المغربي محمد الفاسي فيقول: "ان خزانة الاسكوريال المليئة بالمخطوطات العربية الثمينة يظن الكثيرون انها من مخلفات العرب في اسبانيا.

والحقيقة ان محاكم التفتيش الكاثوليكية كانت احرقت كل الكتب العربية اينما وجدت ولم يبق بعد خروج المسلمين من الجزيرة كتب عربية تستحق الذكر.

وفي ايام السعديين كان المنصور الذهبي مولعاً بإقتناء الكتب وجمع منها خزانة عظيمة وكان خلفه ابنه زيدان على سننه في الاهتمام بالكتب، فنمى الخزانة التي كانت عند والده. ولما قام عليه احد اقاربه واضطر للفرار كان اول ما فكر فيه خزانة كتبه فشحنها في صناديق ووجهها الى مدينة اسفي لتشحن في سفينة كانت هناك لاحد الفرنسيين امر ان ينقلها الى احد مراسي مدينة سوس حيث كانت عصبة زيدان وانصاره، فلما وصلت السفينة انتظر رئيسها مدة ان يدفع له اجرة عمله ولما طال عليه الامر هرب بمركبه وشحنته الثمينة، فتعرض له في عرض البحر قرصان اسباني وطارده للاستيلاء على الصناديق، ولاشك انهم كانوا يظنون انها مملوءة بالذهب، واستولوا بالفعل على المركب الفرنسي، واخذوا الصناديق فلما فتحوها ولم يجدوا بها الا الكتب، فكروا من حسن الحظ ان يقدموها هدية لملكهم وقد كان من الممكن ان يلقوها في البحر لانها لا فائدة فيها عندهم، ولما وصلت هذه الكتب الملك فيليب الثاني وقد كان منهمكاً في بناء الدير العظيم للقديس لورينسو بالمحل المسمى الاسكوريال، وقد كان نذر في حرب مع فرنسا الجأته لهدم كنيسة تحمل اسم القديس المذكور انه ان انتصر يبني له كنيسة افخم واعظم، فلما وصلته تلك الكتب جسها على الدير المذكور، وهي لاتزال الى اليوم موجودة به، يقصدها العلماء من كل الاقطار للاستفادة من ذخائرها، واخذ منذ ذلك

العهد ملوك الدولة العلوية التي خلفت السعديين على عرش المغرب يطالبون في كل مناسبة بهذه الكتب"[1] حيث ارسلت السفارات من اجل الحصول على ذخائر المغرب وافتكاك الاسرى كما سنرى بعد ذلك.

اما عن مكونات خزانة الاسكوريال من المصنفات، فقد تحدث لنا عن ذلك الاستاذ محمد عبدالله عدنان الذي عمل سنوات طويلة في الخزانة بتكليف من الحكومة الاسبانية وحصل على ترخيص بتصوير مخطوطات كثيرة ومتعددة الاغراض، فيذكر مايلي: "وكانت المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال تبلغ مع ذلك عدة الاف حتى اواسط القرن السابع عشر وكانت انفس مجموعة من نوعها، ولكن حريقاً حدث الاسكوريال سنة 1671م التهم ثلاثة ارباع هذا الكنز الفريد... ولم تفق الحكومة الاسبانية من سباتها الا بعد نكبة سنة 1671م بمدة طويلة فانتدبت المستشرق اللبناني كاسري ليضع فهرساً للبقية الباقية من المخطوطات العربية، وعددها الف وثمانمائة وخمسون"[2].

ان اول من وضع دليلاً مفهرساً لمكتبة الاسكوريال القس اللبناني ميخائيل الغزيري في مجلدين في مختلف العلوم باللغة اللاتينية والعربية وبترقيم لاتيني وذلك في عام 1760 - 1770م[3] الذي اصبح فهرساً مطبوعاً بحجم كبير يعتمد عليه الباحث للاطلاع على المخطوطات العربية في الاسكوريال، وقد اتخذ اسلوب علمي يذكر اول ورقة للمخطوط وكذلك الورق الاخيرة منه باللغة العربية مع ترجمة لاتينية بالاضافة الى اسم المؤلف وسنة وفاته.

اما الفهرسة الثانية لخزانة الاسكوريال فتعود للمستشرق الفرنسي درنبورج، الذي اعد دراسة جديدة وترقيم جديد يختلف عما عمله الغزيري[4] وذلك في عام 1884م وفي ثلاث مجلدات ضخمة ادرج فيها مخطوطات عربية جديدة، وقد اكمل عمل درنبورج، المستشرق الفرنسي ليفي برفنسال Levi Provensal.

وهناك فهارس عديدة تم وضعها من العلماء الاسبان اهمها: للمستشرق الاسباني فرانشكو كوديرا في اصدارات الاكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد[5] هذا المستشرق الذي اسلم وسمى نفسه زيدان حيث ولع بالثقافة الاندلسية وبذل جهده في خدمتها وله مقالات وكتب عديدة منها تاريخ العرب في اسبانيا بجزءين.

وبذل سلاطين المغرب قصارى جهدهم في الحصول على مخطوطاتهم التي سرقت في البحر - كما ذكرنا سابقاً - والتي تعود للخزانة الزيدانية فعمل السلطان المغربي المولى محمد بن عبدالله خليفة مراكش بارسال سفاره برئاسة احمد بن المهدي الغزال الى ملك اسبانيا كارلوس الثالث Carlos III عام 1179هـ/ 1766م من اجل اطلاق الاسرى المغاربة والتفاوض على معاهدة صداقة وسلام والحصول على التراث المغربي من الكتب والمخطوطات العربية، وقد كتب لنا الغزال عن رحلته المشهورة في كتاب متحدثاً فيه عن كل المدن التي زارها بالتفصيل ومنها مدينة الاسكوريال[6].

---

(1) مقالة نشرت في مجلة البينة التي تصدر بالمغرب، ووردت في كتاب الاكسير في فكاك الاسير، لمؤلفه محمد بن عثمان المكناسي، تحقيق محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس/ كلية الاداب الرباط 1965، ص 126 حاشية رقم 1.

(2) عنان/ محمد عبدالله، "مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام" بولاق 1929 ص 149.

(3) Casiri, Michael, Bibliotheca Arabico- Hispana Escurial- ensis, 2 tomos, Matriti 1760- 1770.

(4) Derenbourg, H., Renaud. "Les Manuscrits Arabes de l'Escurial, 3 tomos, Paris. 1884

(5) Codera, Francisco, " Manuscrits Arabes de Escorial- su importancia, su prestamo- su estado.., Boletin de la Historia, t. xxx III diciembre 1898, cuader no VI, pp. 465- 477

(6) الغزال، احمد بن المهدي، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد "رحلة الغزال وسفارته في الاندلس" تحقيقك اسماعيل العربي/ دار العرب الاسلامي، بيروت 1980، من 147- 158 الخبر عن مدينة الاسكوريال.

والرحلة او السفارة الثانية من المغرب الى اسبانيا فقام بها ابو عبدالله محمد بن عبدالوهاب بن عثمان المكناسي التي اوفدها الامير سيدي محمد بن عبدالله عام 1193هـ/ 1779م الى ملك اسبانيا كارلوس الثالث لتجديد الصلح وافتكاك الاسارى الجزائريين باسبانيا والحصول على الكتب والمخطوطات العربية، وتم تدوين الرحلة بكتاب مطبوع تحدث فيها عن خزانة الاسكوريال[1] حيث ينقل لنا المكناسي الخبر عن خزانة الاسكوريال فيصفها بقوله: "... وادخلونا خزانة كتبهم فأرونا بها من البسط المنضدة بالجوهر الثمين عدداً كثيراً معدة لصلاة اعيادهم وارونا حجراً من حجر الماس زنة نحو رطلين او ثلاثة، واطلعونا مدارج اخرى من فوق خزانة كتبهم الى خزانة كبيرة في غاية النظافة والصون جعلوا بها كتب المسلمين رحمهم الله التي بقيت بايدي الكفرة وهي عندهم في غاية الحفظ لايمكن لاحد ان يدخل الى تلك الخزانة كائناً من كان، ومكتوب على باب الخزانة بخط اعجمي ما نصه امر البابا ان لايخرج احد من هذه الخزانة شيئاً، ومن اعتناء الطاغية بنا فتحوا لنا الخزانة بامره، فأرونا كتب المسلمين، وعدتهم الف وثمانمائة سفر فيها نسختان من المصحف الكريم وعدة تفاسير جلهم حواشي وكثير من كتب الطب، وقد طالعت ماسمح به الوقت مع ضيقه، فخرجت من الخزانة بعد ان اوقدت نار الاحزان بفؤادي نارها، ونادت بالثارات فلم ياخذ احد ثارها، ياليتني لم ارها، والحاصل ان هذا الاسكوريال من احدى عجائب الدنيا ففيه من البيوت نحو الستة الالف بيت..."[2].

اما الرحلة الاندلسية الثالثة فتعود الى علي بن مسلم الورداني التونسي عام 1887م الذي زار الاسكوريال وتحدث لنا بالتفصيل عن الخزانة قائلاً: "ثم مكثنا عشرين يوماً نتصفح الكتب في المكتبة مدة ست ساعات في كل يوم ما عدى يوم الاحد، وهذه المكتبة وان كانت في ذات القصر الا انها تحت نظر الاسقف وكافة خدمها من القسيسين، وهي متقنة جداً، وفيها 84000 مجلداً منها الفان وكسور كتب عربية انتخب منها 408 كتاباً"[3].

خزانة الاسكوريال اعدت اول الامر للملك الاسباني وعائلته، وبدون اذن ملكي لايمكن الدخول اليها ومطالعة تراثها او تصويره، وكما اكد عليه ديرنبورج في فهرسته لكتب الخزانة، اما في عصرنا الحالي فأصبح الامر سهلاً فالباحث بهويته الشخصية يسمح له بدخول قاعة المطالعة في الخزانة حيث الدوام الرسمي يبدأ من الساعة العاشرة صباحاً حتى الساعة الواحدة بعد الظهر عدا ايام الاحد والعطل الرسمية وشهر اب ويوم 24و 31 من شهر ايلول من كل عام. وتتوفر في الخزانة اجهزة قراءة المخطوطات المعروفة بالميكروفيلم والعدسات المكبرة والاستنساخ بعد الحصول على موافقة من امين الخزانة وهو راهب يعرف بالاسبانية "البادري Padre" يعني الاب.

تحتفظ المكتبة في حقها فيعدم تصوير الاعمال التي قد ترى ان التصوير قد يلحق بها الاذى والتلف من اشعة التصوير.

كما يمكن طلب التصوير بالاستنساخ او الميكروفيلم للوثائق عن طريق البريد بعد ان يتم دفع الحساب المقرر مقدماً على العنوان التالي بالاسبانية:

17-Sr. Consejero Delegado Gerente del Patrimonio Nacional. Palacio de Oriente, Madrid

---

(1) المكناسي، محمد بن عثمان، الاكسير في فكاك الاسير، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس/ كلية الاداب/ نشر المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط 1965، ص 123- 128 الخبر عن الاسكوريال.

(2) المصدر السابق ص 126- 127

(3) الورداني التونسي علي بن سالم، الرحلة الاندلسية، دراسة وتحقيق: عبد الحكيم التونسي، مجلة اوراق الاسبانية، العدد الخامس والسادس 1982- 1983/ يصدرها المعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد IHAC، ص 123.

او على العنوان الثاني

Sr. Director de la Real Biblioteca Escurialense Paseo de Jose Antonio. 1. S. L. de El Escorial Madrid- Espana.

اختلفت الفهارس التي نظمت لخزانة الاسكوريال في تحديد الرقم لعدد المخطوطات العربية في الخزانة فمنها مثلاً اعطت رقم 600 مخطوط عربي حتى عام 1600م[1] بسبب جهل الحملات التنقيبية عن المخطوطات، وكثرة تلك الحملات، علماً بأن هناك مخطوطات كانت في مجموع او بعض المخطوطات كانت على شكل رزم واعد البعض هذه الرزم مخطوطات مستقلة بالحقيقة ان عدد المخطوطات العربية في الاسكوريال اكثر من الرقم المذكور وذلك بسبب ان هناك مجاميع ضمت احياناً خمس كتب في مجلد واحد، بالاضافة الى ان هناك اوراق متفرقة لكتب قد ضاع عنوانها او اوراق رزمت مع مجاميع لاتمت لها بصلة وغيرها من المتفرقات التي اصابت المخطوطات العربية، اضف الى ذلك النهب الذي تم من المستشرقين والرهبان وامناء الخزانة بشتى الاشكال او ربما التحريف الذي اصاب بعض المخطوطات هناك ملاحظة مهمة هو اننا عثرنا على عدد كبير من نسخ المخطوطات العربية في الاسكوريال تم نسخها من قبل المستشرقين الاسبان منهم فرانشسكو كوديرا زيدان واغليها توجد في المكتبة الوطنية بمدريد. La Biblioteca Nacional de Madrid بالاضافة الى ان جهود المستشرق كوديرا كانت كبيرة فهو الذي نسخ كتاب المقتبس الذي يتحدث عن فترة الحكم المستنصر والذي حققه د. عبد الرحمن علي الحجي، حيث نقله كوديرا من المكتبة الوطنية في الجزائر واودعه في خزانة الاكاديمية الملكية التاريخية بمدريد La Academia Real de Historia التي هي الاخرى تحتفظ بعدد من المخطوطات العربية من خزانة الاسكوريال، بالاضافة الى ان الخزانة العامة بالرباط والخزانة الحسنية (بالقصر الملكي بالرباط) تحتفظان بنسخ مماثلة لما تحتويه خزانة الاسكوريال من التراث الاندلسي.

امانة خزانة الاسكوريال عملت على عرض نخب من روائع المخطوطات العربية من اندلسية ومشرقية في صناديق مزججة في الممرات التي تؤدي الى قاعة المطالعة امام زوار دير الاسكوريال وهي من باب التفاخر والتباهي بانها تمتلك مثل هذه الذخائر الرائعة في مختلف العلوم، نذكر منها التراث الاندلسي وهي:

- البديع في وصف الربيع، للاندلسي ابي الوليد اسماعيل (ت حوالي 708هـ/ 1308م) مخطوط رقم 353 في الاسكوريال.
- قصائد ابن خاتمة الالمري(ت 770هـ/ 1369م) المؤلف من مدينة الالمرية Almeria مخطوط رقم 381 الاسكويال.
- كتاب السُلوانات فيمسامرة الخلفاء او سلوان المطاع في عدوان الاطباع، مؤلفه الصقيلي محمد بن علي بن محمد بن ظفر (ت حوالي 565هـ/ 1169م) مخطوط رقم 528 الاسكوريال.
- كتاب الكشف عن مناهج الادلة فح عقائد الله/ لابن رشد القرطبي (ت 595هـ/ 1198م) مخطوط رقم 632الاسكوريال.
- سياية الامراء ولاة الجنود/ لابراهيم بن عبد الواحد بن ابي النور (كتبه للخليفة المتوكل على الله ابي يحيى أبي بكر، الخليفة الحفصي التونسي) (ت 747هـ/ 1346م) مخطوط رقم 719 الاسكوريال.

---

(1) انظر: د. خوستيل، براوليو "مكتبة الاسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية/ مدريد 1978 ص169 ,Justel Calabazo Baulio, la Real Biblioteca de El Escorial y sus Manuscritos Arabes, Institute Hispano- Arae de Cutura, Madrid 1978, p- 169.

- عقيدة اهل الاسلام/ لمحي الدين بن عربي المرسي (ت 638هـ/ 1240م) مخطوط رقم 762 الاسكوريال.
- الجامع في الطب او جامع مفردات الادوية/ لضياء الدين ابي محمد عبد الله ابن احمد الاندلسي المالقي المعروف بإبن البيطار (ت 646هـ/ 1248م) مخطوط رقم 839 الاسكوريال.
- كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف/ لابي القاسم الزهراوي القرطبي (ت حوالي 400هـ/ 1009م) مخطوط رقم 876 الاسكوريال.
- الجزء الثاني من كتاب الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الاحوال/ ابن ارقم الوادي اشي (ت 757هـ/ 1356م) (تم تصنيفه لامير المسلمين عبد الله محمد بن نصر) مخطوط رقم 902 الاسكوريال.
- كتاب الهيئة/ لجابر بن افلح الاشبيلي (ت 540هـ/ 1145م) مخطوط رقم 930 الاسكوريال.
- نسخة رائعة من القرآن الكريم مسماة بمصحف مولاي زيدان مخطوط رقم 1340 الاسكوريال.
- لباب المحصل في اصول الدين/ بخط ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م) مخطوط رقم 1614 الاسكوريال.
- مجموعة من المجامع والقوانين المقدسةح/ لمؤلف مجهول مخطوط رقم 1623 الاسكوريال

يصفها الغزيري في فهرسته بقوله بانها: رائعة، نادرة، فريدة، وسيدة المخطوطات العربية.

- الجزء الثاني من كتاب المسالك والممالك/ للبكري القرطبي (ت 487هـ/ 1094م) مخطوط رقم 1635 الاسكوريال.
- قطعة من الاحاطة في تاريخ غرناطة/ لابن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م) مخطوط رقم 1673 الاسكوريال.
- الجزء الخامس من رحلة ابن رشد السبتي (ت 721هـ/ 1321م) مخطوط رقم 1680 الاسكوريال.
- الجزء العاشر من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه القرطبي (ت 328هـ/ 940م) مخطوط رقم 1710 الاسكوريال.
- مخطوطة بالالخاميادية (اي اللغة الاسبانية والحروف بالعربية) عن مديح النبي ﷺ مخطوط رقم 1880 الاسكوريال.
- هداية من تولى غير الرب المولى/ للمغربي ابي حفص عمر بن موسى بن محمد الرجراجي مخطوط رقم 1927 الاسكوريال.

يفتخر التاريخ الإنساني ويعتز بإنجاب قادة أبطال عظام امتازوا بالشجاعة والإنسانية والرحمة أثناء الملاحم البطولية مع الأعداء، فالتاريخ العربي الإسلامي انجب له من تلك الشواهد الغزيرة كما اعترف الأعداء والأصدقاء بذلك فيعترف المستشرق غوستاف لوبون إذ ويقول للعالم عباراته المشهورة بحق الفاتحين العرب المسلمين "لم يشهد التاريخ فاتحاً ارحم من العرب".

انجب التاريخ الأندلسي (اسبانيا اليوم) قادة وفرسان متميزين كثيرين نذكر منهم الحاجب محمد بن أبي عامر المعافري ويعرف بالمنصور العامري ولد بالأندلس عام 328هـ/ 940م وتوفي بمدينة سالم بشمال الأندلس أثناء المعركة عام 392هـ/ 1002م واصله من قرية تركش، وانه رحل إلى قرطبة وتأدب بها، ثم اقتعد دكاناً عند باب القصر الخلافي بقرطبة يكتب العرائض للناس واخدم والمرافعين للسلطان، وشاء الحظ ان يحالف المنصور العامري في السيدة صبح البشكنسية زوجة الخليفة الحكم المستنصر بالله والدة هشام المؤيد أن تطلبه فأن يؤدب ولدها الصغير، فنجح في مهمته وكان له طموح واسع في أن يصل إلى أعلى المراتب السلطانية، فظهرت منه نجابة، فترقى إلى وظيفة الزكاة والمواريث باشبيلية وتمكن من الوصول إلى قلب السيدة بما استهالها به من التحف والخدمة مالم يتمكن غيره"[1]، حتى إن الخليفة الحكم الثاني استغرب من أسلوبه وتعجب من دهاء المنصور، فقال في أحد الأيام لبعض ثقاته في مجلسه عن المنصور العامري: "فالذي استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى ملكَ قلوبهن، مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صرن لا يصفن إلا هداياه، ولا يرضيهن إلا ما أتاه، انه لساحر عليم، أو خادم لبيب واني لخائف على مل بيده!"[2] يصفه المؤرخ الحميدي بقوله "كان قوي النفس ساعدته المقادير، وامدته المرأة بالأموال، واستمال العساكر، وجرب أحوال علت قدمه فيها حتى صار صاحب التدبير، والمتغلب على الأمور، وحجب هشاماً المؤيد، وتلقب بالمصور، واقام الهيبة فدانت له أقطار الأندلس كلها، وامنت به، ولم يضطرب عليه شئ منها أيام حياته لعظيم هيبته، وكياسته، وكان محبا للعلم مؤثر للأدب، مفرطا في أكارم من ينتسب أليهما، ويفد عليه متوسلا بهما، بحسب حظه منهما، طلبه لهما، ومشاركته فيهما، وكان له مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحظرته، ما كان مقيما بقرطبة، لانه كان ذا همة ونية في الجهاد مواصلا في غزو الروم، حتى انه كان ربما يخرج إلى المصلى يوم العيد، فتقع له نية في ذلك، فلا يرجع إلى قصره ويخرج بعد انصرافه من الصلاة كما هو من فوره إلى الجهاد، فتتبعه العساكر، وتلحق به أولا فأولا فلا يصل إلى أوائل الدروب إلا وقد لحقه كل من أراد من العساكر، غزا نيفا وخمسين غزوة ذكرت في كتاب "المآثر العامرية" بأوقاتها، وآثاره فيها، وفتح فتوحا كثيرة، ووصل إلى معاقل جمة امتنعت على من كان قبله وملئ الأندلس بالغنائم والسبي، وكان في اكثر زمانه لا يبخل بغزوتين في السنة، وكان كلما انصرف من قتال العدو إلى سرادقه يأمر بان ينفض غبار ثيابه التي

(1) ابن خاقان الأندلسي/ ابو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الاشبيلي (ت 503هـ)/ "مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس" تحقيق: د. هدى شوكة بهنام، دار الغصون ط1 (بيروت 1904، 1989) ص 196 نقلاً عن المؤرخ ابن حيان القرطبي (كتاب الدولة العامرية)

(2) ابن عذاري المراكشي، ابو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد 712هـ/ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب/ تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت د. ت) عن (طبقة باريس 1948م) ج2/ 252.

حضر فيها معركة القتال، وان يجمع ويحتفظ به، فلما حضرته المنية أمر بما اجتمع من ذلك أن ينشر على كفنه إذا وضع في قبره وتوفي في طريق الغزو في أقصى الثغور لمدينة سالم"[1].

وصفت المصادر الأندلسية الحاجب المنصور العامري باحلى العبارات واجملها ومجدته بصور ومواقف من بطولاته الحربية وأعجبت بثقافته العالية وحبه للإسلام وصلته بالعروبة ودفاعه عن ارض الإسلام، وكان رجل الحرب والسياسة والقلم. كان محباً للمصاعب ويتحدى المخاطر مهما بلغت فهو مفخرة بكل عربي ومسلم في بطولته الإنسانيته، ويطلق عليه بعض المؤرخين الجدد (بسمارك القرن العاشر الميلادي).

يذكر المؤرخ والأديب الأندلسي ابن بسام الشنتريني شخصية الحاجب المنصور العامري الإعجاب والإقدام للجهاد حيث قاد 57 حملة حربية على الممالك الاسبانية الشمالية في فترة لا تتجاوز 27 سنة من حكمه بالأندلس ما بين صائفة وشاتيه وخريفية وربيعية وعلى مدار فصول السنة. كان الحاجب لا يرضى بالخذلان والانهزام والخوف ويسعى للجهاد مهما كلف من ثمن وتضحيات من اجل تحقيق النصر للسلام، فيذكر لنا المؤرخ ابن حيان القرطبي عنه بقوله "وجاشت النصرانية بموت الحكم الثاني، وخرجوا على أهل الثغور، فجاء صراخهم إلى باب قرطبة فلم يجدوا عند جعفر غناءً ولا نصرة. وكان مما عرف به لحيلته وعظيم أفنه أن أمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم آنة، لغمفه ولسوء دجلته، يلتمس بذلك دفاع العدو عن حوزته، ولم تتسع حيلته لاكثر من ذلك مع وفور جيش السلطان يومئذ وجموم أمواله، فكانت من سقطات جعفر المأثورة، فأنف ابن أبي عامر (المنصور العامري) من تلك الدنية واشار على جعفر بتجريد الجيش للجهاد وخوفه سوء العاقبة في تركه، واجمع الوزراء على ذلك إلا جماعة خاموا عنه، فبادر ابن أبي عامر إليه ووعد من نفسه الاستقلال به على أن يختار الرجال ويجهز لغزوته مائة ألف مثقال، فنفر بالجيش ودخل على الثغر الجوفي إلى جليقية (في الشمال الشرقي من أسبانيا) فنازل حصن الحامة من أعمال ردمير، فدخل ربضه وافشى النكاية وغنم، وقفل ووصل الحضرة بالسبي إلى 52 هجوماً فعظم السرور وخلص الجند له، واستهلكوا في طاعته لما رأوه من كرمه"[2].

سعى القائد العربي المنصور العامري من تشكيل قوة عسكرية ضارية لم يشهدها العالم في زمانه وحقق النظريات الناجحة في اختيار نوعيات المقاتلين المؤمنين بربهم والصادقين في قتالهم من اجل تحقيق النصر، ففي عام 388هـ منح قراراً جاء فيه "صدر الأمر من المنصور بإعفاء الناس من إجبارهم على الغزو، استغناء بعدد الجيش واستظهارا بأصيل العز، وأسمعهم الخطباء ذلك بأثر قراءة كتب الفتح، وعرفهم بأن من تطوع خيراً، فهو خير، ومن خف إليه، فمبرور ومأجور، ومن تثاقل فمعذور، فتمت على الناس النِّعمة"[3].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي/ لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السلماني (ت 776هـ)/ كتاب أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام/ نشر بعنوان تاريخ اسبانيا الاسلامية، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال/ دار المكشوف، ط2 (بيروت 1956م) ص 80– 81، ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب/ ج2/ 351/ المؤلف المجهول/ ذكر بلاد الاندلس/ تحقيق وترجمة: لويس مولينا (المجلس الاعلى للابحاث العلمية/ المعهد ميجيل اسين/ مدريد 1983م ج1/ 195.

(2) ابن بسام الشنتريني/ ابو الحسن علي بن بسام (ت 542هـ) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة/ نشر جامعة فؤاد الاول/ (القاهرة 1939– 1945م) القسم الرابع– المجلد الاول، ص 44– 45 برواية المؤرخ ابن حيان القرطبي.

(3) ابن الخطيب الغرناطي/ اعمال الاعلام/ ص 68.

كان الحاجب المنصور العامري من الفرسان محباً لاقتناء الخيول الجيدة وبأغلى الأسعار، وقد جمع أصناف متعددة من خلال الشراء أثناء حملاته العسكرية على المدن الأسبانية، وكان يعتني بالخيول بنفسه ويعلفها ويعالجها، كما ورد ذلك بالنص التالي "وكان المنصور يزرع في كل سنة ألف ألف مُدي من الشعير قصيلا للدوابة الخاصة به، إذا قدم من كل غزوة من غزواته، لا يحِلُّ عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل، فيعلمه ما مات منها وما عاش"(1).

كان الحاجب المنصور العامري لا يرحم من يخون أرضه واسلامه واهله حتى أولاده واقاربه، فقد أمر بضرب عنق ابنه عبد الله لخيانته وانضمامه إلى جيش العدو وذلك في حملته العسكرية على مدينة شنت اشتبين "فلما اشتغل المسلمون بالقتال، فر عبد الله ابن المنصور العامري من العسكر في ستة نفر من غلمانه، فلحق بعدو الله غرسية بن فرذلند صاحب آلبة فقبله واجاره على أبيه، فتحرك المنصور لغزو غرسية ومطاليته بتسليم ابنه إليه، واقسم له انه لا يقلع عنه حتى يمكنه من ولده واصر غرسية على الامتناع من ذلك، فهزم المنصور غرسية، وفض جمعه.... فوكل غرسية بعبد الله جماعة من العلوج، وحمل عبد الله واصحابه على البغال. وخرج سعد الخادم يستقبل عبد الله،..... فضرب عنقه صبرا عند غروب الشمس من يوم الأربعاء لأربعه عشرة خلت من جمادي الآخرة سنة 380، ونقل المنصور راس ابنه إلى الخليفة مع كتاب الفتح ودفن جسده في الموضع الذي قتل فيه، وكان سنه يوم قتل 23 سنة، وذلك في غزوته"(2).

وكان الحاجب المنصور العامري يتابع الانضباط العسكري والتزم المقاتلين بالأوامر وتنفيذها واحترامها بدقة، فأمر بضرب عنق جندي بجيشه شهر سيفه أثناء استعراضه للمقاتلين، فيذكر الخبر الآتي "انتهت هيبة المنصور بن أبي عامر وضبطه للجند واستخدام ذكور الرجال وقوام الملك إلى غاية لم يؤتها ملك قبله فكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلاً في الزمانة والإطراق حتى إن الخيل لتمتثل إطراق فرسانها، فلا تكثر الصهيلَ والحَمحمة، ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سَلَهَ بعض الجند بأقصى الميدان بهزل أو جد بحيث ظن أن لحظ المنصور لا يناله. فقال: عَلَيَّ بشاهر السيف. فمثل بين يديه لوقته فقال: ما حملك على أن شهرت سيفَكَ في مكان لا يشهر فيه إلا عن إذن؟ فقال: اني أشرت به إلى صاحبي مغمداً، فندلق من غمدِهِ، فقال: أن مثل هذا لا يسوغ بالدعوى. وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيفَ برأسه ونودي عليه بذنبه"(3).

اهتم البطل المنصور العامري بجهاز المخابرات وبث العيون عند حدود الأندلس مع جيرانهم النصارى وتابع الجواسيس الداخلين إلى بلد الأندلس، ومن الحوادث التي تدل على حرص الحاجب واهتمامه بمراقبة حدوده مع الأعداء، انه أمر فارس من فرسانه في الخروج باتجاه الحدود في ليلة شديدة البرد والريح وأمرهم بالقبض على من يمر من هناك "فحدث وان مر شيخ عجوز على حمار له، وعلى آلة الحطب فقال له الفارس: "إلى أين تذهب، يا شيخ؟" فقال: "وراء الحطب، فقال الفارس في نفسه: "هذا شيخ مسكين نهض إلى الجبل يسوق حطباً. فما عسى أن يريد المنصور منه؟ قال: فتركته. فسار عني قليلاً ثم فكرت في قول المنصور، وخفت سطوته فنهضت إلى الشيخ، وقلت له "ارجع إلى مولانا المنصور" فقال: وما عسى ان يريد المنصور في شيخ مثلي؟ سألتك بالله أن تتركني لطلب معيشتي!" فقال له الفارس: (لا افعل) ثم قدم به على المنصور، ومثله بين يديه وهو جالس، لم ينم ليلته تلك. فقال المنصور للصقالبة

(1) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب/ ج2/ 298.

(2) ابن عذاري/ البيان المغرب/ ج2/ 284، ابن الخطيب الغرناطي/ اعمال الاعلام/ ص 75.

(3) ابن سمالك العاملي المالقي الغرناطي/ الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة- تحقيق: د. محمود علي مكي/ المعهد المصري للدراسات الاسلامية (مدريد 1404هـ/ 1984م) ص 86- 87 الزهرة رقم 48.

"فتشوه!" ففتش فلم يوجد عنده شيء، فقالا: "فتشوا برذعة حماره!" فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور، يجزمون عنده إلى أصحابهم من النصارى أو يضربوا في إحدى النواحي المعلومة، فلما انبلج الصبح، أمر بإخراج أولئك النصارى إلى باب الزاهرة، فضربت أعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم"(1).

كان الحاجب المنصور العامري يحمل القيم والمعاني بالبطولة حريصا على بلده الأندلس بالمتابعة والسهر، وفي رواية تذكر انه افرط الحاجب في السهر، وبدنه يحتاج الى اكثر من هذا النوم، وهو يعلم ما يحرك عليه السهر من علة العصب، فقال "يا شعلة! حارس الدنيا لا ينام إذا نامت الرعية! لو استوفيت نومي، لما كان في دور هذا البلد عين نائمة! ولو كنت من صاحب القصر، واشار الى ناحية الخليفة، على مثل مسافة بسطة، لحرمت النوم! فكيف وإنما بيننا مدى صيحة!"(2).

اتصف الحاجب المنصور العامري بالرحمة على الضعفاء والفقراء والمساكين والتسامح معهم، ويذكر أن الحاجب العامري في حملته 48 على مدينة شنت ياقب في إقليم جليقة لم يجد أحداً من الناس دخوله مع جيشه وانتصاره على جليقية GALICIA إلا شيخاً جالساً على القبر فسأله عن مقامه، فقال "أؤانس يعقوب" فأمر المنصور بالكف عنه"(3).

واصدر الحاجب المنصور العامري أمراً عسكرياً في حملته العسكرية على جليقية نهى به "عن وقود النار ليخفى على العدو مكانه"(4).

عرف الحاجب المنصور العامري بكرمه واحترام ضيوفه ومساعدة الضعفاء ومن جود كرمه إن رجلاً احتاج إلى مال لتزويج ابنته كما ورد بالنص "فاضطررت لما اصلح به حال الجارية إلى بيع لجام حلي ثقيل الوزن رديء العيار، وكان عندي لزينتي أيام المواكب وتقاعد فيه الشجار فانقطعت بي أملي فوقع في نفسي قصد ابن أبي عامر صاحب السكة للذائع من كرمه واعظم رغبتي أن يصوب لي في السكة دراهم، فقصدته وعرفته رغبتي، فسارع بإطلاق وجه وقال: سر الي بدار الضرب فجئته واوصلني إلى نفسه والدراهم المطبوعة بين يديه، وأومأ الي فأخرجت اللجام وأنا خائف من صرفه بسقوط عياره، فوالله ما نظر إليه ولا عايره، وراطلني والله باللجام بحدائده وسيوره، فأخذت ما لم يدر في وهمي أن اظفر في بمثله، وعظم ابن أبي عامر في عيني، وقمت عنه وحجري ملآن ولا اصدق بما حصلت عليه"(5).

يحمل الحاجب المنصور العامري القيم والمبادئ العربية الإسلامية وإيمان بالله وكتابه الحكيم "ومن ذلك: انه خط بيله مصحف كان يحمله معه في أسفاره، يدرس فيه ويتبرك به... ان يسأل الله تعالى أن يتوفاه الله في طريق الجهاد، فكان كذلك"(6).

نجح الحاجب العامري على تشكيل قوة ضاربة من الفرسان والمشاة وكان الحاجب يقول: "إن زمامي يشتمل على عشرين ألف مرتزق" في الديوان"(1).

---

(1) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب/ ج2/ 290– 291 (برواية ابن حيان القرطبي).

(2) ابن الخطيب الغرناطي/ اعمال الاعلام/ ص 76.

(3) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب/ ج2/ 295– 297.

(4) ابن بسام الشنتريني/ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الرابع/ ص 49.

(5) المصدر السابق نفسه/ القسم الرابع/ المجلد الاول/ ص 45.

(6) ابن خاقان الاندلسي/ مطمح الانفس/ ص 205.

تذكر الإحصائيات على نفقة الحملة الحربية التي يقوم بها الحاجب على الأعداء كانت تكلف الخزانة قرابة (100) ألف دينار"[2].. بالإضافة إلى الإكراميات والضيافة التي تقوم بها أهالي المناطق التي تمر بها الحملة للمقاتلين كما ورد ذلك في ضيافة خازن مدينة مرسية للمنصور العامري وجنده.. وهو احمد بن عبد الرحمن المعروف بدحين بن مروان "وذكر إن المنصور محمد بن أبي عامر لما وصل إلى مدينة مرسية، استضافه احمد هذا وجميع عسكره أياماً، وضع له فيها وضع حماماً كان ماء الحمام من ماء الورد الطيب للغاية، وأهدى له قناطر من الفضة الخالصة"[3].

ويذكر ابن حيان القرطبي في كتابه الدولة العامرية إحصائية عسكرية عن الجند والذخيرة الحربية في حديثه عن الحملة الأخيرة للحاجب عام 392هـ على مدينة سالم أن كانت معه 700 رأس من الخيل اعراء عدة لما يحدث في طريقه، ومعه 50 فرساً من العتاق لركابه إلى قريب من عدتها تخلفها بقرطبة وفي اسطبلاتها ألف فرس عدويه وكانت حمولته تنتي الى 2100 رأس في اعم السنين، كانت معه تحمل ارحاء الطحن الموزعة بجهات عسكره لطحن الازواد، وفي بعض الأحيان للاكتراء من الناس، ومن السرادق، والمطبخ، والآت الوضوء، ودار الصناعة، وأغلال السجن، وحمل المال، وترحيل النساء الغوازي وأحذية الفتيان وغيرها"[4].

وقد أصيب الحاجب المنصور العامري في اواخر أيامه بمرض النقرس (داء الملوك) وكان يحمل على نقالة في حملاته، يأمر وينهي ويصدر أوامره لجنوده "وكان تحمل سريره السودان الرقاصة للين مشيهم وكان يتأذى بصنان ريحهم مع ما كان حوله من الطيب"[5].

وفي قلعة النسور استشهد المنصور العامري وعم الحزن أرجاء الأندلس وتعالت الصراخات تقول (مات الجلاب، مات الجلاب!!) الذي يجلب الجواري،، وفي الممالك الاسبانية عمت الفرحة التي تنادي "في قلعة النسور، مات المنصور، وضاع طبله" وأصبحت مثال الأسبانية حتى يومنا هذا، ولا يزال اسم هذا القائد العسكري يطلق على أحد شوارع مدريد لدوره الحربي.

ودفن المنصور بمدينة سالم لمدة طويلة كما ذكر ابن الخطيب الغرناطي وكتب هذه الأبيات على قبره"[6]:

إثـــــارة تنبئـــــك عــــــن أخـــــباره   حتـــــى كأنــــك بــــــالعيون تـــــراهُ

---

(1) ابن بسام الشنتريني/ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الاول ص 55.

(2) المصدر السابق نفسه/ ص 45. ذكر (100 الف مثقال) ابن عذاري/ البيان المغرب/ ج2/ ص 268.

(3) العذري (ابن الدلائي)/ احمد بن عمر بن انس (ت 478هـ)/ ترصيع الاخبار، وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان نصوص عن الاندلس من كتاب) تحقيق د. عبد العزيز الاهواني/ (مدريد 1865م) ص 15.

(4) ابن الخطيب الغرناطي/ اعمال الاعلام/ ص 99- 100.

(5) ابن بسام الشنتريني/ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الاول/ ص 55/ ابن الخطيب الغرناطي/ اعمال الاعلام/ ص 102.

(6) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب/ ج2/ 310 المؤلف المجهول/ ذكر بلاد الاندلس/ ج1 195/ المقّري التلمساني/ احمد بن محمد المقّري التلمساني (ت 1041هـ) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب/ تحقيق د. احسان عباس/ دار صادر (بيروت 1388هـ/ 1968م) ج1/ 398.

كما يلاحظ في التاريخ العربي الإسلامي بان اوجه التشابه بين الشخصية والقيادة متوفر حيث يمكن مقارنة الحاجب المنصور العامري مع القائد البطل صلاح الدين الأيوبي فاتح القدس الشريف الذي أرعب الصليبين والكفار وكان مثال القائد المظفر في مواجهة الظلم والاستبداد والفقر، فانتصر في معركة حطين على اليهود الصهاينة بنصر مؤزر تستذكره الأجيال العربية في انتفاضة القدس الشريف التي نعيش أيامها الخوالد، المجد والخلود لشهداء الإسلام والعروبة وعاشت امتنا العربية التي أنجبت القادة الأبطال العظماء في التاريخ العربي الإسلامي.

علاقة المغرب والاندلس بحضارة بغداد

رغب أهل المغرب والاندلس بزيارة بغداد ومشاهدة مظاهرها العمرانية ودور العبادة والعلم والتزود من منهلها العلمي، فتلهف العالم الاندلسي ابن حزم القرطبي (ت 456هـ) لزيارة بغداد والاطلاع على معالمها الحضارية والتمعن في عماراتها ونهضتها العلمية حتى انه عزم على السفر اليها بالبحر لكن المنية عاجلته فغرق ومات من جراء رغبته وعشقه لبغداد اذ وصفها بقوله (بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سابق اهلها إلى حمل الوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونقاد الخواطر)(1).

قصد بغداد عدد كبير من رجال العلم والتجارة والسياحة والاطلاع والمراقبة ورصد المعالم ونقل الاسرار ومظاهر النهضة، لدوافع منها: حسن الموقع، واعتدال المناخ وتباين فئات المجتمع، وتعدد الاسواق، وتباين الافكار، وكثرة الضيافة، ووفرة الخيرات وقربها من الديار المقدسة في مكة المكرمة وبيت المقدس وكثرة خزائن الكتب، واسواق الوراقين، ووجود فرص العمل، وتوسطها بين الولايات الاسلامية، ورعاية العلماء والادباء والشعراء من الخلفاء العباسيين، ووجود اعلام العلم والفقهاء بالاضافة إلى توفر الامن والاستقرار، وحق قول الصاحب بن عباد حين ساله ابن العميد بعد عودته من بغداد، فقال: (بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد)(2).

فتحت بغداد ابوابها العلمية مثل- بيت الحكمة البغدادي- والمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية وحلقات الدروس للشيوخ والفقهاء للباحثين والوافدين اليها من المغرب والاندلس وبقية الولايات الاسلامية وقد زودتنا كتب الرحالة واصحاب التراجم وكتب التاريخ والادب العربي بقائمة من الرجال الذين تتلمذوا في بغداد.

مشاهير علماء الاندلس الوافدين الى بغداد

وفدت بعثات علمية لبغداد للحصول على الدرجات العلمية ولنيل الشهادات التي يمنحها الشيوخ والفقهاء في البيوتات العلمية كالنظامية والمستنصرية وغيرها. نالت مدارس بغداد العلمية المكانة المرموقة والمتميزة والرائدة في حقل الترجمة، والتاليف في مختلف ابواب العلوم، كالطب والصيدلة والفلك والرياضيات والعلوم الانسانية، كاللغة العربية وادابها والتاريخ والجغرافية، وانجبت بغداد عباقرة في الاختصاصات العلمية والانسانية.

تحدونا الرغبة العلمية للتعرف على الرواد الاندلسيين الاوائل الذين قصدوا بغداد للحصول على الشهادات العلمية، ولكن من الصعوبة التعرف على اولئك الاندلسيين الذين دخلوا بغداد لعدم اهتمام المصادر الاندلسية بتزويدنا بقوائم أو ايراد اشارات بذلك، ولكم يبدو ان عدداً كبيراً من الاندلسيين قاموا بزيارات للاراضي المقدسة ومنهم النصارى الذين قصدوا بيت المقدس، كما اشار إلى ذلك المؤرخ الاسباني فرانشيسكو سيمونيت بعد فتح اسبانيا من العرب المسلمين عام 92هـ/ 711م بقوله: (ومن طريف ما يلاحظ ان نصارى الاسبان انتهزوا فرصة دخولهم في طاعة الدولة الاسلامية لكي يذهبوا إلى بيت المقدس للحج، وقد وصل إلى الرها ليزور كنيسة القديس توماس فيها، فاشتبه عامل البلد العربي في امره وسجنه، ثم اطلق سراحه حينما استبان انه من اهل الذمة في الاندلس)(3)، ويذكر ان عدد الحجاج النصارى الاسبان ابا الفتح الاسلامي لزيارة المشرق الاسلامي (وربما وصلوا الى بغداد للحصول على الدرجات العلمية) كان قليلاً لعدم وجود اشارات كثيرة في المصادر عنهم.

---

(1) ابن حزم القرطبي/ رسائل ابن حزم/ نشر د. احسان عباس (بيروت د. ت) ج2/ 176

(2) ياقوت الحموي/ معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت 1955- 1957م، ج1/ 461.

(3) Francisco Javier Simonet, Historia de Mozarabes de Espana, Edicion Turner (Madrid 1983) T. 1/ 175.

الاندلسيون الوافدون لبغداد في عصرة الامارة 138- 316هـ

قصد بغداد عدد كبير من العلماء والفقهاء والادباء الاندلسيين بقصد اداء فريضة الحج الى الديار المقدسة في مكة المكرمة وزيارة بيت المقدس ومن ثم الرحيل إلى بغداد للحصول على الثقافة أو بقصد التجارة أو الاطلاع والنزهة ومن مشاهير اولئك الرجال الاندلسيين الذين وصلوا الى بغداد في عهد الامارة:

- ابو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي، من ذرية ابي ثعلبة الخنشي، صاحب الرسول الكريم محمد ﷺ، رحل من الاندلس قبل العام 240هـ/ 854م درس ببغداد وسمع وتتلمذ على ابي عبيد القاسم بن سلام، ادخل للاندلس علماً كثيراً في الحديث واللغة العربية وادابها وقصائد شعرية (ت عام 286هـ/ 899م)[1].
- قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف، ابو محمد البياني القرطبي حياته 247- 340هـ/ 861- 951م من رجال الاندلس كان بصيراً بعلم الحديث وعلم الرجال، بارعاً في النحو واللغة والشعر وصنف على كتاب (السنن) لابي داود السجستاني كتاباً في الحديث، تتلمذ بقرطبة على الفقيه بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهما، زار بغداد وسمع من القاضي اسماعيل بن اسحاق قاضي القضاة، واحمد بن زهير بن حرب وعبد الله بن الامام احمد بن حنبل، والحارث بن ابي اسامة وابن قتيبة، والمبرد وثعلب وابن الجهم وغيرهم من شيوخ العلم ببغداد. وانصرف إلى الاندلس بعلم كثير[2].
- عبد الله بن حسين بن عاصم الثقفي القرطبي: رحل إلى بغداد ولقي فيها الفنان مخارق المغني، احد ثلاثة مغنين اشتهروا بالطرب في عصر الخليفة هارون الرشيد[3].

واستطرفه رؤساء العراق، وكان شاعراً مفلقاً تولى وظيفة الشرطة بقرطبة وكان من جلساء الامير الاندلسي محمد بن عبد الرحمن الثاني[4].

---

(1) المقَّري التلمساني احمد بن محمد الفاسي ت 1401هـ/ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب/ تحقيق: د. احسان عباس دار صادر (بيروت 1388هـ/ 1968م) ج2/ 236.

وانظر ترجمته في: الحميدي الميورقي/ جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، طبعة مصر 1952، ترجمة رقم 63، الضبي بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، طبعة مدريد 1884م، ترجمة رقم 202، الذهبي/ شمس الدين، تذكرة الحفاظ، ط3 حيدر اباد الدكن 1955م ترجمة رقم 63.

(2) المقَّري/ نفح الطيب، ج2/ 47 ترجمة رقم 14، وانظر ترجمته عند: الحميدي، جذوة المقتبس ج2/ 25 ترجمة رقم 765، الضبي، بغية الملتمس، ج2/ 589 ترجمة 1302.

(3) ابو الفرج الاصبهاني/ الاغاني، طبعة دار الثقافة (بيروت د. ت) ج1، 381.

(4) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن سعيد، حياته، 610- 685هـ/ 1213- 1286م، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف ط3، (القاهرة 1964) ج1، 114 ترجمة رقم 51 وانظر ترجمته: جذوة المقتبس، ص 211 ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم في الاندلس، طبعة مصر 1954م، ج1، 141، السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط الاولى 1926، الثعالبي، ابو منصور، يتيمة الدهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط2، القاهرة 1956م، ج1، 381.

- سعيد بن الفرج ابو عثمان المعروف بالرشاش ذكره مؤرخ الاندلس ابن حيان القرطبي ووصفه بقوله: انه كان من أأدب الناس في زمانه، واقومهم على لسان العرب، واحفظهم للغة، واعلمهم بالشعر، وجكي عنه انه كان يحفظ اربعة الاف ارجوزة، وقد ضرب به المثل في الفصاحة في الاندلس، دخل إلى المشرق، وحج ودخل بغداد وروى عن الاكابر)[1].
- من علماء بغداد الذين قصدوا الاندلس في عصر الامارة ابو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني الرياضي (223- 298هـ/ 837- 910م) اديب ورياضي بغدادي درس على علماء بغداد المرموقين منهم: الجاحظ، وابن قتيبة والمبرد وثعلب. قصد الاندلس من اجل العيش والرزق والحصول على الثقافة في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الذي استقبله بترحاب واكرمه بهدية الف دينار تقديراً لعلمه وشهرته وتقديره عند اهل الاندلس[2].
- ابو الحسن علي بن نافع المعروف بزرياب: الاديب والفنان وكان من موالي الخليفة العباسي المهدي، وعرف ولقب باسم زرياب البغدادي وذلك لسمرة بشرته تشبيهاً بطائر اسود الريش، وكان تلميذاً للفنان اسحاق الموصلي، وقد غنى زرياب في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد واعجب الخليفة بصوته وفنه، ثم رحل إلى بلاط الاغالبة بدافع الحسد والغيرة والتهديد بالقتل، وبعدها رحل إلى الاندلس للازدهار الحضاري بها ايام الامير عبد الرحمن الثاني (الاوسط) الذي رحب به واكرمه[3].
- اعلام اندلسية من عصر الخلافة في بغداد: احتضنت بغداد في دور العلم والعبادة علماء من الاندلس رحلوا من مدن الاندلس إلى مهد الحضارة بالمشرق لطلب العلم والحصول على الشهادات العلمية ولاغراض تجارية أو رغبة منهم للاطلاع والزيارة نذكر منهم:

في عصر الخلافة:

---

(1) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، 114، ترجمة رقم 51، وانظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص 211، ابن القرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج1، 141، السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط1، 1926، ص 256.

(2) ابن سماك العاملي الغرناطي، الزهرات المنثورة في نكت الاخبار المأثورة تحقيق: د. محمود علي مكي، نشر المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد 1404هـ/ 1984م، ص 101- 104 الزهرة رقم 66.

انظر: ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، التكملة، طبعة القاهرة 1956م، ج1، 404، وطبعة ابراهيم الابياري، ص 223، ترجمة 454 ابن عذاري المراكشي، البيان المغربي في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال وكولان، نشر دار الثقافة (بيروت د. ت) عن طبعة باريس 1948م، ج1، 152- 153، 159، 192، 163، المؤلف المجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: اميليو لافونتي القنطرة (مدريد 1867م) ص 146- 147.

(3) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، 47، 51. يذكر بان الامير عبد الرحمن الثاني كملت لذته بقدوم زرياب"، ابن القوطية القرطبي، ابو بكر محمد، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق المستشرق الاسباني، خوليان ريبرا، (طبع مدريد 1868م) ابن سملك العاملي الغرناطي، الزهرات المثورة في نكت الاخبار المأثورة، ص 97- 98. ليفي بروفنسال، الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية.

- محمد بن ابراهيم بن حيون الحجاري من اهل وادي الحجارة بالاندلس Guadaljara من ائمة الحديث بالاندلس كان عالماً حافظاً للعلل بصيراً بالطرق ولم يكن بالاندلس قبله ابصر منه بالحديث كان ضابط متقن للكلمات والمعاني حسن التوجيه للحديث صدوقاً سمع منه الفقيه ابن وضاح والخشني صاحب كتاب "قضاة قرطبة".

رحل إلى المشرق لغرض الحصول على العلم، ودخل بغداد وسمع بها من علماء وشيوخ منهم: عبد الله بن حنبل وابن قتيبة توفي بقرطبة عام 305هـ 1917م.

- محمد بن ابي عيسى ابو عبد الله تولى وظيفة القضاء بقرطبة في خلافة عبد الرحمن الثالث (الناصر) واصبح قاضي الجماعة عام 326هـ 937م، وكان الخليفة الناصر يستعين به ويعتمد عليه في مهام السفارات الخارجية.

رحل القاضي ابو عبد الله من الاندلس عام 312هـ 924م لاداء فريضة الحج وبعدها زار العراق واعجب بالنهضة العلمية ببغداد وانشد الابيات الاتية[1]:

كـأن لم يكـن بـين ولم تـك فرقـة	إذا كـان مـن بعـد الفـراق تـلاق
كـأن لم تـؤرق بـالعراقين مقلتـي	ولم تمـر كـف الـشوق مـاء مـاقي

"وله اخبار تدل على رقة العراق والتغذي بماء تلك الافاق، فمنها انه خرج إلى حضور جنازة بمقابر قريش، ورجل من بني جابر كان يواخيه له فنزل هناك، فعزم عليه في الميل اليه، وعلى اخيه فنزلا عليه فأحضر لهما طعاماً وامر جارية له بالغناء، فغنت.."[2] توفي عام 339هـ/ 950م.

- محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبي، ابو عبد الله من فقهاء الاندلس في عصر الخلافة، متقدماً في علم الوثائق، وكان مشاوراً، سمع من ابيه ومن بقي بن مخلد وغيرهما.

رحل الى المشرق الاسلامي في عام 294هـ/ 906م وسمع بمكة المكرمة ودخل العراق وتتلمذ في مدارس البصرة والكوفة وبغداد ودمياط والاسكندرية والقيروان من 160 رجلاً من شيوخ العلم. توفي عام 328هـ/ 939م[3].

- محمد بن عبد الملك بن ايمن بن فرج القرطبي، ابو عبد الله.

من المحدثين الاندلسيين اخذ عن محمد الخشني وقاسم بن اصبغ وابراهيم بن قاسم بن هلال رحل الى العراق وادرك به اسماعيل القاضي، وسمع من ابي عبد الرحمن بن احمد بن حنبل.

---

(1) الضبي، بغية الملتمس، ج1، 79- 80 ترجمة رقم 43 (ورد اسمه في الطبعة: ابن حنون الحجازي). ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2، 28، الحميدي، جذوة المقتبس، ص 39، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 781، المقَّري، نفح الطيب، ج2، 52، ترجمة رقم 19.

(2) المقَّري، فتح الطيب، ج2، 13، ترجمة رقم 3. الضبي، بغية الشمس، ج1، 145، ترجمة رقم 219، الخشني، ت 361هـ قضاة قرطبة، نشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966، ص 118- 120، التباهي المالقي، ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 80. الضبي، بغية الملتمس، ترجمة رقم 26، ابن الفرنضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2، 480، المعري، نفح الطيب، ج2، 6302، ترجمة رقم 37.

قال عنه ابو محمد بن حزم القرطبي: "مصنف ابن ايمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ماليس في كثير من المصنفات"[1] توفي بقرطبة عام 330هـ/ 941م.

- محمد بن ابي علاقة النواب من علماء قرطبة رحل إلى العراق ولقي فيها جماعة من اهل العلم، واخذ من شيوخ بغداد ومنهم: ابي اسحاق الزجاجي، وابي بكر الانباري، والاخفش، ونفطوية وغيرهم. وسمع من الاخفش كتاب الكامل للمبرد. وقال فيه الخليفة الحكم المستنصر بالله: "لم يصح كتاب الكامل عندنا من راوية إلا من قبل ابن ابي علاقة"[2].
- محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ، ابا بكر من علماء الاندلس من اهل طرطوشة Tortosa، تأدب بقرطبة وسمع من علمائها ومنهم: قاسم بن اصبغ ومحمد بن معاوية الحضرمي، ومنذر بن سعيد البلوطي، وابي علي القالي وغيرهم كثير، كان حافظاً للنحو واللغة والشعر، رحل إلى المشرق مع ابيه عام 349هـ/ 960م، ويسمع ببغداد وغيرها، توفي عام 360هـ/ 970م[3].
- محمد بن احمد بن احمد بن محمد بن قادم بن زيد القرطبي القاضي الذي سمع ببغداد من قاسم بن اصبغ وابن حمدان والصواف، كما ذكر ذلك ابن حيان القرطبي مؤرخ الاندلس[4].
- محمد بن طاهر القيسي التدميري، ابو عبد الله الملقب بالشهيد.

من علماء الاندلس؛ كان زاهداً، خيراً، ناسكاً، متبتلاً، وكان عظيم القدر بالاندلس، رحل إلى العراق لطلب العلم ولقي ببغداد العالم ابا بكرالابهري واخذ عنه، واكثر من لقاء العلماء والفقهاء، ولبس الصوف، عاد إلى بلدة (تدمير) ونزل خارج مدينة (مرسيه Murcia)، وفيها مات شهيداً في حملة من الحملات الحربية التي قام بها الحاجب محمد بن ابي عامر المنصور العامري عام 379هـ/ 989م[5].

- محمد بن صالح المعافري الاندلسي، ابو عبد الله عالم اندلسي، كان فقيهاً، حافظاً،جمع تاريخاً للاندلس. رحل الى المشرق، وسمع ببغداد وتتلمذ على يد علمائها ومنهم: اسماعيل بن محمد الصفار. توفى عام 383هـ/ 993م، وابن الفرضي ارخ وفاته عام 378هـ/ 988م[6].
- محمد بن احمد بن عبد الاعلى ابن القاسم القرطبي، ابو عبد الله الورشي من علماء الاندلس في علم القرآن؛ رحل إلى المشرق، وقدم إلى بغداد وحدث بها، وتوفي عام 393هـ/ 1002م.

---

(1) الضبي، بغية الملتمس، ج1، 135، ترجمة رقم 198. الحميدي، جذوة المقتبس، ص 63، ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2، 52، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص 836، المقّري، نفح الطيب، ج2، 273، ترجمة رقم 149.

(2) المقّري، نفح الطيب، ج2، 150، ترجمة رقم 96.

(3) المقّري، نفح الطيب، ج2، 150، ترجمة رقم 98.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين ت 776هـ اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام.

(5) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2، 90. المقّري، نفح الطيب، ج2، 234، ترجمة رقم 145.

(6) ن، م، ج2، 92. المقّري/ نفح الطيب، ج2، 142، ترجمة رقم 90.

- الوليد بن بكر بن مخلد بن ابي زياد، ابو العباس الغمري من علماء مدينة سرقسطة Zaragoza قاعدة الثغر الاندلسي الاعلى، صنف كتاب في تجويز الاجازة اسماء (كتاب الوجازة). رحل إلى بغداد، وحدث بها، وتوفي عام 392هـ/ 1001م[1].
- عبد الله بن حمود الزبيدي الاشبيلي، ابو محمد، وهو ابن عم ابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي الاندلسي من مشاهير اصحاب ابي علي القالي البغدادي في الاندلس، لازم ببغداد اثناء رحلته السيرافي، وكان الزبيدي من كبار النحاة واهل المعرفة التامة والشعر، وجمع شرحاً لكتاب سيبويه، وتوفي ببغداد عام 372هـ/ 982م[2].
- سعيد بن نصر بن عمر بن خلف (خلفون) الاستجي، ابو عثمان من اهل مدينة استجه بالاندلس عالم اندلسي، درس بقرطبة وسمع من علماء الاندلس منهم: قاسم بن اصبغ وابن ابي دليم وغيرهما. رحل إلى بغداد وتتلمذ بها وسمع من ابي علي اسماعيل ابن محمد الصفار وغيرهما، وتوفي عام 350هـ/ 961م[3].
- يحيى بن مالك بن عايذ، ابو زكريا عالم اندلسي، سمع من جماعة منهم عبد الله بن يونس المرادي صاحب بقي بن مخلد وابو عمر بن محمد بن عبد ربه، وكان يملي ويتحدث في المسجد الجامع بقرطبة.

رحل الى بغداد للحصول على العلم وسمع من القاضي ابو الحسن محمد بن احمد بن القاسم المحاملي، توفي عام 376هـ/ 986م[4].

علماء بغداديون في الاندلس في عصر الخلافة

قصد عدد من العلماء والادباء والفنانين البغداديين بلاد الاندلس للدراسة والاطلاع أو التجارة وكسب الرزق، ومن مشاهير اولئك:

ابو علي اسماعيل القالي البغدادي

من اهل اللغة والادب، ووصف بانه (كان احفظ اهل زمانه للغة واوراهم للشعر الجاهلي واحفظهم له واعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين واكثرهم تدقيقاً فيه)[5].

تلقى علومه في بغداد على نخبة من الادباء واللغويين ومن خيرة علمائها وابرزهم: ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والزجاج والاخفش وغيرهم.

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ترجمة رقم 854، الضبي، بغية الملتمس، ج2، 645- 646، ترجمة رقم 1415.

(2) المقّري، نفح الطيب، ج2، 647، ترجمة رقم 281. وانظر: السيوطي، بغية الوعاة، ص 282، ابن عبد الملك المراكشي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري، الذيل والتكملة، تحقيق: د. احسان عباس، (بيروت، 1964- 1965م)، ج4، 220.

(3) الضبي، بغية الملتمس، ج2، 401- 402 ترجمة رقم 824. ابن بشكوال ابو القاسم خلف بن احمد بن عبد الملك، الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم، نشر المستشرق الاسباني فرانشسكو كودير زيدان Codera (مدريد 1882م) ص 203.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس، ج2، 605- 607، ترجمة رقم 906. الضبي، بغية الملتمس، ج2، 682، ترجمة رقم 1497.

(5) الزبيدي النحوي الاندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق/ محمد ابو الفضل ابراهيم ط1، القاهرة 1954م، ص 202. السيوطي، بغية الوعاة، ص 198. ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ص 54، 407، 606، 761، 782.

وجه الخليفة الاندلسي عبد الرحمن الناصر الدعوة له لزيارة قرطبة، نظراً للسمعة العلمية والصيت الذي تمتع بها في بغداد والاندلس، فاستجاب القالي لطلب الخليفة الاندلسي فقدم للاندلس يحمل من المؤلفات والافكار والنظريات، حيث استقبلته الخلافة واهالي الاندلس بترحاب وحفاوة بالغين، وامر الخليفة الناصر ابنة الحكم المستنصر بالله وولي عهده باستقبال القالي البغدادي حال قدومه ونزوله في البر الاندلسي.

تطرق المؤرخ ابن حيان القرطبي الى السفارة العلمية للقالي البغدادي بقوله: (... بنشرها جملة من علمه في الناس واشاعة اسماعهم وافادتهم وتأليف ما التقط من منشورها اعيى عليهم فسارع إلى ذلك بجد وقوة، وفاض على طلاب العلم منه ما عظم انتفاعهم به جداً وصحح لهم صحائف كانت عندهم بوراً، فاجد للسان العرب عندهم نشوراً)[1].

سعى الاديب القالي البغدادي الى توضيح مكانة بغداد العلمية للاندلسيين وذلك بما حمله من مصنفات عديدة وافكار وعمل على اقامة الحلقات والندوات الثقافية والمناقشات الادبية مما حفز العقول والنفوس على الرغبة والتلهف لمشاهدة بغداد والتزود من مدارسها ومعاهدها العلمية.

توفي القالي البغدادي بالاندلس عام 356هـ/ 966م[2].

صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، ابو العلاء

لغوي واديب واخباري بغدادي، قدم الاندلس ايام الخليفة هشام الثاني اثناء حكم الحاجب محمد بن ابي عامر المنصور العامري، فاكرمه الحاجب واستقبله وادخله إلى مجلسه الادبي، ونال الحظوة والتقدير والحب والاعجاب والمكانة العلمية عند الحاجب، وصنف له كتاب (الفصوص)[3].

عمل صاعد البغدادي على نقل الحضارة البغدادية والافكار والنظريات اللغوية والمؤلفات إلى الاندلس، وذاعت شهرته في المجالس الادبية واللغوية، توفي عام 417هـ/ 1026م[4].

---

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس (الجزء الخامس) تحقيق: ب شالميتا، ف كورينطي، م صبح، المعهد الاسباني العربي للثقافة (مدريد 1979م، ص 480.

(2) ابن بسام الشنتريني، ابو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة تحقيق لجنة من كلية الاداب، جامعة القاهرة (القاهرة 1939- 1945م)، 1/ 1/ ص 14. ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج1، 69، الحميدي، جذوة المقتبس، ص 164، الضبي، بغية الملتمس، ج1، 282، ترجمة رقم 549.

(3) كتاب الفصوص لابي صاعد البغدادي، مخطوط خزانة القرويين في فاس بالمغرب، عمل على تحقيقه ودراسته وترجمته للاسبانية. د. محسن اسماعيل محمد، جامعة غرناطة، كلية الادلاء، 1985م.

(4) الضبي، بغية الملتمس، ج2، 413- 417 ترجمة رقم 854. الحميدي، جذوة المقتبس/ ج2. ابن بشكوال، الصلة، ج1، 371، ترجمة رقم 546.

طاهر بن محمد المعروف بالمهند البغدادي

من الادباء والشعراء المتقدمين ببغداد، يذكر انه من ولد احمد بن ابي طاهر البغدادي صاحب تاريخ بغداد، وفد للاندلس للكسب والتعلم والاطلاع ايام الحاجب المنصور العامري ونال مكانه عنده واصبح من شعراء الدولة العامرية[1].

ظفر البغدادي

من علماء بغداد في الخط والضبط، قصد الاندلس اثناء خلافة الحكم المستنصر بالله للكسب والعيش والتعلم، واصبح من رؤساء الوراقين المعروفين ونافس شيوخ الاندلس منهم العباس بن عمرو الصقلي، ويوسف البلوطي، وعينه الخليفة الحكم المستنصر بالله في مقدمة خطاطي قصر الخلافة، وفي خزائن مكتبات الخليفة[2].

تحدثت المصادر الاندلسية عن الوافدين البغداديين الى الاندلس ودوافع هجرتهم ودورهم في الحركة العلمية بالاندلس، ونقل لنا ابن بسام الشنتيرني عنهم بقوله: (افردته لمن طرأ على هذه الجزيرة في المدة المؤرخة من اديب شاعر، واودى إلى ظلها من كاتب ماهر، واتسع فيها مجاله، وحفظت في ملوكها اقواله ووصلت بهم ذكر طائفة من مشهوري اهل تلك الافاق،، ممن نجم في عصرنا بافريقية والشام والعراق)[3].

وترجم المقري التلمساني عن الوافدين المشارقة إلى الاندلس بمعلومات وافية وذكرهم بقوله: (اعلم ان الداخلين للاندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الاعيان منهم، فضلاً عن غيرهم، ومنهم من اتخذها وطناً، وصيرها مسكناً، إلى أن وافتهمنيته، ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قضيت بالاندلس امنيته)[4].

مشاهير علماء الاندلس والمغرب الوافدين الى بغداد في عهد الطوائف حتى نهاية سلطنة غرناطة 400/ 897هـ- 1009/ 1492م

نحاول التحدث عن ابرز اعلام الاندلس الذين هاجروا لطلب العلم واداء الفريضة أو التجارة، والصعوبة تواجه الباحث لعدم عرض المصادر المعلومات الكافية عن هؤلاء الوافدين ودوافعهم واخبارهم وانماط حياتهم ومعيشتهم وسكنهم والمدة التي استغرقتها رحلتهم والاموال التي معهم ومصاريفهم وعلاقتهم بالمجتمع الجديد وزواجاتهم والمشاكل والصعوبات التي واجهت الرحلة وما انجزوه أو حصلوا عليه من خلال معاناتهم بالحلات العلمية والمسالك التي اختاروها والعقبات التي واجهت بعضهم والخدمات التي قدمتها الولايات للوافدين.

هناك معلومات قليلة واجابات بسيطة توردها المصادر عن تلك الاسئلة في كتب الرحلات مثل رحلة يحيى بن حكم الغزال الجياني إلى بلد النورماند ورحلة ابن بطوطة ورحلة ابن جبير البلنسي وهي غير كافية لكثرة الوافدين للمشرق وتشكل معلومات قيمة ومفيدة تحت عناوين مثل داب الرحلات أو مناهج الرحالة أو موسوعات الرحلات العلمية وغيرها.

يحاول الباحث الحصول على المعلومات الموسعة عن الرحلات العلمية من خلال التراجم للاعلام ووصف حياتهم فيذكر على سبيل المثال أن العالم الاندلسي الحميدي الميورقي الذي رحل إلى بغداد كان فقيراً فعمل حارساً ليلاً

---

(1) الضبِّي، بغية الملتمس، ج2، 421- 422 ترجمة رقم 862. الحميدي، جذوة المقتبس.

(2) المقَّري، نفح الطيب، ج3، 111.

(3) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، القسم الاول، المجلد الاول، ص 18.

(4) نفح الطيب، ج3، 5.

بالوقت الذي كان يدرس ويتعلم بالنهار فحصل على غايته وعاد إلى بلده يحمل معه الثقافة البغدادية وشارك في الحركة الفكرية والمال كذلك لابي الوليد الباجي وغيرهما من اهل الاندلس حصل علماء الاندلس الوافدون على بغداد على القاب علمية وكنى وتشبيهات بعلماء بغداد فعرف ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم الخزرجي، بالبغدادي لطول اقامته[1] ولقب الطبيب الاندلسي ابو الفضل محمد بن عبد المنعم الجلياني، بحكيم الزمان لبراعته واخلاصه وحبه لحرفته وقد درس في المدرسة النظامية ببغداد[2] وقد وفد الاندلسيون إلى بغداد من مختلف الاختصاصات الانسانية والعلمية ولاغراض ودوافع متعددة واغلبها لاداء فريضة الحج والحصول على العلم وكسب العيش ومنهم من استقر فيها ومنهم اخر من عاد الى بلده الاندلس نذكر منهم:

عطية بن سعيد بن عبد الله، ابو محمد

اندلسي حافظ، رحل إلى المشرق وقصد مدينة السلام بغداد، والف كتاب (تجويز السماع) قال عنه الحميدي (خرج عطية من بغداد إلى مكة، فأخبرني ابو القاسم عبد العزيز بن بندار الشيرازي، قال: لقيت عطية الاندلسي ببغداد وصحبته، وكان من الايثار والسخاء والجود بما معه، على امر عظيم، انما يقتصر من لباسه على فوطة ومرقعة، ويؤثر بما سوى ذلك، وكان قد جمع كتباً حملها على بخات كثيرة)[3] توفي بمكة عام 1408 و 409هـ/ 1017- 1018م.

عبد العزيز بن احمد بن السيد بن مغلس القيسي

عالم اندلسي في اللغة العربية وشاعر، قرأ اللغة العربية بالمغرب على ابي العلاء البغدادي صاحب كتاب (الفصوص) وروى لنا عنه ابو الربيع سليمان بن احمد بن محمد الاندلسي السرقسطي ببغداد، عندما زار بغداد، فاستفاد وافاد، مات بن مغلس بمصر عام 427هـ/ 1035م[4].

عتبة بن عبد الملك بن عاصم المقري العثماني، ابو الوليد

عالم اندلسي، رحل ودخل الاندلس وحدث بها عن ابيه ومات بها عام 445هـ/ 1053م. وقرأ بمصر على ابي احمد عبد الله بن الحسين بن حسون البغدادي المقري قراءة حفص[5].

العلاء بن عبد الوهاب بن احمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم بن غالب، ابو الخطاب ويعرف بـــ (ابن المغيرة).

اندلسي من أهل العلم والادب والذكاء والهمة العالية في طلب العلم، رحل الى المشرق ودخل بغداد من اجل جمع الرواية، وتوفي بالاندلس عام 450هـ/ 1058م.

---

(1) المقَّري، نفح الطيب، ج2، 156.

(2) م. ن، ج2، 635.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، ج2، 508، ترجمة رقم 741. الضبي بغية الملتمس، ج2/ 566- 569. البخاتي، جمع بختي وهي من الابل الخرسانية.

(4) الحميدي، جذوة المقتبس، ج2، 455، ترجمة رقم 645. الضبي بغية الملتمس، ج2، 499- 500، ترجمة رقم 1091، المقَّري، نفح الطيب، ج2، 132- 133، ترجمة رقم 74.

(5) م. ن، ج2، 512- 513 ترجمة 744. الضبي، بغية الملتمس، ج2، 570، ترجمة 1266، ابن بشكوال، الصلة، ج2، 655، ترجمة 974.

سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب الباجي القاضي، ابو الوليد حياته 403- 474هـ/ 1012- 1081م.

فقيه اندلسي محدث، وامام مشهور، عالم متكلم، رحل إلى المشرق عام 426هـ/ 1034م، سمع من ابن علي الحسن بن علي البغدادي في بغداد مدينة السلام، صنف كتاب (الاقناع في القراءات العشرين)[1].

ولد ابو الوليد في مدينة باجة الاندلسية Beja ودرس في بلده الاندلس على نخبة من العلماء منهم: ابو الاصبغ، ومحمد بن اسماعيل، وابو محمد مكي بن حموش، وابو شاكر وغيرهم كثيرون.

امتاز الباجي على غيره في انه كان صلب الموقف، شاعراً، ناثراً، ومفسراً، واديباً اقام ببغداد ثلاثة اعوام يدرس الفقه، ويكتب الحديث عن خيرة علماء الفقه ببغداد ذكر ذلك ابن بسام الشنتريني بقوله: (أن ابا الوليد الباجي نشأ وهمته في العلم، وانه بدأ بالادب فبرز في ميادينه، وجعل الشعر بضاعته، فنال به من كل الرغائب، ثم رحل فما حل بلداً الا وجده ملآن ذكره)[2].

عاد الباجي إلى الاندلس وثارت عليه العامة لانه ناظر ابا بكر الصائغ في قضية امية الرسول الكريم ﷺ في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي ورد في صحيح البخاري. وقال ابو الوليد الباجي بظاهر لفظه، وصنف الباجي رسالة بين فيها، أن ذلك غير قادح في المعجزة[3].

روى عنه حافظ المشرق والمغرب ابن عبد البر النمري القرطبي، والخطيب البغدادي في العراق وكان يعرف ويلقب (بشيخ الاندلس).

مدحه ابن بسام الشنتريني عالم الاندلس ووصفه باجمل الكلمات بقوله: (غنى الزمان بغرائب شعره، حتى جن الاحسان بذكره، واستغنت مصر والقيروان بخبره عن خبره.

ولم تزل تلك الافاق تراسله، وعجائب الشام والعراق تغازله)[4].

مجده ابن خاقان وامتدحه بقوله: (كان امام الاندلس الذي تقتبس انواره، وتنتجع نجوده واغواره، رحل إلى المشرق فعكف على الطلب ساهراً وقطف من العلوم ازاهراً)[5].

اشار المقري الى حياة الفقر التي عاشها الباجي اثناء رحلته لبغداد بانه كان يؤجر نفسه ببغداد لحراسة الدروب لفقره وحاجته[6].

---

(1) م. ن، ج2، 502 ترجمة 725. الضبي، بغية الملتمس، ج2، 559، ترجمة رقم 1245، المقَّري، نفح الطيب، ج2، 629- 630، ترجمة رقم 25.

(2) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، القسم الثاني، ص 38.

(3) المقَّري، نفح الطيب، ج2، 68.

(4) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، القسم الثاني، المجلد الاول، ص 80- 81. وذكره ابن بسام ايضاً (دخل "بغداد" والحرمان وقد كساه سرابيل، ورماه بطير ابابيل).

(5) نقلاً عن، المقَّري، نفح الطيب، ج2، 74.

(6) ن. م، ج2، 77. النباهي المالقي، المرقبة العليا، ص 95.

خاطب الباجي عالم الاندلس ابن حزم القرطبي في مناظرة كلامية بقوله:

(انا اعظم منك همة في طلب العلم، لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وانا اسهر بقنديل بائت السوق)[1].

يؤكد هذا النص على المتاعب والمعاناة التي شاهدها الباجي وحرصه على الحصول على العلم بعرق متاعبه والسهر وحق القول (من طلب العلا سهر الليالي).

واجاب ابن حزم القرطبي على كلام الباجي بقوله (هذا الكلام عليك لا لك لانك انما طلبت العلم، وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وانا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة، فافحمه!!)[2].

مدح الباجي قاضي القضاة ببغداد ناصح الدين وتاج الاسلام السمينانى بقصيدة رائعة نذكر منها[3].

ما طال عهدي بالديار وانما	انسى معاهدها اسى وتبلد
لله ايام الشباب وحسنها	وغصونهن المائسات الميد
ايام انقض للمراح ذوابتي	بين الشباب ودرع بردي مجسد

صنف الباجي مؤلفات عديدة منها:

1. كتاب التسديد إلى معرفة التوحيد.
2. كتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج.
3. كتاب احكام الفصول في احكام الاصول.
4. كتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح.
5. كتاب شرح الموطأ، وهو نسختان نسخة (الاستيفاء) و (المنتقى) في سبعة مجلدات.
6. مختصر المختصر.
7. اختلاف الموطأ.
8. كتاب التفسير.
9. كتاب شرح المنهاج.
10. كتاب التبيين لسبيل المهتدين.
11. كتاب السراج.
12. كتاب الايماء.
13. كتاب المعاني.
14. كتاب المقتبس في علم مالك بن انس.

---

(1) المقّري، نفح الطيب، ج2، 77.

(2) ن. م.

(3) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، القسم الثاني، المجلد الاول، ص 82، المقّري، نفح الطيب، ج2، 75- 77.

15. كتاب الناسخ والمنسوخ. توفي الباجي بمدينة المرية في الجنوب الاندلسي (قاعدة الاسطول) Almeria عام 474هـ/ 1081م[1].

محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الحميدي، يكنى ابا عبد الله

عالم اندلسي من جزيرة ميورقة (الكبرى) Mallorca، برع في علم الحديث والقراءات واللغة العربية والادب، رحل إلى المشرق وسمع من مشاهير رجالها العلماء كابن عبد البر والنمري ابن حزم القرطبي، زار بغداد واستطونها وكتب بها مؤلفات في الحديث والادب وسائر الفنون، وتتلمذ على الخطيب البغدادي وتلقى العلم على طبقة اخرى من مشاهير العلماء، وألف كتابه الشهير (جذوة المقتبس) في بغداد ولم يغادرها وفضل الاستقرار في دار السلام حتى مات ودفن في مقابرها.

صنف الحميدي الميورقي مؤلفات عديدة منها:

1. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس.
2. تاريخ الاسلام.
3. كتاب من ادعى الامان من اهل الايمان.
4. كتاب الذهب المسبوك في وعظ الملوك.
5. كتاب تسهيل السبيل إلى علم الترسيل.
6. كتاب مخاطبات الاصدقاء في المكاتبات واللقاء.
7. كتاب ما جاء من النصوص والاخبار في حفظ الجار.
8. كتاب النميمة.
9. كتاب الاماني الصادقة.
10. كتاب الجمع بين الصحيحين.

توفي الحميدي ببغداد عام 488هـ/ 998م وساهم في ازدهار الحركة الثقافية بالمؤلفات التي صنفها وحلقات الدرس التي تتلمذ فيها جمع غفير من طلاب العلم[2].

- محمد بن قاسم اللخمي المقري الاقليشي، عالم سكن قرطبة، دخل بغداد وتوفي عام 416هـ/ 1025م[3].
- محمد بن عبد الله بن علي حسين الفرائضي من اهل قرطبة وفد على بغداد عام 315هـ/ 927م وتوفي عام 419هـ/ 1028م[4].
- سليمان بن احمد بن محمد الاندلسي السرقسطي من مدينة سرقسطة، يلقب بابي الربيع، حدث ببغداد[5].
- احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حمدين، يعرف بابن الحداد من مدينة بلنسية طلب العلم واتصل باهله في بغداد. توفي بالاندلس في معركة الزلاقة عام 479هـ/ 1086م[1].

---

(1) م. ن، ص 38. ابن بشكوال، الصلة/ ج1، 317، ترجمة رقم 457، الضبي، بغيي الملتمس، ابن سعيد المغربي، في حلى المغرب.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، مقدمة المحقق. ابن بشكوال، الصلة، ج3، 818- 819.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج1، 65، ترجمة رقم 60.

(4) م. ن، ج2، 750.

(5) م. ن، ج1، 317.

- حسين بن محمد بن فيرة حيون، ابو علي الصدفي، ويعرف بابن سكرة.

عالم اندلسي من سرقسطة، كان بارعاً في علم الحديث واسماء الرجال، رحل إلى بغداد عام 482هـ/ 1089م، واقام بها خمس سنين، وسمع من رجالها منهم: ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون، مسند بغداد، ومن ابي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، وابي عبد الله الحميدي الميورقي، وابى بكر الطرطوشي توفى في الاندلس في وقعة كتندة عام 514هـ/ 1120م[2].

- محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب الفهري الطرطوشي، ابو بكر.

عالم وفقيه حافظ اندلسي اصله من مدينة طرطوشة وكان اماماً محدثاً، تحدث عنه ابي بكر بن العربي الاشبيلي وقال (سمعت الحافظ ابا بكر الطرطوشي يقول: لم ارحل من الاندلس حتى تفقهت ولزمت الباجي مدة، فلما وصلت إلى بغداد دخلت المدرسة العادلية)[3].

صنف الطرطوشي مؤلفات عديدة منها:

1. مختصر تفسير الثعالبي.
2. الكتاب الكبير في مسائل الاخلاق.
3. سراج الملوك.
4. كتاب الحوادث والبدع.
5. كتاب في تحريم جبن الروم.
6. بدع الامور ومحدثاتها.
7. كتاب شرح رسالة الشيخ ابن ابي زيد.

توفى بالاسكندرية عام 520هـ/ 1126م[4].

محمد بن سعدون بن مرجي القرشي العبدري، ابو عامر

عالم اندلسي من جزيرة ميورقة، اهتم بالحديث رحل إلى المشرق وسكن بغداد، وسمع بها من ابي الفضل بن خيرون وطراد الزينبي وابي عبد الله الحميدي، وابي بكر بن العربي الاشبيلي حيث قال عنه: لم ار ببغداد انبل منه، توفى ببغداد عام 524هـ/ 1129م[5].

---

(1) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ص 42، ترجمة رقم 45.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج1، 235– 237 ترجمة رقم 334. الضبي، بغية الملتمس، ج1، 331، ترجمة رقم 657، المقّري، نفح الطيب، ج2، 90– 93، ترجمة رقم 48.

(3) نقلاً عن الضبي، بغية الملتمس، ج1، 176، ترجمة رقم 296.

(4) م. ن، ج1، 175، 179.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج3، 823، ترجمة رقم 1246.

عبد الملك بن عبد العزيز بن فيره بن وهب بن غردي.

عالم اندلسي من مدينة مرسيه واصله من مدينة شتبرية (وادي الحجارة)، وله رحلة إلى المشرق، دخل بغداد، وتوفي عام 524هـ/ 1229م[1].

خلف المفتري مولى جعفر الفتى، ابو سعيد المقرى.

عالم اندلسي اصله من طرطوشة، وسكن طلبيرة، حج ثلاث حجج، اقام بالمشرق سبعة عشر عاماً، دخل بغداد، وتوفي عام 525هـ/ 1230م[2].

سعد الخير بن محمد بن سعد الانصاري البلنسي، ابو الحسن

عالم اندلسي محدث من بلنسية، رحل للمشرق حتى دخل الصين لذلك عرف بالبلنسي الصيني، وتفقه ببغداد على ابي حامد الغزالي وسمع بها من ابي عبد الله النعال وطراد وغيرهما، وسكن بغداد.

روى عن الانصاري البلنسي ببغداد ابن عساكر وابن السمعاني وابو موسى المديني وابو اليمن الكندي وابو الفرج ابن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير توفي في بغداد عام 541هـ/ 1146م ودفن إلى جانب عبد الله بن الامام احمد بن حنبل[3].

عباد بن سرحان بن مسلم بن سعيد المعافري

عالم اندلسي اصله من مدينة شاطبة Jativa رحل إلى المشرق ودخل إلى بغداد عام 543هـ/ 1148م[4].

محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي/ ابو بكر بن العربي (حياته 468-543هـ/ 1075- 1148م) ع

الم اندلسي اصله من مدينة اشبيلية Sevilla فقيه وحافظ ومحدث واديب تتلمذ على نخبة من اعلام الاندلس ويروي عنهم واتصل بالعالم ابي بكر الطرطوشي رحل ابن العربي الاشبيلي إلى المشرق مع والده وكان صغيراً ولاقى المصاعب في مطلع شبابه وسافر وزار المغرب ومصر وبيت الله الحرام والعراق ودخل بغداد مع والده ايام الخليفة العباسي المقتدر بالله[5]، تتلمذ ابن العربي الاشبيلي ببغداد على ابرز العلماء منهم:

1. ابو الحسين المبارك الصيرفي
2. ابو الحسن علي بن ايوب البزاز
3. القاضي ابو البركات الحنبلي
4. ابو بكر محمد الشاشي الشافعي
5. الشريف ابو الفوارس طراد بن محمد الزيني
6. ابو بكر بن طرخان
7. صحب ابا بكر الشاشي

---

(1) م. ن، ج2، 264، ترجمة رقم 377.

(2) م. ن، ص 264.

(3) المقَّري، نفح الطيب، ج2، 632، ترجمة رقم 255.

(4) ابن بشكوال، الصلة، ج2، 658، ترجمة رقم 98.

(5) ابو بكر الاشبيلي، العواصم من القواصم، ط2، (مصر 1375هـ) ص 17.

8. وصحب ابا حامد الطوسي

9. اتصل بالامام حجة الاسلام الغزالي في المدرسة النظامية ببغداد

اتصف ابن العربي وامتاز بخصال حميدة كالجرأة في القول والصراحة في الرأي والصبر على المكاره والرفق بالضعفاء والمساكين وشهد عصر الطوائف والمرابطين بالاندلس وصفه ابن عيد المغربي بقوله "طبق الافاق بفوائده وملأ الشام والعراق بأوابده وهو امام في الاصول والفروع"(1).

وصف مؤرخ الاندلس الحجازي ابن العربي بقوله "لو لم ينسب لاشبيلية إلا هذا الامام الجليل لكان لها به من الفخر ما يرجع عنه الطرف وهو كليل)(2).

افتخر ابن خاقان ببراعة ابن العربي العلمية وشهرته في الاندلس والمشرق فوصفه بقوله: (علم الاعلام الطاهر الاثواب، الباهر الالباب.. سقى الله به الاندلس بعدما اجدبت من المعارف، ومد عليها منه الظل الوارف. فكساها رونق نبله، وسقاها ريق وبله)(3).

اعجب ابن العربي الاشبيلي بنهضة بغداد ومعالمها الحضارية وتشوق إلى دار السلام باشعاره نذكر منها(4):

امنـــك سرى والليـــل يخـــدع بـــالفجر خيـــال حبيـــب قـــد حـــوى قـــصب الفخـــر

جـــلا ظلـــم الظامـــاء مـــشرق نـــوره ولم يخـــبط الظلـــماء بـــالانجم الزهـــر

ولم يرض بالارض البسيطة مسحباً فسار على الجوزا إلى فلك يجري وختمها بقوله:

ســـقى الله مـــصراً والعـــراق واهلهـــا وبغـــداد والـــشامين منهمـــل المطـــر

تغنى ابن العربي الاشبيلي بحب بغداد دار السلام والحنين إلى اطرافها واهلها بقصدة رائعة تؤكد على العشق والجمال والامن والخير نذكر منها:

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
من الدهر لا اخشى ولا اترقب
وبي ظمأ برح إلى ورد منهل
يطيب به طرق المياه ويعذب
بمشرعة الكرخ التي لم نزل بها
يلذ لنا شرخ الشباب ويعجب
ونهر معلى اعشبت فيه اربعي

---

(1) نقلاً عن المقّري، نفح الطيب، ج2، 26.

(2) نقلاً عن ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، 254- 255.

(3) ابن خاقان، ابو نصر الفتح، مطمح الانفس ومسرح لتأنس في ملح اهل الاندلس.

(4) المقّري، نفح الطيب، ج2، 41.

وغرراطياري فاصبحت اطرب

جمال واجمال ودين وعفة

ففي مثلها يرعى الاديب ويرعب

سلام على بغداد في كل منزل

وحق لها مني السلام المطيب

فيا برق ان الكرخ همي وهمتي

وانت اليه اليوم ادنى واقرب

عيسى فيك من ماء الصراة صبابة

تبل غليلا غل قلبي فيذهب

وهل مرت من ماء المراتب مزنة

ففيها سحاب الجود يندي ويسكب[1].

صنف ابن العربي الاشبيلي مؤلفات عديدة نذكر منها:

1. كتاب انوار الفجر في تفسير القرآن.
2. كتاب التلخيص في مسائل الخلاف.
3. عارضة الاحوذي.
4. قانون التأويل.
5. احكام القرآن.
6. القبس في شرح موطأ مالك بن انس.
7. نواهي الدواهي.
8. العواصم من القواصم.
9. الناسخ والمنسوخ.
10. ترتيب الرحلة.

توفي ابن العربي الاشبيلي عام 543هـ/ 1148م.

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن ياسر الانصاري الجياني، ابو بكر الاندلسي وابو عبد الله.

عالم اندلسي في الحديث رحل إلى المشرق ودخل بغداد بصحبة ابي القاسم ابن عساكر صاحب كتاب (تاريخ الشام) عام 520هـ/ 1126م، وكان زميله وسمع بها معه من هبة الله بن الحصين وغيره، توفي بحلب عام 563هـ/ 1167م[2].

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج3، 855– 857 ترجمة رقم 1305.

(2) المقّري، نفح الطيب، ج2، 58، ترجمة رقم 26.

عبد الله أو عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي الاندلسي/ ابو الحكم عالم اندلسي بالادب والطب والهندسة، ولد بمدينة المريه.

رحل لاداء فريضة الحج في الديار المقدسة واقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه عام 521هـ/ 1127م، وانشأ له بمعسكره مارستان ينقل على اربعين بعيرا واشتغل به طبيباً. صنف له ديوان شعر سماه (نهج الوضاعة لاولى الرضاعة) توفي بدمشق عام 549هـ/ 1154م[1].

- عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن احمد بن ابي حبيب، ابو محمد الاندلسي عالم اندلسي من بيت علم ووزارة، كان غزير العلم في الفقه والحديث والادب تولى وظيفة القضاء بالاندلس، ورحل إلى المشرق واقام في بغداد مدة، وتوفى بهراة عام 548هـ.
- عبد الله محمد العبدري عالم اندلسي من مدينة ابدة Ubeda، له رحلة إلى المشرق ودخل بها إلى بغداد[2].
- محمد عبد الرحيم المازني القيسي الغرناطي، ابو حامد الغرناطي حياته 473- 565هـ/ 1080- 1169م عالم اندلسي من مدينة غرناطة كان حافظاً اديباً، رحل إلى المشرق وزار الاسكندرية وحلب وبغداد وسمع بها عام 516هـ/ 1122م، وكان من الجغرافيين والرحالة.

تتلمذ ابو حامد الغرناطي في بغداد التي كانت وقتذاك محجة العلماء وكعبة الادباء، فقد اخذ من علمائها، وذلك عندما التقى بابي العز احمد بن عبد الله بن كاوش احمد بن عبيد الله بن محمد السلمي العكبري المتوفي ببغداد عام 526هـ/ 1131م عن عمر يناهز التسعين عاماً، وسمع منه الحديث والفقه كما التقى بالكثير من العلماء والمحدثين[3].

مؤلفاته: صنف ابو حامد الغرناطي المؤلفات العديدة في الجغرافية وادب الرحلات منها:

1. المعرب عن بعض عجائب المغرب.
2. تحفة الالباب ونخبة الاعجاب.
3. كتاب عجائب المخلوقات.
4. كتاب تحفة الكبار في اسفار البحار.
5. نخبة الاذهان في عجائب البلدان.
6. المغربان بعد عجائب البلدان.
7. المعرب من عجائب المشرق[4].

توفى ابو حامد الغرناطي بدمشق عام 565هـ/ 1169[5].

- محمد بن ابراهيم بن وضاح اللخمي، ابو القاسمعالم اندلسي من غرناطة في علوم القرآن، رحل إلى المشرق للحج والدراسة ودخل بغداد مدينة السلام، واقام في رحلته تسعة اعوام وعاد الى الاندلس فسكن جزيرة شقر، وتوفي عام 587هـ/ 1191م[1].

---

(1) م. ن، ج2، 637- 638 ترجمة رقم 264.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج2، 401، ترجمة رقم 583.

(3) الصفدي، صلاح الدين خليل ابيك، الوافي بالوفيات، ط2، نشر دار فرانز ستايز بتسيادن 1961، ج2، 345.

(4) د. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد 1967م) ص 325.

(5) المقّري، نفح الطيب، ج2، 235- 236، ترجمة رقم 147.

- علي بن سعيد العبدري اندلسي اصله من جزيرة ميورقة Mallorca، رحل للمشرق ودخل بغداد، وترك مذهب ابن حزم الظاهري وتفقه عند ابي بكر الشاشي، ذكره ابو بكر بن العربي الاشبيلي وشاهده حيا ببغداد عام 491هـ/ 1097م[2].

محمد بن احمد بن سليمان بن احمد بن ابراهيم الزهري الاشبيلي، ابو عبد الله عالم اندلسي في الحديث والادب، رحل إلى المشرق ودخل بغداد عام 590هـ/ 1193م وعمره ثلاثون سنة، واقام بها مدة، وسمع من شيوخها كابي الفرج ابن كليب صنف عدداً من المؤلفات في علم القرآن والحديث نذكر منها.

1. البيان والتبيين في انساب الحديث في 6 اجزاء.
2. كتاب البيان فيما ابهم من الاسماء في القرآن.
3. كتاب اقسام البلاغة واحكام الصناعة.
4. كتاب شرح الايضاح لابي علي الفارسي في 15 مجلداً.
5. كتاب شرح المقاومات.
6. كتاب شرح اليميني.

توفي الزهري عام 617هـ/ 1220م اذ قتله التتار بعد هجومهم على بغداد[3].

- عيسى بن ابراهيم بن عبد ربه بن جهور القيسي عالم اندلسي من مدينة طلبيرة، رحل للمشرق ودخل بغداد واخذ من رجالها العلماء منهم:

الحلواني، وابن طرخان، والشاشي، والحريري، توفي عام 527هـ/ 1133م[4].

- محمد بن ابراهيم بن خلف بن احمد الانصاري، ابو عبد الله المعروف بابن الفخار المالقي عالم اندلسي، فقيه وحافظ وعالم بالحديث اصله من مدينة مالقة، روى عن الحافظ ابي بكر بن العربي الاشبيلي وغيره، رحل إلى بغداد مدينة دار السلام وحدث عنه الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابراهي للضبي بقوله:

(ان الحافظ ابا بكر محمد بن عبد الملك قال: لما وصلت بغداد صحبة ابي، اقمت بها مدة، وكان لهم يوم لا تبقى فيه مخدرة ولا صاحب دكان إلا خرجوا إلى متنزهاتهم، فاقاموا بها عامة ذلك اليوم ثم انصرفوا، ومن لا متنزه له قعد على شاطئ دجلة ينظر إلى الناس يمرون عليه، وكان معنا من اهل الاندلس اديب شاعر يحضر معنا في المدرسة، فخرجنا وخرج صحبتنا إلى ربوة تقرب من الطريق وقعدنا هناك والناس يمرون، إلى ان مرت جماعة نساء بينهم امراة قد فرعتهم طولاً وبهرتهم حسناً وجمالاً فقام ذلك الفتى لما ابصرها، قال: لا بدلي من معارضة هذه المراة: فقلنا له: اتق الله، وقمنا اليه لنمسكه، فشد عنا..)[5].

---

(1) م. ن، ج2، 160، ترجمة رقم 111.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج2، 614، ترجمة رقم 913.

(3) م. ن، ج2، 214، ترجمة رقم 128.

(4) م. ن، ج2، 637، ترجمة رقم 953.

(5) الضبي، بغية الملتمس، ج1، 82- 84، ترجمة رقم 53.

توفي ابن الفخار المالقي عام 590هـ/ 1193م.

- محمد عبد المنعم الغساني الجلياني، ابو الفضل حياته 531- 602هـ/ 1136- 1205م الحكيم الطبيب الاندلسي واصله من مدينة جليانه التابعة لغرناطة، واشتهر بالادب والشعر وله براعة بالرياضيات والاخلاق وكان لطيف المعاشرة ولقبوه اهل الاندلس بـ (حكيم الزمان) سافر إلى دمشق وحضر مجلس السلطان صلاح الدين الايوبي واتصل بحاشيته، وكان من معاصرية القاضي الفاضل.

دخل الجلياني مدينة بغداد عام 601هـ/ 1204م ونزل بالمدرسة النظامية، وكتب الناس عنه كثيراً من نظمه[1]. وتوفي بدمشق عام 602هـ/ 1205م.

- محمد بن احمد بن جبير الكناني البلنسي، ابو الحسن رحالة اندلسي اصله من مدينة بلنسية بدأ رحلته عام 578هـ/ 1182م واستغرقت اكثر من ثلاث سنوات، عنى ابن جبير بالقراءات والادب وصناعة الكتابة.

زار ابن جبير مدينة السلام بغداد واعجب بحضاراتها عامة وكتب عنها وصفاً وشعراً وانشد لها عندما اقتطع غصناً نضيراً من احد بساتينها فذوي في يده:

لا تغـــــــترب عـــــــن وطـــــــن	واذكـــــــر تـــــــصاريف النـــــــوى
امـــــــا تـــــــرى الغـــــــصن اذا	مـــــــا فـــــــارق الاصـــــــل ذوى

رافق ابن جبير في رحلته إلى بغداد الرحالة ابو جعفر احمد بن الحسن ابن احمد بن الحسن القضاعي، واصله من بلنسة، وكان طبيباً، وتوفي في مراكش عام 599هـ/ 1202م.

تشوق ابن جبير اثناء اقامته ببغداد إلى بلده الاندلس ومدينته بلنسية وانشد يقول[2].

ســـقى الله بـــاب الطـــاق صـــوب غمامـــه	ورد إلى الاوطـــــان كـــــل غريـــــب

توفي ابن جبير عام 614هـ/ 1217م.

- احمد بن علي بن عبد الرحمن النقري من اهل الاندلس رحل إلى المشرق ودخل بغداد وسمع من ابي الفرج عبد المنعم ابن كليب الحراني، ومن ابن نقطة، خرج من بغداد عام 613هـ/ 1216م[3].
- عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول السرقسطي، ابو محمد عالم اندلسي من الفقهاء الفضلاء والشعراء والنبلاء، رحل إلى المشرق ودخل مدينة السلام بغداد واقام في المدرسة النظامية[4].
- ابراهيم بن مروان بن احمد التجيبي البزار عالم من اهل اشبيلية رحل إلى بغداد عام 523هـ/ 1128م، وتتلمذ على نخبة من علماء بغداد منهم:
  1. هبة الله بن الحصين.
  2. ابو غالب الماوردي.

---

(1) المقّري، نفح الطيب، ج2، 635- 637 ترجمة رقم 262.

(2) ابن الخطيب الغرناطي (ت 776هـ)، الاحاطة في اخبار غرناطة.

(3) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ص 142، ترجمة رقم 275.

(4) م. ن، ج2، 110، ترجمة رقم 59.

3. الحسين بن ضرو البلخي.
4. ابو الفضل بن ناصر.
5. ابو الفتح الكردي الهروي.

عاد التجيبي إلى اشبيلية وتوفى عام 546هـ/ 1151م[1].

- محمد بن طاهر علي بن عيسى الخزرجي الداني النحوي، ابو عبد الله اندلسي من دانية كان اديباً لغوياً، رحلى الى المشرق فزار دمشق ومصر ودخل الى مدينة بغداد.

صنف الداني مؤلفات منها كتاب (تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب) وتوفى ببغداد عام 619هـ/ 1222م[2].

- احمد بن شميم بن هشام بن احمد بن حنون البهراني اندلسي من اهل اشبيلية، رحل إلى بغداد وسمع فيها من ابي احمد عمر بن طبرزد وتوفى عام 620هـ/ 1223م[3].

- محيي الدين بن عربي بن محمد بن علي بن احمد بن عبد الله الحاتمي عالم اندلسي من اهل مرسية، اهتم بعلم القرآن الكرؤيم والحديث الشريف، وتتلمذ على خيرة علماء الاندلس، ورحل للمشرق ودخل بغداد والموصل.

صنف ابن عربي المرسي مؤلفات عديدة منها:

1. مجموع ضمنه منامات رأى فيها النبي ﷺ وما سمع منه.
2. وكتاب الفتوحات المكية.
3. تلقين المهتدي.
4. الاحكام الكبرى، والوسطى، والصغرى.
5. كتاب التهجد.
6. كتاب العاقبة.

قدم ابن عربي إلى بغداد عام 608هـ/ 1211م ومات بدمشق عام 638هـ/ 1249م وله ولد هو محمد يعرف بسعد الدين توفى بدمشق عام 656هـ/ 1258[4].

- محمد بن الصفار القرطبي، ابو عبد الله عالم اندلسي كان ضريراً عمل في الادب والحساب على الرغم من كونه مكفوف البصر وكان دميم الخلقة، سافر في رحلة إلى بغداد حتى صارت له سمعة فيها، ومات عام 639هـ/ 1241[5].

- علم الدين قاسم بن احمد بن موفق بن جعفر، ابو محمد المرسي اللورقي عالم اندلسي في النحو وعلم القراءات، رحل إلى المشرق وزار مصر ودمشق ودخل مدينة السلام بغداد وسمع من ابرز علماء بغداد منهم.

---

(1) م. ن، ص 189، ترجمة رقم 379.

(2) م. ن، ج2، 142- 143، ترجمة رقم 91.

(3) م. ن، ص 128، ترجمة رقم 282.

(4) المقّري، نفح الطيب، ج2، 161- 169 ترجمة رقم 113.

(5) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، 117، 119، ترجمة رقم 55.

1. ابو محمد بن الاخضر.
2. ابو البقاء.

توفي المرسي اللورقي عام 661هـ/ 1263م.

- محمد بن سراقة بن محمد بن ابراهيم بن الحسين بن سراقة الشاطبي، ابو عبد الله ويكنى ايضاً بابي القاسم وابي بكر.

عالم اندلسي في الحديث من مدينة شاطبة، رحل الى المشرق لطلب العلم في القاهرة وحلب، ووصل بغداد وسمع فيها من مشاهير العلماء ببغداد منهم:

1. الشيخ ابو حفص عمر السهروردي.
2. ابو طالب القبيطي.
3. ابو حفص الدينوري.

وفي حلب من ابن شداد، ومات بالقاهرة عام 662هـ/ 1263م[1].

- جابر بن محمد بن محمد بن قاسم بن احمد بن ابراهيم بن حسان القيسي الوادي اشي (معين الدين، ابو سلطان).

عالم اندلسي من مدينة وادي اشي بغرناطة ولد عام 610هـ/ 1213م، رحل الى بغداد عام 632هـ/ 1234م وتتلمذ على علماء العراق منهم:

1. ابو طاهر عبد اللطيف بن محمد بن علي بن حمزة القبيطي بدار الحديث في المدرسة المستنصرية.
2. ابو الحجاج يوسف بن جعفر بن عبد الرزاق الانصاري المالكي.

قرأ عليه وتتلمذ على علمه محمد بن جابر الوادي اشي صاحب (برنامج الوادي اشي). توفي معين الدين الوادي اشي بتونس عام 694هـ/ 1294م[2].

- علي بن موسى بن سعيد العنسي المغربي، ابو الحسن الغرناطي، ويعرف بابن سعيد المغربي.

عالم اندلسي، ولد بقلعة يحصب أو قلعة بني سعيد القريبة من غرناطة، كان بارعاً في الادب واللغة والتايخ والجغرافية، من اسرة تهتم بالعلم، واتصل ابن سعيد بالعلماء وسلاطين غرناطة من بني نصر واولهم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن الاحمر.

خرج برحلة برفقة ابيه إلى تونس والاسكندرية والقاهرة ثم عاد إلى الاسكندرية ليحضر وفاة والده فيها عام 640هـ/ 1242م. دخل العراق وزار بغداد وتتلمذ فيها وسافر إلى الموصل والبصرة.

صنف ابن سعيد عدداً كبيراً من المؤلفات بلغت ثلاثين كتاب، ذكر منها المقري اثني عشر كتاباً نذكر منها:

1. المغرب في حلى المغرب.
2. الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة.
3. المرقصات والمطربات.
4. عدة المستنجز وغفلة المستوفز.

---

(1) المقّري، نفح الطيب، ج2، 50، ترجمة رقم 16.

(2) الوادي اشي، محمد بن جابر، برنامج الوادي اشي.

5. الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد.
6. المقتطف من ازاهر الطرف.
7. نشوب الطرب في تاريخ جاهلية العرب.
8. رايات المبرزين وغايات المميزين.
9. لذة الاحلام في تاريخ امم الاعجام.
10. نتائج القرائح في مختار المراثي والمدائح.
11. حيا المحل وجنى النحل.
12. كنوز المطالب في آل طالب.

توفى ابن سعيد المغربي عام 685هـ/ 1286[1].

- محمد بن عبد الله بن محمد بن ابي الفضل السلمي المرسي، ابو عبد الله عالم اندلسي من مرسية في فقه الحديث وعلوم القرآن واللغة، رحل للحج ودخل بغداد مع قافلة الحجاج، واقام بها يسمع ويقرأ الفقه في المدرسة النظامية ببغداد، ثم سافر إلى خراسان، وتوفى عام 655هـ/ 1257[2].
- احمد بن محمد بن ابي الخليل مفرج الاموي عرف بالعشاب وابن الرومية اندلسي من اشبيلية وعمل طبيباً في قرطبة، وكان ظاهري المذهبن زار بغداد واخذ من شيوخها العلماء منهم:

1. احمد بن ابي السعادات.
2. احمد بن ابي بكر.
3. ابن ابي خط طلحة.
4. ابو نصر القرشي.
5. ابراهيم بن ابي ياسر القطيعي.
6. رسلان المسدي.
7. الاسعد بن بقاقا.
8. اسماعيل بن باركش الجوهري.
9. اسماعيل بن ابي البركات.

ويذكر ابن الخطيب الغرناطي ان برنامج مروياته واشياخه، مشتمل على فتين عديدة مراتبة على البلاد العراقية وغيرها، وحج ثلاث عشر فريضة. ولقب بالمشرق بحب الدين[3].

حدث ابن ابي الخليل ببغداد، برواية واسعة واخذ عنه كثيرون منهم:

ابو عبدالله بن سعيد اللوشي، وصنف مؤلفات عديدة منه:

1. رحالة المعلم بزوائد البخاري على مسلم.
2. اختصار غريب حديث مالك للدارقطني.

---

(1) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ترجمة المحقق.

(2) م. ن، ترجمة رقم 158.

(3) الاحاطة في اخبار غرناطة، ج1، 210- 211.

3. نظم الدراري فيما تفرد به مسلم عن البخاري.
4. توهين طرق حديث الاربعين.
5. حكم الدعاء في ادبار الصلوات.
6. كيفية الاذان يوم الجمعة.
7. اختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين لابي محمد بن عدي.
8. الحافل في تذييل الككامل.
9. اخبار محمد بن اسحاق.
10. شرح حشائش ديا سقوريدوس وادوية جالينوس.
11. التنبيه على اغلاط الغافقي.
12. الرحلة النباتية.

توفي عام 561هـ/ 1165م[1].

- الحسن بن احمد بن عبد الله بن موسى بن غلوز الغافقي اندلسي من اهل جزيرة ميورقة دخل بغداد وتتلمذ على اكابر شيرخها منهم:
1. الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي.
2. ابو الحسن بن ايوب.
3. ابو الفوارس الزيني[2].

- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري الاثري، اثير الدين ابو حيان، حياته 654- 745هـ/ 1256- 1344م اندلسي ولد بمطخارش، تتلمذ على كبار شيوخ الاندلس واخذ عنهم، كما استفاد من العلماء المشارقة، وحصل على الاجازة العامة من ابي الفضل عبد الله بن محمود بن مودود ابن بلدجي الموصلي البغدادي وغيره، وعدد شيوخه يقاربون الخمسمائة بالسماع وبالاجازة نيف على الالف ومائتين.

ويذكر الوادي اشي بانه قرأ عليه وسمع من لفظه وحصل من اثير الدين ابو حيان اجازة عامة وتلفظ بشروطها[3].

- احمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي/ ابو العباس، ت 674هـ/ 1276 عالم اندلسي من مدينة شاطبة، وتتلمذ في الاندلس وكان بارعاً ومن شيوخ الغبريني وقال فيه (الشيخ الفقيه المقرئ، المحصل الرواية، الضابط المتقن المجود)[4].

ويذكر انه التقى بعلماء بغداد وحصل منهم على اجازة الروايات ومن شيوخه:
1. ابو اسحاق الشيرازي.
2. ابو بكر الخطيب.

---

(1) م. ن، ج1، 212- 214.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج1، 227، ترجمة 323.

(3) برنامج الوادي اشي، ص 74- 76.

(4) الغبريني، ابو العباس احمد بن احمد الغبريني، (ت 714هـ).

- القاسم بن يوسف التجيبي السبتي من اهل مدينة سبتة من الفقهاء وصنف كتاباً بعنوان (مستفاد الرحلة والاغتراب)، رحل إلى بغداد وتتلمذ على مشاهير العلماء والشيوخ والفقهاء وحدث عنهم واستفاد من مسائلهم وقراءتهم، وتوفي عام 730هـ/ 1329م[1].
- ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الانصاري الساحلي المشهور بالطويجن.

اديب اندلسي من اهل غرناطة، وصفه ابن الخطيب الغرناطي بانه (انيق الديباجة، موفور المادة، كثير الحلاوة، جامع بين الجزالة والرقة، إلى خط بديع، ومشاركة في فنون)[2].

رحل الانصاري إلى المشرق، فدخل السودان ومصر والشام والعراق (فحيا بالسلام مدينة السلام، واورد بالرافدين رواحله)[3] توفي بعد عام 739هـ/ 1338م.

- محمد بن علي بن الخضر هارون الغساني، ابو عبد الله ويعرف بابن عسكر عالم اندلسي من اهل مالقة، تتلمذ في الاندلس واتصل بالمشرق، وكتب بالاجازة للعراقيين من اهل بغداد الذين استدعوها من اهل الاندلس، وصف كتباً كثيرة، توفي عام 636هـ/ 1238م[4].

علماء بغداديون في الاندلس

استقبلت الاندلس عدداً من العلماء البغداديين بحفاوة وترحيب وتقدير بدافع الحصول على العلم أو الزيارة والاطلاع أو هروباً من الاوضاع العامة أو لكسب الرزق ومن هؤلاء نذكر:

- محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن اسد بن الليث بن سليمان بن الاسود ابن سفيان، ابو الفضل التميمي البغدادي.

بغدادي من اهل العلم والادب، رحل إلى القيروان للاطلاع والاستماع في مجالس العلماء فيها، ثم خرج إلى الاندلس، ولقي ملوكها في عهد دويلات الطوائف واستقر بمدينة طليطلة عند بلاط بني ذي النون، وانشد ابياتاً من الشعر يتحنن بها إلى وطنه بغداد، مطلعها[5]:

ابعد ارتحال الحي من جو بارق ... تؤمل ان يسلو قلب عاشق

مات ابو الفضل البغدادي عام 454هـ/ 1062م.

- علي بن احمد الفخري/ ابو الحسين اديب بغدادي قدم إلى الاندلس، وكان عالماً مشهوراً بالادب والشعر، وله كتاب في التشبيهات من اشعار اهل الاندلس، كان في الدولة العامرية وعاش ايام الفتنة البربرية بالاندلس[6].

---

(1) التجيبي السبتي، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب.

(2) الاحاطة في اخبار غرناطة، ج1، 329.

(3) م. ن، ج1، 330.

(4) م. ن، ج2، 172- 175.

(5) الضبي، بغية الملتمس، ج1، 142، ترجمة رقم 210.

(6) الحميدي/ جذوة المقتبس، ج2، 489، ترجمة رقم 706.

- محمد بن الفضل بن عبيد الله بن قثم القرشي العباسي، ابو هاشم لغوي بغدادي قدم إلى الاندلس عام 422هـ/ 1030م لغرض التجارة وطلب العلم، وهو على مذهب ابي حنيفة ومن اهل العربية على مذهب الكوفيين[1].
- المبارك بن سعيد بن محمد بن الحسن الاسدي البغدادي، ابو الحسن بن الخشاب عالم بغدادي قدم إلى الاندلس وكان تاجراً وباحثاً علمياً، وسمع بمدينة قرطبة والمرية وتوفي بعد عام 490هـ/ 1096م.

كانت بغداد سنداً قوياً لسلطنة غرناطة واستمد سلاطين غرناطة التايد والدعم من الخليفة العباسي ببغداد، مما اضطر حكام غرناطة إلى ذكر الخليفة في الخطبة والدعاء له، فيذكر ابن الخطيب الغرناطي ان السلطان محمد بن يوسف بن محمد ابن احمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي افتتح سلطته بغرناطة بالدعاء للخليفة المستنصر بالله العباسي ببغداد، وبعث الخليفة العباسي بتقليد السلطة للحاكم محمد بن يوسه ابن هود الجذامي، فاستنصر الناس في دعوته، وردت عليه الراية والتقليد من الخليفة العباسي، وفي مصلى غرناطة قرئ على الناس كتابه، وهو قائم ولباسه السواد، ورايته السوداء بين يديه[2].

نهج ابو جميل زيان بن يوسف بن سعد بن مردنيش الذي استقر في ايدة عام 626هـ/ 1228 واتبع سياسة اجداده بالدعاء للخليفة العباسي ببغداد، وحصل التايد والدعم والاعتراف من حكومة بغداد.

اعجاب اهل الاندلس والمغرب بنهضة بغداد من خلال الاوصاف الواردة بمؤلفاتهم الحب والشوق والحنين والاعجاب بحضارة بغداد ساد على ارجاء العالم الاسلامي ومنها بلاد الاندلس المتطلع للحركة الفكرية والادبية والفنية ودفع الكثير من العلماء الاندلسيين لزيارة بغداد والتعلق بالثقافة العراقية وعدد من العلماء من فضل الاقامة والاستقرار في بغداد واخرون عادوا لبلدهم الاندلس حاملين معهم الثقافة البغدادية، والبعض الباقي من العلماء والمفكرين اطلع على الحركة الثقافية ببغداد عن طريق العائدين الاندلسيين والاطلاع على المؤلفات البغدادية التي الهبت مشاعرهم وشوقتهم للزيارة والاطلاع على المدارس وحلقات الدروس والاتصال الفكري بعلماء وشيوخ بغداد والحصول على الشهادات العلمية في جميع المجالات.

وصف الرحالة ابن جبير البلنسي بغداد واعجب بحضاراتها ومعالمها العمرانية واشاد بنظام التعليم في المدارس، وعبر عن حبه ودهشته بقوله:

(فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعي من المستوفر والنظر إلى رحلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منها كالمراة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبتين، فهي تردها ولا تظمأ، وتتطلع منها في مرأة صقلية لا تصدا، والحسن الحريم، بين هوائها ومائها ينشأ، هو من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة، إلا ان يعصم الله منها، مخوفة، فقتن الهوى..).

صار اهل الاندلس ينافسون بغداد ونهضتها العلمية ومكانتها السياسية كقاعدة الخلافة العباسية، لذا نرى في وصف قرطبة من قبل الجغرافيين الاندلسيين كان له تأثير ومنافسة لما حصلت عليه بغداد ونالت من الكلمات والعبارات التي تؤكد على انها مركز الاشعاع الحضاري للعالم الاسلامي، ومن ابرز الاوصاف التي حصلت عليها

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج2، 867، ترجمة رقم 1321.

(2) اللمحة البدرية، ص 43.

قرطبة بتأثير وصف مدينة السلام بغداد من اهلها وزوارها واصدقائها، نذكر ما اورده الجغرافيون والمؤرخون الاندلسيون النصوص الاتية:

1. المؤرخ والجغرافي الاندلسي احمد الرازي الكاتب قال: (قرطبة قاعدة الاندلس وام المدائن، وقرار الخلافة ودار الملك)[1].
2. الجغرافي الاندلسي الشريف الاندلسي، قال: (مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس وام مدنها ودار الخلافة الاسلامية، وفضائل اهل قرطبة اشهر من ان تذكر ومناقبها اظهر من ان تستر واليهم الانتهاء في السناء والبهاء، بل هم اعلام البلاد واعيان العباد، ذكروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي في الملابس والمراكب وعلو الهمة في المجالس والمراتب وجميل التخصيص في المطاعم والمشارب مع جميل الخلائق وحميد الطرائق ولم تتخل قرطبة قط من اعلام العلماء وسادات الفضلاء وتجارها مما سير لهم اموالاً كثيرة واحوالاً واسعة)[2].
3. الجغرافي الاندلسي الزهري، وصف قرطبة بتأثير ومنافسة حضارة بغداد بقوله:

(وقد ذكر الفقيه ابن حيان في تاريخه من اخبار قرطبة ما لا نزيد عليه، ومن هذه المدينة تفرعت علوم كثيرة وفنون جمة وهي مدينة علم الاندلس)[3].

4. المؤلف الاندلسي المجهول وصف قرطبة وقال: (قرطبة فهي قاعدة الاندلس وقطبها وقطرها الاعظم وام مدائنها ومسكنها ومستقر الخلفاء، ودار المملكة في النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومقر السنة والجماعة نزلها فيما نقل رجل من الصحابة وجملة من التابعين وتابعي التابعين رضي الله عنهم اجمعين)[4].
5. المؤرخ الاندلسي الحجاري وصف قرطبة بقوله: (منتهى الغاية، ومركز الراية، وام القرى، وقرارة اولي الفضل والتقى، ووطن اولى العلم والنهى، وقلب الاقليم، وينبوع متفجر العلوم، ودار صوب العقول، وبستان ثمر الخواطر، وبحر درر القرائح ومن افقها طلعت نجوم الارض واعلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها انشئت التآليف الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة)[5].

(1) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج2، 129 – 131.

(2) م. ن، اعمال الاعلام، ص 272.

(3) ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد (ت 614هـ) رحلة ابن جبير، نشر مكتبة الهلال، (بيروت 1981م)، ص 173.

(4) نقلاً عن غالب الاندلسي، فرحة الانفس في تاريخ الاندلس.

(5) الشريف الادريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني (ت 560هـ).

قرن من الزمان بين القادسية وبلاط الشهداء دروس وعبر تاريخية

انقضى اكثر من الف واربعمائة عام على النصر العظيم في ملحمة القادسية الاولى قادسية سعد الاولى ذلك الحادث الذي كان له اعظم الاثر في تاريخ العرب والاسلام والذي اختتم بنصر كبير مؤزر غير وجه التاريخ، وفتح للعرب ابواب السيادة في العراق وما والاه شرقاً حيث حررها من ايدي اعداء العروبة والاسلام واثبتت شجاعة العرب وحطم اسطورة الفرس المجوس.

ظلت ملحمة القادسية موضع اعجاب وتقدير واعتزاز وفخر للعرب لانها تعد بلا مغالاة من المعارك البارزة بالتاريخ، حيث حررت البشرية من العبودية والظلم، وخروج منها العرب بالظفر والمجد راعين راية الله اكبر.

ونحن نحتفل بمرور اربعة عشر قرناً على موقعة القادسية ونستذكر احداثها ونقف لها اجلالاً وتقديراً نريد ان نعيد ذكريات موقعة بلاط الشهداء والتي مضى عليها ثلاثة عشر قرناً حيث جرت احداثها في الغرب الاسلامي على ارض الاندلس مع الصليبيين من الافرنج.

وما القادسية وبلاط الشهداء الا انتصار للقيم الاسلامية الانسانية لانهما لم تستهدفا استعباداته والاستيلاء على ارض طمعاً، ولا نهب ثروة او سرقة اقتصاد او كسب مغنم، وانما كانتا من معارك تحرير الانسان من ظلم الانسان ورد هجمات المعتدين على ارض التوحيد، ونشر الاسلام في بلاد الكفر والاستعباد. ومثلما يحتفل العرب والمسلمون بانتصاراتهم الخالدة والمجيدة في القادسية وغيرها من الملاحم البطولية، يحاول الغرب المسيحي التقليد بتزييف الحوادث التاريخية ونتائجها على شعوبها الاوربية، حيث ان ذكريات بلاط الشهداء مازالت وقائعها واثارها التاريخية موضع التقدير والتأمل من جانب المؤرخ الغربي. فقد نظمت في فرنسا احتفالية اواخر تشرين الاول (اكتوبر) من عام 1932م على ذكرى مرور الف ومائتين عام على ملحمة بلاط الشهداء، وكانت الذكرى مثار تأملات وتعليقات جديدة تدور كلها حول الصيحة التاريخية القديمة: لو لم يرد العرب والاسلام في سهول تور Tours، لما كانت ثمة اوربا نصرانية، بل لعله مابقيت نصرانية على الاطلاق، ولكان الاسلام اليوم يسود اوربا، وكانت اوربا الشمالية نموذج اليوم بابناء الشعوب السامية، ذوي العيون الواسعة والشعور السوداء، بدلاً من ابناء الآيلة ذوي الشقرة والعيون الزرقاء.[1]

لقد كان اللقاء الحسم بين الاسلام والمجوسية في القادسية عام 14هـ/ 635م بقيادة البطل سعد بن ابي وقاص، وبين الاسلام والصليبية في بلاط الشهداء عام 114هـ/ 732م بقيادة البطل عبد الرحمن الغافقي حيث كان الالتحام بين الشرق والغرب بين الحضارة والهمجية، بين النور والظلام، بين الخير والشر، عنيفاً وحاسماً في التاريخ.

لقد انتظمت القوات الاسلامية بالقادسية بدافع الجهاد لتحرير العراق من الفرس المجوس وانهاء الوجود الارجنبي المعادي للعرب والاسلام، حيث جاءت النجدان من الحجاز واليمن والشام لانقاذ المجتمع والارض من ظلم الفرس وتعسفهم وتعصبهم وحقدهم الاعمى على العروبة والاسلام وتعالت صرخات وتوسلات اهل العراق لانقاذهم من الفرس المجوس جراء تردي الاوضاع العامة (... وقوي امر الفرس واخرجوا المسلمين عن المروج فارتدا اهل السواد وخرقوا العهود التي انت في ايديهم وصار المسلمين في الاطراف فلما بلغ ذلك عمر اراد الخروج الى العراق

(1) عنان/ محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، ج1/ 92- 93، وانظر: عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام، ص46.

[1]) وفي رواية البلاذري يذكر: (كتب المسلمون الى عمر بن الخطاب (رضي) يعلمونه كثرة من تجمع لهم من اهل فارس يسألونه المدد فأراد ان يغزو بنفسه وعسكر لذلك[2]).

وبهذا نلاحظ ان الخلافة تأخذ الموضوع بنظر الاعتبار وتعطيه الاهمية حيث اجتمعت القيادة العسكرية رئاسة الخليفة لوضع خطة لمشروع الفتح والتحرير للعراق ورصد له الاموال وارسلت الكتب الى عمال الولايات الاسلامية لاعلان مشروع تحرير العراق وتم التشاور لاختيار القائد الذي يتولى القيادة العسكرية للحملة الجهادية وبعد البحث والاستفسار والاستشارة وقع الاختيار على افضل القادة واقدرهم على تحمل هذه المسؤولية الجهادية حيث وقع الاختيار على القائد سعد بن ابي وقاص لدوره البطولي في الاسلام وقد بارك له الخليفة والصحابة لتولية هذه المهمة الجهادية ثم قدم له الخليفة توجيهاته السديدة التالية: (ياسعد، ابن ام سعد! لا يغرنك من الله ان يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله، فأن الله لايمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن وليس بين الله وبين احد نسب الا بطاعته فالناس في دين الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ماعنده بالطاعة، فأنظر الامر الذي رأيت رسول الله (ﷺ) يلزمه، وعليك الصبر)[3].

وقد تميزت قيادة سعد بن ابي وقاص في ملحمة القادسية بالصفات المثالية التالية:

1. الشجاعة: وقد شهد له الرسول الكريم (ﷺ) في معركة احد حيث دعا له (ﷺ) (اللهم سدد رميته).
2. الابداع: وقد برزت امكاناته الابداعية في قتاله فيله الفرس المجوس.
3. الرأي السديد: وقد ظهرت اراءه السديدة في مواقف عديدة نهاية عند نزوله بجيشه بالانبار حيث اصابت لمقاتلين الحمى، فلم توافقهم الاقامة بالانبار، فكتب الى الخليفة يخبره بذلك[4]
4. الاستطلاع: بذل جهده في ارسال العيون واستطلاع تحركات جيش العدو من كل الجوانب.
5. التكتيك: وكان يمكن في النهار ويسير في الليل للمحافظة على سرية وسلامة قوته في المنطق لصحراوية والجبلية والوعرة.
6. رفع المعنويات: فكان يبث الروح المعنوية العالية للقادة والجنود ويحثهم على الجهاد بكل مايملكون من شجاعة وصبر من اجل رفع الكفاءات القتالية[5]

ان هذه الصفات والمميزات العسكرية توفرت عند اغلب القادة العرب والمسلمين وذلك لتوليتهم مهن صعبة، وقد ظهرت بوضوح في شخصية قائد بلاط الشهداء البطل عبد الرحمن الغافقي حيث كان جندياً عظيماً، ظهرت مواهبه الحربية في جهاده في شمال اسبانيا وظهر حاكماً قديراً بارعاً في شؤون الحكم والادارة ومصلحاً مستنيراً يضطرم رغبة في الاصلاح بل كان بدون شكمن الولاة العظام بالاندلس وتجمع الرواية الاسلامية على تقديره والتنويه برفع

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2/ 143، انظر النويري، نهاية الادب في فنون الادب، ج19/ 190، (فأجتمع للخليفة الناس: ولم يدع رئيساً ولا ذا رأي وشرف ولا خطيباً ولا شاعراً الا استشارهم في الخروج بنفسه لغزو الفرس، ابن خلدون/ العبر، ج2.

(2) البلاذري، فتوح، ج2/ 313.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج2/ 451، وانظر، ابن خلدون، العبر، ج2/ 917.

(4) الطبري/ تاريخ، ج3/ 579.

(5) الخلفات، جمال يوسف واسعد بهاء الدين محمد، العسكرية الاسلامية وقادتها العظام، 188.

خلاله، والاشادة بعدلة وحلمه وتقواه.[1] ان ملحمة بلاط الشهداء كانت ضمن المشروع الجهادي الذي خطط له بعد القادسية وفي عصر الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ) حيث قال (ﷺ) (ان القسطنطينية تفتح من قبل الاندلس وانكم ان فحتم ما انت بسبيله تكونون شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الاجر)[2]

وظهر فكرة المشروع الجهادي العملاق من جديد في عهد الوالي موسى بن نصير اثناء عبوره الى الاندلس وتقدمه بجيشه نحو الشمال ووصل حتى مشارق برشلونة Barcelona شمال اسبانيا كان يقصد اختراق الجبال لينفذ مشروعه في اختراق اوربا عن طريق فرنسا للوصول الى دار الخلافة بطريق القسطنطينية، ولكنه توقف بزحفه بناءاً على امر من الخلافة الاموية بدمشق، وهذا وان فكرة المشروع تجددت بولاية السمح بن مالك الخولاني بقيادة البطل عبد الرحمن الغافقي الذي كان يسعى لتحقيق المشروع الجهادي ونشر الاسلام في اوربا فحاول مرة ثانية اثناء تولي الغافقي الولاية بالاندلس بالعبور الى اوربا عبر جبال البرنس Pirineos في معركة بلاط الشهداء.

بهذا نرى ان الاهداف والدوافع لملحمة القادسية وبلاط الشهداء تمثلت بالجانب الاساسي التالية:

1. من اجل نشر الاسلام.
2. انقاذ المجتمع من الظلم والعبودية والاستغلال.
3. ازالة الخطر من الحدود للاراضي الاسلامية والدفاع عنها من الاعتداءات وهذا ماحدث في بلاط الشهداء حيث اخذت الكنيسة تحشد المرتزقة على الحدود الاسلامية في الاندلس وتشن الاعتداءات المتكررة والفتن بالداخل، ونقدم العون والمساعدات لاعداء الاسلام مستغلة اشتغال الحكومة الاندلسية بصد الفتن بالداخل.
4. ولعل التاريخ الاسلامي كله لم يقدم الينا مدتاً جالاً. كان له من الخطورة والاهمية وبعد الاثر ماكان لموقعه بلاط الشهداء[3]

ان المصادر العربية المشرقية والاندلس لم تزودنا بالتفاصيل لحوادث ملحمة بلاط الشهداء الابنزريسير ربما تغروه للاسباب التالية:

1. قد يكون اشارة للحزن لنتيجة ونهاية الملحمة لانها كانت مؤلمة ومحزنة حيث انتهت بانكسار الجيش الاسلامي واستشهاده القائد البطل الغافقي.
2. من الجائز ان هناك مؤلفات قد صنفت للمعركة ولم تصلنا بسبب الضياع او قد اتلفت عمداً من جانب العدو الصليبي الافرنجي بعد انتهاء المعركة، لربما استشهاد المؤرخون المرافقون لهذه الحملة الجهادية.
3. ان المؤرخين الاندلسيين لم يعيروا لها الاهمية، لذا اكتفوا بالاشارة لها علماً ان المصادر الكنيسية قد اغرقت الباحث بتفاصيل واساطير كثيرة وغريبة اغلبها يتضمن روح الحقد والمبالغة، واغلب نصوصها يرفضها الباحث المنصف لان عليها صبغة الحقد الصليبي المتعصب ضد الاسلام. ومضمون اغلب النصوص المسيحية تمجد جيش الافرنج وتذم جيش الاسلام.

---

(1) انظر: ابن عبد الحكم، فتوح، ص116-127، الضبي، بغية الملتمس، رقم 1021، الحميدي، جذوة المقتبس، ص7، عنان، مواقف حاسمة، ص48.

(2) مؤلف مجهول/ ذكر الاندلس، ج1/ 20.

(3) عنان، مواقف حاسمة، ص52.

لانريد ان نخوض بالتفاصيل عن الملحمتين بقدر مانريد الاستفادة من العبر والدروس للاحداث التاريخية، لذا سنكتفي احياناً بالايجاز والاشارة دون اعطاء الاهتمام بسير الاحداث ومجرياتها، محاولين ايجاد التقارب بين الملحمتين والقيمة التاريخية لهما.

ان اغلبية مكونات الجيش الاسلامي الذي شارك بالجهاد بالملحمتين كان من عرب الشام والحجاز واليمن حسب ماأوردته لنا المصادر التاريخية، ففي القادسية كانت للقبائل اليمنية دور كبير كما ذكرته نصوص المؤرخين التالية:

الواقدي: بلغني ان سعد بن ابي وقاص قدم للعراق في ثلاثين الف فارس من بجيلة والنخع وشبيبان وربيعة واخلاط العرب ومامنهم من قدم العراق الا بأهله وولده...

قال: ولما استوت الصفوف وترتبت كل قبيلة، جعل الامير سعد يتخلل الصفوف ويعظ من فيها من عرب بجيله وطيء وبني هلال والنخع وغيرهم، ويقول هذا يوم لانرى بعده مثله اما بلغكم مافعل اخوانكم بالشام لما تكاثرت عليهم جموع اللئام فاستيقظ المسلمون بقول سعد[1].

اليعقوبي: خمسة الاف من مصر ربيعة وكان بالقادسية، من اصحاب رسول الله (ﷺ) اهل بدر سبعون رجلاً ومن اهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ومن اصحاب رسول الله مائة[2]

الطبري فخرج سعد بن ابي وقاص من المدينة قاصداً العراق في اربعة الآف، ثلاثة ممن قدم عليه من اليمن والسراة، وعلى اهل السروان، وهم بارق والمع وغامد وسائر اخواتهم في سبعمائة من اهل السراة، واهل اليمن الفان وثلاثمائة، وجميعهم يومئذ اربعة الاف، مقاتلتهم وذاريهم ونساؤهم، واتاهم عمر في عسكرهم، فأرادهم جميعاً على العراق، فأبوا الا الشام، وابى الا العراق، فسمح نصفهم فامضاهم نحو العراق، وامضى النصف الاخر نحو الشام... (رواية اخرى) وكان منهم من حضرموت والصدف ستمائة... (رواية اخرى) وكان المثنى في ثمانية الاف من ربيعة ستة الاف من بكر بن وائل، والفان من سائر ربيعة... ومن اهل اليمن الفان ومن بجيله، والفان من قضاعة وطيء...[3]

ابن اعثم الكوفي: (وعبئ سعد بن ابي وقاص اصحابه فكان يومئذ في قريب من اربعين وقد كان عمر بن الخطاب كتب الى ابي عبيدة الجراح (ﷺ) فامدهم بعشرين الفا من اهل الشام فصار سعد في ستين الفاً)[4]

ابن الاثير:... (وامد عمر سعداً بعد خروجه بألفي يماني والفي نجدي... ولم يدع عمر ذا رأي ولا شرف ولا خطيباً ولا شاعراً ولا وجيهاً من وجوه الناس الا سيره الى سعد...)[5]

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج2/ 185، 187.

(2) اليعقوبي، تاريخ، ج2/ 145. وانظر ابن الاثير الكامل، ج2/ 453، النويري، نهاية الادب، ج19/ 190 (فكان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين الفا، منهم تسعة وتسعون بدرياً، وثلثمائة ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان الى مافوق ذلك، وثلثمائة ممن كان شهد الفتح، وسبعمائة من ابناء الصحابة، فعباهم سعد بن ابي وقاص، امر الامراء، وعرف على كل عشرة عريفاً، وجعل اهل السابقة على الرايات) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7/ 37.

(3) الطبري، تاريخ، ج3/ 484، 486.

(4) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج1/ 201.

(5) ابن الاثير، الكامل، ج2/ 452، وانظر: النويري، نهاية الادب، ج19/ 190. ابن كثير، البداية والنهاية، ج7/ 36، ابن خلدون، العبر، ج2/ 917، 918. حيث قال "... ثم امره بعد خروجه بألفي يماني والفي فخري... وكان جكوع المثنى ثلاثة الاف، وكذلك

ابن حجر العسقلاني: (... قدمنا من اليمن فنزلنا المدينة، فخرج علينا عمر فطاف في النخع نحو، وزاد: فأتينا القادسية، فقتل منا كثير، ومن سائر الناس قليل...)(1)

من النصوص التاريخية التي اوردناها اعلاه نلاحظ ان غالبية الجيش الاسلامي في القادسية كانت نجدات جهادية تسابقت لنيل شرف المساهمة في الدفاع عن العراق وتحريره من الفرس المجوس من قبائل اليمن ثم الشام والحجاز والعراق واعداد كبيرة من هذه القبائل كانت قد دخلت الاندلس واستوطنت فيها وساهمت في حملاتها الجهادية حيث نرى بعضها شارك في بلاط الشهداء، واتصفت بالشجاعة والاقدام على القتال والصبر وقد زودنا كتاب جمهرة انسلب العرب/ لابن حزم القرطبي، باسماء تلك القبائل ومن منا يدري ويعلم بان بعض القادة والجنود الذين قاتلوا في القادسية قدنالوا شرف المساهمة بالجهاد في بلاط الشهداء، وقد نزفت دماؤهم في سبيل الله واختلطت مع دماء المقاتلين الاندلسيين، هذا مانجهله بسبب عدم تحدث المصادر الاندلسية كما ذكرنا سابقاً- عن هذه الملحمة التاريخية المهمة في التاريخ الاسلامي.

ان القوات الاسلامية التي ساهمت بالجهاد في القادسية بلاط الشهداء كانت اقل عدداً من قوات العدو الفارسية الافرنجية حسب ما اوردته المصادر العربية- ومع ذلك فقد انتصرت بفضل الله والايمان بالعقيدة الاسلامية وبروح النصر، حيث سادت القوات الاسلامية على نهج الرسول الكريم (ﷺ) والصحابة الكرام (ﷺ) وجاء في القران الكريم: (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين)(2).

وهكذا اصبح جهاد العرب المسلمين باعداد قليلة نسبة لقوات العدو، حدث مألوف وسنة متبعة في التاريخ، وهو موضع فخر واعجاب وتقدير للعربي المسلم، وقد اكد الامام علي (ﷺ) في القادسية بقوله: (إننا لم نقاتل بالكثرة... ولكننا نقاتل بالنصر)(3)

هذا وان العرب لم يعتادوا في الجهاد ارتداء الملابس الفاخرة والتزيين بالحلي الفاخر والثمينة ولا تتناول الاطعمة الثقيلة والمتنوعة، هذا مانلاحظه في القادسية، حيث اثارت هذه الصفات والعادات العربية اعجاب دهشة الفرس المجوس وملوكهم، حيث وصف لنا الطبري مجلس رستم واسرلفه بالمال وببساطة العرب بروايته التالية: (... ووضع لرستم سرير الذهب، والبس زينته من الانماط والوسائد المنسوجة بالذهب، واقبل ربعي يسير على رس له زباء قصيرة، ومعه سيف له مشوف، وغمدة لفافة ثوب خلق، ورمحه معلوب بقيد، معه حجفة من جلود البقر على وجهها اديم احمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونبله... وعليه درع كأنها اضاة ويلمقه عباءة بعيره، وقد جابها وتدرعها، وشدها على وسطه بساب، وقد شد رأسه بمعجزته، وكان اكثر العرب شعره، ومعجزته تسعة بعيرة، ولرأسه اربع ضفائر، وقد قمن قياماً كأنهن قرون الوعلة... فلما دنا من رستم... قال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عباد العباد الى عباد الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام، فارسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه، فمن قبل منا ذلك

اربعة الاف من تميم والرباب، واقاموا، وعمر ضرب على بني اسد ان ينزلوا على حد اراضيهم، فنزلوا في ثلاثة الاف، واقاموا بين سعد والمثنى، وسار سعد الى سيراف فنزلها، واجتمعت اليه العساكر ولحقه الاشعث بن قيس ومعه ثلاثون الفا، ولم يكن اجرأ على الفرس من ربيعة..." .

(1) ابن حجر العسقلاني/ الاصابة/ ج1/ 43.

(2) 16: البقرة 249.

(3) الدرة، تاريخ العرب العسكري، ص38.

قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركنه وارضه يليها دوننا، زمن ابى قاتلناه ابلا، حتى نقضي الى موعود الله، قال: وما موعود الله ؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من ابي... فخلص رستم برؤساء اهل فارس، فقال: ماترون؟ هل انتم كلاماً قط اوضح ولا اعز من كلام هذا الرجل؟ قالو معاذ الله لك ان تميل الى شئ من هذا وتدع دينك لهذا الكلب! اما ترى الى ثيابه! فقال: ويحكم لاتنظروا الى الثياب، ولكن انظروا الى الرأي والكلام والسيرة، ان العرب تستحق باللباس والمأكل ويصفون الاحساب، ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ماترون... [1]

وبذلك يشهد الاعداء قبل الاصدقاء بسيرة العرب وبساطهم وعذوبة كلامهم، ويؤكد حقيقة ان الاسلام يرفض البذخ والترف والاسراف في الملبس والماكل والعمران، حيث جاء في القران الكريم: (اتبنون بكل ريع اية تبعثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم جبارين، فاتقوا الله واطيعون، واتقوا الذي امدكم بما تعلمون، امدكم بانعام وبنين، وجنات وعيون، اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم[2]

(افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هاد فانها به في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم[3] والدعاء الى الله عزوجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية، والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب في الاخرة وباقيها، والتقصير عن طلب الدنيا ونهي النفس عن اتباع الشهوات هو طريق الاسلام الذي سار عليه الرسول الكريم (ص ومن بعده الصحابة الكرام (رض الله عنهم جميعاً)

ان الشجاعة صفة من الصفات التي تحلى بها الجيش العربي الاسلامي، وقد شهد على ذلك الاصدقاء والاعداء، ففي القادسية تأهبت واحضرت جيوش الفرس المجوس من بدء الالتحام والمواجهة العسكرية مع العرب وظلت ماكثة في مواقعها قرابة اربعة اشهر والجيش الاسلامي مرابط يمتلك الصبر والالتزام بالخطة العسكرية التي رسمتها القيادة، حيث كتب الخليفة عمر الى سعد يامره بالصبر[4] وقد استفاد المقاتلون المسلمون من الهدنة في التنظيمات الجادية كالتدريب وحفر الانفاق وصناعة السهام وتلقي المحاضرات القتالية اضافة للواجب الديني كالصلاة وقراءة القران والدعاء الى الله سبحانه وتعالى من اجل اشباع النفس بالايمان والصبر، وقد اخبر القائد سعد بن ابي وقاص خليفته (ﷺ) عن حالة الجيش بالوصف التالي: (رجال المسلمين لايعلمهم الا الله، فانه بهم عالم كانوا يدوون القران اذا جن عليهم

---

(1) الطبري، تاريخ، ج3/ 519– 521. زباء: طويلة الشعر كثيرته. المشوف: الجلو، معلوب: اي حزم مقبض الرمح بعلباء البعير، وهو عنقه، الحجفة: الترس، الاضاة: الغدير، اليلمق: القباء، السلب: ليف المقل، المعجزة: نوع من لعمامة تلف الرأس.

وانظر ابن الاثير، الكامل، ج2/ 463– 464، النويري، نهاية الارب، ج19/ 196– 197.

(... ثم بعث اليه سعد رسولاً اخر بطلبه هو ربيعي بن عامر، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحرير، واضهر اليواقيت واللالي الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الامتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربيعي بثياب خفيفة وسيف وترس وفرس قصيرة ...).

(2) الشعراء: 128– 134.

(3) التوبة: 109.

(4) ابن الاثير، الكامل، ج2/ 461.

الليل كدوي النحل وهم اساد في النهار لاتسبيهم الاسود، ولم يفضل من مضى منهم من تبقى الا بفضل الشهادة اذا لم نكتب لهم [1]) وظهر بالقادسية نخبة من الابطال ومنهم ربعي بن عامر حيث كان يقول لجنوده: (ان الله قد هداكم للاسلام، وجمعكم به واراكم الزيادة، وفي الصبر الراحة، فعودوا انفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعودوها الجزع فتعتادوه[2])

اما البطل عاصم بن عمروا فكان من الفرسان الشجعان حيث خطب في سريته بالمجردة يرغب ويحث على الجهاد، حيث قال (ان هذه بلاد قد احل الله لكم اهلها، وانتم تنالون منهم ثلاث سنين مالاينالون منكم، وانتم الاعلون والله معكم ان صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن، فلكم اموالهم ونساؤهم وابناؤكم وبلادهم وان اخترتم وفشلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ، لم يبق هذا الجمع منكم باقية، مخافة ان تعودوا عليهم بعائدة هلاك... [3])

لقد فشل ظن رستم قائد الفرس وخاب اعتقاده وخسرت خطته العسكرية من اطاله الوقت مع العرب دون الالتحام والمواجهة حيث كانت فكرته توليد الضجر في نفوس العرب (ان يضجروا بمكانهم فينصرفوا)[4]

واخيراً: استسلم رستم للواقع واعترف بفشله وبقوة العرب وتفوقهم العسكري وقد شبههم بقوله: (صفة ذئاب صادفت غرة من دعاء فأفسدت)[5] اما القوات الاسلامية في بلاط الشهداء ودورهم البطولي في قتال الافرنج، فقد اطلقت عليها الاوصاف التي تمجد شجاعتها وصبرها، وقد تحدث لنا المستشرق رينو وغيره من المنصفين بقوله: انه بلغت حماسة المسلمين في تلك الغزوة ان بعض المؤرخين شبههم بريح صرصر تقتلع كل ماجاء امامها، او بسيف ماض يقطع كل مايصادفه[6] اما قاله (ملك الفرنج) فقال عن العرب: (كنا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى اتو من مغربها، واستولوا على بلاد الاندلس وتحطم مافيها من العدة والعدد، بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لادروع لهم. فقال لهم مامعناه: الرأي عندي ان لاتعترضوهم في خرجتهم هذه، فأنهم كالسيل يحمل من يصادره، وهم في اقبال امرهم، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد، وقلوب تغني عن حصانة الدروع، ولكم امهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة، ويستعن بعضهم ببعض، فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر امر[7])

للنص المذكور قيمة تاريخية ودروس وعبر تؤكد للباحث شجاعة العرب وقلة عددهم وصبرهم وخطتهم بالفتوحات، علماً بان الجيش الاندلسي بذل الجهود الكبيرة في المعركة للوصول الى جنوب باريس بمسافة قصيرة[8] في

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7/ 46.

(2) الطبري، تاريخ ج3/ 535.

(3) المصدر السابق، ج3/ 532.

(4) المكصدر السابق، ج2/ 61، وانظر: ابو الفضل ابراهيم، والبجاوي، ايام العرب في الاسلام، ص 258.

(5) المصدر السابق، ج3/ 503 وانظر: الدرة، تاريخ العرب العسكري، ص363، الثعالبي، تاريخ غرر السير، ص738، (كمثل ذئاب صادفت غرة من الرعاة فعاثت في الغنم).

(6) انظر شوقي ابو خليل، بلاط الشهداء، ص33.

(7) المقّري (نقلاً عن الحجازي في المسهب) نفح الطيب، ج1/ 129.

(8) عن مكان المعركة، انظر، الحجي، التاريخ الاندلسي، ص194- 195. وقد استشهد الغافقي بمنطقة تبعد 200 كم عن جنوب باريس، موقع بين تور Tours وبواتيه Poitiers.

ظل ظروف نائيه وقاحلة وقاسية المناخ والطبيعة الجبلية وغير معروفة ومعتادة للاندلسيين، امام جيش افرنجي همجي صليبي هائل العذد والعدة مكون من قوميات وديانات واخلاقيات متعددة تصله المساعدات تلو الاخرى من الكنيسة المسيحية، وله معرفة تامة بالمنطقة ومعتاد على الاجواء الباردة والطبيعية الجبلية، لهذا نقول كان لبلاط الشهداء من الخطورة والاهمية وبعد الاثر التاريخي، وكان لقائدها عبد الرحمن الغافقي الدور البطولي الذي تميز بهيبته وقوة ايمانه، وشخصيته الملتزمة بالاسلام، وهو اعظم جندي مسلم عبر جبال البرنية او البرتات Pirineos[1]

لقد ارعبت القوات الاسلامية بقيادة الغافقي الجيش الافرنجي الصليبي بقيادة شارل مارتل Charles Martel او شارل المطرقة- على حد تغيير الرواية الاسلامية مع المسلمين لايام عديدة الى ان حدث اللقاء الحاسم وابدى الطرفان منتهى الشجاعة والصبر حتى بدأ الاعياء واضح على الافرنج ولاح النصر للمسلمين، حيث لم يستطيع شارل مارتل ان يطرد العرب من المدن والمواقع التي فتحوها عسكرياً مما اضطر الى التقهقر امامهم تاركاً لهم مااستحوذوا عليه من المدن.[2] ولكن حدث بعد ذلك تغيير غير متوقع بعد ان افتتح الفرنج ثغرة في المعسكر للغنائم الاسلامية فارتفعت صيحة مجهولة في الجيش الاسلامي تبين بان معسكر الغنائم يكاد يقع بيد العدو فارتدت قوة كبيرة العدد من الفرسان من قلب المعركة الى وراء الصفوف لحماية الغنائم والدفاع عنها من الاعداء مما ادى الى حدوث خلل عسكري في صفوف المقاتلين والخطة القتالية المرسومة- حسب ماذكرته الروايات الاندلسية[3]

ان القوات الاسلامية الاندلسية قد ادت واجباتها بالكامل والتزمت بالخطة العسكرية التي رسمتها القيادة- بداية المعركة- وبذلت كل الجهود الممكنة من اجل تحقيق النصر حيث حازت على انتصارات باهرة على العدو اول الامر ولكن الذي حدث كان غير متوقع وتجري الرياح بما لاتشتهي السفن، حيث نرى العكس في القادسية فقد حققت قوات العدو الفارسي بعض المكاسب اول المعركة ولكن بعد قليل تغيرت كفة الميزان لصالح القوات العربية الاسلامية.[4]

اما الهجوم الفارسي المجوسي الاول المباغت للجيش الاسلامي فقد حقق بعض المكاسب حسب مايرويه لنا الواقدي بقوله "قال القعقاع: ايها الامير قد تقدمت الاعداء والفيلة امامهم ولا مقام لخيل العرب عند رؤيتها وصياحها. فقال سعد: اخلصوا النيات وارضوا خالق الارض والسموات، وارشقوا الفيلة بالنبل، واقطعوا مشارفها

---

(1) عنان، مواقف حاسمة، ص55، انظر: عنان، دولة الاسلام، ج1/ 96- 97، الجندي، الاسلام والعرب ص19، يذكر: ولم تكن معركة بلاط الشهداء التي انتصر فيها كارل مارتل في تقدير المؤرخين والباحثين من بعد الابمثابة تعويق للخطوة الحاسمة التي خطاها الاسلام لتحضير اوربا.

(2) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص316.

(3) المغري، نفح الطيب، ج1/ 235، وانظر: ابن خلدون، العبر، ج4/ 119 (حيث نسب خطأ الموقعة الى القائد محمد بن الحبحاب بدلا من عبد الرحمن الغافقي). عنان، مواقف حاسمة، ص59، عنان، دولة الاسلام، ج1/ 100- 101، مؤنس، جر الاسلام، ص274.

(4) انظر: مؤنس، فجر الاسلام، ص274، حيث يقول: واجتهد الفرنجة ومن معهم من الالمان والسويق والسكون في اختراق خطوط العرب يومين متتالين دون نتيجة، وقد بذلوا اقصى مااستطاعوا من جهد، وهجم مشاتهم وفرسانهم على المسلمين هجوماً عنيفاً بالحراب، ولكن ثبتوا ثباتاً فريداً، وان المسلمين اخذوا يتفوقون على اعدائهم، مترجمة عن الروايات المسيحية.

بالسيوف. قال وكان امام الفيلة فيل عظيم كأنه جبل وكان اذا سار سارت واذا وقف وقفت، واينما توجه كانت وراءه. قال فلما حملت الكتائب واضطربت المواكب وجاءت الفيلة كأنها جبال وعلى ظهرها الابطال، وقد اقبلت بالسيوف في خراطيمها فقتلت من عسكر المسلمين ولم تثبت لها خيل المسلمين. فرفع سعد بن ابي وقاص كفيهمبتهلاً بالدعاء لرب الارض والسماء، وقال: ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين[1]

كانت استعدادات الجيش الاسلامي في القادسية عالية حيث بذلت كل الامكانات المتاحة من مادية وبشرية بقيادة سعد الذي (امر الناس بالتهيؤ والاستعداد فبات الفريقان يكتبون الكتائب، ويعبئون الجنود، واصبحوا وقد صفو الصفوف ووقفوا تحت الرايات)،... فولى آمر الناس خالد بن عرفطة، وولي القلب قيس بن هبيرة وولي الميمنة شرحبيل بن السمط، وولي الميسرة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص، وولي الرجال قيس بن خزيم، واقام هو في قصر القادسية[2].

هذا وان التكبيرة كانت شعاراً وايذاناً للشروع بالقتال، وقراءة سورة الانفال كانت فاتحة للمعركة وحثاً لنفوس المقاتلين، وكان القائد سعد والقعقاع يقولون " وإذا كبرت ثلاثاً فاحملوا، فكبر واحدة فلحقتهم اسد فقيل: قد حملت اسد، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم، واسداه سائر الليلة! ثم قيل: جملت النخع، فقال: اللهم اغفرها لهم وانصرهم، وانخاه سائر الليلة! ثم قيل: حملت بجيلة، فقال: اللهم اغفرها، وانصرهم، وابجيلتاه! ثم حملت الكنود، فقيل: حملت كندة، فقال: واكندتاه، ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبيرة، فقامت حربهم على ساق حتى الصباح، فذلك ليلة الهرير[3].

وبذلك نرى ان لكل قبيلة عربية كانت لها صولة ودور متميز في القتال، وكانت ملتزمة بالخطة العسكرية ومنظمة تنظيماً اسلامياً يشهدها التاريخ، على عكس ماحدث للفرس المجوس وللافرنج في بلاط الشهداء، حيث يروي لنا التاريخ ان شارل مارتل حشد جيشاً ضخماً من الافرنج ومختلف العشائر الجرمانية المتوحشة، والعصابات المرتزقة فيما وراء الدين، يمتزج منه المقاتلة من امم الشمال كلها، وجلب جنداً غير نظاميين، نصف عراة يتحشون بجلود الذئاب، وتسندل شعورهم الجعدة، فوق اكتافهم العارية[4].

كان لليل اهمية كبيرة في القادسية، حيث وضعت فيه خطة الهجوم في ليلة الهرير حيث كان المقاتلون يهرون هريراً بالقتال الليلي، لذلك سميت هذه الليلة بالهرير، وبها استقبل المسلمون الليل استقبالاً كبيراً بعد ان صلوا العشاء، حيث كان صليل الحديد فيها كصوت القون، واستمر القتال حتى الصباح، ومنح الله المسلمين الصبر، وبات سعد بليلة لم يبت ويرى مثلها[5]. للعدو خاصة اذا قام بها الجيش بجميع قوته كهجوم عام، وهو اول هجوم اسلامي في القادسية يقرر مصير المعركة[6].

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج2/ 189، وانظر: الدينوري، الاخبار الطوال، ص123، اليعقوبي، تاريخ، ج2/ 144.

(2) الدينوري، الاخبار الطوال، ص121: وانظر، الطبري، تاريخ، ج3/ 489.

(3) الطبري، تاريخ، ج3/ 561. وانظر: ابن الاثير، تاريخ، ج2/ 480، النويري، نهاية الارب، ج19/ 212 (... فحين رأهم فكبر وكبر المسلمون وتقدموا وتكتب الكتائب، واختلف الطعن والضرب...) النص عن يوم عماس، وهو اليوم الثالث قبل ليلة الهرير

(4) عنان، دولة الاسلام، ج1/ 99. وانظر: عنان، مواقف حاسمة، ص58، الحجمي، التاريخ الاندلسي، ص212.

(5) ابن الاثير، تاريخ، ج2/ 480. وانظر: ابن خلدون، العبر، ج2/ 929.

(6) رامز، تحرير العراق، ص319، الدرة، تاريخ العرب العسكري، ص376.

اما الليل في بلاط الشهداء فكان الطريق والوسيلة لانقاذهم من الخطر الصليبي من كل جانب بخطة وحيلة عسكرية عندما اخترق الافرنج صفوف المسلمين من اجل الوصول الى الخلف حيث كان الجيش الاسلامي قد اودع غنائمه، حدثاً غريباً كما بينا سابقاً فريح الجند الاسلامي المحارب وخشى الكثيرون من افراده من بطش الصليبيين، وصبر المسلمون حتى اقبل الليل فانتهزوا فرصة الظلام وتسللوا الى الجنوب على عجل (اوائل رمضان 114ه/ 20 تشرين الاول 732م) وحينما اسفر الصبح نهض الفرنجة لمواصلة القتال فلم يجدوا من المسلمين احداً، وتقدموا على حذر مخيمات المسلمين، فأذا هي خالية منهم وقد فاضت بالغنائم والاسلاب والخيرات، فظنوا في الامر خدعة من المسلمين وتريثوا قبل ان يقتحموا مخيمات معسكر المسلمين خوفاً من قوة العرب وبطشهم[1] وهكذا كانت مأساة بلاط الشهداء في تاريخ الاندلس عبرة ودروس لمستقبل المعارك وانتصاراتها بالتاريخ.

كان للنساء والصبيان دور مشرف في القادسية، حيث رافقت مجموعة منهم للمساهمة في القتال وضع السلاح كالسهام والرماح، وتهيئة الطعام، وحفر القبور، وصناعة التوابيت، ومعالجة الجرحى ومداواتهم، ونقل القتلى والمصابين الجرحى من ساحة المعركة، وحث الرجال على القتال ومواساتهم، ونظم الشعر الحماسي، وغير ذلك فذكر الطبري: (واقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم الى المقابر، ويبلغون الرثيث الى النساء، وحاجب بن زيد على الشهداء، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين، يوم اغواث، ويوم ارماث[2])

هذا وان عدداً من النساء شاركن فعلاً في القتال في القادسية، وهي حالة نادرة في تاريخ المعارك، حيث يروي ان ام كثير زوجة همام بن الحارث النخعي، وانها قالت: شهدنا القادسية مع سعد مع ازواجنا، فلما اتانا ان قد فزع الناس شددنا علينا ثيابنا واخذنا الهراوي ثم اتينا القتلى فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه وما كان من المشركين اجهزنا عليه، لو تبعنا الصبيان توليهم ذلك، ونصرفهم به[3].

وللنساء مكانة كبيرة في حث الابناء بالمشاركة في الجهاد من اجل الدفاع عن الدين وحماية الارض من الاعداء، حيث اورد لنا الطبري حادثة فيها عبرة ودرس تاريخي لدور الام بالقادسية فقال: كانت امرأة من النخع لها بنون اربعة شهدوا القادسية، فقال لبنيها: انكم اسلمتم فلم تبدلوا، وهاجرتم فلم تثوبوا، ولم تنب بكم البلاد، ولم تقحمكم السنة، ثم جئتم بامكم عجوزاً كبيرة فوضعتموها بين يدي اهل فارس، والله انكم لبنوا رجل واحد، كما انكم بنو امرأة واحدة، ماخنت اباكم، ولا فضحت خالكم، انطلقوا فأشهدوا، اول القتال واخره، فأقبلوا يشتدون، فلما غابوا عنها رفعت يديها الى السماء، وهي تقول: اللهم ادفع عن بني! فرجعوا اليها، وقد احنوا للقتال، ماكلم منهم رحل كلما[4].

وكان للخنساء الشاعرة العربية حضور بارز مع ابنائها الاربعة شاركوا في القادسية وكانت امهم تعظهم وتحرضهم على القتال وعدم الفرار وتقول لهم: انكم اسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وانكم لبنوا اب واحد وام واحدة، ماهجنت اباءكم، ولافضحت اخوالكم، فلما اصبحوا باشروا بالقتال واحداً بعد واحد حتى استشهدوا، وكل

---

(1) مؤنس، فجر الاندلس، ص274- 275.

(2) الطبري، تاريخ، ج3/ 550. وانظر: ابن الاثير، تاريخ، ج2/ 473، 477، فذكر (وكان النساء والصبيان يحفرون القبور ويداوون الجرحى). المسعودي، مروج، الذهب، ج2/ 317.

(3) الطبري، تاريخ، ج3/ 581، وذكر برواية اخرى (وكان مع الناس نساؤهم، وكانت النخع سبعمائة امرأة فارعة...) وانظر: رامز، تحرير العراق، ص322.

(4) الطبري، تاريخ، ج3/ 544.

منهم اشد قبل ان يستشهد زجراً. وعندما وصل خبرهم الى امهم الخنساء قالت: الحمدلله الذي شرفني بقتلهم، وارجو ربي يجمعني في مستقر رحمته[1].

اما سلمى بنت حفص من يتم اللات بن ثعلبة كانت زوج المثنى الشيباني، وبعد وفاة زوجها اصبحت زوجة للقائد سعد بن ابي وقاص، فكان دور بارز في الجهاد في القادسية وذلك عندما رأت قتال الفرس فصرخت وقالت: وامثنياه! ولا مثنى للخيل اليوم! وذلك لان زوجها كان مصاباً بمرض اقعده عن المشاركة بالقتال. حيث استجاب لنداء سلمى القائد ابو محجن الثقفي فقال: اعطياني اليوم هذا الفرس البلقاء واعطياني سلاح سعد حتى اخرج فأقاتل وارجع اليكما ان شاء الله عزوجل ان لم يحدث عي حدث، فدفع اليه سعد البلقاء فأسجها والجمها ودفعتا اليه درعاً ومغفراً وسيفاً ورمحاً، فتقلدهما واستوى على الفرس وسار حتى اختلط بالمسلمين متلثماً لايعرف، فلم يزل يقاتل بالسيف مرة ويطعن بالرمح مرة وتارة يحمل على القوم فيقاتل قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله، والمسلمون لايعلمون من هو، غير انهم عجبوا من قتاله، وسعد ينظر اليه من قصره، وهو معجب بشجاعته.[2]

وبهذا نرى ان للنساء المسلمات دوراً مشرفاً في حرب القادسية، ومن الجائز ان نقول بان غياب النساء في بلاط الشهداء كان له اثار سلبية على نتائج المعركة، بالاضافة الى الاسباب الاخرى التي ذكرناها سابقاً.

وهكذا يتبين لنا ان للمعارك دروس وعبر للاجيال من اجل تقوية الارادة والعزيمة والثبات على الاعداء، فذكريات بدر واحد والقادسية وبلاط الشهداء عزيزة على التاريخ العربي الاسلامي وان امجادها وبطولاتها تتكرر عبر التاريخ، فنرى في القادسية حادثة رجل يصرخ المقاتلين وينادي من اجل شد عزم الرجال وحثهم على القتال بقوله: ايها الناس! انه من يسره ان يشهد يوماً ما مثل يوم بدر واحد فهذا شبه ذلك اليوم.[3] ولو تصفحنا حوادث التاريخ سوف نرى وجهاً من التقارب بين ماحدث في معركة احد وماحدث في بلاط الشهداء من حيث الخطة والهدف والتنظيم والطبيعة الجغرافية لارض المعركة وقلة اعداد المقاتلين المسلمين بالنسبة لقوات العدو، وكذلك من حيث التفوق والانتصار على جيش العدو، ولكن الذي حدث هو خدعة الاعداء بالتحرش والتعرض على معسكر الغنائم واتباع الحيلة مما كان احد اسباب ارباك واشغال المسلمين بالدفاع ومطاردة الاعداء عن المعسكر، فدب الخلل الى صفوف المسلمين، وحاول القائد الغافقي ان يعيد النظام وان يهد روع الجند، وبينما يتنقل امام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها اذا اصابه من جانب الاعداء سهم اودى بحياته، فسقط قتيلا من فوق جواده، وعم الذعر والاضطراب في الجيش الاندلسي، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وقد صمدوا حتى تخلصوا ونجى منهم عدد واستشهد عدد اخر.[4] هذه

---

(1) ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ج7/ 615– 616. وانظر: النويري، نهاية الارب، ج19/ 315–317، عبد القادر البغدادي، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية، ج1/ 210.

(2) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج1/ 208، وانظر: المسعودي، مروج الذهب، ج2/ 315– 316، ابي فرج الاصفهاني، الاغاني، ج18/ 293– 294، ابن الاثير، التاريخ، ج2/ 475– 376، النويري، نهاية الادب، ج19/ 207– 211، ابن كثير، البداية والنهاية، ج7/ 44، ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ج7/ 161، عبد القادر البغدادي، خزانة الادب، ج3/ 553. كان ابو محجن الثقفي مسجوناً من القائد سعد بن ابي وقاص وقد اطلق سراحه بعد تلبية نداء سلمى وخرج محارباً يقاتل.

(3) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج1/ 211.

(4) عنان، مواقف حاسمة، ص59– 60، عنان، دولة الاسلام، ج1/ 100– 101، الحجمي، التاريخ الاندلسي، ص197– 198.

الاحداث التاريخية تذكرنا ماجرى للرسول الكريم (ﷺ) في معركة احد والنتيجة المخزونة لها، حيث جرح في وجنته وكسرت رباعيه وشبح في رأسه ووقع في احدى الحفر التي حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون وهم لايعلمون، واستشهد عدد كبير من الصحابة والمقاتلين بالمعركة. وهكذا كانت النهاية لمعركة احد وبلاط الشهداء ولكنها لم تكن نهاية للمعارك الاسلامية وانتصاراتها، وقد اعطت درس مهماً وعبرة خالدة بالتقييد والالتزام والحذر واليقظة، من الاعداء فالرسول الكريم (ﷺ) اكد بقوله المأثور (الحرب الخدعة). ونحن اذ نقف امام خسارة المسلمين في بلاط الشهداء، علينا ان لاننسى الظروف التي احاطت بالمعركة من المناخ البارد والقاسي، ووعورة المنطقة حيث الجبال الشامخة، وقلة وصول المؤونة من طعام وشراب[1]. بالاضافة الى عدم وصول الذخيرة العسكرية لبعد المسافة عن الثغور الاسلامية الاندلسية علماً بان العدو كان كبير العدد والعدة متطبع على الاجواء الباردة وله معرفة تامة بالمنطقة وتصله الامدادات تلو الاخرى.

لقد ذهبت ضحايا كبيرة من المسلمين في ملحمة بلاط الشهداء جراء القتال والمناخ القاسي والطبيعة الصعبة، وكان من الممكن انقاذ الجرحى والمصابين لو كانت هناك نجدات اوقامت قوات العدو الصليبي بمعالجتهم، يسمع في بلاط الشهداء[2]. اشعاراً بضحايا بلاط الشهداء، تغمدهم الله برحمته الواسعة، وقد اكد القران الكريم على ذلك بقوله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياءاً عند ربهم يرزقون)[3].

---

(1) في القادسية كانت تصل المؤونة من طعام وشراب باستمرار للجيش الاسلامي، فلدينا نص يؤكد ذلك عن ابن الاثير، الكامل، ج2/ 454، يقول: " ونزل سعد بالقادسية واقام بها شهراً لم يأته من الفرس احد، فأرسل سعد عاصم بن عمرو الى ميسان وطلب غنماً او بقراً... فدخل فأستاق البقر فأتى بها العسكر قسمه سعد على الناس فاخصبوا اياماً"

(2) نقلاً من القري، نفح الطيب، ج3/ 15.

(3) ال عمران: 169.

الاستنتاجات:

ملحمة القادسية كانت ولاتزال موضع فخر واعتزاز وعبرة ودرس في التاريخ العربي الاسلامي، حيث انقذت وطهرت ارض العراق من الفرس المجوس اعداء الدين والعروبة، فذكريات القادسية خالدة واحداثها مجيدة فيها البطولة والشجاعة والتضحية والفداء والالتزام بالمبادئ العسكرية، وقد انهت نتائجها مرحلة العبودية والاستغلال والتفرقة ونشرت الامن والاستقرار والحرية والمساواة، وحماية الدين الاسلامي من البدع والخرافات وارست قواعد الاسلام وعملت على نشره الى الشرق والغرب، اغنت المجتمع اقتصادياً جراء مااصاب المسلمون من غنائم وكنوز، وتحقق ماقاله الرسول الكريم (ﷺ): " ستفتح على امتي كنوز كسرى وقيصر ".(1) حيث تم بعد ذلك توزيع العطاء على المقاتلين حسب اسس عادلة من قبل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). فكانت القادسية نور على التاريخ ونار على الاعداء من الفرس المجوس واعداء العروبة والاسلام(2).

وان ملحمة بلاط الشهداء كانت جسراً وامتداداً للقادسية لولا النهاية المحزنة التي استغلها المؤرخون الاوربيون واحاطوها بمزيد من الاهتمام، ونحن نرى العكس من ذلك لانها اعطت للتاريخ عبرة ودرس مهماً، واليك بعض مؤرخي الغرب المسيحي عن بلاط الشهداء:

قال جيبون Gibbon: انه لو انتصر المسلمون في هذه المعركة لرأينا القران الكريم يتلى ويدرس في جامعات الغرب(3).

المستشرق ارنولدا اعتبر الموقعة: احدى المواقف الرهيبة لنجاة الانسانية وضمان سعادتها مدى قرون(4).

اما رانكة: فقد عبر عن احداث بلاط الشهداء بقوله: ان فاتحة القرن الثامن من اهم عصور التاريخ، ففيها كان دين محمد ينذر بامتلاك ايطالياً وغاليا(5).

في حين ان هناك فريق من المؤرخين المنصفين اعتبر خسارة المسلمين في بلاط الشهداء كانت خسارة للعالم الاوربي وكان مقتل الغافقي افدح مافيها، حيث كان اعظم قائد عرفه الاسلام في الاندلس، فكان لاستشهاده في هذا الظرف القاسي والعصيب ضربة كبيرة وشديدة لمثل الاسلام ومشاريع الخلافة الاموية في افتتاح الغرب على حد تغيير

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، ج2/ 186.

(2) انظر رامز، تحرير العراق، ص330، لا ويرى ان القادسية اضخم معركة حاسمة بصدر الاسلام ولا يقابلها في التاريخ الاسلامي العربي الحربي الا معركة حطين بقيادة القائد الفذ الشهم صلاح الدين الايوبي ضد ملوك اوربا كلها، وقد انعش نصر القادسية القلوب والنفوس وكما قيل لايخشون بعدها اي حرب فقد اصبحت لهم الثقة المطلقة بنصر الله تعالى.

(3) The decline and fall of the roman empireror3/ 223 نقلاً من: الحجمي/ التاريخ الاندلسي، ص109، وانظر: عنان، مواقف حاسمة، ص69 عنان، دولة الاسلام، ج1/ 109.

(4) Arndd. History of the later roman Commonweath نقلاً عن عنان، مواقف حاسمة، ص69، وانظر عنان، دولة الاسلام، ج1/ 110.

(5) History of the reformation نقلاً عن عنان، مواقف حاسمة، ص69، وانظر عنان، دولة الاسلام، ج1/ 110.

علماء الغرب المتصفين.[1]. ونحن نسأل التاريخ ما الذي ستفقده اوربا في العصور الوسطى، لو انتصر الاسلام وانتشر فيها؟

الجواب: حتماً ستفقد الحالة التي يعيشها المجتمع الاوربي من الظلمات والجهالة والاستغلال والاستبداد والاضطهاد السائد في المجتمع وكذب وخداع الكنيسة ورجالها.

ان حالة المجتمع الاوربي ابان العصور الوسطى كانت فردية وتعيسة وبعيدة عن كل قيم الحضارة الانسانية التي كان ينعم بها الشرق الاسلامي وقد وصف لنا الجغرافي والمؤرخ الاندلسي ابو عبيد البكري القرطبي (ت487هـ/ 1094م) اوضاع الاوربيين ابان القرن الرابع الهجري وبعده بقوله:

(لايتنظفون ولايغتسلون في العام الا مرة او مرتين بالماء البارد، ولا يغتسلون ثيابهم منذ يلبسونها الى ان تتقطع عليهم، ويزعمون ان الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به اجسامهم وتصح ابدانهم، وثيابهم اضيق الثياب، وهي مفرجة يبدو من تفاريجها اكثر ابدانهم...)[2].

هذا الوصف كان بعد معركة بلاط الشهداء باكثر من ثلاثة قرون، فكيف اذن كانت حالة اوربا والمجتمع انذاك؟ فمن الطبيعي كانت اسوء تأخراً وظلاماً على عكس ماكان ينعم به المجتمع الاسلامي من النظافة والاناقة والتطور الحضاري في جوانب الحياة، حيث كانت حاضرة قرطبة تعم بالانارة منذ وقت بعيد، كما اخبرنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي (ت بعد 631ه/ 1233م بروايته " وسمعت ببلاد الاندلس من غير واحد من مشايخها، ان الماشي كان يستضيء بسروج قرطبة ثلاث فراسخ لاينقطع عنه الضوء"[3] بالاضافة الى وجود شبكة الماء الصافي في مدينة الزهراء في خلافة عبد الرحمن الناصر (300- 350ه/ 912- 961م وغيرها من وسائل المدنية الاسلامية.

لو قدر النصر لبلاط الشهداء لدخل النور الساطع على اوربا وانجلى الظلام الدامس الذي صنعته الكنيسة ورهبانها ابان العصور الوسطى، ولتم انقاذ المجتمع الاوربي من الضياع ولصار ينعم الاسلام مثلما كانت عليه الاندلس.

واخيراً فأن ذاكرة التاريخ ان لاتنسى الملاحم البطولية وقادتها ومقاتليها، اولئك الذين بذلوا كل غالي ونفيس، واضهر كل ضروب الفداء والتضحية والصدق والاخلاص والبسالة والشجاعة، نذكرهم بكل فخر واعتزاز لانهم صنعوا المعجزات والانتصارات والبطولات، ونجعلهم في مركز الصدارة في عملنا وجهدنا في سبيل الدين والوطن.

---

(1) انظر موسوعة Bayle تحت اسم Abderame, نقلاً عن: عنان، مواقف حاسمة، ص68، وانظر عنان، دولة الاسلام، ج1/ 109، الجندي، الاسلام والعرب، ص9.

(2) البكري، المسالك والممالك (جغرافية الاندلس واوربا) ص81.

(3) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص520.

المصادر الاولية والمراجع الحديثة التي اعتمد عليها الدراسة

(قرن من الزمان بين القادسية وبلاط الشهداء)

إعداد: د. محمد بشير حسن راضي العامري.

- القران الكريم.
- ابن الاثير، عز الدين علي بن محمد (ت630ه/ 1223م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت- 1965م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808ه/ 1406م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت- 1966.
- ابن اعثم الكوفي، احمد بن اعثم (ت نحو314ه/ 926م) الفتوح، تحقيق، د. محمد عبد المعيد خان، حيدر اباد- الدكن- 1968.
- ابن حجر العسقلاني، (ت852ه/ 1373م) البداية والنهاية، ط2، مكتبة المعارف، بيروت- 1394ه/ 1974م.
- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر، تحقيق نوري، نيوهافن 1922.
- ابي الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين (ت356ه/ 967م) كتاب الاغاني، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار الثقافة، بيروت 1958م.
- البكري، ابوعبيد (ت487ه/ 1094م) كتاب المسالك والممالك (جغرافية الاندلس واوربا) تحقيق: د. عبدالرحمن علي الحجمي، دار الارشاد، بيروت- 1387ه/ 1968م.
- البغدادي، عبد القادر (ت 1092ه/ 1682م) خزانة الادب ولب لباب لسان العربعلى شواهد شرح الكافية، ط1، المطبعة الميرية، بولاق 1279ه.
- الحميدي، ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي (ت488ه/ 1095) جذوة المقتبس/ القاهرة 1966.
- الدينوري، ابي حنيفة احمد بن داود (ت282ه/ 895م)، الاخبار الطوال، تحقيق عبد النعم عامر، مراجعة د. جمال الدين الشيال، ط1، القاهرة، دار احياء الكتب العربية- 1960.
- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي (647ه/ 1249م) المعجب في تلخيص اخبار الاندلس والمغرب، تقديم د.ممدوح خفي، دار الكتاب، الدار البيضاء د.ت.
- المقري، شهاب الدين احمد بن المقري التلمساني (ت1041ه/ 1631م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت 1388ه/ 1968م.
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346ه/ 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر وضع الفهارس، يوسف اسعد داغر، ط2، بيروت، دار الاندلس، 1393ه/ 1973.
- مؤلف مجهول ذكر بلاد الاندلس، تحقيق وترجمة للاسبانية، لويس موليتا، مدريد 1983.
- النويري، احمد عبد الوهاب (ت723ه/ 1333م) نهاية الادب في فنون الادب، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة 1975.
- الواقدي، محمد بن عمر (ت 207ه/ 823م) فتوح الشام، دار الجيل، بيروت د. ت.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت310ه/ 923م)، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار المعارف، القاهرة (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم) 1969

- الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت 599ه/ 1163م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، القاهرة- 1967.
- اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب (ت بعد 292ه/ 905م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت- 1960. الثعالبي، ابي منصور (ت429ه/ 1038م) تاريخ غرر السير، ه ز وتنبرج، باريس 1900.

المصادر الحديثة :

- ابراهيم، محمد ابو الفضل، والبجاوي، علي محمد، ايام العرب في الاسلام، المكتبة العصرية، بيروت ط4، 1394ه/ 1974م.
- الجندي، انور، الاسلام والغرب، منشورات المكتبة العصرية، ط1، بيروت 1402ه/ 1982م.
- الحجمي، عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي، دار الاعتصام، ط1، القاهرة 1403ه/ 1983م.
- الخلفات، جمال يوسف، اسعد، بهاء الدين محمد، العسكرية الاسلامية وقادتها العظام، مكتبة المنار، الاردن- الزرقاء، ط2، 1403ه/ 1983م.
- مؤنس، حسين، فجر الاندلس، الشركة العربية للطباعة، ط1، القاهرة، 1959.
- رامز، شاكر محمود، تحرير العراق، ط1 (المطابع العسكرية) بغداد 1404ه/ 1984م.
- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، تعريب: عادل زعيتر، القاهرة 1956
- عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1389ه/ 1969م.
- عنان، محمد عبد الله، مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1382ه/ 1962م.
- شوقي ابو خليل، بلاط الشهداء (بوايتيه) بقيادة عبد الرحمن الغافقي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1399ه/ 1979م.
- الدرة، محمود، تاريخ العرب العسكري، دار الكتاب العربي، ط1، 1964.

دراسات

في جوانب ابحاث حضارية اندلسية

في العلوم والفنون

التعريف بمخطوط أندلسي غير محقق (جامع الأدوية في الطب والعلاج)(*) لأبي الفضل محمد بن القاسم العجلاني

يقدم البحث تعريف بالمخطوط الطبي في العلاج بالاعشاب وتركيب الادوية الطبية من الحشائش والنباتات المعروفة في ارض المغرب والاندلس وعناصر مركباتها وكيفية استعمالاتها وفوائدها في علاج الامراض، المخطوط يعود الى المكتبة الوطنية في باريس وعدد اوراقه عشرة ويضم عشرة ابواب وينقصه الباب (7، 8) ويبدو ان المؤلف قد اطلع على كثير من المؤلفات في مجال صناعة الادوية، وكان العجلاني على درجة من المعرفة والخبرة وتتلمذ على مشاهير الاطباء واستفاد من مؤلفاته من امثال الغافقي القرطبي وابن البيطار وابن العوام الاشبيلي وابن وافد وابن وحشية ومؤلفاتهم في الفلاحة اوردنا ملحق باسماء كتب الاعشاب الطبية وتفسير المصطلحات الواردة في الفصول وهي:

المعونات، الاشربة، الجوارشات، الدبيبات، الادهان، الشفوفات، المراهيم، الاكحال، المربيات، اللطوخات وعدد اصناف الاشربة (51) شاربا، وذكرنا قائمة بالمخطوطات العربية بالاعشاب الطبية في مكتبات العالم.

تم اعداد بحثنا هذا بمناسبة مرور خمسة قرون على انتهاء الوجود العربي في الاندلس (897هـ/ 1492م)، نقدمه لعلماء الاندلس وللباحثين اجلالاً وتقديراً واعتزازاً وتعظيماً لدورهم في رفد الحضارة العربية الاسلامية بالانجازات الانسانية والعلمية الرائعة.

بحثنا يقدم تعريفاً لمخطوط اندلسي غير محقق يتناول دراسة تركيب الادوية الطبية من الحشائش والنباتات المعروفة في المغرب والاندلس، ويتحدث عن عناصر مركباتها وكيفية استعمالاتها وفوائدها.

المخطوط يعود للمكتبة الوطنية بباريس ويحمل رقم (761)، ومنه نسخة مصورة في مكتبة مولاي الحسن للابحاث بتطوان (المغرب) وتحمل الرقم (24)، وعدد اوراق المخطوط 10 ورقة (ترقيم افرنجي) في 23 سطراً ويبدو ان هناك اكثر من ورقة قد سقطت من اصل المخطوط وذلك لفقدان اوراق الباب السابع والثامن من اصل عشرة ابواب للكتاب...

والمخطوط كتب بخط مغربي واضح وجميل، ولم يرد اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.. ويبدو ان المؤلف قد صنف المخطوط بناءً على طلب من السلطان الحاكم في زمانه حسب ماجاء في الورقة الاولى للمخطوط: "... تم المجموع الذي قصدت وامتثلت امركم المطاع الذي اليه ندبت، فجاء بحمد الله كتاب في جمعه جامعاً لقسمي الصحة والشفاء...".

اما مؤلف الكتاب فهو ابو الفضل محمد بن القاسم العجلاني، كان حياً اواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ويبدو ان له خبرة ومهارة عريقة واطلاعاً واهتماماً واسعين في مجال الطب والصيدلة من خلال كثرة تصانيفه ومعلوماته الطبية القيمة.. ومما لاشك فيه ان العجلاني قد اطلع كثيرا على مؤلفات مشاهير اطباء الاندلس

(*) بحث نشر في مجلة كلية التربية للبنات (جامعة بغداد)، المجلد 3(4) للعام 1423هـ/ 2002م.

والمغرب في تركيب العقاقير امثال الغافقي ت (560هـ/ 1165م) وابن بيطار ت (646هـ/ 1248) وغيرهم، وكذلك افاد من كتب اليونان مثل "كتاب الحشائش" لديوسقوريدس، او قد تتلمذ على ايدي نخبة من الاطباء والصيادلة المهرة والبارعين في عصره، وذلك لان المعلومات القيمة والمفيدة التي عرضها لنا العجلاني تستحق الدراسة والتقدير والثناء كله لمجهوده العلمي، علماً بان للمؤلف مصنفات طبية عديدة لم يحظ على ماعرف بالدراسة والتحقيق وهي:

1. "تحفة الاريب عند من لايحضره طبيب" مخطوط الخزانة الحسنية (مكتبة القصر الملكي بالرباط) يحمل الرقم 1044 مجموع اول النسخة: (قال الشيخ الطبيب الماهر ابو الفضل.. وبعد فاني لما رأيت الجهلة ممن ينتسب الى الاطباء وقد خفيت دونهم الحقائق وعميت عليهم الانباء.. فأوردت هذه المقالة كافية في التنبيه على ماله اردتها).

   اخرها: "واعلم ان في هذا الكتاب ما في الكتب المطولة وازيد غير اني ألفته على مذهب طائفة من الاطباء يرون ان سائر الامراض تنحصر في انبعاث وانفعال وعلى هذا النهج، فزيد منك كتمه لأنه اذا حصل بأيدي الناس ادعوا الطب والنفس العالمة تغار على بذل العلم، والحمد لله رب العالمين".

   والكتاب مرتب على خمس ابواب يعرض فيها المؤلف عدداً من الامراض البدنية والنفسية ويصف وسائل علاجها.. فالابواب الاربعة الاولى مختصة بامراض الامشاج (امراض البدن) اما الباب الخامس بامراض الازواج (الحميات).

   ويقع في 14 ورقة، ولكل ورقة 16 سطر بخط مغربي واضح بمداد اسود والعناوين بالأحمر ولم يرد اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وقد ذكره لوكيرك قال انه رأى في القسطنطينية نسخة من المخطوط، ولكنه لم يوضح في أي مكتبة موجودة[1].

2. "رسالة في حفظ الصحة ومعالجة الامراض" مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط الرقم 6499 مجموع ونسخة منه بمكتبة الاحمدية برقم 5320/ 3، والخزانة العامة بالرباط، الارقام 761د، 1035د، 768د.. والمخطوط يضم 49 ورقة في 14 سطراً، خط مغربي جيد وواضح لم يرد اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. واول النسخة: "اما بعد حمد الله والصلاة على رسوله، فانه تم المجموع الذي قصدت وامتثلت امركم المطاع.. فجاء بحمد الله كتاباً غريباً في جمعه جامعاً لقسمي الصحة والشفاء بأصله وفرعيه".

   اخرها: "لطوخ ينفع من القرس: خذ من الطرطار نصف رطل ويعجن بدهن السوسان (كذا) يلطخ على اطراف الرجلين واليدين".

   رتب المؤلف كتابه على عشر ابواب فعالج في كل باب صنفاً من الادوية التالية: "الاشربة، المعجونات، الجوارشات، الدبيدات، الادهان، المراهم، الاكحال، المربيات، اللطوخات"[2].

   ان هناك تشابهاً وتطابق بين هذا الكتاب "وكتاب جامع الفوائد في الطب والعلاج" في المقدمة والخاتمة والابواب، ومن الجائز ان يكون نسخة ثانية لمخطوطنا ولكن يبقى الاشكال في العنوان، وقد يكون التحريف بالعنوان قد جاء من الناسخ، علماً ان نسخة مخطوطنا بدون غلاف او جلاد للعنوان.

---

(1) فهارس الخزانة الملكية (الخزانة الحسنية بالرباط) تصنيف محمد العربي الخطابي، المجلد الثاني، (الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات) الرباط 1402هـ/ 1982م ص 53 رقم 27: انظر ايضاً عبد العزيز بن عبد الله، الطب والاطباء بالمغرب/ الرباط 1380/ 1960 ص 89.

(2) المصدر السابق نفسه ص116، الرقم 107.

3. "ارجوزة في اعمار العقاقير المفردة والادوية المركبة" مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط برقم 515 وعدد ابياتها 43 وتقع في ورقتين، وتوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بمدريد وتحمل الرقم 5265 ومطلعها:

الحمد لله الذي اوجدنا...

من عدم وبعده انجزنا...

اخرها:

فنفع الله به من وضعه...

ومن وعاه مخلصاً او سمعه...[1]

4. تأليف في الاغذية مخطوط الخزانة العامة بالرباط ويحمل رقم 2704[2].
5. "شرح ارجوزة في ابن عزرون" مخطوط الخزانة العامة بالرباط ويحمل رقم 2705[3]
6. "ارجوزة في تركيب الدواء وجمعه" مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد ويحمل رقم 5265 مجموع عدد اوراقه ثلاث ورقات في 23 سطر بخط مغربي واضح.

اولهـــــا: الحمـــــــد لله معـــــــافي الادوا

وكاشـــــف الــــضر وشـــــافي البلــــوى

ثـــــم نـــــصلي ونـــــسلم عـــــلى

محمـــــد وآلـــــه ومـــــن تـــــلا

اخرهـــا: فيـــه شـــفاء كـــل داء مـــن حـــذام

وغـــيره وهـــا هنـــا كـــان الـــتمام[4]

نلاحظ من خلال مصنفات العجلاني ان للأندلسيين اهتماماً كبيراً بعلم النبات وقد حظيت كل من الاندلس والمغرب المرتبة الاولى في عدد المؤلفات، ومن اوائل الاندلسيين بالتاليف الطبيب ابن جلجل (ت بعد عام 384هـ/ 994) ومؤلفاته الطبية القيمة.

1. تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس (مخطوط بالمكتبة الوطنية بمدريد).
2. مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديوسقوريدس (مخطوط مكتبة بودليان، ومكتبة نور عثمانية).
3. مقالة في ادوية الترياق (مخطوط مكتبة اكسفورد) وغيرها من المصنفات الطبية.

---

(1) المصدر السابق نفسه (فهارس الخزانة الملكية) ص 209، الرقم 240.

(2) مجلد معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد الخامس، 1378هـ/ 1959م ص 314 الرقم 425.

(3) المصدر السابق نفسه ص 315 الرقم 426 انظر: عبد العزيز بن عبد الله م الطب والاطباء بالمغرب، ص 89.

(4) فهرس المخطوطات الطبية المصورة- قسم التراث العربي- المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1984، ص 17 الرقم 12.

اما الطبيب ابو جعفر احمد بن محمد الغافقي القرطبي (ت 560هـ/ 1165م) فهو الاخر الذي له اهتمام واسع بعلم النبات، حيث ساح في الاندلس وشمال افريقيا لغرض جمع النباتات، وألف كتاب (الادوية المفردة) فذكر لكل نبات اسمه العربي واللاتيني والبربري، وقد نقل عنه الطبيب ابن البيطار.

اما ابو العباس بن الرومية النباتي الاشبيلي (ت 637هـ/ 1239م) فقد تجول في الاندلس وشمال افريقيا ومصر وسوريا والعراق وربما صقلية، حيث صنف "كتاب المفردات".

وابن البيطار الطبيب المالقي (ت 646هـ/ 1248م) فكان علاقة زمانه في معرفة النبات، فكان الى بلدان عديدة باحثاً فيها عن النبات، فكان يجمع كل انواع النباتات ويبحث فيها ويحقق في خواصها ومفعولها، واجتمع في ايطاليا واليونان بعلماء.

وباحثهم في النباتات والاعشاب، وسافر الى الشام والتقى بابن ابي اصيبعة صاحب (كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء) وقد مات ابن البيطار لتناوله عقاراً ضاراً، وأهم مؤلفاته الطبية هو (المغني في الادوية المفردة) و (الجامع لمفردات الادوية والاغذية) حيث استشهد باكثر من 1500 مؤلف وصنف اكثر من 1400 عقار نباتي وحيواني ومعدني! وابن العوام الاشبيلي فقد وصف لنا 600 من النباتات في (كتابه الفلاحة)[1].

وبهذا ترى ان الاندلس والمغرب الدور التاريخي البارز في تطوير ميدان علم الطب والصيدلة وازدهارهما كما ذكر المستشرق رينو "فكيف يمكن ان نفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين انمتهم الاندلس او الذين يكونوا في مدارسها ثم ساروا في اعقاب ملوك المغرب من اشبيلية وقطربة الى فاس ومراكش او اغمات، وللمغرب الحق في ان تبني ابن ماجه وابن طفيل وابن رشد"[2].

وكتاب "جامع الفوائد في الطب والعلاج" للعجلاني فقد قدم لنا وصفاً وشرحاً شاملاً لانواع النباتات والحشائش المعروفة بالاندلس والمغرب وكيفية تركيبها لصناعة الادوية لمعالجة كل حالات الامراض في الابواب المدرجة ادناه:

الباب الاول: في الاشربة.

الباب الثاني: في المعجونات.

الباب الثالث: في الجوارشات.

الباب الرابع: في الديبدات.

الباب الخامس: في الادهان.

الباب السادس: في الشفوفات.

الباب السابع: في المراهيم.

---

(1) للفائد انظر: الشطي، احمد شوكت، العرب والطب، دمشق 1970 ص 56 خير الله د. امين سعيد، الطب العربي مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة بيروت 1946، ص 189 العلاني، ابراهيم بن ابي سعد ابراهيم المغربي/ كتاب تقديم الادوية فيما اشتهر من الاعشاب والعقاقير والاغذية، مجلة هسبرس 1932 الجزء 16، ص 69– 84: وانظر ايضاً كتاب (شرح المفردات الطبية) مخطوط الخزانة جامع ابن يوسف بمراكش، كتبت سنة 1290هـ/ ويضم 110 ورقة.

(2) انظر: الطب القديم بالمغرب، نشرة معهد الدراسات العليا بالرباط، عدد 1 ص 72 نقلاً من كتاب الطب والاطباء بالمغرب، بن عبد الله ص 220.

الباب الثامن: في الاكحال.
الباب التاسع: في المربيات.
الباب العاشر: في اللطوخات.

هذا وان المؤلف قدم لنا وصفاً شاملاً في كل باب، حيث ذكر لنا انواع المركبات من مختلف النباتات وكيفية تركيبها بالاوزان والمكاييل، حيث وردت بالمصطلحات التالية:

قبضة، رطل، اوقية، مثقال.. كما قدم لنا بهذه المركبات الطبية قائمة لعلاج مختلف اعضاء الجسم مع وصايا وتحذيرات طبية مفيدة، نستعرض ادناه انواع المركبات لكل باب مع ايراد الفائدة الطبية دون ذكر المركبات المستعملة لكثرتها:

الباب الاول: عدد الاشربة المذكورة 51 شرابا[1] وهي:

1. شراب اصول كبير: يقوي المعدة والكبد ويفتح سدد الكبد والطحال وينقي المعدة من سائر امراض البلغم.
2. شراب اصول صغير[2]: ينفع للكبد ويفتح سدد الكبد والطحال وينقي المعدة من سائر امراض البلغم، وينفع من الاستسقاء.
3. شراب العود[3]: يقوي المعدة والكبد وسائر الأعضاء ويلين البطن يسيراً، وينفع من الاستسقاء.
4. شراب الاترج[4]: يقوي الاعضاء الباطنة ويلين البطن.
5. شراب النعناع[5]: ينفع من السعال الرطب، وينقي قصبة الرية، ويحل البلغم من المعدة، ويلين البطن.
6. شراب الفرسيون[1]: ينفع من السعال الرطب وينقي قصبة الرية ويحلل من المعدة البلغم ويلين البطن.

---

(1) علي بن رضوان (المنسوب له) كتاب الكفاية في الطب/ تحقيق د. سليمان قطاية/ دار الرشيد للنشر (بغداد 1981) ص 72- 73.

وانظر كتاب الاشربة/ للمؤلف المجهول/ نشر في كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس/ اعتنى بنشره امبروزيو اويثي ميراندا Ambroso Huici Hiraanda

مقالة في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد/ المجلد 9,10 (مدريد 1961- 1962م) ص 235 (شراب الاصول الكبير) منه تفاصيل مفيدة عن تركيب الشراب من مواد واعشاب.

منافعه: يقوي المعدة والكبد، ويفتح سدد الكبد والطحال، وينقي المعدة، وينفع من سائر امراض البلغم من البدن.

(2) كتاب الاشربة/ ص 236 منافعه: ينفع اللكبد، ويفتح سدده، وينفع الطحال، وينقي المعدة من فضلات البلغم، حيث ماكان في الجسم، من امراض الاستسقاء.

(3) كتاب الاشربة/ ص 236- 237 منافعه: يقوي المعدة والكبد وسائر الاعضاء ويفرح القلب، ويلين الطبيعة، يسيرا وينفع من بدء الاستسقاء.

(4) كتاب الاشربة/ ص 237 منافعه يفرح القلب تفريحاً جيداً، ويقوي الاعضاء الباطنية، ويلين البطن برفق، وهو عجيب للغاية/ ابن البيطار المالقي/ الجامع لمفردات الادوية والاغذية/ ج1/ 10 وهما من الافراج من المنويات للقلب الحار.

(5) كتاب الاشربة/ ص 240، منافع: من استطلاق البطن الحادث من البلغم ويقطع القيء البلغمي ويقوي الكبد والمعدة، ويفرح تفريحاً قوياً، هو في ذلك عجيب للغاية.

7. شراب الجلاب[2]: ينفع من حميات البلغم ويقوي المعدة والكبد، وينفع من بدا الاستسقاء الرقي، ويلين البطن.
8. شراب الورد الغض: ينفع من براد الاستسقاء ويقوي الكبد والمعدة وسائر الاعضاء الباطنية، ويلين البطن.
9. شراب الادخر[3]: ينفع المعدة ويقويها ويشهي الاكل، ويهضم الطعام ويقطع القيء البلغمي، ويحقن الكبد، وينفع من الاستسقاء الزمني ومن حميات البلغم.
10. شراب الورد اليابس الجاف[4]: يقوي سائر الاعضاء الباطنية ويشهي الاكل وينفع من سائر الاستسقاء ويعقد الطبيعة.
11. شراب الصندل[5]: فهذا شراب لا يعادله شراب في تسكين وهيج الصفراء، ويترك الطبيعة على حالها من دون ان يفعل منها حقناً ولا ليناً، ويقوي المعدة والكبد وسائر الاعضاء.
12. شراب صندل اخر: ينفع من حميات البلغم، ويقوي المعدة والكبد ويشهي الطعام ويهضمه ويفرح بعض التفريح، وينفع من الاستسقاء.
13. شراب البنفسج[6]: ينفع من الحميات الصفراوية ويلين ويقطع العطش ويرخي المعدة، فيجب لمن يستعمله ان يضيفه الورد او ياخذه عقبه، وهو مع ذلك نافع من السعال اليابس.
14. شراب التفاح[7]: يفرح القلب.
15. شراب الورد المسهل: ينفع من الحميات المعقنة ويسكن وهيج المعدة الحادث من العفونة.
16. شراب السكنجبيل ساذج[1]: ينفع من الحميات الصفراوية ويقطع العطش ويسكن الصفراء ويقمعها.

---

(1) كتاب الاشربة/ ص 242 شراب مربوت، منافعه: من السعال الرطب وينقي قصبة الرئة ويحلل البلغم من المعدة، ويلين البطن برفق.

(2) كتاب الاشربة/ ص 239، منافعه: من حميات البلغم، ويقوي المعدة والكبد وينفع بدء الاستسقاء ويلين البطن وهو في ذلك عجيب ان شاء الله.

(3) كتاب الاشربة/ ص 237 (الشراب المفرح الكبير) منافعه: ينفع من ضعف المعدة ويقوي الكبد، ويفرح القلب، ويهضم الطعام.

(4) كتاب الاشربة/ ص 241– 242 شراب الورد اليابس منافعه: يعقل الطبيعة وينفع من بدء الاستسقاء، ويقوي سائر الاعضاء الباطنة ويشهي للاكل ان شاء الله.

(5) كتاب الاشربة/ ص 236 شراب الصندل، منافعه: في تسكين وهج الصفراء وقطع العطش والنفع من سائر الامراض والحميات الفراوية ويترك الطبيعة على حالها، من غير ان يفعل فيها حقنة ولا تلين، ويقوي المعدة، والكبد وسائر الاعضاء، وهو في ذلك عجيب للغاية.

(6) كتاب الاشربة/ ص 242، منافعه: من الحميات الفراوية ويقطع العطش ويلين البطن برفق وينفع من السعال اليابس الا انه يرخي المعدة.

(7) كتاب الاشربة/ ص 248، منافعه: يقوي القلب ويفرح.

17. شراب مفرح: ينفع من ضعف المعدة، ويقوي الكبد ويفرح القلب ويهضم الطعام ويلين البطن.
18. شراب لسان الثور الساذج: ينفع مما ينفع به الذي قبله.
19. شراب السكنجبيل يزور: ينفع من امتلاء المعدة من البلغم، ويفتح الشدد والكبد والطحال، وينفع من حمى البلغم، ويشهي الطعام، ويدر البول والحيض وينفع من الطحال ويعقد البطن.
20. شراب العناب[2]: ينفع من حميات البدن، ويسكن السعال اليابس، ويقطع العطش ويلين البطن ويروق الدم.
21. شراب الرمانتين[3]: ينفع الحرور ويطفي العطش، وينفع من حميات الصفراوية ويلين البطن.
22. شرئاب الليم: ينفع من التهاب الصفرة، ويقطع العطش، ويعقد البطن ويضر بالرية، فينبغي لمستعمله ان ياكل معه او عقبه الاسبناخ.
23. شراب حماض الترنج: ينفع من حميات الصفراوية، ويضر بالمعدة، وينبغي لمستعمله ان يشرب معه شراب البنفسج ليذهب بلضغه، وهو مع ذلك يقمع الصفراء، ويشهي الاكل وكذا ما يصنع شراب الليم، ومنفعته لمنفعة شراب الليم.
24. شراب الجلجال: ينقي المعدة، وينقي الدماغ، ويلين البطن، وينفع من السوداء بالاخراج، غير انه مكرب، فيجب لمستعمله ان ياخذ معه شراب مفرج.
25. شراب الضومران: ينفع (...) والاستسقاء الطفلي، ويهضم الطعام ويحلل البلغم، ويدر البول والحيض، ويلين البطن.
26. شراب العسل[4]: ينفع من ضعف الكبد ويقوي المعدة، وينفع من سائر انواع الاستسقاء، ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن، ويسخنه تسخيناً جيداً، وفيه بعض التفريج، ويلين البطن، وهو عند القدماء من الاطباء بمنزلة الخمر في التسخين.
27. شراب المصطكي[5]: ينفع من ضعف المعدة، ويهضم الطعام، ويقطع القيء ويعقد البطن، ويقوي الكبد.
28. شراب الجور: ويزيد في المني زيادة حسنة ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن ويسخنه.

---

(1) كتاب الاشربة/ ص 244، شراب سكنجبيل ساذج، منافعه: من استطلاق البطن ويقطع العطش والقيء وينفع من حميات الصفراء.

(2) كتاب الاشربة/ ص 237، الشراب المفرح الكبير، منافعه: ينفع من ضعف المعدة ويقوي الكبد، ويفرح القلب، ويهضم الطعام ويلين الطبيعة ان شاء الله.

(3) كتاب الاشربة/ ص 246، شراب العناب منافعه من حميات الدود ويصفي الدم العكر ويسكن السعال ويقطع العطش، ويلين الطبيعة.

(4) كتاب الاشربة/ ص 244 شراب الرمانين، منافعه: ينفع المحروين ويقطع العطش، وينفع من الحميات الصفراوية ويلين البطن برفق.

(5) كتاب الاشربة/ ص 238 شراب العسل، منافعه: ينفع من ضعف الكبد ويقوي المعدة وينفع من امراض الاستسقاء ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن، ويلين البطن وهو عند القدماء بمنزلة الخمر بالتسخين ويقطع القيء.

29. شراب الخشخاش: ينفع من السعال اليابس والنزلات التي تنحدر من الدماغ ويبرد البدن تبريداً جيداً.
30. شراب السماق: ينفع من استطلاق البطن ويقطع العطش ويقمع الصفراء.
31. شراب اخر من ورق الاترنج: ينفع سائر الاعضاء الباطنية ويقويها ويفرج تفريجاً جيداً ويشهي الطعام ويهضمه وينفع من الاستسقاء، ويلين البطن، وهو جيد لذلك الشخص.
32. شراب الزوفا: ينفع من الربوا وينفع من الماء المنحدر من الدماغ ويحلل البلغم من سائر البدن، ويدر البول والحيض، وينقي المعدة.
33. شراب الاجاص: ينفع من حقن الطبيعة، ويقطع العطش، وينفع لحمايات الصفراوية.
34. شراب الافستين: ينفع من حميات السوداء ولا يستعمل في اخر المرض الا في اوله، وهو مع ذلك يدر البول والحيض، وينقي المعدة.
35. شراب القرصتعة المجرودة: ينفع من سائر الاورام الباطنة وينقي المعدة، ويشهي الاكل، ويهضم الطعام ويدر البول.
36. شراب الشهنزج: يسهل البطن ويخرج احتراقات الاخلاط وينفع من الجراب والحكة.
37. شراب البسابج: يسهل السوداء برفق من غير تعب، وينفع السوداء والجرب، ولا يستعمل الا في فصل الاخراج.
38. شراب يخرج السوداء والبلغم[1]: وهو مأمون ينقي سائر اثقال البدن من البلغم والسوداء... ينفع من سائر احتراقات الابهار وسائر السوداي والبلغمي ويسهل برفق اسهالاً جيداً.
39. شراب التمر الهندي[2]: ينفع من الصفراء ويخرجها بالاسهال ويقطع القيء الصفراوي والعطش ويشهي الطعام ويذهب بحرارة الفم.
40. شراب الحرير[3]: افضل من الاغذية التي ركبها بن زهر في كتاب الاغذية لان الادوية التي اضاف لها ابن زهر ليسا من الادوية القوية الانعاض.. ينفع من قلة الانعاض ويزيد في المني زيادة حسنة، ويفرج القلب تفريجاً قوياً ويسجع القلب.
41. شراب الاريسا: ينفع من السعال الرطب ويسكن وجع الصدر، ويلين البطن قليلاً.
42. شراب الغافت: ينفع من الحميات السوداوية وينفع من امراض الطحال ويسكن وجع الكبد لا سيما اذا استعمل معه كبد الزيت.
43. شراب الافتمون: يمنع من سائر الامراض السوداية، ويخرج السوداء بالاسعال الفوري.
44. شراب السفرجل: وينفع من انطلاق البطن ويقطع العطش والقي، وينفع من حميات الصفراء.
45. شراب المبية: ومنفعته ينفع الحوامل حالة حملهم فيقطع القيء ويزيل ما بهم من الكسل.

---

(1) كتاب الاشربة: ص 239 شراب المصطكي، منافعه: من ضعف المعدة ويهضم الطعام.

(2) كتاب الاشربة/ ص 246 منافعه: من سائر الاحتراقات البدن وسائر الجرب السوداوي البلغمي وينقي سائر الثقل في البدن، ويسهل برفق اسهالاً جيداً.

(3) كتاب الاشربة/ ص 247 منافعه: من الصفراء يخرجها بالاسهال ويقطع القيء الصفراوي والعطش وينبه شهوة الطعام، ويذهب بمرارة الطعام في الفم.

46. شراب السرين: ينفع الكبد ويقويه ومن الاستسقاق ويقوي المعدة ويشهي الطعام.
47. شراب الهنديا: ينفع من سائر امراض الاستسقاء ويقوي المعدة وينفع من اليرقان الحادث من شدة الكبد ويشهي الطعام.
48. شراب الجلفار: ينفع من الاسهال الصفراوي ويشهي الطعام ويقطع القيء من أي نوع كان.
49. شراب الحصرم[1]: ينفع من غلبة الصفراء ويقطع القيء الصفراوي ويشهي الطعام ويقطع العطش ويزيل مرارة الفم.
50. شراب السنبل: ينفع لضعف الكبد وينفع لتقويته، ويفتح الشدد وينفع من جميع انواع الاستسقاء، ويهضم الطعام ويشهي منه.
51. شراب ينفع لضعف الكبد ويقويه ويشهي الطعام وينقي المعدة من الادوان والاخلاط.

الباب الثاني: وعددها 32 معجونا[2] وهي:

1. معجون الجوز[3]: يقوي في الجماع ويزيد في المني زيادة حسنة.
2. معجون السفرجل[4]: ينفع من انطلاق البطن الحادث من الصفراء ويقطع العطش والقيء الصفراوي ويشهي الطعام ويذهب بحرارة الفم.
3. معجون اللبوت: النافع اللبوت: النافع من قلة الماء.
4. معجون الحلحال: ينقي المعدة والدماغ من فضلات البلغم، ويقوي شهوة الطعام، ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن.
5. معجون الفرصعنة[5]: ينفع من اورام الاستسقاء ويفشي الرياح وينفع من امراض الشراسف المعروف عند العامة ابامزوي ويهضم الطعام وينفع من الاستسقاء.
6. معجون فروع القرصعنة: يزيد في الجماع زيادة قوية ويدر البول والحيض ويفتت الحصا ويهضم الطعام.
7. معجون القسطران: ولا يستعمل مع الطعام لانه دواء قاصر للطباع غاية، ينفع الرياح المستجلبة في البطن، ويقلل النكاح وينفع من الاستسقاء الطفلي.
8. معجون الورد[1]: ينفع من ضعف المعدة والكبد ومن بدا الاستسقاء ويلين البطن.

---

(1) كتاب الاشربة/ ص 240 منافعه: من قلة البال ويزيد في المني زيادة حسنة ويحلل البلغم من سائر الاعضاء.

(2) كتاب الاشربة/ ص 244 شراب الحصرم منافعه: ينفع في علبة الصفراء ويقطع القيء الصفراوي ويشهي الطعام ويقطع العطش ويحلل البلغم بتقطيعه اياه ويزيل مرارة الفم.

(3) ابن رضوان (المنسوب اليه)، كتاب الكفاية في الطب/ ص 70- 71 يذكر ان الترياقات لها منافع فانها تستعمل في لدغ الحيات والعقارب وجميع لذغ الحيوان السموم وانظر: ابن البيطار المالقي/ الجامع لمفردات الادوية والاغذية.

(4) كتاب الاشربة/ ص 249، معجون الجوز الاخضر، منافعه/ يشهي الاكل ويهضم الطعام.

(5) كتاب الاشربة/ ص 249 منافعه: من استطلاق البطن الجاذب من الصفراء ويقطع القيء والعطش الصفراوي، ويلهب بمرارة الفم ويشهي الطعام قلت ويمنع البخارات الرديئة ان تصعد من المعدة الى الدماغ.

9. معجون الزنجبيل: يزيد في الجماع زيادة قوية ويهضم الطعام ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن.
10. معجون البنفسج[2]: ينفع من السعال اليابس، ويلين البطن ويقطع العطش الصفراوي ويقمع الصفراء بالاخراج.
11. معجون تاغندست[3]: ينفع من ضعف المعدة ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن ويفيد شهوة الطعام وينفع من الاستسقاء، ويدر البول ويلين البطن.
12. معجون الكسنز: ينفع من ضعف المعدة، ويهضم الطعام ويشهيه ويعقد البطن.
13. معجون الصعتر الساذج: يفشي الارياح وينفع من امتلاء الدماغ، ومن الاستسقاء الطفلي ويحلل البلغم من اقطار البدن ويقلل الباءة، ويضر بالرية واصلاحه بقليل من النيسون يؤكل معه او بعده.
14. معجون الصعتر: ينفع من اضرار المعدة الحادثة من فضلات البلغم ويقلل الرياح، ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن وينقي الدماغ ويقلل النكاح.
15. معجون النعنع[4]: يهضم الطعام ويقطع القيء والبلغم ويزيد في الجماع، وينبه شهوة الطعام ويحلل من سائر اقطار البدن.
16. معجون الشقائق: يفشي الرياح من البطن ويقلل النكاح ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن.
17. معجون الشقائق ايضاً: يزيد في الانعاص والمني ويهضم الطعام ويحلل البلغم من البدن.
18. معجون الجوز الاخضر[5]: ويؤكل منه على الطعام يهضمه ويشهي الاكل.
19. معجون الطريفل الكبير[6]: ينفع من ضعف المعدة والكبد، ومن الارياح والاثقال، ويوفي الاحشاء ومن الطحال ووجع الكبد ويقوي الدماغ وينقيه جيداً ويزيد في الحفظ وشهوة الطعام والجماع ويزيد في المني ويلين البطن ومن غلبة السوداء ويذكي الذهن.
20. معجون الطريفل الصغير: الاكل منه مثل الجوزة على الطعام ويهضمه ويشهي الاكل ويلين البطن، وينفع القولنج الشفلي ومن الاستسقاء وينقي الدماغ، ويزد في الحفظ.
21. معجون مقوي للمعدة والكبد والدماغ: ينفع من اجتماع الرياح الرطب ويلين البطن ويخرج السوداء.

---

(1) كتاب الاشربة/ ص 251، منافعه يهضم الطعام وينقي الدماغ وينفع من سائر السعال الرطب، ويدور البول والحيض، ويؤكل منه مثل الجوزة على الطعام.

(2) كتاب الاشربة/ ص 250، معجون الورد العسلي، مناقعه: من ضعف المعدة والكبد وبدء الاستسقاء الزهتي ويلين الطبيعة.

(3) كتاب الاشربة/ ص 250 من السعال اليابس ويلين البطن ويقطع العطش الصفراوي، ويذهب الصفراء بالاخراج.

(4) كتاب الاشربة/ ص 251 معجون فيقسطست، منافعه: ينفع من ضعف المعدة ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن وينبه شهوة الطعام ويدر البول وينفع من الاستسقاء ويلين الطبيعة برفق وهو في ذلك عجيب ان شاء الله.

(5) كتاب الاشربة/ 250 معجون النعنع، منافعه: يفش من امتلاء البطن وامتلاء الدماغ وينفع في الاستسقاء الطبلي ويحلل البلغم من سائر اقطار البدن، ويقوي الباه ويقطع القيء واصلاحه بحبة حلاوة وتؤكل معه وبعده، نافع ان شاء الله.

(6) كتاب الاشربة/ ص 249، منافعه، يشهي الاكل، ويهضم الطعام ويسخن الكلى ويزيد من الباه.

22. معجون يعرف بالترياق الاربع: ينفع من سائر الشموم الباردة، ويحلل البلغم ويطرح الرياح ويسكن اوجاع البطن ويلين البطن وينبغي ان لا يستعمله صحيح البدن.
23. معجون من جنس الترياق: ويستعمل منه على الحلق بعد الحمية وينقي الدماغ ويخرج الصفراء.
24. معجون النارنج: ويحلل البلغم وينفع الشموم الباردة، واما الذين يضعونه من الصيادلة فهم يتركونه في الماء منقوعاً حتى تفنى قوته ويخرج قوته في الماء، ويبقى ثقلاً بذلك لا منفعة منه البتة.
25. معجون قشور الاترنج: ويؤكل منه قدر الجوزة على الطعام يهضمه ويفرح تفريحاً جيداً ويحلل البلغم من البدن وينبه شهوة الجماع وينقي الدماغ.
26. معجون الليم الصغير: ويؤكل منه قدر الجوزة على الطعام يهضمه وهو له يزيد الهضم ويحلل البلغم ويقوي المعدة.
27. معجون التفاح: يهضم الطعام ويفرج تفريجاً ويقوي القلب.
28. معجون العود الرطب: يهضم ويفرج تفريجاً ويحلل البلغم وينقي الدماغ، وهو صالح لذلك الشخص غاية.
29. معجون الحبق القرنفلي[1]: يقوي المعدة والكبد ويهضم الطعام ويشهيه ويفرج تفريجاً قوياً، وينفع من البلغم الهدام.
30. معجون مانته: ينقي المعدة من فضلات البلغم ويشهي الاكل ويقلل النكاح، وينفع من سائر انواع الاستسقاء ويخرج رياح البطن ويقلل اللحم، وينقي الدماغ وينفع من السعال الرطب ويدر البول والحيض.
31. معجون الكمون المعروف عند الصيادلة وقشا بالبقراطية: ينفع من رياح البطن ويحلل البلغم ويشهي الطعام وينبه شهوة المعدة ويلين البطن، ويدر البول والحيض واللبن.
32. معجون بقراطبة عجيبة: نافع الى المعدة من البلغم ويهضم ويدر البول والحيض واللبن، وينفع من الرياح، ويقلل النكاح والاكل منه ومن الذي قبله قدر الجوزة على الطعام وينبغي ان يبدل بذر الروطة بالتيسون.
33. معجون السنبل: يقوي المعدة والكبد ويفتح سدده ويحلل البلغم ويهضم الطعام ويلين البطن.

الباب الثالث: في الجوارشات[2]، وعددها 10 مركبات.

1. جوارش المصطكي: يهضم الطعام ويقوي المعدة والكبد ويشهي الغذاء ويقطع القيء والبلغم وان اكلت قبل الغذاء اعقلت الطبيعة.
2. جوارش المصطكي اخر كبير: ومنفعته مثل الذي قبله.
3. جوارش العود[1]: يقوي القلب، ويفرج النفس، ويهضم الطعام، ويلين البطن ويقوي الكبد، وينفع من الاستسقاء الزمني، ويحلل من سائر اقطار البدن.

---

(1) ابن رضوان/ كتاب الكفاية في الطب/ ص 70 من الجوارشات، الاطريفل الصغير لتقوية المعدة، والابطاء بالشيب، والاطريفل الكبير لتسخين وفش الرياح والنفع من البواسير.

(2) كتاب الاشربة/ ص 252، معجون النارنج، منافعه: لهضم الطعام ويحلل البلغم ويزيد في الباه، وينفع من السموم الباردة، وهو في ذلك عجيب.

4. جوارش الصندل[2]: يقوي المعدة ويشهي الطعام وينفع من سائر الحميات الصفراوية ويعقد البطن ويقطع العطش ويقوي البدن وينفع من الاستسقاء الحادث عقب الحميات.
5. جوارش الصندل الاحمر[3]: منفعته هذه والذي قبلها واحدة.
6. جوارش الانيسون: يؤكل مثل الجوزة على الطعام تهضمه وتشهيه وتنفع من السعال الرطب وتنقي الدماغ/ وتعقد البطن وتحلل البلغم من سائر اقطار البدن وتدر البول والحيض واللبن وتزود الانعاض زيادة قوية.
7. جوارش الكمون[4]: يشهي الاكل ويهضم الطعام ويفشي الريح ويحلل البلغم من البدن، وينفع من الاستسقاء ويدر البول والحيض.
8. جوارش القرنفل[5]: على الطعام يهضمه ويشهيه ويعقد البطن ويحلل البلغم ويفرج تفريجاً قوياً، ويزيد النكاح.
9. جوارش يهضم الطعام ويطيب النفس والنكهة ويقوي المعدة والكبد وتلين البطن وتنفع من الالاستسقاء.
10. جوارش المسك[6]: تفرج النفس وتطيب النكهة وتشهي الطعام وتقوي الجماع وتقوي المعدة والكبد وسائر اعضاء الباطنية وتحلل البلغم وهي صالحة لذلك الشخص غاية.

الباب الرابع: في الدبيدات

(لم نتوصل الى معرفة انواعها، بسبب فقدان اوراق الباب من اصل المخطوط)

الباب الخامس: في الادهان[7] (لا نعرف عن بداية الباب بسبب فقدان الورقة من الاصل).

1. دهن البابنج: يحلل العصب ويحلل ويقوي الاعضاء.
2. دهن البنفسج: ينضج الاورام ويلين العصب ويهدئ الحرارة والالتهاب.

---

(1) ابن البيطار المالقي/ الجامع لمفردات الادوية والاغذية/ ج1/ .19 فرقة القرنفل قد اجمع الاطباء في هذا الدواء على انه جيد لاوجاع الفم.

(2) ابن رضوان/ المنسوب اليه) كتاب الكفاية في الطب/ ص 69- 70 يقول الجوارشنات المسهلة فيستعمل اكثرها في علة القولنج كالمريء والشهرياران وسائر الجورشنات غير المسهلة، فأكثرها يستعمل في تبديل فراج المعدة والكبد كجوارشن الورد السفرجل غير المسهل.

(3) كتاب الاشربة/ ص 253، جوارش العود القهاري، منافعه: يقوي القلب ويفرح النفس ويهضم الطعام ويلين البطن برفق ويقوي الكبد ويحلل البلغم من سائر البدن وينفع من الاستسقاء.

(4) كتاب الاشربة/ ص 254 جوارش الصندل الابيض.

(5) كتاب الاشربة/ ص 254 جوارش الصندل الاحمر اللون.

(6) ابن رضوان (المنسوب اليه) كتاب الكفاية في الطب/ ص 70 الكموني لتسخين المعدة، والكبد وقش الرياح واوجاع البطن الكائن فيها.

(7) كتاب الاشربة/ ص 253 جوارش القرنفل، منافعه: يشهي الاكل ويحلل البلغم ويفرح تفريحاً قوياً ويزيد من قوة الجماع ويعقل الطبيعة.

3. دهن الشوس الابيض: يسكن سائر الاوجاع الحادثة من الالتواء ويحلل البلغم من أي موضع كان وكذلك لا يركب كل ما عمل من النورة بانه يكون ربعاً من الدهن ويجعل للشمس.
4. واما الادهان المركبة من الادوية فليس لها تحديد في الوزن بل هي موضوعة بقانون التركيب على حسب الامراض.
5. دهن القسط المروانجند بادستر: يدهن به اوجاع البلغم والغالج والقوة والخزر ويقوي العصب.
6. دهن الجند بادستر: ينفع مثل نفع القسط ويزد عليه اذا دهن به مؤخر الدماغ زاد في الحفظ/ زيادة جيدة.
7. دهن الروطة: ويدهن به سائر امراض البلغم ويفشي الرياح وينفع من اختلاف الاعضاء ومن عرق النساء.
8. دهن التاغندست: ويدهن به صاحب الفالج والقوة وعرق النساء.
9. دهن القاردين: ويدهن به صاحب الشقيقة، يسكن الصداع ويحلل البلغم من أي عضو كان اذا دهن به.
10. الدهن اخر يستخرج من الحبوب.
11. دهن الفجل ودهن الجرمل والسانوج وما شاكلهما في الطبع.
12. دهن اخر يستخرج من فصوص البيض المنعقدة: ينفع من وجع الاذان ويحلل البلغم.

الباب السادس:

في الشفوفات[1]: (ذكر نوعين من الشفوفات) ولم نتعرف على العدد الباقي منه بسبب عدم وجودها في المخطوط، وقد يكون بسبب سقوط اوراق من الاصل منها الباب السابع (في المراهيم)[2] وجزء من الباب الثامن (الاكحال)[3].

1. شفوف النافع والانيسون: ويشف منه عند النوم كن لكن اراد ان ينقي دماغه، ويخفف قصبة رئته من رطوبات البلغم.

---

(1) كتاب الاشربة/ ص 253 جوارش المسك، منافعه: يفرح النفس ويطيب النكهة ويشهي الاكل ويهضمه ويفش الرياح ويحلل البلغم، وينفع من الاستسقاء ويدر البول والحيض.

(2) ابن رضوان (المنسوب اليه) كتاب الكفاية في الطب/ ص 80- 81. الادهان: مدهن البنفسج ودهن النيلوفر، ودهن القرع، وينفع من السهر وتيبس الدماغ ويرطب البدن ودهن الورد ينفع من الصداع الحر اذا استعمل مع الخل ودهن البابونج يحلل ما يبقى من الورم في الاعضاء العصبانية.

ابن البيطار المالتي/ الجامع لمفردات الادوية والاغذية/ ج1/ 7.

من انواع الادهان/ دهن عصير العنب، ودهن الخل ودهن فلوفس ودهن عقيد العنب.

(3) ابن رضوان (المنسوب اليه) كتاب الكفاية في الطب/ ص 78- 79، السفوفات فالمتخذ منها بالاشياء القابضة كتفاح الكرم والورد والجلنار والسماق وقشور الرمان تقع في سيلان الدم من اللثات لضعفها من جهة الرطوبة، فانها تقويها فاذا طبخت هذه الادوية وزيد فيها العدس المقشر واصل السوس وتمضمض بها تقع في وجع الاسنان وورم اللثات واللسان واللهاة من الحرارة.

الباب الثامن:

(في الاكحال) لا نعرف بداية الباب بسبب سقوط اوراق من الاصل.

2. ويقطر لصاحب الجرب ولصاحب الدمعة والضربة في العين، يقطر بلبن امراة وللصداع ايضاً.
3. كحول التوتية الصفارية: يكتحل به عند النوم، ينفع من الدمعة منفعة جيدة.
4. كحول الاطفال اعريس الجديد: فهو ينفع من سائر امراض عيون الاطفال.
5. كحول التوتية المرازبية:؟.

الباب التاسع: في المربيات.

1. رب السفرجل(1): ينفع من انطلاق البطن الحادث من الصفراء.
2. رب الرمان(2): ينفع من سائر الامراض الصفراوية ويقطع العطش ويلين البطن.
3. رب العنب: ويقوي الكبد ويحلل البلغم والاكثار منه يحرق الدم ويولد الصفراء ويلين البطن.

الباب العاشر: في اللطوخات.

1. لطوخ ينفع من الالتهاب الصفراء، ويسكن حرارة القلب الحادث من حميات الصفراء... ويعمل على المعدة والكبد وما يليه وهذا الطوخ ذكره ابن عزرون في رجزه.

---

(1) ابن رضوان (المنسوب اليه) كتاب الكفاية في الطب/ ص 81. المراهم: الابيض الكافوري يستعمل عند القروح التي مع الحرارة، وعند حرق النار وجميع البثور الحارة اذا تقرضت، ومن المراهم: مرهم النورة المغسولة سبع مرات ومرهم النيل والمرهم الاسود المتخذ بالزفت ومرهم الزنجفر والمرهم المتخذ بالقرليون ومرهم الباسيليسون ينفع من قروح الاذن والمرهم المتخذ بالتمنع ودهن الورد والاسفيج وعصارة التيس والاس المعصور ينفع من البواسير والمرهم المتخذ بالنقيع المصفى ودهن اللوز او البنفسج والسمسم المسحوق وحب السفرجل المسحوق ولب نوى الخوخ ولب نوى الهيلج وحب القرع المقشر.

(2) ابن رضوان (المنسوب اليه) كتاب الكفاية في الطب/ ص 84- 85 الاكحال: يستعمل البذور الملكي بلبن امراة ترضع جارية في اول الرمد وكذلك الشياق الكافوري والشياق الافيوني وشياق مارقوس مذاباً باللبن في اول العلة. ثم الماء في اخرها وكذلك الالعبة اذا كان في العين بثر مثل لعاب حب السفرجل ولعاب بزر المر ويلين النساء وبياض العين اذا احتيج الى النضج فلعاب الحلبة ولعاب بزر كتان ثم الكندري المصفى ثم شياق الكندر غير المصفى فاذا صار قرصة فشياق الابار وفي اواخر الرمد اذا لم يكن بثرياً لزرور الاصفر وعند جرب العين ايضاً وبعد ذلك شياق اليين وشياق قلقند والشياق البردي وينفع من الطرفة ايضاً جميع ذلك وينفع من الرمد المطبوخ فيه البشم المقشر والشعير، حسب السفرجل غير المقشر، وبرز الحسن، والزعفران الصحاح والماميران الصيني. والانروت والسكر وضرورة في ترقة اذا قطر في العين وينفع من الرمد اذا لم يكن معها حرارة وشياق الحلبةولعابها والدواء الاصفر المعجون... وينفع من ضعف البصر كحل خشنام وكحل كاشم وبرز الرمان وثور اهران وينفع من ابتداء الماء ومن السداد كحل باسيلقون وعزيز وشياق المرارات وشياق محمد زكريا وينفع من العشاء الكحال المتخذ بالفلفل والقنديل واجزاء سواء ودان الكدر وينفع من جحوظ العين وشياق السماق.

كتاب الاشربة: ص 254- 255 الباب الرابع السفوفات

1. سفوف منافعه: لمن اراد ينقي دماغه ويخفف رئته من رطوبات البلغم.
2. سفوف اخر ظريف/ يستف منه عند النوم قرر الكف ويقي الدماغ وينفع المعدة وسكن السعال ان شاء الله.
3. سفوف تقي المعدة/ يستف منه كف على الريق.
4. سفوف يهضم الطعام، يستف منه عند النوم.

2. لطوخ للنمش والكلف: ويعجن بالعسل ويجعل ليلاً على موضع النمش والبرش، ويغسل نهاراً بماء بطيخ.
3. لطوخ اخر للبهق الابيض والاسود: يدق الجميع ويعجن بالخل ويعمل لطوخاً على موضع البهق.
4. لطوخ ينفع من البرص: ويلطخ على اطراف الرجلين واليدين ومنها ثم ما اردنا والحمد لله رب العالمين.

"ملحق 1"

بالمؤلفات الخاصة بالادوية والاغذية المخطوطة والمطبوعة.

- ابدال الادوية المفردة عند الطبيب المغربي ابي القاسم الغساني (ت 1019هـ/ 1611م).. عادل محمد علي الشيخ: انظر: (الطب والصيدلة في المغرب العربي) حلقة دراسية يقيمها مركز احياء التراث العلمي العربي- جامعة بغداد، 16/ 5/ 1990.
- الجامع لمفردات الادوية والاغذية/ لأبي محمد عبد الله بن احمد المالقي العشاب المعروف بابن البيطار (ت 646هـ/ 1248م) المطبعة الاميرية- بولاق 1291هـ: بمجلدين.
- الجامع لصفات اشتات البنات وضروب انواع المفردات من الاشجار والثمار والحشائش والازهار والحيوانات والمعادن/ تأليف الشريف محمد بن محمد بن عبد الله الاندلسي الحسني الادريسي (ت 560هـ) مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية- القاهرة، الرقم 4827ل، 4817ل، نسخة مصورة عن الاصل المحفوظ في استانبول (انظر: فهرس المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من 1936- 1955، تصنيف فؤاد سيد، القاهرة 1380هـ/ 1961، ص 202.
- الادوية المفردة او (الجامع في الادوية المفردة) لابي جعفر احمد بن ادريس الغافقي (ت 560هـ/ 1165م).
- الادوية المفردة/ لابي الصلت امية بن عبد العزيز الداني الاندلسي ت 529هـ.

مخطوط دار الكتب المصرية ت القاهرة، الرقم 59 طب، 43 يحتوي 41 ورقة في 25 سطر، قياس 12x12 سم، بخط رديء (انظر فهرس المخطوطات المصورة) (معهد المخططات العربية) وضعه ابراهيم شبوح، القاهرة 1959 الجزء الثالث- العلوم- القسم الثاني- الطب 48.

- ابن البيطار المالقي/ ضياء الدين ابي محمد عبد الله ابن احمد الاندلسي/ الجامع لمفردات الادوية والاغذية/ نشر دار صادر (بيروت د. ت).
- القرشي/ محمد بن احمد ت/ 648هـ 1250م/ معالم القربة في احكام الحسبة/ تحقيق: د محمد محمود شعبان/ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976م.
- الاعتماد في ذكر الادوية المفردة/ ابن الجزار احمد بن ابراهيم بن ابي خالد ابي جعفر (ت 390هـ/ 1004م) مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق الرقم 136ط (قديم 3157) نسخة مصورة في معهد التراث العلمي بحلب رقم 386/ 13 (انظر: فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي- جامعة حلب/ اعداد محمد كمال، حلب 1401هـ/ 1980م.
- التلخيص في الادوية المفردة/ ابن جناح القرطبي (ابو الوليد مروان بن جناح) من القرن الخامس الهجري، تحقيق يوسف ديرنبورغ Derenbourg (باريس 1880م).
- كتابة الكفاية في الطب، المنسوب لعلي بن رضوان، تحقيق د. سلمان قطاية، بغداد 1981 (دار الرشيد للنشر) (ص 69 الجوارشات، ص 70 المعجونات ص 71 المربيات ص 72، الاثرية ص 87 السفوفات ص 80 الادهان ص 81 المراهم ص 82 الشيافات).

- كتابة في الاطعمة والاشربة وفوائدها وخصائصها، مجهول مخطوط مكتبة الاوقاف- بغداد الرقم 1/ 620 مجاميع، ويقع في 62 ورقة، قياس 13x19 سم مخروم الاول (انظر فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة- بغداد/ اعداد: عبد الله الجبوري- مطبعة الارشاد- بغداد 1974 الجزء الرابع، ص 186، التسلسل 6516.
- كتابة في الاغذية ووحفظ الصحة وتدبير الاطفال/ مجهول المؤلف، مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 150، 13ز، ويبحث الكتاب في منافع الاشربة والمعاجين والمربيات والجوارشات والادهان والمسهلات.
- كتابة الاغذية وحفظ الصحة/ لمحمد بن ابراهيم الرندي، مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) ونسخة اخرى مجموع 77.. استعرض المؤلف اصناف الاغذية المعروفة في الاندلس فذكر خواصها ومنافعها او مضارها وكيفية دفع المضار المتولدة عنها بالادوية المفردة والمركبة.
- المؤلف المجهول كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس/ نشر المستشرق الاسباني امبروسيو اويثي ميراندا Amboroso Huici Miranda/ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، المجلد 10، 9 (مدريد 1961/ 1962م.
- ابن رزين التُجيبي الاندلسي / فضالة الخوان في طيبات الطعام والالوان/ تحقيق: محمد بن شقرون/ الطبعة الثانية، دار الغرب الاسلامي (بيروت 1984).
- الزهراوي القرطبي/ ابو القاسم خلف بن عباس المتوفي عام 404هـ/ 1013م التصريف لمن عجز عن التأليف/ المجلد الثالث/ اوله: "هذه المقالة احتوت على ضروب من الجوارشات وصنوف من المعجونات".

المقالة 11: في صفة الجوارشات والكمونيات وما اشبه ذلك.

المقالة 13: في الاشربة والسكنجبنيات والربوب.

المقالة 14: في البخانج والمطبوخات والمنقوعات المسهلة وغير المسهلة.

المقالة 15: في المربيات ومنافعها وحكمة ترتيبها وادخارها.

المقالة 16: في السفوفات المسهلة وغير المسهلة.

المقالة 20: في الاكحال والشيافات واللطوخات.

المقالة 25: في الادهان ومنافعها واحكام اخراجها.

انظر: فهرس الخزانة الحسنية/ تصنيف محمد العربي الخطابي، الرباط 1402هـ 1982م: ج2/ 73.

- كتاب المفردات/ لفخر الدين محمد عبد اللطيف الخنجندي ت 552هـ/ 1157م.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) رقم 6127، خط مشرقي، مداد اسود واحمر يقع 92 ورقة، 27 سطر قياس 16,5x22,5 سم.

يبحث في خواص الادوية وطبائعها وكيفية تركيبها، وفي اخره معجم للادوية مرتب على حروف ابجدية.

- اعيان النبات الشجريات الاندلسية/ لابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري القرطبي ت 487هـ/ 1094م.
- المستعيني في الادوية المفردة/ ليوسف بن اسحق بن بكلارش، الذي خدم المستعين بالله ابي جعفر بن هود.

- كتاب في الادوية واصنافها/ مجهول المؤلف، مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 2430 (ص 22- 91) ويقع في 30 ورقة، 15 سطر، قياس 40x20.

الكتاب مرتب على عشرة ابواب يختص كل باب منها بصنف من اصناف الادوية على الترتيب التالي: الاشربة، المعجونات، الجوارشات، النبيذات، الادهان، السفوفات، المراهم، الاكحال، المربيات، اللطوخات.

- كتاب الاغذية وحفظ الصحة/ لابي عبد الله محمد بن يوسف ابن خلصون، كان حياً في اواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، مخطط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 250. 12ز ونسخة ثانية برقم مجموع 734 وبها اضافات ذكر فيها: جوارشات واشربة واكحال ومعاجين، في نحو ثلاث ورقات.
- بدل العقاقير وترجمتها على ما فعل الاولون من الفلاسفة وعلماء الروح (كتاب الابدال) بخطوط مكتبة دار الكتب المصرية ت القاهرة رقم 5636ك ضمن مجموع لوحة 158- 166 (انظر فهرس المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من 1936- 1955 تصنيف فؤاد سيد/ القاهرة 1380- 1961، ص 99.
- تحفة الاحباب في ماهية النباتات والاعشاب/ مجهول المؤلف، مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الارقام مجموع 304، 5524، مجموع 4944، 2877.
- تفسير اسماء الاعشاب والعقاقير الشائعة/ عبد الرحمن بن محمد الفاسي (ت 1036هـ/ 1525م) الرقم القديم 267 كمجموع.
- حديقة الازهار في شرح ماهية العشب والعقار/ لقاسم بن محمد بن ابراهيم الغساني (المولود عام 955هـ/ 1548م) وما زال على قيد الحياة عام 1009هـ/ 1600م، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985.
- رسالة في الادوية/ لابي اسحق ابراهيم بن احمد التلمساني الثغري.
- مخطط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم 8545 خط مغربي متوسط مداد اسود واحمر وازرق في 9 اوراق في 27 سطر قياس 16x23.
- رسالة في النباتات الطبية/ مجهول. مخطوط مكتبة الاوقاف- بغداد الرقم 22782 ويقع في 168 ورقة قياس 16x13 قديمة الخط (انظر فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف- بغداد، الجزء الرابع (الطب) ص 172 التسلسل 6536).
- عمدة الطبيب في معرفة النبات/ مجهول المؤلف (نسخة خطية في المكتبة العامة بالرباط ونسخة اخرى في الاكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد ARHM.
- منهاج الدكان ودستور الاعيان/ لابي المنى داود ابي نصر بن حافظ المعروف بالكوهين العطار الاسرائيلي الهاروني، كان حياً عام 658هـ/ 1260م.
- مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 314 (ورقة 51- 153) خط مغربي حسن بمداد اسود والعناوين مكتوبة بالاحمر، ونسخة اخرى برقم 6994 في 102 ورقة، 24 سطر، قياس 17,5x22,3 سم.

اول النسخة: (فيها ينبغي ان يحتوي عليه من الاشربة والمعاجين والجوارشات والبوبات والمربيات والاقراص والسفوفات والاكحال والشيافات والادهان وغير ذلك.

- كتاب نجح النجح/ لابي العلاء بن زهر (ابي العلاء زهر بن ابي مروان- عبد الملك ابن زهر، ت عام 525هـ/ 1130م).
- مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط)، الرقم مجموع 538 ص 180- 284 خط مغربي قديم، مداد اسود واحمر ويقع في 22 ورقة، 30 سطر قياس 17,5x23 يتضمن عشرون باباً يتحدث عن مختلف اصناف الادوية من معاجين ومطبوخات وبخاتج وذبيدات ونقوعات ولواعق واطرفلات وسفوفات ودرورتت ومربيات وجوارشات واشربة وترياق.

"ملحق 2"

تفسير بعض المصطلحات الطبية وبالاغذية والادوية والعلاجات التي وردة بالمخطوط_اعتمدنا بتفسيرها على:

1. كتاب التصريف الزهراوي رمزنا له بحرف (ز).
2. كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول لابن الخطيب الغرناطي ورمزنا له بحرف (خ).
3. كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم لابي جعفر احمد بن الخشاء ورمزنا له بحرف (ح).

نقلاً عن كتاب الطب والاطباء في الاندلس الاسلامية/ تأليف محمد العربي الخطابي، ج2/ 289.

- استسقاء: هذا اللفظ يوقعه الاطباء على علة يتفع بها البدن كله ويترهل ويخصونه بالاستسقاء اللحمي، او يتفع بها البدن وحده ويسمونه- ان كان عن ماء بالرقي، ما كان عن ريح بالطبلي (ح) الخطابي/ ج2/ 291 رقم 34.
- الاكحل: هو العرق الذي تسميه العامة عرق البدن، وهو العرق الانسي.
- اكحل: اسم للعرق الذي يقتصد في وسط الذراع وتسميه العامة عرق البدن (ح) الخطابي ج2/ 293 الرقم 57.
- الاعياء: حال يحدث للبدن اما من حركة متعبة مفرطة ونسميها نحن الفشل واما من حركة الاخلاط داخل البدن، وهو اربعة اصناف (ز) الخطابي ج2/ 292 الرقم 51.
- الجلابي: رفارسي معرب، هو ماء الورد (خ) الخطابي ج2 359 (انظر البحث ص 5 رقم 7 شراب الجلابة).
- تخمة: هو الذي يعبر عنه الناس بالشم (خ).
- تخمة: هو المرض المسمى بالشم عند اهل المغرب ويسمى بالمشرق القذف واصله وخمة من الوخامة، وهو الثقل وسوء المغبة فابدلت الواو تاء الخطابي ج2/ 300 الرقم 141.
- تشنج: الالتواء والتقبض (خ) تتشنج، التشنج.
- والشنيج: التقبض يقال منه شنج واشنج وتشنج وشنجة، ويخص الاطباء به انقباض العضو الى جهة فلا يزول منها وبهذا المعنى وقع في سائر الكتاب المنصوري (ح) الخطابي ج2/ 301 الرقم 152.
- اطريفل (معجون): اسم يوناني معناه (ز) وقال الخوارزمي في كتاب (مفاتيح العلوم) ان اطريفل معرب عن الهندية، اطريفل، دواء مركب فيه لامحالة بعض الدهليجات او كلها ويزداد فيه بحسب الحاجة من الافادية، والصواب فيه ضم الفاء (ح). الخطابي ج2/ 356.
- داء الثعلب: هو سقوط الشعر عن موضع من الراس او اللحية بخلط يفسده مع سلامة الجلد من التقرح وقد يكون في غيرهما من الجسد (ح) الخطابي ج2/ 313 الرقم 297.

- ربو: ضيق النفس (ز) ربو: هو الزيادة في اللغة والمرادبة في الطب ضيق النفس وعلوه (ح) الخطابي ج2/ 316 الرقم 328.
- الراتينج: الصمغة المسماة الرجينة (خ) الخطابي ج2/ 369 (انظر البحث ص 5).
- عرق النسا: هو العرق الذي في ظاهر الساق ويقال له نسا فقط (ز).

عرق النسا: قال الثعالبي: (هو اسم للمرض والالم الذي يكون في مفصل الورك ويمتد مع وحشي الساق وربما اتصل بالقدم. الخطابي ج2/ 329 الرقم 465.

- صندليات: طيوب متخذة بالصندل (خ) الخطابي ج2/ 369 (انظر البحث: ص 5 شراب الصندل).
- لقوة: ميل الوجه الى جانب فيمتنع تغميض العين من الجانب الاخر (ح) الخطابي ج2/ 341 الرقم 595. (انظر البحث ص 11).

ان للتراث العربي الاسلامي في الأندلس أهمية كبرى لا يمكن الحصول عليه إلا عن طريق الترجمة لعلماء التراث ترجمة وافية ودراسة آثارهم العلمية أو الأوروبية أو الفلسفية، دراسة علمية باسلوب العصر، واخضاع ما خلفوه من دراسات وبحوث ومؤلفات علمية مختبرية لاظهار جوهرة حقيقتها واعلانها أمام العالم من غير تزويق أو تحريف، علينا أن نهتم باظهار جوهر العلوم الطبية واخضاعها للتجارب والمقاييس الحديثة كما أكد لنا الطبيب العشاب ابن البيطار المالقي ت 646هـ/ 1240م بقول "فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالمختبر لا الخبر ادخرته كنزا سريا" انجبت أرض الأندلس عباقرة الأطباء في مختلف الاختصاصات، وأصبحت قرطبة Cordoba حاضرة الأندلس وأعظم مركز للعلوم والمعارف الاسلامية في أوروبا أثناء العصور الوسطى بالوقت الذي كان الجهل والظلام والمرض يسود العالم المسيحي، كما أشار لنا الجغرافي البكري القرطبي على مظاهر غير حضارية كانت شائعة عند اهل جليقية Galicia نقلاً عن مؤرخ بقوله "لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام الا مرة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغتسلون ثيابهم وهي ضيقة الثياب مفرجة يبدون تفاريجها أكثر ابدانهم" المسالك والممالك، ص 18.

اهتم أهل الأندلس بالوسائل الحضارية كالاضاءة وانارة المدن، فيذكر المؤرخ عبد الواحد المراكشي بقوله "وسمعت ببلاد الأندلس من غير واحد من مشايخها ان الماشي كان يستضيء بسروج قرطبة ثلاث فراسخ لا ينقطع عنه الضوء" المعجب/ ص 52.

أكد الاسلام على النظافة فيذكر ان في مدينة قرطبة وحدها يشيد 3911 حمام للعامة الناس في عصر الخلافة فضلاً عن وجود شبكة للماء الصافي شيدها الخليفة عبد الرحمن الناصر في مدينة الزهراء بواسطة قنوات من الآجر المفخور لساقية عامة الناس والاستفادة منها.

شجع حكام الأندلس العلماء والادباء على مواصلة الانتاج والابداع في تأليف امهات الكتب والحصول عليها من الولايات المجاورة مثل كتاب ديوسقوريدس في النبات والأعشاب.

ترجمة مصنفات اسرة بني زهر الأندلسية في الطب الى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى نذكر منها كتاب الأغذية قام بترجمته بروفايترس وبرناردوس Profatius et Bernardus وكتاب التيسير، بترجمة خوان كابيوس Jean de Capoue كما ترجم كتاب (التذكرة) لابي العلاء من قبل كولان (Colin) عام 1911 في باريس وكتاب الاقتصاد في اصلاح الأنفس والأجساد الذي ترجم الى الاسبانية في رسالة دكتوراه للمستشرقة الالمانية روسا كوني (Kune Rosa) هذه التراجم وغيرها تؤكد على اثر ودور عائلة بني زهر الأشبيلية الأندلسية في ازدهار الطب في العالم.

وصلت الى الاندلس هدية من امبراطور القسطنطينية هدية الى الخليفة الناصر، إذ أصبحت قرطبة في عصره أكبر جامعة في العالم كما يصفها المؤرخ ابن حيان القرطبي بقوله "ان ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفية بعظيم الذخائر، ولم تبق امه سمعت به من ملوك

الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية" نقلاً عن المقري/ نفح/ ج1/ 366.

أشاد ابن خلدون بمكانة قرطبة العلمية واحترام الامم لها في خلافة الناصر بقوله "ومدت اليه امم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان، وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتهاد فيما يعن في مرضاته، ووصل الى سدته الملوك من أهل جزيرة الأندلس لجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب اليها من الثغور الجوفية، فقبلوا يده والتمسوا رضاة واحتقبوا جوائزه وأقطبوا مراكبه" العبر/ ج4/ 299.

الزعفران ومنافعه الطبية في التراث العربي الإسلامي الأندلسي

برع العرب وأبدعوا في التعرف على النباتات والحشائش والأعشاب الطبية وذكر خصائصها وفوائدها واستعمالاتها لمعالجة الكثير من الأمراض وشفاء الجروح وتسكين الآلام، واعتقد المسلمون بأن الدواء والشفاء هو من قدرة الله سبحانه وتعالى كما جاء في محكم كتابه العزيز ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [1].

اعتنى العرب عناية فائقة في كشف فوائد الأعشاب والنباتات الطبية تمثلت تلك العناية العلمية في تصنيف المؤلفات المتنوعة عن المنافع الطبية لاستخدام النباتات والأعشاب بطرق ووسائل علمية دقيقة وتحديد فوائد كل نبات أو عشب ونصائح في عدم جواز تناول تلك النباتات والأعشاب دون دراية وخبرة وتوصية طبية من العشابين بفوائد للجسم والأعضاء.

ذكر العرب بمؤلفاتهم التحذيرات والمخاطر والمضاعفات من تناول بعض النباتات والحشائش والأعشاب على صحة بعض المصابين بالأمراض المزمنة والإصابات الأخرى من دون علم الطبيب العشاب.

اتبع الأطباء العرب مناهج علمية في البحث والتأليف وذكر الفوائد والمنافع الطبية، واستفادوا من الأطباء اليونان أمثال ديوسقوريدوس Dioscoridos وجالينوس Galenos وارسطو طاليس Arstotales، وغيرهم وقد انتشرت وعرفت مؤلفاتهم في بلد الأندلس وعكف العلماء الأندلسيين على ترجمتها من اليونانية وصنفوا على غرارها ملخصات مثلما قام به العالم الطبيب ابن رشد القرطبي المتوفى عام 520ه وصاحب كتاب الكليات.

سعى العلماء الأطباء العرب على تصحيح وتهذيب ما ورد من أخطاء عند الأطباء اليونان وأجادوا بذلك في مؤلفاتهم الطبية مثلما قام به أبي عبيد البكري القرطبي المتوفى عام 487هـ والجغرافي الشريف الإدريسي المتوفى عام 560هـ في كتابه (الجامع لصفات أشتات النبات) فقد أضاف ونقح وصحح ما ذكره العشاب اليوناني ديوسقوريدوس.

أبدع العشاب الاشبيلي صاحب كتاب (زهرة البستان ونزهة الاذهان) في التعريف بماهية الاعشاب والحشائش والنباتات بالاندلس، واعترف صراحة بدور العشابين الذين سبقوه بالدراية والخبرة والتعريف بالمنافع الطبية والفوائد من استخدام النباتات والاعشاب وصرح لنا العشاب الاشبيلي بقوله (وان كان عصري بعيد عن عصر من كان قبلي من المؤلفين فنرجو بعون الله تعالى ان لاتقصر عنهم.. وان كان لهم سبق الابتداء والتعلم في فضل الاقتداء).

انجبت الاندلس احد عباقرة علماء النبات في الحضارة العربية الاسلامية وهو ابن البيطار المالقي (ت646ه) وكتابه المرسوم (الجامع لمفردات الادوية والاغذية) والذي يعد بحق موسوعة في علم النبات والحشائش والاعشاب وهو مفخرة في الحضارة، وقد اعترف الكثيرون من العلماء العشابين بفضل ابن البيطار في طب الاعشاب وخبرته العلمية وابداعاته الطبية، ومنهم ابن الكيثي البغدادي (ت754) وكتابه (مالا يسع الطبيب جهله) وذكر لنا في مقدمة كتابه:

ان اطلع على كل ما كتب في الادوية النباتية ووجدت افضلها الجامع لمفردات الادوية لابن البيطار المالقي، كما اشار البغدادي باهمية الكتاب الا ان فيه الكثير من التطويل والاخطاء في التفسير والتسمية، كما اكد البغدادي ان كل ذلك يهذب ويصحح ويستدرك.

---

(1) الشعراء: 80.

اكد الاطباء العشابون العرب واشاروا بمواصلة البحث والمتابعة التي تساعد على تطوير البحث العلمي الاكاديمي وان الزمن لايقف بل صنعته المتغيرات والظروف والاحوال التي لابد لها ان تتحول الى مايفيد البشرية.

عنى اهل الاندلس بالزراعة واهتموا بمتابعة النباتات والاعشاب والحشائش الطبية وبكل مايتعلق بعملية وطرق الزراعة واصلاح الارض والسقي وكميته والتسميد وكلفة الافات الزراعية وتدبير النبات من بداية زراعته حتى اكتماله ونضوجه، وصنف الاندلسيون المولفات الزراعية ومنهم ابن العوام الاشبيلي وابن البصال الطليطلي وابن وحشية ومؤلفاتهم في علم الفلاحة وفيها من التقانة الحضارية.

أبو العباس بن الرومية الاشبيلي (ت 637هـ) وكتابه (الرحلة النباتة) ويعد من روائع التراث الأندلسي، والذي استفاد من المؤلفات النباتية النادرة والمهمة وقد ذكر المؤرخ لسان الدين بن الخطيب الغرناطي بقوله (الرحلة النباتية وهو الغريب الذي اختص به، الا انه عدم عينه بعده)[1].

يعد كتابه الرحلة النباتية معجماً للاعشاب والحشائش الطبية بالاندلس والولايات الإسلامية وموسوعة نادرة لما فيه من اصناف النباتات واماكنها وفوائد الطبية.

زراعة الزعفران بالاندلس:

ادخل العرب المسلمون من المشرق والمغرب نبات الزعفران إلى اسبانيا بعد عمليات الفتح مع ما ادخلوه من النباتات والحبوب والخضروات والاشجار وغيرها من المزروعات، كما ادخلوا تحسينات علمية على ما كان مزروع في أرض اسبانيا، وسعوا إلى تطوير المزروعات من تطعيم أو تركيب نظراً لملائمة المناخ وجوده الأرض ووفرة الاسمدة والمياه مما خلق في الأندلس في ظل الحكم العربي الإسلامي خلال ثماني قرون من تطوير وابداع وازدهار الزراعة بشكل واسع وتنوع المحاصيل والمنتوج الزراعي الذي امتاز بالجودة والرخاء والفائدة للبشرية.

اشاد المستشرقون والباحثون في التاريخ بدور العرب المسلمين في الزراعة وبراعتهم في جعل اسبانيا تنافس الولايات المجاورة في الإنتاج وجودة نوعيته وغزارته، كما اكد على ذلك المستشرق غوستاف لوبون بقوله (وبرع العرب في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات فليس في اسبانيا الحاضرة من اعمال الري مما اتمه العرب، وادخل العرب إلى حقول الأندلس الخصبة زراعة قصب السكر والتوت والارز والقطن والموز الخ، فأصبحت اسبانيا التي هي صحراء في الوقت الحاضر، عدا بعض الأراضي في جنوبها، جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية الخصبة)"[2].

للشرق الإسلامي فضل كبير على اسبانيا في نقل الكثير من المزروعات والاثمار فضلاً عن الخبرة والادوات الزراعية وسعى اهل الأندلس إلى تطويرها وجعلها ملائمة للعمل في الحقول الزراعية بالاندلس ولا تزال في اسبانيا اليوم النواعير التي اقامها العرب المسلمين والقناطر وشبكات الري وخبرات الزراعيون الغرب ونصائحهم واساليبهم معرفة في اقاليم الأندلس Andalucia في الجنوب الاسباني، ويعترف الاندلسيون اليوم ويتفاخرون بأنهم يمارسون أساليب العرب وطرائقهم ووسائل الري القديمة التي تدر عليهم منتوج زراعي غزير وموارد مالية كثيرة.

اهتم الحكماء العرب بالاندلس بنقل الكثير من المزروعات والاشجار المعروفة بالمشرق لتطوير الزراعة وخدمة الرعية فترى الأمير الاندلسي عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) أول من نقل النخلة إلى اسبانيا، واعترفت بفضله المصادر العربية واشارت بعمله الحضاري، وقد اكدت المستشرقة الالمانية زيغر يد هونكة على ذلك بقولها (كان هذا

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي (ت 776هـ) الاحاطة في اخبار غرناطة/ تحقيق: محمد عبد الله عنان.

(2) حضارة العرب/ نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط3، دار احياء التراث العربي (بيروت 1399هـ/ 1979م) ص 339.

الأمير العربي يزرع أول نخلة في أرض الأندلس وعنها انتقل إلى اوروبا ومع هذا الشجرة العربية التي جاء بها من وطنه اخذ الفن العربي يدخل الأندلس"[1].

انشد الشعراء الأندلسيون القصائد يتمجدون بالنخلة وصنفت الكتب عنها منها ما آلفه القاضي النباهي المالقي (الاكليل في تفضيل النخيل)"[2].

تأثرت اللغة الاسبانية بالمصطلحات الزراعية العربية حتى يومنا إذ يطلق الأسبان على الكثير من المحاصيل والخضروات والفواكه الأسماء العربية بلغتهم الأسبانية، ويؤكد لنا المستشرق الفرنسي ليفي برفنسال Levi-Provencal بقوله (وما تحتويه معاجم النبات من المفردات العربية لايقل نسبة عن ذلك، فأغلب أسماء الفاكهة والزهور التي تزرع في اسبانيا حتى الآن، تشهد بما اخذته الاسبانية من العربية مباشرة من أسماء، عدد من المصطلحات الزراعية عبر جبال البرانس، فأنضم إلى المعجم الفرنسي، مثل البرقوق، وهو المشمش ودخل الاسبانية في صورة Albaricoque، وفي الفرنسية Abricot والزعرور Azerole، والياسمين Jazmin والقطن Algodon والزعفران Azafaran وما زال الزيتون يحمل اسمه العربي Aceituna وكذلك الزيت Aceite، ويرد على الخاطر فيما يتعلق بهذه الثمرة ومشتقاتها:

لماذا لم تحمل لفظها اللاتيني، كما هو الحال في اللغة الفرنسية، ما دامت زراعة الزيتون لم تكن مما ادخله العرب في اسبانيا"[3].

تحدثت المصادر الزراعية الاندلسية عن طريقة زراعة الزعفران وقدمت لنا التوصيات والوسائل الملائمة لزراعته وما يتطلبه الزعفران من خدمات وظروف ملائمة وارض معينة ووقت مناسب، وافضل ما شرحه لنا العالم الزراعي الأندلسي ابن بصال الطليطلي"[4]، واكد على تعليمات زراعية حضارية جاء فيها:

(وجه العمل فيه ان تقام الأرض أحواضاً على ما تقدم ويخط في تلك الأحواض خطوطاً يكون في عمق الخط منها ثلثا شبر ونحوه ثم يؤخذ بصل الزعفران ويجعل منها في عرض الحوض ثلاث عشرة بصلة علة صف وترتب في الأحواض صفوفاً يكون بين صف واحد واخر حدود الشبر ثم يرد التراب عليها ويدخل عليها بالماء ووقت هذا الغرس في شهر مايه فأن فات ذلك ففي شهر يليه وينبت في أول اكتوبر ويوافقه من الأرض السوداء المدمنة والرملة والحرشا المضرسة، ولا ينبغي ان يكثر عليه بالماء لأنه لا يحبه، ومن شاء بصله ان ينتج ويكثر ويتردف بعضه على بعض فاذا صارت كذلك خفف وتقل من فدان إلى غيره. والزعفران لا ينجب الا في البلاد الباردة خاصة.

ومن احب ان يزرع على بصل الزعفران نباتاً يتم قبل نبات الزعفران فعل ذلك مثل الحبق لئلا تبقى أرضه معطلة وكذلك إذا انحطم أيضاً في زمن الصيف يزرع عليه اللوبيا والحبق والسمسم وان كان ذلك النبات يسقى فلا يضر ذلك ببصل الزعفران

وبالجملة فأن الزعفران من النبات الصحراوي فمن اراد ان يرده بستاناً فوجه العمل فيه ما ذكرناه).

---

(1) شمس الله على الغرب (فضل العرب على اوروبا) ترجمة وتحقيق د. فؤاد حسين علي، دار المعارف (مصر 1969م) ص 351-352.

(2) مخطوط خزانة الاسكوريال Escorial بضواحي مدريد ويحمل الرقم الافرنجي 1653، عند الباحث أ. د محمد بشير العامري نسخة مصورة عنه.

(3) الحضارة العربية في اسبانيا/ ترجمة د. الطاهر احمد مكي دار المعارف (القاهرة 1399هـ/ 1979م) ص 118- 119.

(4) كتاب الفلاحة/ تحقيق المستشرق الاسباني خوسي ماريا مياس بيكروسا Millas Vallicrosea، معهد مولاي الحسن (انطوان 1955م) ص 116.

أشارت المصادر لطب الأعشاب بأهمية الزعفران ومنافعه الطبية لمعالجة الكثير من الامراض وشفاء الالام وتقوية البدن، وتحدث الطبيب الرازي عن منافع الزعفران الطبية في كتابه الحاوي وسجل تجارب طبية لفوائد الزعفران فقال:

(كانت امرأة تطلق اياماً فسقيت درهمين من زعفران فولدت من ساعتها وجرب ذلك مرات فكان كذلك)"[1].

اكد لنا الرازي أيضاً على أهمية الزعفران في حالات الولادة كما اكد عدداً اخر من الاطباء العرب واشادوا بفائدته وفضائله الطبية بعد اجراء التجارب التي حققت نتائج جيدة. كما اكد لنا على ما اورده الرازي العالم الطبيب ابن سينا في فوائد الزعفران العلاجية لمختلف حالات الولادة بقوله (وزعم بعضهم: انه سقاه من الطلق المتداول، فولدت في الساعة)"[2].

اعترف المؤرخ السيوطي بأهمية الزعفران في الحمل والولادة للنساء بقوله (للحمل يؤخذ زعفران ومعه ومصطكي من كل واحد درهمين سادوس هندي درهم شمع ثلاثة دراهم ودهن أو دهن ورد يكفيه يذاب الشمع والدهن ويخلط فيه الادوية وتتحمل به المرأة في صوفه فأنها تحمل وهو جيد)"[3]، كما اكد السيوطي أيضاً على فائدة الزعفران لعلاج الجنين الراقد في بطن امه بعد خلطة بأعشاب أخرى"[4].

يتفق الاطباء على مكانة الزعفران في حالات الولادة للنساء ومنهم الانطاكي بقوله (ومثقال منه في قليل من ماء الورد السكر يسرع بالولادة عن تجربة)"[5].

صرح الطبيب القرطبي عن قيمة الزعفران الطبية (إذا استعمل من 4 إلى 6 قمحات ينبه اعضاء الهضم، ويستعمل للروماتزم. ويستعمل مع ماء الورد والسكر لتسهيل الولادة)"[6].

اجرى الاطباء العرب من العشابين تجارب على فوائد الزعفران وتوصلوا إلى نتائج طبية مفيدة، فيذكر الطبري عن ذلك بقوله (الزعفران حار وسط يابس يحلل ويفتح سدد الكبد بمرارته)"[7].

اعتمد ابن قيم الجوزية في حديثه على منافع الزعفران ونقل من ابن سينا بقوله (قد نص صاحب القانون وغيره، على الزعفران في قرص الكافور لسرعة تنفيذه وايصاله قوته، وله نظائر يعرفها حذاق الصناعة، ولا تستبعد منفعة الحار في امراض حارة بالخاصية"[8].

---

(1) الرازي الحاوي.

(2) ابن سينا القانون في الطب.

(3) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي/ (الرحمة في الطب والحكمة)، نشر دار الكتاب/ الدار البيضاء د. ت) ص 183.

(4) المصدر السابق ص 185.

(5) الانطاكي التذكرة.

(6) موسى بن عبد الله القرطبي/ كتاب الطب القديم/ جمعه وحققه عوض واصف، ط2 (مطبعة المحيط، مصر 1932م) ص60.

(7) أبو الحسن علي بن سهل بن الطبري/ فردوس الحكمة في الطب/ تحقيق: محمد زبير الصديقي/ برلين 1928م/ ص 398.

(8) ابن قيم الجوزية/ شمس الدين أبي عبد الله/ معجم التداوي بالاعشاب والنباتات الطبية/ مكتبة النهضة العربية (بغداد 1988م) ص 27.

استفاد صاحب كتاب الكفاية في الطب من استخدام الزعفران في الكثير من الأدوية المركبة لعلاج الكثير من الامراض''[1] فقد تحدث عن جوارشن الطباشير الذي سماه بالزعفراني، ويستعمل في العلل الكائن في الصفراء ويعمل منه معجون الزعفراني الذي ينفع من دوسنطاريا وقروح الامعاء ويقطع الحيض الفرط ونزف الدم''[2].

ويخلط الزعفران مع اعشابها عصارة لحية التيس والقافيا والجلنار ويطبخ بسكر، فالدواء الناتج ينفع في علاج الاسهال الكائن من النزلة''[3].

يستفاد من الزعفران والانزوت في الرمد الذي يكون مع غلظ الأجفان وخشونتها''[4].

كما يستخدم الزعفران في عمل الشيافات لمعالجة العيون ويعمل منه الاكحال مع إضافة اعشاب ومواد طبية أخرى''[5].

استفاد الاطباء العرب من الزعفران بعد خلطه مع عناصر أخرى في صنع السعوطات لمعالجة حالات مرضية''[6].

يعمل الزعفران عند تناوله إلى تغيير لون البول إلى الاحمرار ويستفاد منه في التعرف على اعراض المريض من خلال بوله بعد إعطاء المريض جرعات من الزعفران كما ذكر صاحب الكفاية في الطب بقوله (يستعملون جميع الدلائل التي ذكرنا في تعريف علل المرضى وعلاجهم، وربما يدسون في الماء شيئاً مثل السكر، والزعفران، وينقعون فيه التبن، وسائر ما يتصبغ به الماء، ويجعلون في القارورة، ويأمرون اجراءهم ان يقوموا بتقديم ابوال بعض الدواب إليهم فيوصونهم بتعهد علفهم)''[7].

تابع الجغرافيون الاندلسيون مراكز زراعة الزعفران في المدن نظراً لاهميته في التجارة وبالاغراض الطبية والصناعة فيذكر الشريف الإدريسي ان الورس هو نبات يشبه الزعفران تصبغ به الثياب''[8].

ارتزق الفلاحون على زراعة الزعفران لأنه يشكل مورد تجاري مفيد للعيش ويستجار به إلى البلاد المجاورة في الولايات الإسلامية''[9].

---

(1) المنسوبإلى علي بن رضوان/ تحقيق: د. سلمان قطاية، منشورات وزارة الثقافة والاعلام- سلسلة كتب التراث 109 (بغداد 1981) ص 69.

(2) المصدر السابق/ ص71.

(3) المصدر السابق/ ص 73.

(4) المصدر السابق/ ص84.

(5) المصدر السابق/ ص 83- 84.

(6) المصدر السابق/ ص86.

(7) المصدر السابق/ ص 131.

(8) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الإدريسي/ كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق/ نشر عالم الكتب، ط1 (بيروت 1409هـ/ 1989م) ج1/ 53.

(9) المصدر السابق ج1/ 123، 196.

من المعروف ان بعض الأراضي تكون ملائمة جداً لزراعة الزعفران، فيذكر لنا الشريف الإدريسي في وصفه لمدينة اسنخوا الصينية (وهي على بطحاء أرض ممتدة لا ينبت بها شيء إلا الزعفران غرساً ومن ذان نفسه برياً ومنها يتجهز بالزعفران إلى سائر اقطار الصين ويباع بها منه مايعم الكل كثرة وطيبياً")(1).

يختلف الزعفران من بلد إلى آخر في الجودة واللون والفائدة نظراً لملائمة الأرض والمناخ في مدينة أبة بغربي مدينة الاربس في تونس يوجد فيها صنف من الزعفران الجيد وصفه الشريف الإدريسي قوله (وبها من الزعفران ما يضاهي الزعفران الاندلسي في الكثرة والجودة وارضهما واحدة مختلطة)")(2).

تنتشر زراعة الزعفران في مدن تونس الساحلية بكثرة منها مدينة مجانة (يزرع بصل الزعفران كثيراً)")(3) مثلما يزرع الزعفران في مدن المشرق ويشير الإدريسي إلى مدينة واشجرد وبها (زعفران كثير يحمل إلى كثير من الافاق والبلاد البعيدة وهو اجل غلة)")(4).

تمتاز مدينة وادي الحجارة Guadalajara في وسط الأندلس بتفوق إنتاجها من الزعفران، وقد أكد ذلك الإدريسي بقوله (وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير يتجهز به منها ويحمل إلى سائر العمالات والجهات")(5).

يتوفر الزعفران في مدينة بياسة Baeza وصفها الإدريسي بأن فيها (زراعات ومستغلات الزعفران بها كثيرة)")(6).

اشاد الإدريسي بزعفران الروذراور وهو إقليم بالقرب من همدان ببلاد فارس بقوله (والروذراور إقليم حسن وناحية شريقة ينبت بها الزعفران ليس على قرار الأرض مثله")(7) كما تشتهر مدينة اصبهان أيضاً الجودة وكثرة زعفرانها")(8).

تحدث الجغرافي الاندلسي ابن غالب الاندلسي عن شهرة الأندلس بنوعية الزعفران ذات الجودة العالية والنكهة المميزة والفوائد الطبية وتنتشر زراعة الزعفران في أغلب مدن الأندلس منها مدينة باغة Braga ويجود فيها الزعفران")(9).

واكد ابن غالب على وجود الزعفران الذي لا مثيل في مدينة بياسة")(1) ويتفق مع ما وصفه الإدريسي– اعلاه–.

---

(1) المصدر السابق ج1/ 211.

(2) المصدر السابق ج1/ 292.

(3) المصدر السابق ج1/ 293.

(4) المصدر السابق ج1/ 490.

(5) المصدر السابق ج2/ 553، اورد ذلك الحميري/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة 1937م) ص 193.

(6) المصدر السابق ج2/ 569 اورد ذلك أيضاً الحميري/ الروض المعطار/ ص 57.

(7) المصدر السابق ج2/ 675– 676.

(8) المصدر السابق ج2/ 677.

(9) فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس (نشر بعنوان نص اندلسي جديد قطعه من كتاب) تحقيق: لطفي عبد البديع، مطبعة مصر 1956م، ص 14.

تمتاز مدينة طليطلة Toledo بزعفرانها المتناهي الفضل تتفاوت جودته على كل زعفران"[2].

اشار الجغرافي الاندلسي العذري إلى توفر الزعفران في كورة بلنسية Valencia بقوله (وينبت أكثر أرض بلنسية الزعفران ويحسن فيها"[3].

منافع الزعفران الطبية عند العشاب الاندلسي ابن البيطار المالقي:

وصف العشاب الاندلسي ابن البيطار المالقي الزعفران الطبية معتمداً على ما اورده العشابين اليونان والعرب مضيفاً لهم معلوماته وتعليقاته العلمية وخبرته في علم الاعشاب والحشائش الطبية، وتعد رسالة ابن البيطار المالقي ذات أهمية علمية في وصف قيمة الزعفران واستعماله في معالجة الكثير من الامراض كما اوردها العشابون اليونان منهم:

ديوسقوريدس Dioscorido الذي اكد ان الزعفران ذات منافع طبية وهو (اقواه فعلاً في الطب ما كان في البلاد التي يقال فروقس... واما الذي ينتفع به في الادوية من هذه الأصناف فهو الذي ذكرنا اولها وقد يغش بالدواء الذي يقال له فروقومغا مدقوقاً... ويلطخ بطلاء والبيل إلى معرفة ذلك من الشيء الظاهر على الزعفران كأنه غبار ومران في رائحته شيئاً من رائحة الطلاء"[4].

ذكر جالينوس Galeno منافع الزعفران وفوائده ويرى انه (شيء قابض يسير وهذا منه ارضي بارد ولكن الاغلب عليه الكيفية الحارة فتكون جملة جوهرة من الاسخان في الدرجة الثانية، ومن التخفيف في الدرجة الأولى ولذلك صار ينضج بعض الانضاج ومما يعنيه على ذلك القبض اليسير الموجود في ذلك لأن ما كان من الادوية لا يسخن اسخاناً قوياً وكان فيه قبض فهو في قوته مساو للادوية التي تغرى وتلج إذا كان معهما حرارة موجودة وليست بالشديدة وهي ادوية تنضج"[5].

اكد ديوسقوريدس أهمية الزعفران لمعالجة الكثير من الامراض بقوله (وقوة الزعفران منضجة ملينة قابضة مدرة للبول وتحسين اللون وتذهب بالخمار إذا شرب بالميختج ويمنع الرطوبات التي تسيل إلى العين ان لطخت واكتمل به بلبن امرأة، وقد ينتفع به أيضاً إذا خلط بالادوية التي تشرب للاوجاع الباطنية والفرزجات والضمادات المستعملة لاوجاع الارحام والمقعدة ويحرك شهوة الجماع ويسكن الحمرة وينفع الاورام العارضة للاذان)"[6] وحذر العشاب ديوسقوريدس إذا ما شرب منه كثيراً ونصح المرضى بوضع الزعفران في الشمس أو على خرقة جديدة حارة ويتحرك في كل وقت ليجف ويهون سحقه.

---

(1) المصدر السابق، ص 15.

(2) المصدر السابق، ص 19.

(3) احمد بن عمر بن انس العذري المعروف بأبن الدلائي ت 478هـ/ ترصيع الاخبار، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك/ نصوص عن الأندلس/ تحقيق: د. عبد العزيز الاهواني، معهد الدراسات الإسلامية (مدريد 1965م) ص 17.

(4) نقلاً عن ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن احمد الاندلسي المالقي العشاب المعروف بابن البيطار/ الجامع لمفردات الادوية والاغذية، نشر دار صادر (بيروت د. ت) المجلد الأول/ 162.

(5) نقلاً عن المصدر السابق/ المجلد الأول/ 162.

(6) نقلاً عن المصدر السابق/ المجلد الأول/ 162.

يستفاد من الزعفران في معالجة راض القلبية كما جاء عند ابن سينا بقوله وفيه قبض وتحليل قويات يتبعهما لا محالة الانضاج وله خاصية شديدة عظيمة في تقوية جوهر الروح وتفريحه بما يحدث فيه من نورانيته وانبساطه مع متانة وتعينها العطرية الشديدة مع الطبيعة المذكورة فاذا استكثر منه افرط في بسطه للروح وتحريكه إلى خارج حتى يعرض منه انقطاعه عن المادة المغذية وتبعة الموت"[1].

يصنع من الزعفران مواد عديدة إذ يركب معه مواد طبيعبة أخرى ومنه ينتج مسيح الزعفران (يهضم الطعام ويجلو غشاوة البصر ويقوي الأعضاء الباطنية الضعيفة لما فيه من القوة القابضة إذا شرب أو وضع من ظاهر عليها ويفتح السدد التي تكون في الكبد والعروق باعتدال لما فيه من الحرافة والمرارة الا انه يملأ الدماغ"[2].

نقل العشاب ابن البيطار المالقي معلومات طبية عن حنين بن اسحق وكتابه الترياق عن فوائد الزعفران الطبية العديدة، ويذكر حنين (الزعفران يسهل النفس ويقوي الات النفس جداً وخاصيته ان يقل شهوة الطعام ويملأ الدماغ ويظلم البصر والحواس ويبطل الحموضة التي تكون في المعدة التي بها خاصية تكون شهوة الطعام"[3].

اعتمد العشاب ابن البيطار المالقي في ذكر منافع الزعفران الطبية من الرازي وكتابه الحاوي الذي قال (جربت فوجدت الزعفران مسقطاً لشهوة الطعام فقياً)"[4] وذكر الرازي فوائد الزعفران في حالات الولادة كما ذكرنا انفاً- كما ان الزعفران يسكر سكراً شديداً إذا جعل في الشراب ويفرح حتى انه يأخذ منه مثل الجنون من شدة الفرح"[5].

جاء عن المنصوري ان الزعفران ردئ للمعدة مغث مصدع يثقل الرأس ويجلب النوم"[6].

اورد صاحب كتاب خواصه في الأشياء الطبيعيات ان سام ابرص لا يدخل بيتاً فيه زعفران"[7].

يرى البصري فوائد طبية أخرى للزعفران (ان سحق الزعفران وعجنه واتخذت منه خرزة كالجوزة وعلقت على المرأة بعد الولادة اخرجت المشيمة بسرعة وكذا ان علق على اناث الافراس"[8].

تحدث البصري على منافع الزعفران الطبية لمعالجة الجروح إذا ان ورق الزعفران يدمل الجراح ويقبض وينفح من الشوصة إذا شم واستعط به وخاصيته إذا اكتحل به الماء نفع الزرقة الحادثة من المرض"[9].

اوصى الطبيب اسحق بن سليمان بفائدة الزعفران لمعالجة البشرة وحذر من الاكثار من تناوله شراباً بقوله (خاصيته تحسين لون البشرة إذا اخذ منه بقصد واعتدال والاكثار من شربه والادمان عليه مذموم جداً لأن فيه كيفية تملأ الدماغ والعصب وتضربهما اضرار بينا"[1].

---

(1) نقلاً عن المصدر السابق/ المجلد الأول/ 163.

(2) نقلاً عن المصدر السابق/ المجلد الأول/ 163.

(3) نقلاً عن المصدر السابق.

(4) نقلاً عن المصدر السابق.

(5) نقلاً عن المصدر السابق.

(6) نقلاً عن المصدر السابق.

(7) نقلاً عن المصدر السابق.

(8) نقلاً عن المصدر السابق.

(9) نقلاً عن المصدر السابق.

يرى الطبيب الاندلسي اسحاق بن عمران فائدة الزعفران الطبيه لمعالجة امراض المعدة والمثانة والكبد والكليتين بقوله (دابغ للمعده ييسر عفوسه الكبد مقوها وللكبد وينقي المثانة والكليتين وإذا طبخ وصب ماؤه على الرأس نفع السهر الكائن من البلغم المالح واسدر وأرقد"[2].

ويرى مؤلف مجهول بالاعشاب ان الزعفران نافع للطحال جداً"[3]. أشار ديوسقوريدس إلى فائدة الزعفران كمدرر للبول وينفع في تقوية البصر"[4].

وبذلك نرى ان الزعفران نعمة من نعم الخالق العظيم لعباده في شفاء الامراض ومعالجة حالات عديدة من الاصابات، توصل إلى معرفتها الاطباء العرب المسلمين الذين ساهموا في انقاذ البشرية وتوفير الصحة العامة وانقاذها من الهلاك والدمار، فضلاً عن خدمات العرب الحضارية في ميادين مختلفة عبر تاريخهم المجيد المشرق والمبدع.

(1) نقلاً عن المصدر السابق.

(2) نقلاً عن المصدر السابق.

(3) نقلاً عن المصدر السابق.

(4) نقلاً عن المصدر السابق.

الزيتون في الاندلس واهميته الطبية

أ. د. محمد بشير حسن راضي العامري

الزيتون شجرة مباركة شرفها الله سبحانه وتعالى بمكانة ومنزلة رفيعة في القرآن الكريم في عدد من السور القرآنية:

قال تعالى: ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾ الانعام 1099

﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الانعام 141

وقوله تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ النحل 11

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ التين 1، 2.

﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ عبس 29- 32

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ ﴾ النور 35

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾ المؤمنون 20

حظيت شجرة الزيتون ومنافعها الطبية في الاحاديث الشريفة منها "كلوا الزيت وادهنوا به، فأنه من شجرة مباركة" كما ورد عند الترمذي وابن ماجه.

اشادت المصادر الاولية بقيمة الزيتون الطبية ومنافعه الغذائية للانسان في علاج الكثير من الامراض المزمنة والاوجاع والاصابات بالجلد والشر والعمل على تحقيق ضغط الدم وضربات القلب وخفقانه فضلاً عن زيادة القوة الجنسية عند الانسان والعمل على انخفاض معدل سكر الدم وغيرها من الاصابات التي تلحق اضرار بالانسان.

القيمة الدوائية للزيتون واوراقه وزيته:

تحوي شجرة الزيتون بأوراقها وثمرها وجذورها وزيتها فوائد غذائية ودوائية بنسب موزونة معلومة.

عرفت شجرة الزيتون منذ فجر التاريخ الانساني في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل منذ اكثر من 3500 ق. م فقد استخدموا الزيت في علاج الامراض ولغرض الانارة أيضاً.

الزيتون نوعان البستاني والاخر البري كما ورد في المصادر الزراعية وذكره العالم ابن سينا بقوله (ان الزيتونة شجرة عظيمة توجد في البلاد وهي على نوعين البستاني والبري، وقد يعتصر من الزيتون الفج الزيت وقد يعصر من الزيتون المدرك، وزيت الانفاق هو المعتصر من الفج).

كما يتنوع الزيتون وحجمه ولونه وفوائده وطعمه، اما اجود الزيت للاصحاء فهو زيت الانفاق وجميع انواع الزيت مقوية للبدن منشطو للحركة.

ولورق الزيتون قيمة طبية وعلاجية لكثير من الامراض ويعالج حالات خاصة جداً ولعصير الورقة ورمادها منافع عديدة عرفها العرب في تاريخهم المجيد وعالجوا بها العديد من الحالات المرضية وابدعو في عملية الخلط والاستعمال لاوراق الزيتون بطريقة علمية فاقت تصورات علماء الغرب الاوربي وسبقوهم في الاختراع فضلاً عن الفائدة العالية للثمرة وزيتها ونواها. وتحتوي اوراق شجرة الزيتون على مركبات كيمياوية ومكونات وعناصر ذات فوائد غذائية وطبية وهي: Mannita وزيت اللتيرين Stearin والاراكين Arachin والكولسترين Cholestrin والترايولين Traiolein والليتولين Linolin والبالمتين Palmatin.

كما تحتوي شجرة الزيتون على المواد والعناصر الاتية:

كليسريدات حامض الاوليك Olcic Acid

حامض الاركيدونيك Arachidonic Acid

وكميات قليلة من حامض الليتوليك Linoleic

البالميستيك Palmitic

والستيارك Stearic

ولأوراق الزيتون استعمالات طبية نافعة للإنسان فهي تعد قابضاً وطارداً ومعقماً للديدان ومدراً للبول ومدراً للصفراء وتساعد المرضى المصابين بأرتفاع ضغط الدم وفي علاج بعض الامراض الجلدية كما ان لزيت الزيتون منافع غذائية وفوائد طبية فهو مدرر للصفراء وملين ومهدي ويستعمل مرطباً في الحقن الشرجية للحالات التي ينقبض المريض الغائط أو ينحشر فيصعب خروجه.

يعد زيت الزيتون من أهم المواد النباتية في علاج الامراض النافعة العلاجية وهو على رأس قائمة المواد الطبية، ويمكن عنده اعتباره موسوعة غذائية بالمنافع في الطب الحديث اليوم بعد دخوله للمختبرات واجراء التجارب والحصول على النتائج الطبية وصارت لزيت الزيتون مكانة كبيرة في الصحة الوقائية بموجب المعلومات الواردة في التقارير والموسوعات الطبية والزراعية التي تقتطف منها خصوصاً تؤكد ان منافع زيت الزيتون في معالجة تصلب الشرايين منها شرايين القلب والدماغ وذلك لتأثيره في أعلى مستوى وتركيز الكولسترول ومركباته في الدم. علماً ان مقدار الكوليسترول في دم الاصحاء يتراوح بين 150- 240 ملغم/ 100 مل، والكليسريدات الثلاثية Triglyecides بين 50- 200 ملغم/ 100 مل والبروتينات الشحمية عالية الكثافة HDL 23- 65 ملغم/ 100 مل واطئة الكثافة HDL 50- 135 ملغم/ 100 مل وواطئة الكثافة جداً HDL 0- 40 ملغم/ 100 مل.

يؤدي الزيتون وظائف طبية متنوعة ويعمل على توسيع الشرايين همها، فقد وردت في ابحاث المؤتمر الطبي السنوي لكلية القلب الامريكية تقارير عن عوامل الخطورة في امراض القلب. وتنتظر البشرية من العلم التوصل الى نتائج طبية للاستفادة القصوى من الزيتون وزيته واوراقه لمعالجة الامراض المزمنة ومنها ارتفاع ضغط الدم وغيرها[1].

ولاوراق شجر الزيتون منافع طبية عديدة توصل اليها الباحثون عن طريق التجارب العلمية والدراسات والفحوصات المختبرية عليها، ويرى احد الباحثين ان اوراق شجرة الزيتون عند خلطها بالماء وغليانها لمدة طويلة تتراوح بين ساعة ونصف الى ساعتين ينتج عنها سائل او شراب بني جوزي اللون او برتقالي غامق اللون، ولهذا الشراب او السائل مواصفاتها اهميتها في تخفيض درجات ضغط الدم العالي بمعدل 3- 4 درجات. فضلاً عن اهمية هذا الشراب في معالجة خفقان القلب اذ يسبب ايقاف الخفقات وتهدئة شدة ضربات القلب او ضمورها تماماً. إضافة الى اهمية هذا الشراب في معالجة داء السكري وتخفيض نسبة السكر في الدم.

ان الشراب الناتج من ورق شجر الزيتون يعمل على عدم اجهاد القلب وعدم تضخمه ويمنح الجسم قوة وزيادة مقاومة للامراض مع زيادة الطاقة الجنسية للفرد الذي يستعمله ويؤكد الباحث ايضاً على ان زيت الزيتون يساعد

(1) د. عبد اللطيف البدري/ شجرة الزيتون واهميتها في الطب/ بحث قدم في ندوة شجرة الزيتون واهميتها في الطب/ اتحاد مجالس البحث العلمي العربي ومركز التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد 27/ 6/ 2001م.

في خفض نسبة الكلسترول في الدم ويساعد على فتح مجاري الشرايين والاوردة في والشعيرات الدموية مما يسهل عملية جريان الدم في سائر انحاء الجسم، وتؤكد التجارب التي اجراها الباحث الى نتائج هي:

- توصل الباحث في تجاربه التي اجراها على الزيتون الى النتائج الآتية:
- ان استعمال شراب اوراق الزيتون لمدة شهر الى انخفاض الضغط الدموي العالي من 18 الى 15 درجة او من 19 - 16 درجة مع استخدام حبة 5 مليغرام لكل يومين.
- معالجة خفقان القلب التي كان الباحث يعاني منها اذا اختفت هذه الحالة كلياً بعد تناوله شراب اوراق الزيتون.
- زيادة القوة الجنسية زيادة ملحوظة بعد تناول شراب اوراق الزيتون والتقليل من حبوب الضغط الى كميات قليلة.

وثبت الباحث انخفاض معدل ضغط الدم ايضاً[1].

منافع الزيتون الطبية في مصادر التراث العربي:

اهتم العلماء العرب المسلمون بدراسة الزيتون ومنافعه الطبية لخدمة الانسانية فقد ازدانت مصادر التراث العربي/ بنصوص/ تتحدث عن منافع الزيتون وغذائيته وزيته واوراقه وعروقه ومالها من اهمية طبية في استخدام الزيتون وعملية خلطه او طبخه او تركيبه ووصايا طبية عن كيفية تناول المعمول من الزيتون، فقد اشار ابن قيم الجوزية الى منافع زيت الزيتون بقوله "الزيت بحسب زيتونه، فالمعتصر من التصبيح اعدله واجوده، ومن الفج فيه برودة ويبوسة، ومن الزيتون الاحمر متوسط بين الزيتين، ومن الاسود يسخن ويرطب بإعتدال، وينفع من السموم، فيطلق البطن، ويخرج الدود، والعتيق منه اشد تسخيناً وتحليلاً وما استخرج منه بالماء، فهو اقل حرارة والطف وابلغ في النفع، وجميع اصنافه ملينة للبشرة، وتبطئ الشيب"[2].

يلاحظ ان زيت الزيتون يدخل في عملية التجميل للبشرة وتقوية الشعر ويمنع سقوطه وتأخير ظهور الشيب عليه، ونرى ان كثير من غسول الشعر وما يعرف اليوم بالشامبو الجيد منه والمفيد هو ما يدخل في صناعته زيت الزيتون الذي يقوي الشعر ويكسبه لمعاناً ورونقاً.

ويذكر ابن قيم الجوزية (ان ماء الزيتون المالح يمنح من تنقيط حرق النار، ويشد اللثة، وورقة ينفح من الحمرة، والنملة والقروح والوسخة، والشرى، ويمنع العرق، ومنافعه اضعاف ما ذكرنا)[3].

كما تحدث العالم الاندلسي ابن البيطار المالقي[4] (من مدينة مالقة Malaga في جنوب الاندلس) عن شجرة الزيتون وثمارها وزيتها واوراقها وعروقها ومنافعها في فصل ممتع ونافع وعلمي معتمداً على نقولات من علماء اليونان منهم جالينوس Galinous وديسقوريدس Dioscorides محللاً ومنتقداً لافكارهم العلمية مصراً ومعلقاً على ما ورد عندهم من اراء وافكار علمية، ومما نقل من جالينوس بقوله:

---

(1) د. احسان محمد الحسن/ التطبيب باوراق شجر الزيتون/ بحث في ندوة شجرة الزيتون واهميتها في الطب.

(2) معجم التداوي بالاعشاب والنباتات الطبية/ نشر مكتبة النهضة العربية بغداد 1988، ص 48.

(3) المصدر السابق نفسه ص 49.

(4) شهاب الدين ابو عبد الله بن احمد الاندلسي المعروف بابن البيطار الجامع لمفردات الادوية والاغذية/ نشر دار صادر بيروت، مادة الزيتون 176 - 176.

"ورق هذه الشجرة وعيدانها الطرية فيه من البرودة بمقدار مافيها من القبض، واما ثمرتها فما كان منها مدراً الضيجا ستحكم النضج فهو حار حرارة معتدلة وما كان منها غير نضيج فهو اشد برداً او قبضاً"[1] كما نقل ابن البيطار المالقي عن منافع الزيتون وصناعته الطبية من العالم اليوناني ديسوقريدس صاحب كتاب الحشائش الطبية بقوله (الزيتون البري وورقه قابض إذا دق وسحق وتضمد به بمنح الحمرة من ان تسعى في البلدان ويمنع النملة والقروح والبشر التي تسمى (البرنقش) والقروح الخبيثة وتنقح من الدامس وإذا تضمد مع العسل تلع الخشكريشة، وقد ينقي القروح الخبيثة والوسخة، وإذا خلط بالعسل وتضمد به حلل الورم الذي قال له فوخثلن والاورام الحارة ويلزق جلد الراس إذا انتلع وإذا وضع ابرأ القروح التي في الفم والقلاع، وإذا تضمد بالورق مع دقيق الشعير كان صالحاً للاسهال المزمن وعصارته وطبيخه يفعلان ضد ذلك وعصارته إذا احتملت قطعت سيلان الرطوبات السائلة من الرحم المزمنة ونزف الدم وترد نتوء العين وتنفع من قرحها التي يقال لها قلقطايا) من قروح اخر وتقطع سيلان الرطوبات المزمنة اليها، ولذلك تقع في اخلاط الشيافات لتأكل الاجفان وسلاقها، وإذا اردت ان تخرج عصارة الورق فدقة ورش عليه في دقك إياه شراباً أو ماءاً ثم اعصره ثم جفف العصارة في شمس ثم اعملها اقراصاً، والعصارة التي يقع فيها شراب هي اقوى من العصارة التي يقع فيها الماء واصلح للخزن منها ويصلح للاذان التي يسيل منها القيح والاذان المتقرحة، وقد يحرق الورق مع الزهر فيستعمل بدل التوتياء، إذا لم تكن حاضرة بأن يؤخذ ويجعل في قدر من طين ويطين رأسه بطين ويرفع في اتون ويودع حتى يستوي ما في الاتون ويبر خزفاً، ومن بعد ذلك يرش عليه شراب ويبرد ثم يعجن ثم يحرق ايضاً ثانية مثل ما احرق او لا ثم يغسل كما يغسل اسفيداج الرصاص ثم يعمل اقراصاً وقد يضن به انه إذا حرق على هذه الصفة انه ليس بدون (التوتياء) في منفعة العين، ولذلك يتوهم ان قوته مثل قوتها وقوة ورق الزيتون البستاني شبيهة بقوة ورق الزيتون البري غير ان قوة البستاني اضعف وهو اكثر موافقة من البري للعين لانه اساس واخف عليها منه)[2].

لقد استفاد العالم الاندلسي ابن البيطار من اطباء المشرق الاسلامي كما ذكر من منافع الزيتون الطبية ابن سينا ما يخص منافع ورق الزيتون في الطب بقوله "ورق الزيتون يقبض وينفع من تأكل الاسنان إذا طبخ وامسك العليل ماءه في فمه، وورق الزيتون يطبخ بماء الحصرم حتى يصير كالعسل ويطلى به على الاسنان المتأكلة فيقلعها"[3].

اهتم العلماء العرب المسلمون بدراسة الزيتون ومنافعه الطبية لخدمة الانسانية يقول الطبري في استعمال شراب ورق الزيتون وقيمته الطبية.

"وإذا احتقن به نفع من قروح المقعدة الباطنة والرحم ويعالج ورق الزيتون البري إذا احرق ومد به معجوناً بالماء الحار عرق النسا فوق العرقوب بأربعة اصابع من الجانب الوحشي ويترك عليه حتى يتقرح الموضع كان ذلك من مرة واحدة او من اكثر فأنه يسيل من الموضع مادة كثيرة ويتأكل اللحم الذي خلل الليف وتبرأ بذلك الشكاية جملة ثم يعالج الموضع بالادوية الملحمة"[4].

(1) المصدر السابق نفسه/ ص 174.

(2) المصدر السابق نفسه/ ص 174- 175.

(3) المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(4) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

يستفاد طبياً من اخشاب شجرة الزيتون في علاج الامراض الجلدية وينقل لنا ابن البيطار عن ديسقوريدس عن ذلك بقوله "خشب الزيتون البستاني إذا الهب فيه النار وتلطخ به ابرات النخالة التي في الرأس والجرب والقوباء"[1].

ولعروق شجر الزيتون منافع طبية وفوائد لمعالجة لدغات العقارب ومعالجة امراض الزكام والبرد كما جاء في كتاب الفلاحة بقوله، وان اخذ عروق شجر الزيتون وورقها وطبخها بالماء وتمضمض به وهو حار من شكا رأسه من برد سكن الوجع، وإذا صبه المزكوم على رأسه جلل رطوبة كثيرة من رأسه واحدرها وخفف الزكام، وان كب بخار هذا الماء وصبر على ذلك حتى يبرد وينفذ بخاره احذر رطوبة المنخرين والرأس واجراها تنقلا وهو دواء جليل المقدار لهذه العلة"[2].

لنوى ثمرة الزيتون فوائد طبية ومنافع إذا ما خلط لمعالجة امراض ديسقوريدس ان "ماداخل نوى الثمر إذا خلط بشحم ودقيق الآثار البيض العارية"[3].

للزيتون اصناف ولكل صنف فوائد خاصة منه الماء الذي يقال له فولسلدس "إذا كان مسحوقاً وتمد به لم يدع حرق النار ان يتنقط وينقي القروح الوسخة"[4].

ويذكر اسحاق بن عمران عنه ان "الزيتون الاخضر بارد يابس عاقل للطبيعة دابغ للمعدة مقو لشهوتها بطئ الانهظام ردئ الغذاء، فاذا ربي بالخل كان اسرع انهضاماً واكثر عقلاً للبطن، وإذا عمل بالملح اكتسب حرارة منه حرارة وكان الطف من المنقع في الماء"[5].

كما ان للماء المملح الذي وضع فيه الزيتون وكبس منافع طبية إذا ما تمضمض به كان علاجاً لشد اللثة وعمل على تقوية الاسنان المتحركة[6].

كما ان للزيتون الطري والجديد منافع طبية فالذي لونه لون الياقوت ماؤه يحبس البطن، وهو جيد للمعدة"[7].

ويحذر ابن البيطار المالقي من تناول الزيتون الاسود الناضج واضراره الطبية على المعدة "انه سريع الفساد ردئ يف المعدة غير موافق للعين، وإذا احرق وتضمد به منع اللقروح الخبيثة سمن ان تسعى في البلدان وقلع القروح"[8].

للزيتون الاسود خصائص تفضل على الاخضر، فالاسود حار يابس وهو اسرع هضماً من الاخضر وإذا انهضم في المعدة انقلب الى المرارة الصفراء ثم تعفن فصار سوداء، وكذلك صار فاسداً مظلماً للعينين[9].

وقد اوصى ابن سينا الزيتون الذي يفتح الشهية في وسط الطعام ولكنه يبطئ هضم الطعام في المعدة[1].

---

(1) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(2) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(3) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(4) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(5) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(6) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(7) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(8) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(9) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

وتحدث العلماء عن عملية استخراج الزيت من انواع الزيتون العذب والتيق ولهما خصائص وفوائد طبية كما ورد عند جالينوس ويرى العالم اليوناني ديسوقريدس الزيت الذي يعمل من الزيتون الغض الذي لم ينضج هو زيت الانفاق وهو اوفق للاصحاء وخاصة ماكان حديثاً غير لذاع طيب الرائحة، وقد يستعمل منه ماكان على هذه الصفة في ادهان الطيب، وهو جيد للمعدة لما فيه من القبض ويشد اللثة ويقوي الاسنان إذا امسك في الفم ويمنع من العرق، والزيت العتيق الذي من الزيتون النضيج يصلح للادوية، وجميع اصناف الزيت حارة مليئة للبشرة تمنع المبرد من ان يسرع الى الابد وتنشطها للحركة وتلين الطبيعة وتضعف قوة الادوية[1].

يؤكد الخبراء المختصون بدراسة الزيتون ومنافعه الطبية ان زيت الزيتون له فوائد طبية في اخراج الديدان من البطن، وينفع إذا ما احتقن به من به القولنج العارض من اورام المعدة، وكانوا يكتحلون به ليحد البصر ويقويه.

يمتاز زيت الزيتون البري بمنافع وخصائص وفوائد طبية مفيدة تفوق غيره من الزيوت فهو (قابض منفعته في الطب لمن به صداع مثل موافقة دهن الورد ويحقن العرق ويمنع الشعر القريب من سقوطه ويجلوا النخالة من الرأس لزيت الزيتون منافع طبية وفوائد للنساء الحوامل عند الولادة وللمواليد الصغار كما اوردها لنا الطبيب او الكاتب عريب بن سعيد القرطبي في كتاب "خلق الجنين وتدبير الحبالى او المولودين" "في صفة سقوف نافع من الانطلاق الشديد: إذ يعمل من زيتون فج اخضر ويحتمله الصبي من اسفل وتغسل مقعدته الا إذا امتلأ"[3].

وتستخدم القابلة او المولدة للحوامل زيت الزيتون لطلي الرحم لينزلق الجنين سريعاً ولا يؤلم امه او يحدث خدشاً في بيت الرحم وذلك في الحالات التي يكون فيها الجنين عظم الراس واحست بذلك القابلة الرفيقة فتلطف اخراجه وتفتح بأصابعها ما يمكنها وتمده مداً سهلاً ممكناً حتى تخرجه[4].

ويشيد الاطباء باستخدام الزيت عند اولادة لتسهيل خروج الجنين من رحم امه وذلك "بطلي حبال الرحم من الداخل والخارج لتسهيل خروج الولد وينفع اوجاع الطلق "[5].

اشار الطبيب القرطبي عريب بن سعيد الى منافع زيت الزيتون في عمليات الولادة ومعالجة امراض الجنين المولود، ومنها مرض الربو ويوصي بأن (يدهن اصول اذنيه بالزيت السخن، ويعصر اصل اللسان عند الحلق فيكبس الاسفل قليلاً حتى يتقيأ الطفل فأنه يبرأ بإذن الله)[6].

قد نهج الاطباء في الاندلس منهج الاطباء اليونان امثال ابقراط وجالينوس وديوسقوريدس وغيرهم واستفادوا من نظرياتهم العلمية في منافع الزيتون وثماره وزيته وعروقه واضافو الى تلك المعلومات وعلقوا عليها

---

(1) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(2) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(3) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 175.

(4) غريب بن سعيد القرطبي/ كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالي والمولودين/ تحقيق وترجمة: نور الدين عبد القادر/ الحكيم هنري جاهية/ الجزائر 1375هـ/ 1956م/ ص 72. صنف الكتاب في عهد الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله حكم للاعوام 350-366هـ وهو من نوادر التراث العربي وجواهره الحضارية في الاندلس.

(5) غريب بن سعيد القرطبي/ كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى/ ص 47.

(6) المصدر السابق نفسه/ ص 49.

وزردوها بتجارب عديدة واراء سديدة ولم يكن الاطباء الاندلس مكتوفي الايدي متكلين على ما وقفوا عليه من نصوص وتعليمات طبية بل ابدعوا وعملوا التجارب وجاءوا بتوصيات طبية نافعة ومهمة في استخدام زيت الزيتون في الطب وعلاج الامراض ومن هؤلاء الاطباء موسى بن ميمون القوطبي الذي صنف العديد من الكتب في الطب واشار الى اهمية الزيتون وثماره وزيته وعروقه في مجال الطب وعلاج الامراض وتغذية الانسان واصلاح جسده[1].

يؤكد السيوطي على فائدة الزيتون البري وزيته إذا ما خلط معه العسل وغيره من المواد في علاج الاورام التي تصيب الانسان وباقي اعضاء الجسم[2].

كما ان لماء الزيتون الذي يعمل او يطبخ به فعالية طبية إذا ما استخدم مع الشحوم وغيرها لمعالجة اصابة الحزاز والقروح إذا لطخ بها[3].

ويستفاد من ورق الزيتون مع قشور الرمان والسماق وزعفران بمقدار درهم إذا سحق الجميع ويستعمل لمعالجة امراض الفم واوراقه[4].

كما يعالج تعب الاسنان والحمرة التي حول الاسنان والاضراس بإصول الزيتون البري مع مواد وعصائر اخرى[5].

ويمكن معالجة قوق جلد اليدين وذلك بإستخدام زيت الزيتون المطبوخ ثم دلك الشقوق برفق لمرات عديدة وسوف تبرأ الشقوق بإذن الله[6].

وينفع زيت الزيتون في علاج وجع الجوف والاعضاء بموجب الوصفة الطبية الاتية:

"تأخذ الحرمل وتدقه جيداً ويضاف عليه زيت طيب ويسخن على النار ويفطر عليه ثلاثة ايام يبرأ بإذن الله تعالى"[7].

لزيت الزيتون خصائص حسب نوعية الزيتون ويرى جالينوس ان الزيت المتخذ من الزيتون البري قوته مركبة تجلوا وتقبض معاً وهو زيت يابس جداً على قياس انواع الزيت والادهان[8].

والزيت الجيد له منافع طبية جمة في علاج امراض العين والاكتحال به له فوائد كثيرة ويذكر صاحب كتاب الفلاحة "ان اكتحل من بعينه ريح السبل او في اجفانه رطوبة غليظة باردة يابسة بيسير من زيت عتيق ازال ذلك عنه وقوى بصره وزاد نوراً الى نوره، وإذا اكتحل بالزيت المبيض بالطبخ بالماء والنار اللبينة من في عينه بياض وادمنه اذاب ذلك البياض وازالة على طول الايام وشفاه من جميع العلل العارضة من زيادة الرطوبة وهو يقوم للعين النازل فيها الماء

---

(1) المصدر السابق نفسه/ ص 75.

(2) موسى بن جيمون، حياته ووصفاته/ د. اسرائيل ولفنسون/ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة 1355هـ- 1939م).

(3) جلال الدين السيوطي/ الرحمة في الطب والحكمة/ نشر دار الكتاب الدار البيضاء د. ت/ ص 65.

(4) المصدر السابق نفسه/ ص 65.

(5) المصدر السابق نفسه/ ص 69.

(6) المصدر السابق نفسه/ ص 74.

(7) المصدر السابق نفسه/ ص 75.

(8) المصدر السابق نفسه/ ص 79.

مقام القدح بالحديد إذا قطر فيها، وإذا حككت رأس الميل حكاً كثيراً، ويجب ان يكون هذا الزيت قد عتق سنة وما زاد على ذلك كان افضل"[1].

يفيد الزيت المعتق في معالجة لسعات العقارب بعد ان يسخن ويدهن الموضع المصاب بلسع فسوف يسكن الوجع حالاً[2].

الاندلس: بلد الزيتون:

امتازت الاندلس بوفرة اجود اصناف الزيتون لملائمة المناخ والارض لزراعته فضلاً عن خبرة اهل الاندلس في تهيئة الظروف الجيدة للاكثار من زراعته والاستفادة من ثماره واوراقه وعروقه واخشابه[3].

تحدث كتب الفلاحة عن زراعته الزيتون والاعتناء به وتوفير الاجواء الجيدة له فيذكر عنه ابن بصال الطليطلي (نسبة الى مدينة طليطلة Toledo) ان غراسة الزيتون في شهر اكتوبر ووجه العمل في غرسه ان يؤخذ وتد الزيتو في هذا الشهر ان كان بكيرا وان كان مؤخراً فيؤخذ في شهر مارس ويكون طوله ثمانية اشبار ويقطع بصفرته، وتكون الحفرة المعدة التي يغرس فيها بعمق اربعة اشبار وينزل الوتد في تلك الحفرة ويجعل حوله الجبادل ويرد التراب عليها ولا تملأ الحفرة منه تترك منخفضة ليكون الماء فيها مستقراً ويستوفي الوتد بإنخفاضها شرب الماء ويجعل بين وتد ووتد عشرون ذراعاً وهو مذهب اهل الشام، فهذا وجه غرسه ان شاء الله تعالى، وانما قلنا ان يجعل الجبادل حول الوتد لكي يتغذى الوتد ببردها لان الزيتون حار رطب فإذا فصل الوتد من الثمرة وغرس سكنت الحرارة فيه، فيحرك برد البجنادل تلك الحرارة فتنبه.

صفة اخرى في غرسه، يؤخذ الوتد ويكون قوياً موفراً في الغلظ يكون في غلظه نحو الذراع او اغلظ ان امكن ويكون طوله 8 اشبار ويحفر له حفرة على نحو ما تقدم وينزل الوتد في الحفرة ويرد التراب ولا يسوي مع وجهة الارض ويسقي بالماء مراراً وينزل ذلك التراب شيئاً بعد شيء فإذا نزل بعد السماء مراراً صرف التراب الى مكانه واستوى مع وجه الارض وانما يفعل ذلك به من اجل ان الوتد اول ما يغرس لا يقبل من لطيف الارض شيئاً يتغذ به الا بواسطة وهو الماء لانه يغوص في الحفرة المصنوعة ويحل اجزاء التراب ويلصقه بالوتدد ويقبل الماء لطيف التراب فيتعدى به الوتد حتى يقبل الغذاء من الارض بلا واسطة يجري عند ذلك الماء في العود ويتم ان شاء الله"[4].

اما صفة زراعة نوى الزيتون فكان معروفاً في بلد الاندلس "ووقته شهر اكتوبر ووجه العمل فيه ان يؤخذ من مختاره ويكون زيتوناً لم يمسه ملح بوجه، ويغرس ذلك النوى في قصارى بعد ان يجعل من القصارى من التراب الموافق للزيتون مثل الارض الخشنة العلكة وذلك في البلاد الباردة خاصة ولارض المتحجرة والحزشا لان الارض العلكة لا يخترقها السقي كذلك، لان قوائمها مغلقة، واما الحلوة المدمنة فمسامها مفتوحة يسري فيها الماء ويخترقها سريعاً، فإذا

---

(1) نقلاً عن ابن البيطار م الجامع لمفردات الادوية والاغذيةم ص 177.

(2) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 177.

(3) نقلاً عن ابن البيطار/ المصدر السابق نفسه/ ص 177.

(4) ابن بصال الطليطلي/ كتاب الفلاحة/ تحقيق وترجمة للاسبانية خوسيه ماريه ميابس بييكروسا ومحمد غريمان/ معهد مولاي الحسن (تطوان 1955) ص 60– 61.

جعل التراب في القصارى زرع فيها من ذلك الزيتون من الارضيين، الارض البيضاء اللينة الباردة الرطبة وما شاكلها ان شاء الله"[1].

وتحدث لنا ابن العوام الاشبيلي[2] عن زراعة الزيتون وفوائده الطبية لمعالجة اصابات وللعرب في الاندلس اصالة وتجربة في زراعة الزيتون وتطويره وازدهاره ويعود الفضل للعرب المسلمين في ادخال زراعة الزيتون الى الجزيرة الاسبانية والاعتناء به حتى ان كلمة الزيتون دخلت اللغة الاسبانية فلفظوها (Acetuna) فهي ذات اصل عربي.

وقد زاد العرب من عناياتهم بشجرة الزيتون بعد الفتوحات الاسلامية في الشام وشمال افريقيا.

وحظى الزيتون بعناية علماء الزراعة العرب في الاندلس وخصوصاً له فصولاً وابواباً وذكروا تجاربهم وخبراتهم التي توصلوا اليها نظراً لفوائده العديدة الغذائية والطبية.

اشادت المصادر الجغرافية بخصوبة ارض الاندلس ووفرة مياهها، وكثرة انهارها، فلقد وصفها الرحالة التاجر البغدادي ابن حوقل النصيبي اثناء زيارته لها ابان عصر الخلافة ايام الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) بقوله "وتغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والانهار العذبة، والرخص والسعة في جميع الاحوال"[3].

كما تفاخر شعراء الاندلس بارضهم ومناخهم ومياههم الجميلة ومنهم ابن خفاجة الاندلسي بقوله[4]:

يا أهل الاندلس لله دركم ... ماء وظل وانهار واشجار

ما جنة الخلد الا في دياركم ... ولو تخيرت هذى كنت اختار

لاتخشوا، بعد ذا، ان تدخلوا سقرا ... فليس تدخل، بعد الجنـ، النار

كان للعرب دور كبير وبارز في اعمار الاندلس وتشييد النهضة الزراعية التي عمت البلاد فهم الذين نقلوا الاساليب الزراعية المعروفة انذاك الى المشرق سائر الولايات العربية والاسلامية[5].

تشد المستشرقة الالمانية زغريد هونكه بدور العرب المسلمين بنقل محصول الزيتون الى اسبانيا مع غيره من المحاصيل الزراعية والاستفادة منه في الاغراض الغذائية والطبية، وما قدمه العلماء العرب من نتاجات علمية لفائدة الانسانية انتقلت الى اوربا[6].

---

(1) المصدر السابق نفسه/ ص 61.

(2) ابن العوام الاشبيلي/ ابن زكريا يحيى بن محمد بن احمد/ كتاب الفلاحة/ تحقيق وترجمة للاسبانية جوسيه انطونيو بنكيري/ المطبعة الملكية (مدريد) 1802م/ ص 567.

(3) عادل ابو النصر/ تاريخ النبات/ ط1 (بيروت 1962م) ص 230.

(4) ابن حوقل/ ابي القاسم محمد بن الحوقل صورة الارض، دار الحياة (بيروت د. ت) ص 104.

(5) ديووان ابن خفاجة/ نشر دار صادر (بيروت د.ز ت) ص 117.

(6) جعفر الخياط/ ابن البصال رائد الفن الزرعي الحديث في الاندلس/ مقالة نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي/ المجلد 15 (بغداد 1387هـ/ 1967م).

يؤكد الباحثون دور العرب الحضاري في اسبانيا وما تركوه من تراث خالد في المجال الزراعي ونذكر ما قاله الخياط "والحق ان ما فعله العرب في الميدان الزراعي قد تخلد الى الابد لانه خلف اثاراً لا تمحى في لغة الاسبان وغيرها من اللغات الاوربية، وان الكثير من المحاصيل الزراعية كالقطن والزيتون والرز وغير ذلك لاتزال تحمل نفس الاسماء العربية في هذه اللغات مع شيء لا يخفى من التحريف والتصحيف"[1].

ظلت اسبانيا اليوم بفضل جهود العرب الحضارية عبر تاريخهم المجيد، زاهية مزدهرة زراعياً تعجب الزوار والسياح بجمالها وحدائقها وخيراتها الاقتصادية، كما وصفها الزائر الباحث الدكتور احسان عباس بقوله "الاندلس كأنها بستان واحد متصل، كثيرة المبنى والثمار، واذا سافر المرء من مدينة الى اخرى، يار في مناطق عامرة ماهولة تتخللها قرى كثيرة نظيفة مبيضة الدور من الخارج،..."[2].

نجح العرب في تحويل اراضي الاندلس الى غابات خضراء تعانق السماء، ولم يتركوا فداناً واحداً دون ان يزرعوه بفضل الوسائل الهندسية الزراعية وبطرق علمية في الري واستعمال جيد لانواع الاسمدة لزيادة محصول الزيتون والفواكه والخضار[3].

تحدثت المصادر الجغرافية والتاريخية عن مراكز زراعة الزيتون في مدن ودورد وقصباته التي تمتاز شبه الجزيرة الايبرية (الاندلس) بجودة محصول الزيتون بطعمه ولونه وحجمه وعصيره نظراً لملائمة المناخ وجودة الارض الصالحة لزراعته ووفرة المياه وخبرة اهل الاندلس في زراعته وتكثيره وتحسين نوعيته، إذ يستفاد منه في الصناعة والغذاء والعلاج وعلف للحيوانات واغراض البناء.

وتمتاز اشبيلية Sevilla وتتفوق على غيرها من مدن الاندلس بوفرة اجود اصناف الزيتون وغزارة انتاجه وذلك في اقليم الشرف Aljrafe وهو "اشرف بقعة في الارض واكرم تربة، المغترس بالزيتون القائم في اخضراره، المبارك عند اعتصاره، ولا يتغير به حال ولا يعروه اختلال قد اخذ في الارض طولاً وعرضاً فراسخ في فراسخ، وفضل عصيره ياخذ في كل افق، ويركب به البحر الى المشرق، ويبقى زيته برقته وعذوبته اعواماً لايتغير طعمه، ولا يؤثر فيه مكث، فاضلاً بخاصته بقعتها على غيرها من الزيت"[4].

ويؤكد الجغرافي الشريف الادريسي وفرة الزيتون في اشبيلية ومدينة لبلة Nievla وقد حددت المساحات الواسعة المزروعة بالزيتون بقوله "وجل تجارتهم بالزيت بتجهزته منها الى اقصى المشارق والمغارب براً وبحراً، وهذا الزيت عندهم يجتمع من الشرف، وهذا الشرف هو مسافة اربعين ميلاً، وهذه الاربعون ميلاً كلها تمشي في ظل شجر الزيتون ظالتين اوله باشبيلية واخره بمدينة لبلة وكله شجر الزيتون، وسعته اثنا عشر ميلاً واكثر"[5].

---

(1) زيجريد هونكه/ شمس الله على الغرب (او فضل العرب على اوروبا)/ ترجمة د. فؤاد حسنين علي/ دار المعارف (مصر 1969م) ص 220- 235.

(2) جعفر الخياط/ ابن البصال رائد الفن الزراعي الحديث في الاندلس/ ص 214.

(3) د. احسان عباس/ تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) دار الثقافة (بيروت 1978م ص 20- 21).

(4) سند السيد باقر الفحام العدد 4/ الهندسة الزراعية عند العرب/ مقالة في مجلة المورد، المجلد 6 (بغداد 1977م).

(5) العذري (ابن الدلائي) احمد بن عمر بن انس (ت. 478هـ) ترصيع الاخبار وتنويع الاثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك (نشر بعنوان نصوص عن الاندلس) تحقيق د. عبد العزيز الاهواني مطبعة معهد الدرايات الاسلامية (مدريد

واشاد المؤرخ الاندلسي المجهول بجودة الزيتون بالاندلس وطول مدة ادامته في اشبيلية بقوله "ومن الشرف يجلب الزيت الى جميع بلاد الاندلس وبلاد الافرنج والمغرب ويطمر زيتونه تحت الارض ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه الزيت اكثر مما يخرج منه طرياً"(1) اما الجغرافي الاندلسي الزهري فقد تحدث عن عملية صناعة زيت الزيتون في مدينة اشبيلية وجودته وتفوقه بقوله "وهذا الزيت اطيب زيوت المغمور كلها واودكها، ويصير تحت الارض عشرين سنة واكثر فلا يزداد الا حسناً ويخرج زيته ولا يعود ذلك عليه"(2).

وتحدث الجغرافي المغربي الحميري السبتي عن كثافة زراعة الزيتون في اشبيلية وجودة اصنافه في اقليم الشرف بقوله "ويطل على اشبيلية جبل الشرف وهو شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة فراسخ في فراسخ طولاً وعرضاً، لاتكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه، وزيته من اطيب الزيوت كثيرة الرفع عند العصر، لا يتغير على طول الدهر، ومن هناك يتجهز به الى الافاق براً وبحراً، وكل ما استودع ارض اشبيلية نمى وزكى وجل"(3).

انتشرت زراعة الزيتون في اغلب مدن الاندلس وقد اورد لنا الطغنزي الاندلسي في كتابه المخطوط "ان الاندلس لما قحطت في زمان القحط، وجف جميع شجرها، واقفرت من القحط، وجفت اوديتها الكبار وعيونها، إلا العتبة بواد فحص غرناطة، ثم من الله بالمطر في العام الثامن، وعمرت الاندلس، ان الزيتون جوز في المراكب من بر افريقية على ما وصفنا واغترس منه زيتون الاندلس حيث كان"(4).

وقد اكد ياقوت الحموي على اهمية اقليم الشرف بزراعة الزيتون في مدينة اشبيلية بقوله "الشرف بلد بحذاء مدينة اشبيلية يحتوي على قرى كثيرة، عليه اشجار الزيتون، واذا اراد اهل اشبيلية الافتخار قالوا: الشرف تاجها لكثرة خيره(5).

يمتاز اقليم فحص البلوط valle de perdrocho بضواحي قرطبة بوفرة الزيت وتعدد اصنافه التي بلغت خمسة وعشرين نوعاً من اجود اصناف الزيتون وعمل المزارعون العرب على نشرها، وقد اقتبسها منهم اهل اوروبا

1965م) ص 95- 96. كما اورد النص ابن غالب الاندلسي/ فرحة الانفس في تاريخ الاندلس (نشر بعنوان نص اندلسي جديد) تحقيق د. لطفي عبد البديع (مطبعة مصر 1956) ص 23.

(1) الشريف الادريسي/ ابو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسني (ت. 56هـ) كتا نزهة المشتاق في اختراق الافاق/ شر عالم الكتب (بيروت 1409هـ/ 1989م) ج2/ 54.

(2) المؤلف المجهول/ ذكر بلاد الاندلس/ تحقيق وترجمة للاسبانية لويس مولينا Luis Molina ((مدريد1984م) ج1/ ص 63.

(3) الزهري ابو عتد الله محمد بن ابي بكر (ت. اواسط ق56) كتاب الجغرافية/ تحقيق محمد الحاج صادق/ المعهد الفرنسي في دمشق/ مجلة الدراسات الشرقية/ العدد21 (دمشق 1968م) ص89.

(4) الحميري ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم/ كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار (نشر بعنوان صفة جزيرة الاندلس منتخبة من:) تحقيق: ليفي بروفنسال/ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة 1937م ص21، وانظر المؤلف المجهول ذكر بلاد الاندلس/ ج2/ 46 (ومدينة ابدة وبها الزيتون كثير).

(5) الطغنزي/ محمد بن مالك/ مخطوط/ زهير البستان ونزهة الاذهان/ الورقة 81 مخطوط مصور عن المكتبة الخزانة العامة بالرباط/ المغرب يحمل رقم 126.

ووردت كذلك في كتبهم[1] هذا وقد اشار العالم ابن حجاج الاشبيلي إلى مكانة الزيتون بالاندلس بقوله: "نصب الزيتون يغرس في الأرض البيضاء الجرداء الجافة غير الندبة ويجتنب الأرض المهزولة الرطبة ذات الحجارة الصغار والسوداء الرملة، ولا يصلح في الأرض النتطافية التي يشتد فيها الحر"[2].

ويؤكد ابن حجاج الاشبيلي على نوعية اراضي زراعة الزيتون بقوله: "اما الأرض العميقة فينبغي ان تجتنب للزيتون، إلا انها تربي شجر الرمان؛ وتصيرها عظيمة، واما ثمرة الزيتون فانها تكون قليلة الزيت كثيرة الماء يبطئ نضجها... والارض اللزجة المكرة (الحمراء) جداً فانها لبردها غير موافقة لشجر الزيتون"[3].

ويتفق الطغنزي مع ما اورده أعلاه ابن حجاج الاشبيلي بقوله "ان اجود الأرض للزيتون البيضاء والجرداء، وفي الأرض الجافة غير الندية، ولا ينبغي ان يغرس في الارض السبخة ولا في الأرض المتطافية"[4].

وفي زراعة الزيتون يجب مراعاة المسافات بين المزروعات وان تكون الابعاد متساوية ويؤكد عليها ابن حجاج الاشبيلي بقوله: (فانه مع ما في ذلك من الحسن وجودة المرتبة يصير الشجر اخصب ويحمل ثمرة اكثر)[5].

ويوضح ابن بصال الطليطلي – كما اسلفنا– ثلاث طرق لغراسة الزيتون بوسائل علمية ومتطورة لم يتوصل اليها علماء الغرب"[6].

وذكر الطغنزي عدة طرق في غرس الزيتون وزراعته فمنها ما يكون من نباته أي ما ينبعث حول شجرة الزيتون، أو من اوتاد على الصفة، فضلاً عن غرس الزيتون بواسطة فروع الشجرة، وهي الطريقة التي تعرف اليوم بالترقيد جاء فيها "يؤخذ من فروع الزيتون الغلاظ قدر الساق، أو ما يقارب ذلك، فينتشر في كل عود موضع، فان كان في العود طول انتشر منه موضع اخر وثالث على قدر طول العود ويجعل بين النشر ذراعان، ثم يدفن العود معرضاً تحت سطح الأرض، ويغطى بالتراب تغطية جيدة بحيث يكون عليه التراب غلظ الشبر ويسقى مرة في الشهر، ويصهرج حواليه، فان اللقح ينبعث من كل مكان اثر فيه المشار، فاذا انبعث اللقح على قدر الذراع ينقى منه الضعيف ويترك القوي، ولا يقتصر في حراسته من المواشي ولا يغتر في عمارته والنظر فيه، فاذا ارتفع اللقح نقل منه ما يصلح للتنقيل. ويكون ذلك في شهر مارس[7].

كذلك اهتم علماء الاندلس بمكافحة الافات الزراعية ومنهم ابن العوام الاشبيلي الذي يقول ان الزيتونة اذا اعتلت ولم ينفع فيها علاج فيطرح عند اصلها من الزيتون الرطب الحديث وتترك عاماً واحداً ثم ينزع بعد ذلك، وتعمر عمارة جيدة فانها تصلح وتجود. اعلموا ان داء الزيتون المهلك له هو ان يعطش شجره عطشاً مفرطاً فان ذلك يهلكه

---

(1) ياقوت الحموي/ ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي/ معجم البلدان/ دار صادر (بيروت 1977) ج3/ 337.

(2) عادل ابو النصر/ تاريخ النبات، ط1 (بيروت 1962) ص230.

(3) احمد بن محمد بن حجاج الاشبيلي/ المقنعفي الفلاحة/ تحقيق صلاح جرار وجاسر ابو صفية/ منشورات مجمع اللغة العربية الاردني (عمان 1982م) ص53.

(4) المصدر السابق نفسه/ ص86.

(5) الطغنزي/ زهر البستان ونزهة الاذهان/ مخطوط الورقة 80.

(6) المقنع في الفلاحة/ ص90.

(7) جواد علي/ كتاب الفلاحة/ مقالة في مجلة المجمع العراقي المجلد 6، (بغداد 1378هـ/ 1959م) ص565.

ويهلك جميع الشجر ويحدث للزيتون ايضاً اليرقان في ورق ما لطف من اغصانه التي في اعاليه، وربما اصفرت اطراف الاغصان اقل من اصفرار الورق، وزوال هذا الداء عنها يكون بمطر كثير يقع عليها، وان سقيت بالماء العذب من نهر جار اياماً كثيرة ويرش به مخلوطاً بيسير من الزيت يوماً ويوماً ينفعها[1].

وزودنا ابن حجاج الاشبيلي لمعالجة امراض الزيتون بالاندلس بوسائل علمية حديثة متطورة عرفها بقوله "صبت على اهلها ماء الزيتون مخلوطاً بمثله ماء عذباً وان كانت تلقى ثمرها، فالق عند اصلها تين فول، واسقها ماء الزيتون وملحاً وماء عذباً"[2].

اوضح الطغنري طريقة زراعية متطورة في مكافحة الامراض التي تصيب شجرة الزيتون بقوله "فلو تكاثف ورق الزيتون البري وهو الزنبوج، أو إلى شجر البلوط، فيدق ورقه أي هذا الشجر ثم يعصر ويجعل ماؤه في اناء ويضاف إليه من الماء بقدر ما يكون جزء من عشرة، ويحفر عند اصل الزيتون حتى تبدو عروقه، ثم يصب عليها الماء في اصلها وعروقها حتى تبتل، ويجعل ذلك بها في ليالي البرد اربع مرات فيكثر حمله"[3].

رعاية المحتسب الاندلسي للزيتون وحمايته من الغش والتلاعب حظى الزيتون بحماية قانونية تولاها المحتسب لمنع الغش والتلاعب بصناعة الزيت لانه يشكل خطورة وغشاً يخالف تعاليم الشريعة الاسلامية، وقد وردت مسائل عن الزيوت من كتب الحسبة في الاندلس منها، ويجب ان لا يشترى الزيتون الغض ولا شيء من الفاكهة إلا ممن يعرف له مال، فان ذلك سرقة من المعتدين على اموال الناس[4].

واكد المحتسب الاندلسي على دقة كيل الزيتون وسلامته من الغش، ويوصي المحتسب ابن عبدون على الكيل قبوله "يجب ان يكون رسم قدح الزيتون في اخذ العثور على رسم واحد لا يزاد فيه، فيكون كالعرف"[5].

واهتم المحتسب ابن عبد الرؤوف بمتابعة بائعي زيت الزيتون وصانعيه من الغش ويوصي المحتسب او التدليس ونقل لنا نصوصاً من ابن حبيب الالبيري القرطبي في كتابه الواضحة جاء فيه "وزيت الماء وزيت المعصرة كامة صنف واحد. وزيت الماء وزيت المعصرة رقيقه وغليظة، طيبة ورديه، لا يجوز التفاضل فيه، ويجوز بيعه متفاضلا بزيت الجلجلان وزيت الكتان والجوز لاختلاف منافع ذلك ويمنعون إلا يخلطوا الزيت الرديء ولا يغشوا فيه بماء أو غيره، فان فعلوا بتمكين وعثر عليهم، ادبوا ويؤمرون بتربة الكيل للمبتاع، وان يتصدقوا بما يجتمع في الضحاف من بقايا مكايلهم من الزيت لا يحسبونه فان ذلك من حقوق الناس[6].

كما حرص المحتسب الاندلسي على النظافة في حفظ الزيت باوان فخارية لكي لا يصيبه من التاكسد والتلوث حفاضا على الصحة العامة للناس، وجاء في فصل النظر في مكاييل الزيت عند ابن عبد الرؤوف المحتسب: ويحتاج ان

---

(1) الطغنزي/ زهر البستان ونزهة الاذهان/ مخطوط الورقة 80.

(2) ابن العوام الاشبيلي/ كتاب الفلاحة/ القسم الاول/ 613.

(3) المقنع في الفلاحة/ ص54.

(4) زهر البستان ونزهة الاذهان/ مخطوط الورقة 81.

(5) رسالة ابن عبدون في القضاء والحبسة/ نشرت ضمن ثلاث رسائل اندلسية في ادب الحسبة والمحتسب/ تحقيق: ليفي بر وفنسال/ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة 1955م.

(6) المصدر السابق نفسه/ ص58.

يكون مكيال الزيت من فخار حنتم مزجج رقيق، وهو احسن من النحاس لانه في النحاس ينحضر ويتزنجر، وفي غير المزجج من الحنتم يتمسك في قاعه منه. وتجعل في المكاييل علامة ظاهرة ينتهي اليها حد الكيل فمن وجد منهم على هذه الحالة نهي، فان عاد ادب[1] النصوص المذكورة اعلاه تؤكد عدالة اهل الاندلس وحسن اهتمام المحتسب في متابعة بائعي الزيت وحماية الناس منهم وتطبيق شعائر الاسلام وهو احد مظاهر ازدهار الحضارة الاسلامية بالاندلس لتطبيق العدل والمساواة والامن وختاماً نتول ازدادت كتب الطبيخ في المغرب والاندلس بظهور الزيتون وزيته في الكثير من الاكلات لفائدته وتدخل هذه الاطعمة وتعمل مع مواد اخرى كالدجاج والسلق والجبن والتوابل "ومن الزيتون عشر ويقشر الجبن ويقطع صغاراً ويغلى في زيت حتى يحمر ويطرح في القدر"[2].

تحدث العالم ابن رزين التبجيبي[3] الاندلسي عن الطبخ الاندلسي واستخدام الزيتون وزيته في عدد كبير من الموائد لما لها من منافع طبية وغذائية فضلاً عن وفرة اجود اصناف الزيتون في الاندلس وشغف اهل الاندلس بتناول كميات كبيرة من الزيتون وخبرتهم في خزنه والاستفادة منه في الكثير من الوجبات الغذائية.

لاتزال اشجار الزيتون منتشرة في اسبانيا في المناطق الجنوبية في اقليم الاندلس Andalucia وتذكر الاسبان بفضل العرب في ادخاله او اكثاره وتحسين انواعه واستخراج زيته بواسطة المعصرة (Almazara) التي كانت تنتشر في كل مدن الاندلس، وقد ابدع العرب في الاستفادة من الزيتون في صناعة الخمور حتى ان الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله (حكم للاعوام 350- 366هـ) صمم على محاربة الخمور ومنع صناعتها في الاندلس بعد ان شاور وزراءه باتلاف المحاصيل التي يعمل اهل الاندلس منها الخمور، كما ذكر لنا المؤرخ الحميدي الميورقي في الخبر الاتي "قد رام قطع الخمر من الاندلس وامر باراقتها وتشدد في ذلك وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع اعماله فقيل له انهم في سائر الجهات. قال ابو عمر يوسف بن هارون الكندي قصيدة مشهورة متوجعاً لشاربها.... "[4]

ليتذكر الاسبان اجدادنا العرب حملة راية الحضارة الانسانية الى ارضهم فلقد صاروا موضع فخر وكبرياء لان العرب حكموا ارضهم اكثر من ثمانية قرون جلبوا لهم الخير والنعمة والعزة والثقافة والعدل وحرية العمل واصبحت اسبانيا اكبر بلد سياحي في العالم بفضل العرب.

---

(1) رسالة احمد بن عبدالله بن عبد الرؤوف في اداب الحسبة والمحتسب (نشر ضمن ثلاث رسائل اندلسية في اداب الحسبة والمحتسب) ص105.

(2) المصدر السابق نفسه/ ص108.

(3) المؤلف المجهول/ كتاب الطبخفي المغرب والاندلس/ نشر وتحقيق امبرسو ويني ميراندا/ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد/ الجلد 9و 10 (مدريد 1961 1962م) ص56.

(4) فضالة الخوان في طيبات الطعام والالوان/ تحقيق: محمد بن شقروت/ دار دار العرب الاسلامي/ ط2 (بيروت 1984م).

الفروسية الأندلسية(*)

المقدمة:

حث الاسلام على الاهتمام بالفروسية وامتلاك الخيل والاعتناء بها، والتعرف على اصنافها الجيدة، لما فيها من المتعة والقوة والعز والجمال، فكان لها دور كبير واهمية بالغة في حملات الجهاد، والاستفادة منها في الحياة اليومية، والعرب جعلت الخيل بمثابة الابناء عندهم.

ذكر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز الخيل واهميتها، وجاءت لفظة الخيل في ست سور من الكتاب الحكيم هي:

1. "الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون"[1].
2. "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل"[2].
3. "وما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب"[3].
4. "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة"[4].
5. "واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك"[5].
6. "والعاديات ضبحا، فالموريات قدحاً"[6].

كما ورد ذكر الخيل في الاحاديث النبوية الشريفة من هذه الاحاديث:

"الخير معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة"[7].

"ان الله ليأجر العبد على حبه الخيل وان لم يرتبطها"

"من هم فرساً في سبيل الله كان له قبل اجر الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر والباسط يده بالصدقة ما انفق على فرسه"

"من كثرت سيئاته وقلت حسناته فليرتبط فرساً في سبيل الله، ومن ارتبط في سبيل الله كان كمن نصر موسى وهارون، وقاتل فرعون وهامان"

(*) بحث نشر في مجلة صدى التاريخ ، تصدر عن الامانة العامة لاتحاد المؤرخين ، العدد 9 (بغداد – ايلول 2001 م) الصفحات 58- 93.

(1) النحل.

(2) الانفال.

(3) الحشر.

(4) ال عمران.

(5) الاسراء.

(6) العاديات: 100 العاديات هي الخيل، والضبح: صوت حلوقها اذا عدت، فالموريات قدحاً اي اوردت الناس بحوافزها.

(7) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

"ما من مسلم الا حق عليه أن يرتبط فرساً في سبيل الله اذا طاق ذلك"[1].

"البركة في ثلاث: في الفرس والمرأة والدار "[2].

وبذلك اوصى الرسول الكريم ﷺ بتكريم الخيل والحفاظ عليها، ونهى عن امتهانها ووضع لها سهمين في الغنائم، ورفع عنها الزكاة، وحث على ارتباطها لانها الخير والبركة.

اهتدى الخلفاء والصحابة والقادة المسلمون رضي الله عنهم لهدى الرسول العظيم ﷺ بالعناية والاهتمام بالفروسية والخيل، فالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى اهل حمص يحث اهلها على ان يعلموا اولادهم الفروسية والسباحة والرمي "[3]. لانها رمز للبطولة والايمان بالنصر في الحياة الاسلامية.

وهكذا اصبحت الخيل تشغل تفكير العرب المسلمين في اعدادها والحفاظ عليها واختيار صفاتها والاهتمام بانسابها والعمل على المحافظة عليها واكرامها، وتضيف المؤلفات لها والقصائد الشعرية عنها، والتباري بامتلاكها والتبادل باهداءها الى الملوك لما لها من اهمية ومكانة ومعاني سامية في جبانهم، حتى اصبح العربي يشبع فرسه ويؤثره على نفسه واهله وولده"[4].

تعتبر الفروسية من النظم العسكرية بالاضافة الى ما فيها من النظم الاجتماعية في الحضارة العربية الاسلامية، حيث كان الفارس يتدرب اولاً على القواعد الحربية مثل ركوب الخيل وعلاجها والاعتناء بها والتعرف على استخدام السلاح عليها، والقتال عليها، اضف الى ذلك تربية النفس على الفضائل والاخلاق الحميدة والصبر على المرابطة في الثغور والحصون والتعود على الحياة الخشنة بعيداً عن البذخ والترف وعن الاهل، وبذلك يتم اعداد الفارس اعداداً عسكرياً واخلاقياً من اجل مواجهة الظروف الصعبة والاحتمالات القاسية والطارئة في الحرب من اجل الاسلام ولتحقيق النصر على الاعداء.

اصبحت الخيل تشكل جزءاً مهماً من تنظيمات الجيش الاسلامي، وصار لها اهمية كبيرة تعادل اهمية المقاتل واحياناً اكثر منه فائدة، حيث اخذت تستخدم الخيل في اغراض متعددة منها:

1. واسطة لركوب الفرسان المقاتلين.
2. لنقل المؤونة العسكرية.
3. اسحب العربات والاليات الحربية مثل المنجنيق والدبابة وغيرها.
4. اتخاذها كدروع أمام وخلف القطعات العسكرية او لاخفاء اعداد المقاتلين المتجحفلين في الحملات.

قواعد واصول الفروسية:

تحدثت كتب الفروسية والخيل عن القواعد الاساسية التي يجب على الفارس معرفتها في ركوب الخيل وقدراته ومعالجته، نذكر الامور الهامة منها:

اكدت المصادر على ان "الفروسية اصول لا يصلح كل اصل منها إلا بصاحبه وتتفرع منها الى معاني كثيرة ولن تكمل فروسية رجل حتى يتعلم هذه الاصول:

---

(1) الاحاديث الشريفة وردت عند ابن هذيل الغرناطي، حلية الفرسان، ص 10- 11.

(2) سنن ابن ماجة 643.

(3) مخطوط: كتاب في الفروسية، المؤلف مجهول، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، يحمل الرقم مجموع ق32 الورقة 343/ 10.

(4) الصاحب تاج الدين، البيطرة، ج1/ 55.

- الاصل الاول: الذي هو الرأس ولا يتم فروسيته الا باحكامه، وجوب الركوب والثبات والبصر بأخذ العنان والحذق به ومعرفة ما يصلح من الدواب في الخلق والمركوب.
- الاصل الثاني: اللياقة والعلم بالعمل والاسلحة وحملها والثقافة والعلل التي يجود العمل بها ويفسد.
- الاصل الثالث: الشجاعة والتدبير كصناعة وشدة قلبه عند المخاطرات والمبارزات فمن كان في يده من الاصليين شيء كان عالماً، ومن جمعت فيه الاصول كان كامل الفروسية، وكانت باجمعها في يده، وعلى انه ان لم يكن مطبوعاً على الشجاعة لم تنفع بكثير من علمه واعلم ان الاصل الشجاعة وفرعها الاحتساب واستشعار الصبر والعلم بمالك وما عليك"[1].

هذه القواعد الهامة يجب على الفارس مراعاتها وتعلمها وتطبيقها وتحت اشراف معلمين مختصين مهرة بهذه الحرفة في اماكن وساحات خصصت لغرض التدريب في الولايات الاسلامية، كما يتطلب من الفارس متابعة مؤلفات الفروسية والخيل وبيطرتها واخبارها ليستفاد من الاراء والنصائح والتوجيهات المهمة، كما يجب عليه ان يحقق نجاحاً في امتحان يجرى له امام لجنة من المعلمين ذوي اختصاص وخبرة عالية في الفروسية والخيل، تخرجه فارساً ماهراً شجاعاً ناجحاً يعتمد عليه في المهمات الصعبة، وعند حصوله على الشهادة يقام له حفل استقبال بهيج من الاهل ابتهاجاً وفرحاً باكمال عمله وسط جمع من الناس.

اما النصائح والاراء المفيدة التي قدمت للفرسان فهي كثيرة ومتعددة الجوانب والاغراض والمنافع منها:

الثبات على الفرس بدون سرج اي على فرس عربي، اكدت عليها المصادر بقولها "واصل الفروسية الثبات على الفرس العربي وانه لمن لم يتفرس على عربي لم يصبح ركوبه ولاثباته. وكان قلقاً ابداً من سرجه حين يجب ويركض، ولا يؤمن عليه السقوط اذا اضطرب به فرسه او اصابته منه.

فقد رأيت (المؤلف) من يدعي الفروسية ويحمل الرمح اذا كان غير فارس وعلى العربي يسقط من فرسه او عند علة تكون من الته وحبس فرسه او وثبة يثبت به.

واعلم انه لو كان مع الرجل عدة افراس ثم دهمه احد من عدو يقي عجله لم يكن منها فرس مسرج ولم يحسن يركب عدياً، كان راجلاً ولم ينتفع بشيء من خيله، واذا كان يحسن ركب على اي حالة وقاتل على عربي ونجا، فقد رأيت (المؤلف) من كان كامل الفرسية، انما الفارس الكامل الجند الثبات الليق كان ثابتاً في ظهر فرسه السليم من العيوب التي يعاب بها الفرسان، ومن تعاطى هذا الشأن ولم يحكمه والافاكثر الناس بركب الدواب ويجربها ويسقط، فأبد بتعليم الركوب عدياً، ولا يستحي من ذلك فانك تريد وجه الله به وتطلب ادباً شريفاً قد عجز عنه اكثر الناس الا ترى ان القليل من يطلب هذا الشأن"[2].

اذن الفارس البارع من يستطيع ركوب فرسه بدون سرج ويعتمد ذلك على مهارته ومعرفته وبراعته في الركوب والتزامه بالقواعد وثباته الجيد على جواده وهو الافضل عند الشجعان من الفرسان.

---

(1) كتاب في الفروسية، المؤلف مجهول، الورقة 343/ 10 وانظر كتاب في معرفة الفروسية وعلامات الخيل ومداواتها، المؤلف مجهول، مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد ويحمل الرقم 975، وله نسخة اخرى في مكتبة برلين. المعلومات التي ذكرت في المخطوطين السابقين فيهما اختلاف بسيط في المعلومات وانظر كذلك المخطوط: فيض النيل في اداب الفروسية والمعرفة باوصاف الخيل مخطوط المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان- المغرب، ويحمل الرقم 343 الورقة 3.

(2) كتاب في الفروسية، المؤلف مجهول، الورقة 353/ 10، وانظر مخطوط فيض النيل الورقة 14.

ان امساك العنان للجواد من المهمات الاساسية للفارس، وجاءت فيها قواعد ونصائح اوردتها المصادر الخاصة بالفروسية قالت فيها: "واعلم ان عماد الفروسية جودة امساك العنان والثبات واللياقة فحسن شمائل الفارس وحسن قدره وقعوده في السوح واستواء رجليه وسكون جوارحه واما حسن القعود في السرج فانه يقعد مستوياً منتصباً غير مبارح ولا متصد (التصدر الفاحش)"[1].

كما ينصح الفارس اذا اراد ان يتعلم، فليتخذ فرساً شديد القوام والخلق مطواعاً ليس محاد النفس، صالح الجري ساكنه، لين المعاطف بأن التعليم على مثله امكن منه على الحاد"[2].

اما عن افضل الوان الخيل فهي الشقر، وذلك عن ما جاء عن رسول الله ﷺ من ميله اليها، وثنائه عليها في الحديث الشريف:

"يُمن الخيل في شقرها" و "اللهم بارك في الشقر" و "لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ثم ارسلت لكان سابقها اشقر"[3].

وعندما سئل الوالي موسى بن نصير عن افضل الوان الخيل واصبرها بالحرب في الاندلس، قال: "الشقر"[4].

والعرب كانت تفضل وتستحب اناث الخيل في الحملات، فيذكر ابن هذيل الغرناطي وغيره ما نصه: "ولما خفي من امور الحرب، وكانوا يستحبون فحول الخيل في الصفوف والحصون والسير والعسكر، ولما ظهر من امور الحرب، وكان يستحبون خصيان الخيل في الكمين والطلائع لانها اصبر وابقى في الجهد"[5].

اما الوصايا التي تقدم للفارس في الحرب فعديدة ومهمة منها: اتجاه الشمس والماء والارض والمباغتة، اوردتها لنا كتب الفروسية نذكر منها:

"اذا كان الفارس امير حرب فينبغي له ان يكون صاحب تدبير في الحروب وله في ذلك قدم راسخ، وقد جرت العادة وقايس الحروب واهوالها، فان توجه لحرب فليجتهد ان يجعل الشمس والريح خلف ظهره، وان امكنه ذلك ويحتل ان تكون في وجه عدوه، وكان مولانا رسول الله ﷺ يفعل ذلك في حروبه، وكان ينتظر زوال الشمس في كثير من غزواته.. كما ينبغي ان يكون نزوله على الماء لئلا يسبقه العدو اليه، ويكون العطش سبباً لهلاكه،... وكما يتحرى زمن الارض ذات المياه والسواقي ولا يغتر بطلق الخيل في مرج للرعي والاستراحة مع التغافل ليلاً كان او نهاراً. فربما دهم العدو بغتة وهم لا يشعرون، والملوك واصحاب الخيول لا تزال لهم خيول مسرجة، ملجمة حذراً من هجوم امر بغتة لا

---

(1) كتاب في الفروسية، المصدر السابق، 10/ 353.

(2) كتاب في معرفة الفروسية وعلامات الخيل ومداولاتها، لمؤلف مجهول (المصدر السابق) الورقة ب 42، وانظر ابن هذيل الغرناطي، حلية الفرسان، ص 117، 124، 127.

(3) ابن جزي الكلبي الغرناطي (من اهل القرن الثاني الهجري)، مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الخيل، ونشر بعنوان "كتاب الخيل" تحقيق، محمد العربي الخطابي، بيروت 1406هـ/ 1986م، ص 50، وانظر: فيض النيل، المصدر السابق، الورقة 48.

(4) ابن جزي الكلبي الغرناطي، المصدر السابق، ص 50.

(5) ابن هذيل الغرناطي، حلية الفرسان، ص 129، وانظر: ابن هذيل الغرناطي / تحفة الانفس وشعار سكان اهل الاندلس، ص 53.

يمكن معه التأني، والملوك تفعل ذلك في الليل والنهار والحرب والسلم والسفر والحصن، وهي عادة مستمرة، وتسمى خيل النوبة، وتوقف في اقرب المواضع"[1].

واما الشروط والنصائح التي يجب ان يتحلى بها الشيخ والمعلم والمدرب للفرسان والتي لها تأثير واهمية كبيرة على الفارس المتخرج في صغره من اجل نجاحه في حياته الجهادية في ساحات الوغى، فقد ذكرت لنا المصادر عن ذلك اخباراً منها:

"ان علم الفروسية يحتاج الى قواعد تتضمن احوال المبتدأ في تعلمه وتدريبه واخذه على شيخ يؤهله الى ذلك، كما ان الفرس يحتاج الى سايس عارف يؤدب في صغره او كبره، ان فاته التأدب في الصغر، لان الفرس الصغير ايسر الادب من الكبير، وكذلك المتعاطي للفروسية بارتباط، اما صغيراً او اخذها عن شيخ صالح كان ابلغ واحسن ممن يتخذها وهو كبير وخصوصاً ابناء الاشراف والولاة فينبغي لهم ان يتعاطوها في الصغر اذ هو اليق بهم واحسن، ولان الشيوخ يغلبون عليهم في صغرهم، فان بلغوها اشدهم يغلبون على كبير خصم ويدعون المعرفة وشبح منهم وهم يجهلون.

وقال بعض الحكماء من لا تأدب له في صغره ولم يراس في كبره، قلت لا فالمتعلم في الكبر فلم يرسخ فيه التعلم كما يرسخ في الصغر في اول عنفوان القوة والطفولية.

وينبغي "للشيخ المعلم" ان يكون جامعاً لثلاثة شروط: ان يكون ذا بصيرة، وان يكون خالياً من الاهواء، وان لا يكون مغتراً في دينه ودنياه"[2].

هذا غيض من فيض للنصائح والتوجيهات والتي زخرت بها مصادر الفروسية والخيل، وكما يدل على عمق الخبرة والاهتمام عند العرب في تقديم مثل هذه المعلومات الاساسية، ولا نريد ان نطيل في ذكر ما ورد من تفاصيل في الكتب عن كل صغيرة وكبيرة عن الخيل، ولابد لنا من ان نذكر عن المؤلف ابن جزي الكلبي الغرناطي صاحب "كتاب مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال" وهو موجز بسيط عن موسوعة في الفروسية والخيل عنوانها "كتاب الاحتفال في استيفاء ما للخيل من الاحوال" لابي عبد الله محمد بن رضوان بن ارقم الوادي أشي الغرناطي (ت 657هـ/ 1258) الفه وجمعه لابي عبد الله محمد الغالب بالله بن يوسف (حكم غرناطة من 635- 671هـ/ 1237-1272م) مؤسس دولة بني الاحمر النصرية بغرناطة ولا يزال هذا الكتاب محفوظاً ونحتفظ بنسخة مصورة منه، غاية في الاهمية في علم الفروسية.

تطور الفروسية ونشاطها في الاندلس من الفتح حتى انتهاء الوجود العربي للفروسية اثر كبير في الفتح الاسلامي للاندلس واهمية بالغة في انتصار حملات الجهاد على الاعداء، وذلك لان المجاهدين الذين عبروا للاندلس كان اغلبهم من الفرسان العرب والبربر الذين يملكون الخبرة في الخيل والصبر والشجاعة والمعرفة بالقتال في الجبال، وفي الاجواء القاسية التي امتازت بها ارض شبه الجزيرة الايبرية.

تؤكد المصادر على ان المجاهدين الذين عبروا مع حملة طارق بن زياد لاول مرة كانوا من الرجالة، وان اعداد الخيل التي كانت معه قليلة، وذلك لصعوبة نقلها او الحصول عليها وبعدها حصل المقاتلون على الخيول في ارض شبه الجزيرة الايبرية (الاندلس).

---

(1) فيض النيل، المصدر السابق، الورقة 23.

(2) المصدر السابق، الورقة 3.

كان لانتصار المسلمين في معركة وادي البرباط عام 92هـ/ 711م نتائج ايجابية منها استحواذ المقاتلين على كمية كبيرة من الخيول اضافة الى ما كانت لديهم، يؤكد لنا صاحب "كتاب اخبار مجموعة" بقوله: "ولم يكن بقي من المسلمين راجل الا ركب"[1].

وبذلك اصبحت غالبية جيش المسلمين من الفرسان ومنهم من امتلك اكثر من فرس، ويذكر الرازي رواية عن الخيل مفادها: "وقتل بلج، وهزم عسكره، فقوى المسلحون، وركب الرجالة الخيل" وهو تأكيد على حصول المسلمين على اعداد كبيرة من الخيول التي ساهمت على تطور نظام الفروسية في الاندلس وشجعت على الاعتناء بالخيل والاهتمام بتربيتها وتحسين نسلها.

اختلفت الروايات الاندلسية عما خسره الاسبان من خيول اثناء الفتح الاسلامي، نذكر منها هذه الرواية التي تقول "وحكي في "السراج" انه لما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس لفتحها وموسى اذ ذاك بأفريقية، خرجوا في الجزيرة الخضراء وتحصنوا في الجبل المسمى الان جبل طارق وهم في الف وتسعمائة فطمعت منهم الروم فاقتتلوا ثلاثة ايام وكان على الروم تدميرا، استحلفه لذريق ملكهم، وكان قد كتب الى لذريق ان قوماً لا ندري من الارض هم ام من السماء، قد وصلوا بلادنا وقد لقيتهم فانهض الي بنفسك، فاتاه لذريق في تسعين الف عنان ولقيهم طارق وعلى خيلهم معيث الرومي فاقتتلوا ثلاثة ايام اشد القتال"[2].

وبعد طالعة بلج بن بشر القشيري التي وصلت الاندلس يطلعنا ايضاً صاحب "كتاب اخبار مجموعة" بخبر يؤكد على ان بلج كان في طائفة خيله اثنى عشر الفاً، ويقال سبعة الاف"[3]. بالاضافة الى ما يملكه الاندلس من خيول اخرى.

ان ما حصل عليه الاندلس من خيول الاسبان على ما ذكرته الرواية السابقة يقدر بتسعين الف عنان، بالاضافة الى ما ادخله الفاتحون والعابرون، ويمكن ان نقدر حجم الخيول التي اصبحت على ارض شبه الجزيرة الايبرية والتي اصبحت تشكل الماكنة العسكرية للفروسية الاندلسية والتي ساعدت وشجعت على فتح وتحرير اراضٍ بعيدة وشاسعة ووعرة الطبيعة وقاسية المناخ، وكان لهذه الخيول اثر كبير في حث وتشجيع حكام الاندلس في تنظيم حملات الصوائف والشواتي، ولما كان احد اسباب اسرار نجاح هذه الحملات الجهادية على مدى القرون الثمانية التي عاشها الوجود الاسلامي في الاندلس حيث شكلت الفروسية احد اهم ركائز الجيش وكانت عاملاً مهماً في استقرار الحكم الاسلامي وسر نجاحه وهيبته وكانت عاملاً اساسياً في حملات الجهاد في الجزء الشمالي وما يطلق عليه الممالك المسيحية، حيث وعرة المنطقة وبعدها وقسوة مناخها.

ومن الواضح ان للمقاتلين المسلمين من البربر اثر كبير مثلما كان للعرب في تطوير الفروسية، حيث كان لهم ولع بالخيل وشغف بامتلاكها وتحسين نسلها، وخبرة وتجربة متناهية في القتال عليها، بسبب تعودهم عليها منذ الصغر لاحتياج المناطق الشمالية من المغرب لها، اضف الى ان مناخ وطبيعة شبه الجزيرة الايبرية لا يختلفان كثيراً عن المغرب.

---

(1) اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امراءها والحروب الواقعة بها بينهم، المؤلف مجهول، ص 10.

(2) نقلاً عن ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ ص 8.

(3) كتاب مختصر بلوغ المقصود، مختصر السعي المحمود في تأليف العساكر والجنود، لابراهيم السقا، مخطوط المكتبة العامة والمخطوطات بتطوان، المغرب، يحمل الرقم 434 الورقة 36.

كان لحكام الاندلس ولع كبير واهتمام بالغ بتربية الخيل وتحسين نسلها ومتابعة اخبارها والعمل على الاكثار منها، واقتناء الاصناف الجيدة والنادرة منها، فمثلاً الامير عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل هو اول من اهتم بالخيل وفرسانها، ذلك من خلال زياداته في عطاء "رواتب" الجند، لمكافأته اذا ما أظهروا كفاية وشجاعة وقدرة في الحملات، حيث منح الامير الداخل احد فرسانه الف دينار تقديراً لشجاعته وبسالته في احدى المعارك، كما الحقه بمرتبة الشرف. ذكر ذلك صاحب كتاب "اخبار مجموعة" بقوله "... وجعل عبد الرحمن في ذلك الموقف يطوق بعسكره ويشرف على احوال رجاله في معركتهم، فينظر الى رجل من الفرسان قد نزل عن فرسه وظهرت منه كفاية في مقامه. فقال لفتى له انظر هذا الرجل فان كان من اشراف الناس فاعطه الف دينار وان كان من اقناء الناس فاعطه شطرها..."[1].

ان قيمة المكافأة المالية التي خصصها الامير الداخل للفارس وقدرها الف دينار كانت كبيرة وتدلل على مدى اهتمام الامير بالفروسية وتقديره لفرسانها الشجعان وقد بلغت قواته من الفرسان مائة الف فارس برواية ابن حيان القرطبي"[2].

تؤكد المصادر الاندلسية على ان الامير الحكم الاول (الربضي) كان اول حاكم اندلسي اهتم بوضع اسطبل للخيل امام قصره، حيث ضم الف فرس كقوة للطوارئ والحملات وربما عمل الامير ذلك لكثرة اعدائه قبل وبعد حادثة الربض بقرطبة، ويذكر: (وكان له الفافرس مرتبطة على شاطئ النهر بازاء القصر يجمعها داران على كل دار عشرة عرفاء تحت يد كل عريف مائة فرس، فالعرفاء يشرفون عليها وتعلف بين ايديهم وينظرون في تعويض ما تعذر منه لتكون معدة قاصمة لما عسى ان يفجأ عن امر"[3].

استمرت نظم الفروسية في الاندلس في النمو والتطور وكان للاحداث العسكرية والفتن الداخلية التي شهدتها البلاد اثر كبير بتطويرها واهتمام بالغ من امراء الاندلس، مثلاً تمرد عمر بن حفصون والهجمات النورماندية على السواحل الاندلسية اثر مهم دفع حكام الاندلس الى دعم الفروسية والاهتمام بشراء الخيول واكثارها من اجل استخدامها في الطوارئ، ونستطيع ان نقدر حجم عدد الخيول التي امتلكتها القوات الاندلسية من خلال الحملات التي قامت بها نحو الممالك المسيحية الاسبانية والحملات المكلفة في صد التمردات الداخلية.

عملت السلطة الاندلسية على تجنيد الشباب من ابناء الكور التي اطلقت عليها المصادر الاندلسية (الكور المجندة) التي تمثل القوة الاساسية للجيش اثناء اعداد حملات الصوائف، وقد افادتنا المصادر عن احصائية تمثل الاعداد المجندة من الفرسان من ابناء الكور في عهد الامير عبد الرحمن، ولكن للاسف ان هذه الاحصائية غير كاملة، حيث لم ترد فيها كل الكود الاندلسية ومع ذلك فقد افادتنا واعطتنا فكرة جيدة وقائمة في غاية الاهمية عما وصلت اليه الفروسية الاندلسية في عهد الامارة، هذه الاحصائية زودنا بها ابن حيان القرطبي"[4]. حيث ورد فيها اعداد الفرسان المستنفرين لقيادة الصائفة، على منطقة جليقة Galicia حسب الجدول ادناه:

---

(1) اخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 33.

(2) المصدر السابق، ص 19، وانظر طه، عبد الواحد ذنون، دراسات في التاريخ الاندلسي، مقالة تنظيمات، الجيش في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في العصر الاموي، ص 80.

(3) ذكر بلاد الاندلس، لمؤلف مجهول، ج1/ 111.

(4) اخبار مجموعة، ص 129– 130 وانظر: ابن الخطيب، اعمال الاعلام، ص 14.

الكور الاندلسية	اعداد الفرسان
البيرة Alberra	2900 فارس
جيان Jaen	2200 فارس
قبرة (غرناطة) Cabbra	1800 فارس
باغة (غرناطة) Priego	900 فارس
تاكدنا (ونده) Takoronna	269 فارس
الجزيرة الخضراء Algeciras	290 فارس
استجة Ecija	1200 فارس
قرمونة Garmona	185 فارس
شذونة Sidonia	679 فارس
كرية (مالقة) Rayya	267 فارس
فريش Frejue	342 فارس (لم يذكرها ابن عذاري في بيانه المغرب)
فحص البلوط (قرطبة) Vallede pedrocches	400 فارس
مورو Mooron	1403 فارس (اوردها ابن عذاري 1400 فارس)
تدمير Tudmir	256 فارس
ريبه	106 فارس
قلعة رباح Calatrava	387 فارس
حصن شندبة (لم يذكرها ابن عذاري)	

الاحصائية اعلاه لم ترد فيها الكور المجندة: اشبيلية Serilla ولبة (ولاية العرب) Niebla وكان مجموع فرسان الكور المذكورة في الجدول 22148 فارساً، ضمت كل من البيرة وجيان وشذونة ورية 14497 فارساً، في حين قدمت ثلاث عشرة كودة غير مجندة 7651 فارساً ويبدو ان الكور غير المجندة كانت تقدم ضرائب بدلاً من الفرسان، بينما كانت الكورة المجندة معفاة من الضرائب، وعليها تقديم عدد كبير من الفرسان وقت الحاجة.

شكلت حركة او تمرد ابن حفصون اعظم خطر واجه الامارة الاندلسية في الداخل، حيث كلف الدولة عسكرياً واقتصادياً وبشرياً وسياسياً، ومما لاشك فيه ان الحركة هذه كانت لها صدى ايجابي على الاهتمام اكثر بالفروسية والخيل من جانب امراء الاندلس من اجل مواجهة هذا الخطر، فيروي ابن حيان القرطبي عن ذلك ما نصه: "ان الخبيث عمرالب على الامير عبد الله اتباعه من اهل الكور وحشد احزابه من اهل الخلاف ومثل في نحو من ثلاثين الفاً فنزل بحصن بلاي فخرج اليه الامير عبد الله عادياً في اربعة عشر الفاً من جند واهل حضرته خاصة التي لم يكن بقي في

ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 79، ذكر بلاد الاندلس، لمؤلف مجهول ج1/ 125، ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1/ 39، حيث وردت (قال الرازي هو اول من استكثر من الحشم والحفد، وارتبط الخيول على بابه، ونـاءا جبابرة الملوك في احواله، وبلغ مماليكه خمسة الاف، ثلاثة الاف منهم فرسان، وهم الخرس سموا بذلك لعجمتهم).

يده غيرها من بلاد الموسطه وعدته من حشمه ومواليه منهم نحو اربعة الاف وغيرهم مطوعة"[1]. ويبدو ان غالبيتهم كانوا من الفرسان من الكورد المجندة وغير المجندة.

وفي عام 290هـ خرج بالصائفة الامير ابان بن الامير عبد الله ومعه القائد احمد بن محمد بن ابي عبده بالحملة المعروفة "رية" اتجاه حصون المتمرد عمر بن حفصون حيث كان للفروسية اثر بارز حيث استطاعت خيل الامير من ان تحقق نجاحاً باهراً على قوات العدو وافساد الزروع وتحريق القرى وتدميرها، وقتل اعداد كبيرة من خيل ابن حفصون"[2].

وفي الخلافة الاندلسية وصلت الفروسية الى مرحلة جديدة من التطور والتقدم وذلك بفضل اهتمام الخليفة عبد الرحمن الناصر وولعه بها والاستفادة منها في حملاته المتعددة نحو الممالك الاسبانية خلال مدة نصف قرن من حكمه.

ويلاحظ ان غالبية اهل الجهاد في الاندلس تعلموا الفروسية واصولها، حيث كانت الظروف مواتية لاحداث نهضة فروسية رائعة، فقد هيأت ظروفها لانتاج ثمار اصول الفروسية وعاداتها في التاريخ الاسلامي على الرغم من ان الاندلس لم تحاول ان تنفصل عن الاصول الشرقية في الفروسية، وصار على الفارس البارع في الاندلس ان يحاكيها محاكاة دقيقة كما يذكر ان بسام في ذخيرته عن اهل الاندلس من انهم "ابو الا متابعة اهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتاده، حتى لو نعق بتلك الافاق غراب، اوطن باقصى الشام والعراق ذباب، بحثوا على هذا ضمناً، وتلو ذلك كتاباً محكماً"[3].

ان اروع صورة لتلك الفروسية في خلافة الناصر تظهر جلياً في التحشد المتميز للخيل الذي جهز به الخليفة جيشه في معركة الخندق عام 327هـ على ارض جليقية Gaiccaa البعيدة عن الحاضرة قرطبة، المترامية الاطراف القاسية في طبيعتها ومناخها، وقد استصعب على الامراء من اهل الاندلس فتحها وتأديب اهلها المتمردين والمعتدين على الثغور الاندلسية، فحاول الخليفة تحقيق النصر عليها، فحشد لها الامكانات الكثيرة، وقد عبر لنا ابن حيان القرطبي عن ذلك بقوله: "فانبعث منهم خلق عظيم بين الكره والموافقة، حمل اهل قرطبة حضرته من ذلك اثقله واحفله لينفي بذلك الطماعية من اهل الكود في اخذ عفوهم، فانتهى من الاحتفال الغاية، واستكثر من الالات السفرية والعدد الحربية والاسلحة الشاكة، واستظهر على الاستقلال بذلك كله، بوفور الكراع وقوة الظهر والاكثار من المال للنفقة، واستقل لغزوته هذه بثقل لم يستغل بمثله قبل ملك ولا احد من سلفه"[4].

لعب فرسان الثغور الاندلسية دوراً مهماً ومسؤولية كبيرة في معركة الخندق 327 هـ كما ذكر ذلك ابن حيان القرطبي بقوله "فضم الى صاحب المقدمة كمال الثغور بجندهم وفرسانهم وحماتهم. واكثف الجمع في مجنبتي العسكر، مع من ولاهم، وجرد الرجال من الخيول باسلحتهم، وصمد بجع المشركين فاستقبلهم بنية صادقة، ونفس صابرة،

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، ص 271- 272، وانظر: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 23 (اورد اسماء ست كور وعدد فرسانها خمسة عشر الف فارس، دون ان يفرد رقماً لكل كورة) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 109

(2) طه، تنظيمات الجيش، ص 52.

(3) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق، ملشور انطوانيا، ص 104.

(4) المصدر السابق، ص 140.

وجموع كثيفة. وكتائب تملأ الفضاء، ومناقب تضيق عنها الشعاب، وتصير في سهل الارض كالاكام، يتألف عليهم سوابغ الدروع "[1].

وكاد النصر يتحقق للمسلمين في الخندق بفضل الفرسان وتنظيمهم الرائع لولا عوامل اخرى حالت دون تحقيق ذلك، حيث صور لنا ابن حيان القرطبي الموقف العسكري بنصه "وابقوا الى ساقة الجيش فرسانهم، فدارت عليهم الحرب، وصرع فيها من حماة فرسانهم ومتقدمي رجالهم جملة، لو اصيبت بحيث يتراءى الجمعان، لكانت سبب هزيمتهم "[2].

لم يتوان الخليفة الناصر عن متابعة الفروسية والاهتمام بادارتها وتطويرها حيث اسند الى وزيره وقائد جيشه احمد بن محمد بن الياس، وقلده وظيفة (اعنة الخيول) عام 328هـ وذلك في حملته الى جليقية، نظراً لاهمية هذه الوظيفة، والخبرة وامكانيات وزيره ابن الياس لهذا المنصب وقدرته العسكرية المتميزة لها.

اصبح واضحاً للجميع من الجيران والاصدقاء للاندلس من ان الخليفة الناصر كان مولعاً بالفروسية ومحباً لاقتناء الخيول والجمال، فصاروا يقدمون له الخيل كهدايا لتثبيت العلاقات أو تجديدها مع الاندلس منها هدية امير العدوة بالمغرب الحسن بن عيسى الحسيني الى الخليفة الناصر منها: "نيف وعشرون فرساً من جياد الخيل العدوية، اثنان منها من مقرباته العتاق لركابه بمراكب ثقال، وثلاث وعشرون من كرام الابل "[3]. والهدية الاخرى من محمد بن خزر امير زناته عام 317هـ وتضم "عشرة نجب مخصبة عجيبة الخلق، متخيرة في جنسها، بسروجها وارسانها واذمتها واخلالها وارجواناتها وقرابيسها..، وعشرون ناقة حوامل عشاراً وغيرها معها محل لها جليل الخلقة رفيع البنية، معها داعيها عبد اسود ماهر يرعى الابل بصير بادواتها وثمانية عشر فرساً من جياد الخيل الغريبة، منها فرس اصفر اسود العرق والذيل مهضوم، وفرس كمين ازرق العينين بذيله سواد، وفرس اشقر خماسي اغر مخصب الاربع، وفرس اسهب خماسي باذنيه وطرف ذنبه وددة، واربعة من عتاق الخيل، قيود للعيون، بذات مقودات الناصر لدين الله ببراعة الحسن وعراية الخلقة، فلم يكن لها في جميع خيل ركابه على كثرتها اشباه لها، اثرها على جميع الهدية "[4].

الاخبار التي اوردناها تدلل مدى تطور الفروسية الاندلسية وتثبت حسن اهتمام الامراء والخلفاء بها، لانها اداة النصر واساس قوة الجيش ومنعته، وبذلك ندحض ما اورده الرحالة ابن حوقل الذي خدم الدولة الفاطمية وما ذكره من آراء مغلوطة عن الفروسية الاندلسية في كتابه "صورة الارض" مفادها "ومن اعجب احوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع صغر احلام اهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم، وبعدهم عن البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراسل الانجاد والابطال، وليس بجيوشهم حلاوة في العين اسقوطهم عن اسباب الفروسية وقوانينها، وان شجعت انفسهم ومرنوا بالقتال فان اكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة، وما رأيت ولا غيري بها انساناً قط جرى على فرس فارة او برذون هجين ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك، ولا بلغني عن احد منهم

---

(1) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة (طبعة جامعة القاهرة، م1 ق1، ص 2.

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق: بدروا جالميتا، ص 433.

(3) المصدر السابق، ص 439.

(4) المصدر السابق، ص 442.

لخوفهم السقوط وبقاء الرجال في الركاب على قولهم، وهم يغرسون على الاغراء من الخيل وما اضعت جريدة عبد الرحمن بن محمد ولا من سبقه من اله وابائه على خمسة الاف فارس ممن يقبض رزقه ويختم عليه ديوانه"(1).

من الواضح ان ابن حوقل زار الاندلس عام 327هـ/ 948م في خلافة الناصر لغرض التجسس والعمل لصالح الحكام الفاطميين اعداء الحكام الامويين، اذن فلا غرابة فيما دونه ابن حوقل عن الاندلس من اخبار كاذبة بعيدة كل البعد عن الصحة والحقيقة بطابع الزيف والكراهية والبغضاء والحسد لارضاء اسياده الفاطميين، وقد تجلى الزيف بالجوانب المهمة التالية:

1. عدد الفرسان المسجلين بديوان الجند، لم يزد على خمسة الاف فارس.
2. بعد اهل الاندلس عن البأس والشجاعة والفروسية والبسالة.
3. حروبهم تعتمد على الكيد والحيلة.
4. عدم امتلاك الاندلس للخيول الجيدة.
5. نقص العقول، صغر الاحلام، وضيعة النفوس.

والاجابة عن هذه الافتراءات الحوقلية تفندها الحقائق التاريخية والحوادث التي جرت على ارض الاندلس، وسبق ان اوردناها سابقاً في احصائية عن الفرسان في الحملة العسكرية في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن، اما الشجاعة والفروسية فهي من شيمة اهل الاندلس وحروبهم وفتوحاتهم وسفاراتهم تؤكد ذلك، يؤيد كلا منا هذا ابن سعيد المغربي بقوله "لم ار بداً من اثبات هذا الفصل ان كان على اهل بلدي فيه من الظلم والتعصب ما لا يخفي ولسان الحال في الرد انطق من لسان البلاغة، وليت شعري اذا سلب اهل هذه الجزيرة العقول والاراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبروها بارائهم وعقولهم مع مراصدة اعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ويقف ومن الذين حموها ببسالتهم من الامم المتصلة بهم من داخلها وخارجها"(2).

اما خطط القتال فكانت متنوعة يسودها التنظيم والدقة، حسب طبيعة المنطقة والمناخ وامكانية ايلعدو، تؤيد ذلك احداث الحملات التي نقل اخبارها المؤرخ الاندلسي بكل امانة ودقة وتفاصيل.

اصبحت الاندلس في غاية الرخاء والثراء مما حصلت عليه من الاموال لدرجة ان الخليفة الناصر قسم الجباية لكثرتها على ثلاث جهات ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدخر"(3).

اما الخيول فتمتلك الاندلس والجيدة والمتنوعة، ويعود الفضل في ذلك الى اهتمام الامراء والخلفاء بها، وقد ادخلت اصناف جديدة من الخيول المتميزة للأندلس، كما اخبرتنا عن ذلك المصادر والحوادث التاريخية.

واخيراً ان الاندلس انجبت عبر تاريخها عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء الذين ساهموا في ازدهار الحضارة الاسلامية في مختلف المجالات وقد صنفت في الاندلس الموسوعات العلمية والاسبانية.

وفي عهد خلافة الناصر ظهر الاهتمام بالفتيان الصقالية، وقد بلغ عددهم ثلاثة الاف وسبعمائة وخمسين ثم تدريبهم على الفروسية واستعمال السلاح بشكل متميز وصار يعتمد عليهم في المهمات الصعبة"(1).

---

(1) المصدر السابق، ص 265.

(2) المصدر السابق، ص 267، وانظر: ابن خلدون، العبر، ج4/ 138.

(3) ابن حوقل، كتاب صورة الارض، ص 113.

والخليفة الحكم المستنصر ابن الخليفة الناصر كان هو الاخر مولعاً بالفروسية واقتناء الاصناف الجيدة من الخيل، شأنه في ذلك شأن امراء الاندلس، ولكن فترة حكمه امتازت بالاستقرار والامن بعيداً عن الفتوحات والحملات العسكرية والتمردات الداخلية الا ما ندر حيث كرر المجوس النورمانديون هجماتهم على السواحل الغربية للاندلس عام 360هـ كما روى لنا ابن حيان القرطبي عن ذلك بقوله: "..الى جهة المجوس الظاهرين في البحر الشمالي، اذ وردت الانباء وتوالت بهزيمتهم وهربهم بعد اقدامهم وتلجيجهم في البحر الشمالي، لا يلوون على شيء يحسن دفاع الله عن المسلمين، اذ اتصل بهم وصح لديه صمد الخليفة المستنصر بالله لحربهم ونصبه التدبير عليهم وتجريده القائد الوزير غالب بن عبد الرحمن فدبر حروبه نحوهم وقصدهم في البر ونهوض القواد بالاساطيل الى ناحيتهم وتحريكه نحوهم الجنود الحسنة والاساطيل الثقيلة التي لم يجد اعداء الله.. "(2).

كما وصلت الخيل الى الخليفة الحكم المستنصر وتبادلت كهدايا بينه وبين ملوك الدول والولايات الاسلامية المجاورة كما حدث في خلافة ابيه، حيث وصلت الى الاندلس هدية من بني خزر حكام عدوة المغرب عام 360هـ هدية ثمينة فيها ثمانية وستون فرساً للركوب وعليها اللجم المفرعة والسروج المعرفة"(3).

كما اهديت للقائد جعفر بن علي الاندلسي من الخليفة الحكم المستنصر هدية فيها "اربعة من عتاق الخيل.. وخمسون فرساً من عتاق خيل الجند"(4).

يلاحظ الباحث من خلال "كتاب المقتبس" لابن حيان القرطبي، ان الفروسية الاندلسية قد قطعت شوطاً كبيراً في التطور من حيث التنظيم والاعداد كماً ونوعاً حيث ظهرت فرق للفروسية على الشكل التالي:

1. الفرسان اصحاب التجافيف
2. الفرسان اصحاب الجواشن
3. فرسان الخميسيين
4. فرسان الرياضة
5. الفرسان الطنجيون الدرعون
6. فرسان العبيد
7. الفرسان المدرعون
8. الفرسان المدرعون حاملوا الفنون الناضله"(5)

وعند استقبال الوفود الاسلامية والمسيحية جرت العادة رسمياً في الاندلس ان يتم عرض اصناف متعددة من عجائب وغرائب الخيول بكامل عدتها وزينتها مما يدهش ويعجب الناظر لها، نذكر من تلك الصور التاريخية نماذج ما حدث في خلافة المستنصر حيث تم استقبال وفد امراء عدوة المغرب من بني خزر وغيرهم في مدينة الزهراء" Alzahra

---

(1) نقلاً عن المقّري، نفح الطيب، ج1/ 212، وانظر، طه، عبد الواحد ذنون / دراسات اندلسية (مقالة الاندلس من خلال كتاب صورة الارض لابن حوقل ص 111.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 38، وانظر ابن عذاري، البيان، ج2/ 231.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 232، وانظر: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 40.

(4) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق الحجي، ص 58، وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب ج2/ 243.

(5) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق الحجي، ص 40، وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب ج2/ 244.

عام 360هـ وقد تم استقبال الوفد استقبالاً رائعاً حيث عرضت فيه الخيول بكسوتها الفاخرة وعليها الفرسان بكامل لياقتهم العسكرية من بين الخيول كانت "خيول امير المؤمنين المقربة المكسوة بسروج الخلافة ولجمها، المحرقة والمعرقة وكانت عدتها مائة فرس"[1].

وكان الخليفة الحكم المستنصر يملك من الخيل المرتبطة في رحوب قصره وفي ثغوره عشرين الف جواد"[2]. هذا العدد من الخيل يبين مدى اهتمام الخليفة بالفروسية ويسعى الى تطويرها واعدادها اعداداً يليق بمكانة الاندلس العسكرية ويتناسب مع حجم ما يملكه حكام الممالك المسيحية وبذلك يستطيع الباحث ان يتحقق مما قيل عن هذه الفترة التي امتازت بالاستقرار والاهتمام بالحركة الثقافية والدبلوماسية، الا انها كانت لا تخلو من اهتمام بالجانب العسكري على الرغم من الهدوء الذي تمتع به الاندلس، فالاحتياطات كانت تأخذ بنظر الاعتبار تحسباً لما قد يحدث من تحركات عسكرية على الثغور الاندلسية.

شهدت الاندلس تغيراً في الاوضاع السياسية والعسكرية بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة 366هـ وتنصيب ابنه الخليفة هشام المؤيد الذي كان قاصراً حيث لم يبلغ السن القانوني للحكم، حيث تولت والدته صبح البشكنسية شؤونه السياسية، وقد مهدت هذه الظروف والاوضاع الفرصة لشخصية محمد بن ابي عامر ليظهر على مسرح السياسة ويصبح الحاجب للخليفة وينقذ الاندلس من الضعف والضياع ويلبس الفروسية ثوباً جديداً براقاً، وقد عبر لنا ابن الخطيب عن ذلك بقوله: "فاستقر الامر لهشام بكنفه الحاجب المنصور اسعد اهل الاندلس مولداً واشهرهم بأساً ولداً وابعدهم في احسن الذكر مداً، الحازم العارم العظيم السياسة، الشديد الصلابة، القوي المنة الثبت الموقف، معود الاقبال ومبلغ الامال، الذي صحبته الطاف الله الحقية في الازمات، واطرد له النصر العزيز في نحو سبع وخمسين من الغزوات، ولم تفارقه السعادة حال المحيا والممات، وكان هو وبنوه سيراً على هشام ورعيته، فلما زال لم تستقر لهم عودة، ولا عدمت ثورة، ولا فقدت للكروب ولا للحروب فورة"[3].

من هذا الوصف الرائع والتعبير الجميل، يوضح لنا المؤرخ الاندلسي، ما وصلت اليه احوال الاندلس من العز والقوة وما اصاب الفروسية من تنظيم وتطور واهتمام وبها تم تحقيق عدد كبير من الحملات في فترة ربع قرن من الزمان، وهذا الجهد العسكري لم يتحقق من قبل مثلما حدث على يد الحاجب المنصور الذي لمع مجده وذاع صيته في ارجاء العالم الاسلامي والمسيحي وصار ملوك الدول المجاورة والبعيدة تتقرب له وتتودد اليه وتتملق له وتقدم الهدايا السلطانة من اجل كسب رضاه.

اتبع الحاجب المنصور العامري في سياسته خطة جديدة ومشروعاً متطوراً في نظام الفروسية في الاهتمام بالنوعية لا بالكمية، حيث تنبه الى ذلك الامر في احد وقائعه التي حدثت لجيشه مع جيش الافرنج، روى لنا عن ذلك الطرطوشي في كتابه (سراج الملوك) قال: "سمعت استاذنا القاضي ابا الوليد الباجي رحمه الله يحكي قال: بينما المنصور بن ابي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه ويساره قد ملأوا السهل والجبل، فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفي فقال كيف ترى هذا

---

(1) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق الحجي، ص42.

(2) المصدر السابق، التجافيف، ص 49، 197، والجواشن، 197.49، الخمسين، ص 196.48، الرياضة ص 156، الطبخين المدرعين ص 196.48، العبيد ص 49 المدرعون ص 196.48 حاملوا القنوات الناصلة، ص 96.49.

(3) المصدر السابق ص 49.

العسكر ايها الوزير؟ قال ابن المصحفي ارى جمعاً كثيراً وجيشاً واسعاً، فقال له المنصور لا يعجزنا ان يكون في هذا الجيش الف مقاتل من اهل الشجاعة والبسالة؟ فسكت ابن المصحفي، فقال المنصور وما سكوتك اليس في هذه الجيوش الف مقاتل؟ قال لا؟ قال: فتعجب المنصور ثم انعطف عليه وقال افيهم خمسمائة رجل من الابطال المعدودين قال لا، فحنق المنصور ثم انعطف عليه وقال افيهم مائة رجل من الابطال؟ قال لا، قال افيهم خمسون من الابطال؟ قال: لا فسبه المنصور واستحف به وامر به فاخرج على اقبح صفة، فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصاف الجمعان، فبرز علج من الروم بين الصفين شاك في سلاحه يكر ويفر وهو ينادي هل من مبارز؟ فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصلحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلج يمرح بين الصفين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج، وجعل يكر ويحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد، فبرز اليه رجل فقتله العلج، فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كبيرة، فقيل للمنصور مالها غير ابن المصحفي، فبعث اليه فحضر، فقال له المنصور الا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم؟ قال يعني جميع ما جرى، قال فما الحيلة فيه؟ قال وما الذي تريد؟ قال ان يكفي المسلمين شره، قال نعم الان، ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على فرس قد نشرت اوراكها هزالاً، وهو يحمل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع، فقال له ابن المصحفي الا ترى ماذا يصنع هذا العلج منذ اليوم؟؟ قال قد رأيته فماذا ترى فيه؟ قال اريد رأسه الان قال: نعم، فحمل القربة الى رجله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة، فلم يرى الناس الا المسلم خارجاً يركض ولا يدرون ما هنالك، واذا الرجل يحمل رأس العلج، فالقى الرأس بين يدي المنصور، فقال له ابن المصحفي عن هؤلاء الرجال اخبرتك انه ليس في عسكرك منهم الف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة، فرد ابن المصحفي الى منزلته واكرمه"[1].

سعى الحاجب المنصور العامري ايضاً على اضعاف نظام الفتيان الصقالبة وعمل على تصفيتهم تدريجياً وادخل بدلهم الفرسان البرابرة كعنصر جديد في جيشه، وهم اظهر الجند نعمة واعلاهم منزلة"[2].

وقد تحدث ابن الخطيب عنهم بقوله "واستظهر محمد علي المصحفي بسبب نظام الفتيان الصقالبة المتأثرين بها خلف حجاب القصر وكانوا ينيفون الالف، فيهم الاكابر المسمون بالخلفاء زهاء عشرين فتى يجرون دنيا الملوك العظام.. وجرت معهم فيه محاورة القت في نفس الحاجب المصحفي شيئاً، فجاءه ابن ابي عامر باب هواه في حس دائهم فالقاه شديد الانحطاط في ذلك الشغب"[3].

كما عمل الحاجب المنصور العامري على تصفية المنافسين والمتاوئين والبارزين من الفرسان في الاندلس منهم غالب عبد الرحمن الناصري الاندلسي المعروف بفارس الاندلس وذي السفين، حيث اختاره الخليفة الحكم المستنصر قائداً عاماً لجيشه وكلفه بمحاربة المتمرد حسن بن كنون في عدوة المغرب، وقد تزوج المنصور من اسماء بنت غالب الاندلسي وتم تعيين غالب بمرتبة صاحب مدينة سالم Medinaceli وحاكم الثغر الادنى وفي عام 370هـ تخلص

(1) ذكر بلاد الاندلس، لمؤلف مجهول ح 1/ 172.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 40.

(3) الطرطوشي، سراج الملوك، ص 331- 332، وانظر: مخطوط: مختصر بلوغ المقصود، الورقة 3.

الحاجب المنصور من عمه غالب وذلك لان غالباً كان يستطل على ابن عامر باسباب الفروسية ويباينه بمعاني الشجاعة، ويعلوه من هذه الجهة التي لم يتقدم لابن ابي عامر بها معرفة"[1].

قدم لنا ابن الخطيب الغرناطي وصفاً رائعاً للموقف البطولي للنزاع الذي حدث بين القائد غالب والحاجب المنصور والهيئة التي ظهر بها كل منهما بقوله: "واقبل غالب لما متع الضحى من هذا اليوم على فرس له مذكور، عليه درعه السابغة، وعلى رأسه طن مذهب مرتفع السمك، قد عصبه بعصابة حمراء اعلم بها، وشد جنبه بعصابة اخرى، وقد قارن في وقته الثمانين سنة وحوله كبكبة من انجاد غلمانه وحماه رجاله، فوقف ينظر في صفوف ابن ابي عار مصعداً او وصوباً.. ثم رفع يديه وقال: "اللهم ان كنت تعلم ان بقائي اصلح للمسلمين واعود عليهم من بقاء محمد بن ابي عامر فاهلكه وانصرني عليه! وان كان هو ولى بذلك مني فانصره علي وارحمني"[2] ولكن النهاية انتهت بمقتل غالب، وقيل ان قربوس مسرجه الاندلسي قتله.

كما تخلص الحاجب المنصور العامري من قائده جعفر بن علي الملقب بابن الاندلسي، احد فرسان الاندلس المعروفين بالخبرة والشجاعة، وذلك بان سقاه السم ثم قتله على يد ابي الاحوص معن بن عبد العزيز التجيبي فارس العرب"[3].

ومن خلال حملات الحاجب المنصور الحربية على الممالك المسيحية تعرفنا على اخبار هامة ونصوص مفيدة عن الفروسية والخيل، نذكر نبذة مختارة منها.

تذكر الاحصائيات عن عدد الفرسان المسجلين بالديوان وغيرهم ايام الحاجب المنصور قد ازداد كثيراً في الاندلس نورد ما ذكره ابن الخطيب نقلاً عن ابي عبد الله بن سعيد التيحاني فقال "كان عدد جمع الاجناد العامريين من الفرسان خاصة من سائر الطبقات والاحرار، وجميعهم مرتزقون في الديوان يقام لهم بالحملات والحلية والسلاح والمنازل والنفقة والعلو فيه على مراتب مختلفة اثنى عشر الف فارس ومائة زيادة: قال وانتهى تحصيل المنصور بن ابي عامر لجميع من ضمه عسكره من بعض صوائفه الحاملة من الفرسان خاصة الى ستة واربعين الف فارس، وكان عدد فرسان الحرس لحمل العدة وخدمة العساكر ستة مائة فارس، وعدد الشرط والرواد المنصرفون في خدمة العساكر مائتي فارس، وعدد الطبالين مائة وثلاثين فارساً، وانتهى عدد الرجالة معهم الى ستة وعشرين الف راجل"[4].

الارقام التي وردت في النص السابق توضح لنا حجم الزيادة الهائلة في اعداد الفرسان بالجيش الاندلسي عما كانت الحالة من قبل، فلا غرابة من ان تتحقق هذه النسبة بالزيادة في حكم الحاجب المنصور الذي اصدر قراراً يسمح فيه الاختيار والحرية للمقاتلين في الانخراط في الحملات الحربية حسب رغبتهم، ودون اجبار مثلما كان يحدث سابقاً في الاندلس، حيث اصدر امره عام 388هـ وكما اورد ذلك ابن الخطيب بقوله "صدر الامر من المنصور باعفاء الناس من اجبارهم على الغزو، واستغناء بعدد الجيش، واستظهار باصل العز، واسمعهم الخطباء ذلك باثر قراءة كتاب الفتح

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 279، وانظر ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 66 يقول: "فاستظهر بفرسان الهيجاء، وابطال الكريهة واعلام السمرة فرسان المغرب وزناتة.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص60 وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 262- 263.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 278، وانظر ابن الخطيب الغرناطي اعمال الاعلام، ص62- 63 يقول: (وكان غالب فارس الاندلس من غير مدافع، وابا الابطال ومخرج الفرسان والشجعان، وذمر الحروب).

(4) ابن الخطيب الغرناطي: اعمال الاعلام، ص63- 64، وانظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 278- 279.

وعرفهم بأن من تطوع خيراً فهو خير، ومن حف اليه فمبرور ومأجور، ومن تثاقل، فمعذور، فتمت على الناس النعمة"[1].

ظل الحاجب المنصور العامري يهتم بزيادة طاقم الفروسية باعداد من الخيول حتى اخر حياته العسكرية ففي حملته الاخيرة عام 392هـ الى قلعة النسور Calatanazor في الشمال الاسباني، لدينا خبر مفاده ان الحاجب، انفذ الكتب الى جميع الثغور بأن يلحق ببابه جميع طبقات المترجلين من فرسان الجند سائر النواحي، ليشرف عن حملتهم بنفسه، فعمهم جميعاً بالاركان لكثرة ما تكامل من الخيل يومئذ، وقاد مع نفسه في العسكر بعد ذلك سبعمائة رأس من الخيل اعراء عدة لما يحدث في طريقه، ومعه خمسون فرساً من العتاق لركابه، الى قريب من عدتها تخلفها بقرطبة، واتصل مع ذلك كله في الاصطبلات بقرطبة مقدار الف فرس عدوية كانت طريقة العبور استغنى عنها، وامر القيام عليها"[2].

وكان من عادة الحاجب المنصور العامري في حملاته الجهادية شراء الخيول واقتناء الجيد منها من الكور والقرى التي يمر بها اثناء حروبه، وذلك من اجل تكثيرها، وتحسين اصنافها، نذكر فيها ما حدث له في حملته الاخيرة "وواصل الابتياع على ذلك في طريقه كله من الوفود وغيرهم الى ان ورد له مدينة سالم، وموده من الاعراء نحو الف فرس"[3]. وان حاصل الابتياع من الخيل في اعم السنين ثمانية الاف فرس"[4].

وانتشرت الاصطبلات التي تعود خيولها لحملات الجهاد في كافة ارجاء الاندلس التي تربى فيها الخيول وتكثر بها للاستفادة منها، فيذكر ان الحاجب "كان له من الرمال المنتجة بجزائر اشبيلية المعروفة بالمدائن على احباسها ثلاثة الاف فرس، يعدلها من فحول الخيل للضراب او الاستنتاج مائة راس تعزل عند العلوف"[5].

وبلغ اهتمام الحاجب المنصور العامري وولعه بالخيول ان اهتم بعلقها او التعرف على صحتها، وذلك لمكانتها ودورها المهم في حملاته، كما ورد في هذا النص: "وكان المنصور يزرع في كل سنة الف الف مدى من الشعير قصلاً لدوابه الخاصة به، واذا قدم من كل غزوة من غزواته لا يحل عن نفسه حتى يدعو صاحب الخيل، فيعلمه ما مات منها وما عاش "[6].

استطاع الحاجب المنصور العامري من متابعة وملاحقة اللصوص والجواسيس المتعاونين مع الكفار من الممالك المسيحية ومطاردتهم بواسطة فرسان شجعان، حيث يروي لنا عن ذلك المؤرخ ابن حيان القرطبي فيقول "كان (الحاجب) جالساً في بعض الليالي، وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر، مر باحد الفرسان، وقال له "انهض الى فج طليارش"، واقم فيه، فاول خاطر يخطر عليك سقه الي" قال: فنهض الفارس، وبقي في الفج في البر والريح والمطر واقفاً على فرسه، اذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه الة الحطب"[7]. فجلبوه الى الحاجب ففتشوه

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص65 وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب،ج2/ ص279.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 99.

(3) المصدر السابق، ص 68.

(4) المصدر السابق، ص 99- 100.

(5) المصدر السابق، ص 100.

(6) المصدر السابق، ص 102.

(7) المصدر السابق، ص 100.

فوجدوا بردعة على حماره كتاب من النصارى المتمردين في الاندلس، فأمر الحاجب المنصور العامري بضرب عنقه حالاً مع المتعاملين معه من المتمردين.

كان الحاجب المنصور العامري سخياً كريماً على جنده، ويذكر انه كان يدفع لاهل الحمد وللحوالي في جيشه فرس ومطية وسرج ولجام، ولكل واحد نفقة شهرية من الطعام والعلوفة، وتعيق لهم الدور للسكن"[1].

ووصلت عدة الفرسان من البرابرة الغرباء في ديوانه ثلاثة الاف فارس"[2]. اضافة الى الاعداد الاخرى من العرب في جيشه والبربر الذي استدعاهم من المغرب.

ومن عادات فرسان الاندلس وايمانهم الكبير بالدين والدنيا كانوا يحملون المصحف الشريف معهم في حملاتهم، ويعتزون ويحتفظون بغبار تراب الحملات الجهادية والكفن المنسوج من مالهم فيروى: انه (الحاجب) خط بيده مصحفاً كان يحمله معه في اسفاره يدرس فيه ويتبرك به، ومن قوة رجائه، انه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار من غزواته، ومواطن جهاده، وكان الخدم ياخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله، حتى اجتمع له فيه صرة ضخمة عهد بتصيره في حنوطه عند موته، وكان يحمله حيث ما سار مع اكفانه، توقعاً لحلول منيته، وقد كان اتخذ الاكفان من اطيب مكسبه من الصيعة الموروثة عن ابيه، وغزل بناته وكان يسأل الله تعالى ان يتوفاه في طريق الجهاد وكان كذلك"[3].

طتوفي الحاجب المنصور عام 399هـ بعد ان وطد اركان الجيش الاندلسي ونظم الفروسية وادخل عليها تحسينات واسعة وزاد فلي عدد الخيل، وملأ الاندلس بالغنائم والجواري لدرجة ان تعالت الصيحات في الاندلس بعد وفاته تردد وتقول "مات الجلاب، مات الجلاب!!"[4]. ويقصد بذلك مات المنصور الذي يجلب السبايا والغنائم في حملاته.

تولى الحاجب عبد الملك المظفر السلطة بعد ابيه المنصور بتأييد من الخليفة هشام المؤيد، وشارك في سبع حملات مع الممالك المسيحية كان فيها للفروسية دور بارز واثر رائعاً، وللخيل مكانة متميزة "حيث برز الحاجب للناس على جواد من مقرباته المنسوبة بافخم تلك المراكب المسلسلة، ولبوس دروع فضية مطرزة بالذهب، وعلى رأسه خوذة مثمنة الشكل.. ووقف حذاق المنافقين على تحريجهم، فاثمر غرسهم، وامكن جناهم وراقت جملتهم في الفروسية، والرماية"[5] كان هذا الوصف بداية تولي الحاجب المظفر السلطة في الاندلس".

وفي الحملة الاولى التي كانت على حصن مدينش، اعلن الحاجب بياناً اصدر فيه توجيهات للفرسان ووصايا ونصائح واكرامية لكافة المقاتلين جاء فيها: "الا يحرقوا نزلاً ولا يهدموا بناء لما ذهب اليه من اسكان المسلمين فيه فشرع

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 298، وانظر: ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص102 يقول: "مفتتح الزريقة من كل شتوه بالاحفال السلطانية في اعم السنين خمسمائة فدى من الشعير، وكان حامل الابتياع من الخيل في اعم السنين ثمانية الاف فرس".

(2) نقلاً عن ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 290- 291.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 101.

(4) المصدر السابق، ص 102.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2/ 288.

الوقت في اصلاحه ونادى في المسلمين من اراد الاثبات في الديوان بدينارين في الشهر على ان يستوطن في هذا الحصن فعل وله مع ذلك المنزل والمحرث فرغب في ذلك خلق عظيم واستقروا به في جيشهم"(1).

وفي الحملة الثانية بعث الحاجب سرية من الفرسان تعدادها خمسة الاف فارس بقيادة الفتى واضح ليلاً الى مدينة سمورة Zamora في الشمال الاسباني حققت نجاحاً باهراً، واستحوذت على المدينة المذكورة واسرت اعداداً من المسيحين.

اما الحملة الرابعة عام 396هـ وكانت على مدينة بنبلونة Pamplona التابعة لمملكة قشتالة Castilla كان لخيلة المظفر اثر بارز ودور مهم، فرحل المظفر عنه الى نشنت بوانش، فجالت الخيل في بسائطه فبلغت من انتسافها ابعد غاية"(2).

وفي الحملة السادسة وهي شاتية عام 398هـ على حصن شنت مرتين، امر الحاجب المظفر اصدار امر بتوزيع سبي الحصن بعد فتحه والسيطرة عليه على اهل الرباط وفرسان الوفود"(3). وهو اكرام من الحاجب للفاتحين وتشجيع كبير للفرسان بالاستقرار فيه.

توفي الحاجب المظفر بعد حملته الصائفة والاخيرة عام 398هـ حيث تولى الحكم من بعده اخوه عبد الرحمن شنجول Sanchuelo، الذي امتاز حكمه بالضعف واللهو وعدم المبالاة بالجهاد والخبرة بالجيش، ومما زاد الطين بلة وساء الاوضاع السياسية والعسكرية بالاندلس ان الخليفة هشام المؤيد كان هو الاخر متخاذلاً وضعيفاً ولا حول له ولا قوة له، ما ساهم في تردي الاوضاع العامة وبدأ الخطر يلوح في افق الاندلس، واصاب الفروسية ونظمها الوهن والخراب.

حاول شنجول تحقيق انجاز صغير في توجيه حملة عسكرية على العدو، ولكنه لم يستطع النجاح والتوفيق فيها، وذلك لعدم امتلاكه الخبرة وضعف ايمانه وعدم امتثال المتطوعة لبياناته وانحراف اكابر الاندلس عنه لعدم ثقتهم به ورغبتهم بسلطته.

استغل المتنفذون واصحاب النوايا الشريرة اوضاع الاندلس في ظل حكم شنجول في محاولات التمرد والعصيان والاستقلال، وتم ترغيب الناس في الكور والاقاليم على حمل السلاح ضد السلطة الضعيفة التي فلتت من يديها زمام السيطرة والقوة، حيث اعلن محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر والذي لقب بالمهدي بقرطبة العصيان على السلطة، واصبح تحت قيادته قوة من الرجال والسلاح والخيل استطاع بها من نهب خزائن الاموال والاسلحة وتهديم المدن كالزاهرة والقلاع والحصون الاندلسية، حيث حدثت فتنة كبرى في الاندلس اطلقت عليها بعض المصادر الاندلسية (بالفتنة البربرية).

وقد وصف المؤرخ الاندلسي اوضاع اهل قرطبة خاصة واهل الاندلس عامة بقوله "كنا نظن ان الدين والشجاعة والحق عند اهل قرطبة فاذ القوم لا دين لهم ولا شجاعة فيهم ولا عقول معهم وانما اتفق لهم ما اتفق من الظهرور والنصر بفضل ملوكهم"(1).

---

(1) المصدر السابق، ج3/ 13.

(2) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، القسم الرابع، مجلد اول، الجزء الثالث، ص 60- 61، وانظر: ابن عذاري البيان المغرب ج3/ 5.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3/ 7.

اثناء فترة حكم الطوائف بالاندلس تباين نظام الفروسية من حيث التطور والاهمية وحجم الخيل من مملكة الى اخرى وذلك نظراً لتباين الساسة ومدى اهتمامهم وحاجتهم للخيل فيقول عن ذلك ابن حزم القرطبي "اجتمع عندنا بالاندلس في صقع واحد خلفاء اربعة كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بموضعه وتلك فضيحة لم ير مثلها: اربعة رجال في مسافة ثلاثة ايام كلهم تسمى بالخلافة، وامارة المؤمنين"[2]. فنرى مثلاً الحاكم يحيى بن علي الحمودي بقرطبة "يتبع مسلك ابيه في التحقيق بالفروسية والصيد"[3].

اما ابن الخطيب الغرناطي فله وجهة نظر اخرى في ملوك الطوائف حيث قال "ليس لاحدهم في الخلافة ارث ولا في الامارة بسبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شروط الامامة مكتسب"[4].

وفي عام 401هـ وفي ظل احداث فتنة الطوائف "امر قاضي قرطبة ووعد باخراج خمسمائة فرس من مال الاحباس للاستفادة منها في النقل والقتال"[5].

النصوص التاريخية التي اوردناها عن الفروسية والخيل في عهد الطوائف توضح الصورة التي اصبحت فيها الاندلس، حيث اصبحت الخيول تعد من اجل صد التمردات والثورات الداخلية بعد ان كان دورها المهم وهدفها الأساس مواجهة العدوان على الثغور الاندلسية، وقل الاهتمام بالفرسان وتقديم المساعدات والدعم له وتشجيعهم وزرع الثقة في نفوسهم، واصبح التنكيل والغش بالتعامل وسيلة حكام الطوائف، فمثلاً غش الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار عام 400هـ فرسان الثغر واشعل نار الفتنة بينهم وبين البربر، مما ادى الى انعدام الثقة بين الحاكم ابن عبد الجبار وفرسان الثغر "[6].

وظهرت بالاندلس نخبة من الحكام كان لهم ولع بالخيل والفروسية في فترة الطوائف ساعدوا على انعاش الاندلس عسكرياً واغلبهم من حكام اشبيلية نذكر نبذاً عنهم.

الخليفة المعتضد بالله بن عباد "لم يقصر عباد في دولته، التي مهدها فوق اطراف الاسنة، وصير اكثر شغله فيها نشب الحروب.. وارتبط الخيل السابحة واقتنى الغلمان الروقة، واتخذ الرجال الذادة، فانتقاهم من كل فرقة، يتعهد طبقاتهم بادرار الاعطية وضمان الزيادة"[7].

وقدم على الخليفة المعتضد وفد من صاحب مدينة مورو Moro (عز الدولة) في مائتي فارس انتخبوهم من قومهم للوفود على ابن عباد واخذ صلته وهم في احسن زي واجمل مرأى قد ركبوا الخيل المسومة وتقلدوا السيوف المحلاة"[8]. يوضح لنا النص مدى اعجاب الخليفة المعتضد بالفروسية واهتمامه بالخيل.

---

(1) المصدر السابق، ج3/ 12.

(2) المصدر السابق، ج3/ 23.

(3) المصدر السابق، ج3/ 90.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 143.

(5) المصدر السابق، ص 132.

(6) المصدر السابق، ص 144.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3/ 104.

(8) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 115.

اما الخليفة المعتمد على الله محمد بن عباد "وهو الجواد، الشجاع البليغ، ذو الاخبار الشهيرة الذكر والانباء المأثورة في الدهر"[1]. وكان المعتمد على الله يحب القوس العربية ويحترمها تقليداً بسيرة الرسول الكريم ﷺ فيروى عن احد معلمي القوس حادثة يذكر فيها قال: "اهدينا الى المعتمد على الله ثمان قسي عربية محكمة سرية مع ثمانية ايدي سهام حسنة البري، محكمة الصنع، فلما ادخلت عليه ووقف غلامه بها بين يديه، اعجبته وسر بها وابهجته وجعل يأخذها واحدة واحدة فيؤثرها ويذوقها بالجيد ويجعلها على فخذه حتى اكملها الثمانية مع سهامها دون ان يجعلها في الارض بين يديه، وامر بادخالي عليه فوديت واجبه، فاستدناني واجلسني جانبه فنظرت اليه نظر المتعجب من فعله مع جلالة قدره وعلو منصبه، فعلم المعتمد بها وهبة الله من الفطنة، وجعل فيه من دقة الذهن والحكمة، اني متعجب من حمله ثقالتها على فخذيه دون ان يجعلها بين يديه فقال: او انك متعجب مما ترى!! فقلت: اي والذي يديم عرشك وجلالك ويخلد ملكك! فقال: تعلم انها قوس مباركة منصورة قريشية النسب سلطانية الحسب لا ترى الايد شريف النبع خاصية الطبع ذي نفس ابية وهمة سرية، واما قوس الرجل فلا ترى الا بيد غبي او عامي، او دنيء ساقط الهمة خامل البنية"[2].

وسلك يحيى بن حمود حاكم قرطبة مسلك ابيه في التحقيق بالفروسية والحب لركض الخيل والخروج للقنص"[3].

اما الخليفة المقتدر بالله احمد بن سليمان بن هود حاكم سرقسطة Zaragoza فقد احتشد في جيشه من الرماة الفرسان بالقسي الغفارة ازيد من ستة الاف استطاع بهم وبعون من الله سبحانه وتعالى من فتح مدينة بربشترة Bobastr"[4].

وكان الخليفة منذر بن يحيى صاحب سرقسطة كأبيه يحيى من الفرسان غير النبهاء، فاما ابنه منذر هذا فكان فارساً لبق الفروسية"[5].

يذكر ان في سرقسطة احد الفرسان الشجعان في الطوائف يقال له ابن فتحوت، يروي عنه الطرطوشي في كتابه (سراج الملوك) فيقول: "وكان اشجع العرب والعجم، وكان المستعين ابو المقتدر يرى له ذلك ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية خمسمائة دينار، وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه، فيحكى ان الرومي اذا سقى فرسه لم يشرب يقول له اشرب، هل ابن فتحون رايت في الماء!! فحسده نظروء على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فاوعزوا به صدر المستعين فمنعه اياماً، ثم ان المستعين انشأ غزوة الى بلاد الروم فتوافقت المسلمون والمشركون صفوفاً، ثم برز علج الى وسط الميدان ينادي هل من مبارز فخرج اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي، وصاح الكفار سروراً انكسرت نفوس المسلمين، وجعل الرومي يكر بين الصفين وينادي هل من اثنين لواحد؟ فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومي فصاح الكفار سروراً وانكسرت نفوس المسلمين وجعل يجول بين الصفين وينادي ويقول ثلاثة لواحد... فليس (ابن فتحون) قميص كتان واستوى على سرجه بلا سلاح واخذ بيده سوطاً طويل الطرف

---

(1) المصدر السابق، 156.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3/ 295.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 157.

(4) مخطوط: كتاب البدائع والاسرار لابي بكر الاشبيلي، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ويحمل رقم 32 الورقة 3258، ونسخة مكتبة غوطاً في برلين الشرقية ويحمل رقم 5538 الورقة 135.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3/ 132.

وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه، فعجب منه النصراني، ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لا شيء منه في السرج ثم ظفر على سرجه وحمل عليه وضربه بالسوط في عنقه فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه من سرجه وجاء به ويجره فالقاه بين يدي المستعين، فعلم المستعين انه كان قد اخطأ في صنعه معه فاكرمه ورده الى احسن احواله"[1].

وكانت صفة ترتيب الجيش في القتال في سرقسطة (قاعدة الثغر الاعلى) احسن ترتيب فيقول عن ذلك الطرطوشي "وهو ارجى تدبير نفعله في لقاء عدونا، ان نقدم الرجالة بالدرق الكاملة، والرماح الطوال والمزاريق المنسوبة النافذة، فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم في الارض، وصدورهم شارعة الى عدوهم، وهم جاثمون في الارض، وكل رجل منهم قد القم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي تمزق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة، فاذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن حياتها ولا يقوم رجل منهم على قدميه، فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم، فاخذوا يمنه ويسره فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم"[2].

ازدهرت الفروسية بدخول المرابطين الاندلس، حيث حكموا فيها من 484- 540هـ/ 1092- 1145م وكان لهم اهتمام بالخيل والجمال وباع طويل بالخبرة بترتيبها واقتنائهم اعداداً كبيرة منها واصنافاً متعددة لها.

ان قبائل المتونة التي ينتسب لها المرابطون والتي كانت تقطن الجزء الشمالي من المغرب حيث الجبال والمناخ البارد الذي اثر على سكن اهالي المنطقة وخلق فيهم طبائع خاصة، يتحدث عن ذلك الجغرافي والمؤرخ القرطبي ابو عبيد البكري بقوله "وكان للمتونة في قتالهم في ابتداء امرهم شدة وجلد وليس كذلك لغيرهم، وكانوا يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف، وكان قتالهم على النجب اكثر من الخيل واكثرهم مترجلون على اقدامهم صفوفاً صفاً بعد صف، يكون بايدي رجال الصف الاول القنا الطوال، وكانت لهم راية يقدمونها امام الصفوف منهم يقفون ما وقفت منتصبة"[3].

وبذلك ادخل المرابطون الجمال باعداد كبيرة الى نظم الفروسية بالاندلس حيث امتازت الجمال عن الخيل، بصبرها وتحملها المشاق في قطع المسافات الطويلة وفي المناطق الوعرة، وحمل الاثقال عليها، وكان لغرابة شكل الجمل وضخامته مظهر غريب امام خيول العدو التي فزعت وهربت من ساحة القتال.

اما الفروسية الاندلسية في عهد المرابطين فقد قطعت شوطاً كبيراً ونشاطاً متميزاً في تحقيق النصر على الممالك المسيحية في معركة الزلاقة عام 479هـ حيث اثبتت وبجدارة بتفوقها على امكانيات العدو العسكرية بفضل اعدادها وشجاعة الفرسان وايمانهم بالحق في الدفاع عن الاسلام وحدوده من الخطر الاسباني المتمثل بمملكة قشتالة وحاكمها الفونسو السادس Alfonso.

تمثلت المعارك بين المرابطين والاسبان بعنفها وقوتها، وكان للفروسية دور متميز فيها، وعلى الرغم من ان الجيش المرابطي والاندلسي لم يستطع استرجاع المدن الاندلسية التي سيطر عليها الاسبان ولكنه اعطى درساً قاسياً لهم في الدفاع المستميت من اجل الاسلام والدفاع عن اراضيه.

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، اعمال الاعلام، ص 171.

(2) ابن عذاري، البيان، ج3/ 176.

(3) الطرطوشي، سراج الملوك، ص 339- 340.

عبرت القوات الموحدية الاندلس بعض ضعف جيش المرابطين وتلبية لنداء اهل الاندلس، حيث حكمت من عام 540-620هـ/ 1145-1223م وعملت على ما بيدها من قوة دفاعاً عن الاسلام في الاندلس لمواجهة الخطر المتمثل عند الثغور الاندلسية والتمرد الداخلي، بفضل الامكانيات العسكرية والتنظيم المتميز للفروسية.

تحدث لنا المؤرخ ابن صاحب الصلاة عن نشاط الموحدين ودورهم العسكري المتميز بتفاصيل مهمة في كتابه (المن بالامامة على المستضعفين)"[1].

من اهم الاحداث المؤسفة التي وقعت على مدينة شنترين Santarim عام 578هـ ذلك ان خيل العدو وتعدادها الف فرس هاجمت المناطق المحيطة بالمدينة وعنت في اراضيها وقتلت اعداداً من المسلمين وغنمت من اهلها، فتحرك المسلمون بعد ذلك لشن الحملات على اراضي العدو بخيولهم التي اصابت اعداداً من فرسان العدو وخيلهم في مدينة شنتقيلة Santafila وفي العام نفسه عزم الموحدون ومعهم الاندلسيون على تأديب العدو وتلقينه درساً قاسياً في منطقة طلبيرة Talavera ويذكر عن ذلك ابن عذاري بقوله: (فحملوا على الكفرة حملة اهلكهم الله فيها فتهزموا وولوا ديارهم وقطع الله اثارهم ومات منهم فلي المكان المذكور ازيد من عشرة الاف فارس وراجل، وقتل فيها من اليهود نحو الالف وامتلأت ايدي المسلمين من اسلحتهم ودوابهم"[2].

وفي عام 579هـ انتصر الموحدون على الاسبان وغنموا منهم السلاح والخيل وفيها تم توزيع الغنائم فحضر الموحدون والعرب المتخذون، فقسمها على قدر طبقاتهم وامر الطلبة الحضرة باربعة وعشرين فرساً، واعطى خباء لكل عشرة من الفرسان، وبذلك يلاحظ مدى اهتمام الموحدون بالفروسية واكرام الفرسان"[3].

وفي موقعة العقاب عام 609هـ التي قادها الخليفة الناصر الموحدي ضد اهل مملكة قشتالة التي حشد فيها جيشاً جراراً ضم ثلاثة الاف فارس"[4].، والتي نكب فيها المسلمون واصاب الاندلس الضعف.

اما مملكة غرناطة التي حكمت الاندلس في عام 635-897هـ/ 1238-1492م التي انحسر فيها الوجود الاسلامي، يلاحظ تطور في نظم الفروسية ونشاط متميز لها في ظل سيطرة الممالك المسيحية على عدد كبير من المدن الاندلسية، حيث عملت غرناطة على ما في وسعها من اجل الحفاظ على كيانها من المدن الاندلسية في الجانب السياسي والعسكري بالاهتمام بمنظمة "مشيخة الغزاة" هذه الوظيفة التي كان لها مكانة مرموقة، وكان يشغلها امراء الاسر الحاكمة من بني عبد الحق فاس والشياخة والقيادة العامة لهذه القوة المغربية كان مقرها غرناطة، ويتفرع منها قيادات فرعية في مالقة Malaga ووادي اش Guadax ورند Ronda"[5].

---

(1) المصدر السابق، ص 337.

(2) نقلاً عن ابن عذاري، البيان المغرب، ج4/ 11.

(3) ابن صاحب الصلاة مؤرخ الموحدين / كتاب المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله الائمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، بيروت 1964م وله ترجمة اسبانية.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ج5/ 145-147..

(5) المصدر السابق، ج5/ 150.

اثرت وظيفة شيخ الغزاة، التي كانت نواة جديدة لنظام الفروسية في غرناطة حتى عام 775هـ حينما الغاها السلطان محمد الخامس في سلطته الثانية، وتولى قيادة الجنود المغاربة بنفسه"[1].

من الواضح ان فرق الغزاة كانت من الفرسان المغاربة المتطوعين في الجيش الغرناطي وقد اشتهرت بنظام متميز وتكتيك عسكري خاص نسب الى قبيلة زناتة البربرية وقد انتشر هذا النظام بين المسلمين والمسيحين في الاندلس، حتى ان ابن الخطيب الغرناطي ذكره عندما مدح امراء غرناطة واسهامهم الزناتيين بقوله "وكان زناتي الشكل والركض والالة"[2].

ويشير المؤرخ الاسباني ايلا Ayala الى ان ملوك قشتالة اتخذوا الى جانب فرقهم الثقيلة المدرعة بالحديد فرقاً خاصة بين الفرسان يحاربون على طريقة الفرسان الزناتيين الحقيقة الحركة ذات الدروع الجلدية والركاب المرتفع، وطريقة الكر والفر في القتال اطلقوا عليها اسم خينيتي Jienete، والاسم مشتق من زناتة Zenete وتعني بالاسبانية (فارس).

افرخان (ومفردها فرخ تطلق على الفتيان البربر، وهو مصطلح يطلق اليوم على الجنود الاسبان والبرتغاليين)

افركان Afragan

الطلائع من الفرسان	التلاية Atalaya
البيطرة	بيترنارية Vitrinaria
البيطري	بيترناريو Vitrinario

ملحق من المصنفات العربية في علم الفروسية

فضل الخيل: للحافظ الدمياطي، عبد المؤمن (ت 705هـ) تحقيق: محمد راغب الطباخ، ط1، حلب 1349هـ/ 1930م.

الفروسية: لابن القيم الجوزية، محمد بن ابي بكر بن ايوب (ت 751هـ/ 1350م) نشر سلسلة خزانة التراث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987م.

الفروسية والمناصب الحربية: نجم الدين حسن الرماح الاحدب الطرابلسي (ت 695هـ) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، تم تحقيقه من قبلنا في اطروحة الدكتوراه الموسومة "الجيش في عصر الخلافة الاندلسية" بالاسبانية.

عيون الاخبار: (باب الحرب والفروسية) لابن قتية (عبد الله بن مسلم الدينوري) ت 276هـ/ نشر مديرية احياء التراث العربي، دمشق 1977.

الخيل: للاصمعي، ابو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي (ت 215هـ او 217هـ) تحقيق: نوري حمودي القيسي، نشر في مجلة كلية الاداب/ العدد 12 بغداد 1969م.

انساب الخيل: لابن الكلبي، هشام بن محمد ت 204هـ تحقيق احمد زكي، القاهرة 1384/ 1965م.

الخيل: لابي عبيدة معمر بن المثنى التميمي ت 209هـ/ تحقيق د. محمد عبد القادر احمد، ط1، القاهرة 1406هـ/ 1986.

---

(1) المصدر السابق، ج5/ 363.

(2) المقّري، نفح الطيب، ج 7/ 38.

اسماء خيل العرب وانسابها وذكر فرسانها: لاين الاعرابي، الحسن بن احمد الغندجاني تحقيق د. محمد علي سلطاني، مؤسسة الرسالة، بيروت 1982م.

الحلبة في اسماء الخيل المشهورة، للصاجي التاجي، تحقيق: د. حاتم الضامن مؤسسة الرسالة، بيروت 1405هـ/ 1985م

صفات الخيول ونعوتها والوانها واصولها وسماتها وشياتها وما تحمد فيها وما يذم، لعبد الله بن حمزة بن سليمان ت 614هـ

رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد: تحقيق: محمد البخشي الحلبي، المطبعة العلمية، حلب 1930م.

جواب السائل عن الخيل الاصائل: للامير عبد الله بن الحسين الهاشمي، المكتب الاسلامي بدمشق، ط2، 1383هـ/ 1963م.

المغني في البيطرة للملك الاشرف عمر بن يوسف الغساني ت 696هـ تحقيق: د. رمزية محمد الاطرقجي، مركز احياء التراث العلمي العربي، بغداد 1410هـ/ 1989م.

المؤلفات العلمية المخطوطة لمشاهير علماء الشام في مكتبات العراق

تطورت العلاقات الثقافية بين العراق وبلاد الشام، وصارت المؤلفات الرياضية الشائعة والتي تعود لعلماء الشام نجدها في الخزائن العراقية، وهذا ما يؤكد على حجم التبادل الحضاري ودور علماء الشام في المشاركة بالنهضة العلمية، وصار العراق عامل جذب للعلماء ومؤلفاتهم أو استيطان علماء الشام في بغداد ومشاركتهم في حلقات الدرس العلمية ببغداد والموصل والبصرة والكوفة وواسط.

من خلال مراجعة فهارس المخطوطات في المكتبات العراقية عثرنا على قائمة لمؤلفين وعلماء رياضيات من أهل الشام منهم في مجال علم الفلك والتشحيم وهم:

1. سبط الماريني، محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الدمشقي القاهري الشافعي، فرضي، فلكي رياضي نحوي، أصله من دمشق، انتقل الى القاهرة وعين مؤقتاً بالجامع الأزهر ت 907هـ/ 1423 ومن مؤلفاته المخطوطة هي:

1. كتاب تدريب العامل في العمل بالربع الكامل أوله (الحمد لله الذي رسم في صفحات مصنوعاته قواطع الدلائل نسير الكواكب في محيط الافلاك) رسالة لخص فيها المؤلف مسائل الربع الكامل ورتبها على مقدمة و20 باباً مكتبة المتحف العراقي 11220/ 8 15ص 15.5•21.5 27س
2. كتاب جداول في رسم المنحرفات على الحيطان أوله (... أما بعد فيقول فقير رحمه ربه... قد وضعت الجداول) رتبها المؤلف في ثلاثة أبواب: 1. في معرفة المنحرفة وانحرافها. 2. في معرفة رسم المنحرفات. 3. في معرفة وضع الشاخص نسخة كتبها أحمد بن يوسف الكوازي البصري 1155هـ/ 1742م مكتبة المتحف العراقي 25434/ 6 7ص 22•17سم 25س
3. كتاب حاشية على الورقات أوله (الحمد لله الذي باين بين صفات مصنوعاته فهي بتصريف مشيئة متفرقة...) وهي حاشية مختصرة على كتاب الورقات في العمل بربع دائرة المقنطرات لجد المؤلف جمال الدين محمد بن عبد الله الماريني، رتبها المؤلف على ترتيب الصل في مقدمة وعشرين باباً مكتبة المتحف العراقي 33255/ 4 20ص 14•10سم 16
4. كتاب "حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات" أوله (الحمد لله الذي بنعمته تنعم الصالحات وبرحمته تنزل البركات... وبعد فلما كان علم الوقت من رسالة جامعة لما يحتاج إليه في ضبط الاوقات واستخراج المحاريب والجهات وكيفية العمل بالمقنطرات لمعرفة الجهات الشمالية والجنوبية وفي جميع العروض سواء كان الربع مقطوعاً كاملاً أو كان في الربع الكامل سمت آو قوس ارتفاع أو أحدهما فقط رتب المؤلف كتابه على مقدمة وثلاثين باباً وخاتمة وفرغ منه سنة 844هـ/ 1440 مكتبة المتحف العراقي 30217/ 8 78ص 20•15سم 23س نسخة ثانية برقم 33255/ 1 القياس 104ص 14.5•10سم 16س
5. كتاب "دقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق" ذكر المؤلف أنه ليس في حياب الأعمال الفلكية أحسن من طريقة حساب النسبة الستينية المستعملة في عصره حيث تركت طريقة المتقدمين لصعوبتها وكثر أعمالها. رتب الكاتب على مقدمة وعشر أبواب. نسخة جيدة كتبها علي بن عثمان سنة 1162هـ/ 1748م عليها تملك بأسم قاسم أغا ضابط الحلة سنة 1245هـ/ 1829م مكتبة

المتحف العراقي 6270 الاول (الحمد لله حمد الشاكرين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة المخلصين).

6. كتاب "رسالة الربع المجيب" رتبها المؤلف على مقدمة في تعريف الربع المجيب وذكر أسمائه ورسومه وتسعة عشر باباً وخاتمة.

مكتبة المتحف العراقي 2637/ 2 28ص 21,5-14,5سم 15س أبوابه:

1. معرفة أخذ الارتفاع.
2. في معرفة درجة الشمس.
3. معرفة ميل الشمس.
4. عرض البلد.
5. معرفة استخراج غاية الارتفاع.
6. معرفة الجيب من القوس.
7. معرفة بعد النظر.
8. معرفة الأصل الحقيقي.
9. معرفة نصف الفضله.
10. معرفة الأصل المعدل.
11. معرفة الأرتفاع.
12. معرفة الظل من الارتفاع.
13. معرفة اذا نزلت القامة الى الخيط.
14. معرفة الارتفاع المجهول من الظل المعلوم.
15. معرفة اذا نزلت القامة ولم تتقاطع.
16. معرفة ارتفاع العصر.
17. معرفة مقدار حصة الشفق والفجر.
18. معرفة المطالع الفلكية.
19. معرفة العمل بالكواكب.

7. كتاب "رسالة في العمل بالربع المجيب" رتبها المؤلف على مقدمة وعشرين باباً وخاتمة مكتبة المتحف العراقي 20401/ 5 11ص 21-14سم 21س نسخة أخرى برقم 7319/ 2 6861/ 3 27192/ 3 10576/ 3 13725/ 1 19186/ 2 17709/ 4 11089/ 2 17690/ 2

8. كتاب لفتحية في العمل بالمجيب رسالة رتبها على مقدمة في تسمية رسوم الربع المجيب مكتبة المتحف العراقي 7319/ 7 17ص 14.5-10سم 15سلها نسخ عديدة بأرقام مختلفة

9. كتاب كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع وهي رسالة أختصرها المؤلف من رسالة أظهار السر المودوع ورتبها على مقدمة وخمسة عشر باباً مكتبة المتحف العراقي 32804/ 1 10ص 21-15سم 23س

10. كتاب وسيلة الطلاب الى معرفة الأوقات بالحساب وهي رسالة في معرفة استخراج الأعمال الجيبية بالحساب رتبها المؤلف على أربع وعشرون باباً مكتبة المتف العراقي 33255/ 2 18ص 14.5-10سم 19س كتاب هداية العامل في أعمال الربع الكامل

وهي رسالة في الرسوم الموضوعة على الربع وكيفية أخذ الارتفاع والميل ومعرفة نصف القوس والدائر وفضله ومعرفة استخراج سمة القبلة والمطالع الفلكية. رتبها المؤلف على مقدمة وخمسة عشر باباً مكتبة المتحف العراقي 13756/ 7 16ص 20*16س 21س

11. كتاب لقط الجواهر في معرفة الدوائر وهي رسالة في علم الميقات وما يحتاجه الموقت من استحضارات رتبها المؤلف على فصول وذكر في آخرها رسالة في الميقات ايضاً.

مكتبة المتحف العراقي 5722/ 3 10ص 20*155سم 23سكتاب رسالة في العمل بربع الدائرة

الأول (... وبعد فقد سألني بعض أخواني الصالحين المشتغلين بعلوم منها علم الوقت أن اؤلف لهم شيئاً في العمل بربع الدائرة الموضوع فيه الجيوب)

رتبها المؤلف على مقدمة في تسمية خطوط الربع وعشرين باباً الرقم 10233/ 1القياس 10ص 20,5*14سم 20س

مخطوطات علماء الشام في الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقيأسامة ناصر النقشبندي

دار الحرية للطباعة بغداد 1981

- ص 37، 39 أسلوب الحكيم لأبي الأسعاد أحمد بن أيوب

أوله "الحمد لله الذي الهم النسانية بحكمته علم الطب لحفظ الصحة، الأبدان، وخلق الأغنية والأدوية بقدرته لأزالة المرض بقدر الأمكان..."

رتبه المؤلف على مقدمة ومقلين وخاتمة.

المقدمة في بيان أحتياج الأنسان الى الغداء المقالة الأولى في بيان تدبير الأغذية.

المقالة الثانية في بيان أحوال المياه والأضطرار اليها ومعرفة القانون الطبي في تناولها الخاتمة في بيان سبب توليد الفضول في الآت الغذاء وبيان ما يستفرغ تلك الفضول

قال المؤلف في ديباجة الكتاب انه جعله في خدمة الوالي مصطفى باشا من ولاة الدولة العثمانية.

نسخة جيدة في أولها فهرس بخط الشيخ أبو توما جبرائيل الدمشقي بدير الرغم في 3 شباط سنة 1778م الرقم 13218 القياس 231ص 16*10,5سم 15س

مخطوطات الطب والصيدلة

- ص 141 272 رسالة في الباه

لصالح أفندي بن نصر الله الحلبي المعروف بابن سلوم ت1081ه 1670م

وهي منقولة من كتاب البيان في تدبير بدن النسان للمؤلف

كتبها مل مصطفى امام جامع الفضل في بغداد سنة 1239 هجرية/ 1823م

الرقم 13385- 3 القياس 11ص 21*14سم 21س

بروكلمان 2-666 مخطوطات الموصل

- من 171 تسلسل 336 زبدة الطب

للحاج لطف الله بن عبد الله الذي كان حياً 1239ه/ 823م الاول (الحمدلله المدن العظيم الذي ليس كمثله شئ هو السميع البصير العلي الكبير اللطيف الخبير...)

وهي في المراض والعلاجات الطبية رتبها المؤلف على قسمين القسم الأول وجعله في سبعه أبواب والقسم الثاني في الدوية والمعاجين وفوائد في الأمراض والعلاجات التقط المؤلف معلوماته من بعض كتب الطب العربية والتركية

كفاية البيان في تدبير بدن الأنسان الحلبي (صالح أفندي بن نصر الله الحلبي بن سلوم ث 1080هـ/ 1669م وبادر أبن الشريف (ابن الشريف، يادكار أفندي التركي)

والمصابيح السنية في طب البرية (القليوبي، أحمد بن أحمد بن سلامة الشافعي) ت 1069هـ/ 1658 والتحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة ليحيى أبن أبي بكر وغيرها، وجعل كتابه باللغتين العربية والتركية حسب المصادر التي نقل عنها وفرغ منه سنة 1239هـ/ 1823م في مرقد الكيلاني ببغداد نسخة جيدة كتبها بخط النسخ ملا مصطفى أمام جامع الفضل سنة 1239هـ/ 1823م في أولها فهرس مؤطره الصفحات عليها حواشي وشروح الرقم 13385- 1 القياس 210ص 21•14سم 21س.

مخطوطات الطب والصيدلية:

- **من 226 439 غاية الأتقان في تدبير بدن الأنسان**

لرئيس الأطباء صالح افندي بن نصر الله الحلبي المعروف بأبن سلوم ت 1080هـ 19669

الأول "الحمد لله الذي زين عقولنا بجواهر الحكم البديعة وسرح عيون بصائرنا في رياض علم الطبيعة وأرشدنا الى معرفة حفظ الصحة والبنات والمعدن"

وهو كتاب في علم الأمراض وقوانين تركيب الأدوية والطب الكيمياوين ويظن أن المؤلف أدرك أوائل الحركة الطبية عند الأفرنج أو اقتبس من مؤلفاتهم.

رتب في أربع أقسام وكل منهم سمي كتاباً وهي الكتاب الأول في الأمراض ويشمل على أربعة مقالات.

الكتاب الثاني في قوانين تركيب الأدوية وبيان الحاجة الى التركيب وكيفية أستعماله يتضمن ثلاثة أبواب وكل باب عدة فصول.

الكتاب الثالث لافي الأقربادينات الجامعة في المركبات ويشتمل على بابين

الكتاب الرابع في الطب الجديد الكيمياوي الذي أخترعه براكليوس ويشتمل على مقدمة ومقالات وفصول.

كتبها عبد الله بن محمد أمين الموصلي سنة 1205هـ/ 1790م الرقم 11467

القياس 506ص 21,5•15,5سم 22س

مخطوطات الموصل 237 دبروكلمان 666,2

مخطوطات الطب والصيدلية والبيطرة:

ص 151 295 الرسالة الشهابية في الصناعة الطبية

لقطب العارفين جمال الدين محمد بن ابراهيم المارديني من علماء 7هـ/ 13م

الأول (الحمد لله الذي خلق المخلوقات بقدرته وعلم الأنسان مالم يعلم بحكمته وصلى الله... أما بعد فهذه رسالة في الصناعة الطبية ألفتها بالعناية العالية المؤيدة الجليلة المحترمة من مولانا شهاب الدين أحمد بن عيسى أدام الله دولية)

تناول فيها للمؤلف الأمراض التي تعرض جسم الأنسان وعلاجاتها مبتدأ بأمراض الراس الى باقي أمراض البدن، ثم يتناول العلامات الدالة على الأمراض والمنذرة بالموت ثم الأغذية والأدوية. رتبها المؤلف على 80 باباً

نسخة جيدة كتبت سنة 1099هـ/ 1687م وتملكها حسن بن الحاج يوسف سنة 1248هـ/ 1832م الرقم 6-22437

القياس 84ص 22•15,5سم 19س

بانكيبور 4- 123 الذريعة 14- 256 فهرس الازحرية 6- 114 نسبت الرسالة في صفحة العنوان من هذه النسخة للشيخ أحمد بن رسلان الدمشقي وقد ذكر صاحب الذريعة ان المارديني وضعها لشهاب الدين احمد بن عيسى صاحب مده وكما مبين في دياجة المخطوطات

297 لها نسخة اخرى رقم 1- 18035 قياس 94ص 4,20*15سم 19س

978 نسخة اخرى برقم 2067 ثياس 194ص 21*15سم 9س

كتبت بقلم جيد سنة 1215ه/ 1800م

المؤلفات المخطوطة للعالم الرياضي من اهل الشام سبط المارديني، بدر الدين محمد بن احمد بن محمد الغزالي الدمشقي القاهري الشافعي ولد 826هـ/ 1423م، ت907هـ/ 1501م مؤلفاته الرياضية:

1. ارشاد الطلاب الى وسيلة الحساب/ بدر الدين محمد بن احمد بن محمد الدمشقي القاهري الغزالي المشهور بسبط المارديني ت9هـ مكتبة المتحف العراقي بغداد 10518، دار الكتب المصرية 2 رياضة- ف1034. رقم 63ل، ت ف، 586

2. تحفة الاحباب في علم الحساب لمحمد بن محمد بن احمد بن محمد الدمشقي القاهري المعروف بسبط المارديني المتوفي سنة 907ه/ 1501م

الاول (الحمد لله الميسر الحساب ومهون الصعاب وميسر السحاب.. هذا مختصر في علم الحساب سهل لمن يريد..).

رتبة المؤلف على مقدمة وثلاث ابواب وخاتمة.

المقدمة: في بيان موضوع علم الحساب وبيان العدد.

الباب الاول: في ضرب الصحيح.

الباب الثاني- في قسمة الصحيح.

نسخة جيدة كتبت بمدادين اسود واحمر سنة 997ه/ 1588م على يد محمد بن موفق عليها قراءة مؤرخة سنة 998هـ/ 1589م

الرقم: 23144/ 2

35ص 20*14,5سم 15س

معجم المؤلفين 11/ 188 كشف 1/ 361

3. التحفة المارديية في شرح الياسمينية: لبدر الدين محمد بن محمد بن احمد الدمشقي القاهري المعروف بسبط المارديني المتوفي سنة 907هـ/ 1501م.

الاول (الحمدلله رب العالمين.. وبعد فهذا تعليق وجيز على الرجوزة الياسمينية في علم الجبر والمقابلة..) وهي شرح على ارجوزة عبدالله بن حجاج المعروف بابن الياسميني المتوفي سنة 600ه/ 1203م. وقد سمي هذا الشرح باللمعة المارديية في شرح الياسمينية (كشف 1/ 62).

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ سنة 1218هـ/ 1803م عليها مقابلة.

في آخرها صفحة تتضمن مسائل حسابية.

الرقم: 23045/ 3 مكتبة المتحف العراقي

10ص 21*15,5سم 28س

معجم المؤلفين 11/ 188 كشف 1/ 62- 63

4. تعليقات على اللمع في الحساب: لمحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي القاهري سبط المارديني المتوفي سنة 907هـ/ 1501م

الأول (الحمد لله حمداً يليق بجلاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه...).

انتهى المؤلف من تاليفه سنة 893هـ/ 1487م كما يذكر الناسخ في الصفحة الخيرة من الكتاب وهي تعليقاتعلى كتاب اللمع في الحساب لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن عماد المعروف بأبن الهائم المتوفي سنة 815هـ/ 1412م.
كتبت النسخة بالمداد الأسود على يد محمد بن الحسين الكوراني سنة 1129هـ/ 1716م.

الرقم: 27433/ 7 مكتبة المتحف العراقي

32ص 21,5•16سم 31س

معجم المؤلفين 2/ 137، 11/ 188.

5. تكملة شرح الياسمينية: لمحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي القاهري سبط الماريديني المتوفي سنة 907هـ/ 1501م

أوله: (وقد فرغنا من شرح كلام الناظم على وجه الأيضاح والأختصار من غير أجحاف ولا أخلال ولكنه محتاج الى تكملتين وخاتمة ينبغي أن لا يخلو من ذالك لتكمل الفائدة ويحصل للمبتدئ التمرين والأتفاق...)

أضاف المؤلف هذه التكملة في نهاية شرحه للتحفة الماردينية وتقع في تكملتين والخاتمة:

التكملة الأولى- في جميع الأنواع وطرحها وفيها عدة مسائل.

التكملة الثانية- في معرفة استخراج ضلع نوع مفروض من الأموال والكعوب فما فوقها وفيها عدة مسائل.

الخاتمة: في معرفة أخذ المسألة من السؤال وسوقها الى ضرب من الضروب الستة وفيها ثلاثة امور.

فرغ المؤلف من تأليفه سنة 870هـ/ 1465م

نسخة جيدة كتبت في حياة المؤلف سنة 895هـ/ 1489م مكتبة المتحف العراقي رقم 13716/ 2

11ص 17•13سم 24ص

6. كتاب دقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق لمحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي القاهري سبط الماريديني المتوفي سنة 907هـ/ 1501م

أوله: (الحمد لله حمد الشاكرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لهُ شهادة المخلصين)

وهو مختصر في حساب الأعمال الفلكية عن طريق حساب النسبة الستينية. قال المؤلف أنه لن يقف على مقدمة شافية في هذا الفن غير مقدمة شيخه شهاب الدين أحمد بن المجدي سنة 850هـ/ 1446م المسماة (بكشف الحقائق في حساب الدرج والدقائق)

رتبه المؤلف على مقدمة في معرفة حروف الجمل وفيه عشرة ابواب:

ب1: في معرفة الجمع.

ب2: في معرفة الطرح.

ب3: في معرفة جدول النسبة الستينية.

ب4: في معرفة جنس حاصل الضرب.

ب5: في معرفة ضرب المركب في مرتبتن فأكثر.

ب6: في معرفة جنس القسمة.

ب7: في معرفة قسمة المفرد والمركب وقسمة المفرد على المركب وقسمة المركب على المركب.

ب8: في معرفة أمور تتعلق بالقسمة من تتمات وتحسينات واختصارات.

ب9: في معرفة التجذير.

ب10: في معرفة الميزان.

نسخة خطية جيدة كتبها علي بن مسمار علي سنة 1126هـ/ 1748م مكتبة المتحف العراقي الرقم: 6270
88ص 16,5•11,5سم 15سم
توجد له نسخ خطية أخرى في مكتبة المتحف العراقي تحمل الأرقام: 10038/ 1 و 11220/ 28

7. كتاب شرح اللمع في الحساب محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي القاهري سبط المارديني المتوفي سنة 907هـ/ 1501م

أوله (الحمد لله يليق بجلاله والصلاة والسلام على محمد وصحبه وآله...)

وهو شرح على كتاب اللمع في الحساب لاحمد بن الهائم.

نسخة خطية جيدة كتبة بالمدادين الأحمر والأسود، الصفحات مؤطرة بمداد أحمر، بلغ فيها الناسخ مقابلة وتصحيح كتبة سنة 944هـ/ 1537م، ورد في آخر هذه النسخة المصنف فرغ منها سنة 893هـ/ 1487م
مكتبة المتحف العراقي الرقم 8343
45ص 20•14,5سم 21ص
له نسخ عديدة في مكتبة المتحف العراقي تحمل الأرقام: 5902/ 7 و 20077/ 1 و 29373 و 4732 و 3530/ 1 و 23039/ 3 و 27433/ 7

8. كتاب شرح الياسمينة لبدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي القاهري سبط المارديني المتوفي سنة 907هـ/ 1501م

أوله (الحمد لله الذي جبر قلوب اوليائه بحسن المقابلة يوم الحساب وحط عنهم الأوزار ورفع قدرهم واجزل... أما بعد فهذا تعليق مختصر سهل نافع ان شاء الله تعالى وضعته شرحاً على الأرجوزة الياسمينية من علم الجبر)

ويختلف هذا الشرح عن شرح الياسمينية للمؤلف نفسه الموسوم: (التحفة المارديبنية) وفي آخره تتمة تقع في تكملتين وخاتمة أضافها الشارح في نهاية شروح الأرجوزة.

نسخة خطية جيدة كتبة بالمدادين الأسود والأحمر، جاء في آخرها ان الشارح فرغ من شرحه سنة 870هـ/ 1465م
كتبة هذا النسخة في 3 شعبان 895هـ/ 1489 في حياة المؤلف في أولها تملك المؤرخ في 1025هـ/ 1616م
مكتبة المتحف العراقي الرقم 13716
31ص 17•13سم 24س
كتاب شرح نزهة النظار في صناعة الغبار

لزين الدين عرفه بن محمد الآرموي الدمشقي الشافعي الفرضي المتوفي سنة 931هـ/ 1525م اوله (الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه في رياض انسه فهاموا في حبه للأبد ودقق كل الحساب على نفسه...)

وهو شرح على نزهة النظار لابن الهائم المتوفي سنة 815هـ/ 1412م التي لخص فيها كتاب المرشدة في علم الغبار والتي تسمى كذلك لمرشدة الطالب الى أسنى المطالب. بدأ الشارح في شرح المنظومة سنة 906هـ/ 1500م، وفرغ منه سنة 907هـ/ 1501م وقد ورد اسم المؤلف في آخر هذه النسخة.

نسخة خطية جيدة ترقى في نهاية ق 10هـ/ ق 16م تملكها عبد الله بن عيسى بن اسماعيل 1224هـ/ 1809م
مكتبة المتحف العراقي الرقم 8720 91ص 20•14,5سم 20س

كتاب حل ألفاظ نخبة التفاحة في علم المساحة لأبي الرضا عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن علي الدمشقي المصري الشافعي المعروف بالكتبي المتوفي سنة 1162هـ/ 1749م، عالم رياضي توفي في مكة المكرمة له مؤلفات: (المنهج الأقرب لتصحيح موضع العقرب في الحساب والهيئة) و (منظومة في حل الأعداد وشرحها). أول المخطوط (حمداً لمن علم الأشياء كيفاً وكماً وصورها في أشكال عديدة وبعد فقد سألني من لا تسعني مدافعة كلامه أن أحل ألفاظ نخبة التفاحة التي نظمتها في المساحة فأجبته لحل أشكالها مصوراً لأمثالها وأشكالها...) وهو شرح لمنظومة المؤلف في علم المساحة لنفس المؤلف والتي رتبها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

المقدمة: في تعريف المساحة والأصطلاحات

ف1: في مساحة الأصطحة المستقيمة.

ف2: في مساحة غير المستقيمة.

ف3: في مساحة الأجسام.

نسخة خطية جيدة كتبة بالمدادين الأسود والأحمر ذكر الناسخ في صفحة العنوان أن المؤلف فرغ من الشرح سنة 1171هـ/ 1758م معتمداً على ما جاء في آخر المخطوط حيث ذكر ما نصه (وكان الفراغ من تبيضهِ يوم الثالث المبارك من شهر ذي القعدة سنة 1171 من الهجرة...

مكتبة المتحف العراقي الرقم 10492/ 2 كتب النسخة أحمد بن السيد ابراهيم زكية سنة 1278هـ/ 1861م

45ص 22,5*17سم 21س

كتاب شرح الحاوي في الحساب

ابراهيم الحلبي، وهو تلميذ بهاء الدين العاملي الذي جازهُ سنة 1021هـ/ 1612م ويعرف بالأمير معين الدين. سألهُ بعض الطلبه أن يتمم شرح اليزدي على الخلاصة فشرحه من أول الباب الثالث الى آخر الكتاب.

أول المخطوط: (الحمد لمن علمنا عدد السنين والحساب وصلواة وسلاماً على شفيعنا يوم الحساب...)

وهو شرح على كتاب الحاوي في الحساب لشهاب الدين أحمد بن الهائم المتوفي سنة 815هـ/ 1412م. نسخة خطية جيدة مؤطرة الصفحات كتبها عمر راتب بن حسين أغا كتخداي بوابين شهد علي باشا سنة 1182هـ/ 1768م

مكتبة المتحف العراقي الرقم 2610/ 2

89ص 21,5*17سم 21س

كتاب تذكرة الكتاب في علم الحساب

لغرس الدين أحمد بن ابراهيم الحلبي الخليلي المتوفي سنة 971هـ/ 1563م

أوله (أحمد الله على عدد نعمائه وأشكره على تزايد آلآئه وأصلي على نبيه محمد الجامع...)

رتب المؤلف كتابه على مقدمة وبابين وخاتمة وهي:

المقدمة في العدد وتتضمن بحثان:

البحث الأول– في أسماء العدد وأنواعه ومراتبه

البحث الثاني– في الأشكال الأعداد الهندسية.

الباب الأول: في أعمال الصحيح وفيه ستة فصول وكل فصل رتب على أقسام.

الباب الثاني– في أعمال الكسور

الخاتمة– في الأعداد المناسبة

نسخة خطية جيدة كتبت بخط النسخ تقع ضمن مجموع كتب في سنة 1113هـ/ 1701م

مكتبة المتحف العراقي الرقم 31569/ 2

30ص 20·15سم 19س

دليل المكتبات العراقية التي تتواجد بها المخطوطات الواردة بالدراسة

1. فهرس بمخطوطات الحساب والهندسة والجبر في مكتبة المتحف العراقي، أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس، وزارة الثقافة والاعلام المؤسسة العامة للاثار والتراث دار الحرية للطباعة.
2. فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة بالموصل، سالم عبد الرزاق أحمد، وزارة الاوقاف 1397هـ 1977م.
3. الاثار الخطية في المكتبة القادرية في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة المعارف، بغداد 1980 الجزء الرابع.
4. مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة، علي الخاقاني، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1382هـ بغداد، 1962م.
5. فهارس الرقيقات لمكتبة مخطوطات المجمع العلمي العراقي، أبراهيم خورشيد ارسلان مطبعة المجمع العلمي العراقي 1401هـ بغداد 1981م.
6. مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي/ اسامة ناصر النقشبندي، دار الحرية للطباعة، بغداد 1981.
7. مخطوطات الفلك والتنجيم في مكتبة المتحف العراقي أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس، دار الرشيد للنشر بغداد 1982

النشاط التجاري للأندلس مع الدول المجاورة في القرن 4هـ(*)

أ. د. محمد بشير العامري

شهدت قرطبة في ق 4هـ ازدهاراً تجارياً بارزاً ومتميزاً جراء التطور الاقتصادي والنهضة العلمية والعمرانية والدبلوماسية التي شهدها عصر الخلافة الأندلسية اثناء حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الخليفة الحكم الثاني ويعتبر عصرهم بالذهبي الذي ينافس عصر هارون الرشيد العباسي في المشرق الإسلامي بفضل اهتمامهم ورعايتهم للحياة العامة واستقبال السفارات والاهتمام بالاعياد والاحتفالات وبناء وتعمير المساجد والقصور وإنشاء المدن مثل مدينة الزهراء ومدينة المريه (قاعدة الاسطول الاندلسي بالجنوب) بفضل خصوبة الأرض وجودة المناخ والموقع الجغرافي للأندلس على البحار سهل مهمة التجارة بالإضافة إلى توفر المعادن المختلفة وتطور الصناعة للحاجة جراء التطور الحضاري وحاجة العالم لبلد الأندلس.

تحدثت المصادر الأندلسية عن خيرات مدن الأندلس ومعادنها وصناعاتها فيذكر المؤرخ ابن غالب الأندلسي في كتابه (فرحة الأنفس) عن مدينة المرية ويصفها بأنها باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق وكان يعمل فيها من الوشي والسقلاطوني والبغدادي وسائر أجناس الديباج وجميع ما يعمل من الحرير مالم يعمل مثله بصنعاء وعدن ومنها كان يسفن إلى جميع الآفاق. ويقول عن مدينة بياسه وفيها الزعفران الذي لا مثيل له وعن بلنسية وبها معدن الحديد وفي مدينة مرسيه الطرز العجيبة والصناعة الغريبة أما عن طرطوشه فأنها كانت من أبواب البحر يسلكه التجار من كل جهة وبها خشب الصنوبر. واشتهرت سر قبسطه بالثياب الرقيقة يقوم بطرزها بكمالها متفردة بالنسيج في منوالها ولا تحكى في افق من الآفاق. أما طليطلة فتعرف بزعفرانها ذات الجودة العالية. ويتحدث الجغرافي الحميري السبتي في (الروض المعطار) عن أشبيلية وأسواقها العامرة واهلها مياسير وجل تجاراتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً فيجمع هذا الزين من إقليم الشرق وفي غرناطه معادن جوهرية من الذهب والفضه والصفر والحديد والرصاص والتوتيا. أما بسطه ففيها أسواق وبها تجارات وفعله بضروب الصناعات أما بلنسية فكثيرة التجارات ولها أسواق وفي بياسه أسواق ومتاجر أما بيانه فبها أسواق عامرة كما في ترجاله أيضاً.

وتطرق الجغرافي الأدريسي في (نزهة المشتاق) عن مصايد السمك في مدينة سبته والتي لايعد لها بلد ويصاد بها من السمك نحو مائة نوع وبها شجر المرجان- كما تحدث عن مدينة أشبيلية وفيها أسواق كثيرة وبيع وشراء وأهلها مياسير كما تحدث عن خيرات وتجارات مدن الأندلس الأُخرى.

زار الأندلس في عصر الخلافة وفي عام 337هـ/ 948م الرحالة ابن حوقل النصيبي متستراً بصفة تاجر من مصر وبدافع التجسس للفاطميين وتحدث عن خيرات وتجارة الأندلس في كتابه (صورة الأرض) ويذكر أن خزانة الخليفة عبد الرحمن الناصر وصلت عام 340هـ قرابة 20 مليون دينار عدا ماكان في خزائنه من المتاع والحلي وغيرها من المقتنيات الثمينة وفي عهد ابنه الخليفة الحكم المستنصر فقد تضاعف هذا المبلغ أما عن المستوى المعاشي.

مكانة عالم الكوفة جابر بن حيان ودوره في الحضارة العربية الاسلامية(*)

د. محمد بشير حسن راضي العامري

أنجبت الكوفة عالم متميز وعبقري في الحضارة الاسلامية بمؤلفاته واتجاهاته في مختلف ميادين العلوم والأدب الا وهو جابر بن حيان المعروف بالصوفي (ابو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي).

تحدثت المصادر عن سيرته العلمية وذكرت أنه كان من أصحاب الامام جعفر الصادق (عليه السلام) وأهتم جابر بن حيان بدراسة الفلسفة والمنطق والرياضيات وأبدع بهذه العلوم وتفوق على أهل عصره، وكان يتنقل في الولايات الإسلامية خشية من معارضيه وحساده، وانه تقرب من جماعة البرامكة واتصل بكبارهم وساداتهم ومنهم جعفر البرمكي.

حرص جابر بن حيان على مدينته الكوفة، ويذكر ان النديم في الفهرست أن جابر كان أكثر مقامه بالكوفة، وبها كان يدير الاكسير لصحة هوائها، ولما أصيب بالكوفة الازج الذي وجد فيه هاون ذهب فيه نحو مائتي رطل، ذكر هذا الرجل أن الموضع الذي أصيب ذلك فيه كان دار جابر بن حيان، فأنه لم يصب في ذلك الازج غير الهاون فقط).

أمتاز النتاج العلمي لعبقري الكوفة بالغزارة والتنوع في الأغراض، والدقة في التصنيف، وبلاغة عناوين الكتب وتعدد أبوابها وفصولها في مختلف العلوم والأدب والفنون، وقد صرح لنا جابر بن حيان عن مؤلفاته في مقدمات كتبه أو نقلاً عن تلامذته أو زملائه منهم محمد بن أسحق اذ نقل عن جابر في كتاب فهرسته كما نقل تلميذه أبي سعيد المصري عنه معلمه جابر بقوله "ثم الفت كتباً في الزهد والمواعظ، وألفت كتباً في العزائم كثيرة حسنة، والفت كتباً في النيرنجات، وألفت في الأشياء التي يعمل بخواصها كتباً كثيرة، ثم الفت بعد ذلك خمسمائة كتاب، نقضاً على الفلاسفة، ثم ألفت كتاباً في الصفة يعرف بكتاب الملك، وكتاباً يعرف بالرياض".

كانت لعالم الكوفة أصداء واسعة في الحضارة العربية الاسلامية اذ انتقلت أغلب مؤلفاته إلى الأندلس وساهمت في تطوير الثقافة الأندلسية وتشجيع علماء الأندلس على حركة التأليف على غرار موالفات جابر بن حيان أو تطويرها ولعالم الكوفة فضل كبير في التعريف على الكثير من المسائل والنظريات في العلوم، كماله مكانة متميزة في الحضارة العربية الاسلامية ودور ثقافي فعال في دفع الحركة الفكرية وتطويرها نحو الإبداع والتجديد والتفوق لخدمة الإنسانية، اذ تأثر الغرب الأوروبي بثقافة جابر بن حيان وترجمة الكثير من مؤلفاته القيمة في مختلف العلوم الصرفة والإنسانية والتي كانت محط إعجاب وتقدير لعالم الكوفة.

هدية من امبراطور القسطنطينية إلى الخليفة الناصر، اذ أصبحت قرطبة في عصره أكبر جامعة في العالم كما يصفها المؤرخ ابن حيان القرطبي بقوله "ان ملك الناصر بالأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادنة الروم وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفية بعظيم الذخائر، ولم تبق امة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية" نقلاً عن المقري/ نفح/ ج 1/ 366.

اشاد ابن خلدون بمكانة قرطبة العلمية واحترام الامم لها في خلافة الناصر بقوله "ومدت إليه امم النصرانية من وراء الدروب يد الأذعان، وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطنية في سبيل المهادنة والسلم والاعتهاد فيما يعن في مرضاته، ووصل إلى سدتة الملوك من أهل جزيرة الأندلس لجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب إليها من الثغور الجوفية، نقبلوا يده والتمسوا رضاة واحختقبوا جوائزة واقطبوا مراكبة" العبر/ ج 4/ 299.

التأثيرات المشرقية في فن الطبخ وأثرها على المطبخ الأندلسي

أ.د. محمد بشير العامري

الطبخ المشرقي الأصيل والشهي والنافع والممتع، اهتم الطباخ بتجهيز المواد الأولية من حبوب وخضراوات وبقوليات وزيوت ذات نكهة وكذلك من التوابل والعطور من الفلفل والكركم والزعفران فضلاً عن اللحوم الطازجة من البقر والخروف، ونوع وقود الطبخ من الأنواع الجيدة من الأخشاب اليابسة ذات الروائح الفواحة التي تعطي الطبخ جودة وطعماً.

اهتم المشارقة بتصنيف أنواع الطبخ من أنواع المرق والرز والمشويات من لحوم الحيوانات المتنوعة والاسماك وأنواع الأكلات المحشوة.

حرص المشارقة على تنظيم الموائد ونشر انواع الاكلات والمقبلات والزلاطات مع وضع الورود وقد ادخل علي بن نافع الملقب بزرياب البغدادي الموصلي اداب الطعام والموائد والنصائح المشرقية.

ادخل المشارقة معلومات كاملة الى بلد الاندلس ولهم الفضل في صنع انواع الاكلات المشهورة مثل البائية Palla وتعني بالعربية بقية اكل الملوك وماتعرف لدينا البيرياني، وهناك اسماء الكثير من انواع الخضار والحبوب والفواكه والتوابل باللغة الاسبانية ذات اصل عربي مثل: الرز، بذنجان، طماطة، بطاطة، اسبانغ، وكركم، وزعفران وغيرها وسوف نذكرها بالبحث مع تفاصيل جديدة وهامة واسماء اكلات خاصة للمرضى وكبار السن والصغار والمتزوجين.

العلم والتقنيات في الحضارة العربية الاسلامية

موجز الدراسة (تطور علم البيطرة في الاندلس)

تطور علم البيطرة في سلطنة غرناطة لمواجهة المخاطر الخارجية من الاسبان، وظهرت طبقة من البيطريين منهم ابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هديل الغرناطي صاحب المؤلفات في الخيل وبيطرتها منها:

1. تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس.
2. حلية الفرسان وشعار الشجعان.
3. عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة.

شجع سلاطين غرناطة الكتاب على تصنيف المؤلفات في الخيل وبيطرتها ومنهم السلطان ناصر الدين ابي عبد الله بن نصر الغالب بالله. اذ صنف له الفقيه الاديب اللغوي ابو عبد الله محمد بن رضوان بن ارقم الوادي اشي الغرناطي ت657 هـ/ 1258م كتاباً بعنوان "كتاب الاحتفال" عن الخيل وبيطرتها وصفه ابن الخطيب الغرناطي في (الاحاطة في اخبار غرناطة ج2/ 143141 -) بقوله:

"وقفت عليه من قبله وافدته" وهو لازال مخطوطاً في مكتبة دير الاسكوريال في اسبانيا يحمل الرقم اللاتيني 902 نسخة بخط المؤلف. ونظراً لضخامة الكتاب وغزارة معلوماته تعذر على السلطان قراته وفهمه فامر باختصاره من كاتبه عبد الله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي واسماه "مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال" وفيه معلومات مفيدة عن تطور علم البيطرة في الاندلس.

ومن ابواب كتاب الاحتفال في البيطرة "من معاناة الدواب، في الكي والوشم والخضاء، في اشخاذ النسل من الخيل، ماترعاه الدواب وتعلفه، اوقات الرعي" وفي كتاب مطلع اليمن من ابواب بالبيطرة التي اضافها المؤلف "باب ماللخيل من الافهام وذكاء الاذهان ولغيرها من سائر الحيوان".

ابدع الاندلسيون بالتأليف بالخيل وبيطرتها منها المخطوط "كتاب في معرفة الفروسية وعلامات الخيل ومداواتها" لمؤلف اندلسي مجهول، لدينا نسخة خطية مصورة عنه من مكتبة دير الاسكوريال بمدريد/ اسبانيا برقم 975 ونسخة ثانية بالمانيا (مكتبة غوطة) برقم 5558 والمخطوطين روائع التراث الاندلسي في الخيل وبيطرتها ومن ابوابه:

مايستحب في اعضاء الفرس من طول وقصر وعرض/ مايستدل به على شدة نفس المهر/ مايستدل على عنق الفرس/ صفة مايخالف فيه الذكر والانثى/ باب احوال المهر من وقت نتاجه الى ان يقرح ويهرم/ اصوات الخيل/ باب الاضهار/ باب نتاج البغال/ باب الرياضة وصفة العلوفات/ باب الاعلاف والكسوة.. الخ.

للاندلس فضل كبير على اسبانيا واوربا في علم الخيل وبيطرتها في ادخال النظم الحضارية لهم ولاتزال الكلمات العربية في اللغة الاسبانية منها:

اسطبل البقر: vaqueria

راعي البقر: vaquero

طب بيطري: veterinaria

طبيب بيطري: veterinario

استفادت اوربا واخذت من حضارة العرب واعترف المستشرق غوستاف لوبون بذلك بقوله بان العرب احلوا الفروسية والطبائع النبيلة محل الهمجية في اوربا، ودخلت ابداعات العرب ونظرياتهم ومؤلفاتهم والتي ترجمت الى العالم.

تطور الصناعات الدوائية في الاندلس العربي

د. محمد بشير حسن راضي العامري

ازدهرت صناعة الادوية بالاندلس في العصور التاريخية وتطورت في عهد الخليفة الناصر وابنه الحكم الثاني (المستنصر بالله) وذلك لولع الخلفاء بالطب والعلاج فحصل الاندلس على كتب الحشائش والنباتات الذي اهداه الامبراطور البيزنطي لخليفة قرطبة، فيها للمؤلف باولوس او روزيوس والاخر للعالم اليوناني ديوسقوريدس وتحدثت عن الكتابين، الطبيب الطبيب القبطي ابن جلجل الاندلسي وفيها صور للحشائش بالتصوير الرومي العجيب، واطلع عليها نخبة من اطباء الاندلس منهم محمد المعروف بالشجار وابو عثمان الجزار ومحمد بن السعيد الطبيب وعبد الرحمن بن اسحق بن هيثم وابو عبد الله الصقلي فصصح هؤلاء الاطباء والصيادلة الاندلسيين بحوثهم اسماء العقاقير الواردة في ترجمة كتاب ديوسقوريدس، كما صححوا نطق اسماء الحشائش الطبية وضبط معانيها.

شجع الخليفة الحكم الثاني على تطوير صناعة الدواء بالاندلس وقدمت الحكومة القرطبية الدعم المادي والمعنوي للصيادلة، ويذكر ان طبيب الخلافة حسداي بن اسحق استجلب تأليف من المشرق في الطب والعلاج وساعد على ازدهار الصناعة الدوائية.

اشتغل اطباء بغداد في بلاط قرطبة في تصنيع الادوية في خلافة الحكم الثاني وهما احمد بن يونس واخيه عمر ابناء يونس بن احمد الحراني اللذان اكملا تخصبهما العلمي الطبي في العراق، ويذكر عنهم ابن جلجل بقوله "رحلا الى المشرق في دولة الناصر في سنة 330 واقاما 10 أعوام ودخلا بغداد، وتأدبا هنالك بالطب خدما الرؤساء منهم: ثابت بن سنان بن قرة، وقرأ عليهم كتب جالينوس عرضا، وخدما ابن وصيف في عمل علل العين ثم انصرفا الى الاندلس ودخلا في دولة المستنصر في سنة 351، واسكنهما مدينة الزهراء ومات عمر بعده بالمعدة، وبقي احمد مستخلصا.

اهتم علماء الاندلس في مؤلفاتهم بالطبخ بايراد معلومات عن الاغذية والاشربة النافعة للانسان ففي كتاب الطبيخ في المغرب والاندلس مؤلف مجهول في عصر الموحدين افرد باب في صناعة الاشربة لمعالجة الامراض منها:

1. شراب الاصول الكبير والصغير للمعدة والكبد.
2. شراب العود القماري للمعدة والكبد والقلب.
3. شراب ورق الاترج للقلب والبطن.
4. الشراب المفرح الكبير للمعدة والكبد والقلب.
5. شراب العسل للكبد والمعدة.
6. شراب الجلاب للمعدة والكبد.
7. شراب الصندل للمعدة والكبد.
8. شراب المصطكي للمعدة والهضم ومنع القيء.
9. شراب الحرير لقلة الباه.
10. شراب النعنع.
11. شراب الورد الاخضر.
12. شراب الورد اليابس.

وغيرها- لقد اطلع المؤلف التجيبي على الكثير من المؤلفات الطبية في الاغذية ومنافعها في الاندلس، وهذا دليل على ازدهار صناعة الاعشاب لمعالجة الامراض في الاندلس،

اندماج العرب والاسبان حضاريا عبر التاريخ

الدكتور محمد بشير حسن العامري

نقل العرب المسلمون الى اسبانيا خلال وجودهم لاكثر من ثمانية قرون خزائن حضارية ثمينة ازالت الظلام والعبودية وانارت العقول وارتقت بالمجتمع الانساني واحدثت طفرة في جميع نواحي الحياة العامة وانتجت وابدعت العلوم والفنون وكان يسود التسامح الديني بين المسلمين والمسيحيين ويشهد التاريخ على معايشة السكان ووجود الكنائس بالقرب من المساجد وحدث الزواج ودخل عدد من الاسبان المسيحيين الى الاسلام وعرفوا بالمولدين كما عشق عدد منهم الثقافة العربية والتقاليد الاجتماعية كالختان ووضع الحناء على الشعر والايدي وامتنعوا عن اكل لحم الخنزير وبقوا على مسيحيتهم فعرفوا بالمستعربي.

إعتنق أهل ألاندلس مظاهر الحضارة كالنظافة في حياتهم ويذكر أن "أهل الاندلس أشد خلق الله إعتناءاً بنظافة مايلبسون ومايفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم ومنهم من لا يكون عنده ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويبتاع صابوناص يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبؤ العين عنها" وحدث الزواج بين العرب والاسبان واهمه زواج الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير من أرملة الملك الاسباني لذريق وزواج الخليفة الحكم الثاني المستنصر من الاميرة صبح وغيره واصبحت قرطبة مركز العلوم في العالم كما اصبحت اشبيلية مركز الفنون والاداب فيذكر "اذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع الانة حملت الى اشبيلية" ونقل الفنان العراقي زرياب الموصلي مظاهر الحضارة المشرقية في الفنون والاداب الى اسبانيا ومنها الى العالم المسيحي في اوربا. وحدثت تطورات علمية منها محاولة الطيران/ التطور المعماري في المساجد والقصور والحصون والقلاع والقناطر وصناعة السفن والملابس وغيرها.

كما انجبت الاندلس عدداً كبيراً من الاطباء والصيادلة والبيطريين وعلماء الرياضيات، ساهم بالحركة عدد من النصارى فكان طبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر حسداي بن شبروط، كما عالج ابو القاسم الزهراوي عدد من الاصابات الخطيرة للنصارى واليهود وبالاضافه الى اخوانه المسلمين وقد ذكر ذلك في كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف"

التسامح الديني الذي ساد الاندلس يعبر عن ارقى درجات الحضارة في التاريخ وتأثر الاسبان بالعرب دليل على المحبة والاحترام والفائدة وهناك عدد كبير من الكلمات العربية والامثلة الشعبية والعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية والادارية والعسكرية والقضائية لاتزال سائدة في اسبانيا اليوم على الرغم من انتهاء الوجود العربي ومرور اكثر من خمس قرون على خروج العرب من غرناطة، فالآثار العربية شاخة وشاخصة واسماء الشوارع العديدة والازقة والحارات لاتزال تحمل الهوية العربية مثل شارع القلعة والمنصور ومدريد ومدينة سالم والمرية وبلد الوليد وطريف والجزيرة الخضراء والساحات العامة والمتنزهات، بالاضافة الى اسماء الخضروات والفواكه مثل: البذنجان/ السلق/ سبانخ/ القطن/ السكر/ الرز، وغيرها والنظم الحربية والاسلحة مثل: الدرع/ الخنجر/ العرادة/ المنجنيق/ العزيق/ الترسانة/ العرين/ القلعة. الدرب والكثير في المجالات كافة.

ويصرح عدد كبير من المؤرخين الاوربيين باندماج العرب والاسبان حتى صار من الصعب التفريق بينهم في الشكل واللغة والملبس والعادات والتقاليد، كما اكدت المراجع على دور اهل الاندلس في الازدهار الحضاري خارج اسبانيا حيث استعان عدد من الملوك الاوربيين بالاطباء والمهندسين كبناء سقاية ماء في مدينة شتوتغارت بالمانيا تعرف

بكلمة "ميديو" على اسم المهندس العربي الاندلسي احمد، كما ساهموا في بناء الكنائس في انحاء فرنسا فهنا كنيسة ردام بياريس، وساهم ريموند اسقف طليطلة على اعمال الترجمة وترجم يوحنا الاشبيلي مؤلفات الخوارزمي في الرياضيات.

واهتم ملك قشتالة الفونسوا العاشر (الملقب بالعالم) بالعلوم العربية وقام بمشروع علمي ضخم للترجمة الى اللغة القشتالية في موسوعته المعروفة والمزودة بالمصورات العربية المهمة والرائعة والجميلة المعاني كما انشئ معهد للدراسات اللاتينية العربية في مدينة اشبيلية عام 1254م.

ولازال للاسلام والعروبة صدى واسع في اسبانيا واعتنق عدد كبير من الاسبان ومنهم المستشرقون الاسلام وعرفوا بأسماء عربية مثل المستشرق فرانشلكو كوديرا (زيدان) والمستشرق خليل بن امية وسانجش البرنص ولافونتي القنطرة. وهو دليل حب واعتزاز وتعانق للعروبة والاسلام وثقافتهم الخالدة.

الكوارث والازمات الاقتصادية في ملحمة كلكامش

أ. د. محمد بشير العامري

عرضت ملحمة كلكامش صورا من الكوارث الطبيعية والازمات الاقتصادية التي شهدها التاريخ في بلاد وادي الرافدين بأسلوب اسطوري ممتع يعبر عن اهتمام العظماء والحكماء بالحياة العامة للعراق وكيف تداركوا تلك الازمات باقتدار وتفكير لمواجهة المصاعب التي تتعرض لها الحضارة العراقية والتي بلغت اوج نضوجها واشعاعها على الحضارات القديمة في الازدهار الاقتصادي والفكري والاجتماعي وذلك في الحضارة البابلية العراقية. اهتمت ملحمة كلكامش بدراسة اصل الوجود والخليقة واصل الكون والالهة والحضارة وخبر الطوفان الذي يعد الجانب الهام من الملحمة والذي ورد ايضا في الملحمة البابلية المعروفة بقصة (اتراحاسس).

احتوت ملحمة كلكامش على الكثير من التراتيل والاغاني الدينية والصلوات والادعية للالهة في الاعياد الدينية لحماية البشر والاقتصاد من الكوارث والازمات والمصاعب دونت الملحمة قبل اكثر من 4000 عام ولكنها تضمنت مواقف وقضايا انسانية خالدة في حياتنا مثل مسألة الحياة والموت والخلود وارادة الانسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء والسعي وراء الوسيلة للخلود واستغلال الموارد الاقتصادية بشكل صحيح والسعي الى استثمار ماينفع ويخدم البشر والنجاة من الكوارث الطبيعية والازمات الاقتصادية التي يتعرض لها الانسان.

اظهرت الملحمة صورا حضارية شاخصة عن التطور الحضاري الذي يتمتع به وادي الرافدين في حماية المجتمع وثرواته الاقتصادية وانقاذها من الزوال والاندثار كما ظهر ذلك في قصة الطوفان التي ظهر فيها كلكامش الحاكم الحريص عندما نزل السفينة مع اور- شنابي ومعه المرادي العديدة لتحريك السفينة وعددها 120 مردي والتي تحطمت بالمياه وبعدها شمر كلكامش عن يديه ونزع ثيابه ونشرها بيديه كأنها الشراع وهو اروع موقف بطولي له في التضحية والفداء وقد خاطب كلكامش صاحبه بقوله (لقد طوفت في كل البلاد واجتزت الجبال الوعرة وعبرت كل البحار لم يغمض لي جفن ولم أذق طعم النوم) حمل كلكامش في السفينة معه بذرة كل ذي حياة، ومن مجاميع الطير وعجائب الاسماك كما حمل فيها من المخلوقات الحية وجميع الاهل وذوي القربة استمر الطوفان ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدتها ولما حل اليوم السابع تم اخراج حمامه لتطير ثم عادت لانها لم تجد موضعا تحط فيه ثم اخرج السنونو.

الاعياد ومظاهر البهجة والفرح في الاندلس واثارها على اسبانيا

الدكتور محمد بشير حسن العامري

اشتهر بلد الاندلس وامتاز باحتفالات الاعياد والمناسبات الدينية والدنيوية ينافس الشرق الاسلامي باعياده كالاحتفال بليلة القدر المباركة، وعيد الفطر المبارك، وعيد الاضحى المبارك، وليلة المولد النبوي الشريف واحياء ليلة الاسراء والمعراج بالاضافة الى الاحتفال بمناسبات الافراح كالزواج والختان والانتصارات العسكرية وتنصيب الحكام والولاة الجدد ومناسبة جني حاصل العنب من الحقول في غرناطة وقرطبة والاحتفال بالنيروز والمهرجان.

امتازت الاندلس بالطبيعة الخلابة والمناخ اللطيف المتنوع، فترى الجبال والسهول والهضاب والوديان والمناخ الشديد البرودة والمعتدل والدافئ مما ساعد على تنوع المحاصيل وكثرتها مما خلق بهجة وسروراً وفرحاً الهبت مشاعر الشعراء والادباء في وصف بلد الاندلس كما وصفها الشاعر ابن خفاجة الاندلسي بجنة الخلد التي وعد بها الله سبحانه تعالى عباده كما وردت بالابيات الاتية:

يا أهل اندلس لله دركم ... ماء وظل وانهار واشجار

ماجنة الخلد الا في دياركم ... وهذه لو كنت خيرت اختار

لاتتقوا بعدها ان تدخلو سقراً ... فليس تدخل بعد الجنة النار

شاركت بعض العوائل الاندلسية اخوانهم وجيرانهم المسيحيين في اعيادهم كعيد الميلاد للسيد المسيح (ﷺ) وعيد السنة الميلادية الجديدة، وعيد الفصح وغيرها في عمل الموائد وصنع اصناف خاصة من الاطعمة والتزين وارتداء الملابس الجديدة بهذه المناسبات التي حذر الفقهاء من المشاركة بها واعتبروها بدعة نهى الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ وصدرت الفتاوي عنها في المصادر الاندلسية مثل مخطوط كتاب "الدر المنظم في مولد النبي المعظم ﷺ" لابي العباس العزفي ومخطوط كتاب "جني الجنتين في خبر الليلتين" لابن مرزوق التلمساني كما اكد عليها الونشريسي في كتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب لفتاوي علماء افريقيا والاندلس والمغرب" وغيرها.

وتحتفل اسبانيا اليوم بالاعياد والمناسبات العربية واصبح لكل مدينة اندلسية اسبوع خاص بها تقام فيها مظاهر الفرح والبهجة ومن اهم الاعياد لقرطبة عيد "ابهاء قرطبة" في شهر مايو/ مايس/ ايار وهو من اهم اعيادها المحلية ويعد مزيداً في نوعه في جميع انحاء العالم.

اما احتفالات جني العنب في غرناطة ذات الاهمية السياحية، ويشترك في احيائها جميع اهل القرى الواقعة في منطقة انتاج النبيذ، وكذلك الاحتفال بعيد الفصح او "الاسبوع المقدس" في قرطبة واشبيلية. ويتخلل هذه المناسبات الغناء والرقص والعزف على الادوات الموسيقية التي تركها لهم الموسيقار والمغني زرياب الموصلي.

كما تحتفل مدينة مرسية باحتفال عسكري يشترك المسلمون والنصارى وتتم فيه المنازلات وعرض الملابس العسكرية والاسلحة التراثية وذلك في 28 آب من كل عام.

تحدث المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي عن الالعاب الشعبية التي كانت تقام في الساحات العامة لعبة الطبلة عبارة عن دائرة خشبية يأخذ الفرسان في قذفها برماحهم اثناء ركضهم بخيولهم، تحضرها الوفود من خارج غرناطة وتقيم الوفود في دار الضيافة بجوار قصر الحمراء.

كما تحتفل الاندلس بمسابقة الحيوانات المتوحشة والقوية كالاسود والثيران والخنازير يحضرها السلاطين للتفرج مع عامة الناس كما اكدت عليها المصادر الاندلسية وظلت مصارعة الثيران من ابرز احتفالات اسبانيا في اغلب مدنها حتى اليوم.

وامتازت مدينة سبتة بالالعاب الخاصة التي تعرف بالمرامى والجلسات واماكن السبق كما ذكرها لنا المؤرخ الانصاري السبتي في كتابه اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الاثار. ولا تزال حتى يومنا تحتفل بها مجتمعات سبتة.

الاعتزاز بالتراث العربي الاسلامي الاندلسي في اسبانيا له مكانته وتقديره شعبياً وحكومياً وهو مورد الرزق للسياحة في اسبانيا وهو من خيرات التاريخ العربي الاسلامي ويفتخر الاسباني من انه ابن الحضارة والتراث العربي الثري الاصيل المبدع الانساني المتواضع الغني بالعلم والمحبة للديانات الاخرى وهو سر نجاح العرب في تاريخهم.

صور من المظاهر الحضارية في تنظيمات البريد بالاندلس

د. محمد بشير حسن العامري

الصورة الحضارية الاولى :

شهد الاندلس تطورا حضاريا في تنظيمات البريد نظرا لاهمية هذه المؤسسة في الجانب الاداري والعسكري والاقتصادي.

يطلق اصطلاح "صاحب البريد" على المسوؤل عن دائرة او وظيفة البريد في الاندلس الذي كان يستلم اوامره من الخليفة او الامير الاندلسي، كما ذكر ابن حيان القرطبي (ت 469هـ) في كتابه المقتبس د. الحجي اصطلاح "الفرانق" على القائم بامر البريد في الاندلس والذين يحملون الاخبار وتقديم خدمات اخرى من خلال النصوص الواردة في كتابه نذكر منها نص عن حروب العدوة سنة 360هـ في عهد الخليفة الحكم المستنصر الذي قدم هدية كبيرة الى الفرانق او صاحب البريد بمناسبة اخباره عن فتح طنجة (ص90): "وانفذ (ابن رماح) كتابه من مكانه (طنجة) بالفتح عليه يوم الخميس المؤرخ مع فحلون بن هديل ومسعود بن محمد القرانين من وقته ذلك، فوصلا الى الزهراء يوم السبت المتقدم تاريخه، فتوصلا الى امير المؤمنين فاخبرهما فشفياه خبرا، فوصل كل واحد منهما بمائة دينار دراهم وخلع عليهما خزورا طرازية". كما ان الفرانق مسوؤلا عن النفقات التي تقدمها الخلافة الاندلسية. يوفد لنا الخبر (ص91): "وفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة منها سير باحمال الاموال والكي الى الوزير القائد بالعدوة محمد بن قاسم بن طلملس للنفقات على الحروب المشبوهة هناك وكان عددها 25 حملا توجه بها ثقاة من رجال الصيدين وعرفاء اصحاب الرسائل الخصيان، وكتاب الفرانقين، وتوالى الحمل الى العدوة كل حين فأجحفت الاموال".

أما عن اجور الفرانقين الاندلسيين المقيمين في طنجة واصلا بالعدوة المغربية فقد تحدث ابن حيان القرطبي عن ذلك (ص136) بقوله: "... فتعجل باتخاذ الدواب لها، وتعهد الى الخارجين بالعسكر عنه بدفع اجر خدمته لكل شهر والى الخازن باجراء السلوفة على الدواب والنفقة على الفرانقين والخدمة ان شاء الله".

الصورة الحضارية الثانية :

ويتضمن صاحب البريد في الحملات العسكرية دوراً مهماً

الصورة الحضارية الثالثة :

يستخدم البريد الاندلسي الحالات والارشادات والافعال في اداء وظائفه وخدماته بالاساليب التالية:

1. اشعال النار ليلا واستخدام الدخان نهارا للاعلام عن الخطر.
2. الصراخ والاصوات العالية والغريبة من على المآذن او الاماكن العالية الاخرى.
3. استخدام الطبول الجيدة.
4. اطلاق السهام التي تحمل الرسائل للاعلام او ارباك العدو.
5. الاستفادة من الحمام الزاجل المدرب لحمل الرسائل.

عن السهام التي تحمل اخبار مزورة الى جيش الاعداء يذكر لنا المؤرخ الاندلسي الطرطوشي (ت 520هـ) في كتابه ((سراج الملوك)) ص328: "ويكتب على السهام اخبارا مزورة ويرمى بها في جيوشهم، ويضرب بينهم بما في الميسور من ذلك...".

أما عن استخدام النار ليلا كأشارة او علامة يريده كظهور العدو في البحر، أو لأغراض تجارية، تحدث لنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي (ت 621هـ) في كتابه "المعجي في تلخيص أخبار المغرب" ص 491 بقوله: "فإذا ظهر

في البحر عدو لوركل حصن للحصن الذي يليه واتصل التنوير، فينتهي خبر العدو، من طرابلس إلى الاسكندرية، أو من الاسكندرية إلى طرابلس في 3 ساعات أو 4 ساعات من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويتحذرون عدوهم...".

أما عن الحمام الزاجل في الخدمات البريدية فكان له دوراً حضارياً بارزاً حتى فد خدمة العشاق في الأندلس، حيث استخدم الحمام في في نقل رسائل الحب وكما يذكر عن ذلك العالم المؤرخ ابن حزم القرطبي (ت 456هـ) في كتابه (طوق الحمامة) ص 35 بقوله: "واني لأعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة، ويعقد الكتاب في جناحها، وفي ذلك أقول قطعة منها:

تخبرهـــــا الــــــوح فـــــما خـــــاب ظلـــــه لــــــديها وجــــــاءت لحـــــوه بالبـــــشائر

ســــــأودعها كتبــــــي إليـــــك فهاهـــــل رســـــائل تهـــــدى في قــــــوادم طـــــائر

الصورة الحضارية الرابعة:

أما عن التقسيمات الادارية والتي تخص خدمات البريد بالأندلس فكان لها أثر كبير على تاريخ أسبابها وحضارتها حيث دخلت التسميات العديدة على اللغة الاسبانية مثل:

المدينة: مثل مدينة الزهراء ومدينة سالم وبلد الولود.

الكورة: القرية:

الريض (الحي) السوق:

وقد قسمت الأندلس إلى أقاليم عدة ورساتيق جمله وفي كل أقليم منها عدة مدن كما استخدم الرحالة والجغرافيين الأندلسيين القياسات البريدية ومنهم الأدريسي (ت 6ه) في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الأميال، المراحل (واجبابا تذكر حفيفة)، مسيرة أيام.

وتطرق الأدريسي (في كتابه ج 2/ 548) عن حب أهل الأندلس على الاستطلاع والتعرف على الطرق البحرية وذلك عن المخربين الذين خرجوا من مدينة لسهولة في التعرف على المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) وكان عددهم 8 رجال كلهم ابناء عم بمراكبهم .

براعة الاندلسيين في فن الطبخ(*)

توطئة تراثية:

الطبيخ العربي نموذج رائع من مظاهر تطور الحضارة العربية الاسلامية وازدهارها عبر عصور التاريخ، إذ برع الأندلسيين في إعداد أطباق شهية ومقبلة ولذيذة ومتنوعة من أصناف وألوان الأطعمة من مختلف المواد الحيوانية والنباتية ومن أنواع اللحوم البيضاء والحمراء والأسماك والطيور والخضروات والبقوليات والأخباز.

إمتاز المطبخ الأندلسي بشهرته وابداعاته وتأثره بالاكلات المشرقية والمغربية والاسبانية وامتاز بجودة المواد الأولية في إعداد الموائد نظراً لخيرات الأندلس وتوافر أغلب المواد من حيوانات ونباتات وأعشاب، فضلاً عن الى جودة المناخ والازدهار الحضاري الذي تمتع به الاندلس في ظل الحكم العربي الاسلامي وعامل المنافسة والتفوق الحضاري على الولايات الأخرى في المشرق الاسلامي، كما أن للخبرة أهمية وظهور عدد كبير من المصنفات في إعداد وجبات الطعام وتقديم افضل وأحلى الأكلات الطبية والنافعة والغنية بالمواد الاولية النافعة لصحة الانسان والتي تشبع الرغبات والأذواق وتخدم الجسم وتبعد عنه الأمراض تحقيقاً للقول "الوقاية خيرٌ من العلاج" و "غذاؤك دواؤك".

أبدع العرب وبرعوا في إعداد امهات الكتب والموسوعات الغذائية والطبية والمكتبات العربية والاجنبية ظلت غنية بالمخطوطات العربية التي اختصت بصناعة الأغذية وعلاج المرضى في كتب الطبخ العربي، والتي تؤكد على الإزدهار الحضاري للامة العربية الاسلامية بالتاريخ ومن هذه المصنفات مصنفات العرب التراثية في فن الطبخ في المشرق الاسلامي:

1. كتاب الطبخ/ للحارث بن بسعنز.
2. كتاب الطبخ/ إبراهيم بن المهدي.
3. كتاب الطبخ/ لإبن ماسويه.
4. كتاب الطبيخ/ لعلي بن يحيى المنجم.
5. كتاب أطعمة المرضى/ للرازي.
6. إكرام الضيف/ لإبراهيم بن إسحاق الحربي.
7. أدب القرى/ لأحمد بن عبد الله الطبري.
8. الأطلاع على منادمات الطباع / لمحمد بن إسحاق اليغموري.
9. نظم آداب الأكل/ لعبد الله بن سعيد بن عبد الله المكنى أبا قشير.
10. ألفية الطعام/ لعامر الأنبوطي.
11. الأقوال المعربة عن أحوال الأشربة/ لحسن بن إبراهيم بن حسن الحربي.
12. كتاب الطبيخ/ لأحمد بن محمد السرخسي.
13. كتاب الطعام والأدام/ لمحمد بن عبد الله الحراني.
14. رسالة في انواع الأطعمة وكيفية طبخها/ لتاج الدين بن زكريا بن سلطان النقشبندي.
15. رسالة في الأغذية اللطيفة وترتيبها وكيفيتها/ ليوسف ابو الحجاج.
16. كتاب طبخ العصير/ لحسام الدين الشهيد.
17. ضوء الصباح في المأكل الملاح/ لعبد الله موسى الدهراوي.

(*) بحث نشر في مجلة دراسات في التاريخ والاثار، السنة 21/ العدد 9 -بغداد 1423هـ/ 2000م، ص139-190.

18. كتاب الطبيخ/ لمحمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي.

كما صنف العلماء العرب مؤلفات قيمة في منافع الأغذية ومضارها وكيفية استعمالاتها والتحذيرات عنها وطريقة الاستفادة منها والكميات المطلوبة التي تؤدي للأغراض المطلوبة للمرضى للإنتفاع منها. ولا تزال أعداد هائلة من كتب العرب مخطوطة في المكتبات العربية والعالمية تنتظر التحقيق والطبع ليطلع عليها الناس ويستفيدون من معلوماتها ومن هذه المخطوطات نذكر منها:

1. الثمار/ إسحاق بن عمر- مخطوط في مكتبة اياصوفيا/ تركيا رقم 3593.
2. الاغذية/ حنين بن إسحاق- مخطوطة خزانة كتب خدا بخش- الهند رقم 2142.
3. قوى الأغذية/ حنين بن إسحاق- مخطوط- دار الكتب المصرية- مصرب رقم 1727/ 1719.
4. أغذية المرضى/ محمد بن زكريا الرازي- مخطوط مكتبة كنبرج- بريطانيا.
5. ترتيب الفاكهة/ محمد بن زكريا الرازي- مخطوط مكتبة دير الاسكوريال- مدريد رقم 870 (3)، 887.
6. تقديم الفواكه قبل الاطعمة/ محمد بن زكريا الرازي- مخطوط ايا صوفيا- تركيا رقم 3724.
7. دفع مضار الاغذية/ محمد بن زكريا الرازي- مخطوط الموصل- العراق رقم 268 (14).
8. منافع الاغذية ودفع مضارها/ محمد بن زكريا الرازي- مخطوط القاهرة، طبع المطبعة الخيرية رقم 1305هـ.
9. مصالح الاغذية/ محمد بن زكريا الرازي- مخطوط الاسكوريال- مدريد رقم 733.
10. رسالة في استعمال الاغذية/ يحيى بن عيسى بن جزلة- مخطوط دار الكتب المصرية- القاهرة 1440.
11. خواص الاغذية والبقول والفواكه والالبان واوضاع الحيوان والأباريز الأفاوية- مخطوط- مدريد رقم 651.
12. تحفة المحتاج في حكم أكل الناس الدجاج- محمد السوسي المرغيثي- مخطوط يقع في مجموع رقمه د/ 2214-و.
13. مختصر في الاغذية/ لمؤلف مجهول- مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 2430.
14. الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب.

دراسة كتاب فضالة الخوان في طيبات الطعام والالوان/ لإبن رزين التجيبي الأندلسي:

تحدث الأندلسيون في مؤلفات خاصة عن الطبخ واصوله منها ماصنفه ابن رزين التجيبي كتاباً "فضالة الخوان في طيبات الطعام والالوان" إمتاز بطابعه العلمي وتطور فن الطبخ والتعليمات والنصائح بتقديم افضل الموائد بأنواع أصناف المأكولات، ونصحوا في صناعة الأواني التي تقدم بها الأطباق منها الفخارية والنحاسية والقصديرية والذهبية وامتياز بعضها على الآخر في باب الصحة والذوق.

برع الأندلسيون في اعداد أفضل الأطباق المطبوخة التي امتازت بالجودة والطيب واللذة والتي تفوقت في طبخها على موائد المشرق، كما أكد ذلك التجيبي الأندلسي لاعجابه بالمشرق بقوله:

"كثير من المشارقة الذين قصروا في هذا الباب على الرغم من كثرة تأليفهم فيه، فكانوا دون المستوى المنشود حتى أصبحت مؤلفاتهم مما تعه الآذان"(1).

وجه التجيبي عدداً من النصائح والتوجيهات بتناول الأطعمة المطبوخة ومن أفضلها أواني الزجاج لأنها لا تصدأ ولا تمتص السوائل، كما حذر من تغطية الأطعمة بعد الطبخ مباشرة وهي ساخنة بأغطية محكمة وثقيلة لا تسمح

(1) ابن رزين التجيبي/ فضالة الخوان في طيبات الطعام والالوان/ تحقيق: محمد بن شعرون، ط2، دار الغرب الاسلامي (بيروت 1984)، ص 30.

باخراج الأبخرة، ومن الممكن أن يكون الغطاء فيه ثقوب ومخرج للهواء، كما نصح باستخدام المقلاة المصنوعة من أواني الفضة والذهب والقصدير والرصاص، وحذر أيضاً من أواني ومقلاة النحاس "(1).

ساهم التجيبي بتقديم الإرشادات والتحذيرات الطبية في تناول أصناف الأطعمة ويرى أنه يجب تقديم كل ماهو غليظ وثقيل الهضم بتناوله أولاً ليكون في قعر المعدة لأن قعرها أقوى على الهضم من أعلاها ثم الألبان والثرائد والجبن والهرايس والأطرية ولحوم البقر والغنم والقديد والحوت والحبوب وغيرها، من أجل هضمه بالمعدة جيداً، ثم تقديم أطباق البقليات لتلين المعدة، وكل أكلة مملحة يجب أن تتوسط وتؤخر الحلوى والفواكه والمشويات، ويذكر أن الحلوى المصنوعة بالبيض تكون صلبة يجب تقديمها، ويحذر تناولها من عنده مرض في المعدة مثل خلط صفراوي "(2).

يتوضح ازدهار المطبخ الأندلسي وتنوع أكلاته من خلال ما ورد من مختلف ألوان الطعام في كتاب "فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان" للتجيبي، وغيره من المؤلفات الأندلسية في فن الطبخ، وقدم لنا التجيبي أفخر وأشهى الأكلات وتنوعها وتعدد المواد المستعملة فيها وهي مفيدة وغنية بالمواد الأولية ومتعددة الألوان والأسماء ومنها الشرقية، وقد تضمن كتاب "فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان" على طباخات كثيرة الالوان والأشكال والمواد الحيوانية والنباتية، تؤكد لنا براعة المؤلف وخبرته الطويلة واعتماده على مصادر كثيرة واختصاصه بالمطبخ، وقد قسم كتابه إلى (12) قسماً بحسب نوعية المواد الأولية للطبخة التي تضم أنواع الأكلات المشهورة التي امتازت بها المائدة الأندلسية واختصت بها بعض مدن الأندلس ومنها اتخذت أسماء لها، الأقسام للطباخات والفصول الملحقة بها وهي:

القسم الأول: الأخباز والثرايد والاحساء وطعام الخبز:

الفصل:

ف1- الأخباز

ف2- الثرايد

ف3- الاحساء والحشائش

ف4- طعام الخبز وأنواع المجبنات والاسفنج وأشباه ذلك

ف5- في سائر ذلك مما يسقى سقي الثرائد أو يطبخ طبخ الاحساء

القسم الثاني: في أصناف لحوم ذوات الاربع:

ف1- في ألوان اللحوم البقرية

ف2- في ألوان اللحوم الغنمية

ف3- في ألوان لحوم الخرفان

ف4- في ألوان لحوم الجداء

ف5- في ألوان اللحوم الوحشية

ف6- في المصنوع من لحوم ذوات الأربع من البنادق والمرقاس والأجراش والهريسة وغير ذلك

---

(1) ن. م. ص31.

(2) ن. م. ص32.

القسم الثالث: في لحوم الطير:

ف1- في ألوان لحوم الإوز

ف2- في ألوان لحوم الدجاج

ف3- في ألوان لحوم الحجل

ف4- في ألوان لحوم فراخ الحمام

ف5- في ألوان لحوم اليمام

ف6- في ألوان لحوم الزرازير

ف7- في ألوان لحوم العصافير

القسم الرابع: في اللون المسمى بالصنهاجي وفي طبخ اللسان والكرش:

ف1- في الصنهاجي

ف2- في اللسان

ف3- في الكرش

القسم الخامس: في الحيتان والبيض:

ف1- في الحيتان

ف2- في ألوان البيض

القسم السادس: في الألبان وكل ما يكون منها:

ف1- في عقد اللبن الحليب وما يصنع منه

ف2- في عمل الرايب واستخراج الزبد

ف3- في عمل الجبن اليابس وما يصنع منه، وفي إصلاح الزبد واللبن

القسم السابع: في البقول وما ينسب إليها:

ف1- في الفزع

ف2- في ألوان الباذنجان

ف3- في ألوان الجزر

ف4- في ألوان الكمأة

ف5- في ألوان الاسفاراج

ف6- في ألوان الحرشف والقنارية وأَنْزان

ف7- في طبخ الفطر

ف8- في ألوان الاسفناج والبيرون والخس وشبه ذلك

ف9- في الجنانية

ف10- في القلقاس

القسم الثامن: في أنواع الحبوب من الفول والحمص وغيرهما:

ف1- في ألوان الفول الأخضر واليابس

ف2- في ألوان الحمص

ف3- في العدس

القسم التاسع: في المعسلات وأنواع الحلوى:

ف1- في عمل المعسل والغساني

ف2- في أنواع الحلوى

ف3- في القاهرية والسنبوسك

ف4- في عمل القصب الحلو

ف5- في عمل الفانيذ والأشفافول

ف6- في الجوزينق واللوزينق

ف7- في انواع شرقية

القسم العاشر: في الكوامخ وما ينضاف إليها من عمل الحلول وأنواع المرى واستخراج الأدهان واصلاح الزيت عند فساده وإصلاح الأطعمة:

ف1- في عمل الصناب

ف2- في الزيتون

ف3- في تصيير اليم

ف4- في تصيير الكبر

ف5- في تصيير الباذنجان

ف6- في تصيير الحوت

ف7- في عمل الخلول

ف8- في عمل أنواع المري

ف9- في عمل الزيت من أنواع الحبوب وإصلاح الزيتون

ف10- في استخراج الأدهان

ف11- في عمل القديد

ف12- في إصلاح الاطعمة وغير ذلك

القسم 11: في طبخ الجراد والقمرون

القسم 12: في الغاسولات

صنف المؤلف التجيبي الأندلسي أنواع الطباخات من مختلف أنواع المواد مع شرح عملية تصنيع تلك المواد وطبخها والتحذيرات والتوجيهات الواجب مراعاتها في أثناء إعداد الأكلة وكميات الماء والاملاح والتوابل التي تنضاف إلى الطبخة المطلوب اعدادها وتوجيه الطباخ وحثه وتشجيعه على إعداد طبخة طية وشهية إذا ما التزم بالوصايا الواجب اتخاذها.

ملاحظات على نصوص فريدة من الطباخات نذكر منها:

أطلق التجيبي الأندلسي اصطلاحات مطبخية على عدد من الأكلات للمدينة التي تشتهر بها والجماعة أو الأقليم المعروفة به أو من المواد المصنوعة منها أو الطريقة المعمولة بها الأكلة، واتخذت بعض الأكلات صفة تاريخية مثل القطائف العباسية، ومعجنة حشائش، والمفضلة، وزبيده زوجة الخليفة هارون الرشيد وأم الخليفة الأمين تلك الأكلات

المعروفة بالمجتمع المشرقي، وجبنة طليطلة (مدينة Toledo) التي تشتهر بصناعة الأجبان وتعرف بالمصادر الأندلسية بجبن الروم أو جبن المجوس.

نقل المؤلف الأندلسي عدداً من الطباخات المشرقية منها: طباهجية مشرقي، وطباهجية طباعية مشرقي، وتحدث عن طبخات الدجاج منها طبخة مشرقية تعرف بدجاجة عمروس وطبخة دجاج التركية والقرشية والبدوية والابراهيمية وغيرها من ألوان الأطباق.

أوضح المؤلف الأندلسي في القسم الرابع من أنواع الأكلات عن طبخ اللون المسمى بالصنهاجي والكرش المحشوة واللسان الصنهاجي نسبة إلى قبيلة صنهاجة المغربية"(1).

اعجب المؤلف الأندلسي واستلطف عدداً من الأكلات المغربية وأجرى موازنة بينها وبين الطبيخ الأندلسي ومن هذه الأكلات المغربية: كسكوس، والعصيدة، والقلية، والمرقاس، والخبيزات، والأحراش، والبرانية، السنبوسك، والاسفنج، والبديعة، والكنافة، القطائف.

أشار المؤلف الأندلسي بإضافة التوابل المتنوعة إلى أكثر الطبخات المعمولة، إذ تشتهر أرض الأندلس والمغرب بأصناف وأنواع وألوان التوابل والبهارات الحارة والباردة وذات النكهة التي تطيب الطعام وتجعله لذيذاً وتغير من طعمه ولونه وفوائده وإزالة الروائح من اللحوم والأسماك وتكسبها نكهة طيبة وشهية وجديدة، وفي اسبانيا اليوم تعرف أصناف من التوابل والبهارات باسماء عربية وتدخل بكثرة في المطبخ الاسباني: الزعفران Azufran، الكمون Comion، الكافور Alcaffor، قرفة Canela، خروب Algarroba، حُلبة Alhilva، الكركم Curcum، وكُزبرة Cilantro، وكُبابة Cubeda، الفلفل، والنعناع، والقرنفل، الكرويا، الزنجبيل، السمسم، الينسون، والزعتر، والجلجلان، والمصطكي Almaciga، والثوم، والمقدنوس، والبوشن، وعود بسباس، وورق أترج، الفيجان، السذاب، والصناب، والقاقلة، والعاقر قرحا، ماء بسباس، ماء فلفل، وعيون الكرفس، والترنجان، والاسبناخ، والبربوز، وخولنجان، والزيتون المصير، وورق رند، وعساليج الكبر، المصيرة، ونوار الخرشف، والمري.

استخدم الطباخ الأندلسي عصائر الحوامض لتطييب الطعام واعطائه نكهة وجودة وسرعة في إنضاج الطعام، ومن المخللات المذكورة:

خل الليم، خل الزنبوع، خل الحصرم، وماء حب الرمان الحامض، المري بأنواعه، فيه النقيع والمطبوخ والمعجل.

نصح المؤلف الأندلسي وأكد على النظافة للطباخ والمطبخ وأشار إلى عملية غسل الأدوات المطبخية والمحافظة عليها من الأتربة وابعادها عن الأوساخ، واستخدم المطبخ الأندلسي الأواني والأدوات الخاصة بالمطبخ وهي:

الساطور، والسفود، والمغرس من الحديد المعد لشوك الشرائح، قصرية، وسفود من حديد وعود، وطنجير او ابريم أو غربال من حلفا، مقلاة من جديد، ومقلاة مقصدرة، وابريق، وطلية من عود، وفرطة أو مرآة الكنافة (صنف من المقلاة)، ورخامة، ولوح أملس، وصلاية، وحجرة ملساء لطحن الأعشاب، وقفة من حلفا، وغربال الشعر،

(1) ابن حزم القرطبي/ جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد المنع خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية الطبعة الخامسة بيروت 1430 ه/ 2009، ص495 – 501.

ابن حوقل النصيبي/ كتاب صورة الارض، نشر دار مكتبة الحياة (بيروت 1979م)، ص 101 – 102.

ومحبس من فخار، وملة من نحاس أو فخار، قربة مدبوغة، وسكين من عود الميزان، طيفور، ملعقة، ومهراس من عود ونحاس، وخابية، وزير، قادوس التقطير، معكعك، مصال، ومغرفة، وملعقة.

ذكر المؤلف الأوزان والمكاييل لتقدير كميات المواد الداخلة في المطبخ منها:

الأوقية، والدراهم، والرطل، والمثقال.

وقد أشار المؤلف التجيبي إلى أجود أنواع المحاصيل منها الرز الذي يدخل في الطبخ مادحاً رز مرسيه Murcia موطنه ومحل ولادته في شرق الأندلس بقوله "إن حشيش الأرز قل ما يكون هذا الحشيش بمرسيه بلدي أو بلنسية، أعادها الله، لاختصاصها بازدراع الأرز وكثرته دون سائر بلاد الأندلس"[1].

تعصب المؤلف لطبخ أهله الأندلسيين وحسن ذوقهم وبراعة صنعتهم بقوله: "وإن تعصبت للصنف الأندلسي فأقول أنهم في هذا الباب وأشباهه أهل الحميات، وذوو التقدم وأن تأخرت اعصارهم على اقتصادهم ومجاورتهم في أماكنهم وديارهم لأعداء الاسلام على تداني نارهم"[2].

موقف الفقهاء في الاسراف على موائد الأطعمة:

تصدى الفقهاء بالاندلس لمحاربة الذين يقلدون اعياد واحتفالات وولائم النصارى في مناسبات مولد السيد المسيح (عليه السلام) ورأس السنة الميلادية أو تعرف بأعياد الميلاد وبالاسبانية Navidades وعيد اسبوع الفصح المقدس، وذلك لأن بعض العوائل الأندلسية كانت تحتفل وتقلد الاسبان وتقوم بأعداد أطباق من الطعام وعد ذلك الفقهاء نوعاً من البدع واستندوا للحديث النبوي الشريف "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار".

تحدث الفقيه العزفي السبتي في "كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم" عن موائد الأندلسيين وأنواع الأكلات التي قلدوها من جيرانهم الاسبان في الممالك الاسبانية الشمالية النصرانية، وذم تصرف الأندلسيين بالاسراف وانتقدهم لان ذلك يخالف العرف الشرعي والتقاليد الاجتماعية بقوله "وأضافوا للتخفي عنها بالسؤال، والمحافظة عليها والاقبال، من بدع وشنع ابتدعةها، وسنن واضحة أضاعوها، بموائد تنصبوها لأبنائهم ونسائهم وضعوها وتخيروا فيها أصناف الفواكه وأصناف الطرف وجمعوها، وتهادوا فيها. بالتحف التي انتخبوها، والمدائن التي صوروا فيها الصور واخترعوها، ونصب ذوو اليسار نصبات في الديار، كما نصب أهل الحوانيت، فتضدوها، فقوم أباحوا أكلها لعيالهم وقوم منهوها، وجعلوها كالعروس لا تعلق دونها الأبواب، وفي منصتها رفعوها، وبعضهم أكل من أطرافها ثم باعوها"[3].

(1) التجيبي/ فضالة الخوان، ص 15.

(2) ن. م. ص 30- 31.

(3) ابو العباس اللخمي العزفي السبتي. احمد بن محمد (ت 633هـ/ 1236م) واكمل الكتاب ولده ابو القاسم العزفي (ت 677هـ/ 1279م) الدر المنظم في مولد النبي المعظم، مخطوط اندلسي في مكتبة دير الاسكوريال بمدريد El Escorial ويحمل الرقم 1741 الافرنجي وله نسخ اخرى في مكتبة المتحف البريطاني في لندن تحت الرقم 919 ومكتبة المسجد الياني باسطنبول تحت الرقم 851 ونسخة في مكتبة مدرسة الدراسات العربية بمدريد Escuela de Estudios وتحمل الرقم الافرنجي X.

الورقة 3 (الاسكوريال) والورقة 84 (دراسات العربية) والورقة أ2 (تركيا). نسخة مصورة عند أ. د. محمد بشير العامري.

انتقد الفقيه العزفي البالغ والمصاريف الكثيرة التي تتفق على الأباق وألوان الطعام في الموائد التي تقوم بها بعض العوائل الأندلسية في أيام الميلاد ورأس السنة الميلادية في اسبانيا لان ذلك مخالف للشريعة الاسلامية في تقليد النصارى ومعارض ماجاء في الحديث النبوي الشريف "من تشبه بقوم فهو منهم" فضلاً عن انه اسراف لا جدوى منه، وتحدث لنا العزفي عن الموائد الأندلسية بقوله: "ولقد ذكر لنا غير واحد من المسافرين أن النصبة ببعض بلاد الأندلس، جبرها الله وأمنها، يبلغ ثمنها سبعين ديناراً، أو يزيد على السبعين، لما فيها من قناصر السكر وارباع الفانيد وأنواع الفواكه، ومن غرائر التمر ما عدال الزبيب والتين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها، وضروب ذوات القشور من الجوز واللوز والحلوى والقسطل والبلوط والصنوبر ألى قصب السكر ورائع الاترج والنارنج واليم. وفي بعض البلاد طاجن من مالح الحيتان يتفقون فيه ثلاثين درهماً..."[1].

أكد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على المسلمين اجتناب الاحتفال بأعياد وأفراح أهل الذمة احتراماً للشريعة الاسلامية وتعاليمها، وقد أوصى الخليفة (رضي الله عنه) بقوله: "إجتنبوا أعياد اليهود والنصارى، فان السخط ينزل عليهم في مجامعهم، ولا تتعلموا رطانتهم فتتخلقوا ببعض خلقهم"[2].

أشار الفقيه أبو بكر الطرطوشي الأندلسي (وأصلهُ من مدينة طرطوشة Tortosa بالأندلس) (ت 520- 525هـ) في كتابه "الحوادث والبدع" عن الموائد والأطباق الاندلسية المشهورة التي تقدم في الحفلات والأعياد والمناسبات والأفراح وعدها الطرطوشي نوعاً من البدع بقوله "من البدع إجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرين من رمضان، وكذلك على إقامة ينير بابتياع الفواكه كالعجم واقامة العنصرة، خميس ابريل بشراء المعجنات والاسفنج، وهي الأطعمة المبتدعة، وخروج الرجال جميعاً، أو أشتاتاً، مع النساء مختلطين للتفرج، وكذلك يفعلون في أيام العيد يخرجون للمصلى، ويقمن فيه الخيم للتفرج لا للصلاة"[3].

أوصى الطرطوشي المسلمين بالأندلس على احترام تعاليم الشريعة الاسلامية واحترام ماورد فيها من نصائح وتوجيهات وحذر من الأغلاط والانحرافات التي تُمارس بالمجتمع الاسلامي، وهي وصايا نافعة للانسان نذكر منها "دخول الحمام للنساء مع الكتابيات بغير مئزر والمسلمين مع الكفار في الحمام، والحمام من البدع ومن النعيم، ورجع الناس يتنافسون في الضحية للافتخار، لا للسنة ولا لطلب الأجر، بل لاقامة الدنيا... ومن البدع اتخاذ الألوان، والأكل على الخوان، واستعمال الطيب في آنية الفضة، ويرجع من الوليمة عند رؤية آنية الفضة. ومن البدع الانذار للعرس وللجنازة للمباهاة والتفاخر لكثرة الناس، وكذلك الانتشاد ورفع الصوت عند حمل الجنازة". وكذلك تقديم اللحم على الفاكهة.

والله تعالى يقول ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الواقعة 56: 20) والأُولى استعمال أدب القرآن وتقديم ما قدم الله وتأخير ما أخر الله. وأكل اللحم من غير نهش، وشرب الماء غير مص، واستعمال السؤال غير عرض، والأكل بأزيد من ثلاثة أصابع مكروه"[4].

---

(1) العزفي/ كتاب الدر المنظم/ الورقة 3 (الاسكوريال).

(2) ن. م. الحديث عن احمد بن زيد، عن ابي وضاح.

(3) الطرطوشي/ كتاب الحوادث والبدع، تحقيق محمد الطالبي (تونس 1959م) ص 140- 141.

(4) ن. م. ص 142– 143.

حرص الفقيه الطرطوشي في العناية بالشريعة والتعاليم التي تخص ما يتناوله المسلم من الحلال والمسموح وحذر من الأطعمة المصنعة من النصارى، وصنف لنا كتاباً يحرم فيه أكل الجبن المصنوع من قبل النصارى وأسماه "كتاب في تحريم جبن الروم" وهو من التراث العربي المفقود اليوم وله أشارات في المصادر الأندلسية ومؤلفات الطرطوشي.

متابعة في كتاب الطبخ للكاتب البغدادي وأهميته :

من المؤلفات العربية القيمة في المطبخ العربي الاسلامي ما صنفه محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي بعنوان (كتاب الطبيخ) فيه من المعلومات والنصوص النافعة في اعداد الأطباق الشهية واللذيذة والنافعة، وله من العبارات التراثية الرائعة منها ما جاء في المقدمة يقول: "فان ملاذ الدنيا تنقسم ستة أقسام وهي: المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمشموم والمسموع. وأفضل هذه الأقسام وأهمها، اذ كان هو قوام الأبدان ومادة الحياة ولا سبيل إلى استعمال غيره الا بالصحة الذي هو معين عليها. وغير محظور التأنق في المأكل والاهتمام بها والتخصص لها. وقد قال سبحانه: "قُل مَن حرّمَ زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق"[1].

فقد كان النبي (ﷺ) إذا صنع لهُ بعضُ أصحابه طعاماً وتأنق فيه على حسب ما كانت عليه حالهم حينئذٍ، ثم دعاه، أجابه إلى ذلك، وقد قال بعض الحكماء: أربعة تجمع الحسنى، وتكمل النعمى:

دين قوي، وسعي زكي، وطعام مري، وشراب هني، فدل على أنه لا بأس بالتلذذ في الأطعمة والتخصص بها"[2].

تضمن كتاب الطبيخ قائمة من الأكلات المشرقية الشهية واللذيذة والغنية والمتنوعة الأطباق والمواد الحيوانية والنباتية في عشرة أبواب هي:

الباب الأول: الحوامض وأنواعها. فصل في اللبن وما يطبخ منه.

الباب الثاني: السواذج على اختلافها

---

(1) الأعراف (7): 32 ووردت آيات قرانية عن الطيبات من الطعام نذكرها:

"يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله" البقرة (2): 172.

"وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم" البقرة (2): 57، الاعراف (7)160.

"فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون" الانفال (8): 26.

"ولقد بوآنا بن اسرائيل مبوّأ صدق ورقناكم من الطيبات" يونس (10): 93.

"وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات" الاسراء (17): 70.

"كلوا من طيبات مارزقناكم ولاتطغوا فيه" طه (20): 81.

"ياايها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً" المؤمنون (23): 51.

"وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات" غافر (40): 64.

"ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين" الجاثية (45): 16.

(2) البغدادي/ محمد بن الحسن بن محمد الكاتب/ كتاب الطبيخ/ اعاد نشره فخري البارودي بعد تحقيق د. جليبي الموصلي، دار الكتاب الجديد (1964م)، 9- 10.

الباب الثالث: ذكر القلايا والنواشف وأجناسها:

فصل في السوذج

فصل في طبائخ الدجاج

الباب الرابع: في الهرائس والتنوريات وما يجري مجرى ذلك

الباب الخامس: في المطبخات والبوارد والمعلوبة والسنبوسج وما يناسبها

الباب السادس: في ذكر السموك وما يعمل منها:

فصل في السمك الطري وألوانه

فصل في السمك المملوح وألوانه

فصل في الطريخ وما يعمل منه

الباب السابع: في المخللات والأطباغ والمطيبات

فصل في الصباغ

فصل في المطيبات

الباب الثامن: في الجواذيب والأخبصة وما يجري مجراها

فصل في الأخبصة

الباب التاسع: في ذكر الحلاوات وأصنافها

الباب العاشر: في عمل الخشكنانج والمطبق والقطائف

يوصي الطباخ البغدادي المشرقي العاملين بالمطبخ وصايا ونصائح وارشادات علمية وصحية وحضارية ينتفع منها العامل ولابد من الإشارة إليها، منها: "ينبغي أن يكون حاذقاً عارفاً بقوانين الطبيخ، بصيراً بصنعته، وليتعاهد قص أظافره بحيث لا يحيف عليها، ولا يتركها تطول، لئلا تجتمع الأوساخ تحتها، وليختر من القدور: البرم ثم من بعده الفخار، وعند الضرورة النحاس المبيض، وأردأ ما طبخ في قدر نحاس قد نصل بياضها، ويختار من الحطب اليابس مما لا يكون له دخان ساطع كحطب الزيتون والسنديان، وما أشبه ويتجنب حطب التين، فأنه كثير الدخان، وكل ما فيه نداوة. ثم يعرف مقدار الوقود، ويختار من الملح الاندراني..."(1).

ذكر البغدادي قائمة بأنواع البهارات والتوابل والمطيبات التي تضاف إلى الأكلات المطبوخة والمعروفة بالمشرق والمتداولة بالسوق وهي:

الكسفرة، الكمون، والكروايا، والدراحيني، والمصطكي، والفلفل، والرمان الحامض، أشار البغدادي إلى المواد المنزلية المطلوب استعمالها اثناء الطبخ نذكرها:

- الهاون الحجري والنحاسي لطحن الحبوب ودق اللحم.
- القدور والاواني والقلايات.

أكد البغدادي الاهتمام بغسل اللحوم والعناية بها في اثناء الطبخ من ما يطفو عليها بقوله: "والأصل في الطبيخ كله اذا غلت القدر أن يبالغ في أخذ الرغوة والزَبد ووسخ اللحم وما عساه يطفو على رأس القدر مع النفاخات الطالعة، وقبل ذلك غسل اللحم (بالماء الحار والملح) مما عساه يبقى فيه من دم أو وسخ وتنقيته من الغدد والعروق والأغشية،

(1) ن. م. ص11.

وتعريق اللحم في السواذج والقلايا بالدهن قبل سلقه وأن يترك الطبيخ حتى يهدأ على نار هادئة ساعة جده قبل غرمه. فاعرف ذلك"[1]

إنفرد البغدادي بأصناف من الأكلات الشرقية الشهيرة واللذيذة والمتعددة المواد الأولية التي تعمل بها والتي لاتزال معروفة في المجتمع الشرقي منها العراق نذكر من تلك الطبخات مع توضيح موجز عنها وهي:

مدفونة: تعمل من قطع سمينة وصغيرة، ويتم قليها ويضاف اليها الماء ثم الملح والكزبرة والدارسيني، ثم يوضع عليها لحم شرح احمر ويدق ناعماً ويسلق بالماء ويضاف الملح ثم يضاف عليه حمص مقشر ومطحون ومنقوع، وينظف البذنجان ويحفر داخله بعناية وبعدها يحشى من ذلك اللحم ثم يوضع في القدر بعد ان ترمى به قطع من البصل ثم يضاف قليل من التوابل والزعفران وماء الورد وتنظف جوانب القدر من فضلات ما عليه من أبخرة اللحم وتترك على النار فترة قصيرة"[2].

تحدث البغدادي عن الهرائس التي تعمل في المناسبات خاصة بالمشرق الاسلامي منها الدينية أو المآتم وفي فصل الشتاء وتقدم احياناً للمرضى وتعمل من الحبوب منها الحنطة المنقوعة والمقشرة وتعرف بالعراق "بالحبية" وتشتهر بها المحافظات الشمالية منها مدينة الموصل لخبرة أهلها بصنعها وجودة الحنطة الشمالية فيها. ثم يطحن ويهرس اللحم جيداً وبذلك عرفت بالهريسة ويضاف الماء الى القدر بإستمرار مع تحريك المواد بصورة دائمة ويضاف أحياناً الدجاج المقطع وهو نادر عمل ذلك، ويوصي البغدادي بعملها بأن "يوقد تحتها وقوداً متصلاً في أول الليل إلى الربع ولا يزال يحرك ثم تترك على نارجيدة"[3] ويضاف الملح حسب الكمية والدارسيني المطحون للنكهة الطيبة، وينصح البغدادي بقوله "وعملها في التنور خير من عملها على كانون"[4].

أفرد البغدادي فصلاً للحديث عن موائد الأسماك والأطباق الشهية وكيفية اعدادها وطبخها وشوائها وهي على أنواع منها"[5]:

1. سمك مشوي بعد أن ينظف السمك ويُضاف من السماق والزعتر والثوم والملح ولب جوز والكزبرة والدارسيني والكمون والمصطكي وتخلط المواد وتوضع فوق السمكة المربوطة على شبكة حديدية وتحتها وحولها نار موقدة من الأخشاب.
2. سمك مقلو.
3. سمك مسكيج.
4. سمك ممقور.
5. سمك مقلو بخل.

خصص البغدادي باباً عن المخللات والمطيبات التي توضع على الموائد لفتح الشهية وتساعد على هضم الأطعمة الدسمة، موضحاً فائدتها بقوله:

---

(1) ن. م. ص12.

(2) البغدادي/ كتاب الطبيخ/ ص 43.

(3) ن. م. ص52.

(4) ن. م.

(5) ن. م. ص60– 63.

"تستعمل بين الأطعمة لتغسل دهانتها من الفم وتشهي وتهضم الطعام وتمري الأكل"[1] وهي عديدة وتعرف بالمشرق ومنها العراق بالطرشي نذكر منها:

نعنع مخلل، باذنجان مخلل، لفت مخلل محلى، باذنجان محشى

ومن الأصباغ: باذنجان بلبن، قرع بلبن، سلق بلبن، شيراز بيقول، اسفاناج ومطلجن.

ومن المطيبات: كامخ ريجال، وزيتون مبخر، وخل وخردل، وملح مطيب، باقللي بخل.

تحدث البغدادي عن صناعة الحلويات الشرقية"[2] الشهيرة منها:

حلواء يابسة، وصابونية، وفستقية، ومكشوفة، ولوزينج، وفالوذج، ومكفن، وبرد، وسمك وأقراص.

المواد المطلوبة للعمل هي: السكر والسميد، واللوز والفستق والعسل والشيرج، والمسك والزعفران والسمسم، وأوضح البغدادي طريقة العمل والوصايا والنصائح والكميات والطريقة المفضلة.

مراجعة كتاب الطبخ في المغرب والأندلس وتحليله/ لمؤلف أندلسي مجهول:

من المؤلفات التي ظهرت في فن الطبخ بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس لمؤلف مجهول"[3] وفيه من أنواع الأكلات والأطعمة والأطباق الشهية واللذيذة التي تؤكد براعة أهل المغرب والأندلس في اعداد أنفس أنواع الطعام وأطيبها وذات المنافع الطبية، وذكر أصناف من الأكلات المعروفة في قصور الخلفاء والامراء وأهل الدولة، والطباخات المغربية والأندلسية التي تقدم في المناسبات والأعياد والأفراح والولائم بالمآتم الدينية.

اعتمد المؤلف الأندلسي المجهول علي معلومات ونصوص عديدة وأطلع على مؤلفات المشرق وما ورد من أكلات وأشربة في كتب الطب ومنافعها الطبية للانسان، وذكر المؤلف من أمثلة تاريخية مهمة ومفيدة عن موائد عملت ونصبت في مدن الأندلس في عصور مختلفة ومن داخل قصور وبيوت المغرب والأندلس، مع معلومات توضح غنى بلد المغرب والأندلس وحسن أذواقهم وبراعتهم وجودتهم بالمطبخ.

---

(1) ن. م. ص 65.

(2) ن. م. ص 75– 78.

(3) المؤلف المجهول/ كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس/ تحقيق المستشرق الاسباني امبروسو ويشي ميراندا Ambroso Huici Miranda، مقالة في صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، المجلد: 9 و 10 (مدريد 1961– 1962م) الصفحات 15– 256/ المحقق لم يعلق ولا يوضح عن الكتاب شيء مفيد.

ملحق بمفردات كتاب الطبخ في المغرب والأندلس:

أفرد المؤلف الأندلسي بأنواع الاطباق والأكلات في الموائد بالمغرب والأندلس وهي متنوعة ومختلفة المواد والأنواع وطريقة عملها وصفاتها وفوائدها واسمائها وهي:

1	صفة المركاس	147	عمل الفالودج
2	صفة عمل الأحرش	148	معقد العسل
3	نوع من الأحرش	149	صفة تعرف بالقصب الحلو
4	لون البنادق	150	مقشورة محشية
5	صفة الاسفريا	151	صفة تعرف بثردة أمير
6	الاسفريا الساذجة	152	عمل الخبيص
7	الاسفريا المزورة من الحمص	153	صفة من حوائج الخبز والحلوى
8	صفة الصنهاجي الملوكي	154	رأس ميمون محشو
9	مركاس بالجبن الرطب	155	لون من حجلة
10	صفة لون ذكره الرازي	156	عمل قادوس
11	لون صنابي	157	قادوس من بنادق
12	لون المصري	158	حشو الخروف بالجبن
13	لون الجملي	159	صفة تعرف بالحشيشة
14	لون المخلل	160	وقد يصنع على صفة ثانية
15	صفة الفرطون	161	صفة قرص محشوة
16	المخلل المحلى	162	صفة قرص أُخرى
17	عجة بفراخ	163	ثردة بالرغف في طاجن
18	ذكر أنواع الشواء	164	ثردة إسفنج بلبن
19	شواء في الطاجين	165	صفة الأقرون
20	صفة شي الدجاج	166	صفة الاذان
21	دجاجة مشوية في القدر في الفرن	167	عمل حديدات
22	دجاجة مشوية في القدر في الدار	168	الحلو المخمرة
23	دجاجة تسمى المدهونة	169	استخراج ماء اللحم للمرضى
24	دجاجة مقلوة مطبوخة	170	لون يفتق الشهوة ويقوي المعدة
25	كبش محشي الجوف مشوي يسمى الكامل	171	لون من ماء اللحم
		172	لون من ماء اللحم يصلح يوم الحمية للدواء بعد أخذ الدواء مختصراً
26	خروف مشوي		
27	خروف مشوي بديعي	173	صفة لون محمود الغذاء
28	خروف مشوي بجلده	174	آخر مثله صيفي يبرد الجسم
29	عجل مشوي صنع للسيد أبي العلا في	175	لون آخر يقوي المعدة من قبل الحر

	والمرطوبي الأبدان والمعد الرطبة	273	لـون مـن جنـب خـروف قـد شـوي في
124	صـفة البنـادق المـستعملة في بعـض		فرن
	الألوان مثل التفايا والجملي وغيرها	274	صفة مسلوق الصقالية
125	عمل اسفنج محشو	275	ثردة الغساني
126	مجبنة من رقاق	276	زبربادة من جبن طري
127	مخبزة من فراخ أو زرازير	277	ثردة من زبربادة
128	مخبزة بحوت بحري أو نهري	278	صفة صباهجية بالرانية
129	خبزة مورقة	279	لون من قسطل بلحم خروف
130	خبزة معجونة بزبد	280	صفة قلية القسطل
131	صفة القطائف	281	صفة طباهجية مغمومة
132	سكرية من إملاء أبي علي البغدادي	282	لون من لحم بفستق
133	سكرية من إملائه	283	لون من لحم خروف بترفاس
134	خبيصة من إملائه	284	دجاجة تخمر بالجوز والزعفران
135	خبيصة برمان	285	آخر يخمر باللوز المدقوق
136	خبيصة رابعة	286	آخر يخمر بماء الكزبر الأخضر
137	لون يعمل بالخبيص	287	لون بصنوبر
138	لون من باذنجان	288	آخر يخمر بالفستق
139	عمل بيض محشو	289	جلدية من دجاجة
140	لـون محمـود في الربيـع لأصـحاب	290	آخر صنعة لون الخدم
	الامتلاء وغليان الدم		
141	لون سكباج محمود الغذاء		
142	صفة الخبيز باللحم		
143	عمل القاهريات		
144	عمل الضفائر		
145	عمل رأس ميمون		
146	صفة معقد السكر		

أطعمة المرضى:

أبدع المؤلف الأندلسي المجهول في عرض أنواع من الاطباق اللذيذة المتنوعة للاذواق والمختلفة الالوان والمواد المعمولة منها، وعرض نصوص ونصائح مفيدة للمرضى وتوجيهات نافعة للمصابين بالامراض المزمنة، وقدم أطباق لتقوية أعضاء الجسد ومحاربة بعض الامراض والالام بواسطة تناول أطعمة لان الغذاء الجيد هو الدواء النافع للانسان المريض، ومن توجيهات المؤلف المجهول ونصائحه ننقل النصوص الآتية:

نقل عن الاطباء بقراط وجالينوس في الاغذية وتوصياته بقوله: "ينبغي ان يختار من الطعام للمرضى ماهو ألذ، قال جالينوس في تفسيره: إن قول بقراط ماهو ألذ هو الطعام الذي يشتهيه الانسان العليل، وتميل نفسه اليه وإن كان ناقص الفضيلة وكان من شأنه أن يولد خلطاً مذموماً، فإن الانسان إذا تناوله بشهوة واشتياق إليه احتوت عليه معدته

وقبلته نفسه، واشتملت عليه طبيعته، فطبخه أتم طبخ وانهضم احسن هضم، وتولد عنه غذاء محمود، وحالت مضراته نفعاً، ومن هاهنا يُرى كثير من المرضى ينتفعون بالاغذية الضارة إذا أخذوها بشهوة "(1).

أفرد للمؤلف المجهول باباً مهماً في الاغذية النافعة للمصابين بأمراض المعدة وسوء الهضم لتقديم النصائح لهم والاطباق المناسبة للحالات المرضية وتجنيبهم المعاناة من بعض الاطعمة الضارة لصحتهم، ويبدو لنا أن المؤلف المجهول كطبيب يعالج المرضى المصابين وانه قد درس الطب واطلع على حالات مرضية، ومما لاشك فيه ان المجهول على درجة كبيرة من الثقافية ودرس واطلع على المؤلفات الطبية لان المعلومات التي أوردها غاية في الاهمية والمنافع لمعالجة المرضى، كما يبدو ذلك في فصل فيما يجب ان يؤكل من الطعام وحده، ولايجب أن يخلط بغيره من الاغذية بقوله: "هذا باب جليل النفع في حفظ الصحة والسلامة من الهيضات وفساد الاغذية في المعدة وانقلاب الطبيعة، فإن الطعام البطيء الهضم متى أغتذى معه بغذاء سريع الانحدار سهل الانهضام أفسد أحدهما الآخر، وكان ذلك سبباً لحدوث التخم والهيضات والجشأ الحامض، وتولد الكيموسات الفاسدة، وأما كل طعام غليظ بطيء الانحدار مختلف في الهضم ثقيل في المعدة بعيد الهضم، فسبيله أن يؤكل وحده ولايخلط بغيره، ويقدم ولا يؤكل ألا على الجوع الشديد، والشهوة القوية الصادقة، مثل الهرائس، والروؤس، واللحوم البقرية السمان، وألارز باللبن، والمجبنات، والمحاشي المدسمة، وما أشبه ذلك، فهذه الاغذية الثقيلة البطيئة الانهضام والانحدار سبيلها أن لاتؤكل إلا وحدها ولا يخلط بها غيرها من الاغذية، فان ذلك فساد ومضرة، وذلك انها اذا حصلت في المعدة وحدها وقبلتها اشتملت عليها المعدة واحتوت عليها الحرارة الغريزية وطبختها وقويت الطبيعة على هضمها، فكان الخلط المتولد عنها محموداً، ومتى حصلت لغيرها نشطت الاغذية اللطيفة واحترقت وأفسدت غيرها"(2).

العادات والتقاليد لصناعة الأغذية في الولايات الاسلامية:

استعرض لنا المؤلف الاندلسي المجهول عن صناعة الاطعمة واعداد الاطباق والموائد العربية في الولايات الاسلامية مع موازنة لما كان يعمل من الاغذية في المغرب والاندلس وما يشتهون ويفضلون من انواع الاطعمة، وهي معلومات مفيدة نقلها المؤلف المجهول واطلع عليها وتشكل نصوصاً نافعة في المطبخ العربي، نذكر منها:

"فكثيراً يشتهون ويميلون الى الوان الاطعمة يكرهها غيرهم، وذلك ان اهل اليمن يطبخون بالتمر... ولايختار ذلك غيرهم، وأقوام من العجم يطبخون الأرز بالسماق ويلتذونه، ويكرهه غيرهم، وأهل الشام يحبون ويوثرون في الاعراس الملين، ولايختاره غيرهم، وكأهل تنيس من بلاد مصر فأنهم يطبخون من السمك الطري مثل مايطبخ من اللحم كالمضيرة والحضرمية والمروزية، وأهل مصر يختارون من الطبخ المروزي ويكرهها اهل العراق لانهم يشبهونها بالدواء لوقوع الإجاص والعناب والزيت فيها، وكالملة التي يحبها أهل البادية إذا كانت طعامهم ولا يقدر غيرهم على شمه فضلاً عن أكله فليس من الواجب اذا ذم إنسانٌ لوناً من الالوان وطعماً من الطعوم أحب أن يذمه جميع الناس، فإن الطبائع والقوى والأمزجة والهيئات والعدات والشهوات مختلفة"(3).

تفنن العرب المسلمون في صناعة الخبز واعداد أنواع منه بحسب الولايات او طريقة عجنه وطبخه أو خبزه ومن أصنافه: الأصبهاني والرقاق واللبق والمشطب والمريش والمردوف وخبز الماء والطابوني والمغموم والمشوك

---

(1) ن. م. ص 76.

(2) ن. م. ص 76- 77.

(3) ن. م. ص 77.

والمظلوع، وللملوك في المشرق عادة وفصل حسن وذلك انهم يأمرون الخبازين بأن يصنعوا لهم عدة انواع من الخبز ويحضروا طبقاً كبيراً واسعاً يسميه الخبازون طبق العرض بمعنى أنهم يعرضون فيها مايصنعون من الخبز على الصاحب، فاذا نظر الملك الى تلك الاخباز أكل مما يشتهي منها وماتدعوه نفسه اليه"[1].

تشتهي النفس البشرية من الطيبات الأطعمة "فالعين تأكل قبل الفم" كما يقول المثل العربي، فالعرب ماهرون في اعداد الاطباق ويفتحون الشهية، فالعرض واللون والمواد المعمولة بها الاكلة وماوضع عليها وحولها والمائدة وتوزيع الاكلات عليها وباقات الورد والطعام الحار والنكهة من التوابل والبهارات في الاطعمة تجذب الشهية والناس المدعوون ووسائل الزينة والاصوات الجميلة كلها لها اثر في الفرد عند تناوله الطعام، حتى أن كرم صاحب الضيافة وغنى نفسه تدفع المدعو وتفتح شهيته حتى ليقال ان "نفس المدعو طيبة" وان صانع الطعام ماهر ونفسه بالطبخ مرغوب وذلك لكرم يده واخلاقه.

نظافة المطبخ:

النظافة جوهرة الطعام تأتي بعدها نوعية الاكلة المستخدمة ومهارة الطباخ وبراعته وذوقه في الطبخ وتزويقه للأكلة وتنسيقه في عرض الأطعمة على المائدة، وقد أكد المؤلف المجهول ذلك بقوله " فأقول إن اول مايجب ان يبدأ به في صناعة الطبخ التحفظ في تناولها من الاوساخ والعفونات، وتنظيف الاواني المستعملة لذلك مع نظافة الطباخ، وكثيراً من الناس يقولون ان أطيب الطعام ما لم تر العين، وليس كذلك، بل أطيب الطعام ماوقع عليه الحس ورأته العين ووثقت به النفس واطمانت اليه وعلمت حقيقته في صنعته فإن الصانع من الطباخين بعد ان يتم عمله ويفرغ منه لايفكر ولا يبالي كيف كان، لأنه يحسب ان الغاية التي تراد منه هي تعجيل الفراغ والانصراف، ولهم خلالٌ وأشياء لاينبغي ذكرها من قلة تحفظهم وسوء مناولتهم، فكيف المطالعة عليها والنظر اليها؟ وهذه الحال التي دعت كثيراً من الخلفاء والملوك أن يأمروا بان يكون الطبخ بين ايديهم، ومنهم من دعته الضرورة الى طبيخ مايأكله بيده، حتى ألفُو الطبخ والفُو في ذلك كُتباً كثيرة، فمنهم أحمد بن المعتصم، وابراهيم بن المهدي، ويحيى بن خالد، والمعتمد وعبد الله بن طلحة، ثم أناس من بعد هؤلاء العلماء والحكماء والكتاب والوزراء وخواص الناس"[2].

اقامة الولائم للفقراء بالأندلس:

شهد بلد المغرب والاندلس اقامة الموائد لعامة الناس ومنهم الفقراء والمسافرون والضيوف، وامتاز عصر الخلافة بالاندلس ابان حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وولده الحكم المستنصر بالله من المساعدات للفقراء والمحتاجين كإنشاء الكتاتيب لاولاد الفقراء وإطعامهم بالقرب من المسجد الجامع بقرطبة ايام الخليفة الحكم المستنصر بالله كما ورد ذلك بالنص: "وأبتنى بغربي الجامع دار الصدقة اتخذها معهداً لتفريق صدقاته (رحمه الله تعالى) ومن مستحسنات أفعاله وطيبات اعماله، اتخاذه المؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع وبكل ربض من أرباض قُرطُبة وأجرى عليهم المرتبات، وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح، ابتغاء وجه الله العظيم، وعدد هذه المكاتب (27) مكتباً، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة"[3].

---

(1) ن. م. ص 78.

(2) ن. م. ص 79.

(3) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب/ تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت د.ت) ج 2/ 240.

يؤكد لنا المؤلف المجهول ان ايام الخليفة الناصر وابنه الحكم الثاني شهدت اهتمام بالفقراء والمحتاجين وتقديم الطعام لهم وحتى كانت العناية بالاسماك وتقديم الخبز، وكما جاء بالنص التالي: "ولقد رأيت في- تاريخ الزهرة- من تواريخ قرطبة انه كان في ايام عبد الرحمن الناصر لدين الله وفي ايام ابنه الحكم يطبخ خارج باب القصر كل يوم من الحمص المطبوخ خمسة أقفزة قد اخذ ماؤها وصرف في الطبخ ورمي بجرمه، فكان يرفعه الضعفاء والمساكين، وكذلك رأيت في التاريخ المذكور انه كان يفتت في كل يوم ثلاثين خبزة برسم حيتان البحيرة التي في القصر"(1).

اشتهر عرب الاندلس بحسن ضيافتهم واعداد الاطباق للضيوف، وصارت عادات وتقاليد للقبائل العربية ضيافة جنود الحملات الجهادية التي تمر عبر اراضيها اثناء الفتوحات بالاندلس، كما حدث ذلك للحاجب محمد بن ابي عامر المنصور العامري عند عبوره من مدينة مرسية Murcia بالشرق متوجهاً في حملته الى برشلونة Barcelona إذ استضاف الحاجب وجنده احد وجهاء المدينة وهو أحمد بن عبد الرحمن المعروف بدحيم بن مروان ابن خطاب بن محمد بن مروان بن خطاب بن عبد الجبار الداخل. أكرم ضيافة أشادت بها المصادر الاندلسية منها النص الذي يقول" وذكر أن المنصور محمد بن أبي عامر لما وصل الى مدينة مرسية استضافة أحمد هذا وجميع عسكره اياماً، وصنع له فيما صنع حماماً كان ماء الحمام من ماء الورد الطيب الغاية. وأهدى له قناصر من الفضة الخالصة"(2).

أشار المؤلف المجهول بأصناف من الاطعمة المشهورة التي تقدم بالولائم بالأندلس منها صنف من الطباخات التي تخمر بالخل التي تدوم ولا تتلف، كما وصفها بقوله "يؤخذ من اللحم البقري السمين أو غنمي سمين ويقطع قطعاً صغاراً، ويجعل في قدر جديدة بملح وفلفل وكزبرة يابسة وزعفران كثير وثوم مقشر مقطع ولوز مقشر مقسوم وزيت كثير، ويغمر بالخل الثقيف الخالص جداً، ولا سبيل لشيء من الماء، ويرفع على نار فحم معتدلة، ويحرك إذا غلى، فإذا نضج وانحل اللحم وقل حينئذ ينزل على الرضف، ويخمر بيبض كثير وقرفة وسنبل، ويصبغ بزعفران كثير صبغاً، ويجعل فيه من محاح البيض صحاحاً ويترك على الرضف حتى يعقد ويجف مرقه ويظهر دسمه. هذا اللون يبقى أياماً كثيرة لا يتغير ولا يفسد يسمى في بلاد الغرب طعام الغرس، وهو واحد من السبعة الألوان المذكورة المستعملة عندنا في اللائم بقرطبة وأشبيلية"(3).

اشتهرت مدينة قرطبة ومراكش بالمغرب أكلة البلاجة في المناسبات وهي أن "يؤخذ من اللحم الغنمي الفتي السمين دون عظم ولا عصب، بل من قطع لحمه ووشحمه ودوارته ومعاه وكبده وقلبه وكرشه، ويقطع ذلك كله قطعاً صغاراً جداً، ويجعل في قدر بملح وقطعه بصلة وكزبرة يابسة ووزيت ويسير مري نقيع، ويحمل على نار معتدلة، ويطبخ حتى ينضج وينزل عن النار ويصفى من مرقته، ويقلى في مقلاة بزيت كثير حتى يحمر، ثم يجعل في طاجن، ويصب عليه قدر ما يحتاجه من دسمه ومرقته التي طبخ فيها، ويفقص عليه من البيض قدر الكفاية ويضاف إليه من الفلفل والكزبرة اليابسة والسنبل، وينثر عليه لوز مقشر مقسوم، ويصبغ بالزعفران صبغاً يرض ويضرب حتى يختلط، ويصب عليه

(1) المؤلف مجهول/ كتاب الطبخ في المغرب والأندلس، ص 81.

(2) العذري/ أحمد بن عمر بن أنس ابن الدلائي (ت 478هـ/ 1085م) ترصيع الأخبار، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الي جميع الممالك، (نشر بعنوان: نصوص عن الأندلس) تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني، نشر معهد الدراسات الاسلامية (مدريد 1965م) ص 15.

(3) المؤلف المجهول، كتاب الطبخ في المغرب والأندلس، ص 26.

زيت كثير، ويدفن فيه من محاح البيض ما أمكن، ويدخل في التنور، ويترك فيه حتى يجف مرقه ويحمر أعلاه ويخرج، فهذه صفة البلاجة التي كانت تصنع في بلاد المغرب مثل قرطبة ومراكش وما بينها من البلاد"[1].

طرائق اعداد الموائد وتقديم الأطعمة وترتيبها وتنسيقها:

يحمل العرب المسلمون في الغرب الاسلامي من الأذواق الرفيعة والخبرة العلمية والحرص الشديد في التجاح بأعمالهم وارضاء المقابل بكل ما أمكن من أجل كسبه وجلب انتباهه. تحدث لنا المؤلف المجهول عن كيفية تركيب استعمال ألوان الأطعمة، وما ينبغي أن يقدم وما يؤخر منها، إذ جاء منه "فأول ما يبدأ بتقديم المؤنثة، مثل البقلية المكررة، والتفايا بأنواعها، ومن بعدها من الالوان الجملي، ثم المثلث ثم لون المري، ثم المخلل، ثم المعسل، ثم الفرطون، ثم المعسل ثانية، فهذا ذكر الألوان السبعة وترتيب أكلها.

وقد كان الكثير من أكابر الناس واتباعهم رسموا أن يوضع على كل مائدة بين يدي الرجال ألوان مفردة، لون بعد لون مرتبة، وهو لعمري أحسن من أن يجعل أغضرة كثيرة كلها على مائدة وأجمل وأكثر تأدباً وأطرف، وهي طريقة أهل الأندلس والغرب رؤسائهم وخواصهم وذوي الفضل من أهلها من أيام عمر بن عبد العزيز وبني أمية إلى هلم"[2].

وصف المؤلف المجهول الأدوات الخاصة بالمطبخ المغربي والأندلسي وهي عديدة ومتنوعة المواد وفضل بعضها على الآخر في الصناعة بقوله "ومن الآلات التي يحتاج أن يستعيرها من كان مقتنياً بصناعة الطبخ والصيدلة مهراس من حجر الرخام الأبيض أو من عود يكون من الخشب الصلب... معداً لدق أشياء لا ينبغي دقها في الخامس بوجه... ومن هذا الخشب الصلب تكون المغارف والملاعق والعود الذي يقطع عليه اللحم، واللوح الذي يمد عليه الكعك، وأطعمة الخبز، يكون أملس في غاية الصقالة، وكذلك الآلة التي يصنع بها المركاس، يكون من الزجاج الأبيض او من فخار مزجج، او من خشب صلب"[3].

أشار المؤلف المجهول إلى اكلة المخ ومنافعها الغذائية فعدها أكلة الملوك لقيمتها وطعمها وشهرتها وحب المؤلف وأعجابه لها ما يفتح الشهية لتناول طبخة المخ، ووصفها بقوله "هذا يراد من صفته أن يؤلف منه ما يشاكل مطعمه ومذاقه طعم الأمخاخ، لزن كثيراً من الملوك والرؤساء يحب أن يأكل منها ويجعلها غذائه، ولو اقتصر الإنسان على ما يجمع له من مطبخه من أمخاخ ما يذبح ما يحصل له منه مايبلغ به إلى إرادته وقضاء شهوته، للمخ من الأغذية المحبوبة المشتهاة.

ومن المستحسن في أكل المخ أن من سبق إليه فأخرجه على المائدة أن لا يذوقه حتى يبدأ باطعامه لصاحب المائدة وأن لا يذوق منه شيئاً حتى يطعمه لصديقه وحبيبه والمطعم عنده. ولقد سمعت أن بعض الملوك قلد بعض أتباعه عملاً جليلاً وأنه دخل ليودع الملك ويسير، وقدمت المائدة وأحضرت، فلما مضى صدر من الطعام حضر لون كان فيه عضو فيه مخ، فأخذه ذلك الانسان واستخرجه والملك مراع لفعله وهو لا يشك أنه يدفعه إليه، فلما استخرجه وضعه على لقمة وذر عليه ملحاً وأكلها، وأسرها الملك له، ثم أن المائدة رفعت وغسل الملك يده، وقام يوادع الملك ويسير، فقال له

---

(1) ن. م. ص 49.

(2) ن. م. ص 71.

(3) ن. م. ص 70.

الملك: بيني وبينك شيء أحتاج أن أوقفك عليه بعد هذا الوقت. فانصرف إلى داره ولم يخرج إلى العمل، فقيل للملك في ذلك، فقال: لا يكفيه أن يأكل في العمل في السنة بخمسة آلاف درهم أخاخ!"[1].

نقل المؤلف المجهول بعض الأكلات الشرقية التي أدخلها القادمون إلى الأندلس منها سكرية من املاء أبي علي البغدادي لعله هو أبو علي القلي صاحب كتاب الأمالي الذي قدم الأندلس ايام الخليفة عبد الرحمن الناصر كما نقل عن القالي خبيصة بأنواع متعددة"[2].

عرض المؤلف المجهول بعض الأكلات الأجنبية منها المثلثة الفارسية"[3] المعمولة من اللحم المخمر بالخل والباذنجان ويضاف إليها الفلفل والكراويا وكزبر يابس والزيت كما وردت أكلة "صفة مسلوق الصقالبة" والصقالبة أقوام نصارى من أوروبا استخدمهم الخليفة عبد الرحمن الناصر للخدمة في الجيش والقصر وكثر عددهم في أيامه بالأندلس وتذكر إحصائية "كان عدد الصقالبة بالزهراء ثلاثة آلاف خصي وتسعمائة وخمسين وكانت جرايتهم من اللحم في كل يوم ستة عشر ألف رطل سوى الصيد وأصناف الطير والحيتان"[4].

ورواية أخرى لابن عذاري المراكشي، واحصائية قدرت الصقالبة ونفقاتهم بالزهراء بأرقام هي "عدد الفتيات الصقالبة 3750، وعدة النساء بقصر الزهراء الكبار والصغار وخدم الخدمة 6300 امرأة، وكان لهؤلاء من اللحم 130000 رطل ينقسم من عشرة أرطال للشخص إلى من دون ذلك. سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان"[5].

إتصفت أكلة الصقالبة بمواردها المميزة وهي أن "يؤخذ اللحم فيقطع ويغسل ويجعل في القدر ويؤخذ مصران سمين وكرش منقى، ويقطع تقطيعاً مدوراً، ويلقى في القدر بصل صحيح وسباس وقبضة فيجن وورق الأترج وشيء من كزبر يابس مدقوق وملح ومغرفة زيت طيب، ثم يصب الماء في القدر حتى يغمر اللحم، ويوضع على النار، ويطبخ حتى يتهرأ، ويؤخذ رأس ثوم فينقى من قشره، ويرمى في القدر صحيحاً ويطرح فيه فلفل، ويغلى هذا كله، وينزل على الرضف ساعة واحدة إن شاء الله"[6].

دراسة في كتاب الطبخ لابراهيم بن المهدي:

الحق مع كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس كتاب آخر بعنوان "من كتاب الطبخ لابراهيم بن المهدي، وقد وردت اشارة للمؤلف الذي صنف كتاباً عن الطبخ وذلك في الحديث عن الخلفاء والملوك العباسيين بالنص الآتي: "... وهذه الخلال التي دعت كثيراً من الخلفاء والملوك أن يأمروا بأن يكون الطبخ بين أيديهم، ومنهم من دعته الضرورة إلى

---

(1) ن. م. ص 35- 36.

(2) ن. م. ص 77- 78.

(3) ن. م. ص 143.

(4) المؤلف مجهول/ ذكر بلاد الأندلس/ تحقيق وترجمة للاسبانية: لويس مولينا (مدريد 1983م) ج 1/ 166.

(5) البيان المغرب/ ج 2/ 232.

(6) المؤلف المجهول/ كتاب الطبخ في المغرب والأندلس، ص 148- 149.

طبخ ما يأكله بيده، حتى ألفوا الطبخ في ذلك كتباً كثيرة، فمنهم أحمد ابن المعتصم وابراهيم بن المهدي ويحيى بن خالد والمعتمد وعبد الله بن طلحة..."[1].

يبدو أن المحقق الاسباني نشر كتاب الطبخ لابراهيم بن المهدي نظراً لأهميته وقيمته العلمية في فن الطبخ إضافة إلى أن عدداً من الأكلات المنشورة بالكتاب تتشابه مع أكلات المغرب والأندلس وبعضها مقتبسة أو لها صلة قوية مع الغرب الاسلامي وربما اعتمد المؤلف ابراهيم بن المهدي على كتاب أندلسي ومغربي في الطبخ.

ألوان الأطعمة التي وردت في كتاب الطبخ لابراهيم بن المهدي متنوعة الألوان والأذواق والأشكال والمواد المعمولة من انتاج حيواني وزراعي، حتى أن النصوص متقاربة مع كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، ويظهر ذلك أيضاً في خاتمة كل أكلة عبارة "إن شاء الله" التي جاءت في المصدرين.

وأرى من الضرورة ذكر قائمة بأسماء الأكلات في كتاب الطبخ لابراهيم بن المهدي، مع توضيحات وتعليقات وموازنة وشرح لبعض الأكلات الشهيرة أو الشهية أو التي تحمل عناوين بارزة.

محتويات ومفردات كتاب الطبخ أسماء الأكلات التي وردت عند ابراهيم بن المهدي هي:

1	حمصية	87	صفة عمل الجودابة وتسمى أم الفرج
2	براتية محشوة	88	وهو طعام مشرقي
3	صفة العسل	89	صفة الجودابة الساذجة
4	صفة صقلية	90	جودابة نافعة للبرد وتقوي الجماع
5	الفول الأخضر باللحم ويسمى بالفستقية		عمل الكنافة
6	صفة لون حسن	91	عمل المسمنة وهي المورقة
7	صفة لون من دجاجة يعرف بالصباحي	92	صفة الشبات بالشحم
8	صفة البقلية المكروه	93	صفة الأرز المعسل
9	صفة البباسية	94	صفة المجبنة
10	صفة بقلية لزرياب	95	كيفية عملها
11	صفة السفرجلية	96	صفة مجبنة بالبيض
12	صفة التفاحية	97	صفة المجبنة المثلثة
13	صفة نرجسية بالجزر	98	صفة المجبنة بالسميذ
14	صفة الذاهبي	99	صفة المجبنة الفرنية وتسمى عندنا
15	كيفية عمل الذاهبي	100	بالطليطلية
16	صفة اخرى	101	صفة قرصة تصنع بالشحم
17	صفة اخرى منه مقطراً	102	صفة الفيجاطة تصنع بالأندلس وتسمى
18	ذاهبي في الطاجن	103	سبع بطون
19	الصنهاجي	104	صفة المركبة وهو طعام يصنع بقطر
20	صفة الألوان المعمولة من الباذنجان		قسينطة وتسمى الكتامية

(1) المؤلف المجهول/ ن. م. ص 79.

79	القمح	170	عمل الكشكاب
80	صفة ثريد الشهيات		
81	جشيشة ملوكية تغذو غذاء صالحاً		
82	جشيشة طبية تسمن النساء والرجال المهازيل		
83	عصيدة تقوي وتغذو غذاء كثيراً وتسمن		
84	عصيدة بجشيشة تغذو وتسمن		
85	ذكر أنواع الرفيس وأطعمة الخبز والحلاوة		

الأشربة الطبية لمعالجة الأمراض:

ملحق في نهاية كتاب الطبخ لابلاهيم بن المهدي بعنوان الباب الأول في الأشربة، المصنوعة من الأعشاب والنباتات بكميات معينة مع استخدام العسل وتطبخ هذه المواد بكميات معينة ولوقت معين، مع وصفة طبية لمنافع هذه الأشربة ومعالجة الأمراض والإصابات وتنفع أعضاء الجسم الانساني، ونذكر أسماء الأشربة ومنافعها الطبية وهي:

ت	اسم الشراب	المنافع والفوائد الطبية
1	شراب الأصول الكبير	يقوي المعدة والكبد، ويفتح سدد الكبد والطحال وينقي المعدة، وينتفع من سائر أمراض البلغم في البدن.
2	شراب الأصول الصغير: صفة عمله	ينفع الكبد، ويفتح سدده، وينفع الطحال، وينقي المعدة من فضلات البلغم، حيث ما كان في الجسم، وينفع من أمراض الاستسقاء.
3	شراب العود القهاري	يقوي المعدة والكبد وسائر الأعضاء، ويفرح القلب، ويلين الطبيعة يسيراً، وينفع من بدء الاستسقاء.
4	شراب ورق الأترج	
5	الشراب المفرح الكبير	يفرح القلب تفريحاً جيداً ويقوي الاعضاء الباطنية، ويلين البطن برفق، وهو عجيب للغاية.
6	شراب العسل	ينفع من ضعف المعدة، ويقوي الكبد، ويفرح القلب، ويهضم الطعام، ويلين الطبيعة برفق.
7	صفة ماء العسل	ينفع من ضعف الكبد، ويقوي المعدة، وينفع من سائر أمراض الاستسقاء، ويحلل البلغم من سائر أقطار البدن، ويسخنه تسخيناً جيداً،
8	شراب الجلاب	وفيه بعض التفريح، ويلين البطن، وهو عند القدماء بمنزلة الخمر بالتسخين.
9	شراب الصندل	فإنه يقوي على الباه، ويخلف لك كل ما هبط

		من تلك الفضلة الشريف. من حميات البلغم، ويقوي المعدة والكبد، وينفع من بدء الاستسقاء، ويلين البطن، وهي في ذلك عجيب للغاية.
10	شراب المصطكي	في تسكين وهج الصفراء، وقطع العطش والنفع من سائر الأمراض والحميات
11	شراب الحرير	الصفراوية، ويترك الطبيعة على حالها، من غير أن يفعل فيها حقنة ولا تليين، ويقوي المعدة
12	شراب النعنع	والكبد وسائر الأعضاء، وهو في ذلك عجيب للغاية. من ضعف المعدة، ويهضم الطعام، ويقطع
13		القيء، ويعقل البطن، ويقوي الكبد، وهو في ذلك الغاية.
14	شراب الورد اليابس	من قلة الباه ويزيد في المني زيادة حسنة، ويحلل البلغم من سائر أعضاء البدن، ويسخن
15	شراب البنفسج	تسخيناً. من استطلاق البطن الحادث من البلغم، ويقطع
16	شراب مريوت	القيء البلغمي، ويقوي الكبد والمعدة، ويفرح تفريحاً قوياً، وهو في ذلك عجيب للغاية.
17	شراب زوفة	من بدء الاستسقاء، يقوي المعدة والكبد وسائر الأعضاء الباطنية، ويلين الطبيعة برفق وهو مع ذلك عجيب.
18	شراب الريحان	يعقل الطبيعة، وينفع من بدء الاستسقاء، ويقوي سائر الأعضاء الباطنة ويشهي للأكل.
19	شراب سكنجبين ساذج	من الحميات الصفراوية، ويقطع العطش، ويلين البطن برفق، وينفع من السعال اليابس،
20	شراب الرمانين	إلا أنه يرخي المعدة. من السعال الرطب وينقي قصبة الرئة ويحلل
21	شراب الحصرم	البلغم من المعدة، ويلين البطن برفق. من سائر أنواع الاستسفاء ويقوي المعدة وينفع من اليرقان الحادث من سدة الكبد، ويسهل
22	شراب الاسفتان	الطعام، ويبرد المحرورين، ولا يضر المبرودين. من استطلاق البطن مع الدم ولصاحب السعال مع الإسهال.

23	شراب الحلحال	من استطلاق البطن ويقطع العطش والقيء
		وينفع من حميات الصفراء.
24	شراب الأيمون	ينفع المحرورين، ويقطع العطش، وينفع من
25	شراب ينفع في احتراقات الصفرا	الحميات الصفراوية، ويلين البطن برفق.
	والجرب السمج وهو شراب بقول	من غلبة الصفراء، ويقطع القيء الصفراوي،
26	الصبية	ويشهي الطعام، ويقطع العطش، ويحلل البلغم
	شراب العناب	بتقطيعه إياه، ويزيل مرارة الفم.
		من الحميات السوداوية، ولا يستعمل في آخر
27		المرض إلا في أوله، وهو مع ذلك يدر البول
	شراب الحسك	والحيض وينقي المعدة من الأدران.
28		تنقية الدماغ، وينقي المعدة، ويلين البطن،
	شراب التمر هندي	ويخرج السوداء برفق غير أنه يقبض النفس.
		من التهاب الصفرا، ويقطع العطش، ويعقل
29		البطن.
	شراب الجزر	للأمراض الجلدية.
30	شراب التفاح	من سائر احتراقات البدن، وسائر الجرب
		السوداوي البلغمي، وينقي سائر الثقل من
		البدن، ويسهل برفق إسهالاً جيداً.
		هو من قوام الأشربة، ولا سيما إذا شرب في
		الحمام فهو أقوى في فعله.
		من الصفرا ويخرجها بالإسهال، ويقطع القيء
		الصفراي والعطش، وينبه شهوة الطعام،
		ويذهب بمرارة الطعام في الفم.
		من قلة الباه ويزيد في المني ويحلل البلغم،
		ويسخن الكلى تسخيناً عجيباً، ويسخن سائر
		أقطار البدن.
		يقوي القلب ويفرح.

الباب الثاني: في المعاجين:

ت	اسم الشراب	المنافع والفوائد الطبية
1	معجون الجزر	يقوي الجزر ويزيد المني زيادة حسنة وهو عجيب.
2	معجون الجوز الأخضر	يشهي الأكل، ويهضم الطعام، ويسخن الكلى ويزيد في الباه.
3	معجون السفرجل	من استطلاق البطن الحادث من الصفرا، ويقطع القيء والعطش الصفراوي، ويذهب بمرارة الفم، ويشهي الطعام قلتُ ويمنع البخارات الرديئة أن تصعد من المعدة إلى الدماغ.
15	معجون الورد العسلي	من ضعف المعدة والكبد وبدء الاستسقاء الزقي، ويلين الطبيعة برفق.
16	معجون البنفسج	من السعال اليابس، ويلين البطن، ويقطع العطش الصفراوي، ويذهب الصفرا بالإخراج.
17	معجون النعنع	يفشي وينفع من امتلاء البدون وامتلاء الدماغ، وينفع الاستسقاء الطبلي، ويحلل البلغم من سائر أقطار البدن، ويقوي الباه ويقطع القيد، واصلاحه بحبة حلاوة تؤكل معه وبعده، نافع.
18	معجون تيقنطست	ينفع من ضعف... ويحلل البلغم من سائر أقطار البدن وينبه شهوة الطعام، ويدر البول، وينفع من الاستسقاء، ويلين الطبيعة برفق، وهو في ذلك عجيب.
19	معجون القرصعنة	يهضم الطعام وينقي الدماغ، ويحلل البلغم من الدماغ، وينفع من سائر السعال الرطب، ويدر البول والحيض.
20	معجون مقوي للمعدة والكبد والدماغ وهو من حبة حلاوة والكراويا	من الرياح في البطن، ويحلل البلغم، ويهضم الطعام، وينقي الدماغ، ويلين البطن برفق، وينفع من السعال الرطب، ويخرج السوداء برفق النافع.
21	معجون النارنج	يهضم الطعام، ويحلل البلغم، ويزيد في الباه، وينفع من السموم الباردة وهو في ذلك عجيب.
22	معجون الكراويا	يشهل الأكل.

الباب الثالث: الجوارش:

ت	اسم الشراب	المنافع والفوائد الطبية
1	جوارش النعنع	يقطع القيء البلغمي، ويشهي الطعام، ويسخن المعدة، وإذا أكل الطعام عقل البطن وهو نافع.
2	جوارش العود القماري	يقوي القلب، ويفرح النفس، ويهضم الطعام، ويلين البطن برفق، ويقوي الكبد، ويحلل البلغم من سائر أقطار البدن، وينفع من الاستسقاء.
3	جوارش القرنفل	يشهي الأكل، ويحلل البلغم، ويفرح تفريحاً قوياً، ويزيد في قوة الجماع، ويعقل الطبيعة.
4	جوارش المسك	يفرح النفس، ويطيب النكهة، يشهي أكل ويهضمه ويفس الرياح، ويحلل البلغم، وينفع من الاستشقاء، ويدر البول والحيض.
5	جوارش الصندل الأحمر اللون	؟
6	جوارش الصندل الأبيض	؟

الباب الرابع: في السفوفات:

ت	اسم الشراب	المنافع والفوائد الطبية
1		من أراد أن ينقي دماغه ويجفف رئته من رطوبات البلغم.
2	سفوف آخر ظريف	ينقي الدماغ، وينقي المعدة، ويسكن السعال الرطب.
3	سفوف آخر ظريف	ينقي المعدة.
4	سفوف آخر ظريف	يهضم المعدة.

الباب الخامس: في الربوبات:

ت	اسم الشراب	المنافع والفوائد الطبية
1	رب السفرجل	ينفع من استطلاق البطن الحادث من الصفرا، ويقطع العطش والقيء الصفراوي.
2	رب الرمانين	ينفع من سائر أمراض الصفرا، ويقطع العطش ويلين الطبيعة.
3	رب التوت	؟

الملحق الذي احتوى المعلومات من الأشربة، والمعاجين، والجوارشات والسفوفات والربوبات يشكل مادة مهمة مكملة للأكلات أو صناعة الأطعمة وعلاج الأمراض والأعراض التي تظهر من تناولها أو إصابات أمراض

المعدة، فجاءت النصوص إلى براعة أهل الأندلس وجودة الصناعات التي تخدم الانسان وغذائه وتؤكد لنا جودة الخبرة والتطور والمعرفة التي حصل عليها بلد الأندلس في صناعة الأغذية والأدوية من الأعشاب والنباتات وعملية تركيبها أو خلطها بطريقة علمية نافعة ومفيدة في تفوق الأندلس حضارياً ومنافسة الولايات المجاورة بفضل دعم وتشجيع حكام الأندلس والاستفادة من الخيرات وتطبيق العلوم فيها.

مظاهر من المستوى المعاشي في المجتمع الأندلسي وآراء المحتسب عليها:

ما ورد من أصناف الأكلات الشهية والغنية والباهضة التكاليف، ربما تعطي صورة تؤكد الإسراف في المأكل والانفاق على صناعة الأطعمة، ولكن الحقيقة ان المجتمع الأندلسي امتاز بالاعتدال في الحياة المعاشية من خلال ما أكدته الأبيات الشعرية والنصوص التي أوردتها المصادر الأندلسية التي تؤكد أن الأندلسيين كانوا "أهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال"[1].

يُلاحظ على أهل الأندلس حرصهم واعتنائهم في ادخار المواد الغذائية من حبوب وفاكهة، وذكر ابن الخطيب الغرناطي عن أهل بلدة غرناطة أن "قوتهم الغالب البُرُ الطيب عامة، وربما اقتات في فصل الشتاء الصعفةُ والفعلة والذرة العذبة أمثل أصناف القطاني الطيبة. وفواكههم رَغده، والعنب بحر لانافة كرومه التي ينالها الخرجُ على أربعة عشر ألفاً لهذا العهد. وفواكههم اليابسة عامّة العام متعددة: يدخرون العنب سليماً من الفساد إلى ثلثي العام، إلى غيره من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز، إلى غير ذلك مما ينقطع مدده إلا بفضل يزهد في استعماله"[2].

أشارت الامثال الاندلسية واكدت عادات وتقاليد المجتمع في المأكل والمشرب وحسن أذواقهم في اعداد الموائد وصفة الاندلسي بالمأكل ومن تلك الأمثال[3]: " من رفع من غداه لعشاه لسبب ينتقم عليه اعداه" و "لاتهرق ما، حتى تجد ما" و "ارجع فلس بقى لك" و "خلط القمع تصلح"، واكدت الامثلة الكرم والإسراف وذم البخل منها "القلة ذلة".

اعتاد اهل الاندلس على اقامة الولائم في المناسبات ففي حفلات الزواج في غرناطة مثلاً اعتاد العريس ان يقيم للعروسة واهلها وليمة كبرى لائقة والتي تقام في بيتها ليلة العرس فيرسل العريس، ثوراً او ثورين او عجلين او كبشاً، تنحر يوم الزفاف وهي من العوائد لدى الغرناطيين، وتعد من مستلزمات الصداق، واذا طلق الرجل قبل ليلة الزفاف فنصفه للزوج[4]، كما كانت تستخدم بعض العوائل الغنية او الميسورة الحال في غرناطة الطاهي او الطباخ للقيام بطهي

---

(1) المقّري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب/ تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت 1968م) ج 1/ 223.

(2) لسان الدين الخطيب الغرناطي (ت 776هـ) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، نشر دار الآفاق الجديدة، ط 2 (بيروت 1978م) ص 40.

(3) الزجالي/ أبو يحيى عبيد الله بن أحمد (ت 694هـ/ 1294م) أمثال العوام في الأندلس/ دراسة محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، ق 1 (فاس 1395هـ/ 1975م) ج 1/ 264، 267.

(4) الونشريسي، أحمد بن يحيى التلمساني (ت 914هـ/ 1508م)/ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي ومجموعة من الفقهاء/ نشر دار الغرب الاسلامي، ط 1 (بيروت 1402هـ/ 1981م) ج 3/ 43-46، 129، 145، 252، ج 9/ 180، 182.

الطعام، واعداد اطباق حلوى العرس، ويجرى الاتفاق المسبق معه على الاجور او على مقدار ما يطلبه من الطعام على سبيل البركة او الهدية"[1].

تتوفر في سلطنة غرناطة الاسلامية مطاعم خاصة لطبخ ولائم الاعراس تقدم الواناً من اطباق الطعام والحلوى، وكانت تخضع لمراقبة المحتسب[2].

أقام اهل الاندلس دور الطبخ في المدن الاندلسية لتقديم الضيافة للزوار واكرامهم ويذكر الشريف الادريسي ويصف دار الطبخ في مدينة ماردة Merida بقوله "وفيها دار يقال لها دار الطبخ وذلك انها في ظهر مجلس القصر وكأن الماء يأتي دار الطبيخ في ساقيه هي الآن بها باقية الاثر لاماء بها فتوضع صحاف الذهب والفضة بانواع الطعام في تلك الساقية على الماء حتى تخرج بين يدي الملكة فترفع على الموائد ثم إذا فرغ عن اكل مافيها وضعت في الساقية فتستدير الى ان تصل الى يد الطباخ بدار الطباخ فيرفعها بعد غسلها ثم يمر بقية ذلك الماء في سروب القصر، ومن اغرب الغريب جلب الماء الذي كان يأتي الى القصر على عمد مبنية تُسمى الأرجالات وهي اعداد كثيرة باقية الى الآن قائمة"[3].

حرص المحتسب على متابعة صناعة الاطعمة ودقة الاوزان ومنع الغش والتدليس في اوزان اللحوم والحبوب والخبز والإشراف على تطبيق النظافة في اعداد المأكولات وتحديد اسعارها، وقد زودتنا كتب الحسبة بالاندلس بمعلومات مفيدة توضح اهتمام اهل الاندلس، فتحدث ابن عبدون عن ذكر الاكيال والاوزان لتحديد كميات المواد من اللحوم والحبوب في اعداد الطبخات حسب المقادير المطلوبة فذكر "كيل الطعام: يجب أن تكون أجنابه مرتفعة أزيد من شبر. فإن القصير الجنب يقدر فيه على السرقة يحفظ الربع، والذي وجب ان يُصنع في كيل الحنطة وحدها ان تُمد حديدة على وسط فم القدح، مستمرة من الجانبين، في وسطها طابع العدل انه يحمل رُبعاً... "[4].

ان عبدون احترام النظافة في غسل الخضروات بقوله" ذكر الخضر مثل الخس والسريس والجزر وغير ذلك: لايجب ان تغسل في البرك ولا في صهاريج الاجنة، فإنه لاتؤمن نجاستها، إلا في الوادي، فإنه انقى واطهر "[5].

وجه المحتسب تعليمات خاصة عن بيع اللحوم الحمراء والبيضاء للماشية والطيور الا منطقة ومحفوظة بعيداً عن التلف والفساد بقوله" لايُباع الحجل والطير المذبوح إلا متوفة المواجز، ليظهر فاسدها ورديُها من جيدها لاتُباع القُنليات الا مسلوخة، ليظهر فسادها، فإنها إن بقيت في جلودها مرقدة فسدت"[6].

---

(1) ابن عبدون التجيبي، محمد بن أحمد (ق 6هـ/ 12م) رسالة في الحسبة (نشرت ضمن عنوان: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب) تحقيق: ليفي بروفنسال (القاهرة 1375هـ/ 1955م) ص 52.

(2) لسان الدين بن الخطيب الغرناطي/ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني الغرناطي (ت 776هـ/ 1374م) الإحاطة في أخبار غرناطة/ تحقيق: محمد عبد الله عنان/ الشركة المصرية للطباعة والنشر (القاهرة 1393هـ/ 1973م).

(3) الشريف الأدريسي/ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسني (ت 560هـ) كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق/ نشر عالم الكتب، ط الأولى (بيروت 1409هـ/ 1989م) ج 2/ 545- 546.

(4) ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب/ ص 39.

(5) ن. م. ص 42.

(6) ن. م. ص 43.

حذر المحتسب الخبازين واصحاب الافران على اتقان صناعة الخبز وشويه جيداً وعدم خلط القديم بالجديد بقوله" لايُباع الخبزإلا بميزان، ويتفقد طبخه ويتفقد فتاتهُ، فربما كان ملبساً أعني أنهم يأخذون من عجين طيب قليلاً ويلبسون به وجه الخبز، وهو من دقيق غير طيب، لايُصنع من البيات خبزٌ كبيرٌ، يُطبخ على حدته كما يوجد"(1).

أكد المحتسب نظام التسعيرة للمواد الغذائية أمام انظار المستهلك بقوله" أن ارطال اللحم والحوت والهريسة والاسفنج والحوت: لاتكون إلا من حديد بطابع ظاهر عليها.. يتعاهد أرطال الباعة ابداً، فأنهم اشرار"(2).

نبه المحتسب على محاربة الغش في الاسلام" ومن غشنا ليش منا" في المواد الغذائية في اعداد الاطباق ومنه" لايُباع لحمٌ مختلطٌ في وضم واحد. لايُباع سمينٌ ومهزولٌ في وضم واحد ايضاً. لايُباع الكرش إلا على الالواح: فإن الماء يفسده ويزيد في وزنه. يجبُ أن تخرج بطون الضان لئلا تُباع مع اللحم بسوم واحد، وهو موضع خديعة"(3).

ذكر ابن عبد الروؤف معلومات مفيدة في صناعة المأكولات بالاندلس من الخبازين والفرانين واللبانين والجزارين مؤكداً الميزان والنظافة والغش بقوله" ويؤمرون أن يفرقوا بين لحم الضان والمعز، وبين لحم البطون والروؤس، ولحم البدن وغيره، وبتنظيف الرحاب، وكثرة الذباب، والبعد عن الاقذار، ويمنع من كان مجذوماً أو مبروصاً وسائر المستقذرين من بيع جميع الاطعمة واللحوم"(4).

أمر المحتسب مراقبة الطباخين ومتابعة اعمالهم في النظافة وخبرتهم وجودة طبخهم ومراعاة المصلحة العامة وحماية المستهلك واحترام رغباته وأذواقه بقوله" يجب على صاحب الحسبة ان يتفقد الطباخين عند الغدو والعشي، فاما بالغدو، فيقف على اللحم الذي منه يطبخزن لئلا يكون لحماً ردياً أو لحماً من غير الصنف الذي يؤكل لحمه يبيعونه بيع الطيب، وأما بالعشي فلئلا تبقى لهم بقية فيزيدوا عليها غيرها ويخلطونها، ثم يعيدوا طبخها، فتستر رائحته ويفسد طعمه، ويؤمرون ببيع مابقى لهم منفرداً، ويمنعون من طبخ غيره الا من بعد استنفاده إذا اتهموا ويؤمرون ان يضعوا ماطبخوه في الصحاف والقدور الواسعة ليراه المشتري ولا يخفى عليه منه شيء. ويمنعون من عقد البيض على وجه الطعام حتى يستر ماتحته. ويؤمرون بتنظيف الرحاب وتغطية القدور وتعاهد الذباب عنها"(5).

أمر المحتسب ابن عبد االرؤوف بمراقبة تقلية الأسماك وغيره بعد تنظيفها جيداً من الاحشاء بالزيت النقي والجديد لحماية المستهلك بقوله "ويؤمَر القلاؤُون بتنقية الحوت، وإخراج مافي جوفه وحلقه، وغسله، ويبالغون في تنظيفه، ولا يقلوه بزيت ردي ويجتنبوه. وينهون عن كثرة الدقيق الذي يُلتُّ فيه الحوت عند القلي، ويُنهون عن غمسه عند خروجه من المقلى سُخناً في الماء والملح، ويُعرف ذلك- بالشَرموله -، ليحسن للناظر ويثقل في الميزان. ويؤَدبون إن لم ينتهوا. ويؤمؤون بتبليغ المقلي وانعام الطبخ"(6).

---

(1) ن. م. ص 43.

(2) ن. م. ص 44.

(3) ن. م. ص 44.

(4) ن. م. ص 93.

(5) ن. م. ص 96- 97.

(6) ن. م. ص 97.

أصدر المحتسب الأندلسي تعليماته في قلي الاسفنج وذلك "بإنعام طبخها وانتخاب الزيت الطيب، ولا يضعوا في عجينها من الماء إلا الغلي ما يحتاجون إليه، ولا يُعلقوه تعلياق كثيراً ويُقَللوا من الملح إلا المعلوم"(1).

تحدث المحتسب الأندلسي عن صناعة الأجبان والاجادة فيها ومراعاة النظافة بقوله "وكذلك المجبنات. ويؤمرون أن يعملوا لها من الجبن حدا معلوماً يخلطونه بالعجين ويبلغوا طبخ ذلك، ويجتنبوا قلي الفطير. ويُؤمرون بغسل مقاليهم عند القلي ومسحها وتنظيفها ويُعاقب من فعل منهم غير ما حد له"(2).

أوصى المحتسب الأندلسي المسلمين بالامتناع عن أكل الأجبان المصنوعة في محلات النصارى واليهود كما لا يجوز أكل ما ذبحوه من اللحوم لما صدر من فتاوي من الفقهاء منهم الفقيه الأندلسي عبد الملك بن حبيب السلامي الالبيري بفتواه "قال ابن حبيب: لا يؤكل جبن المجوس لعملهم فيه أنافح ذبائحهم التي لا يحل للمسلمين أكلها. ولا بأس بأكل جبن النصارى الذي بين أظهرنا. وكان بعض الصحابة يأكلُ الجبن المجهول ويتورع بعضهم عن أكله إلا ما تيقنوا أنه من عمل المسلمين. ويُؤمر البياعون للجبن بتفريق بين اللين منه الشديد والجيد من ذلك والرديء وأن يجعلوا على وجهه ملحاً"(3).

وجهَ المُحتسب الأندلسي تعليماته ونصائحه للطباخين وصانعي الهرائس وحثهم على اجادة الطبخ انطلاقاً من الحديث الشريف "رحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه"، ومن توجيهاته وتحذيراته المهمة "يؤمَر الهراسون بدرس القمح وتقشيره وغسله وغسل المهراس والقدر التي تُطبخ فيه وتنظيفها وأن لا يتركوها مكشوفة وأن يبالغوا في طبخها ويكثروا من تحريكها حتى تتألف وتشتد وتُقاس عند تمام طبخها وقبل بيعها بأن توضع على وجه طنجةٌ ثقيلةٌ، فإن ثبتت مكانها، فذلك حَسَنٌ وأمر ببيعها"(4).

تحدثت كتب الحسبة بالأندلس عن الموازين والمكاييل والأكيال ودقتها ونظافتها لمعرفة المقادير الواجبة لعمل الأكلة وكميات اللحوم والحبوب والخضروات حسب ما ورد في نوعية الطبخة ومقاديرها المضبوطة، وشدد المحتسب الأندلسي في محاربة الغش بالطعام لأنه يشكل خطورة على صحة الناس، فيذكر المحتسب الجرسيفي نقلاً عن الفقهاء وفتاويهم عن الخبز المغشوش أو الناقص أن يُكسر ويتصدق به" كما يتصدق باللبن المغشوش، كما صدرت تعليمات كبار الفقهاء والقضاة الأندلسيين استناداً إلى المذهب المالكي "ومن غش في السوق في مكيال أو ميزان، فإنه يخرج من السوق، وذلك أشد عليه من الضرب"(5).

يتفق المحتسب الجرسيفي مع آراء الفقهاء وينقل عنهم في محاربة الغش وعزل البائع الغشاش من السوق، ونقل عن المذهب المالكي فيما أورده كتاب ابن المواز "فيما غش من لبن أو غيره، لا يُراق وليتصدق به. قال أبو الحسن اللخمي: قال مالك- رحمه الله- والأحسن أن يتصدق به"(6).

---

(1) ن. م. ص 98.

(2) ن. م. ص 98.

(3) ن. م. ص 101.

(4) ن. م. ص 101.

(5) ن. م. ص 125- 126.

(6) ن. م. ص 126.

ويتفق الكثيرون من فقهاء الأندلس باخراج البائع الغشاش من السوق كما ورد بالنص "ومهما عثر على من لم يمتثل الأوامر، ولم تبلغ فيه الزواجر، أمر باخراجه من الأسواق، ورفع يده من البيع والارتفاق"[1].

كان للمطبخ الأندلسي وما قدمه من أكلات وأطباق شهية ولذيذة ونافعة لبناء الجسم البشري أثرٌ كبير على المجتمع الاسباني الذي تعلم وعرف أنواع متعددة من أصناف الطبخات والمواد المعمولة منها والتي احتفظت اللغة الاسبانية بكلمات عربية للبهارات والتوابل والحبوب والخضروات ولحم البقر والغنم وبعض الأكلات العربية التي لا تزال تعرف في اسبانيا اليوم بأصولها العربية نذكر منها:

مصطلحات عربية في اللغة الاسبانية :

حلبة	Alholva	السلق	Acelga
زهر البرتقال	Azahar	لوبيا	Alubia
زعفران	Azafran	طماطة	Tomate
مسك	Almizele	بطاطا	Patata
عنبر	Ambar	السنباغ	Espenagas
كمون	Comino	بقر (لحم)	Vaca
خبز سميذ	Acemita	مهراس (هاون)	Almirez
سميذ	Acemite	مد (قياس عربي)	Almud
زيتون	Aceituna		
زيت	Aceiete		
رز	Arroz		
السكر	Azucar		
معجون من السكر والبيض وعصير الليمون	Azucarillo		

تأثر الاسبان بعادات وتقاليد أهل الأندلس في آداب الطعام في الاسلام منها الشكر والحمد بعد تناول وجبات الطعام أو قولهم بالعافية عند دعوة الفرد لتناول الطعام بقولهم بالاسبانية Que le Aproveche ويقولون عند اتمام الطعام الشكر لله Gracias a Dios.

وقد أدخل الأندلسيون حضارة إلى اسبانيا في اعداد الموائد وتقديم الأطباق السائلة والساخنة أولاً وكان للفنان علي بن نافع البغدادي الملقب بزرياب دور كبير في المطبخ، فقد علم زرياب أهالي قرطبة أولاً أكثر طرائق الطعام نقلاً عن المطبخ البغدادي وذلك في عصر الامارة وفي عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الثاني والأوسط).

عمل زرياب على حث أهالي قرطبة على كيفية اعداد وجبة طعام راقية "يجب ألا تقدم ألوان الطعام بلا نظام وإنما يبدأ بأطباق الشوربا ويتبعها مقدمات من اللحم ثم ألوان الطيور المبتلة بالبهارات بمستوى الذوق الرفيع. وفي النهاية تأتي الطباق المحلاة، الكاتو المصنوع من الجوز واللوز والعسل أو معقود الفواكه المعطرة الممزوجة المحشوة بالفستق والبندق، واستبدل أغطية الموائد القطنية الخشنة بنوع من الجلد الرقيق"[2].

كان العرب المسلمون أصحاب أذواق وخبرات وإمكانيات وأهل الكرم في الطبخ اللائق والشهي والنافع.

---

(1) ن. م. ص 126.

(2) ليفي بروفنسال E. Levi- Provencal/ حضارة العرب في الأندلس/ ترجمة ذوقان قرقوط/ نشر مكتبة الحياة (بيروت–لبنان) ص 56.

بصمات بيت الحكمة على حركة الترجمة والتأليف في الاندلس*

ا. م. د. محمد بشير حسن راضي العامري

كان لبيت الحكمة البغدادي الاثر الكبير في دعم وتشجيع واسناد حركة الترجمة والتأليف في الاندلس، وذلك في تزويدها بالمؤلفات والعلماء والادباء والفنانين، وصارت الروابط الثقافية بين مدن العراق والاندلس قوية ومتينة، إذ زار بغداد والكوفة وواسط والبصرة وغيرها من مدن العراق عدد كبير من طلبة العلم للدراسة في مساجدها ومدارسها العلمية، او للاطلاع والتعرف، كما كان لفريضة الحج اثر بالغ على تلك الروابط، اذ قدم للعراق عدد كبير من الحجاج الاندلسيين بعد اكمال متطلبات الفريضة المقدسة ومن اجل الحصول على الاجازات العلمية من شيوخ وفقهاء العراق او للحصول على امهات الكتب منها ماتصدرها مؤسسة بيت الحكمة البغدادي.

بزغت افاق الحركة الفكرية في عهد الامارة الاندلسية وذلك في عهد الامير عبد الرحمن الثاني (الاوسط) دام حكمه للسنوات 206- 238ه، وحدثت فيها نهضة حضارية جديدة بالاندلس نظراً لحبه للثقافة العربية الاسلامية واعجابه بالحركة الفكرية التي شهدتها بغداد في ظل الخليفة العباسي المامون (حكم الاعوام 198- 218ه) الذي كان معاصراً للامير الاندلسي، والذي طور دار الحكمة البغدادي ووطد اركانه الثقافية بعد والده الخليفة هارون الرشيد، وصار الامير مولعاً بالثقافة البغدادية، ومنافساً للبرامج والخطط العلمية لبيت الحكمة ومشاريعه في حركة الترجمة والتأليف، اشادت المصادر الاندلسية بثقافة الامير عبد الرحمن الثاني، فوصفه صاحب (كتاب اخبار مجموعة) بقوله (كان له حظ من ادب ونقه وحفظ للقرآن ورواية الحديث)[1]

ونظراً لاهتمام الامير الاندلسي بالثقافة رقية، فقد ازيره القاضي على اشبيلية عباس بن ناصح الجزيري الى العراق للبحث عن الكتب القديم (فاتاه للاندلس- بالسند الهند وغيره منها، وهو اول من ادخلها الى الاندلس وعرف اهلها بها ونظر هو فيها)[2] وكتاب (السندهند) من اقدم المؤلفات التي ترجمت من الهندية الى العربية، وقد عرفه اهل الاندلس واستفادوا منه في علم الحساب والاعداد الهندية المعروفة. يؤكد المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال بان الامير عبد الرحمن الثاني: ويظهر بالتاريخ الاندلسي بانه حامي العلماء، وصديق الاداب والفنون، ولاسيما انه هو نفسه شغوف بكل ما يتصل بعلمي الفلك والنبوءات حتى انه اوفد ابن ناصح الى العراق باحثاً عن الاثار العلمية المنقولة الى العرب عن اليونان والفرس واستنساخها له، وهي من نتاجات بيت الحكمة، فقد كان هذاالامير الاندلسي يجد لذة خاصة في دراسة الكتب القديمة في الفلسفة والطب ولكي يشبع رغبته في استطلاع المستقبل احاط نفسه بجماعة من علماء الفلك

(*) بحث شارك في الاحتفالية المئوية الثانية عشرة على تاسيس بيت الحكمة في بغداد (2001) ج2/ ص 530-563.

(1) المؤلف المجهول، اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق المستشرق الاسباني: اميليو لافونتي القنطرة (مدريد 1887م) اعيد نشره محمد اسامة الكرم (دمشق- مكتب عنبر). ص 135.

(2) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت 685هـ/ 1286م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط3، دار المعارف (القاهرة 1964م). ج1/ 45، ابن الابار، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار (ت 658هـ/ 1260م، الحلة السيراء، تحقيق: د. حسين مؤنس، ط1 (القاهرة 1963م) ج1/ 113 (كان فصيحاً مفوهاً شاعراً، مع سعة العلم والحلم).

وخصص لهم رواتب جيدة، وطلب منهم ان يراقبوا معه السماء ومواقع حركات النجوم لمعرفة الطوالع في الحياة، ويعود الفضل للامير في تنظيم قرطبة على المثال والنظام العباسي في الحياة الثقافية[1].

ويلاحظ ان تدخل الشرق في احوال الاندلس الاقتصادية كانت تحت ستار العلاقات الثقافية، وهذا التدخل لم يكن لحذف التقاليد الشامية،بل لادخال الكثير من اتجاهات الحضارة البغدادية وتجديداتها، كما ان تكوين بلاط الامير كان يدل على تقليده لخلفاء بغداد، وبذلك يتصل عن طريق طابعه الاسلامي الشرقي[2].

اسهم الشرق الاسلامي والعراق بوجه خاص في تكوين الحضارة الاندلسية وازدهارها، اذ كان اهالي شبه الجزيرة الاندلسية يستقبلون باعجاب واحترام وتقدير كل ماكان ياتي من بغداد في مجال الثقافة لانها موطن العلم والعلماء،كما وصفها ابن حزم القرطبي بقوله ((بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق اهلها الى حمل الوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الاخلاق والنباهة والذكاء وحدة الافكار ونقاء الخواطر))[3].

اصبحت قرطبة تنازع بغداد وتنافسها حول الزعامة الفكرية في العالم الاسلامي، فقد كان المسجد الجامع بقرطبة مركزاً دينياً وعلمياً للدراسات العليا، بمستوى القاهرة وبغداد، إذ كان اول (جامعة قروسطية في اسبانيا واوربا)، ففي هذا المسجد كانت اعداد كبيرة من طلبة العلم يتلقون العلوم الاسلامية على المهذب المالكي، والادب وعلوم اللغة، وفي نصوص عابرة يرويها ابن حزم القرطبي توضح بان علماء قرطبة واصلوا جهود علماء (بيت الحكمة)معهد الترجمة العباسي، وبذلك نقلوا علوم الاغريق والشرق الى الغرب[4].

استطاع عميد الاستشراق الاسباني اميليوكارثيه كومث ان يبرز في قوة وبيان مدى ماكان للحضارة البغدادية من نفوذ طاغ على حياة المدن الاندلسية، التي لم تكن الاصول للمدنية الشرقية العظيمة[5].

وخلال مدة حكم الاميرعبد الرحمن الثاني انتقلت مظاهر حضارية بغدادية منها دخول الفنان العراقي زرياب ابو الحسن علي بن نافع، وكان من موالي الخليفة العباسي المهدي، واطلق عليه لقب زرياب لسمرة بشرته تشبيهاً بطائر اسود الريش، وهو تلميذ الفنان اسحاق الموصلي، غنى ببلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد واعجب به، ثم انتقل الى

---

(1) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت د. ت) ص 51-52.

(2) ليفي بروفنسال، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، منشورات معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية الاسبانية، دار الطباعة المغربية. تطوان 1950م/ ص 16-19.

(3) ابن حزم القرطبي، ابي محمد علي بن احمد بن سعيد (ت 456هـ)، رسائل ابن حزم، نشرها د. احسان عباس، دار الثقافة (بيروت د. ت) ج2/ 176.

(4) روبرت هيلنبراند (زينة الدنيا) - قرطبة القرطوسية مركزاً ثقافياً عالمياً) مقالة ترجمت ونشرت في (كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس) مركز دراسات الوحدة العربية، باشراف: د. سلمى الخضراء الجيوسي (بيروت 1998م) ج1/ 195.

(5) المقالة بالاسبانية بعنوان (بغداد ودويلات الطوائف) نشرت في مجلة الشرق Emilio Garcla Go,mes (Baghdad Y los Reinos de Taifas) Revista del Occidente, Madrid 1934, T. XliI, P. 9

بلاط الاغالبة ثم الى بلاط قرطبة في عهد الامير عبد الرحمن الثاني، وعمل على تطوير الحياة الاجتماعية والفنية بالاندلس(1).

استقبلت قرطبة بكل حفاوة وتقدير علم من اعلام بغداد بالرياضيات هو ابو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي، وهو اديب ورياضي مشهوراً، ولد ونشأ في بغداد ودرس بها على الجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، وثعلب وقصد الاندلس من اجل العيش والرزق والشهرة، إذ ورد على الامير الاندلسي محمد بن عبد الرحمن الثاني، الذي اكرمه بهدية الف دينار، وهو مبلغ كبير تقديراً لعلمه وتشجيعاً لقدومه من بغداد واختياره بلد الاندلس وصارت له مكانة وحظوة عظيمتين بالاندلس(2).

شهد عصر الخلافة الاندلسية تبادل ثقافي واسع بين قرطبة وبغداد بوساطة الحجاج والتجار وطلبة العلم، ويعود الفضل لذلك النشاط الفكري لخلفاء قرطبة الذين فتحوا ابواب الاندلس لكل عالم واديب وفنان يسهم ويشارك بثقافته اخوانه بالاندلس، وهو مادفع الى دخول مشاهير الاعلام من بغداد ومؤسساتها العلمية، ومن هؤلاء الوافدين للاندلس الاديب ابو علي القالي البغدادي صاحب كتاب (الآمالي) في عصر الخليفة الاندلسي عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) وقيل عن البغدادي (كان احفظ اهل زمانه للغة وارواهم للشعر الجاهلي واحفظهم له واعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين واكثرهم تدقيقاً فيه)(3).

---

(1) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1/ 47، 51 يذكر بان الأمير عبد الرحمن الثاني (كملت لذته بقدوم زرياب) المقّري، احمد بن محمد المقّري التلمساني، نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر (بيروت 1388هـ/ 1968م) ج1/ 344، ج2/ 26، ج3/ 122- 133، 615، ليفي بروفنسال، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية، ص 21، 22 ابن القوطية القرطبي، ابو بكر محمد القرطبي/ تاريخ افتتاح الأندلس/ تحقيق المستشرق الأسباني خوليان ريبرا، (طبع بمدريد 1868م) ص 86، سعاد عبد العزيز احمد (الموسيقار الاسلامي زرياب) مقالة نشرت في مجلة المؤرخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين العرب، العدد 22 (بغداد 1982م) (الصفحات 149- 163) ص 157- 159، ابن سماك العاملي المالقي الغرناطي/ الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تحقيق د. محمود علي مكي، مدريد 1404هـ/ 1984م) الزهرة رقم 63 الصفحة 97- 98.

(2) ابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة، الزهرة رقم 66، ص 101- 104 وانظر: ابن الآبار، كتاب التكملة لكتاب الصلة (طبعة مدريد- روخس 1886م) (طبعة القاهرة 1956م) ج1/ 454، ابن عذاري، البيان المغرب، ج1/ 152، 153، 159، 162، 163، المؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص 146- 147، المقّري، نفح الطيب، ج3/ 134- 135، د. محمود علي مكي، (التشيع في الأندلس) نشر في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد 1954، ص 112- 113، د. خليل ابراهيم الكبيسي (ابو علي القالي واثره بالفكر الأندلسي) مقالة في مجلة المؤرخ العربي، يصدرها اتحاد المؤرخين، العدد: 25 (بغداد 1984م) الصفحات 223- 257.

(3) الزبيدي النحوي، ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ت 379هـ طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ط1 (القاهرة 1954م) ص 202، السيوطي، بغية الوعاة، ص 318، ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ص 54، 407، 606، 761، 782، النباهي المالقي، ابو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت بعد 793)، نزهة البصائر والابصار) مخطوط خزانة الاسكوريال

تلقى الاديب القالي البغدادي علومه في بغداد ومدارسها على خيرة العلماء في اللغة والحديث ومن ابرزهم: ابي بكر محمد بن القاسم الانباري، والزجاج، والاخفش وغيرهم[1].

وصل الاديب القالي البغدادي للاندلس عام 330ه بعد رحلة دامت 3 سنوات وبدعوة من الخليفة عبد الرحمن الناصر بعد ان ذاع صيت البغدادي وانتشرت شهرته اللغوية والادبية في المشرق، وتم استقباله عند عبوره الى الجزيرة الاندلسية من ولي العهد الامير الحكم ابن الخليفة الناصر بكل حفاوة وتقدير بالغين، تحدثت عنه المصادر الاندلسية، وهو دليل على الاعجاب والاحترام للثقافة البغدادية لما تمتعت به من سمعة علمية طيبة في بلد الاندلس، وقد اشار المؤرخ ابن حيان القرطبي عن وفادة القالي البغدادي، وما اشار الامير الحكم الثاني الى القالي البغدادي وسمح له (بنشر مايحمله من علمه في الناس واشاعة اسماعهم وافادتهم وتأليف ما التقط من منشور ما اعيا عليهم. فسارع الى ذلك بجد وقوة، وفاض على طلاب العلم منه وما عظم انتفاعهم به جداً، وصحح لهم صحائف كانت عندهم بوراً، فاجد للسان العرب عندهم نشوراً)[2].

كما تم تكليف القالي البغدادي ضيف الخلافة الاندلسية في القاء خطبته واستقبال وفد رسول ملك الروم صاحب القسطنطينية الذي وفد على الخليفة الناصر بقرطبة اعجاباً وتباهياً بعلم بغداد امام الوفد والحاضرين والضيوف، وقد تباحث الناصر مع ولده الحكم لترتيب واختيار الخطيب (بأعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدمه امام نشيد الشعراء، فتقدم الحكم الى ابي علي البغدادي ضيف الخلافة وامير الكلام، وبحر اللغة ان يقام، فقام رحمه الله تعالى واثنى على الله وصلى على النبي ﷺ ثم انقطع، وبهت فما وصل الاقطع، ووقف ساكتاً متفكراً، وتشوف لاناسياً ولا متذكراً)[3].

ويشيد ليفي بروفنسال بالقالي البغدادي وثقافته وقدومه من العراق واستقراره بالأندلس، ويقول ويجب علينا أن نلاحظ انه كان استناداً للخليفة الحكم الثاني، وهو عالم متبحر في علمه، وقد اصبح كتابه (الآمالي) كتاباً اساسياً ومرجعاً يعتمد عليه[4].

بمدريد يحمل الرقم 1653 (نسخة مصورة الباحث د. محمد بشير العامري) الورقة 57 قدوم ابو علي القالي البغدادي للاندلس (قال ابو علي خرجت عن بغداد آخر سنة 328 ثم رحلت الى الاندلس سنة 330، وسألت ابا علي لم قيل له القالي فقال لما انحدرنا الى بغداد وكان في رفقة فيها أهل قالي قلا، فكانوا يحفظونت لمكانهم من الثغر، فلما دخلت بغداد انتسبت الى القالي).

(1) ابن حيان القرطبي، ابو مروان حيان بن خلف (ت 469هـ/ 1076م)، المقتبس (الجزء الخامس) تحقيق: المستشرق الاسباني: بدروا جالميتا، فدريكو كورينطي، د. محمود صبح، المعهد الاسباني العربي للثقافة (مدريد 1979م) ص 479- 480.

(2) المصدر نفسه، ص 80.

(3) الفتح بن خاقان الاندلسي (ت 529هـ)، مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: هدى شوكت بهنام، دار الغصون، ط1 (بيروت 1409هـ/ 1989م)، ص 75، وقد روى عن القالي البغدادي وكتابه النوادر الشاعر يوسف بن هارون الرمادي القرطبي ت 403هـ ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس (نشر بعنوان نص أندلسي جديد..) تحقيق: د. لطفي عبد البديع (مطبعة مصر 1956م) ص 36- 37.

(4) ليفي بروفنسال، الشرق الإسلامي والحضارة العربية الاسلامية، ص 29- 30.

ادخل القالي البغدادي للاندلس ثروة علمية ضخمة من المؤلفات المشرقية ومن اسهامات علماء بيت الحكمة البغدادي، ادت الى نهضة فكرة سريعة، وقد علق المؤرخ الحميدي الميورقي على مؤلفات بقوله: (وكانت كتبه على غاية التقييد والضبط والاتقان وقد الف في علمه الذي اختص به تواليف مشهورة تدل على سعة روايته وكثرة اشرافه)[1].

وتحدث المصنف الاندلسي ابن خير الاشبيلي في فهرسته[2] عن المصادر التي حملها معه القالي البغدادي من بغداد وادخلها لبلد الاندلس، وايراده لها في قائمتين الاولى تحت عنوان (تسمية كتب الشعر واسماء الشعراء التي وصل بها، سوى ماتزايل عنه واخذ القيروان منه) وعددها 43 مصنفاً من المجموعات الشعرية: منها 8 مصنفات قرأها أو سمعها من نفطويه، 25 مصنفاً قرأها على ابن دريد، و2 مصنف املاها عليه الاخفش، وشعر معن بن اوس المزني، ومن استاذه ابن الانباري) وشعر زهير بن ابي سلمى برواية مجاهد عن ثعلب، ومصنفات لم يقرأها ويسمعها.

اما القائمة الثانية التي اوردها ابن خير الاشبيلي فكانت تحت مقالة (ما جلبه ابو علي البغدادي من الاخبار) وهي:

اخبار نفطويه 28 مصنفاً بالسماع	البهي للفراء 1؟
اخبار ابن الانباري 5 مصنفات بالسماع	مراثي الاعلاق 1 بالسماع
اخبار ابن ابي الازهر 7 مصنفات بالسماع	الالف والام للمازني 1؟
اخبار ابن دريد 58 مصنفا بالسماع	التصريف للمازني 1؟
اخبار وانشادات عن الاخفش 2 مصنفان؟	الاكليل 2 بالسماع
المدخل للمبرد 1 مصنف؟	الضيفان لثعلب 1 بالسماع
المهذب للدينوري 1 مصنف؟	العروض لابن درستويه؟
الاحباس لبي نصر 1 مصنف؟	لغة مجموعة للقالي؟
مقاتل الفرسان 1 مصنف؟	السرج واللجام لابن دريد؟
عدة من ايام العرب ومعاني الشعر الجاهلي؟	

فضلاً عن مؤلفات القالي البغدادي وهي:

1- النوادر (الآمالي)

2- المدود والمقصور

3- الابل ونتاجها وماتصرف منها ومعها

4- حلى الانسان والخيل وشياتها

5- فعلت مافعلت،

6- مقاتل الفرسان (ورد في القائمة)

7- تفسير القصائد والمعلقات وتفسير الفاظها ومعانيها

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 165.

(2) ابن خير الأشبيلي، فهرسة، نشر المستشرقون الاسبان فرانشسكو كوديرا زيدان وخوليان ريبيرا، ط2 (مكتبة المثنى، بغداد 1963) الكبيسي (ابو علي القالي) ص 241- 245.

8- التساريح في اللغة،
9- فهرست ابن علي البغدادي واخباره وتسمية كتبه وتواليفه
10- افعل من كذا
11- لغة مجموعة.

وقد استفاد علماء الاندلس من لغويين وادباء من هذه المؤلفات منهم: الزبيدي النحوي (ت 379ه)، وعبد الله بن اصبح المعروف بابن الصباغ (ت 373ه) ومحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن معاوية بن المنذر القريشي (ت 373ه) وابو ايوب سليمان بن خلف بن سليمان (ت 408ه)، وابو نصر هارون بن موسى بن صالح القرطبي، والشاعر يوسف بن هارون الرمادي (ت 403ه)، ويوسف بن فضالة الاديب، وعبد الله بن حمود بن عبد الله بن مذحج الزبيدي (ت 379ه) وابو قاسم احمد بن ابان بن سيد (ت 482ه) شغل وظيفة صاحب الشرطة بقرطبة، وابو عمر احمد بن عبد العزيز بن ابي الحباب (ت 400ه)[1].

واعجب الرحالة ابن حوقل النصيبي البغدادي الموصلي بالاندلس اثناء زيارته لها بعد رحلته الشهيرة من بغداد في 7 رمضان 331ه/ 15 ايار 943، ودخل الاندلس عام 337ه/ 948م في خلافة عبد الرحمن الناصر، وقد اعجب الرحالة غاية الاعجاب لما شاهد من تطور حضاري واسع في بلد الاندلس وقاعدته قرطبة بقوله: (واعظم مدينة بالاندلس قرطبة وليس بجميع المغرب لها شبيه ولا بالجزيرة والشام ومصر ومايدانيها في كثرة اهل، وسعة رقعة، وفسحة اسواق، ونظافة محال، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق، ويزعم قوم من شعرائها الواصلين الى مدينة السلام انها كأحد جانبي بغداد)[2].

شهدت الاندلس في مدة خلافة الحكم المستنصر بالله تطوراً ثقافياً واتصالاً فكرياً مع علماء بيت الحكمة البغدادي، وكان لاستتباب الأمن واستقرار الاوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية فضلاً عن التطور الدبلوماسي بين جكومة قرطبة وحكام الممالك الأسبانية الشمالية والمعاهدات والاتفاقيات التي عقدت ادت تلك التطورات الى ازدهار الحركة الفكرية فضلاً عن دعم وتشجيع الخليفة الحكم الثاني ورعاية رجال الفكر، يضاف لذلك ولع الخليفة واهتمامه باقتناء الكتب وانشاء المكتبات، واعتياد امراء وخلفاء الاندلس الاهتمام بتربية اولادهم ومتابعة ثقافتهم منذ طفولتهم، وهذا ما سار عليه الخليفة عبد الرحمن الناصر في تربية ولده الحكم ناهجا ما فعله الخليفة العباسي الرشيد في تربية ابنائه الامين والمأمون، يحدثنا عن ذلك ابن حيان القرطبي بقوله: (وسلك الخليفة الناصر لدين الله بذكور الاولاد لأول توالي مواليدهم له مسلك الامير محمد ابي جده في ذكور االولاده من تعجيله النظر لكل واحد منهم أول ترعرعه بقصر يسكنه وضياع تغل له وعقار بداخل البلد يجري عليه خرجه، الى رزق هلالي ومعروف سني يجريها عليه تتأكد بها ملوكيته وتنثال نعمته، ويختار لكل واحد منهم في وجوه الناس وأولي مرواتهم وكيلا يسند بشأنه اليه ويقلده النظر في دخله وأمر قصده وضياعه يرزقه على ذلك ما يقوم به، فلا تزال نعمة الولد منهم تنمى بنمو سنه وينوب بحسن النظر

---

(1) الكبيسي (ابو علي القالي) ص 235-236.

(2) ابن حوقل النصيبي البغدادي (ت 367هـ/ 977م)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت 1979م) ص 107، 108، انظر: د. عبد الواحد ذنون طه، (الاندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل) مقالة في مجلة المؤرخ العربي التي يصدرها اتحاد المؤرخين العرب، العدد 23 (بغداد 1983) ونشرها في كتاب دراسات اندلسية، ط1 (جامعة الموصل- 1986م) الصفحات 103- 123.

والادخار لما فضل من دخله، فيخرجهم ضرورة من قصره الى قصورهم تلك التي لهم ونعمتهم تلك الموفرة عليهم، بعد أن أرهف افهامهم بمُعلمين مَهَرة يوفدون إلى كل واحد منهم يخرجونهم من غمرة الجهل الى نور المعرفة حسب ما تقسم لكل واحد منهم من الموهبة)(1).

وفرت هذه البيئة الثقافية والمتابعة والرعاية من قبل الخليفة لولده الحكم الى خلق شخصية علمية فريدة ومرموقة بالأندلس، لها ولع كبير في العلم والعلماء واعداد الاجيال والاعتناء بهم ثقافياً، وقد انشأ الخليفة الحكم الثاني الكتاتيب لاولاد الفقراء مجاناً لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم كما اورد لنا ذلك ابن عذاري بقوله (ومن مستحسنات افعاله وطيبات اعماله اتخاذه للمؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حول المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة، واجرى عليهم المرتبات)(2) ويلغ عدد المكاتب التي أنشأها الخليفة الحكم الثاني 27 مكتباً منها 3 حول المسجد الجامع بقرطبة وباقيها موزع على ارباض واحياء قرطبة، وقد رحب أهل الأندلس بمبادرة الخليفة الحكم الثاني العلمية، وقد امتدحه احد الشعراء بالأبيات بقوله: "(3)

وســـــاحة المـــسجد الأعـــلى مكللـــة	مكاتبـــا لليتـــامي في نواحيهـــا
ومكنـــت ســـور القـــرآن مـــن كلـــم	نادتـــك يـــا خـــير تاليهـــا وواعيهـــا

اهتم الخليفة الحكم الثاني بمتابعة صدور المؤلفات في بغداد، وكان له مندوبون مثقفون لمتابعة ما يؤلف وما يصدر من المصنفات في شتى صنوف العلم والمعرفة، فحصل على كتاب (الأغاني) لابي الفرج الاصبهاني بمبلغ الف دينار ذهبي قبل ظهور الكتاب في بغداد، كما الف للخليفة أيضاً كتاب عن (انساب قومه بني أمية موشحة مناقبهم واسماء رجالهم، فأحسن فيه جداً، وخلدهم مجلداً وارسل به الى قرطبة وانفذ معه قصيدة حسنة من شعره يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية وفخرهم على سائر قريش فجدد عليه الصلة الجزيلة)(4).

اهتم الخليفة الحكم الثاني بتوزيع المندوبين او الوكلاء الانادليسين المكلفين بالحصول على الكتب من بغداد ومدن الشرق، ومن هؤلاء الوكلاء: محمد بن طرخان وراق الحكم ببغداد وعمر بن محمد المعروف بابن الوافي الذي اقام بالبصرة نحو 20 سنة تولى خلالها استنساخ الكتب والذخائر وبلغت النفقات بقدر 120 الف دينار، كما تم تكليف المندوبين في بغداد للحصول على امهات الكتب وفوائدها، يحضرون للمجالس العلمية والادبية يسمعون ويسجلون مباشرة من المؤلف نفسه، كما هو الحال لكتاب (الكامل) للمبرد الذي سمعه وسجله محمد بن ابي علاقة القرطبي من الأخفش الذي سمعه بدوره من المبرد نفسه، وصادر الكتاب مكتوباً بالسماع للخليفة الحكم الثاني والذي قال فيه (كتاب الكامل لم يصح عنده برواية إلا من قبل ابن علاقة)(5).

---

(1) ابن حيان القرطبي/ المقتبس (الجزء الخامس) تحقيق جالميتا، ص 14- 15.

(2) ابن عذاري/ البيان المغرب، ج2/ 240- 241.

(3) المصدر نفسه.

(4) ابن الآبار/ الحلة السيراء، ج 1/ 202، وانظر د. احمد بدر (الحياة الفكرية في الأندلس من خلال النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر بالله) مقالة في مجلة دراسات تاريخية، العدد: 19، 20 نيسان- تموز (دمشق 1985م)، (الصفحات 106- 129).

(5) ابن الآبار/ التكملة لكتاب الصلة، ج1/ ترجمة 1980، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة رقم 1636.

كما حصل الخليفة الحكم الثاني من الفقيه يوسف بن محمد الهمداني (ت 383هـ) كتاب (الام) للشافعي في 120 جزءاً الذي سجله الهمداني بخطه، وكان من جملة ما سمعه في المشرق خلال اقامته مدة 10 سنوات فيه اعتنى فضلاً عن ذلك قد اعتنى بكتب الطبري في التاريخ والتفسير[1].

ويذكر الحميدي الميورقي في جذوته عن سيرة الحكم الثاني العلمية بنصه (وكان حسن السيرة، جامعاً للعلوم، محباً لها، مكرماً لأهلها، وجمع من الكتب في انواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك، وذلك بأرسله منها الى الأقطار، واشترائه لها بأغلى الأثمان ونفق ذلك عليه فحمل اليه)[2].

والف احمد بن محمد بن موسى الرازي للامير الاموي الحكم الثاني ولوالده الخليفة الناصر كتاب (الرايات) عن القبائل العربية التي دخلت جزيرة الاندلس، كما وضع كتاباً في الجغرافية عن طبيعة مدينة قرطبة وصفتها وخططها ومنازل العظماء على غرار ما بدأ ابن ابي طاهر في (اخبار بغداد) بكاملها جمع فيه النمطين المسالك والممالك.

اهتم الخليفة الحكم الثاني بأنشاء المكتبات على غرار مكتبات بغداد التي تحتوي على امهات المصادر في مختلف العلوم والاداب والفنون، واعتنى بمكتبته الخاصة بالقصر الخلافي بقرطبة التي تضم روائع التراث العربي الاسلامي، والتي وصفها ابن حزم القرطبي بقوله: (ان عدد الفهارس المحتوية لتسمية الكتب اربع واربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط، وان عدد كتبها بلغ اربعمائة الف مجلد)[3].

ويؤكد صاعد الاندلسي في طبقاته اهتمام الخليفة الحكم الثاني باقتناء المؤلفات من بغداد وغيرها منافساً بذلك الخلفاء العباسيين بقوله: (وذلك في ايام ابنه الى العناية بالعلوم والى ايثار اهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عيون التأليف الجليلة والمصنفات القريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية ايام ابيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الازمان الطويلة وتهيأ له لذلك لفرط محبته للعلم وبعد همته في اكتساب الفضائل وسمو نفسه الى التشبه باهل الحكمة من الملوك فكثر تحرك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبه)[4].

ان الخليفة الحكم الثاني هو اول من ادخل العلوم الفلسفية والمنطق والكلام وكانت مكروهة ومهجورة عند أهل الأندلس، وسمع الخليفة بادخالها من المشرق منافسا بذلك الخلفاء العباسيين ببغداد ومتحديا مجموعة من الفقهاء بالأندلس بعمله هذا، وعندما تولى الحاجب المنصور العامري السلطة بقرطبة حاول كسب الفقهاء وترضية اهل الأندلس بأبعاد المؤلفات الفلسفية التي ادخلها الحكم الثاني فيذكر عن ذلك صاعد الأندلسي بقوله (وعمد اول تغلبه عليه الى خزائن ابيه "هشام بن الحكم الثاني" الجامعة للكتب المذكورة وغيرها وابرز فيها من ضروب التأليف بمحضر خواص من أهل العلم بالدين وأمرهم بأخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلوم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل حاشا كتب الطب والحساب فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والاشعار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم المباحة عند أهل الأندلس إلا ما فلت منها في أثناء الكتب

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 13.

(2) ابن حزم القرطبي، جمهرة انساب العرب، تحقيق ليفي بروفنسال وانظر: ابن الآبار/ الحلة السيراء، ج1/ 203 نقلاً عن ابن حزم القرطبي.

(3) صاعد الأندلسي، طبقات الامم، ص 88.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 88- 89.

وذلك أملها أمر بأحراقها وافسادها.. وفعل ذلك تحببا الى عوام الأندلس وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم إذ كانت عندهم العلوم مهجورة عند اسلافهم.."[1].

تختلف الآراء حول أسباب قدوم مجموعة العلماء من بغداد وغيرها من الولايات الإسلامية الى الأندلس، وهل قدموا بدعوة من الخلافة الأندلسية ام سعيا وراء المال والجاه وذلك بسبب ثراء بلد الأندلس اقتصاديا؟ ان هرباً من الملاحقة والمطاردة والحسد وبعيداً عن الأنظمة السياسية الحاكمة؟ لكن الاتفاق القائم عن قدوم هؤلاء لعلماء هو ان شهرتهم في الأندلس وغزارة انتاج العلوم وولع الحكام واهتمامهم بالعلم والعلماء، إذ حظي العلماء بتقدير من الخليفة الحكم الثاني ورعايته لهم، وان تنوع اصول ومواطن هؤلاء المقربين واختلاف ثقافاتهم واتجاهاتهم العلمية في الاختصاصات جاء ليخدم الحركة الفكرية في الأندلس ويجعل البلد موسوعة ثقافية مشرقية مغربية فضلاً عن ان بعض العلماء كانوا ذوي خبرة بأوضاع بلادهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية، ومن السهل عليهم نقلها الى رجال الاندلس وحكامها[2].

استغل الخليفة الحكم الثاني واستفاد من فرصة في حياته لخدمة الفكر العربي الاسلامي ففي مجال القضاء استغل اموال نجم آل حماد، القضاة وذوي الثروة والنفوذ في بغداد حتى عام 329ه، عندما كان الحكم الثاني وليا للعهد، وكانوا اصحاب اليد الطولى في بسط مسائل المذهب المالكي وحمايته في بغداد، فتسلم الحكم الثاني راية حماية المذهب والسعي لبثه، والعمل على اكماله للمشروع الذي بدأ به اصحابهم في بغداد، وكان عبارة عن تأليف ديوان جامع لقول مالك بن انس (ﷺ) لايشاركه فيه قول احد من اصحابه باختلاف الروايات عنه وذكر من رواها وتم تأليف خمسة اجزاء حول الموضوع وقعت بيد الحكم الثاني، فكلف بعد التشاور مع قاضيه ابن السليم والفقيهين ابي بكر المعيطي وابي عمر بن المكوى باتمام العمل وانجازه. استطاع الفقيهان انجاز العمل بعد ماباح لهما الحكم الثاني البحث في مكتبته عن اقوال مالك اذ كانت في روايات المكيين والمدنيين والعراقيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم، وخرج المؤلف في مائة جزء ودعى (بكتاب الاستيعاب الكبير) وقد اعجب به الحكم فوصل كلا منهما بالف دينار ومنديل بكسوة وقدمهما الى الشورى[3].

توجهت انظار الخليفة الحكم الثاني الى الاهتمام بالعلوم الصرفة التي تخدم مشروعه الثقافي منافسا ومكملا بذلك نشاط بيت الحكمة العباسي، فأهتم بالطب والصيدلة اذ لقي المختصون وانشأ الخليفة لهم ديوان خاص يشرف على نفقاتهم واحتياجاتهم كل بحسب مرتبته العلمية، ويبدو ان عطايا الخليفة لهم كانت سخية جدا لانهم كانوا يشغلون وظائف عالية في مجالهم بالمشرق فقدموا الى الاندلس والتحقوا بخدمة الخليفة الاموي ومن مشاهيرهم احمد بن يونس

---

(1) د. بدر (الحياة الفكرية في الأندلس) ص 118.

(2) ابن خير الأشبيلي، فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق: خوليان ريبرا (سرقسطة 1893م) ص 214، المقّري، نفح الطيب، ج4/ 164، جذوة الاقتباس، ترجمة 915.

(3) ابن جلجل الأندلسي، ابي داود سليمان بن حسان الاندلسي (الفه سنة 377هـ)، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة 1955م) ص 112- 113، ابن ابي اصيبعة، طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة (بيروت د. ت) ص 486، صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 106- 107 (دخل بغداد وقرأ فيها على ثابن بن سنان بن قرة الصابئي كتب جالينوس عرضا).

واخيه عمر ابناء يونس بن احمد الحراني اللذان اكملا تحصيلهما العلمي في العراق ثم عملا بخدمة رجال السلطان ببغداد ثم قدما الى بلاط الخليفة الحكم الثاني لخدمته، وقد خلف عمر ثروة تزيد قيمتها على 100 الف دينار، وينقل لنا ابن جلجل الاندلسي معلومات مفصلة عنهم بقوله: (رحلا الى المشرق في دولة الناصر في سنة 330 واقاما 10 اعوام ودخلا بغداد، وتأدبا هنالك بالطب وخدما الرؤساء منهم: ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، وقرأ عليهم كتب جالينوس عرضا، وخدما ابن وصيف في عمل علل العين، ثم انصرفا الى الاندلس ودخلا في دولة المستنصر في سنة 351، وغزا معه غزاته الى سنت استبين وانصرفا والحقهما لخدمة الطب) واسكنهما مدينة الزهراء واستخلصهما لنفسه دون غيرهم ممن كان في ذلك الوقت من الاطباء، ومات عمر بعلة المعدة، وبقي احمد مستخلصا، واسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء، وكان لطيف المحل عنده، كان يقعد بين يديه في غلالة في الصيف، وكان يرتب اكله بين يديه،.. حدثني بنفسه قال: وصفت لامير المؤمنين المستنصر بالله حوانيت (رأيت بالبصرة للطباخين واتقنها) وحسن ترتيب الاطعمة، وانها موضوعة في غضاير وعليها مكاب الزجاج، ولهم خدام وقوف بالمناديل والاباريق، والحوانيت مستصلحة بالرخام الملون الفائت في الحسن، فركب المستنصر يوما من الزهراء الى قرطبة، وانا في موكبه، فلما اتى المدى- موضع الطباخين- نظر الى الملل التي يطبخ فيها الشحوم فتأملها، فلما نزل القصر افتقدن فأوصلني الى نفسه، فقال لي: يااحمد! هذا الملل من تلك الغضاير التي بالبصرة؟ وضحك على ذلك ثم قال لي: ما في تلك الملل، فقلت له: اطراف وشحوم ياامير المؤمنين. فضحك على ذلك وعجب به)[1]

وافاد الأطباء بالأندلس من اصدارات بيت الحكمة وكانوا على متابعة واتصال مستمر لما يصف او يترجم، وكان الحكم الثاني شغوفاً بالاطلاع على الأصول القديمة للمؤلفات من يونانية ولاتينية، فقد أمر الخليفة بترجمة كتابين احدهما لاتيني والآخر يوناني في التاريخ والحشائش، يقال انهما وردا ضمن هدية من امبراطور البيزنطنيين لبلاط قرطبة، والكتاب اللاتيني هو (كتب التاريخ السبعة في الرد على الوثنين) الفه باولوس اوروزيوس، المحرف في الرواية العربية الى هيروشيش ويعرف بانه تاريخ للروم عجيب فيه اخبار الدهور وقصص الملوك الأول وفوائد عظيمة، ويورد ابن خلدون ان الكتب قد ترجم للحكم الثاني من قبل كل قاضي النصارى قرطبة وترجمانهم فيها، وقاسم بن اصبغ شيخ العصر، ويبدو أن الأول كان ينقل الفكرة من اللاتينية الى العربية او العامية الأندلسية ويقوم الثاني بصياغتها صياغة سليمة.

اما الكتاب الثاني وهو لديسقوريدس اليوناني، ويحتوي على الحشائش الطبية، وفيه مصورات عن الحشائش والنباتات يضاف اليها بحسب قول ابن جلجل (صور للحشائش بالتصوير الرومي العجيب) وقد اهداه ارومانيوس ملك القسطنطينية الى الخليفة الناصر، ولما لم يكن في قرطبة من يفهم باللسان اليوناني طلب الناصر من ارمانيوس ان يبعث اليه برجل يحسن اليونانية ليعلمها في قرطبة ويساعده في الترجمة فبعث ارمانيوس الى الخليفة براهب اسمه نقولا فأشترك مع عدد من اطباء الاندلس بينهم محمد المعروف بالشجار وابو عثمان الجزار ومحمد بن سعيد الطبيب وعبد الرحمن بن اسحق ابن هيثم وابو عبد الله الصقلي فصحح هؤلاء بيحوثهم اسماء العقاقير الواردة في ترجمة كتاب ديوسقوريدس كما صححوا النطق بأسمائها وضبطت معانيها واسهم في هذا العمل ابن جلجل الأندلسي نفسه مساهمة كبيرة الأثر. وهكذا اصبحت مدرسته للترجمة في قرطبة تنافس زميلتها في بغداد[2].

---

(1) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 110، د احمد شوكت الشطي، العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة (دمشق 1970م) ص 56، د. بدر (الحياة الفكرية في الأندلس) ص 123.

(2) Michael Morony Iraq After the Muslim Conpuest, Oxford 1983, pp. 306. 314.

وهكذا تيسر للأندلسيين العاملين في ترجمة كتاب الحشائش على معرفة العقاير الواردة ومنافعها.

لبى حاجات التنافس مع المشرق ايضا ذلك الجانب من النشاط الفكري في بلاط الخلافة الأندلسية، المتمثل اولا بإنها بالتبعية الثقافية للمشرق، ويظهر ذلك بنقل الأصول الفقهية للفقهاء كالزهري والحسن البصري، وفي العلوم القديمة بالاطلاع على اصولها القديمة، واصابت عدوى منافسة الأندلس للعراق في تبوأ مركز الصدارة في ديار الإسلام للجماعات الخاضعة من أهل الذمة، فقد كانت الجماعة اليهودية في الأندلس على سبيل المثال تتبع السلطة اليهودية المشرعة والمدبرة لشؤون اليهود في بغداد[1].

كان الخليفة الحكم الثاني يسعى للاطلاع على الانجازات الثقافية لبيت الحكمة فرغب موظفيه ممن لا يشترك بحملات الجهاد بالتأليف كما حدث للفقيه القاضي يونس بن عبد الله بن مغيث، قاضي الجماعة بقرطبة ان يؤلف له في اشعار خلفائنا بالمشرق والاندلس مثل كتاب الصولي في اشعار خلفاء بني العباس عافيته من الغزاة وجازيته أفضل المجازاة[2].

استمرت الاتصالات الفكرية بين بغداد والأندلس حتى أن أهل الذمة من اليهود بالأندلس (يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت اعيادهم ليهود بغداد، وفي زمن الحكم قام احد خدمته في الطب وهو حسداي بن اسحق اليهودي باستجلاب تأليف من المشرق وعلم حينئذ يهود الأندلس ما كانوا يجهلونه واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه)[3].

استمر أثر المؤسسة الثقافية ببغداد على الأندلس في مدة حكم الحاجب محمد بن ابي عامر الملقب بالمنصور العامري الذي كان له اهتمام كبير بالعلم (وكان له مجلس معروف في الاسبوع يجتمع فيه بأهل العلم)[4].

ويشيد المؤلف المجهول باهتمام الحاجب المنصور العامري بالحركة الفكرية بالاندلس بقوله: كان المنصور بن ابي عامر من اهل الأدب البارع والفهم والعلم والبأس والنجدة بجميع الفنون.

وكان المنصور بن ابي عامر يدني الشعراء ويجزل صلاتهم فكان الشعراء يقصدون بابه ويمدحونه فيعطيهم الجوائز السنية والصلات العظيمة حتى انه لم يمدح قط احد من الملوك ولا غيره بمثل ما مدح به من الاشعار والخطب والرسائل وما صبر أحد على اعطاء الصلات كصبره مع البر لأهل الأدب والأكرام لأهل العلم حتى فاق بذلك ملوك الأرض)[5].

---

(1) النباهي المالقي، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري (بيروت د. ت) ص 195-196، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 14-15.

(2) ابن ابي اصيبعة، طبقات الاطباء/ 498.

(3) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1/ 199.

(4) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة للاسبانية: لويس مولينا (مدريد 1983) ج1/ 177.

(5) ابن بسام الشنتريني، ابو الحسن علي (ت 542هـ) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، كلية الآداب، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1364هـ/ 1945) ق4، م1 ص 43، ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1/ 200، ابن عذاري، البيان، ج2/ 272.

تأثر الحاجب بسياسة البويهيين ببغداد كما أكد ذلك الخبر الاتي (وامتثل رسم المتغلبين على سلطان ولد العباس بالمشرق من امراء الديلم في عصره، فنال بغيته، وتهنأ معيشته)[1].

ومن علماء بغداد الوافدين على قرطبة في عصر الحاجب العامري، ابو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي اللغوي (ت 417هـ) وفد من المشرق على الاندلس عام 380هـ وسرعان ما أصبح من ابرز شعرائه، بعد أن أختبره الحاجب بحضور الزبيدي النحوي والعاصمي وابن العريف في مجلس أدبي، وقد نقل لنا ابن بسام صورة ذلك المجلس بقوله (فقال لهم المنصور هذا الرجل الوافد علينا صاعد يزعم انه متقدم في هذه الآداب التي انتم سرجها الضاحية، وأهلتها السارية. وأحب أن يمتحن ما عنده، فوجه اليه، ودخل والمجلس قد احتفل فخجل، فرفع المنصور مجلسه وآنسه،.. فأذن له المنصور في ذلك، وجلس بجامع مدينة الزاهرة يملي كتابه المترجم (بالفصوص) فلما أكمله وتتبعه أدباء الوقت، لم تمر فيه كلمة زعموا صحتها عندهم، ولا خبر ثبت لديهم، فقالوا للمنصور: رجل مقتدر على تأليف الكذب من عيون الأدب، يُسندها الى شيوخ لم يرهم ولا أخذ عنهم... وأمر بأخراجه وأن يقذف بكتاب (الفصوص) في النهر، وفي ذلك يقولُ بعض شعراء العصر:

قــد غــاص في البحــر كتــاب الفُــصوص وهكـــــذا كـــــل صــــقيل يغـــــوص

فجاوبه صاعدٌ بقوله:

عُـــــاد الى مَعْدنـــــــه إنّـــــــما تُوجَـــدُ في قعـــر البحـــارِ الفُـــصوص[2].

كما دخل الأندلس طاهر بن محمد المعروف بالمهند البغدادي، وكان اديباً شاعراً متقدماً، يقال عنه انه من ولد احمد بن ابي طاهر، صاحب تاريخ بغداد، وفد على الحاجب المنصور العامري) وحظى بمكانة عنده، واصبح من شعراء الدولة العامرية[3].

ودخل بغداد عدد كبير من الأندلسيين في مدة دويلات الطوائف بعد اداء فريضة الحج للاستزادة من منهلها العلمي نذكر نخبة منهم: عبد العزيز بن احمد بن السيد بن مُغلس القيسي، عالم اندلسي في اللغة العربية وشاعر، قرأ اللغة على أبي العلاء صاعد الربعي البغدادي بالمغرب (كتاب الفصوص) توفي عام 427هـ[1].

---

(1) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الأول، ص 7– 8، ابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة، الزهرة رقم 28، ص 71– 72 (ابو العلاء صاعد اللغوي ت 417هـ) وغلامة كاموز الاسود بحضور الحاجب المنصور العامري) وانظر عنه: المقّري، نفح الطيب، ج3/ 75– 84. والحميدي ، جذوة المقتبس، ترجمة رقم 509، وابن بشكوال، الصلة، ترجمة رقم 39. ابن خاقان الأندلسي، مطمح الأنفس، ص 115– 210، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تقديم ممدوح حقي، دار الكتاب– الدار البيضاء، د. ت) ص 50– 52.

(2) الضبي، بغية الملتمس، ج2/ 421– 422 ترجمة رقم 862.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، ج2/ 455/ ترجمة 645، الضبي، بغية الملتمس، ج2/ 499 ترجمة 1091، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 132 ترجمة 74.

ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب الباجي القاضي توفي بالمرية عام 474هـ فقيه محدث وامام مشهور، وعالم متكلم، رحل الى المشرق عام 426 وسمع من ابي علي الحسن بن علي البغدادي، في مدينة بغداد والف كتاب (الاقناع في القراءات العشرين) واقام الباجي في مدينة بغداد ثلاثة اعوام يدرس الفقه، ويكتب الحديث من خيرة الفقهاء فيها، وروى عنه ببغداد ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب، قال عنه ابن بسام (نشأ وهمته في العلم وأنه بدأ بالأدب فبرز في ميادينه، وجعل الشعر بضاعتهُ، فنال به من كل الرغائب، ثم رحل فما حل بلداً إلا وجده ملآن بذكره)[2].

محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي، المعروف بالحميدي الميورقي، اندلسي اصله من جزيرة ميورقة (الجزيرة الكبرى) كان عالماً بالحديث والقراءة والعربية والأدب، رحل الى المشرق عام 488هـ وزار بغداد واستوطنها وكتب بها مؤلفات في الحديث والأدب وسائر الفنون، وله مؤلفات عديدة منها (جذوة المقتبس) و (تاريخ الإسلام) توفي ببغداد عام 488هـ[3] حسين محمد بن فيرة بن حيون، ابو علي الصدفي ويعرف بابن سُكرة، واصله من سرقسطة عالم في الحديث واسماء الرجال، رحل الى بغداد عام 482هـ وأقام بها خمس سنين، وسمع بها من ابي الفضل احمد بن الحسن بن خيرون، مسند بغداد، ومن ابي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، وابي الفوارس طراد بن محمد الزيني، توفي بالاندلس في وقعة كشندة Qatunda عام 514هـ[4].

ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأشبيلي، اندلسي (ت عام 543هـ)، فقيه، حافظ محدث، اديب، تتلمذ على مشاهير علماء الأندلس، ودخل بغداد وسمع بها من ابي الحسين المبارك ابن عبد الجبار الصرفي، ومن الشريف

---

(1) ابن بسام الشنتريني/ الذخيرة، القسم الثاني 38، ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 117 ترجمة 457، الضبي، بغية الملتمس، ج2/ 385-386، ترجمة 779، النباهي المالقي، المرقبة العليا، ص 95، ابن سعيد المغربي، المغرب، ج1/ 404- 405 المقّري، نفح الطيب/ ج2/ 67- 69 الحميري ، عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار (نشر بعنوان صفة جزيرة الأندلس) تحقيق: ليفي بروفنسال (القاهرة 1937م) ص 36 ترجمة 35.

(2) الحميدي/ جذوة المقتبس، مقدمة المحقق، ابن بشكوال، الصلة، ج3/ 818- 819 ترجمة 1238، الضبي، بغية الملتمس، ج1/ 161، ترجمة 258، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 112- 115 ترجمة 163، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ 410، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 1318.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج1/ 235- 237 ترجمة 334، الضبي، بغية الملتمس، ج1/ 331 ترجمة 657، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 90- 93 ترجمة 48، وضف له ابن الآبار (المعجم في أصحاب ابي علي الصدفي) 45 نقلاً عن الضبي، بغية الملتمس، ج1/ 176 ترجمة 296، ابن بشكوال، الصلة، ج3/ 838- 839 ترجمة 1277، المقّري، نفح الطيب، ج2، 85- 90 ترجمة 46 ابن بشكوال، الصلة، ج3/ 855- 857 ترجمة رقم 13-5، الضبي، بغية الملتمس ج1/ 125- 131، ترجمة 180، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 25- 43 ترجمة رقم 8.

(4) ابن الخطيب الغرناطي ت 776هـ/ الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان/ مكتبة الخانجي (القاهرة 1393هـ/ 1973م) ط2ج1/ 206- 207، المقّري/ نفح الطيب، ج2/ 637- 638 ترجمة رقم 264 وله ترجمة اخرى في ج2/ 133 رقم الترجمة 75 واورده ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2/ 307.

أبي الفوارس طراد بن محمد الزيني، ومن ابي بكر بن طرخان وغيرهم، ثم رحل الى الحجاز وعاد ثانية الى بغداد، وصحب ابا بكر الشاشي، وابا حامد الطوسي وغيرهما، صنف له مؤلفات عديدة تربو نحو الأربعين مصنفاً، كتب الشعر وتغنى لبغداد ومعالمها الحضارية بقصيدة نقتطف منها الأبيات الاتية:

بمشرعة الكرخ التي لم نزل بها ... يلذ لنا شَرخ الشباب ويعُجب

ونهر معُلى اعشبت فيه أربُعي ... وغرد أطياري فأصبحت أطرب

جمال وإجمال ودين وعفةٌ ... نفسي مثلها يُرغى الأديب ويُوعب

سَلامُ على بغداد في كل منزل ... وحقُ لها سنى السلامُ المطَيبُ

فيا بَرق إن الكَرخ هَمي وهمتي ... وأنت اليه اليوم أدنى وأقربُ

عسى فيك من ماء الصَّراة حبابةُ ... تُبل غليلا غل قلبي فَيذْهب

ابو الحكم عبد الله او عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي الأندلسي، وابو الحكم، عالم اندلسي، ولد بالمرية وعُرف بالأدب والطب والهندسة، رحل للحج واقام ببغداد يعلم الصبيان وخدم السلطان محمود بن ملك شاه عام 521هـ، وأنشأ له في معسكره مارستاناً ينقل على 40 بعيراً واشتغل به طبيباً، توفي بدمشق عام 459هـ، وصنف ديواناً للشعر سماه (نهج الوضاعة لاولى الخلاعة)(1).

ابو حامد الغرناطي، محمد عبد الرحيم المازني القيسي الغرناطي، عالم اندلسي من اهل غرناطة، حافظ اديب وجغرافي، رحل الى المشرق وزار الاسكندرية وحلب وبغداد وسمع بها عام 556هـ، وصنف كتابا اسمه (تحفة الالباب) توفي بدمشق عام 565هـ(2).

وانجبت سلطنة غرناطة عدد من العلماء الذين استلهموا من نبوع بيت الحكمة منهم الطبيب احمد بن محمد الكرني، ويعرف بشيخ الأطباء بغرناطة، وطبيب الدار السلطانية، كان له اتصال واسع مع اطباء بغداد ويذكر لنا عنه ابن الخطيب الغرناطي في مشيخته ويقول (وتأدى اليه اذن طائفة من البغدادين والعراقيين له في الرواية منهم ظفر بن محمد، وعبد الرحمن بن المبارك، وعلي بن محمد اليزيدي.. وحج سنة 612هـ فأدى الفريضة ثلاث عشر، ولقب بالمشرق بحب الدين، واقام في رحلته نحو ثلاثة اعوام، لقى فيها من الأعلام العلماء... وببغداد احمد بن ابي السعادات، واحمد بن ابي بكر، وابن أبي خطه طلحة، وابو نصر القريشي، وابراهيم بن ابي القطيعي، ورسلان المسدي، والأسعد بن نقاقا، واسماعيل بن باركش الجوهري، واسماعيل بن ابي البركات، وبرنامج مروياته واشياخه، مشتملة على متين عديدة، مرتبة اسمائهم على البلاد العراقية وغيرها)(3).

---

(1) رامون منندث بيدال (المستشرق الاسباني) Ramon Menedez Pidal (اسبانيا وادخال العلوم العربية الى الغرب) تعريب: احمد لطفي عبد البديع، مقالة في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلة 3 (مدريد 1955م) ص 187- 188.

(2) N. F. Cantor: Medieval History, The Life and Death of a Civilization, Columbia University, New York 1963, P. 424...

(3) منندث بيدال (اسبانيا وادخال العلوم العربية الى الغرب) ص 118.

اصداء بيت الحكمة البغدادي في حركة الترجمة في الأندلس واسبانيا النصرانية

ظهرت حركة الترجمة في طليطلة Toledo قبل غيرها من مدن الأندلس بصورة فعالة ونشطة، وذلك لأنها كانت عامرة بالمكتبات العربية اكثر من بقية المدن، كما كان يقطنها آنذاك اهل الديانات الثلاث (الإسلام، النصرانية، اليهودية)، وقام اليهود بدور الوساطة في الترجمة بين النصارى والمسلمين. وتمت حركة الترجمة في طليطلة بمرحلة من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية، ومرحلة ثانية من اللغة العربية الى اللغة الاسبانية مباشرة[1].

قام الأساقفة والرهبان والنبلاء الأسبان بجهود مادية وعلمية في تشجيع حركة الترجمة، وكونوا فيما بينهم ما يشبه الجمعية بهدف ترجمة المؤلفات العلمية العربية، كما لم يكن باستطاعة النصارى الحصول على مؤلفات الأغريق وفلاسفتهم إلا عن طريق المسلمين ونقولهم، واستمر الحال على ذلك بضع قرون[2].

ويرجع فضل ازدهار حركة الترجمة في اسبانيا الى جهود بيت الحكمة وما قام به من انجازات علمية حفزت وشجعت اسبانيا واوروبا على انشاء مدارس وارسال بعثات للاطلاع على الثقافة العربي، وتولى الأسقف ريموند Raimendo (1126 - 1152م) رعاية جماعة من المترجين والكتاب وأنشأ مدرسة المترجمين بطليطلة، وكان ريموند يشغل منصب اسقف طليطلة وكبير مستشاري ملوك قشتالة، وجبل اعضاء هذه المدرسة على الهمة في نقل المؤلفات العربية، فتمت ترجمت روائع المؤلفات في الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة، كما ترجم اعضاء هذه المدرسة مؤلفات العلماء والفلاسفة الأغريق وشروح اعلام الفكر الإسلامي عليها.

ازدهرت حركة الترجمة بأسبانيا واصبح عدد الكتب المترجمة يثير الأعجاب والدهشة، واطلقت اسماء العديد من المدن الاسبانية على مجموعة المخطوطات الرياضية والفلكية التي تعود لذلك العصر، فمن بين هذه المدن التي كان اساقفها تواقين الى المعرفة طرسونة Tarazona وبنبلونة Pamplona وبرشلونة Barcelona وسرقسطة Zaragoza وطرطوشة Tortos فضلاً عن طليطلة التي كانت الرائدة بالترجمة، فتوافد عليها عدد كبير من العلماء الأوروبيين المتلهفين الى المعارف العلمية المشرقية، واحتلت مدرسة طليطلة مكانة ممتازة لأكثر من قرن بفضل مساعدات رايموندو، كما كان دومينكو كونثالبوا Domingo Gonzalbo فاليه يرجع فضل استخدام اللغة اللاتينية لأول مرة، كما كان انشط المترجمين، ثم اشترك ابن داود اليهودي المتنصر في الترجمة مع دومنكوكثالبوا، وكان ابن داود اليهودي يترجم النص العربي الى اللغة الاسبانية الدارجة شفوياً، ويقوم دومنكوثالبوا على الفور بتحرير ما يسمعه من ابن داود اليهودي باللغة اللاتينية[3].

---

(1) اوليري، الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة تمام حسان، مراجعة مصطفى حلمي، وزارة الثقافة والآرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة د. ت) ص 281- 282.

(2) ادخل مونثالث بالنثيا (المستشرق الاسباني) Angel Gonzalez Palancia تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: د. حسين مؤنس، القاهرة (1955م) ص 537- 539.

(3) تشارلز بيرنيت (حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى في اسبانيا) مقالة مترجمة نشرت في كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، اصدار مركز الدراسات الوحدة العربية، باشراف د. سلمى الخضراء الجيوسي (بيروت 1998م) ج2/ ص 1439- 1475.

ويبدو ان اسلوب الترجمة المتبع في مدرسة طليطلة للترجمة كان بتأثير اسلوب ترجمة بيت الحكمة، ويؤكد لنا ذلك أوليري O'leary بقوله (كانت الطريقة المستخدمة في هذه المدرسة والمتبعة في القرون الوسطى، هي أن يستخدم الموظفون في الترجمة، فيضعوا الكلمات اللاتينية فوق الكلمات العربية التي في الأصل، ثم تراجع اللاتينية على يدي كبير الموظفين، وتحمل الترجمة بعد انتهائها اسم من راجعها. وكانت هذه الطريقة آلية للغاية، فكان المترجم يعامل معاملة الأقل في الأهمية. ويبدو ان إعداد الترجمات كانت يحدث بحسب الأوامر وبالطريقة نفسها التي كان يحدث بها نسخ النصوص، فلم تعد أكثر اتصالاً بالمعرفة من عملية النسخ. كما لم تكن مهمة المراجع أكثر من أن يتأكد من أن الجمل اللاتينية كانت صحيحة من الناحية اللغوية. اما تركيب الجملة فكان لا يزال عربي الطابع! وكان في الغالب في منتهى الصعوبة في الفهم على القارئ اللاتيني، ولا سيما حين تكون الكلمات الصعبة مجرد ترجمة للكلمات العربية[1].

ذاعت شهرة مدرسة طليطلة للترجمة، وصار اصداءها في انحاء اوروبا، وهرع اليها نفر كبير من الدول الأوروبية ومنهم:

جيرارد الكريموني	Gerardo de Carmona
مايكل سكوت	Miguel Scott
أندريا اليهودي	Anderia de Jewish
اديلارد الباثي	Andelard de Bath
روبرت دي رتنيس	Rbert de Ritnes
هرمان الألماني	Herman de German (Aleman)[2]

ويعد جيرارد الكرموني افضل هؤلاء المترجمين وانشطهم، فقد نقل الى اللغة اللاتينية 71 مؤلفاً عربياً.

ازدهار حركة الترجمة بطليطلة Toledo في عهد الملك الفونسوا العاشر Ailfonso X (الملقب بالحكيم أو العالم El Sabio) حاكم قشتالة وليون Castillay Leo'n

بعد احتلال طليطلة عام 478هـ/ 1085م من ملك قشتالة الفونسو السادس Alfonso VI اصبحت طليطلة مركزاً لحركة الترجمة في اسبانيا تنافس بغداد وغيرها من مدارس الترجمة تعمل على ترجمة المؤلفات العربية الى اللغة القشتالية Castellano، وكانت تصل الى الأندلس من أقصى ارجاء العالم الإسلامي في الكتب المتراكمة في الخزائن الملكية، كما افتتحت الترجمة التي أنشأها الملوك والاساقفة في طليطلة مثل الأسقف رودريكو دي لاردا Rodrigo de Larda وغيره، والهدف منها هو تعريف الاسبان على مضامين الحكمة العربية[3].

ازدهرت حركة الترجمة في عهد الملك الاسباني الفونسوا العاشر (الحكيم أو العالم) الذي حكم للأعوام (1252- 1284م) في مملكة قشتالة وليون والذي اسس المدرسة العربية الاسبانية، وصار الملك يقتدي بما كان يفعله ملوك الطوائف بالأندلس ويسعى الى منافسة مدارس الترجمة في بغداد وغيرها، وكان اليهود من معاوني الفونسو العاشر هم السبب في احلال الترجمة عن اللغة العربية الى اللغة الاسبانية محل اللغة اللاتينية، لأنهم كانوا يكرهون اللغة اللاتينية

(1) منندث بيدال (اسبانيا وإدخال العلوم العربية الى الغرب) ص 190.

(2) Encyclopeadia Judaica: Massadah Publishing Company Ltd. Jerusalem 1958- 1959, PP. 1944

(3) منندث بيدال (اسبانيا وإدخال العلوم العربية الى الغرب) ص 190.

فهي في نظرهم أهم أداة من أدوات المسيحية. لذلك كان اليهود هم السبب في ترجمة العهد القديم الى اللغة الاسبانية في ق 7هـ/ 13م، وكانوا أيضاً هم السبب في كتابة الكتب التاريخية والعلمية باللغة الرومانسية[1].

عمل في مدرسة الترجمة بطليطلة 160 مترجماً، قاموا بترجمة الف مصنف، كما ترجمت بعض المؤلفات اكثر من مرة ربما مرتين او ثلاث مرات، فيوجد لبعض المؤلفات ترجمة لاتينية واخرى اسبانية وثالثة رومانسية. وقام اليهود بدور كبير في الترجمة عن اللغة العربية الى اللغة الاسبانية. اما الترجمة عن اللغة العبرية فلم تجر الا في وقت متأخر[2].

وهو دليل على تأثيرات المؤلفات العربية والحاجة لها للتطور العلمي الذي وصلت اليه الثقافة والعلوم في الاندلس والمشرق الاسلامي، فسعت الديانات كالنصرانية واليهودية الى ترجمة المؤلفات العلمية بالطب والصيدلة والفلك وغيرها.

وامتاز نظام الترجمة بطليطلة بالمدرسة بالمدرسة الفرنسية، إذ يشترك عربي او يهودي مع راهب مسيحي في عمل الترجمة. وقام بعض مترجمي المدرسة العربية اللاتينية بالعمل في المدرسة العربية الاسبانية، مثال ذلك الفارو الاوبيدي Alvaro de Oviede ويهود ابن موسى وهرمان الالماني وغيرهم[3].

انصرف الملك الفونسو العاشر للترجمة عام 658هـ/ 1260م بعد الفراغ من اعماله الحربية والسياسية، وبدأ ينصرف الى اعمال علمية واتجاهات جديدة، وتم وضع الجداول الفلكية وكتاب الاحجار والشطرنج والتاريخ العام بالاعتماد على مصادر عربية[4].

يذكر ارنولد شتيجر كان الفونسو العاشر معجباً اشد الاعجاب بالثقافة والحضارة الاسلامية، التي قدر له ان يشاهدها عندما اتاحت له الظروف ان يزور الاندلس في صباه، فعمل على استدعاء العلماء المسلمين واليهود، واسس المدارس والمعاهد، وقام بترجمة كثير من المؤلفات التاريخية والرياضية وغيرها الى اللغة الرومانية، ويمكن ان يعد رمزاً للثقافة الاسبانية في العصور الوسطى[5].

واسهمت مدينة مرسية Murcia في منافسة مدينة طليطلة فيما خلفه المسلمون المدجنون، فقد اذكى فيها الفونسو الحكيم قبل توليه العرش وبعده الحركة الثقافية، وجمع حوله طائفة من علماء المسلمين والمسيحين واليهود ليترجموا الكتب العربية الى الاسبانية، او ينقلوا عنها كما ظهر ذلك في المدونة العامة لتاريخ اسبانيا وهي مفاخر الفونسوا الحكيم[6].

---

(1) المرجع السابق، ص 91.

(2) (التأثيرات والمصادر العربية في مؤلفات الفونسو العاشر الحكيم، مقالة في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، المجلد الثالث (مدريد 1955م)، ص 197.

(3) احمد لطفي عبد البديع، الاسلام في اسبانيا، المكتبة التاريخية، ط3 (القاهرة 1958م) ص 168- 169.

(4) المرجع السابق، 169.

(5) تاريخ الفكر الأندلسي، ص 457. وانظر الراهب الاسباني سيمونيت (تاريخ المستعمرين في اسبانيا) بالاسبانية في 4 أجزاء: F. Simonet, Historia de los Mozarabes en Espana/ edicom Turner (Madrid 1984) vol. 1/ 28

(6) كارثية اربنال (المستشرقة الاسبانية) والمسلمون في مدونة الفونسوا العاشر) مقالة بالاسبانية في مجلة القنطرة الاسبانية، العدد 6 (مدريد 1985م) Mercedes Gacia Arenal (Los Moros en las Cantigas de Alfonso X- al Sabio-) Revista al- Qantara, vol. VI (Madrid 1985) PP. 133- 151.

امر الملك الفونسو العاشر في السنة الثالثة من اعتلاله عرش مملكة قشتالة، وذلك عام 1255م بأنشاء حلقة للدراسات العربية واللاتينية، ليقوم بالبحث فيها اساتذة في الفنون والنحو والخطابة والمنطق والرياضيات والقانون وغيرهما من فنون المعرفة، وانشأ ايضا مدرسة في مدينة مرسية عهد فيها الى محمد بن احمد ابي بكر الرقوطي المرسي بتدريس العلوم المختلفة للمسلمين واليهود والنصارى(1).

والمعلم الرقوطي وصفه المستشرق الاسباني انخل كونثالث بالنثيا في قوله "من النابهين في الرياضيات والحساب من اهل ق13م ابو بكر بن احمد الرقوطي من اهل رقوطة من اعمال بلنسية، وقد رأس اول مدرسة اسلامية انشأها الفونسو العاشر في مرسية سنة 667ه/ 1269م. وتوافد على تلك المدرسة طلاب المسلمين والنصارى واليهود ليدرسو على يديه"(2).

صنف الملك الفونسو الحكيم مدونة او موسوعة مزودة بلوحات مصورة ذات طابع فني مشرقي وبالالوان الطبيعية احتوت 427 لوحة فنية للحياة العامة والدينية والعلمية والمجالس الادبية والعروض العسكرية والحملات الجهادية للمسلمين، وفيها 51 لوحة فنية عن حياة العرب المسلمين، وتبدوا اللوحات بانهار رسمت بوساطة فنانين عرب او بتاثير وتوجيه منهم، ويلاحظ فيها لوحات مقتبسة من مقامات الحريري والواسطي من خريجي مدرسة بيت الحكمة البغدادي، ومن هذه اللوحات امرأة مسلمة تحمل ولدها الميت الى القديسة مريم العذراء عليها السلام ويبدو على الام الحزن، ولوحة تظهر مسلمة تخدم عند سيد بمدينة طليطلة، ولوحة مسلم من مدينة المرية يخدم سيده، والقديسة العذراء تدافع عن حصار المسلمين، وسلطان مصر المملوكي يهاجم طرطوشة، ومملوك السلطان بيبرس، ومسلمون افارقة وغيرها من اللوحات الفنية المعبرة عن تراث العرب المسلمين ومجدهم(3).

تطورت حركة الترجمة في اسبانيا بعد الملك الفونسو العاشر بسبب ولع الرهبان الاسبان واهتمامهم بالثقافة العربية الاسلامية وحصزولهم على نوادر المخطوطات العربية المشرقية والاندلسية في المكتبات العامة والاديرة، واشترى بعض الرهبان المخطوطات العربية بأثمان غالية منهم بطرس المبجل في الاربعينيات من ق12م من هرمان الكارنثي وروبرت القيطوني وبيتر الطليطلي. كما الحق بطرس المبجل بفريق الترجمة بمعهده رجلا مسلما اسمه محمد، وكان له عونا وسندا في ترجمة امور العقيدة الاسلامية، وان الرجل الذي قام بترجمة المناظرة بين المسلم والنصراني في مسألة مناظرة الكندي ترك مكانا فارغا لجملة واحدة قالها المامون، وهو الحكم في المناظرة، لصالح الرجل المسلم، اذ عد المأمون النصرانية دينا يدعو الى التمتع بالحياة في العالم الاتي الاخرة لاهذه الدنيا، فيما يتيح الاسلام للمرء ان يتمتع في هذا العالم الدنيا والعالم الاخرة على السواء، ولسوء الحظ ان محققا مبكرا للمخطوطة اللاتينية محا او ازال جملة من الاستحسان من المأمون للاسلام، وبالتالي لانرى ولا نجد الجملة المهمة في المخطوطات اللاتينية الاخرى بدافع التعصب(4).

انظر اللوحات المصورة والمرفقة مع البحث وقارن مع لوحة من مقامات الحريري.

(1) Alverny, Marie- Th,er,ers (Translations and Translators, Renwal in the Twelfth Century, Oxford Clarendon Press 1982, P. 95.
Miguel Asin Palacios, El Islam e Occidente (Madrid 1931).

(2) ارنست رينان، ابن رشد والرشيدية (باريس 1881م) ترجمة: عادل زعيتر، ص 197- 204 قائمة بالمترجمين لمؤلفات ابن رشد.

(3) كونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 537- 538.

(4) منندث بيدال: اسبانيا وإدخال العلوم العربية الى الغرب، ص 188.

سيطرت كتب الطب العربية على مدارس الترجمة في اسبانيا وتقدمت على المؤلفات لاهميتها المباشرة بالمجتمع حتى ان الاطباء العرب صارت لهم اسماء باللاتينية في اسبانيا منهم:

ابن سينا (Avicenna) ابن القف (Albenguefit) ابن زهر (Avenzor) ابن رشد القرطبي (Averroes) ابن باجة (Avenmpace) ابن ميمون القرطبي (Maimonides) ابو السلط امية (Abuzale) ابو القاسم الزهراوي (Albucasis Alzaharavius) اسحاق بن حنين (Johanitius).

وفي المؤلفات الطبية الاندلسية ترد اسماء اطباء ترجم لهم بيت الحكمة البغدادي مثل اسحاق بن حنين وابي بكر الرازي وكتابه المنصوري وابن سينا وجالينوس وسقراط وغيرهم كثيرون وكانوا اداة لازدهار حركة الترجمة وحثها وازدهارها.

المؤلفات العربية التي ترجمت في مدارس الترجمة في اسبانيا:

انجزت مدارس الترجمة الاسبانية اعمالا عديدة وبتأثير بيت الحكمة البغدادي والسعي الى مجاراته للاطلاع على الثقافات العربية، وقد صرح المستشرق الاسباني ميكيل اسين بلاثيو Miguel Asin Palacios على ذلك في قوله (ان تاريخ الفكر الفلسفي في اسبانيا المسلمة هو اقتباس امين من الثقافة الاسلامية المشرقية، ودون اية رابطة ايجابية فان التقاليد المحلية تفصح عن ذلك)[1].

حظي كثير من العلماء والفلاسفة المسلمين باهتمام مدارس الترجمة، فعمل المترجمون بنقل مؤلفاتهم الى اللغات اللاتينية والاسبانية والعبرية ومنهم:

1. ابو الوليد بن رشد القرطبي فقد ترجم له موسى بن تيبون Mosses ibn Tebone وصموئيل بن تيبون Shemu'el ibn Tebone، كتبه ابن رشد القرطبي في الطبيعيات وما بعد الطبيعة الى اللغة العبرية في ق13م. وترجم يعقوب بن اماري Jacob ibn Amari شروح ابن رشد على المنطقيات، ثم ترجم (خلاصة المنطق) و (مختصر المحبسطي) لابن رشد الى اللغة العبرية سنة 1231م. كما ترجم موسى بن تيبون (شروح ابن رشد) وبعض مؤلفاته الطبية (كشرح الارجوزة) سنة 1260م. ثم ترجم شلومان بن يوسف، واصله من غرناطة Granada (شرح كتاب السماء والعالم) عام 1259م[2]. وترجم ميجل سكوت Miguel Scott وهرمان دي كرنتيا Herman de Carintia بترجمة كتب ابن رشد الى اللغة اللاتينية، واهم هذه الترجمات التي قام بها سكوت: (كتاب السماء والعالم) و (كتاب رسالة النفس) و (كتاب تهافت التهافت).
2. ابن سينا: ترجم له سكوت الى اللغة اللاتينية بالتعاون مع اندريا اليهودي Anderia Judaica، وكان اندريا يقرأ ويفسر، ويقوم سكوت بتحرير مايسمعه فورا، وقام كونثالبو وابن داود بترجمة مؤلفات ابن سينا، فترجم كل منها بمفرده (كتب النفس والطبيعة وماوراء الطبيعة) الى اللغة اللاتينية[3] ثم اشترك الاثنان معا في ترجمة كتب ابن سينا الى اللغة الاسبانية[4].

---

(1) كونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الاسلامي، ص 500– 501.

(2) أرنست رينان، ابن رشد والرشيدية، ص 224، 225، 227.

(3) منندث بيدال، (اسبانيا وإدخال العلوم العربية الى الغرب) ص 190.

(4) كونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 501.

3. الغزالي: اشترك دومنكو كونثالبو وابن داود في ترجمة مؤلفات الغزالي مرتين، من العربية الى اللاتينية ومن العربية الى الاسبانية (الكتاب مقاصد الفلاسفة) وترجم افراهام بن صمويل بن ليفي بن حسداي Afraham Ibn Somu'l Ibn Hasdai (كتاب ميزان العمل) الى اللغة العبرية بعنوان (ميزان الصدق)[1].
4. كتب الزراعة العربية: تمت ترجمت (كتاب الفلاحة) لابن العوام الاشبيلي، ولابن بصال (كتاب القصد والبيان)، ومؤلف لابن وافد بعنوان (كتاب الزراعة).
5. ابو بكر الرازي: الذي عمل بغداد في المارستان العضدي و (كتابه المنصوري) الذي ترجمه جيرارد الكريموني في طليطلة.
6. الفارابي: ترجمت مدارس طليطلة مؤلفات الفارابي منها (شروحه على كتاب الخطابة) قام بترجمته هرمان الالماني الى اللغة اللاتينية، كما ترجم (كتاب الاخلاق) وعمل معه مسلمين عارفين باللغة القديمة[2].

كما انتشر كتاب كليلة ودمنة بين النصارى، واقبلوا على قراءته باللغة العربية، فأمر الملك الفونسو العاشر بترجمته الى الاسبانية وظهرت اول ترجمة مطبوعة عام 649ه/ 1251م.[3]

المصنفات الاسبانية التي تأثرت بالكتب العربية:

اهتم الاسبان بتأليف كتب بتأثير المؤلفات العربية الاسلامية من حيث الموضوع او الاسلوب قام بتصنيفها النصارى واليهود منهم يهود الحريزي (1170- 1235م) الذي حقد على اهل ملته اليهود حين رآهم يقبلون على قراءة اللغة العربية ويفضلونها على اللغة العبرية فحاول في كتاباته ان يؤكد ان العبرية لاتقل اهمية عن العربية ثروة وجمالا، لذلك اختار مقامات الحريري التي تشتمل على خمسين مقامة من كلام العرب وامثالها ورموز اسرارها صنفها ابو محمد قاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري (ت516ه)، وترجم المقامات الى العبرية، ثم الف قصة ذات طابع مسرحي تسمى تحكيموني (Tahkimuni) قلد فيها اسلوب المقامات[4] وصنف سليمان بن سقيل مقامة فكهة على غرار مقامات الحريري، كذلك وضع مؤلف اسباني مجهول، كتابا بعنوان (قصص الصعاليك) على غرار مقامات الحريري بالضبط، وعلق عليه باحث بقوله (ان الشبه العظيم بين موضوع الكتابين واسلوبهما امر يدعوا الى الدهشة)[5].

وصنف الملك الفونسو الحكيم (مقالة في فضائل الاحجار الكريمة) ثم الف (كتابا في الالعاب) اورد فيه وصفا للعبة الشطرنج والنرد، وقد اعتمد فيه على مصادر عربية، كما الف الملك كتابا في (التاريخ العام لاسبانيا) اعتمد فيه على بعض المؤلفات العربية والكتاب يحتوي على 30 فصلا وفيه فصل عن تاريخ الرسول الكريم ﷺ.

وصنف لذريق الطليطلي Rodrigo de Toledo بعنوان (تاريخ العرب) اعتمد فيه على مؤلفات عربية منها (قصة المعراج) نقلها منه الفونسو الحكيم.

---

(1) المرجع السابق، ص 180، 498، 501.

(2) ترند وآخرون، تراث الاسلام، ترجمة: زكي حسن وآخرون، لجنة الجامعيين لنشر العلم (القاهرة 1936م) ج1/ 60- 62.

(3) ارنولد شتيجر، (التأثيرات والمصادر العربية في مؤلفات الفونسوا العاشر الحكيم) ص 198.

(4) مونثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الاسلامي، ص 538.

(5) الاب مانويل الونسو Manuel Alonso (ابن سينا وأثره في العالم اللاتيني) ترجمة تاج الدين ابو زيد، مقالة في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، العدد الأول (مدريد 1953م)، ص 42، 545- 46.

صنف الملك الحكيم الفونسو مؤلفات عن الفلك اعتمد فيها على اعمال الفلكيين العرب في الاندلس كما صنف دومنكو كونثالبوا (ت578هـ/ 1182م) كتابا بعنوان اطوار العالم او (خلق الدنيا) اورد فيه سبع فقرات قيمة، اقتبسها حرفيا وبالكامل من مؤلفات ابن سينا في الفلسفة وما وراء الطبيعة، وتتعلق جميعها بخصائص الكائن الالهي، كما الف كونثالبوا كتاباً اخر بعنوان (الافراد والمفرد) اعتمد في تأليفه على (كتاب الشفاء) لابن سينا.

وبعد (كتاب اطوار العالم) من اقدم واهم الكتب الفلسفية النصرانية المتأثرة بالفلسفة الاسلامية. ثم الف كونثالبو كتاباً ثالثاً بعنوان (خلود النفس معتمداً على آراء ابن سينا، ونقل من ابن جبيرول Ibn Gabiroll المتأثر بمذهب واراء ابن مسرة القرطبي، ثم صنف كونثالبوا كتاباً رابعاً بعنوان (فروع الفلسفة متأثراً بكتاب (احصاء العلوم للفارابي[1]. وصنف اليهودي ابن داود كتاباً في الفلسفة بعنوان (كتاب النفس). اعتمد فيه على مؤلفات ابن سينا في الفلسفة وماوراء الطبيعة ونقل منه زهاء 50 فقرة منها فقرة استغلت 5 صفحات من (كتاب النفس) لابن داود[2].

على الرغم مما اصاب التراث العربي الاسلامي في اسبانيا من تلف وحرق وابادة حضارية من بعض المتعصبين امثال سينيروس الذي احرق المؤلفات العربية في ساحة الرمالة في مدينة غرناطة، التي تقدر باكثر من مليون مخطوط والحريق الذي اصاب خزانة دير الاسكوريال بمدريد، لاتزال في اسبانيا خزائن من تراث في الاديرة وفي الجدران اخفاها المسلمين خوفا من محاكم التفتيش الاسبانية كما قدم بعض الرهبان خدمات حضارية للاسبان منهم الونسو دي كاستيلو Alonso de Castilo الذي ترجم القصائد الشعرية على جدران قصر الحمراء في غرناطة وعلى نافوراته وابوابه ونوافذه، ووضع فهارس للمخطوطات العربية بالاسكوريال، وكتب رسالة بالطب استعان فيها (بالرسالة الكافية في علم الطب والحكمة) كتبها ابو الحسن عيسى بن الحكيم المعروف بالمسيح الدمشقي، طبيب الخليفة العباسي هارون الرشيد، وتوفي كاستيلو عام 1610م بعد ان خدم الثقافة العربية الاسلامية.

وبذلك يكون لبيت الحكمة فضل كبير على حركة الترجمة والتأليف، اذ استفادت منه اسبانيا في ترجمة مؤلفات بتأثيره، كما استفادت مدارس الترجمة الاسبانية من اسلوب الترجمة ومن الدعم والتشجيع والهمة العالية والسعي لمنافسته لانتاج مؤلفات باللاتينية والعبرية والاسبانية، فكان مركز اشعاع حضاري للاسبانية.

(1) أرنولد شتيجر (التأثيرات والمصادر العربية في مؤلفات الفونسوا الحكيم ص178

(2) كونثالث بالثيا، تاريخ الفكر الاندلسي، ص 538

77المرجع السابق

اسهامات اطباء الاندلس وابداعاتهم في الحضارة العربية الاسلامية

الاستاذ الدكتور محمد بشير حسن راضي

أنجبت الاندلس عباقرة الاطباء في مختلف الاختصاصات وساهموا في رفد الحضارة العربية الاسلامية بنتاجات علمية نادرة ومتميزة وعديدة تشكل نواة اساسية في عالم الطب والصيدلة، وتعد مفخرة للاجيال بلغ ازدهار الطب والصيدلة ذروته في عصر الخلافة الاندلسية بفضل اهتمام حكام قرطبة ودعمهم وتشجيعهم للعلماء وحضورهم المجالس العلمية، وبفضل توفر الامن والرخاء الاقتصادي وانتعاش حركة التأليف والترجمة وظهور المكتبات العامة والخاصة المزدانة بامهات المصادر الطبية الثمينة من كتب المشرق الاسلامي لمشاهير الاطباء العرب امثال ابن سينا والفارابي وغيرهم، وتبادل الزيارات والرحلات العلمية الى المشرق فضلاً عن عامل المنافسة بين العلماء العرب المسلمين في الانتاج والابداع والتوصل الى الحقائق العلمية وظهور مشايخ الاطباء بالاندلس، وكان لوجود كتب اطباء اليونان في اسبانيا امثال ارسطو وافلاطون وارسطو طاليس وديسقوريدس وجالينوس اثراً مهماً في دراسة مؤلفاتهم الطبية والاستفادة من تجاربهم والعمل على التطوير والابداع وتلخيص شروحاتهم مثلما قام به الطبيب ابن رشد القرطبي الذي لخص مؤلفات جالينوس منها:

1. كتاب الطبيعة
2. كتاب العلل والامراض
3. كتاب الحميات
4. المقالات الخمس من كتاب الادوية المفردة
5. كتاب المزاج
6. كتاب البرص.

إبداع اطباء الاندلس في مؤلفاتهم الطبية المتميزة بفصولها ومادتها وغزارة معلوماتها واختصاصها ومن ابرز اطباء قرطبة Cordoba هم: ابن جلجل الاندلسي وله من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة:

1. تفسير اسماء الادوية من كتاب دوسقوريدس
2. مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها دوسقوريدس
3. مقالة في ادوية الترياق
4. رسالة التبيين في ماقالت فيه بعض المتطببين
5. طبقات الاطباء والحكماء
6. تفسير المقالات الخمس من كتاب ديوسقوريدس، كما انجبت قرطبة اكبر جراح في العصور الوسطى هو ابو القاسم خلف الزهراوي القرطبي صاحب (كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف) الذي يعد موسوعة في علم الجراحة والكسور الذي ترجم الى كل اللغات لاهميته.

ساهمت كل مدينة اندلسية في اهداء عالم طبيب وصيدلي بارع لخدمة الحضارة الانسانية يعد جوهرة ومفخرة للعرب المسلمين، وقد خدم اطباء الاندلس الحكام والقادة وشاركوا في الحملات الجهادية لتضميد الابطال، فالطبيب ابن ميمون القرطبي خدم القائد البطل صلاح الدين الايوبي، وصار الطبيب ابن رشد القرطبي في خدمة الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف والطبيب ابو جعفر احمد بن حسان الغرناطي في خدمة السلطان الغرناطي ابي يعقوب المنصوري الموحدي، والطبيب ابن خلصون في خدمة السلطان الغرناطي ابي عبد الله بن يوسف الفقيه، كما اصبح الطبيب ابو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الايادي الاشبيلي في خدمة المعتمد بن عباد ثم الامير المرابطي يوسف بن

تاشفين واصبح الطبيب ابن البيطار المالقي الطبيب الخاص للسلطان الايوبي الكامل بالقاهرة، وصنف ابن البيطار كتابه "الجامع لمفردات الادوية والاغذية" وصف فيه 1400 عقاراً لمختلف الامرؤاض والعلاجات.

ابدع اطباء الاندلس في الامراض النسائية ومنهم عمر بن سعيد القرطبي وكتابه الفريد (خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين) احتوى على 15 باباً في صناعة التوليد وتربية المولود وفيه من النصائح الطبية المهمة.

اسهم اطباء الاندلس في مواجهة الكوارث والازمات الطبيعية والاوبئة الوافدة في تصنيف الكتب والرسائل وخير مثال على ماقام به المؤرخ والوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ) في تأليف كتاباً عندما وفد مرض الطاعون على العالم والذي حصد اعداد من البشر، فهب ابن الخطيب لكتابة (منفعة السائل عن المرض الهائل) ونجح في مواجهة الوباء في تقليل الوفيات.

اهتم اطباء الاندلس في التعرف على الاعشاب والنباتات الطبية واماكنها ومنافعها الطبية، وساهم الجغرافيون برصد تلك الاعشاب في مدن الاندلس منهم ابو عبيد البكري القرطبي الذي صنف كتاباً بالنباتات ومنافعها الطبية كما صنف الشريف الادريسي هو الاخر عن النبات والحشائش.

قدم اطباء الاندلس خدمات جلية للبشرية بفضل ايمانهم وعزمهم وثقافتهم ودعم الحكام الاندلسيين للحركة العلمية والخبرات الاقتصادية التي تمتع بها بلد الاندلس واختلاطهم بثقافات متعددة وطموحهم في الوصول الى الحقائق والنتائج الافضل الى ازدهار علم الطب بالاندلس.

على الرغم مما اصاب التراث الاندلسي من ابادة واضطهاد وتلف وحرق من الحاقدين والمتعصبين لاتزال مكتبات اسبانيا مثل الاسكوريال Escorial والوطنية والاكاديمية الملكية للتاريخ والمدرسة العربية في مدريد وغرناطة والكنائس والاديرة والمجاميع العلمية في اسبانيا تقوي على اعداد كثيرة من المخطوطات العربية بالطب والصيدلة فضلاً عن مكتبات المغرب العربي والعالم مثل الوطنية في باريس والمانيا وبريطانيا وغيرها، لتؤكد للعالم بان العرب امة ابدعت وخدمت وانجبت بيارق وعمالقة وعظماء وابطال في الطب والعلوم الاخرى، نفخر بهم ونعتز باسمائهم لتزين مستشفياتنا وشوارعنا ودوائرنا ومدارسنا وجامعاتنا وكل المرافق الحيوية للامة العربية الاسلامية فهم في عيوننا وقلوبنا لهم الفضل علينا نمجدهم بمؤتمراتنا والنصب الخالدة فلهم الرحمة الدائمة واملنا اليوم ان تتذكر العلماء ونفخر بهم لانهم شموس واقمار ونجوم في سماء الحضارة العربية والعالمية.

ابدع اطباء الاندلس في رفد الحضارة العربية الاسلامية بابحاثهم ونظرياتهم ومؤلفاتهم العلمية التي خدمت الانسانية، واكدت على براعة علماء الاندلس وولعهم واهتمامهم بالطب والصيدلة.

انجبت الاندلس عباقرة العلماء في كافة المجالات العلمية والانسانية بفضل الاسلام الذي حث على التعلم وتقديم ماينفع البشر كما اكدت لنا الاحاديث الشريفة (لاخير من علم لانفع منه) (والعياذ بالله من علم لاينفع) كما يعود الفضل الى خيرات الاندلس الاقتصادية وجودة مناخها ودعم حكام الاندلس وتشجيعهم على التزود بالثقافة واكرام العلماء وعقد المجالس الادبية والعلمية وظهور طبقات العلماء في اغلب مدن الاندلس وكانت قرطبة Cordoba قبلة العلماء وكعبة القصاد والمهتمين لتزود من منهلها العلمي، وغدت قرطبة المركز الاكاديمي للعالم العربي الاسلامي في الغرب وامتازت على غيرها من مدن الاندلس بالسمعة العلمية حتى وصفها العالم الطبيب ابن رشد القرطبي الى زميله الطبيب ابن زهر سنتحدث عنها لاحقاً في تفضيلها على غيرها من المدن الاندلسية وشهرتها بقوله:

(اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها، وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع الاته حملت الى اشبيلية)[1].

اصبحت قرطبة عند اتخاذها قاعدة للاندلس موطناً لاهل العلم ومركزاً للتأليف والمجالس العلمية والادبية واختصت بالثقافة وبناء المجامع العلمية والمدارس والجامعات والمعاهد، وكما اسهمت في حركة التأليف والاستنساخ لامهات الكتب النادرة في مجال الطب والعلوم الاخرى[2].

اشادت المصادر الاندلسية بدور قرطبة ونشاطها العلمي في كافة المجالات وازدهار الحركة العلمية بين اهلها رجالاً ونساءاً كما اكد لنا المؤرخ عبد الواحد المراكشي نقلاً عن المؤرخ ابن فياض في تاريخه في اخبار قرطبة بقوله (كان بالربض الشرقي من قرطبة 170 امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا مافي ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها)[3]

انجبت قرطبة عباقرة الطب والعلوم والادب مما ساعدت على جذب اعداد كبيرة من علماء الاسلام في المشرق فضلاً عن اطباء مدن الاندلس للحصول على الشهادات العلمية والتلمذ على خبرة كبار علماء قرطبة في المسجد الجامع بقرطبة والمجالس العلمية في ضواحي قرطبة، فقد كان جامع قرطبة Mezquita Mayor de Cordoba اول جامعة قروسطية في اوربا بالعصور الوسطى، ففي هذا الجامع كان الآلوف من الطلبة يتلقون العلوم الاسلامية الاساسية مثل التفسير والفقه والحديث وغيرها[4]

نالت قرطبة السمعة والشهرة العلمية والتي زادتها الحفاوة والتقدير والتكريم في الاوساط والمحافل الثقافية، ويفخر العالم الذي ينتمي الى قرطبة بالولادة او الدراسة لحصوله على الشهادة الجامعية منها، ويروي لنا عن مكانة قرطبة العلمية المؤرخ ابن سعيد المغربي عن ابيه فيقول (ومن كلام والدي في نشأتها: هي من احسن بلاد الاندلس ولاهلها رئاسة ووقار ولا تزال سمة العلم متوارثة فيهم، وهي من اكثر بلاد الاندلس كتباً واشدها اعتناء بخزائن الكتب)[5]

صار اهل قرطبة يتبارون ويتباهون باقتناء نفائس الكتب ونوادرها واحتواء دورهم على خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس عند احد غيره، والكتاب الذي بخط فلان قد حصله وظفر به[6]

---

(1) نقلاً عن المقّري التلمساني/ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب/ تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1388ه/ 1968م.

وورد في مقدمة المحقق ابن حارث بن اسد القيرواني الخشني 361ه/ قضاة قرطبة/ ص35.

(2) العامري/ أ. د محمد بشير حسن راضي (دور المسجد الجامع بقرطبة في اعداد الطبقات العلمية في الاندلس) مقالة في مجلة دراسات اسلامية العدد: 4 (تشرين 1– كانون 1) يصدرها بيت الحكمة (بغداد 1421ه/ 2000م) ص116.

(3) المعجب في تلخيص اخبار المغرب/ تقديم د. ممدوح حقي/ نشر دار الكتاب (الدار البيضاء د. ت) ص520.

(4) روبرت هيلنبراند (زينة الدنيا– قرطبة القروسطية مركزاً ثقافياً عالمياً) مقالة مترجمة في كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس/ نشر مركز دراسات الوحدة العربية/ بأشراف د. سلمى الخضراء الجيوسي (بيروت 1998م/ ج1/ ص195– 196.)

(5) نقلاً عن المقّري/ نفح الطيب/ ج2/ 8 كما ورد في المقدمة/ قضاة قرطبة للحنشني/ ص ز.

(6) المقّري/ نفح الطيب ج2/ 8، كما ورد في المقدمة/ قضاة قرطبة للخشني/ ص. ز

بهذه الروحية والاهتمام من اهلي قرطبة في الجانب العلمي ازدهر الطب والعلوم الاخرى وجرت المناظرات وحلقات الدرس والنقاش والتنافس والسعي لنيل درجة الشرف والابداع والرغبة في تأليف الكتب العلمية التي تخدم البشرية وتجلب المفخرة والشهرة والسمعة العلمية الطبية لاصحابها العلماء الذين ذاعت شهرتهم في مدن الاندلس والمغرب والمشرق وفي الشمال الاسباني النصراني حتى ان عدد كبير من السفارات قدمت الى قرطبة تطلب المشورة والخبرة والموافقة للدراسة ونيل الشهادات، كما جاءت سفارات اسبانية تطلب الموافقة والعطف على علاج الامراء الاسبان منهم سأنجو السمين Sancho el gordo ابن الملكة طوطة Tota اميرة مملكة نبارا Navarra وذلك لعلاجه من سمنته المفرطة بعد ان فشل اطباء اسبانيا واوربا من علاجه وشفائه، وكان موضع استهزاء بين الرعية حتى انه كان لايستطيع ركوب الخيل لثقل وزنه، وقد امر الخليفة عبد الرحمن الناصر من تكليف طبيبه الخاص حسداي بن شبروط من علاجه وشفائه من سمنته المفرطة(1)

اهتم العرب المسلمون بالاندلس بالطب واعتنوا بدراسته عناية كبيرة، واستفادوا من اطباء المشرق العرب المسلمين واخذوا منهم الكثير من النظريات والتجارب والتوصيات كما نقلوا مؤلفاتهم الطبية ودروسها بدقة فضلاً عن اعتنائهم بها وجدوه على ارض الجزيرة الاسبانية من مؤلفات اليونان مثل ارسطو وافلاطون وسقراط وغيرهم واستعانوا بمعلوماتهم الطبية واضافوا تلك المعلومات وابدعوا في تجاربهم بفضل عقيدتهم الاسلامية وتوصيات الشريعة الاسلامية وما ورد من نصوص قرانية كريمة عديدة في الطب والعلاج وما ورد من معلومات علمية طبية في الاحاديث النبوية الشريفة وتوصيات اسلامية من الاطباء والفقهاء والحكماء والتي شكلت الاساس والقواعد العلمية في ازدهار الطب العربي في الاندلس فضلاً عن الخبرة والمنهجية العلمية والضروريات التي ساعدت على تطوير المعارف الطبية التي ادت الى ولادة مشاهير الاطباء العباقرة في القرون الوسطى.

بلغ ازدهار الطب والصيدلة ذروته في عصر الخلافة الاندلسية بعد ان اخذ الطب ينحو خطوات متقدمة من الانتاج والابداع في مختلف الاختصاصات(2).

يعود الفضل في تطوير علم الطب والصيدلة في الاندلس الى امراء وخلفاء الاندلس ودعمهم وتشجيعهم على أغداق الاموال الطائلة على الاطباء وتوفير الامن والاستقرار والسكن والحماية والرواتب لكبار الاطباء، ويعود الفضل الى تقدم الطب الى الخليفة عبد الرحمن الناصر (300- 350ه) وابنه الحكم المستنصر بالله والذي يرجع اليهما الفضل في انشاء اول جامعة متطورة في قرطبة وتشجيعها للعلم والعلماء واستقدمها من كل بقاع العالم الى قرطبة، واغداقها الاموال على اقتناء امهات الكتب الطبية والعلوم الاخرى بمبالغ طائلة، فضلاً عما كان يصل اليهما من اهداء للكتب الثمينة من حكام وملوك الولايات المجاورة مثل وصول كتاب ديوسقوريدس Discoridos في الطب والحشائش

(1) ابن حيان القرطبي/ المقتبس (الجزء الخامس) تحقيق: شالميتا و كورنيطي ومحمود صبح/ المعهد الاسباني العربي للثقافة (مدريد 1979/ ص335- 336) سفارة عام 322ه. ابن خلدون المغربي/ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر/ طبعة دار البيان (بيروت د. ت) ج4/ 142- 143.

د. عبد الرحمن علي الحجي/ اندلسيات (المجموعة الثانية) دار الارشاد 1389ه- 1969م- ص80- 81.

(2) العامري/ أ. د محمد بشير حسن راضي (كشاف عن مشاهير الاطباء الاندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة) مقالة في مجلة كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد العدد 12 بغداد 2001 صفحات المقالة 168- 184 ص168.

والاعشاب والنباتات الطبية من امبراطور القسطنطينية[1] وكلف الخليفة القرطبي عبد الرحمن الناصر مستشاريه الذين يجيدون اليونانية الى ترجمة الكتاب بالاعشاب والنباتات والحشائش الطبية والاستفادة مما ورد فيه للخدمات الطبية بالاندلس.

انصرف الخليفة الحكم المستنصر بالله لخدمة العلم والعلماء والحصول على النوادر الثمينة من الكتب الطبية، وقد اشاد به القاضي صاعد الاندلسي في طبقاته بقوله... وذلك في ايام ابيه الى العناية بالعلوم والى ايثار اهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عيون التأليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية ايام ابيه ثم في مدة ملكه من بعده، ماكاد يضاهي ماجمعته ملوك بني العباس في الازمان الطويلة وتهيأ له ذلك لفرط محبته للعلم وبعد همته في اكتساب الفضائل وسمو نفسه الى التشبه بأهل الحكمة من الملوك، فكثر تحرك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم[2].

بفضل الاشعاع الفكري والحضاري الذي شهده الاندلس في عهد الخلافة توجهت انظار العالم الاوربي المسيحي وسجدت عيونهم وهاماتهم امام التطور الطبي الذي عم بلد الاندلس وصاروا يتسابقون بسفاراتهم نحو قرطبة يطلبون الموافقة والولاء ويحملون معهم الهدايا الثمينة وبناتهم لكسب حكام الاندلس وعقد الاتفاقيات العلمية والقيام بالبعثات الثقافية مع المسلمين بعد ان شاعت اخبار الازدهار العلمي في الجزيرة الاندلسية، ابان خلافة الناصر كما اكد لنا ابن خلدون بقوله "ومدت اليه امم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان واوفدوا اليه رسلهم وهداياهم من روما والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاحتمال فيما يعن من مرضاته، ووصل الى سدنة ملوك الجلالقة من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين كجهات قشتالة وبنبلونة وما اليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مركبه"[3].

اشاد المستشرق الهولندي دوزي Dozy بالسيرة العلمية للخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله بقوله ان الخليفة عبد الرحمن الناصر كان جديراً بالتقدير والاعجاب اهلاً لخلود اسمه في سجل العظماء والخالدين، وكان ابنه الحكم الثاني يحاكيه في سيرته العلمية فقد رباه والده على صفوة من ادباء ذلك العصر[4].

اعجب شيخ المؤرخين الاندلسيين ابن حيان القرطبي بالحياة العلمية التي غدت بها قرطبة في مدن الاندلس في ظل الخليفة عبد الرحمن الناصر، واشاد ايضاً بالرخاء الاقتصادي والعسكري بقوله "ذكر ابن حيان وغير واحد ان ملك الناصر بالاندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادنة الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق امة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الاوفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية[5].

---

(1) العامري/ (كشاف عن مشاهير الاطباء) ص67

(2) القاضي ابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي 462هـ/ طبقات الامم/ نشر مطبعة السعادة (مصر د. ت) ص88

(3) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج4/ 138. انظر النص عند المقَّري/ نفح الطيب، ج1/ 366 للمقري (ايضاً) ازهار الرياض في اخبار عياض، عن مطبعة القاهرة (1358هـ/ 1939م) وتم اعادة طبعه بين المملكة المغربية ودولة الامارات العربية المتحدة الرباط 1398هـ/ 1978م/ ج2/ 258.

(4) Reinhart P-Dozy/ Historia de los Musulmanes de Espana/ Ediciones Turner/ Madrid 1982 vol. #/ 88.

(5) نقلاً عن المقَّري/ نفح الطيب/ ج1/ 366.

الاجواء التي ظهرت في ظل الخلافة الاندلسية كان لها نتائج ايجابية على ازدهار الطب والعلوم الاخرى وظهور كبار طبقات العلماء بفضل الامن والاستقرار والرخاء الاقتصادي والدعم المتواصل من الخلفاء والتشجيع والتكريم اذ ان كثير من المؤلفات الطبية تم تأليفها واهدائها الى حكام الاندلس، كما تم اكتشاف العديد من الادوية في الاندلس لمعالجة الكثير من الامراض اوردها الطبيب الاندلسي ابي داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل[1].

ان من يريد التعرف على تاريخ الطب بالاندلس ويرغب التفحص والتعرف على التراث العربي الاسلامي في مجال الطب بالاندلس في المؤلفات المخطوطة في مكتبات اسبانيا والمغرب العربي وفرنسا والمانيا وبريطانيا وخزائن مصر، سوف يقف الباحث بدهشة وحيرة وخشوع واحترام وتقدير واعجاب كبيرين امام تراث علمي ضخم في مؤلفاته وحجمه ومعلوماته ونظرياته ونكهته وشعاعه البراق، لو اردنا ان ننشره على الانهار والبحار والمحيطات ربما لم تستوعبه المسطحات المائية وسوف يكون اعلى بكثير من القمم الجبلية الشاهقة بالعالم، لانريد ان نبالغ بهذه التشبيهات وانما نريد ان نقرب الصورة والحقيقة الى جهود علماء الاندلس بالطب خلال اكثر من ثماني قرون من وجودهم الحضاري على ارض اسبانيا، وليفهم القارئ الكريم ان كل طبيب او مؤرخ او فقيه او قاضي او محتسب او مثقف اندلسي له كتاب بالطب والصيدلة وعلم الاعشاب والنباتات لخدمة البشرية وانقاذها من الامراض والكوارث، فستكون حصيلة نتاجات علماء الاندلس خلال وجودهم الحضاري في الجزيرة الاندلسية موسوعات بالطب والصيدلة ساهمت في رفد الحضارة الانسانية بخدمات جلية.

لم يقف علماء الاندلس مكتوفي الايدي امام الازمات والكوارث الطبيعية بل كانوا حريصين ومجاهدين واوفياء لدينهم وامتهم العربية الاسلامية.

وكان اهل الاندلس سباقين لعمل الخير وتقديم كل العون والخدمة للرعية وحمايتهم من الامراض، والكوارث فالشواهد التاريخية عديدة بالاندلس نذكر منها مااصاب العالم مرض الطاعون (عمواس) والذي حصد هذا الوباء الاعداد الكبيرة، وقد اعتبرته الكنيسة النصرانية من غضب الطبيعة والقضاء والقدر، ولكن الوزير والمؤرخ الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ) هب لدراسة اسباب واعراض المرض بطريقة علمية وصنف كتاباً اسماه (مقنعة السائل عن المرض الهائل) استطاع بتوصياته وتحذيراته ان يخفف عدد المصابين في بلدة غرناطة وباقي مدن الاندلس بايمانه وعقيدته وعلميته ان يتوصل الى حقائق ويكتشف العلل ويضع الحلول لها، هؤلاء علماء الاندلس انهم رجال المواقف الصعبة والحرجة ومنقذي البشرية من الامراض والجهل والفقر.

التاريخ العربي الاسلامي حافل بانجازاته العلمية في مجال الطب في العصر الاموي الاندلسي، ونظراً لجهل الكثير من الباحثين عن اماكن المخطوطات العربية في مجال الطب والصيدلة او لصعوبة الحصول على نسخ مصورة من تلك المخطوطات الطبية او لعدم تعاون ادارات المكتبات مع الباحثين في تزويدهم بالطلب بواسطة البريد، او غلاء اسعار التصوير بالعملة الصعبة او صعوبة السفر الى مراكز المكتبات العربية والعالمية للحصول على نسخ مصورة من التراث العربي الاسلامي بالطب، كل تلك الامور تشكل عقبات ومصاعب وبالتالي تضر بالتراث ربما التأخير يؤدي الى تلف تلك المخطوطات او فقدانها فضلاً عما اصاب تراثنا الاندلسي من اضطهاد وتعسف وظلم وحرق وغبادة من المتعصبين امثال المتشددين والحاقدين على نهضة تراثنا الاندلسي، مثلما قام به الكاردينال سيسنيروس خمينث Cinores

(1) طبقات الاطباء والحكماء (الف سنة 377ه) تحقيق: فؤاد سيد مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة 1955م) يستفاد منه البحث لاحقاً.

Gimenz الذي احرق الكثير من المخطوطات العربية في ساحة الرملة Alrrambla في وسط غرناطة Granada وسط حفل بهيج حضره الكثير من الاسبان والمسلمين، واخذت الصراخات تتعالى والبكاء ينهمر من المحبين والمخلصين والعقلاء المثقفين لهذه الحادثة المؤلمة التي راح ضحيتها الالاف من كتب تراثنا العلمي والانساني جراء الحقد والتعصب الاعمى للحضارة العربية الاسلامية.

يعتقد عدد من الباحثين ان معلوماتنا قليلة عن اطباء الاندلس ومؤلفاتهم نظراً لقلة الدراسات في هذا الحقل الحيوي الانساني، فيذكر المرحوم الدكتور كمال السامرائي عن ذلك بقوله (معلوماتنا عن اطباء العصر الاموي، فيما يخص اعمالهم في الطب نزرة وتعتمد على مصادر موجزة وفي بعضها كثير من الغموض وعدد الاطباء الذين نعرفهم في هذه الحقبة قليل جداً وليس من المعقول ان لايكون في اقطار هذه الخلافة التي تمتد من شواطئ المحيط الاطلسي غرباً الى حدود الصين مع الهند وفارس شرقاً الا بضعة اطباء في دمشق، وواحد او اثنان في الكوفة، وواحد في البصرة وواحد في انطاكيا، ثم لانعرف طبيباً واحداً في الاندلس او المغرب او تونس او بلاد العجم. وجهلنا باسماء الاطباء في تلك الاقطار لايدل عليه كل حال على عدم وجود اطباء هناك)[1].

ان الحقيقة والواقع تؤكد عكس ماورد اعلاه بسبب نقصان عامل المتابعة والبحث في فهارس المخطوطات بالمكتبات العربية والعالمية التي تحفل وتزدان بالكثير من روائع المخطوطات العربية بالطب والصيدلة وفي خزانة دير الاسكوريال Escorial بضواحي مدريد Madrid بحوالي 50 كم.

ترقد العديد من روائع المخطوطات الاندلسية بالطب، كما توجد في المكتبة الوطنية بمدريد Birblioteca Nacional وفي مكتبة الاكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد Biblioteca Real De Historia وفي المعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد Instituto Hispano- Arabe De Culture والمدرسة العربية للثقافة في مدريد وغرناطة Escuela Arabe De Madrial- Granada وفي الكنائس والاديرة والبلديات الاسبانية تتوفر وثائق نادرة عن التراث الاندلسي بالطب كما توجد في مكتبات المغرب العربي ومدنه مثل تطوان Tetuan والرباطRabat وفاس Fez ومراكش Marrakez وغيرها واكثر مايتوفر من المخطوطات في الخزانة العامة بالرباط والمكتبة الحسينية (القصر الملكي) بالرباط ويمكن الاطلاع على الفهارس من اصدارات المغرب[2] وفي دار صدام للمخطوطات ببغداد تتوفر الكثير من المخطوطات العربية الاسلامية بالطب ذات قيمة علمية هامة[3].

نتوجه بدعوة عربية اسلامية نابعة من الحرص والايمان الى رجال الحضارة العربية الاسلامية والمخلصين والمحبين لتراثنا العربي بحث طلبة الدراسات العليا في الطب والصيدلة لان خدمة المخطوطات في اعتقادنا جزء من

---

(1) د. كمال السمرائي/ مختصر تاريخ الطب العربي/ الجزء الاول/ دار الحرية للطباعة (سلسلة دراسات رقم 355) بغداد 1984م ص294.

(2) فهارس الخزانة الملكية (المجلد الثاني الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات) تصنيف محمد العربي الخطابي (الرباط 1402ه/ 1982م).

منتخبات من نوادر المخطوطات/ الخزانة الملكية/ القصر الملكي/ الرباط 1398ه/ 1978م.

(3) مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي/ اسامة ناصر النقشبندي/ وزارة الثقافة والاعلام (سلسلة المعاجم والفهارس 350) دار الحرية للطباعة (بغداد 1981م).

العبادة والخدمة الانسانية وصدقة جارية للباحث والكاتب المخطوط، نسأل الله ان تكون دعوة خالصة لخدمة الامة العربية الاسلامية[1].

اسهامات الاطباء الاندلسيون بمؤلفاتهم العلمية :

شارك اطباء الاندلس في الحضارة العربية الاسلامية بمؤلفاتهم واسهموا في تقديم الخدمات الطبية للبشرية والتوصيات والتحذيرات في مكافحة الامراض المزمنة والاوبئة التي تضر بالانسان.

امتازت المؤلفات الطبية الاندلسية بالعناوين البلاغية الجميلة والتي تحمل المعاني والدلائل والمقاصد الاساسية للكاتب فضلاً عن تصنيف مؤلفات لتفسير مسائل الاطباء اليونان والرد على آرائهم ونظرياتهم واضافة مافات على ديوسقوريدس او جالينوس وحنين بن اسحق وسقراط وغيرهم.

استفاد اطباء الاندلسيين من مؤلفات اطباء المشرق المسلمين امثال ابن سينا والرازي وماسويه والكندي ونظموا مؤلفاتهم على غرار ومنهجية وعلمية اطباء المشرق واضافوا اليها وامتدحوا نظرياتهم الطبية ومجدوا مؤلفاتهم مثل (كتاب تذييل الارجوزة) لابن سينا في الحميات صنفه ابن عزرون القرطبي. انجبت مدن الاندلس عباقرة الطب العربي الاسلامي في كافة الاختصاصات وصار الطبيب الاندلسي يلقب باسم مدينته مفتخراً ومعتزاً بولادته ووفاء لوطنه وهو ادب اسلامي واعتراف بفضل ارضه واهله. ساهمت مدينة قرطبة Cordoba قاعدة الاندلس بولادة عمالقة الطب الاندلسي لكونها مركز الثقافة والاقتصاد وتتوفر فيها الجامعات والمجالس العلمية واستوطنها الكثير من العلماء وقصدها عدد كبير من العلماء والفقهاء من المشرق الاسلامي والعدوة المغربية، ومنها الكثير من المكتبات العامة والخاصة، وحظيت باهتمام كبير من حكام الاندلس في الجانب الثقافي، ويذكر لنا ابن عذارى المراكشي عن اهتمام الخليفة الحكم الثاني بفتح الكتاتيب المجانية للفقراء بقوله (ومن متحسنات افعاله وطيبات اعماله، اتخاذه المؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القران حوالي المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة، واجري عليهم المرتبات، وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح، ابتغاء وجه الله العظيم، وعدد هذه المكاتب 27 مكتباً منها حوالي المسجد ثلاثة، وباقيها في كل ربض من ارباض المدينة)[2].

كان لهذه الافعال الثقافية اثراً كبيراً على جذب اعداد كبيرة من المثقفين والمهتمين لتتلمذ في قرطبة التي اصبحت مركز جذب للعلماء نظراً لتفوقها على غيرها من مدن الاندلس في ظهور طبقات الاطباء والصيادلة، امتازت قرطبة بوفرة المكتبات العامة والخاصة التي تحتوي على نورادر وفرائد المؤلفات للعلماء، وقد اهتم الخليفة الحكم المستنصر بالله بانشاء مكتبته الخاصة بالقصر الخلافي بقرطبة والتي ضمت نفائس الكتب في مختلف العلوم والاداب والفنون على غرار مكتبة بيت الحكمة للخليفة العباسي المأمون، وقد وصفها الفقيه ابن حزم القرطبي بقوله (ان عدد الفهارس المحتوية لتسمية الكتب اربع واربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط، وان عدد كتبها بلغ اربعمائة الف مجلد)[3].

---

(1) العامري (كشاف عن مشاهير الاطباء الاندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة) ص168.

(2) ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب/ تحقيق: كولان وليفي بوفنسال، دار الثقافة (بيروت د. ت) ج2/ 240.

(3) ابن حزم القرطبي/ جمهرة انساب العرب/ تحقيق ليفي وانظر النص عند ابن الابار/ الحلة السيراء/ تحقيق د. حسين مؤنس، ط1، القاهرة 1963 ج1 203 نقلاً عن ابن حزم القرطبي.

شجعت المكتبة بالقصر القرطبي الكثير من الاطباء على التعرف والاطلاع على المؤلفات الطبية في الولايات الاسلامية بالمشرق فضلاً عن المؤلفات اليونانية والرسائل والنظريات النادرة والتي بدورها ساعدت على ازدهار الطب وشجعت الاطباء القرطبيين على روح البحث والمتابعة فظهرت المع نجوم الطب بقرطبة نذكر منهم:

- ابن جلجل الاندلسي: ابو داود بن حسان القرطبي(1)، ولد في مدينة قرطبة عام 329هـ/ 940ه وتوفي بعد عام 384هـ/ 994م. وله من المؤلفات الطبية المخطوطة والمطبوعة وهي:

1. تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس مخطوط في المكتبة الوطنية بمدريد ويحمل الرقم اللاتيني CCXXX111 ومنه نسخة اخرى في مكتبة حلب وطهران.

2. مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديوسقوريدس في كتابه عما يستعملها في صناعة الطب وينتفع بها وما لايستعملها كي لايغفلا عن ذكرها.

مخطوط مكتبة بولديان Bodieian Library, Oxford, n. 573 نسخة اخرى في مكتبة نور عثمانية/ اسطنبول برقم 3589.

اهتم الخليفة الناصر بارسال البعثات الطبية الى المشرق فهم احمد وعمر ابناء يونس بن احمد الحراني عام 330ه واقاما 10 اعوام ودخلا بغداد، وتأدباً هنالك بالطب وعادوا للاندلس في خلافة الحكم الثاني الذي اهتم بتصنيع وتركيب الادوية في مختبرات قرطبة وكانت بالقصر الخلافي خزانة طبية عمل بها 12 طبيباً من الصقالبة طباخين للاشربة وصانعين للمعاجين كما ذكر ابن جلجل.

3. مقالة في ادوية الترياق.

مخطوط مكتبة بوليديان برقم 47

4. رسالة التبين في ماقالت فيه بعض المتطببين

كتاب مفقود حالياً

5. طبقات الاطباء والحكماء (ألف سنة 377هـ/ 987)

تحقيق: فؤاد سيد/ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة 1955) يعد معجم لتراجم مشاهير الاطباء بالاندلس واختراعاتهم واكتشافاتهم الطبية.

6. تفسير المقالات الخمس من كتاب ديوسقوريدس

مخطوط مكتبة مجلس شورى ايران برقم 1538/ 1،

نسخة منه في جامعة حلب برقم 734 (في 7 ورقات)

حظى ابن جلجل القرطبي بدراسات عديدة من الباحثين العرب والمستشرقين الاسبان منهم خوان بيرنيت Juan Vernet وبابيرو رويث Ruiz.

- الزهراوي ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي القرطبي، المعروف باللاتينية Abulcasis، ولد بمدينة الزهراء Alzahra /Azzahra بقرطبة عام 325هـ/ 936م، وتوفي بين الاعوام 401- 404هـ/ 1110- 1113م.

تحدث عنه الحميدي بقوله من اهل الفضل والدين والعلم، وعلمه الذي سبق فيه علم الطب وله فيه كتاب مشهور كبير الفائدة محذوف الفصول ذكره ابن حزم القرطبي واثنى عليه وقال: ولان قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه للقول والعمل في الطبائع والجبر لنصدقن(1).

---

(1) المقّري/ نفح الطيب، ج3/ 175.

ان العالم مدين لابي القاسم الزهراوي في طب الجراحة العامة وذلك بشهادة المختصين حيث الف كتابه الفريد (التصريف لمن عجز عن التأليف) في كيفية القيام بالعمليات وشرحها ووصف الادوات التي تستعمل في كل عملية موضحة بالاشكال وقد اخذت كمرجع اساس للجراحة في اوربا[2].

اهتم الزهراوي في مساعدة الفقراء وكان نصف محصول اشغاله اليومية يقوم بها مجاناً في سبيل الاحسان والصدقات وكان يكتب جميع مقالاته لاولاده خلال الاربعين سنة التي قضاها بالكتابة والتطبيب، وكان يبدأ مقاليه بصيغة (يا اولادي). وهكذا نرى اندفاع الزهراوي في خدمة العلم وانشغاله في توفير العلاج للفقراء ابعده عن الملوك والاشراف واعتبر معالجتهم مضيعة للوقت ويفوت عليه الكثير من الفرص واعتبر مهنة الجراحة شريفة كما ورد ذلك في بحث الكسور من الجزء الثلاثين من كتاب التصريف بقوله (نظطركم اولاً الى فهمها والوقوف على حقيقتها وانتم ومن كان حريصاً لتعلم هذه الصناعة الشريفة من غيركم)[3].

ابدع الزهراوي في الوصف والشرح وتقديم الايضاحات مما زاده روعة واتقاناً لتوضيح علم الجراحة للدارسين، نذكر عن ذلك ماجاء في الباب الثالث في جبر الكسور بقوله اعلموا باني انه قد يدعى هذا بالباب الجهال من الاطباء والعوام ومن لم يتصفح قط فيه للقدماء كتاباً ولا قرأ منه حرفاً ولهذه العلة صار هذا الفن من العلوم في بلدنا معدوم فأني لم الق قط محسناً[4].

انتقد الزهراوي الاطباء المرتزقة والجهال لانه كان ضد الاستغلال والارتزاق والشعوذة منتقداً لهؤلاء بقوله (رأيت طبيباً اخر يرتزق على بعض قواد بلدنا على الطب فحدث لصبي اسود كان عنده كسر في ساقه بقرب العقب من جرح فأسرع الطبيب بجهله فشد الكسر على الجرح بالرفائد والجبائر شداً وثيقاً ولم يترؤك للجرح تنفيساً ثم اطلقه على شهواته ثم تركه اياماً وامره ان لايحل الرباط حتى تورم ساقه واشرف على الهلاك فدعيت اليه فأسرعت في حل الرباط فنال الراحة من اوجاعه الا ان الفساد كان قد استحكم في العضو لم استطع ارداعه فلم يزل الفساد يسعى في العضو حتى هلك)[5].

اهتم الزهراوي بالتخدير وابدع في استعماله في العمليات الجراحية التي كان يصاحبها نزف وفقدان الدم بالوقت الذي لاتوجد فيه عمليات نقل الدم لتعويض المريض ماقد يفقده من دم، وبذلك يرى الزهراوي الامر بقوله (ينبغي ان يكون التحذير منه اشد لان العمل في هذا الباب كثيراً مايقع فيه الاستفراغ من الدم الذي به تقوم الحياة عند

---

(1) الحميدي/ جذوة المقتبس/ تحقيق محمد بن تاويت الطبخي، مطبعة مصر 1952م من 208– 209.

(2) د. خالد ناجي (الزهراوي وعمليات الغدة الدرقية) مقالة في مجلة المؤرخ ال، العدد 16، يصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، (بغداد 1401ه/ 1981م) ص182.

(3) الزهراوي/ ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي/ المقالة الثلاثون في العمل باليد من الكي والشق والبط/ النسخة المصورة للمخطوطة عني بنشرها وترجمتها الاستاذ ضياء الدين بن موسى بونيا توف/ موسكو 1983 (دار النشر للعلم) ادارة التحرير الرئيسية للاداب الشرقية/ آثار الاداب الشرقية 63.

(4) الزهراوي/ المقالة الثلاثون من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف.

(5) المصدر السابق نفسه.

فتح عرق او شق او ربط او اخراج علاج جراحة او اخراج سهم او شق على حصاة ونحو ذلك مما يصحب كلها الضرر والخوف يقع في اكثرها الموت)[1].

اكد الزهراوي على تشخيص الحالات المرضية بدقة واطلاع ومشاورة علمية، لان اخفاق الجراح هو مهلكة للمريض المصاب، واوصى بذلك بقوله (وانا اوصيكم عن الوقوع فيها فيه الشبه عليكم فأنه قد يقع عليكم في هذه الصناعة ضروب من الناس يتضجرون من الاسقام فمنهم من قد ضجر من روضة وهان عليه الموت وعيده الموت لشدة مايجد من سقمه)[2].

يوصي الزهراوي الاطباء الجراحين بالعطف والرحمة والشفقة ومخافة الله او التأني في الفحص والعلاج بقوله (ومنهم من يبذل مل ماله ويعينك به راجياً الصحة ومرضه قتال فلاينبغي لكم ان تساعدوا من آتاكم ممن هذه صفته البتة)[3].

ومن وصايا الزهراوي الطبية للاطباء جاء "وقد نبهت في كل مكان يأتي من هذا الكتاب على العمل الذي فيه الضرر والخوف ينبغي لكم ان تحذروه وترفضوه لئلا يجد الجاهل السبيل الى القول والطعن فخذوا لانفسكم بالحزم والحياطة و لمرضاكم بالرفق والتثبيت واستعملوا الطريق الافضل المؤدي الى السلامة والعافية المحمودة".

وتنكبوا الامراض الخطيرة العسيرة البرء ونزهوا انفسكم عما تخافون ان يدخل الشبه في دينكم ودنياكم فهو ابقي لجاهكم وارفع في الدنيا والاخرة لاقداركم[4].

يعد الزهراوي مفخرة العرب والاسلام ومعجزة القرون الوسطى في تاريخ طب الجراحة وعبقري اطباء الاندلس بخبرته واخلاقه.

مؤلفات الزهراوي الطبية :

1. (كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف):

موسوعة في الطب والجراحة والصيدلة والاغذية وحفظ الصحة وفي الزينة والتجميل ومعرفة الادوات الجراحية وبيان الاوزان والمكاييل الطبية يشتمل على ثلاثين مقالة، مخطوط متوفر في اغلب المكتبات العربية والعالمية تم تحقيقه من Joohannes Channing/ Oxonioii 1778, 2. Vois. واعيد نشره من Hamarneh.S.K.H. Sonnedecker, Leiden 1969.

كتاب في الطب لاعمال الجراحة.

مخطوط مكتبة برلين 6254 (ربما هو فصل من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف) بالجراحة نسخة منه في مكتبة احمد الثالث/ اسطنبول 199 – 652 نسخة منه في جامعة حلب برقم 902 (في الطب لعمل الجراحة)

1. رسالة في العقاقير المفردة.
2. مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم 1017 طب.
3. نسخة منه في مكتبة المتحف البريطاني برقم 985.

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) المصدر السابق نفسه.

4. ابن الكتاني: ابو عبد الله محمد بن الحسين الكتاني القرطبي، ولد في قرطبة عام 340هـ/ 951م وتوفي في سرقسطة Zaragoza عام 420هـ/ 1029م.

ومن اعلام قرطبة في الطب وله مؤلفات هي:

1. كتاب التفهم/ مخطوط المكتبة الوطنية في باريس برقم 1/ 4764 وكتب عنه مقالة بالاسبانية من المستشرقة ماريكو كونثينيون بانكث M. Concepcin Vazquez في مجلة الاندلس Andolous الاسبانية، العدد 12، مدريد - غرناطة 1976، الصفحات 467-475.

وقال عنه ابن جلجل كان محبوباً من العامة والخاصة، لسخائه بعلمه ومواساته بنفسه، ولم يكن يرغب في المال ولا في جمعه، وكان لطيفاً في علاج المرضى، حسن الولوج، عالماً تحريراً.

5. كتاب وقايات الامراض الخطيرة.

مخطوط مكتبة Army Medical Library, Cleveland Ohio, A91-9.

6. (كتاب الشجرة) مفقود حالياً.

ابن رشد القرطبي/ ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد القرطبي ويعرف باللاتينية Averroes، ولد في قرطبة عام 520هـ/ 1126م وتوفي بمراكش عام 595هـ/ 1198م.

برع ابن رشد القرطبي في علم الفلسفة وكان رائدها في العصور الوسطى وهو شارح نظريات اليونان منهم ارسطو طاليس، وله نصيب في علم الاخلاق[1]

اصبح ابن رشد القرطبي الطبيب الخاص للخليفة ابو يعقوب يوسف الموحدي في اشبيلية عام 578هـ/ 1182م، ترك ابن رشد مؤلفات عديدة، قال عنها ابي اصيبعة في (كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء) انها خمسون كتاباً وذكرها رينان 78 كتاباً وقد احرق من مؤلفاته جراء الحقد والغيرة والحسد[2] واكثر مايميز ابن رشد شروحه لارسطو وللطبيب جالينوس تلخيصات طبية هي:

1. تلخيص كتاب الطبيعة.
2. تلخيص كتاب العلل والاعراض.
3. تلخيص كتاب الحميات.
4. تلخيص المقالات الخمس الاولى من كتاب الادوية المفردة.
5. تلخيص كتاب المزاج.
6. تلخيص كتاب الاسطقسات.
7. تلخيص كتاب الترف.

---

(1) انظر المقالات عن ابن رشد القرطبي وهي (الله والعالم في نظر ابن رشد)، فؤاد نجم، ص129- 139، (ابن رشد واصول العالم الاوربي الحديث) البروفسور الاسباني ميكيل كروث هرتانديث ترجمة عبد الله العمراني)، ص141- 146، (افكار ابن رشد في فلسفة الحقوق والقانون) ص147.

نشرت في فلاسفة الاسلام في الغرب العربي (تطوان 1961م) جمعية نبراس الفكر.

(2) سعيد زيدان/ ابن رشد وكتابه تهافت التهافت مقالة في مجلة المورد/ المجلد 9 العدد الاول بغداد 1400هـ/ 1980م الصفحات 103- 110.

8. تلخيص كتاب البرص

مؤلفات ابن رشد الطبية هي:

1. **كتاب الكليات في الطب**: له نسخ مخطوطة عديدة في مكتبات العالم منها الجنرال فرانكو (مدريد 1939م) وتم تحقيقه وترجمته للاسبانية من المستشرقة الاسبانية كارمن بنيه مونيرث Carmen Pena Munoz (غرناطة 1980م) وطبع بالمغرب عام 1939م وهو تحفة بالطب العربي الاندلسي ويمثل قمة ازدهار الطب في الحضارة العربية والعالمية.
2. كتاب فصل المقال:

تحقيق ونشر Gerorge F. Hourani (ليدن 1959 Leiden)

3. (كتاب شرح ارجوزة ابن سينا في الطب) او في الغية ابن سينا، تم نشره باللاتينية والعربية والاسبانية.
4. (مقالة في الترياق) مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد برقم ،/ 3/ 863 6/ 884.
5. (مسئلة توائب الحمة) مخطوط مكتبة دير الاسكوريال برقم 5/ 884.
6. (مقالة في حميات العفن)/ ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء.
7. (شفاء السقام ومدى الالام) مخطوط المكتبة التيمورية رقم 109 طب الطبيب ابن حبيب القرطبي/ ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلام الاليبري القرطبي المؤرخ والجغرافي والطبيب البارع وله من المؤلفات في افتتاح الاندلس ساهم بجدارة في الحضارة العربية الاسلامية بالاندلس وتوفي بقرطبة عام 238ه/ 852م وله مؤلف طبي بعنوان (مختصر في الطب) مخطوط الخزانة العامة بالرباط برقم 2640- c1442 عمل على تحقيقه الاسباب وهم: خيرون والبارودي مورالس F. Giron/ c. Avero de Marales تحت عنوان: الطب العربي الاسباني في القرن التاسع الميلادي.

الطبيب: أبو جناح القرطبي/ أبو الوليد مروان بن جناح/ ولد في مدينة اللسانة Lucena بضواحي قرطبة بين الأعوام 375- 380هـ/ 985- 990م وتوفي في سرقسطة Zaragoza حوالي عام 432ه/ 1040م. ومؤلفاته الطبية:-

1. (كتاب التلخيص في الادوية المفردة) تم دراسته وتحقيقه من يوسف دير نبوزع J. Derenbourg (باريس 1880م)
2. (كتاب تحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الاوزان والمكاييل) مفقودة ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء في طبقات الاطباء) ص498.

الطبيب ابن ميمون القرطبي/ ابو عمران بن ميمون بن عبد الله القرطبي، ويعرف بالعربية موسى بن ميمون وبالاسبانية Mamonide، ولد بقرطبة عام 530ه/ 1135م توفي عام 601ه/ 1204م.

اخترق ابن ميمون بخبرته الطب واصبح (اواحد زمانه في صناعة الطب وفي اعمالها)[1] وقد وصل صيته الطبي الى القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني الذي كان وزيراً عند صلاح الدين يوسف بن ايوب الايوبي فقرر لموسى راتباً الى ان اصبح طبيباً لدى الآسرة الايوبية وللقائد صلاح الدين الايوبي[2].

---

(1) اسرائيل ولفنسون/ موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1355- 1936م ص20- 21.

(2) المرجع السابق، ص143.

بلغت المصنفات الطبية للعالم الطبيب القرطبي ابن ميمون عشرة كتب بين مقالة ورسالة، دونت جميعها بالعربية بمصر في ازمنة متفرقة ونقل اغلبها الى اللاتينية والعبرية.[1] واهم مؤلفاته الطبية منها (فصول القرطبي) وهي اكبر رسائله الطبية حجماً وشهرة، وتشمل على 1500 قانون استخلصت من مصنفات جالينوس وغيره من اطباء الاغريق وعليها 42 تعليقاً ونقداً وتحليلاً، والكتاب يقع في 25 فصلاً يبحث في: التشريع ووضائف المخلوقات الحية، والامراض الباطنية، وعلامات الداء وتشخيصه، واسبابه وعلاجه، ويبحث في الحميات، ويوضح طريق تمرين الطبيب على معالجتها، ويبين المسهلات والمقيآت، ويتعرض لامراض النساء وتدبير الصحة والرياضة والاستحمام والصيدلة، كما يناقش في النهاية جالينوس فيما ورد عنه من التناقض في ارائه مناقشة دقيقة.

تحدث القفطي عن ابن ميمون ومؤلفاته الطبية بقوله (وصنف موسى مختصراً الواحد وعشرين كتاباً من كتب جالينوس برزيادة حجمه على ستة عشر، فجاء في غاية الاختصار وعدم الفائدة لم يفعل فيه شيئاً)[2].

المؤلفات الطبية لابن ميمون:

1. كتاب الفصول في الطب او فصول القرطبي الذي اوضحناه اعلاه:
مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد برقم 868، 869
مخطوط المكتبة الوطنية في باريس برقم Hebreu 1210
وله نسخ عديدة كمصورة في العالم، وكتبت عنه دراسات غزيرة نظراً لاهميته.

2. رسالة في البواسير او الرسالة الطبية في البواسير
مخطوط في Army Medical, Cleveland, Ohio برقم 1 -90 A وكتب عنه دراسات عديدة بمختلف اللغات.

3. كتاب تدبير الصحة:
مخطوط في: Biblloheque de Universite, Strasburg, n. 4223 وله نسخ مصورة عديدة في مكتبات العالم وعليه دراسات مفيدة بمختلف اللغات.

4. (مقالة في بيان الاعراض).

5. مخطوط المكتبة الوطنية في باريس برقم العبرية 1211.
Herman Kroner 1928 وقام بدراسته وتحقيقه:
Bar- Sela, Hebbel. E. Hoff and Ellas Faris, 1964.
شرح فصول ابقراط Hipocrates
مخطوط المكتبة الوطنية في باريس برقم العبرية 1204.59 -1 .Fo91 -
تحقيق ودراسة .Morits Steninchnieder en ZDMC, 48- 1894 PP- 218-234

6. المقالة في الفاضلة او الرسالة الفاضلية في علاج السموم وذكر الادوية النافعة منها النفوس، او كتاب السموم والمتحرز من الادوية القتالة.
مخطوط مكتبة غوطا Cotha في المانيا برقم 1985

---

(1) القفطي/ جمال الدين/ تاريخ الحكماء واخبار العلماء بأخبار الحكماء/ طبع ليبسيك 1904م.

(2) عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص489.

مخطوط المكتبة الوطنية في باريس برقم العبرية 155 -123 .Fol -1211- عليه دراسات عديدة باللغات الاجنبية

7. مقالة في الجماع
مخطوط في المكتبة الوطنية في باريس برقم العبرية 1211
تحقيق ودراسة Oberdorf Bopfingen, Hermann Kroner
8. شرح اسماء العقار 1966
مخطوط المكتبة ايا صوفيا اسطنبول Aya- Sofya
تحقيق ودراسة بالفرنسية (Max Meyerhof (Caira 1940
9. مقالة في الربو
مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد برقم 9 -DCI
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس برقم العبرية 1211
وله دراسات عديدة باللغات الاجنبية.
10. (المختصرات) أو (مختصر كتب جالينوس)
مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد برقم 802
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس برقم العبرية 1211
مخطوط برلين Konlglichen برقم 6231
11. (كتاب قوانين الجزء العلمي من صناعة الطب)
مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد برقم 95240 -
تحقيق ودراسة امادور دياث (بالاسبانية) Amador Diaz
12. (كتاب الاسباب والعلاقات)
تحقيق ودراسة (R- Levy C- Singer (Oxford 1955
13. (تلخيص كتاب حلة البراء لجالينوس)
مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد برقم 4802 -
14. (رسالة في الملسوعين)
مخطوط مكتبة نور عثمانية - اسطنبول برقم 3590/ 4
15. (كتاب في الطب) صنفه السلطان صلاح الدين الايوبي
مخطوط مكتبة الاحمدية برقم 5434/ 2.

صنف ابن ميمون مقالة بالسموم والتحرز من الادوية القتالة عرفت بالمقالة الفاصلية الى القاضي البيساني في وضع رسالة عن السموم وكيفية معالجة عض الحيوانات ولدغات الحشرات السامة. ويصف العقاقير والادوية التي يعالج بها المصاب بالعض او اللسع، والباب الثاني عن السموم المختلفة وهو يعتمد في كثير منها على الطبيب ابن زهر الاشبيلي الاندلسي.

الطبيب ابن عبد ربة القرطبي:

ابو عثمان سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربة، ابن اخي ابن عبد حاجي ربه الشاعر، كان يعرف في الاندلس في حدود سنة 300هـ/ 912م بأنه من المحبين في الطب توفي بقرطبة عام 342- 343هـ/ 953- 954م، وقد

ذكره ابن ابي اصيبعة[1] بأنه سعيد بن عبد ربه ابن اخي صاحب كتاب العقد، ولد عام 286ه/ 899م، وكان طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً وله في الطب رجز جليل وكان له مذهبه في مداوات الحميات، ومن مؤلفاته الطبية هي:

1. (كتاب الاقرباذين. او كتاب الدكان)

مخطوط المكتبة الظاهرية- دمشق رقم 3159، ونسخته مصورة منه بمكتبة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب برقم 6/ 316.

2. (ارجوزة في الطب)

تحقيق ودراسة وترجمة للاسبانية: كارمن بنيه Carmen Pena

دراسة جديدة للمستشرقة الالمانية روسا كوني في مجلة القنطرة الاسبانية مدريد 1980 الصفحات 279-338.

3. (تعليق وبحريات في الطب) مفقود ذكره ابن ابي اصيبعة[2]

الطبيب عريب بن سعيد القرطبي كاتب الخليفة عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم المستنصر بالله، ولد بقرطبة عام 306ه/ 918، وتوفي سنة 370ه/ 980م، ظهر عريب بن سعيد في عصر كثرت فيه دراسات العلوم المختلفة الاسلامية والمترجمة من اللغات الاجنبية كاليونانية ومن جملة هذه العلوم الطب الذي كان عريب ضليعاً فيه منهمراً اشاد ابن عبد الملك الاوسي المراكشي بالطبيب عريب بن سعيد كونه طبيباً ماهراً شديد العناية بكتب الاطباء الاقدمين والمحدثين، ومن مؤلفاته الطبية هي:

1. (كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان)

تحقيق وترجمة المستشرق دوزي R.Dozy, Liden 1873

تحقيق وترجمة للفرنسية CH. Pellat, leiden 1961

2. (كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين)

نشر وتحقيق: نور الدين عبد القادر والحكيم هنري جاهية/ منشورات كلية الطب والصيدلة بالجزائر (مكتبة فراريس 1375ه/ 1956م)

يمثل (كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين) قمة التطور الطبي وهو اعظم عمل قدم للحضارة الانسانية بمعلوماته ونظرياته وتوجيهاته وابداعاته: وهو مفخرة للعرب المسلمين ومعجزة بالتأليف الطبي في طب النساء، واحتوى الكتاب على خمسة عشر باباً هي:

1. في الزرع الذي هو علة الحيوان واول خلق الانسان، وكيف يولد، ومن اين يتدفق والاسباب التي منها يكثر واصلاح مادته والزيادة في كميته وعلة الاحتلام وما يوجبه.
2. في القضيب وهيئته ومزاجه والاسباب الموجبة للانعاظ وما يزكي الشهوة ويعين القوة ويزيد في الباه.
3. في الارحام وهيئاتها ومواضعها والعلل الموجبة لامتناع الحمل وامتحان المرأة هل تحمل ام لا؟ ومداواة الارحام وتعديل الحيض والعون على الحمل.

---

(1) المصدر السابق/ ص489.

(2) المصدر السابق/ ص493.

4. في اسباب كون النطف من جماع واحد، وذكر التأني لولادة الذكور بأذن الله عزوجل وماستعمل لذلك من صنوف العلاجات والجبل.
5. في امتزاج زرع الوالدين ودلائل العلوق وتخليق الجنين واول شيء يتكون من الاعضاء ومتى يستبين الذكر من الانثى وعلة كون الولد الضعيف من الولد الجسيم وسبب زيادة الاعضاء ونقصانها وقول العرب في ذلك.
6. في قدر الحمل وحدوده وعدد شهوره وايامه والمولودين لسبعة اشهر وثمانية ولما فوق ذلك وكلام الاوائل من الاطباء واهل التنجيم فيمن يتخلق منهم او يموت على الامر الاعم وفيه حكايات غريبة عجيبة.
7. في تدبير الحبالى وحفظ قواهن ومداواة مايعرض لهن من اول الحمل الى وقت الوضع والقول في الاسقاط واسبابه وتلافي اعراضه والاحتراس مما يحدثه.
8. في دلائل الوضع وتسهيل الولادة واحكام قبول الجنين وتدبير النفساء واستخراج المشيمة والفاظ العرب في الوضع وصنوفه.
9. في تكوين اللبن وارضاع المولود واختبار الظئر وحفظ صحتها والتدبير الموافق لها وماكانت تختاره العرب في الرضاع.
10. في اسنان المولودين وتنقلهم فيها وفي جميع مراتبها ودرجاتها وما وحدته الاوائل من الاطباء واهل التنجيم منها وماقالته العرب فيها
11. في تدبير الطفل من اول حدوده ولادة ومايعالج به من الامراض العارضة له.
12. في تدبير الاطفال في الحد الثاني من اسنانهم وذلك من بعد الاربعين يوماً الى وقت نبات الاضراس ومايحملون عليه من التدبير والعلاج عند امراضهم المخصوصة في هذا السن.
13. في تدبير الصبي من بعد نبات اضراسه الى وقت اثغاره وهو الجزء الثالث من سنة وابتداء كلامه ومشيه وفطامه وذكر مايخصه في هذا الحد من الامراض ومايراد به من العلاج.
14. في تدبير الصبيان من بعد اثغارهم الى وقت اشعارهم وقرب احتلامهم وحدود حسهم ومايعرض لهم في هذا السن من العلل وما يحملون عليه من العلاج.
15. في احتلام الغلمان وحيض الجواري ومواقيت البلاغ واختلاف الحادث عند ذلك في الحركات والصور والعاهات والخروج بهذا الحد عن كثير من العلل التي تخص الصبيان وتصحبهم الى الاحتلام وتحديد اهل الطب واهل التنجيم لسن الانسان من اول امره الى اخر عمره وبهذا انتهت ابواب كتاب تدبير الحبالى.

3. (كتاب عيون الادوية) مفقود الطبيب القرطبي ابن سيمون

ولد في مدينة قرطبة بعد عام 392هـ/ 1001. ومن مؤلفاته الطبية هي:

1. كتاب جامع الادوية المفردة او جامع لاقوال القدماء والمحدثين من الاطباء والمتفلسفين في الادوية المفردة
مخطوط مكتبة احمد الثالث اسطنبول برقم 2121 وله نسخ اخرى في مكتبات العالم
مخطوط المتحف البريطاني في لندن برقم 11614
مخطوط بودليان اكسفورد برقم 47148
مخطوط مكتبة النحاس في حلب برقم 2790
مخطوط المكتبة القبطية في القاهرة برقم 253
2. (اقرباذين) مفقود حالياً

الطبيب القرطبي ابن الهيثم

عبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم، ولد وتوفي في قرطبة بالقرن الرابع الهجري، ومن مؤلفاته الطبية هي:

1. (كتاب الاقتصاد والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد) مفقود حالياً، ذكره ابن ابي اصيبعة[1]
2. (كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الاشياء) مفقود حالياً، ذكره ابن ابي اصيبعة[2]
3. (كتاب الكمال والتمام في الادوية المسهلة والمقيئة) مفقود حالياً، ذكره ابن ابي اصيبعة[3]
4. (كتاب السمائم) مفقود حالياً، ذكره ابن ابي اصيبعة[4]

الطبيب القرطبي يحيى بن اسحق:

ولد بقرطبة وعاش في عصر الخلافة وصفه ابن جلجل بأنه (كان طبيباً نبيلاً عالماً حاذقاً بيده وكان في صدر دولة الناصر واستوزره وولي الولايات والعمالات وكان له من امير المؤمنين الناصر محل كبير، ينير له منزلة الثقة، ويتطلع على الكرايم والحرايم)[5] ومن مؤلفاته هي:

1. (كنائس في الطب) يقع في خمسة اسفار، الفه على مذهب الروم يسمى الابريشم، وهو نادر محفوظ في علاج الناصر[6]

جدول بمشاهير الاطباء بمدن الاندلس ومؤلفاتهم الطبية

الاطباء الاندلسيين	المؤلفات الطبية
1. ابو جعفر احمد بن حسان الغرناطي ولد في غرناطة وتوفي بفاس، وخدم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور	1. (تدبير الصحة)
2. ابن الخطيب الغرناطي/ محمد بن عبد الله السلماني ولد في لوشة Loja عام 713ه/ 1313م وتوفي في فاس Fez عام 776ه/ 1374م	1. (كتاب عمل من طب لمن حب) الفه السلطان ابي سالم بن ابي الحسن المريني (حكم المغرب للاعوام 760-762ه/ 1359-1361م) وقد فرغ من تأليفه وهو مقيم في فاس عام 761ه/ 1360م الكتاب في قسمين في تعديد الامراض في الامراض التي تعم البدن والامراض التي لاتخص عضواً دون عضو.

(1) المصدر السابق/ ص493.

(2) المصدر السابق/ ص493.

(3) المصدر السابق/ ص493، تحدث الضبي، بغية الملتمس، عن ابن الهيثم وقال فيهن المشهورين بعلم الطب والتقدم فيه، وله كتاب في الخواص والسموم والعقاقير، وهو من اجل الكتب.

(4) طبقات الاطباء الحكماء/ ص100 ترجمة رقم 43.

(5) القفطي/ كتاب اخبار الحكماء/ ص235.

(6) ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة في اخبار غرناطة/ تحقيق محمد عبد الله عنان، طبعة (القاهرة) ج3/ 79.

(7) ذكره: النويري الاسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد توفي بعد 775ه/ 1372م/ كتاب الالمام باعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية، تحقيق: د. عزيز سوريال (الهند- الدكن 1968م) ج1/ 53.

	2. (المنظومة في الطب). 3. (كتاب مقنعة السائل عن المرض الهائل) الصفة عند ظهور مرض الطاعون – كما ذكرناه- وابدع في انجازه. 4. (كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول) تم تحقيقه وترجمته للاسبانية من ماريا كارمن باثكث دي بنيتو. 5. (مقالة على تكوين الاجنة) 6. (تعيين غاية تكوين الاجنة) 7. (كتاب المعلوم) 8. (ارجوزة اورجز في الطب)
3. ابن خلصون/ ابي عبد الله محمد بن يوسف بن خلصون، ولد بغرناطة وعاش في عهد السلطان النصري ابي عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالفقيه الذي حكم غرناطة للاعوام 671- 701هـ/ 1272- 1302م	1. (كتاب الاغذية وحفظ الصحة)، اخره (هذا القدر كافي في الاغذية المشهورة عندنا بالاندلس الكتاب مرتب على خمس مقالات هي (مدخل للعلم الطبيعي، حفظ اعضاء البدن، حفظ الصحة على الاطلاق تدبير فصول السنة، ضروب الادوية وذكر قواها)) 1. (رماية العرض وحماية الجوهر عن العرض) 1. (الزبيج المستوفي) 2. (كتاب الحيوان والخواص) 3. (تأليف في الطب) مخطوط الخزانة العامة بالرباط برقم 2667

(1) ابن ابي اصيبعة/ (عيون الانباء في طبقات الاطباء) ص521.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق، ص538.

(5) Miguel Asin Palacious/ Glosario de Voces Romances, Madrid- Granada 1943.

(6) العامري/ أ. د محمد بشير حسن راضي/ (الزيتون بالاندلس وفوائده الطبية) بحث نشر في ندوة الزيتون اقامها مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد بتاريخ 27/ 6/ 2001م بعنوان شجرة الزيتون واهميتها في الطب (ويعكف الباحث أ. د العامري على اعداد بحث عن الزعفران ومنافعه الطبية في التراث الاندلسي)

4. ابن السمح الغرناطي/ اصبغ بن محمد الغرناطي المهندس توفي عام 426ه/ 1035.	1. (كتاب الاستقصاء والابرام في علاج الجراحات والاورام) دراسة وتحقيق وترجمة الاسبانية ايلوسية يابيرو رويث Eloisa Llavero Ruiz (Granada 1988)
5. ابن الرقام/ محمد بن ابراهيم بن علي بن الرقام الاوسي، سكن غرناطة واصله من مرسية، توفي 710- 715ه/ 1310-1315م.	1. (تحفة المتوسل وراحة المتأمل) يتضمن ثلاثة اجزاء: في المعدة، في المرض الاسهال وانفتاح افواه العروق في تدبير الشيوخ/ مخطوط الخزانة الحسينية (القصر الملكي بالرباط) 2337
6. الشفرة/ محمد بن علي بن فرج الفهري القربلياني المعروف بالشفرة، ولد في غرناطة وتوفي عام 761ه/ 1322م	1. (كتاب البديع في الاغذية)[1]
7. الطبيب الشقوري: ابي عبد الله محمد بن الحسن بن ابي الحسن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري/ ولد في غرناطة عام 727ه/ 1326[7]	1. (كتاب الاقتصاد في اصلاح النفوس والاجساد) دراسة وتحقيق وترجمة الاسبانية روساكوني براهنت R. Kuhne Brahant (مدريد 1971م) 2. (كتاب الاغذية والادوية) صنفه لابي محمد عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين تم دراسته وتحقيقه مرات عديدة باللغات الاجنبية. وله نسخ مخطوطة في مدريد والرباط وتركيا.
8. الطبيب الغرناطي ابو عامر بن عبد العزيز	3. (كتاب التيسير في المداواة والتدبير) تم دراسته وتحقيقه مرات عديدة باللغات المختلفة.
من اطباء اشبيلية sevilla: 1. الطبيب ابو مروان عبد الملك بن زهر (ابو المعالي عبد الملك بن ابي العلاء، ابن زهر المتطيب) ولد في اشبيلية عام 484ه و 487ه/ توفي عام 557ه/ 1161م	4. (كتاب الجامع في الاشربة والمعاجين) دراسة وتحقيق وترجمة للاسبانية من خيرون ارسيتو كلية الطب بجامعة غرناطة 1976م F. Giron Lrueste. 5. (كتاب الزينة) مفقود حالياً[2]. 6. (مقالة في علل الكلية) مفقود حالياً[3]. 7. (رسالة في البرص) مفقودة حالياً[4]. 8. (كتاب القانون المقتضب) محفوظ بالمكتبة العبدلية تونس برقم 11/ 2867 محفوظ خزانة الحسينية (القصر الملكي بالرباط) برقم 1538.

	9. (كتاب التذكرة) مفقود حالياً[5] 10. (كتاب مختصر حيلة البرء لجالينوس) محفوظ المكتبة العبدلية (تونس) برقم 11/ 2867 11. (رسالة تفضيل العسل على السكر) محفوظ العبدلية برقم 286713 والخزانة الحسينية برقم 1538. 12. (التذكرة في الادوية المسهل) محفوظ المكتبة العبدلية برقم 13/ 2867.
2. الطبيب ابو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الايادي، المتوفي عام 525هـ/ 1130 خدم الامير المعتمد بن عباد ثم يوسف بن تاشفين وابنه علياً.	1. (كتاب الخواص) او (مجربات الخواص) 2. (كتاب الادوية المفردة) مفقودة حالياً 3. (كتاب الايضاح بشواهد الافتضاح) مفقودة حالياً 4. (كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس) مفقودة حالياً 5. (مقالة في الرد على ابي علي بن سينا في مواضيع من كتابه) مفقودة حالياً 6. (مقالة في تبسيط لرسالة يعقوب بن اسحق الكندي في تركيب الادوية) مفقودة حالياً. 7. (كتاب مسهلات بالاعتبار الفصول) محفوظ المكتبة العبدلية برقم 5/ 2768 8. (كتاب نخب التايه) محفوظ المكتبة العبدلية برقم 3/ 2768 9. (كتاب التبيين بقطع الشك باليقين) محفوظ المكتبة العبدلية برقم 1/ 2768 10. (التذكرة او كتاب النكت الطبية) 11. (جامع اسرار في الطب) 12. (الوصية) مفقودة حالياً 13. (كتاب النجح) 14. (مجريات ابي العلاء بن زهر الايادي) رسالة في وصف الادوية المجربة في علاج امراض كأورام الثديين والحصبة والجدري والحميات.

3. الطبيب ابو بكر محمد بن ابي مروان عبد الملك بن زهر الملقب ب (الحفيد)، ولد باشبيلية عام 507ه/ 1113م وتوفي بمراكش عام 596ه/ 1199م. وخدم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بالطب بمراكش.	1. (رسالة في طب العيون) 2. (كتاب الاقضية) محفوظ جامعة ليدن برقم 2539. 1. (كتاب عمدة الطب في معرفة النبات لكل لباب) محفوظ الاكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد برقم XL.
4. الطبيب محمد بن احمد بن عبدون النخعي التجيبي، ولد في اشبيلية.	1. (كتاب تفسير الادوية المفردة من كتاب ديوسقريدس) 2. (مقالة في تركيب الادوية) مفقودة[6] 3. (الرحلة) مفقود ذكره ابن البيطار
5. النباتي ابو العباس احمد بن مفرج بن ابي الخليل الاموي المعروف بأبن الرومية، ولد باشبيلية عام 562/ 568ه وتوفي عام 637ه/ 1239م، ومؤلفاته هي:-	1. (نهاية الافكار ونزهة الابصار) كتبه عام 624ه/ 1227م حققه د. حازم البكري ود. مصطفى شريف الكحال دار الحرية للطباعة (بغداد 1979م)
6. الطبيب الحريري الاشبيلي/ عبد الله بن قاسم الحريري الاشبيلي ت637ه/ 1239	

من اطباء مالقة Malaga:

ابن البيطار/ ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن احمد المعروف بابن البيطار، ولد بمالقة عام 594ه/ 1197م وتوفي بدمشق عام 646ه/ 1248م، يعد ابن البيطار علامة زمانه في معرفة النبات، سافر الى بلاد كثيرة باحثاً عن النبات، حيث كان يبحث ويحقق في ماهيه النبات وفوائده الطبية لخدمة الانسانية، واجتمع في ايطاليا واليونان بعلماء الافرنج وجادلهم في النباتات والاعشاب، فأعجبوا به واندهشوا لخبراته العلمية الواسعة.

دخل ابن البيطار في خدمة الملك الايوبي الكامل محمد بن ابي ابن ايوب بالقاهرة فوثق به واعتمد عليه في المسائل الطبية والادوية وجعله مشرفاً ورئيساً على سائر العشابين، ثم استصحبه الملك الكامل في رحلته الى الديار الشامية والتقى بابن اصيبعة صاحب كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء، ومن مؤلفاته:

1. تفسير كتاب ديوسقوريدس.
2. كتاب المغنى في الادوية المفردة.
3. كتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية وصنف فيه 1400 دواء.
4. كتاب الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والاوهام انتقد فيه منهاج البيان لابن جزلة.
5. جامع المنافع البدنية.

6. الجامع في الادوية المفردة.
7. اسماء جمادات والنباتات
8. مقالة في الليمون.
9. رسالة في الاغذية والادوية.
10. رسالة في تداوي السموم.
11. ميزان الطب او ميزان الطبيب
12. المنافع البدنية في علم الطب

انجبت كل مدن الاندلس عدداً كبيراً من الاطباء والصيادلة الذين قدموا للانسانية ابداعاتهم وانجازاتهم بتأليف الكتب الطبية وانقاذ المجتمع من الامراض والاوبئة وساهموا في تصنيع الادوية من النباتات والاعشاب الطبية وتوصلوا الى معرفة اماكنها وفوائدها واستعمالاتها الطبية مع تحذيرات وتوصيات مفيدة عنها.

اهتم علماء الاندلس بالطب وصنفوا العديد من الكتب بالطب والاعشاب وفي مكتبات اسبانيا والمغرب العديد من الوثائق المخطوطة والرسائل الطبية ذات المنافع الطبية ومعرفة اماكن النباتات والاعشاب الطبية، ننقل من ذلك التراث الطبي العربي الاندلسي عن معرفة النباتات واهميتها الطبية في الاندلس لمؤلف اندلسي مجهول ذات قيمة علمية ومنفعة في علم الصيدلة استفاد منه المستشرق الاسباني ميكيل اسين بلاثيوس وهو من التراث العربي الاسلامي بالاندلس في عرض نصوصه العربية وترجمته للاسبانية مع تعليقات وشروحات من المصادر الاولية والمراجع الحديثة، اما نصوصه العربية في طب الاعشاب هي:

الورقة أ- 153 لسان الحمل ومنه نوع ضار ويسمى هذا النوع بالعجمية فأنه بتخفيف النون معناه شبيبة شبهت بالشعر الابيض من لونها ورقتها الورقة أ 79 حلة من جنس الشوك.. ويسمى بالثغر الاعلى قنجولة الورقة ب 16 البابين ومنه نوع اخر يعرف بالقند لبروله الى السراجية وسراجها حسن ايضاً.

الورقة أ- 201 قصاص بفتح القاف واحدها قصة. وهو نبات يشبه القطن في بياضه وهو حشيش لين تحشا به المخاد وهو كثير بجبال نجد وهكذا النبات هو الذي يدعا عندنا بالقنالة بتخفيف النون ومعناه شبيه سميت بذلك لبياضها وهو عندنا كثير من انواع الفضية وخاصة الحام الجراحات الطرية إذا تضمد به مدقوقاً، الورقة ب 157 لجيد واله معناه رميح صغير ويسمى ايضاً الحربة وقيل انها سميت لنجيد والة لانها تنفخ من الشوصة وذات الجنب فأن المعجم تكنى عن الوجع في الجنب فعرفت بذلك.

الورقة أ 170 نبياله وهذا النبات هو موجود بناحية سرقسطة وبالثغر الاعلى وبه كان رؤساء ذلك البلد يسموا سهامهم ورماحهم، وهو الطورة. نختتم البحث بالنصوص التي اوردناها ومنها الكثير ماتم تصنيفه عن الطب والصيدلة وما وصل اليه علماء الاندلس من الخبرة والدراية ومواصلة التجارب والتحقيقات تؤكد على مدى اسهامات اطباء الاندلس في كافة الاختصاصات الطبية بفخر واخلاص ورحمة وايمان بالله تعالى ووصايا الاسلام بخدمة الانسانية وانقاذها من الدمار والهلاك وان يسود المجتمع العدل والمساواة والصحة، واستفاد اطباء الاندلس من كل الاثمار كالزيتون والزعفران وغيرها في معالجة الكثير من الامراض.

دور المسجد الجامع بقرطبة في إعداد الطبقات العلمية بالأندلس

أ. م. د. محمد بشير حسن راضي

كانت قرطبة تمثل مركز الحكم الإسلامي في الأندلس حيث اتخذها الولاة والأمراء والخلفاء قاعدة لهم حيث تطورت وانتعشت بمرور الزمن حتى أصبحت تنافس كلاً من دمشق وبغداد والقاهرة وغيرها من الولايات الإسلامية.

تحدثت المصادر الأندلسية عن قرطبة ووصفتها ومجدتها بأحسن الكلام وأجمل العبارات فذكرها المؤرخ الأندلسي الرازي وقال (قرطبة قاعدة الأندلس وام المدائن وقرار الخلافة ودار الملك)"[1].

كما وصفها الجغرافي الأندلسي الأدريسي بعبارات جميلة المعاني وعميقة المفاهيم حيث قال (مدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس وام مدائنها ودار الخلافة الإسلامية وفضائل أهل قرطبة أشهر من ان تذكر ومناقبها أظهر من ان تستر واليهم الانتهاء في السناء والبهاء بل هم اهلام البلاد وأعيان العباد ذكروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي في الملابس والمراكب وعلو الهمة في المجالس والمراتب وجميل التخصيص في المطاعم والمشارب مع جميل الخلائق وحميد الطرائق ولم تخل قرطبة قط من اعلام العلماء وسادات الفضلاء وتجارها مياسير لهم أموال كثيرة وأحوال واسعة ولهم مراكب سنية وهمم عالية)"[2].

وذكر المؤرخ عبد الواحد المراكشي دواعي اختيار قرطبة عاصمة للأندلس بقوله (ولما افتتحها المسلمون تخيروا قرطبة دار ملكهم ومقر تدبيرهم وموضع حلهم وعقدهم ولم تزل قرطبة على ذلك الى أن انتشرت الفتنة)"[3].

أصبحت قرطبة عند اتخاذها قاعدة للأندلس موطناً للعلماء ومركزاً للتأليف والمجالس العلمية والأدبية واختصت بالثقافة وبناء المجامع العلمية والمدارس والجامعات والمعاهد حتى ذكر العالم الأندلسي ابن رشد القرطبي (إذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها)"[4].

وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى أشبيلية وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً"[5].

اهتمت قرطبة بحركة تأليف امهات الكتب والمصادر في مختلف العلوم والفنون بفضل العلماء والادباء الذين اتخذوها مقراً لهم، كما أسهمت في حركة التأليف والاستنساخ لأمهات الكتب النادرة ويبدو أن هناك مدارس للخط الكوفي وغيره اختصت بها بعض الأحياء والدور القرطبية في ازدهار الحركة العلمية كما حكى لنا المؤرخ القرطبي (ابن

---

(1) نقلاً عن ابي غالب الأندلسي، فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس (نشر بعنوان نص اندلسي جديد قطعة من كتاب..) تحقيق: د. لطفي عبد البديع مطبعة مصر 1956، ص 26.

(2) الشريف الأدريسي، (ت، 560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر عالم الكتب (بيروت 1409هـ/ 1989م) ج2، ص 574، وانظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار (نشر بعنوان: صفة جزيرة الأندلس من...) تحقيق: ليفي بروفنسال، (القاهرة 1937)، ص 153، نقلاً عن الشريف الأدريسي.

(3) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تقديم د. ممدوح حقي، نشر: دار الكتب- (الدار البيضاء.ح، ث)، ص 514. نقلاً عن الخشني.

(4) ابن حارث بن اسد القيرواني، قضاة قرطبة، (نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966)، ص 35.

(5) نقلاً عن المصدر السابق، ص 36.

فياض في تأريخه في اخبار قرطبة حيث قال: "كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها)"(1).

ازدهرت قرطبة حضارياً بفضل اهتمام العلماء والأمراء والخلفاء الأمويين في الأندلس وأسهموا في تطويرها وأعمارها وتنويرها فيذكر المراكشي:

(وسمعت بيلاد الأندلس من غير واحد من مشايخها ان الماشي كان يستضيء بسروج قرطبة ثلاثة فراسخ لا ينقطع عنه الضوء)"(2).

سعى حكام الأندلس ومنهم الخليفة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر بالله إضافة إلى ما قام به قبلهم الأمراء ومنهم الأمير عبد الرحمن الثاني إلى بذل الجهود المميزة واغداق الأموال والاهتمام بالعلماء والادباء وحضور المجالس العلمية من أجل دعم الحركة العلمية وازدهارها في الأندلس حيث أصبحت قرطبة محط رجال طلاب العلم ورواد الثقافة في الفكر في سائر انحاء العالم وكان للجو العلمي الذي تمتعت به قرطبة وكونها عاصمة البلاد وقربها من المغرب الإسلامي وتوسطها الأندلس ووقوعها على نهر الوادي الكبير وطيب مناخها وجودة أرضها وكثرة خيراتها وكرم أهلها ساعد كل ذلك على ان تصبح مركزاً علمياً ويؤكد لنا ذلك المؤرخ ابن سعيد المغربي نقلاً عن أبيه فيقول: (ومن كلام والدي في نشأتها: هي من احسن بلاد الأندلس ولأهلها رئاسة ووقار ولا تزال سمة العلم متوارثة فيهم وهي من أكثر بلاد الأندلس كتباً وأشدها اعتناء بخزائن الكتب).

وصار ذلك عند أهلها من آلات التعيين في الرياسة حتى ان الرئيس منهم لا تكون عنده معرفة، يحتفل في أن تكون في بيته (خزانة كتب والكتاب الذي بخط فلان قد حصله وظفر به)"(3).

وصف المسجد الجامع بقرطبة:

أسهم المسجد الجامع في قرطبة في جذب العلماء والفقهاء وأصبح جامعة مركزية فلقد درس فيه أعداد كبيرة من مشاهير العلماء وتتلمذ فيه نخبة من العلماء والفقهاء. أسس المسجد الجامع بقرطبة الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل بقرطبة عام 169هـ حيث حصل على موافقة العلماء والفقهاء قبل شرائه حيث كان موقعه كنيسة قديمة في قرطبة وأصبح أكبر مساجد الأندلس وأضخمها وأفضلها وصارت له مكانة دينية ودنيوية حيث تقام فيه صلاة الجمعة وصلاة الاستسقاء والاحتفال بليلة القدر العظيمة وليلة الإسراء والمعراج وليلة المولد النبوي الشريف ويحتفل فيه للخروج في حملات الجهاد فضلاً عن إلى اتخاذه مركزاً علمياً.

وتحدث عنه الجغرافي الأندلسي الحميري بقوله (فيها المسجد الجامع المشهور أمره الشائع ذكره من أجل مصانع الدنيا أكبر مساحة وأحكام صنعة وجمال هيئة واتقان بنية تهمم به، الخلفاء المروانيون زادوا فيه زيادة بعد زيادة تتميما أثر تتميم حتى بلغ غاية في الاتقان فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً وفيه 113 ثرياً للوقيد أكبرها واحدة فيه تحمل ألف مصباح وأقلها تحمل 12 مصباحاً..)"(4).

---

(1) المراكشي، المعجب، ص 520.

(2) المصدر السابق، ص 520.

(3) نقلاً عن الخشني، قضاة قرطبة، ص 35، وانظر المقّري، نفح الطيب، نسخة محي الدين عبد الحميد، ط1 (مطبعة السعادة 1367هـ/ 1949م)، ج2، ص 8.

(4) الحميري، الروض، ص 153 نقلاً عن الأدريسي، نزهة المشتاق، ج2 ص 574.

أهتم حكام الأندلس من امراء وخلفاء بإدخال توسيعات وتحسينات على جميع المرافق التي احتواها المسجد الجامع لزيادة اعداد المصلين والحاجة للتدريس في قاعدته فيذكر أن (لهذا الجامع قبلة تعجز الواصفين أوصافها وفيها اتقان يبهر العقول تنميقاً وكل ذلك من الفصفص المذهب والملون مما بعث به صاحب القسطنطينية العظمى إلى عبد الرحمن المعروف بالناصر لدين الله الاموي)"[1].

وللجامع سبعة أبواب (وهي التي يدخل منها الناس وبابان يدخل منها النساء خاصة في مقاصرهن)"[2].

تم تزيين اجزاء كثيرة من المسجد الجامع بالذهب والزخرفة والألوان الزاهية فالمقصورة التي طولها من القبلة إلى الجوف 56 ذراعاً وعرضها من الشرق إلى الغرب 24 ذراعاً وكان بابها من ذهب مضروب)"[3]، اما المنبر فصنع من عود مؤلف من الصندل الأحمر والأصفر والأبنوس والعود الرطب والمرجان أو صاله من فضة مثبتة مذيلة)"[4].

أما المئذنة (الصومعة أو المنارة) فيذكر (ان ارتفاع المنارة ثلاثة وسبعون ذراعاً إلى اعلى القبة التي يستديرها المؤذن وفي رأس القبة تفاح من ذهب وفضة وارتفاعها إلى مكان الآذان اربعة وخمسون ذراعاً)"[5].

يوصف المسجد الجامع بقرطبة بأنه غابة من الأعمدة بسبب الزيادات التي ادخلها حكام الأندلس وزيادته بالأعمدة حتى احصاها لنا الأدريسي والحميري بأكثر من الف عمود رخام واحصاها ابن غالب الأندلسي 1273

(وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقاً وطولاً وعرضاً وفيه 113 ثريا للوقيد، أكبر واحدة منها الف مصباح واقلها 12 مصباحاً).

(1) الأدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص574، الحميري، الروض، 153 نقلاً عن الادريسي. ابن غالب الأندلسي، فرحة الانفس، ص28.

(2) ابن الدلائي العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك (نشر بعنوان: نصوص عن الأندلس).

تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني/ مدريد (معهد الدراسات الاسلامية 1965)، ص 123.

ابن غالب الأندلسي، فرحة الانفس، ص 29 يذكر (عدد الواحه كبارها وصغارها مع ابواب النساء سبعة عشر باباً) ويبدو ان خطأ وقع في تحقيق النصر للعذري بسبب الأضرار التي أصيب بها المخطوط والنقص الحاصل في النسخة التي حققها الأهواني والله اعلم. الحميري، الروض، ص 153 (ولهذا الجامع 20 باباً مصفحة بصفائح النحاس).

(3) ابن غالب الأندلسي، فرحة الانفس، ص 28.

(4) الروض المعطار، ص 153 نقلاً عن الادريسي (3 تفاحات ذهب و 2 من فضة).

(5) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، (مدريد 1983)، ج1، ص 116.

أما ارتفاع صومعته 370 ذراعاً إلى موضع الاذان، كما وضح أنه في سنة 169هـ ابتاع الإمام عبد الرحمن الداخل موضوع الجامع بقرطبة من نصارى الذمة وكان بالموضع كنيسة قديمة فأشتراه بمائة ألف دينار وزاده في ساحة المسجد، وفي سنة 170هـ أسس الإمام الجامع بقرطبة واخذ في بنائه واتقانه وبناه من مال الأحباس وانفق في بنائه مائتي الف دينار وجعل 7 ابواب لدخول الرجال وبابين لدخول النساء.. ابن عذاري، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة د. ت، ج2، ص 239 خبر بناء المسجد عن الرازي.

عموداً ومثلها مدفونة تحت الأرض. تم تزيين المسجد بالثريات التي تعمل بالزيت وكان عدد الثريات فيه كبارها وصغارها 280 ثرية، 3 من الفضة، وعدد كؤوس جميعها 7025 كأساً منها 2700 من الثريات الكبيرة المعلقة في القبة العظمى، 1020 كأساً يحترق فيها من الزيت مائة وخمسة وعشرون قنطاراً في الشهر كله ويحترق باقي العدد بطول السنة)"[1].

خدم في المسجد الجامع بقرطبة عدد كبير من الموظفين والعمال، ويذكر ابن غالب الأندلسي بقوله (كان يعمره ويخدمه من الخطباء والأئمة والمؤذنين والقومة مائة رجل وعشرات لهم من الدنانير على اختلاف منازلهم 800 دينار في الشهر ومكافأة على رتبتهم وتعطيل اشغالهم حاشا الديار لسكناهم)"[2].

قام حكام الأندلس باضافات عديدة بعد بناء الأمير عبد الرحمن الداخل ثم زاد ابنه هشام صومعة كان ارتفاعها اربعين ذراعاً إلى موضع الاذان وبنى اخر المسجد سقائف لصلاة النساء وامر ببناء الميضأة بشرقي الجامع، وامام الجامع على هيئته تلك ايام عبد الرحمن بن الحكم ثم زاد عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الزيادة المتظمة بالارجل طولها خمسون ذراعاً وعرضها مائة وخمسون وعدد سارياتها ثمانون سارية وكان الفراغ من هذه الزيادة في جمادي الاولى سنة 234هـ ثم زاد الأمير محمد بن عبد الرحمن ان امر باتقان طرر الجامع وتنميق نقوشه، وبإقامة المقصورة ثم زاد الأمير المنذر بن محمد البيت المعروف ببيت المال في الجامع فوضع فيه الأموال الموقفة لغياب المسلمين وأمر بتجديد السقاية واصلاح السقائف، ثم زاد اخوه الأمير عبد الله بن محمد...)"[3]. ثم زاد الخليفة عبد الرحمن الناصر وقام بتوسيعات وتحسينات عديدة كما أضاف ابنه الحكم المستنصر بالله على ارجاء المسجد الجامع بقرطبة التي كان لها صدى ورد فعل عند عامة الناس وحكى ابو مروان بن حيان– (رحمه الله– في اخبار قرطبة ان الحكم لما زاد زيادته المشهورة في الجامع اجتنب الناس الصلاة فيها اياماً فبلغ ذلك الحكم فسأل عن علته فقيل له انهم يقولون؛ ما ندري هذه الدراهم التي انفقها في هذا البنيان من اين اكتسبها فأستحضر الشهود والقاضي ابا الحكم المنذر بن سعيد القرطبي...، واستقبل القبلة ةحلف باليمين الشرعية التي جرت العادة بها انه ما انفق فيه درهما إلا من خمس المغنم وحينئذ صلى الناس فيه لما علموا بيمينه ومن الخمس كان ابوه بناه)"[4].

كما اراد الحاجب المنصور العامري (فشرع المنصور في الزيادة بشرقية حتى يتمكن بهذه الزيادة أن يصل الجانب الغربي بقصر الخلافة. فبدأ ابن ابي عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتد طولاً من أول المسجد إلى اخره، وقصد ابن ابي عامر في هذه الزيادة المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة، ولم يقصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ما عدا زيادة

---

(1) ابن غالب الأندلسي، فرحة الأنفس، ص 30.

(2) ابن غالب الاندلسي، فرحة الأنفس، 30 وينقل لنا عن ابي حيان القرطبي في مقتبسه بقوله (وجدت بخط الحكم ان مبلغ النفقة في الزيادة المنسوبة إليه من الدنانير، الأدريسي، نزهة المشتاق، ج2 ص 79) (للصومعة 16 مؤذناً يؤذن منها بالدولة كل يوم مؤذنان على توال) ابن عذاري البيان، ج2 ص 288.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 230.

(4) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 521، ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 234.

الحكم. أول ما عمله ابن ابي عامر تطييب نفوس ارباب الدور والمستغلات الذين اشتريت منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من الثمن او بمعارضته)"[1].

اصاب المسجد الجامع بقرطبة الخراب والتغير واعمال النهب بعد سقوط قرطبة بين الاسبان (ولمح غير واحد ان الادفنش لعنه الله لما دخلها في شهور سنة 503هـ دخل النصارى في هذا المسجد بخيلهم، فأقاموا فيه يومين لم تبل دوابهم ولم ترث حتى خرجوا منه)"[2]. ويذكر ابن غالب الأندلسي عن دخول الاسبان للمسجد الجامع بقرطبة للمرة الثانية عام 540هـ وفيه اصاب الجامع ما اصابه من أعمال خطيرة من خراب ونهب، حيث قال: دخلت النصارى هذا الجامع المكرم عند دخولها قرطبة سنة 540هـ عندما هاجت الفتنة الثانية ثم من الله تعالى بخروجهم بعد 9 ايام او نحوها وحملت التفافيح التي كانت في المنار من الذهب والفضة وحمل المنبر نحو نصفه وبقي الباقي ونهبت اوصاله وثريات الفضة عند دخولهم واما باب الذهب الذي كان للمقصورة فانه نهب مع بيت مال الجامع في الفتنة الأولى، واخبرني من اثقه من أهل قرطبة قال دخلت الجامع في اليوم الثاني من خروج النصارى عن قرطبة مع حمله الناس فأجتمعنا على ما بقي من المنبر لينزلوه من ذلك الموضع فلما انزلناه وجدنا تحته مقدار ما تحمله دابتان من رمل ابيض مثل سحالة الفضة فأردنا ازالته وتنظيف الموضع فأخبرنا من أهل العلم بخبره انه من رمل جليقية دمرها الله جلب ابن ابي عامر فتركناه)"[3].

وصف السفراء والرحالة للمسجد الجامع بقرطبة:

زار المسجد الجامع عدد من الرحالة والسفراء الموفدين من حاكم المغرب بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي من الأندلس للتفاوض وتحرير الاسرى المسلمين وتوطيد العلاقات بين المغرب واسبانيا، ومن هؤلاء السفراء أحمد بن المهدي الغزال الذي زار المسجد ووصفه بأنه (من أعظم مساجد الدنيا في الطول والعرض والعلو الفادح حتى ان الأقواس المنعقدة على سواريه العديدة فوقها اقواس اخرى لعلو سمكه، ومنذ عبرنا هذا المسجد لم تفتر لنا عبرة مما شاهدنا من عظمته وتذكرنا ما كان عليه على عهد الإسلام)"[4].

قام الاسبان بعد دخولهم للمسجد الجامع بقرطبة على تغيير الكثير من معالمه الحضارية الجميلة حقداً وحسداً وتم انشاء كنيسة في داخل اجنحة المسجد ادت إلى جلب العتمة والتشويه كما أكد لنا الغزال في رحلته بقوله (وقد أخذ الكفار بوسط الجامع تربيعه في غاية الوسع بين سوار اربعة عقدوا عليها قبة صاعدة في الهواء بعد ان هدوا عدة من سوار المسجد الرخامية وجعلوا موضعها سوار البنيان...)"[5].

وتم وصف للمسجد الجامع بقرطبة من السفير المكناسي بقوله (من اعظم مساجد الدنيا واسع الفناء ضخم البناء دلت مبانيه على عظم بانيه رحمهم الله تعالى فتقدمنا اولا إلى المحراب فإذا هو ابدع وأبهى من كل مستنبط ومخترع

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 287.

(2) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 522.

(3) ابن غالب الأندلسي، مرحة الأنفس، ص 30.

(4) الغزال، أحمد بن المهدي، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، (رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس) تحقيق: اسماعيل العربي، بيروت 1980، ص 96.

(5) المصدر السابق، ص 99.

فطول المسجد 175م وعرضه 135م وعدد سواري المسجد 731 سارية على كل ساريتين قوس فوق قوس كلها من الرخام الأسود والأبيض والأصفر ومن سواري البنيان 42 سارية احدثها النصارى لعله اصلاح وعدد الأقواس في عرض المسجد عن يمين المستقبل إلى يساره 29 وقد اقتطع الكفار دمرهم الله من المسجد المذكور 56 بيتاً في دائرته و 18 بيتاً اخرى في كل واحدة طبلة معرقة في وسط المسجد اعدوها لكفرهم وضلالاتهم ومخازن لوضع صلبانهم الذهبية والفضية والذخائر الجوهرية من الأواني المرصعة باليواقيت على اختلاف الوانها وأنواعها...)"[1].

وقد أكد المكناسي (بأن هذا المسجد لم يكن مثله في مساجد الإسلام في علو السمك والنقوش العربية وأبواب المسجد المذكور 16 باباً وفي صحن المسجد من شجر النارنج 70 وشجرة زيتونة واحدة ومن شجر السرو 9 ومن النخيل ثلاث وفي وسط الصحن أيضاً صهاريج ماء)"[2].

مشاهير من علماء وفقهاء المسجد الجامع:

تتلمذ في أروقة للمسجد الجامع بقرطبة أعداد كبيرة من الباحثين العلماء والفقهاء في علوم الدين والدنيا وتخرجت منه طبقة من الدارسين وشغلوا مناصب هامة في وظائف الأندلس وصنف عدد كبير منهم من المؤلفات والقصائد الشيء الكثير.

تحدثت المصادر الأندلسية عن الدارسين والمعلمين في المسجد الجامع بقرطبة وكان كثير من الفقهاء والقضاة كما أورد لنا الخشني القيرواني سنة 361هـ في كتابه (قضاة قرطبة) حيث أمره الخليفة الحكم المستنصر بالله بتأليف كتابه وقد وضع لنا الخشني عن تأليفه بقوله: (وسألت أهل العلم كما تقدم من سيرهم قولاً وفعلاً فألفت من ذلك فصولا تروق المستفهمين وقصصاً تبهج السامعين وأخبار تدل الناظرين المتعقبين على حصافة العقول وسعة العلوم وعلى رحابة الأحلام وثقافة الافهام وعلى صدق البصائر وصحة العزائم. وقرطبة دار الأناقة وحاضرة الجماعة ومعدن الفضائل ومسكن الأفاضل، وكمين العلوم ومجمع العلماء وقاعدة الأرض)"[3].

ومن هؤلاء القضاة البارزين:

القاضي محمد بن بشير المعافري (من عيون قضاة الأندلس ومن وجوه أهل القضاة بها كان شديد الشكيمة ماضي العزيمة مؤثراً للصدق صلباً في الخلق لا هوادة عنده لأهل الجرم ولا مداهنة في أحكام السلطان)"[4].

وتحدث عن القاضي المعافري قال عنه ابن وضاح (اخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلاً باب المسجد الجامع يوم الجمعة، وعليه رداء معصفر وفي رجله نعل صراره، وله جمه مفرقة ثم يقوم فيخطب ويصلي وهو في هذا الزي وبه كان يجلس للقضاء بين الناس فان رام أحد من دينه شيئاً وجده أبعد من الثريا)"[5].

الفقيه العالم ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي (أي شرف لأهل الأندلس ومفخر واي بحر بالعلوم يزخر خلدت منه الأندلس فقيها عالماً اعاد مجاهل جهلها معالماً وأقام فيها للعلوم سوقاً نافعة ونشر منها الوية خافقة وجلا عن

---

(1) المكناسي/ محمد بن عثمان، الأكسير في فكاك الأسير، تحقيق، محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط 1965، ص 56.

(2) المصدر السابق.

(3) الخشني، قضاة قرطبة، ص 35.

(4) الخشني، قضاة قرطبة، ص 28.

(5) المقّري، نفح الطيب، تحقيق: د. احسان عباس، دار الثقافة– بيروت 1965) ج2، ص 144.

الألباب صدأ وسمع بالأندلس وتفقه حتى صار اعلم من بها وأفقه وله في الفقه كتاب (الواضحة) توفي بالأندلس عام 238هـ وهو ابن 53 سنة)"[1].

القاضي سعيد بن سلمان الغافقي (فلما قدم قرطبة ولاه الأمير رحمه الله القضاء فجلس للحكم في المسجد وعليه جبة صوف بيضاء وفي رأسه (أقروف) أبيض"[2].

القاضي يحيى بن معمر (وكان قليل الرضا عن طلبة قرطبة شديد التقصي عليهم لا يلين لهم في شيء مما يريدون ولا يصغي إليهم وبلغ من تجاهله عليهم انه سجل بالسخطة على 19 منهم فنفروا عنه بأجمعهم)"[3].

القاضي الفرج بن كنانة من الفقهاء المعدودين بالأندلس في صدور القضاة رحل إلى المشرق ولما قدم من رحلته ولاه الأمير (الحكم الربضي) قضاء الجماعة بقرطبة (كان القاضي فارساً شجاعاً يقود الخيل ويتصرف للسلطان في الولايات وقد غزا مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى حليقية)"[4].

القاضي محمد بن عبد الله ابي عيسى، تولى قضاء الجماعة بقرطبة عام 326هـ واعتمد الخليفة الناصر عليه في ارساله في السفارات إلى كبار الامراء وإيصال الأمانات إلى الثغور والأطراف للأشراف عليها وللاعلام بمصالحها والبنيان لخصومها وترتيب مغنمها وادخال جيوشها إلى بلد الحرب وربما اقامه في ذلك مقام اصحاب السيوف من قواد جيوشه فيغني غناءهم بحسن تدبيره)"[5].

منذر بن سعيد البلوطي، من الفقهاء البارزين تولى القضاء في مسجد قرطبة وكانت له مواقف بارزة في خلافة الناصر حيث نهض في حفل استقبال سفير الدولة البيزنطية وانشد الخطبة البليغة عندما سكت ابو علي القالي من القاء الخطبة التي كلف بها لذهوله للموقف الرهيب.

تولى البلوطي قضاء الجماعة بقرطبة عام 329– 335هـ إضافة إلى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة (فكان صلباً صارماً غير هياب ولا جبان)"[6].

القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن رشيد ت 520هـ من الفقهاء والفلاسفة تولى قضاء الجماعة بقرطبة ووظيفة صاحب الصلاة بالمسجد الجامع نقل عنه النباهي كان فقيهاً عالماً، حافظاً للفقه مقدما فيه على جميع أهل عصره عارفاً للفتوى على مذهب مالك وأصحابه بصيراً بأقوالهم واتفاقهم واختلافهم نافخاً في علم الفرائض والأحوال من أهل

---

(1) المقّري، نفح الطيب، ج2، ص 6.

(2) الخشني، قضاة قرطبة، ص 63، ص 64 (صلى بنا سعيد بن سليمان القاضي صلاة الجمعة في المسجد الجامع بقرطبة، ثم خرجنا معه نمشي ولم يركب ومشينا معه حتى بلغ الفرن الذي يطبخ فيه خبزه).

(3) النباهي، المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا (نشر بعنوان: تاريخ قضاة قرطبة)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت د.ت)، ص 45.

(4) المصدر السابق، ص 60.

(5) الخشني، قضاة قرطبة، ص 120، النباهي، المرقبة العليا، ص 68.

(6) النباهي، المرقبة العليا، ص 98.

الرياسة في العلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل والوقار والحلم والسمت الحسن)"[1]، تقلد القضاء بقرطبة وسار فيه بأحسن سيرة واقوم طريقة (ثم استعفى عنه، فأعفي ونشر كتبه وتواليفه ومسائله وتصانيفه وكان الناس يلجأون إليه ويعولون في مهماتهم عليه وكان حسن الخلق سهل اللقاء كثير النفع لخاصته واصحابه جميل العشرة لهم حافظاً لعهدهم كثير البر بهم)"[2].

القاضي ابن عبد الله محمد بن الحاج (كان له مجلس بالجامع بقرطبة، يسمع الناس فيه، وتقلد القضاء بقرطبة مرتين، وكان في ذاته ليناً، وكان في ذاته ليناً، صابراً، طاهراً، حليماً، متواضعاً، لم يحفظ له خور في قضية ولا ميل بهواه، ولا اصغاء إلى عناية. وكان كثير الخشوع والذكر لله تعالى، ولم يزل آخر عمره، يتولى القضاء بقرطبة، إلى أن قتل ظلماً بالمسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة بصفر 529هـ ومولده في صفر سنة 458هـ وكتابه في نوازل الأحكام، المتداول لهذا العهد بأيدي الناس)"[3].

الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد العزيز بن اسماعيل الطائي القرطبي، ولد بقرطبة عام 603هـ وتوفي يوم الخميس لشهر ذي القعدة 702هـ ذكره الوادي اشي بقوله (اخذ عن جده للام المقرىء القيم بجامع قرطبة ابي عبد الله محمد بن قادم المعافري، ووالده ومن جلة اشياخه القاضي بحضرة مراكش ابو القاسم أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي، وجماعة ذكرهم في برنامج شيوخه.

وكان مشكور القلم نظماً ونثراً ومما وجهه لي بخط الشيخ ابي عبد الله محمد بن حيان مرثية في والدي - رحمهم الله تعالى - يتعذر عن عدم حضوره الجنازة لأنه لم يعرف حتى سمع)".

اصبحت مدينة قرطبة ومركزها العلمي المسجد الجامع تنازع وتنافس بغداد حول الزعامة الفكرية في العالم الإسلامي بفضل علمائها امثال ابن حزم القرطبي وابن حيان القرطبي وابن رشد القرطبي وغيرهم كثير في مجالات العلوم الصرفة والإنسانية، فقد كان جامع قرطبة مركزاً مشهوراً للدراسة العالية، بمستوى العواصم كالقاهرة وبغداد، إذ كان اول جامعة قروسطية في اوروبا بالعصور الوسطى، ففي هذا الجامع كان الألوف من الطلبة يتلقون العلوم

---

(1) المصدر السابق، ص 102.

(2) التجيبي، القاسم بن يوسف (ت 730هـ/ 1329م) مستفاد الرحلة والاغتراب تحقيق: عبد الحفيظ منصور (دار العربية للكتاب، ليبيا 1975م)، ص 331، 344 وانظر: الوادي اشي، محمد بن جابر، برنامج الوادي اشي، تحقيق: محمد محفوظ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ص 51 ترجمة 13.

ترجمة في الحاشية، ص 51 (بغية الوعاة ج3، 60 - 61، تذكرة الحفاظ ج4، ص 264. التعريف بابن فرحون 143 - 144. شجرة النور ص 199، الشذرات ج6/ 7 معجم المؤلفين 6/ 146 نفح الطيب، للمقري، طبعة د. احسان عباس (دار الثقافة - بيروت 1388هـ/ 1968م) ج7، 137، ذيل الغبر، للذهبي، ص 23.

(3) روبرت هيلنبراند (زينة الدنيا - قرطبة القروسطية مركزاً ثقافياً عالمياً مقالة نشرت في كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، باشراف د. سلمى الخضراء الجيوسي، (بيروت 1998م) ج1، ص 195 - 196.

الإسلامية الأساسية مثل التفسير والفقه والحديث، إلى جانب الأمثال العربية والشعر الجاهلي، كما تكشف حكاية عابرة يرويها العالم بن حزم القرطبي. لقد واصل علماء قرطبة جهود علماء (بين الحكمة) معهد الترجمة العباسي، وبرزت في قرطبة اسهامان كبرى في التاريخ والجغرافية وعلوم اللغة العربية وآدابها مثل ابن عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد، كما انجبت قرطبة اكبر جراح على الأرض هو ابو القاسم الزهراوي القرطبي وغيرهم عديدون تتباهى بهم قرطبة أمام الحضارات.

امتازت شهرة علماء قرطبة في التفسير والحديث، وذلك لأن قرطبة كانت محافظة حتى في فن الخط فقد كان في جامعها الكبير اربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عليها بقع من دمه الطاهر. مما يشير إلى أهمية هذا الجامع نظر المسلمين".

رواد الرحلات العلمية
بين الأندلس وبغداد ومؤلفاتهم من عهد الإمارة الى نهاية سلطنة غرناطة

بغداد مهد الحضارة وموطن العلم والعلماء وأصبحت لها مكانة كبيرة وتأثير بالغ في المشرق والمغرب الإسلامي حيث أصبحت عاصمة الخلافة العباسية، وعدّت قبلة القصاد ومركزاً للثقافة والفن والتجارة وجسراً تعبر عليه الحضارة بين المشرق والمغرب الإسلامي، إذ قصدها عدد كبير من العلماء في مختلف إختصاصات العلوم وزارها كل من قصد الكعبة لتأدية فريضة الحج الى بيت الله الحرام وتشوق لزيارتها كل من سمع عنها.

شهدت بغداد في العصر العباسي نهضة حضارية عظيمة في المجالات المتنوعة إذ زارها عدد من العلماء والأدباء والتجار والرحالة الجغرافيين منهم الرحالة الأندلسي إبن جبير البلنسي المتوفى عام 614هـ. إذ أعجب بها غاية الإعجاب وانبهر بمعالمها الحضارية والعمرانية ونظام التدريس فيها، إذ عبر عن ذلك بقوله: "... فالحُسن فيها يستوقف البصر ويستدعي من المستوفز العقلة والنظر الى دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبتين، فهي تردها ولا تظمأ، وتتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ، والحسن الحريمي، بين هوائها ومائها ينشأ، هو من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة ففتن الهوى، إلا أن يعصم الله منها مخوفة، ففتن الهوى..."(1).

نالت بغداد عند أهل الأندلس سمعةً طيبة واسعة وصيت علمياً مرموقاً إذ تمنى زيارتها أغلب الناس، ويجدها كل من زارها أو قرأ عنها أو تمعن في نهضتها ومعالمها، فقد تحدث عنها من خيرة علماء الأندلس ابن حزم القرطبي المتوفى عام 456هـ الذي تمنى وتشوق لزيارتها بعبارة والتي تعبر عن مكانتها العلمية عند أهل الأندلس بقوله: "بغداد حاضرة الدُنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق أهلها الى حمل ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم ورقة الأخلاق والنباهة والذكاء وحدة الأفكار ونقاد الخواطر"(2).

إستمرت الصلات الثقافية بين بغداد والأندلس على الرغم من بعد المسافة وصعوبة المواصلات والظروف الطبيعية والمناخية وتوتر العلاقات السياسية التي حدثت بين الخليفة العباسي المنصور والأمير الأندلسي عبد الرحمن بن معاوية الداخل والذي كناهُ ووصفه الخليفة العباسي بـ "صقر قريش" لقوته وسياسته، حيث استمرت الرحلات العلمية بين بغداد وقرطبة وتبادلات الزيارات والمؤلفات في مختلف العلوم والفنون.

تحدثت المصادر الأندلسية عن الصلات العلمية بين بغداد والأندلس حيث ذكرت قائمة طويلة بأسماء الرجال ورحلاتهم العلمية الى العراق دون تحديد المدن وأحياناً تذكر مدينة بغداد، وفي بحثنا ستتناول دراسة تاريخية عن عدد من الأعلام ومشاهير العلماء الأندلسيين الذين قصدوا بغداد في فترات مختلفة إذ زارها عدد من الأندلسيين لمدة قصيرة وآخرون استقروا بها لفترة طويلة أو مدى العمر. كما سنذكر علماء بغداد الذين قصدوا الأندلس للدراسة أو الإطلاع أو بدعوة من حكامها.

---

(1) إبن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، نشر مكتبة الهلال، بيروت 1981، ص 173.

(2) ابن حزم القرطبي، رسائل ابن حزم، نشر د. إحسان عباس، بيروت، ج2/ 176.

من علماء الأندلس الذين قصدوا بغداد في عهد الإمارة:

- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي، من ذرية أبي ثعلبة الخشني، صاحب رسول الله ﷺ، رحل قبل عام 240هـ/ 854م، سمع بـ بغداد من أبي عبيد القاسم بن سلام، توفي عام 286هـ/ 899م أدخل الأندلس علماً كثيراً من الحديث واللغة والشعر"[1].
- قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف، أبو محمد، البياني القرطبي

كان بصيراً بالحديث والرجال، بارعاً في النحو والعربية والشعر، وصنف على كتاب "السنن" لأبي داود كتاباً في الحديث. سمع بقرطبة من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهم. وسمع ببغداد من القاضي اسماعيل بن اسحاق قاضي القضاة، وأحمد بن زهير ابن حرب وعبد الله بن الامام أحمد بن حنبل، والحارث بن أبي اسامة وابن قتيبة والمبرد وثعلب وابن الجهم وغيرهم، وانصرف الى الأندلس بعلم كثير"[2]. ولد عام 247هـ/ 861م وتوفي عام 340هـ/ 951م.

- عبد الله بن حسين بن عاصم الثقفي القرطبي.

رحل الى بغداد ولقي فيها مخارقاً المُغني، أحد مغنين ثلاثة اشتهروا في عصر هارون الرشيد"[3]. واستظرفهُ رؤساء العراق، وكان شاعراً مغلقاً، تولى ولاية الشرطة بقرطبة وكان من جلساء الأمير محمد"[4].

- أبو عثمان سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش.

قال عنه المؤرخ ابن حيان القرطبي: أنه كان من أدب الناس في زمانه، وأقومهم على لسان العرب، وأحفظهم للغة، وأعلمهم بالشعر. وحكى عنه أنه كان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة، وقد ضرب به المثل في الفصاحة في الأندلس. رحل الى المشرق، وحج ودخل بغداد، وروى عن الأكابر"[5].

من مشاهير علماء بغداد الذين رحلو الى الأندلس في عهد الإمارة الأندلسية:

- أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي.

عاش هذا العالم البغدادي بين عامي 223هـ/ 2847 و 298هـ/ 1007م وهو أديب مغامر ورياضي مشهور، ولد ونشأ في بغداد ودرس بها على أيدي الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وثعلب، قصد الأندلس من أجل العيش والرزق والشهرة، إذ ورد على الأمير الأندلسي محمد بن عبد الرحمن حكمه (238- 273هـ/ 852- 886م،

---

(1) المقَّري التلمساني (أحمد بن محمد) نفح الطيب، نشر د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1388- 1968، ج2/ 236، وأنظر: الحميري، جذوة المقتبس، ترجمة 63 الظبي، بغية الملتمس، ترجمة 202، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ترجمة 649.

(2) المقَّري، نفح الطيب، ج2/ 47، ترجمة 14، وأنظر: الحميري، جذوة المقتبس ج2/ 525 ترجمة 765، لظبي، بغية الملتمس، ج2/ 13،2589.

(3) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج21/ 43 (طبقة الساسي).

(4) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1/ 101، ترجمة 35، وأنظر: الحميدي جذوة المقتبس، ص 245، الثعالبي، اليتيمة ج1/ 381.

(5) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1/ 114، ترجمة 051، وأنظر: الحميدي جذوة المقتبس، ص 211، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 141، السيوطي بغية الوعاة، ص 256.

الذي أكرمه بهدية ألف دينار، وهو مبلغ كبير تقديراً لعلمه ومكانته من أهل الأندلس"[1]. وهو رائد المدرسة العراقية التي غرست العلوم الصرفة أو علوم الدراية.

من مشاهير علماء الأندلس الذين رحلوا الى بغداد لطلب العلم في عهد الخلافة:

إستقبلت بغداد عدد كبير من مشاهير أعلام الأندلس في مختلف الإختصاصات للتزود من منهلها العلمي منهم:

- القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى، والي القضاء بقرطبة أيام الأمير عبد الرحمن ابن محمد، وأصبح قاضي الجماعة بقرطبة في عهد الخلافة عام 326هـ/ 937م وكان الخليفة الناصر يستعين به في السفارات.

رحل من الأندلس عام 312هـ/ 924 للحج وزار العراق وأعجب بالنهضة العلمية فيه وأنشد:

كــأنّ لم يكُــن بــين ولم تــكُ فُرقــةٌ　　إذا كــان مــن بعــد الفــراق تَــلاقِ

كــأن لم تــؤرّق بــالراقَين مُقلتــي　　ولَمْ تُمــرْ مــفُ الــشوّق مــاء مــآقي

"ولهُ أخبار تدل على رقة العراق والتغذي بماء تلك الآفاق: فمنها أنه خرج الى حضور جنازة بمقابر قريش، ورجل من بني جابر كان يواخيه له فنزل هناك، فعزم عليه في الميل إليه، وعلى أخيه فنزلا عليه فأحضر لهما طعاماً وأمر جاريةً له بالغناء، فغنت... " توفي عام 339هـ/ 950م"[2].

- محمد بن ابراهيم بن حيون الحجازي (يكنى أبي عبد الله)، من أهل وادي الحجارة. كان أماماً في الحديث، عالماً، حافظاً للعلل، بصيراً بالطرق، ولم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه، وهو ضابط متقن، حسن التوجيه للحديث، صدوق، سمع من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالأندلس، ولم يذهب مذهب مالك.

رحل الى المشرق. ودخل بغداد، وسمع بها من جماعة منهم: عبد الله بن مسرة، ومحمد بن عبد الله بن المغازي في الأندلس، وعبد الله بن حنبل وابن قتيبة وسمع من علي بن عبد العزيز وأبي مسلم والكشي، ومحمد بن علي بن زيد، وسمع بمصر من عبد الله بن أحمد بن عبد السلام النيسابوري. توفي بقرطبة عام 305هـ/ 917م"[3].

- أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار القرطبي.

كان عالماً بالفقه، متقدماً في علم الوثائق، وكان مشاوراً، سمع من أبيه ومن بقي ابن مخلد وغيره. رحل الى المشرق وأقام في رحلته أربعة أعوام وأربعة أشهر وسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائي ودخل العراق، وسمع بالبصرة وسمع بالكوفة وسمع ببغداد من أبي بنت منيع ومن أبي جعفر بن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، كان مولده عام 263هـ/ 876م.

---

(1) ابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة (تحقيق د. محمود علي مكي) ص 101- 104 الزهرة رقم 66، وأنظر: ابن الابار، التكملة (طبعة القاهرة 1956) م1/ 454 (طبعة ابراهيم الابياري) ص 223، ترجمة 454، ابن عذاري، البيان المغرب ج1/ 152- 153. 162. 163، المؤلف اغلمجهول، أخبار مجموعة، ص 146- 147، المقّري، نفح الطيب، ج3/ 134- 135، مكي. د. محمود علي، التشيع في الأندلس، نشر في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد 1954، ص 112- 113.

(2) المقّري، نفح الطيب، ج2/ 12، الضبي، بغية الملتمس، ج1/ 154، ترجمة 219.

(3) الخشني، قضاة قرطبة، ص 118- 120، النباهي المالقي، المرقبة العليا، ص 59، وأنظر الحميدي، جذوة المقتبس، 69، الضبي، بغية الملتمس، ج1/ 145، ترجمة 219.

رحل الى المشرق عام 294هـ وسمع بمكة والبصرة والكوفة وبغداد ودمياط والإسكندرية والقيروان من مائة وستين رجلاً توفي عام 328هـ/ 939م"[1].

– محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي، أبو عبد الله.

محدث أخذ عن محمد الخشني وقاسم بن أصبح وابراهيم بن قاسم بن هلال رحل إلى العراق وأدرك به اسماعيل القاضي وسمع من أبي عبد الرحمن بن أحمد بن حنبل.

ودخل بغداد فسمه بها من أحمد بن زهير بن حرب كتاب التاريخ، ومن عبد الله بن أحمد بن حنبل ومضر بن محمد الأسدي، وأبي اسماعيل الترمذي. وكان فقيهاً عالماً، حافظاً للمسائل والأقضية نبيلاً في الرأي مشاوراً في الأحكام مبرراً ألف مصنفاً في السنن على تصنيف أبو داود.

وقال عنه أبو محمد بن حزم: مصنف ابن أيمن مصنف رفيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات"[2]، توفي بقرطبة عام 330هـ/ 941م.

– سعيد بن نصر بن عمر بن خلف (خلفون) الاستجي، أبو عثمان.

أندلسي، حافظ، سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ وابن أبي دليم وغيرهما رحل إلى بغداد وسمع بها من أبي علي اسماعيل بن محمد الصفار وغيرهما، توفي عام 350هـ/ 961م"[3].

– عبد الله بن حمود الزبيدي، الاشبيلي، أبو محمد، ابن عم أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي اللغوي.

من مشاهير أصحاب أبي علي القالي البغدادي، لازم ببغداد السيرافي وكان الزبيدي من كبار النحاة وأهل المعرفة التامة والشعر، وجمع شرحاً لكتاب سيبويه"[4] توفي ببغداد سنة 372هـ/ 982م.

– محمد بن أبي علاقة النواب.

من أهل قرطبة رحل الى العراق ولقيَ فيها جماعة من أهل العلم، وأخذ عن أبي اسحاق الزجاجي،نن وعن أبي بكر ابن الأنباري، والأخفش، ونقطويه وغيرهم وسمع من الأخفش كتاب الكامل للمبرد، وقال الخليفة الحكم المستنصر عنه: "لم يصح كتاب– الكامل" عندنا من رواية إلا من قبل ابن أبي علاقة"[5].

---

(1) الضبي، بغية الملتمس، ج1/ 79– 80، ترجمة 43 (ورد اسمه في الطبعة: ابن حنون الحجازي)، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2/ 28 والحميدي، جذوة المقتبس، 39، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 781، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 1952.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، 80، الضبي، بغية الملتمس، رقم 260، تاريخ علماء الأندلس، ج2/ 480، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 62– 63 ترجمة 37.

(3) الضبي، بغية الملتمس، ج1/ 135 ترجمة 198، الحميدي، جذوة المقتبس، 63، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2/ 52، الذهبي، اذكرة الحفاظ، 836، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 237، ترجمة 149.

(4) الضبي، بغية الملتمس، ج2/ 401– 402 ترجمة 824، ابن شكوال، الصلة، 203، الحميدي، جذوة المقتبس، 217 ترجمة 484، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 633، ترجمة 256.

(5) المقّري، نفح الطيب، ج2/ 647، ترجمة 281، وأنظر: السيوطي، بغية الوعاة، ص 282، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج4/ 220.

- محمد بن يحيى بن مالك بن يحيى بن عايذ، أبا بكر.

من أهل طرطوشة، تأدب بقرطبة وسمع من علمائها: قاسم بن أصبغ ومحمد ابن معاوية الحضرمي، ومنذر بن سعيد، وأبي علي القالي وغيرهم.

كان حافظاً للنحو واللغة والشعر، رحل الى المشرق مع أبيه عام 349هـ/ 960م وسمع ببغداد وغيرها، توفي عام 360هـ/ 970م"[1].

- يحيى بن مالك بن يحيى بن عائذ، أبو زكريا.

أندلسي سمع من جماعة منهم عبد الله بن يونس المرادي صاحب بقي بن مخلد، وأبو عمر بن عبد ربه، وكان يملي ويتحدث بجامع قرطبة.

رحل الى بغداد وسمع فيها من القاضي أبو الحسن محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي، توفي عام 376هـ/ 986م"[2].

- محمد بن طاهر القيسي التدميري، أبو عبد الله، الملقب بالشهيد.

كان عالماً، زاهداً، ناسكاً، متبتلاً، وكان عظيم القدر جداً بالأندلس. رحل الى العراق ولقي ببغداد أبا بكر الأبهري وأخذ عنه، وأكثر من لقاء الصالحين، وأهل العلم، ولبس الصوف، عاد الى بلدة تدمير ونزل خارج مدينة مرسيه وبها مات شهيداً في حملة من حملات الحاجب المنصور بن أبي عامر عام 379هـ/ 989م"[3].

- محمد بن صالح المعافري الأندلسي، أبو عبد الله.

كان فقيهاً، حافظاً، جمع تاريخاً للأندلس. رحل الى المشرق. وسمع ببغداد وتتلمذ على يد علمائها منهم اسماعيل بن محمد الصفار، توفي عام 383هـ/ 993م وابن الفرضي ذكر وفاته 378هـ/ 988م"[4].

- الوليد بن بكر بن مخلد بن أبي زياد، أبو العباس الغمري.

عالم فاضل من سرقسطة، ألف كتاب في تجويز الإجازة أسماه "كتاب الوحاذة" رحل الى بغداد، وحدث بها، توفي عام 392هـ/ 1001م"[5].

- محمد بن أحمد بن عبد الأعلى بن القاسم القرطبي أبو عبد الله الورشي.

من علماء علم القرآن بالأندلس، رحل الى المشرق، وقدم بغداد وحدث بها، توفي عام 393هـ/ 1002م"[6].

- محمد بن أحمد بن قادم بن زيد القرطبي.

القاضي الذي سمع ببغداد من قاسم ابن أصبغ وابن حمدان والصواف، كما ذكر ابن حيان القرطبي "[1]

---

(1) المقَّري، نفح الطيب، ج2/ 150 ترجمة 96.

(2) المقَّري، نفسح الطيب، ج2/ 151، ترجمة 98.

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، ج2/ 605- 607 ترجمة 906، الضبي، بغية الملتمس، ج2/ 682 ترجمة 1497.

(4) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2/ 90، المقَّري، نفح الطيب، ج2/ 234 ترجمة 145.

(5) إلن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2/ 91، المقَّري، نفح الطيب، ج2/ 142 ترجمة 90 وله ترجمة أخرى في ج2/ 152 ترجمة 101.

(6) الحميدي، جذوة المقتبس، ترجمة 854، الضبي، بغية الملتمس، ج2/ 645- 646 ترجمة 1415.

من مشاهير علماء بغداد الذين رحلوا الى الأندلس في عهد الخلافة:

- القالي، أبو علي اسماعيل القالي البغدادي.

بارع في اللغة والأدب، وقيل عنه "كان أحفظ أهل زمانه للغة وأرواهم للشعر الجاهلي وأحفظهم له وأعلمهم بعلل النحو على مذهب البصريين وأكثرهم تدقيقاً فيه"[2].

تلقى علومه في بغداد على خيرة علمائها في اللغة والأدب والحديث ومن أبرزهم أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري والزجاج والأخفش وغيرهم"[3].

إستدعى الخليفة عبد الرحمن الناصر الأديب أبو علي القالي البغدادي الى الأندلس، حيث ذاع صيته وسمعته اللغوية والأدبية في بغداد والأندلس، فقدم الأندلس يحمل من الأفكار والنظريات والمؤلفات، حيث استقبلته الخلافة بكل حفاوة وترحيب بالغين، تحدث عن ذلك المصدر الأندلسية بأسهاب، نذكر ما أورده المؤرخ ابن حيان القرطبي عن القالي قوله:

"... بنشر ما يحمله من علمه في الناس واشاعة أسماعهم وافادتهم وتأليف ما التقط من منشور ما أعيا عليهم، فسارع الى ذلك بجد وقوة، وفاض على طلاب العلم منه ما عظم إنتفاعهم به جداً وصحح لهم صحائف كانت عندهم بوراً، فاجد للسان العرب عندهم نشوراً"[4].

عمل أبو علي القالي البغدادي على تعريف واسع لمكانة بغداد الحضارية في الأندلس بما حمله من أفكار ومصنفات واقامة الندوات العلمية والمناقشات الأدبية، مما حفز العقول والنفوس بالتلهف لمشاهدة بغداد والتزود من صرحها العلمي الواسع توفي القالي البغدادي عام 356هـ/ 966م"[5].

- صاعد بن الحسن الربعي اللغوي البغدادي، أبو العلاء.

عالماً باللغة، والآداب والأخبار، قدم الأندلس من بغداد أيام الخليفة هشام المؤيد، فأكرمه الحاجب وأدخله الى مجلسه الأدبي، وحظى عنده بمكانة علمية كبيرة، وألف له كتاب "الفصوص"[6].

كان للأديب صاعد البغدادي أثر ومكانة علمية في الأندلس وعمل على نقل الأفكار والنظريات اللغوية الى الأندلس، وذاعت شهرته في الأندلس وقد تحدثت المصادر عنه ةخصصت له ترجمة كاملة"[1].

---

(1) المقَّري، نفح الطيب، ج2/ 214- 215 ترجمة 214.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 52.

(3) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، 202، السيوطي، بغية الوعاه 198، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 54، 407، 606، 761، 782.

(4) الكبيسي، د. خليل، أبو علي القالي وأثره بالفكر الأندلسي، مقالة في مجلة المؤرخ العربي، العدد 25، 1984، الصفحات 223- 257.

(5) ابن حيان القرطبي، المقتبس، (تحقيق: جالميتا) ج5/ 480.

(6) للمزيد من المعلومات عن أبي علي القالي البغدادي أنظر:

- ابن بسام الشتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 71/ ص 14.

- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1/ 69، الحميدي، جذوة المقتبس: 164، الظبي، بغية الملتمس، ج1/ 282 ترجمة 549.

توفي عام 417هـ/ 1026م أيام الفتنة البربرية في الأندلس.

- طاهر بن محمد المعروف بالمهند البغدادي.

أديباً شاعراً متقدماً، يقال عنه أنه من ولد أحمد بن أبي طاهر، صاحب تاريخ بغداد، وفد على الحاجب المنصور، وحظي بمكانة عنده، وأصبح من شعراء الدولة العامرية"(2).

من مشاهير علماء الأندلس الذين رحلوا الى بغداد لطلب العلم في عهد الطوائف ومملكة غرناطة:

- عطية بن سعيد بن عبد الله، أبو محمد.

أندلسي حافظ، طاف بالمشرق، وقصد بغداد، وألف كتاب في "تجويز السماع" تحدث عنه الحميري بقوله: "خرج عطية من بغداد الى مكة، فأخبرني أبو القاسم عبد العزيز بن بندار الشيرازي، قال: لقيت عطية الأندلسي ببغداد وصحبته، وكان من الإيثار والسخاء والجود بما معه، على أمر عظيم، إنما يقتصر من لباسه على فوطة ومرقعة، ويؤثر بها سوى ذلك، وكان قد جمع كتباً حملها على نجاتي كثيرة"(3).

توفي بمكة سنة ثمان أو تسع وأربعمائة للهجرة

- عبد العزيز بن أحمد بن السيد بن مُغلِّس القيسي.

عالم أندلسي في اللغة العربية وشاعراً، قرأ اللغة على أبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي بالمغرب "كتاب الفصوص" رووى لنا عنه أبو الربيع سليمان بن أحمد بن محمد الأندلسي السرقسطي ببغداد، عندما زار بغداد فاستفاد وأفاد.

مات بمصر عام 427هـ/ 1035م"(4).

- عُتبة بن عبد الملك بن عاصم المقري العثماني، أبو الوليد.

عالم أندلسي رحل ودخل الأندلس وحدث بها عن أبيه ومات بها عام 445هـ وقرأ بمصر على أبي أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون البغدادي المقري قراءة حفص"(5).

- العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو الخطاب ويعرف بـ "ابن المغيرة".

أندلسي من أهل العلم والأدب والذكاء والهمة في طلب العلم، رحل الى المشرق ودخل بغداد من أجل جمع الرواية.

---

(1) كتاب "الفصوص" لأبي صاعد البغدادي، مخطوط خزانة القرويين بفاس، عمل على تحقيقه وترجمته للأسبانية د. محسن اسماعيل في جامعة غرناطة، كلية الآداب 1985، تحت إشراف المستشرق الأسباني خوسيه ماريا فورنياس، ومنه نسخة على بطاقات ميكروفيلم في مكتبة المعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد.

(2) الظبي، بغية الملتمس، ج2/ 413- 417 ترجمة 854، انظر: الحميدي، جذوة الملتمس، ج2 ابن بشكوال/ الصلة ج1/ 371 ترجمة 546.

(3) الظبي، بغية الملتمس، ج2/ 421- 422 ترجمة 862، الحميدي، جذوة المقتبس.

(4) الظبي، بغية الملتمس، ج2/ 566- 569 ترجمة 1264 "البخاتي" جمع بختي، وهي من الابل الخراسانية، وانظر عنه: جذوة المقتبس، للحميدي، ج2/ 508 ترجمة 741.

(5) جذوة المقتبس، للحميدي، ج2/ 455 ترجمة 645، وانظر: الظبي، بغية الملتمس، ج2/ 499- 500 ترجمة 1091، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 132- 133، ترجمة 74.

توفي بالأندلس عام 450هـ/ 1058م"[1].

– سُليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي القاضي، أبو الوليد.

أندلسي فقيه محدث، وإمام مشهور، وعالم متكلم، رحل الى المشرق عام 426هـ/ 2034م سمع من أبي علي الحسن بن علي البغدادي، في مدينة السلام، ألف كتاب "الإقناع في القراءات العشرين".

أقام أبو الوليد الباجي ببغداد ثلاثة أعوام يتدارس الفقه، ويكتب الحديث من خيرة العلماء ذكره ابن بسام الشنتريني ما نصهُ: إن أبا الوليد الباجي نشأ وهمته في العلم، وأنه بدأ بالأدب فبرز في ميادينه، وجعل الشعر بضاعته، فنال به من كل الرغائب، ثم رحل فما حل بلداً إلا وجده ملآن بذكره"[2].

صنف أبو الوليد الباجي كُتباً كثيرة منها: كتاب "التسديد الى معرفة التحيد" وكتاب "سُنن المنهاج وترتيب الحجاج" وكتاب "أحكام الفصول في أحكام الأصول" وكتاب "التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح" وكتاب "شرح الموطأ" وهو نسختان: نسخة "الإستيفاء" و "المنتقى" في سبع مجلدات ومختصر المختصر "إختلاف الموطأ" وكتاب "التفسير" وكتاب "شرح المهاج" وكتاب التبيين لسبيل المهتدين" وكتاب "السراج" وغيرها.

توفي بالمرية عام 474هـ/ 1081م"[3].

– محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميري، يكنى أبا عبد الله.

أندلسي من جزيرة ميورقة، عالماً بالحديث والقراءات والعربية والأدب رحل الى المشرق عام 448هـ/ 1095م بعد أن سمع من مشاهير رجالها كابن عبد البر وابن حزم وغيرهم، زار بغداد واستوطنها وكتب بها مؤلفات في الحديث والأدب وسائر الفنون، وروى عنه أبو بكر الخطيب.

ألف الحميري مصنفات عديدة منها:

"جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس" و "تاريخ الاسلام" وكتاب "من ادعى الأمان من أهل الايمان" وكتاب "الذهب المسبوك في وعظ الملوك" وكتاب "تسهيل السبيل الى علم الترسيل" وكتاب "مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء" وكتاب "ماجاء من النصوص والأخبار في حفظ الجار" وكتاب "النميمة" وكتاب "الأماني الصادقة" وكتاب الجمع بين الصحيحين".

توفي ببغداد عام 488هـ/ 1095م"[4].

– أحمد بن قاسم اللخمي المقري الإقليشي سكن قرطبة، دخل بغداد ت 416هـ/ 1025م"[1].

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ج2/ 512– 513 ترجمة 744، وانظر: الظبي، بغية الملتمس، ج2/ 570 ترجمة 1266، ابن بشكوال، الصلة، ج2/ 655 ترجمة 974.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، ج3/ 502 ترجمة 725، الظبي، بغية الملتمس، ج2/ 559، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 629– 630 ترجمة 25.

(3) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثاني: 38.

(4) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثاني: ابن شكوال، الصلة، ج1/ 317، ترجمة 457، الظبي، بغية الملتمس، ج2/ 385– 386 ترجمة 779، النباهي المالقي، المرقبة العليا، ص 95، ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1/ 404– 405، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 67– 69 ترجمة 45.

- محمد بن عبد الله بن علي حسين الفرائضي الحاسب من قرطبة لقيه ببغداد عام 415هـ/ 1024م توفي 419هـ/ 1028م"[2].
- سليمان بن أحمد بن محمد الأندلسي السرقسطي، أبو الربيع، حدث"[3].
- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حمدين، يعرف بأبن الحداد من بلنسية، بلغ في طلب العلم وأهله من بغداد وغيرها. توفي بالأندلس في معركة الزلاقة عام 479هـ/ 1086م"[4].
- حسين بن محمد فيره بن حيون، أبو علي الصدفي ويعرف بابن سُكّرة.

أندلسي من سرقسطة، عالم في الحديث وأسماء الرجال، رحل الى بغداد عام 482هـ/ 1089م وأقام بها خمس سنين، وسمع بها من أبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون، مسند بغداد، ومن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، وأبي محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي، وأبي الفوارس طراد بن محمد الزينبي، وأبي عبد الله الحميري الميروقي، وأبا بكر الطرطوشي.

توفي بالأندلس في وقعة كتندة عام 514هـ/ 1120م"[5].

- يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، أبو بكر الملقب بضياء الدين.

عالم أندلسي في علم القرآن الكريم والحديث الشريف، رحل من الأندلس في عنفوان شبابه ودخل بغداد عام 517هـ/ 1023م وقرأ بها القرآن الكريم على الشيخ أبي محمد عبد الله بن علي المقرئ المعروف بأبن بنت الشيخ أبي منصور الخياط، وسمع عليه كتباً كثيرة منها كتاب سيبويه، وقرأ الحديث على أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار المعروف بقاضي المارشنان وأبي القاسم ابن الحضين وأبي الغر وغيرهم روى عنه قاضي حلب ابن شداد، وتوفي بالموصل عام 567هـ/ 1171م"[6].

- محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي، أبو بكر.

أندلسي فقيه حافظ، وإمام محدث، تحدث عنه أبي بكر بن العربي قال: "سمعت الحافظ أبا بكر الطرطوشي يقول: لم أرحل من الأندلس حتى تفقهت ولزمت الباجي مدة، فلما وصلت الى بغداد دخلت المدرسة العادلية"[7].

صنف الطرطوشي مؤلفات كثيرة منها: "مختصر تفسير الثعالبي" و "الكتاب الكبير في مسائل الخلاف" وكتاب "في تحريم جبن الروم" "وبدع الأمور ومحدثاتها" وكتاب "شرح رسالة الشيخ ابن أبي زيد" و "سراج الملوك".

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، مقدمة المحقق، ابن بشكوال، الصلة، ج3، 818– 819، ترجمة 1238، الظبي، بغية الملتمس، ج1/ 161 ترجمة 258، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 112– 115 ترجمة 63، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3/ 410، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 1318.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج1، 65، ترجمة 60.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج2، 750.

(4) ابن بشكوال، الصلة، ج1 317، ترجمة 456، الحميديو جذوة المقتبس ج2/ 455.

(5) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، 42 ترجمة 54.

(6) ابن بشكوال، الصلة، ج1، 235– 237، ترجمة 334، الظبي، بغية الملتمس، ج1/ 331، ترجمة 657، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 90– 93، ترجمة 48 صنف له ابن الابار، المعجم في أصحاب القاضي ابي علي الدفي".

(7) المقّري، نفح الطيب، ج2/ 116– 118، ترجمة 65. نقل النص عن ابن حلكان وفيات الأعيان ج5/ 219.

توفي بالإسكندرية عام 520هـ/ 1126م"(1).

- خلف المقري مولى جعفر الفتى، أبو سعيد المقري بطرطوشة، سكن طليرة، حج ثلاث حجج، أقام بالمشرق سبعة عشر عاماً ودخل بغداد، ت 525هـ/ 1130م"(2).
- سعد الخير بن محمد بن سعد الأنصاري البلنسي، أبو الحسن.

عالم أندلسي محدث، رحل حتى دخل الصين لذلك عرف بالبلنسي الصيني، وتفقه ببغداد على أبي حامد الغزالي وسمع بها من أبي عبد الله النعّال وطراداً وغيرهما، وسكن بغداد. روى عنه ببغداد ابن عساكر وابن السمعاني وأبو موسى المرديني وأبو اليمن الكندي وأبو الفرج ابن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد الخير.

توفي ببغداد عام 541هـ/ 1146م دفن الى جانب عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل (رضي الله عنه)"(3).

- عباد بن سرحان بن مسلم بن سعيد الناس المعافري من شاطبة، دخل بغداد 543هـ/ 1148م"(4).
- محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي، أبو بكر:

أندلسي، فقيه، حافظ، محدث، أديب، تتلمذ على مشاهير علماء الأندلس، ويروي عنهم منهم أبو بكر بن الوليد الفهري الطرطوشي.

دخل بغداد وسمع بها من أبي الحسين المبرك بن عبد الجبار الصيرفي، ومن الشريف أبي الفوارس طراد بن محمد الزيني، ومن أبي بكر بن طرخان وغيرهم، ثم رحل الى الحجاز وعاد ثانية الى بغداد، وصحب ابا بكر الشاشي، وأبا حامد الطوسي وغيرهما.

كتب ابن العربي مؤلفات كثيرة نافعة منها:

"كتاب أنوار العنجر" وكتاب "أحكام القرآن" وكتاب "التلخيص في مسائل الخلاف" و "عارضة الاحوذي" وعدت تواليفه نحو الأربعين مصنفاً. كتب الشعر وتغنى ببغداد والحنين الى معالمها الحضارية نذكر من ما قاله من أبيات عنها:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً من الدهر لا أخشى ولا أترقبُ

(1) نقلاً عن الظبي، بغية الملتمس، ج1/ 176 ترجمة 296.

(2) الظبي، بغية الملتمس، ج1/ 175- 179، ترجمة 296، وأنظر: ابن بشكوال، الصلة، ج3/ 838- 839 ترجمة 1277، المقّري، نفح الطيب، ج2/ 5- 90-، ترجمة 46.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج3/ 264 ترجمة 377، الظبي، بغية الملتمس ج1/ 355 ترجمة 711.

(4) نفح الطيب، ج2/ 632 ترجمة 255.

عرض ودراسة تاريخية لمخطوط أندلسي

في الخيول العربية وبيطرتها والفروسية *

مخطوط السفر الثاني من "كتاب الاحتفال في استيفاء تصنيف ماللخيل من الأحوال" لأبي عبد الله محمد بن رضوان بن أرقم الوادي آشي ت 657هـ/ 1258م

تضم مكتبة دير الاسكوريال بمدريد روائع المخطوطات الأندلسية النادرة والفريدة، وكان من بين تلك المخطوطات "كتاب الاحتفال في استيفاء تصنيف ماللخيل من الأحوال" والذي يحمل الرقم 902، ونسخة خطية فريدة وهي بخط المؤلف"[1] وقال عنه مؤلف دليل مكتبة الاسكوريال: "الجزء الثاني من كتاب الاحتفال في استيفاء تصنيف ماللخيل من الأحوال" ألف لمكتبة أمير المسلمين عبد الله محمد بن نصير، من المحتمل انه الأمير الثالث لبني نصر الغرناطين 700هـ/ 1301م/ 708ه/ 1309م على يد ابن ارقم الوادي اشي (م. 757هـ/ 1356م).

توصيف المخطوط:

كتب المخطوط بخط أندلسي جميل وواضح وحروفه مشكولة، عدد صفحاته 202 ورقة، وكل ورقة تضم 31 سطراً وكل سطر يضم ما بين 14–20 كلمة، وللمخطوط ديباجة وردت فيها العنوان للكتاب والاهداء وأسماء من تملك المخطوط وخاتمة فيها أسماء عدد من تملك المخطوط.

يعد هذا المخطوط من روائع المؤلفات في باب الخيل وبيطرتها والفروسية الأندلسية، وقد اعتمد فيه المؤلف على أهم الكتب التي صنفت في مجال الخيل وقد نقل من تلك المؤلفات معلومات كثيرة في أبوابه المتعددة.

تعريف بالمؤلف:

أما مؤلف الكتاب فهو محمد بن رضوان بن أحمد بن ابراهيم بن ارقم النميري من أهل الوادي آش "Guadix"[2]، وهي مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، ولها بابان شرقي على النهر وغربي على خندق، وقد تحدث ابن الخطيب الغرناطي في كتاه "الاحاطة في اخبار غرناطة، عن المؤلف وقال عنه:

"يكنى ابا يحيى"، كان صدراً شهيراً، عالماً علماً، حسيباً، أصيلاً جم التحصيل، قوي الادراك، مضطلعاً بالعربية واللغة، اماماً في ذلك، مشاركاً في علوم من حساب وهيئة وهندسية، قال الشيخ، كان في هذا كله ابدع من لقيته، إلى سراوه وفضل وتواضع ودين، جارياً في ذلك على سنن سلفه، وعلو محتده، جالسته، رحمه الله، كثيراً عند علية من ادركته بغرناطة، لاقامته بها، وتكرر لقائي اياه بها، وبغيرها، فرأيت اصيلاً جليلاً، قد جمع علماً وفضلاً، وحسن خلق وكان حسن التقييد، لحظة رونق يمتاز به، ويبعد عن غيره، ولي القضاء يبلده، ثم ولي بعد مدة ببرشانه (Purchen)[3] فحمدت سيرته.

(*) بحث نشر في مجلة كلية المامون الجامعة، السنة الثانية العدد 7 (بغداد 2002م) الصفحات من 151 – 162.

(1) انظر: براوليو خوستيل، مكتبة الاسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية، نشر المعهد الاسباني العربي للثقافة، (مدريد 1978) ص 15.

(2) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفسال، "الرباط 1937" ص 192–193.

(3) برشانه: بلدة أندلسية تقع على نهر المنصورة وشمال ثغر المدينة، انظر: الحميري/ الروض المعطار، ص 42 ترجمة 41، قال عنها: امتع الحصون مكاناً، وأوثقها بنياناً، وأكثرها عمارة.

مشيخته :

اخذ القرارات السبع عن ابي كرم جودي بن عبد الرحمن، وقرأت عليه الغريب واللغة، ولازمه في ذلك، واجاز له (إجازة) عامة، واخذ من غير بيلده، وصحب بغرناطة حملة من العلماء بها، أيام اختلافه إليها، وإقامته بها.

تواليفه :

الف كتاباً سماه "الاختلاف في استيفاء ماللخيل من الأحول" وهو كتاب ضخم وثقت عليه من قبله وافيته، واختصر الغريب المصنف، وله تقايد منشور ومنظوم في علم النجوم، ورسالة في الاسطرلاب والخطى والعمل بالربع، وشجرة في انساب العرب"(1).

تلاميذه

أما ابن جزي الغرناطي، هو أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أحمد، وهو من بيت حسب ورياسة وعلم مشهور في الأندلس الاسلامية، وقد ألف كتاب "مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال" تحقيق محمد العربي الخطابي، ونشر بعنوان "كتاب الخيل" وطبع في مؤسسة دار الغرب الاسلامي، (بيروت 1406هـ/ 1986م)، فقد تحدث لنا عن قصة تأليف "كتاب الاحتفال في استيفاء تصنيف ماللخيل من الأحوال" وعن دواعي اختصاره لهذا الكتاب للسلطان الغرناطي ابي عبد الله بقوله "ولما علم مولانا- ايده الله- اني ممن نشأ من حجر العلم وغُذي بلبانه وتبوأ روضة بجني فنون الحكم من أفنانه إذا ابصرت خطأ في صحيفة اقول حديقة تفتحت أزهارها، وان سمعت نظماً أو نثراً اقول دوحة ترنمت أطيارها، وكان- أدام الله ملكه- ممن له اعتناء بالعلوم، واهتمام بالمنشور منها والمنظوم، لاسيما ما يرجع منها إلى شأن الجهاد، ويتعلق بالتأهب للعداة والاستعداد، نفذت اشارته الكريمة، وارتاحت همته العظيمة إلى اختصار كتاب- الاحتفال في استيفاء تصنيف ماللخيل من الأحوال.

وهذا الكتاب احتفل فيه مؤلفه فيما احتشدوا وأكثر فيه مما أورده من الألفاظ الغربية المستغنى عنها واللغات الحوشية التي لا يحتاج إليها، فرأى- ايده الله- برأيه السديد، ونظره الرشيد، ان انتقي له من الكتاب ما يتحف في المطالعة، ويحسن عند المذاكرة والمراجعة، فامتثلت أمره الكريم في ذلك، وسلكت فيه مايرضيه- ان شاء الله- من المسالك، ولم أعتمد في ذلك على نسق الكتاب، ولا اقتديت به في ترتيب الأبواب، بل رتبته بحسب ما اقتضاه النظر من الترتيب، وهذبته على ما يناسبه المقصد من التهذيب، وضمنته كثيراً من الفوائد العلمية والمحاسن الأدبية، مما اشتمل على حفظه صدري، أو استنبطه فكري، أو أخذته عن علماء عصري، أو استفدته من غرائب التصانيف، ونوادر التواليف، وأسقطت فيه أبواباً عدة اشتمل عليها التأليف المذكور مما يمحيه السمع وينفر عنه الطبع من لغات حوشية مستثقلة، والفاظ غير متداولة ولا مستعملة، لايتعاطاها الأُدباء، ولا يتداولها البلغاء، ولايغشي بها العلماء فهي لذلك لاحاجة تدعو إليها، ولا ضرورة في التأليف تحمل عليها وسميته "مطلع اليمن والاقبال، في انتقاء كتاب الاحتفال، واستدرك ما قاله من المقال، وأرجو بفضل الله أن يوافق الاسم مسماه، وان يطابق اللفظ معناه، والله تعالى يجعله سعياً حميداً وعملاً سديداً، ومقصداً سعيداً بمنة ويمنه.

(1) ابن الخطيب الغرناطي "الاحاطة في أخبار غرناطة" تحقيق محمد عبد الله عنان، طبعة أُولى (القاهرة 1394هـ/ 1974م) ج 2/ 141-143، وانظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، (طبعة مصر 1384هـ/ 1964) ج/ 1/ 104 نقلاً عن ابن الخطيب الغرناطي.

وقد أوضح ابن جزي الكلبي الغرناطي دوافعه في تأليف كتابه وأسباب اختصار كتاب الاحتفال في استيفاء تصنيف ماللخيل من الأحوال "وطريقة واسلوب ما اختصاره وما أُضيف إليه من نصوص وأخبار.

كما بين ابن جزي الكلبي الغرناطي تعريف كامل عن مؤلف كتاب الاحتفال هو الفقيه الأديب اللغوي أبو عبد الله محمد بن رضوان بن أرقم من وجوه وادي آش واعيانها، الفه وجمعه للمقام العلي، الطاهر السني، مقام السلطان الكبير الشهير، وفخر الليالي والأيام، أمير المسلمين الغالب بالله، أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي من ذرية سيد الخزرج، وكبير الأنصار سعد بن عبادة- رضي الله عنه- صاحب راية الرسول الكريم (ﷺ) يوم فتح مكة عام 8هـ.

يبدو واضحاً بان عدد من المؤلفين في غرناطة قد اهتموا بتأليف كتب في الخيل وبيطرتها وفي الفروسية منهم، ابن ارقم الوادي آش، وابن جزي الكلبي الغرناطي، وابن هذيل الغرناطي، ابو الحسن علي بن عبد الرحمن (763هـ/ 1361م) ومن مؤلفاته في الفروسية والخيل: (تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس) مخطوط وصور ومترجم للفروسية من المستشرق لويس مرسي (باريس) وكتاب "حلية الفرسان وشعار الشجعان" تحقيق محمد عبد الغني حسن، دار المعارف (القاهرة 1951م) وكتاب "عين الأدب والسياسة، وزين الحسب والرياسة" طبع في مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1357هـ- 1938م) طبعة ثانية.

أبواب تشمل على أشياء لازمة عن الدواب ومتعلقة بها وهي الآلات وما شاكلها زاد عن تختص بها وأنواع آخر ضرورية لها.

أبواب جامعة لمعان مختلفة وأنواع شتى من التصرف في امور الدواب

بسم الله الرحمن الرحيم

كملت الأبواب... بحمد الله

في المعرفة الحربية في التراث الأندلسي

نبذة تاريخية مختارة عن العسكرية الاسلامية في الاندلس من المخطوط

(كتاب البدائع والاسرار في حقيقة الرد والانتصار وغامض ما اجتمعت عليه الرماة بالامصار) لابي بكر الاشبيلي

مقدمة تاريخية:

ان تراثنا العربي الاسلامي في المجال العسكري صفحه رائعه من البطولة والافتخار والانسانية والتطور الحربي في المراحل التاريخية التي عاشها اجدادنا الشرفاء الاماجد.

لقد زخرت المكتبات العربية والعالمية ومتاحفها باعداد هائلة من المخطوطات الحربية الاسلامية كما في المكتبة الوطنية في فرنسا ومدريد ودير الاسكوريال بمدريد/ والمتحف البريطاني/ ومكتبة غوطا في المانيا/ ومكتبة احمد الثالث في تركيا/ ومكتبة رضا رامبور في الهند وغيرها وقد لاحظنا من خلال متابعتنا وحصولنا على مثل هذه المخطوطات النادره والثمينة المزود بعضها بالاشكال والصور والخطوط التفصيلية للاسلحه وفنون القتال، وقد دون عليها ملاحظات باقلام المستشرقين والعلماء بمختلف اللغات العربية والاجنبية، نستنتج من هذا بان الأوروبيين قد درسوها واطلعوا عليها كثيراً واستفادوا منها في فترات معينة، لكن للاسف قد تنكر العالم الأوروبي لهذا الفضل الكبير الذي قدمه علمائنا وأجدادنا العظام تغمدهم الله برحمته الواسعة في كل مجالات الحياة للانسانية جمعاء.

لقد فقد كثير من تراثنا الاسلامي العسكري جراء الضياع والحرق والنهب والتدمير الذي أصاب الأراضي الاسلامية عبر العصور التاريخية من سلط الاعداء والكفار والذي سلم ونجا من هذه الثروة الثقافية ليس بالقليل على الرغم من الكثير الذي فقد.

لقد التفت علمائنا العرب الأفاضل في عصرنا هذا وهبوا مسرعين بتحقيق هذه الثروة القومية التي تمثل الفخر والاهتمام بالعلوم العسكرية والتطور العلمي عندهم حرصاً منهم عليها من الاندثار ومن أجل احياء تراثنا العسكري الخالد، ومن هؤلاء المهتمين الدكتور عبد الرحمن زكي من القطر المصري والاستاذ الفاضل اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب الذي يعتبر من روائد الثقافة العسكرية في القطر العراقي والاستاذ الدكتور كوركيس عواد وكتابه القيم (مصادر التراث العسكري عند العرب) وغيرهم كثيرون في أرجاء العالم العربي والاسلامي.

اضاف التراث الحربي الى مؤلفات علمائنا وأجدادنا العظام رحمهم الله برحمته الواسعة فضلاً كبيراً لما قدموا للانسانية من خير وعطاء. ومن المعروف بان تراثنا العربي الاسلامي تعرض للنهب والتدمير والضياع والحرق جراء ما أصاب الأراضي الاسلامية من غزوات الاعداء والكفار بالاضافة الى العوارض الطبيعية عبر العصور التاريخية، والذي سلم ونجا من تلك الثروة الثقافية الهائلة ليس بالقليل من ذلك الفيض الكثير، ومنه تراثنا العسكري المجيد ولقد التفت وانتبه اليه نخبه من علمائنا العرب والمسلمين، أضواء تاريخية على العسكرية الإسلامية في الأندلس من المخطوط الأندلسي: (كتاب البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار وغامض ما اجتمعت عليه الرماة بالأمصار) لأبي بكر الاشبيلي.

يزخر تاريخنا العربي الإسلامي بمؤلفات هائلة في المجال العسكري وغيره من الميادين، وله الدور المشرف والصفحة الرائعة من البطولة والإنسانية، تفتخر هذه الأمة العريقة بالتطور الحاصل في المجالات الحربية بما يتلائم وظروف الزمان والمكان عبر المراحل التاريخية التي عاشها أجدادنا الشرفاء الأماجد. امتلأت المكتبات العربية والعالمية

ومتاحفها باعداد هائلة من المخطوطات العربية وقد غصت بعضها بالمؤلفات الحربية العربية الإسلامية ومن هذه المكتبات: المكتبة الوطنية في مدريد وفرنسا، ومكتبة دير الاسكيوريال في مدريد، EL ESCORIAL.

ومكتبة المتحف البريطاني في لندن، ومكتبة غوطا في المانيا، ومكتبة احمد الثالث في تركيا، ومكتبة رضارأ مبور في الهند، وغيرها. أما المكتبات العربية التي تتوفر بها المخطوطات الحربية منها: مكتبة دار الكتب المصرية ومكتبة المتحف الحزبي في مصر، ومكتبة القصر الملكي في الرباط (الخزانة الحسنية)، والخزانة العامة في الرباط، ومكتبة التراث العربي في حلب، ومكتبة جامعة الدول العربية في القاهرة ومكتبة معهد المخطوطات العربية في القاهرة، والمكتبة الوطنية في الجزائر، ومكتبة دار صدام للمخطوطات في بغداد وغيرها بالاضافة الى المكتبات الخاصة في أرجاء المعمورة.

يلاحظ على المخطوطات الحربية في المكتبات العالمية بأن بعض من هذه المخطوطات العربية قد دونت على اوراقها ملاحظات باللغة اللاتينية، وتفسيره مما لا يقبل الشك بأن الأوروبين قد اطلعوا عليها جيداً واستفادوا منها حسب مجالات اختصاصات وضمن فترات معينة ومحدودة، وتم تطوير المعلومات المسئلة من المخطوطات العربية وإدخالها الى حيز العمل والإنتاج، ولكن للأسف بان العالم الغربي يتنكر لفضل هذه النظريات العربية والتي طورت أوروبا وأوصلتها الى درجة التقدم العلمي.

خصص المؤلفون العرب كتاباً لكل باب من أبواب الأسلحة أو التنظيمات الحربية، وقد تضمنت عدد من المؤلفات الحربية بنماذج من الأسلحة أو طرق القتال بالأسلحة كالسيف والرمح والقوس بالاضافة الى الأسلحة الدفاعية.

قام الباحثون العسكريون الافاضل في عصرنا هذا، فهبوا مسرعين لانقاذ ماتبقى من هذا التراث بتحقيق هذه الثروة القومية والدينية التي تمثل صفحه رائعة وبيضاء من الفخر والشجاعة والانسانية حيث الاهتمام بالعلوم العسكرية وما أصابها من تطور خلال العصور الماضية، حرصاً منهم على احياء التراث الخالد وتجنباً من الضياع على الرغم بان ما في هذه المدونات العسكرية من مادة حربية قديمة لا تتناسب والتطور التكنولوجي الحربي في ايامنا هذه، لكن مع ذلك تعطي للقارئ الكريم صورة واضحة على ماوصل اليه الاجداد من أفكار وابداعات تفوق تطورات العصر الحديث فارق الزمن والامكانات ومراكز العلم العاليه. ومن بين هؤلاء المهتمين الافاضل المرحوم الدكتور عبد الرحمن زكي من مصر المرحوم اللواء الركن المتقاعد الحاج محمود شيت خطاب والذي يعتبر من روائد الثقافة العسكرية في العراق وكذلك المرحوم الاستاذ الدكتور كوركيس عواد وكتابه القيم (مصادر التراث العسكري عند العرب) (أ) وغيرهم كثيرون في ارجاء العالم العربي والاسلامي.

اهتم اجدادنا المؤرخون العرب والمسلمون وولعوا كثيراً في التاليف في كل صنف من الأسلحة واساليب القتال التي استخدمت في الجهاد مع الاعداء، لذا نرى تعدد أبواب مؤلفاتهم العسكرية من كتاب يخص السيف أو القوس أو الرمح أو المنجنيق أو الدبابه والعرادة، إلى الاهتمام بالخيل والفروسية وطرق واساليب القتال والحيل الحربية ونصائح وتحذيرات للمقاتلين المجاهدين الصابرين امام الكفار والأعداء.

فالمخطوط الذي نتناوله بالبحث والدراسة هنا يعرض لنا معلومات عسكرية قيمة ومفيدة عن القوس وأنواعه واستخداماته وحوادث حربية حدثت في الأندلس متناثرة في لوحات متعددة من المخطوط الغير منشور، وكلها تشكل مادة جديدة ومفيدة وممتعة في تاريخ الأندلس العسكري.

ومن المعروف بان الأندلسيين كانوا من الرواد الذين اهتموا وولعوا كثيراً بالتاليف وبكل المجالات، ولكن للأسف والحيرة لم تصلنا مؤلفات كثيرة ومتعددة الأبواب عن الجانب العسكري، على عكس ماوصلنا من مؤلفات

المشارقة الذين افردوا لهذا الباب الحربي اهتماماً كبيراً في كل أصناف الأسلحة القديمة وخطط القتال والتعبئة والحيل الحربية وكل ما يمت بصلة بالجهاد الإسلامي.

ومما لا جدل فيه بان العلماء الاندلسيين قد كتبوا في الجانب الحربي الذي يمثل الجهاد الاسلامي، ولكن من المحتمل بان هناك أسباباً حالت دون وصول ذلك التراث الضخم الينا جراء الضياع والحرق والسلب والتدمير كما ذكر أنفاً.

ومما يلفت انتباهنا بان هناك بعض المؤلفات الاندلسية لعدد غير قليل من المؤرخين الاندلسيين الذين ولعوا واهتموا بالتاليف في الميدان الحربي من المعارك وأسلحة وطرق قتالية بالإضافة الى ماذكر عرضاً عن الحرب في المصادر التاريخية والأدبية الأندلسية اثناء التطرق عن المعارك.

سيرة المؤلف:

صاحب "كتاب البدائع والأسرار" لابي بكر الأشبيلي يكنى "بحل ثورة" كما ورد ذكره على نسخة مخطوطة في مكتبة برلين أما نسخة الخزانة العامة بالرباط فقد ذكر نسبه عليها "بالمالكي المهداوي" علماً بان النسختين دونتا بخط مشرقي واضح وجميل، ولكن نسخة المانيا تتميز على نسخة المغرب بجمال خط النسخ والوضوح.

للاسف لم نحصل على ترجمة كاملة عن حياة المؤلف في كتب تراجم الرجال الأندلسية والمشرقية، لذا اعتمدنا في ترجمته على ماورد ذلك على خاتمة نسخة برلين، كما ذكر اسم الناسخ وهو محمد بن حميد البطوشي المغربي.

اما نسخة الرباط فلم يرد فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. وكنية المؤلف بالمراوي لربم جائت خطأ من قبل الناسخ، ومن المحتمل أن تكون "المروي" نسبة الى مدينة المرية ALMERIA والتي تقع في الجنوب الأندلسي (قاعدة الاسطول الأندلسي) والتي انشئها الخليفة عبد الرحمن الثالث علم 345هـ مستدلين على ذلك لكثرة ماورد من معلومات على مدينة المرية في نسخ كتاب البدائع والأسرار، وربما ان المؤلف ينسب الى المرية أو عاش بها أو زارها أو اطلع عليها أو تتلمذ على يد معلمه (أبو عبد الله) الذي جاء ذكره في المخطوط مرات عديدة ومن الجائز ان يكون أبو عبد الله من المرية لاننا نجهل حياة المعلم هذا. علماً بان الأندلسيين كانوا يتلقبون باسماء مدنهم التي ولدوا بها او عاشوا أو استوطنوا بها كأبن حيان القرطبي (ت 469هـ/ 1076م) وابن حزم القرطبي والطرطوشي صاحب كتاب سراج الملوك وابن الخطيب الغرناطي (ت 776هـ/ 1277م) والبياسي وغيرهم كثيرون.

أما كنية المؤلف "حل ثورة" فمن الجائز ان المؤلف كان مولعاً بالثيران أو مصارع لها ولقد اشتهرت الأندلس بلعبة مصارعة الثيران التي أكدت عليها المصادر التاريخية الأندلسية.

من خلال مطالعة المخطوطات الحربية التي تهتم بدراسة الأقواس والسهام عثرنا على معلومات هامة اعتمدت على كتاب البدائع والأسرار ونقلت منه نصوص وقد نسبت الكتاب الى المؤلف ابو بكر الأشبيلي نسبة الى مدينة أشبيلية Sevilla قاعدة الأندلس بداية الفتح العربي الاسلامي لاسبانيا، كما أصبحت عاصمة الأمير المعتمد بن عباد آبان عهد الطوائف.

ان اغلب الكتب التي تناولت الجهاد الاسلامي قد نسخت واهديت الى الأمراء والخلفاء والسلاطين الذين حكموا في المدن الأندلسية أو المغربية عبر الفترات التاريخية، نستدل ذلك من خلال ما دون على الصفحات الاولى والمقدمات على المخطوطات التي اطلعنا عليها، ومن تلك المؤلفات:

1. الفقبة الغرناطي ابن ابي زمنين/ أبو عبد الله عيسى بن محمد (ت 399هـ/ 1008م) ومؤلفه (منتخب الاحكام) دراسة وتحقيق د. محمد عبد الوهاب خلاف/ في مجلة أوراق الاسبانية، وكتاب قدوة الغازي، دراسة وتحقيق مع ترجمة للاسبانية د. محمد بشير حسن راضي العامري، في أطروحة الدكتوراه

الموسومة (الجيش الإسلامي في عصر الخلافة الأندلسية) والتي نوقشت بتاريخ 7 شباط 1990 في جامعة مدريد المركزية/ كلية الجغرافية والتاريخ، والتي نالت درجة (امتياز شرف) وتم طبع الاطروحة في نفس السنة من الجامعة المذكورة، صفحات الكتاب (النص) 1032 – 1091.

2. المؤرخ الغرناطي ابن هذيل/ علي بن عبد الرحمن من القرن 7هـ/ 14م) ومؤلفاته العسكرية:

- (حلية الفرسان وشعار اهل الشجعان) تحقيق محمد عبد الغني حسن، القاهرة 1951 وترجم للاسبانية للمستشرقة الدكتورة ماريا خسوس بيكرا، مدريد 1977.
- (تحفة الأنفس وشعار سكان أهل الأندلس) نشر مع ترجمة بالفرنسية مع لويس مرسي/ باريس 1936.
- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسه) نشر وطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة 1357هـ/ 1938م، يعمل الصديق المستشرق الاسباني فرانشيسكو رويث خخيرلا في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية والإسلام/ جامعة مدريد المركزية على تحقيقه من جديد مع ترجمته للاسبانية لنيل شهادة الدكتوراه.

3. الفقيه والمؤرخ الطرطوشي/ ابو بكر محمد بن الوليد الفهري- ونسبه يعود الى مدينة طرطوشة بالأندلس (ت 520هـ/ 1126م) ومؤلفاته:

- (سراج الملوك) المطبعة المحمدية/ القاهرة 1354هـ/ 1935م.
- (الحوادث والبدع) تحقيق محمد الطالبي/ تونس 1959.

4. ابن حبيش/ ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد (504- 584هـ/ 1110-1188م) ومؤلفه:

- كتاب الغزوات/ تحقيق د. احمد غنيم، القاهرة 1980.

5. البياسي/ يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري- من بياسه بالأندلس (ت 653هـ/ 1255م) ومؤلفه:

- كتاب الإلمام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام/ تحقيق شفيق حاسر احمد محمود/ عمان 1989، وقد أهداه المؤلف الى الأمير أبو زكريا يحيى بن أبي حافظ صاحب أفريقية (ب).

يؤكد لنا من دون شك ان مؤلفنا اصله أندلسي، وقد أورد لنا معلومات مهمة عن الأمير المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية (ج)، كما سيرد في المعلومات القادمة.

ونستطيع ان نجزم دون أي تردد ان هذا الكتاب كان فريد ومهم ويعتبر مصدر أساسي في دراسة القوس العربي والأجنبي في الأندلس طيلة العصور الوسطى.

ومن المخطوطات والكتب المطبوعة التي اخذت من كتاب البدائع والأسرار، والتي اطلعنا عليها وهي بحوزتنا من مكتبات متعددة عربية وأجنبية، وسمت المؤلف بالأشبيلي هي مايلي:

1. (كتاب القول التام في فضل الرمي بالسهام) لشمس الدين السخاوي (ت 902هـ/ 1496م) (صاحب كتاب الضوء اللامع لاهل القرن التاسع) والذي يقع في 12 جلد/ نشر مكتبة القدس/ القاهرة 1335هـ المخطط يعود إلى مكتبة دير الاسكوريال بمدريد/ اسبانيا تحت رقم 765 وهناك نسخة اخرى بدار الكتب المصرية. حيث وردت المعلومات (في كتاب القول التام ورقة 39ب، 22أ) (والمعلومات في كتاب البدائع والاسرار، ورقة 10أ، 112أ عن نسخة برلين)

2. (كتاب هداية الرامي في الاغراض والمرامي في رمي النشاب) محمد بن عيسون الحنفي السنجاري، ألفه سنة 855هـ/ 1451م. مخطوط مكتبة الجامعة العربية بالقاهرة تحت رقم 21 ادبيات (وردت المعلومات في

الورقات 27ب، 37ب، 74ب، 76ب، 73أ، 73ب، 77ب (وفي كتاب البدائع والاسرار تقع في الورقات: 4ب، 8أ، 21أ، 48أ عن نسخة برلين. حيث ان السنجاري قد أخذ المعلومات من كتاب البدائع والاسرار ولكنه لم يذكر الكتاب في بعض الأماكن من مؤلفه تجنباً لتكرار اسم الكتاب.

3. (كتاب السبق والرمي/ لمؤلف مجهول/ تحقيق عيد ضيف العبادي مجلة المورد، المجلد 12، عدد4، بغداد 1404هـ/ 1983م، ص 39- ص 419.
4. (كتاب الرماية والقتال وادواتها) المجهول المؤلف/ مخطوط مدرسة يحيى باشا الجلبي- المفصل مصور بالمكروفيلم 4 عسكرية في المجمع العلمي العراقي (ورقة 4أ، 4ب، 5أ).

لقد قدم لنا مؤلف كتاب البدائع والاسرار---) معلومات وافية عن القوس بكل جوانبه في فصول متعددة، تستحق ان تكون معلومات ومصدر أساسي لكل باحث ومهتم بالقوس العربي والأجنبي، بالاضافة الى النبال، وأساليب القتال والرماية بواسطة القوس، حيث كان المؤلف ينقل هذه المعلومات المهمة عن القوس في الأندلس من معلمه ابو عبد الله- كما ورد سابقاً- والذي يبدو انه كان شيخ متمرس بعلمه في الأندلس في وقته. وللاسف لم يذكر لنا المؤلف عن اسمه الكامل ونسبه أو كنيته لنبحث عنه في مصادر اعلام الرجال في الأندلس أو المشرق. ولقد اورد لنا المؤلف المعلومات التي نقل من استاذه (ابو عبد الله) في الورقات 4ب، 8أ،- وما بعدها 12أ، 13أ- وما بعدها، 21أ، 43أ، 48أ، عن نسخة برلين علما بان هذه المعلومات التي وردت في المخطط لم نعثر عليها في المدونات أو المطبوعات العسكرية الاندلسية او المشرقية، مما جعل لها قيمة تاريخية مهمة ومفيدة للباحث. هناك معلومات تفيد بان الاندلسيين لم يستخدموا القوس العربي او قوس اليد كما أورد لنا ابن سعيد المغربي (610- 685هـ/ 1213- 1286م) صاحب كتاب البدائع والاسرار---).

ومن الجائز ان القوس العربي قد استخدم في الأندلس لفترة معينة وقصيرة ثم تطور مع تطور الأسلحة الاخرى جراء نشاط فتوحات الجهاد الاسلامي في الأراضي الاسبانية الشمالية وقد تطورت صناعته ليواكب تطور القوس الذي استخدمه الاعداء، او قد تم استخدامه وصناعته في بعض الجهات أو المدن (الكور) الأندلسية التي لم يسمع أو يطلع عليها الفقيه ابو بكر وابن سعيد المغربي.

ولقد كان القوس المركب او المعقد أو الأجنبي معروفاً وشائعاً وهو الذي يقذف عدد كبير من السهام وباحجام مختلفة في معارك كثيرة. وفي الحقيقة نستطيع ان نقول بان المؤلفين الاثنين قد وقعا في نفس الخطا عندما ذكروا ان القوس العربي لم يستخدم في الأندلس، علماً بان هناك نص يفيد بان في عصر المنصور بن أبي عامر كانت مصانع الأسلحة في قرطبة تنتج حوالي 6000 قوس عربية سنوياً.

ومن المفيد ان نذكر الفصول التي احتواها كتاب البدائع والاسرار في حقيقة الرد والانتصار وغامض ماجتمعت عليه الولاة بالامصار)

1. الفصل الأول: في فضل الرمي ونواع القسي وتفضيلها.
2. الفصل الثاني: في استنباط انواع القسي ومن رمى بها، وأول من رمى بها.
3. الفصل الثالث: في تسمية اجزاء القوس، وذكر أنواع صناعة الرمي ويبن أطواله وفروعه.
4. الفصل الرابع: في علل الرمي وافاته وكيفية الاحتياط في زوالها.
5. الفصل الخامس: في النسب والمقادير من السهام والقسي والاغراض.
6. الفصل السادس: في صناعة السهام وصفة سهام الطراد.
7. الفصل السابع: في الرمي بالروداني والخضان. الدوداي والحسبان (الرباط).

8. الفصل الثامن: في أنواع الأوتار والكستبانات وضعتها واوزانها وما يصلح منها بكل قوس وبكل هوى.
9. الفصل التاسع: في ملح بالسهام الطوال وتبيان غوامضه.
10. الفصل العاشر: في ملح الرمي بالمجازي وتبيان غرائبه.
11. الفصل الحادي عشر: في نصب الاغراض والرمي عليها والرمي المناظر، والرمي بجميع السلاح مع القوس.
12. الفصل الثاني عشر: في السبق وحيلة، وما في المناصلة من الحلال والحرام وتبيين ذلك كله.

أما أهم المعلومات التي أوردها لنا المؤلف عن استخدام القوس والأحداث العسكرية في الأندلس، وهي مادة جديدة تضيف لنا أخبار مفيدة، حيث ذكرت في صفحات مختلفة من المخطوط، وكما ذكرنا آنفاً بان هذه المعلومات لم نعثر عليها في المصادر الأندلسية والمشرقية الاخرى، وتشكل نصوص مهمة وجديدة عن القوس في الأندلس وهي:

- مقدمة من العسكرية في الأندلس.
- المصادر الذي ذكرها بروكلمان/ كوركيس عواد.
- الكتب التي اعتمد عليها المخطوط.
- الكتب الأندليسية والمشرقية التي اهتمت بالقوس.

أبواب المخطوط النصوص التي تحدثت عن الأندلس بوضوح:

معنا ان وقع على ترجمة اخرى للمؤلف، خدمة للثقافة العربية الاسلامية فله منا مقدما جزيل الشكر، من أجل ازالة هذا الاشكال في نسب المؤلف لحد اعداد هذا البحث. اما كنية المؤلف (حل ثورة) فمن الجائز ان تكون (حل ثورة) أي الذي اطلق ثورة، ومثل هذه الألقاب معروفة في الأندلس، حيث ان ظاهرة وجود الثيران في الأندلس ومصارعتها معروفة قديماً ولا تزال منتشرة، لذا قد يكون الناسخ اتسكلها خطأ. ومن خلال متابعتنا المستمرة في المخطوطات العسكرية المتعددة، تبين لنا ان هناك عدداً من المؤلفات العسكرية التي اهتمت بدراسة الاقواس والسهام استفادت كثيراً وتأثرت وأخذت معلومات مهمة في مجالات متعددة عن القوس واستخداماته من (كتاب البدائع والاسرار-) حيث ذكروا ان مؤلف هذا الكتاب هو ابو بكر الأشبيلي، مما يؤكد لنا من دون شك ان مؤلفنا اصله اندلسي، بالضافة الى انه أورد لنا معلومات مهمة عن الملك المعتمد علي الله بن عباد صاحب اشبيلية، كما سيرد في معلومات التي ذكرت في المخطوط نقلاً عن اساتذه ابي عبد الله التي كانت له شهرة وسمعه وحضوه عند حاكم اشبيلية ويبدو انه كان من سكنة اشبيلية.

ونستطيع ان نقول دون تردد ان هذا الكتاب كان فريد عصره في باب القوس وكان مصدراً يعتمد عليه لما فيه من معلومات واسعة ومهمة. فمن المخطوطات والكتب المطبوعة التي اخذت من (كتاب البدائع والاسرار في حقيقة الرد والانتصار وغامض ماجتمعت عليه الولاة بالامصار) والتي اطلعنا عليها وهي بحوزتنا من مكتبات متعددة عربية وأجنبية، وقد سمت المؤلف بابي بكر الأشبيلي هي:

1. (كتاب القول التام في فصل الرمي بالسهام) لشمس الدين السخاوي (ت 902هـ/ 1496م) صاحب (كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) والذي يقع في 12 مجلد/ نشر مكتبة القدس/ القاهرة 1335هـ. المخطوط يعود الى دير الاسكوريال بمدريد/ اسبانيا تحت رقم 765 وهناك نسخة اخرى بدار الكتب المصرية. حيث وردت المعلومات (في كتاب القول التام ورقه 39ب، 22أ) (واصل المعلومات في كتاب البدائع والاسرار، ورقه 10أ، 112أ، عن نسخة برلين).

2. (كتاب هداية الرامي في الاغراض والمرامي في رمي النشاب) محمد بن عيسون الحنفي السنجاري، ألفه سنة 855هـ/ 1451م. النسخة الأصلية وتعود الى مكتبة الجامعة العربية بالقاهرة تحت رقم 21 ادبيات (وردت المعلومات في الورقات 27ب، 37ب، 74ب، 67ب، 76ب، 73أ، 73ب، 77ب (واصل المعلومات في كتاب البدائع والاسرار تقع في الورقات 4ب، 8أ، 21أ، 48أ، نسخة برلين حيث ان السنجاري قد اخذ المعلومات الاخرى من كتاب البدائع والاسرار ولكنه لم يذكر الكتاب في بعض الأماكن من مؤلفة تجنباً لتكرار اسم الكتاب والمؤلف.

3. (كتاب السبق والرمي/ لمؤلف مجهول/ تحقيق: عيد ضيف العبادي مجلة المورد، المجلد 12، عدد 4 بغداد 1404هـ/ 1983م ص 379-419.

4. (كتاب عن الرماية والقتال وادواتها) لمجهول المؤلف/ مخطوط مدرسة يحيى باشا الجلبي- الموصل، مصور بالميكروفيلم برقم 4 عسكرية في المجمع العلمي العراقي (ورقات 4أ، 4ب، 5أ،)

لقد قدم لنا (كتاب البدائع والاسرار) معلومات وافيه وكامله ونظريات وراء نقلها ابو بكر عن استاذه ابي عبد الله الذي يبدو انه كان شيخاً متمرساً ومعروفاً بعلمه في الأندلس في وقته (كما ذكرنا سابقاً) وللأسف لم يذكر لنا المؤلف عن اسمه الكامل ونسبة أو كنيته ليتسنى لنا ان نبحث عنه في كتب اعلام الرجال لعلنا نعثر عليه ونستفيد من ترجمته. ولقد اورد لنا المؤلف المعلومات التي تقل اخبار عن استاذه (ابو عبد الله) في الورقات 4ب، 8أ، وما بعدها، 11أ، 12أ، 13،- وما بعدها 21أ، 43أ، 48أ، عن نسخة برلين.

علماً ان هذه المعلومات التي وردت في المخطط لم تدون من قبل في المطبوعات العسكرية الأندلسية أو المشرقية، مما يجعل لها قيمه تاريخية مهمة ومفيدة للباحث. لقد اعتمد المؤلف ابو بكر الأشبيلي في كتابه البدائع والاسرار على أهم وأشهر المؤلفات العسكرية في باب الاقواس المعروفه في زمانه كالمصنفات المشرقية للطبري والمسعودي والطبرستاني والنجفي وابو عبيده والاصمعي ومؤلفاتهم القيمة التي ذكرها في المتن وفي صفحات متعدده من الكتاب (الورقات 9ب، 10أ، 15ب، 22ب، 24أ، نسخة برلين) هذا وان ابا بكر الاشبيلي قد استفاد واطلع على نظريات واراء اشهر الحرفيين ذوي الخبرة العريقة في صناعة القوس واستخداماته في القتال ومؤلفاتهم وقد انتقى لنا ملخصاً مفيداً في كل جانب من القول، ونستدل ذلك من العبارة التالية: (قال المؤلف رحمه الله: ولقد رأيت كثيراً من كتب المؤلفين في هذه الصناعة فما رايت احدا ذكره ولا بينه، وقليلاً مارايت من يدعي هذه الصناعة يحسنه... الورقة 18 نسخة الرباط، اما الاسلوب الذي اتبعه (كتاب البادائع والاسرار) فكان الايجاز في العرض مع توضيح وافي في كل باب من أبواب الكتاب وعند كل مساله مما يعطينا فكرة مقنعة وواضحة عن براعة وعلم واسلوب المؤلف الرفيع والمبدع، يؤيد هذا الكلام ما أورده لنا: (لو اوردنا استقصارها لخرجنا الى الاطالة وليس غرضنا من كتابنا الا الاختصار ان شاء الله ورقة 28 نسخة الرباط، ورقة دب، نسخة برلين مع اختلاف بسيط).

ويبدو ان ابا بكر الاشبيلي قد شارك في الحملات الجهادية ومنها المعارك البحرية ضد الأعداء من خلال ما أورده لنا من الخبر التالي: (-- ولقد شهدت غزوة في مراكب المسلمين وكان عندنا ثلاثة من الرماة بهذا القوس محسنين فلما تناشبها القتال مع العدو ونزلوا الى تكبيد قسيهم فاقبلت عليهم رشة من حجر كوابل المطر فطرحاها في الارض وجعلوا يستترول فلما خف ذلك قليلاً جنحوا الى تكبيد قسيهم فاقبلت عليهم رشة ثانية وكل واحد منا مشغول بنفسه فنبذوها بالعراء وجعلوا يرمون بالحجر ولم يستطيعوا بها دفع الضرر... ورقة 12ب، عن نسخة برلين، ورقة 53 عن نسخة الرباط).

ان لهذا النص قيمة تاريخية مهمة في تفسير الاحداث العسكرية لربما التي وقعت في الأندلس، لكن للاسف لم يذكر لنا المؤلف ابو بكر اسم المعركة الحربية وفي أي سنة؟ واي مكان من البحر؟ ومع من؟ لكانت الصورة للاحداث بشكل واضح ومفيد للحادثة الحربية للاسطول الاسلامي.

لقد كان للاراء والتحليلات التي عرضها لنا المؤلف عن القوس واستعمالاته تعطينا صورة واضحة عن سعة علمه وخبرته في هذا الباب الى درجة انه انتقد بعض المؤلفين لعدم معرفتهم وطلاعهم على المؤلفات العسكرية (... قال المؤلف رحمه الله: وانما جهل أكثر المؤلفين للمذاهب... ورقه 38 نسخة الرباط).

لقد تناول المؤلف الحديث عن القوس في الولايات الاسلامية: الاندلس، العراق، الحجاز ومصر دون ان يعرض لنا عن استخدامات القوس في الولايات الاسلامية الاخرى، لربما لاطلاعة الواسع على مؤلفات هذه الولايات، او قد زارها او اطلع على فنها (... ويجعلون العقب في القوس اقل اجزائها واما أهل العراق فان العقب عندهم والقرن اجزاء متساوية وانما هذا الاختلاف هو بلدانهم، وأما أهل الحجاز فأهل باديتها لا يرومون الا بعود النبع والشوحط) الورقه 183 نسخة الرباط وكذلك 292.

ان هناك خبر يفيد بان الاندلسيين لم يستخدموا القوس العربي أو قوس اليد كما أوردها لنا ابو بكر الاشبيلي، وكذلك ذكر لنا ابن سعيد المغربي (610- 685هـ/ 1213- 1286م) صاحب "كتاب المغرب في حلى المغرب" ويبلغ من اعتناء الأندلسيين بالسهم انهم كانوا يزركشونها بالريش (270 من ابن سعيد).

ومما لاشك فيه ان القوس العربي قد استخدم في الأندلس والمغرب كما استخدم في المشرق الاسلامي، لكن ربما استخدم لفترة زمنيو معينة وقصيرة تبعاً لتطور الأسلحة حسب المناطق الجغرافية جراء نشاط الفتوحات اثناء الجهاد الاسلامي في الأراضي الاسبانية الشمالية (الممالك المسيحية)، حيث تطورت صناعة القوس ليواكب التطور الحاصل للسلاح عند الكفار الاعداء، من المحتمل ان ابا بكر الأشبيلي، وابن سعيد المغربي، لم يسمعوا أو يطلعوا على استخدام القوس العربي في بعض الكور والجهات الأندلسية وخصوصاً في بداية الفتح الاسلامي وحتى نهاية عصر الخلافة الاندلسية او أبعد من هذا التاريخ. اضافة لهذا ان القوس المركب أو المعقد أو الأجنبي كان معروفاً وشائعاً في بعض الجهات الاندلسية وخصوصاً في الثغور الشمالية المواجهة للممالك المسيحية، حيث كان أكثر تطوراً وأعقد من القوس العربي، وكان يقذف عدداً كبيراً من السهام وباحجام كبيرة ومختلفة.

ونستطيع ان نقول صراحة ان المؤلفين الاثنين قد وقعا في نفس الخطا، عندما أنكروا استخدام القوس العربي في الأندلس، في حين لدينا نص تاريخي واضح يفيد بان في عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله وفي عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر بشل دقيق كانت مصانع الأسلحة في قرطبة تنتج حوالي 6000 قوس عربية سنوياً.

فبحثنا هذا يتناول معلومات عسكرية عن القوس وأنواعه واستخداماته وحوادث حربية وقعت في الأندلس متناثرة في المخطوطات تم استخراجها من المخطوط الغير المنشور (كتاب البدائع والاسرار..) للفقيه ابو بكر محمد بن عبد الله بن اصبغ الهراوي المعروف (بحل ثوره) أو (بالمالكي المهداوي) عن نسختين فريدتين الاولى في مكتبة برلين الشرقية (غوطا) تحت رقم 5538 والثانية في الخزانة العامة بالرباط (المغرب) وتحمل رقم ق 32 ضمن مجموع يتضمن معلومات عن العسكرية الاسلامية. ولقد ذكر بروكلمان في كتابه"(*) ولم يعرف عن حياة مؤلفه سوى انه اندلسي وله

(*) Dr. c. Brockelmann.

نسخة في مكتبة برلين وكوركيس عواد في كتابه مصادر التراث العسكري اللغات العسكري"(*). ومن المعروف بان الأندلسيين اهتموا كثيراً بالتأليف بكل المجالات ومنها التاريخية، ولكن للأسف لم تصل بعض مؤلفاتهم وذلك في الميدان العسكري على عكس المؤرخين المشارقة الذين افردوا لهذا الباب الحربي اهتماماً كبيراً فقد الفوا في الأسلحة كالسيف والقوس والرمح والسهم والمنجنيق والدبابة وغيرها وكذلك في خطط القتال والتعبئة والحيل الحربية وكل مايمت بصله بالجهاد الاسلامي. ومما لاشك فيه بان العلماء الاندلسيين قد كتبوا بالجانب الحزبي الذي يمثل الجهاد ولكن من الجائز ان أسباب حالت دون وصول ذلك التراث الينا من ضياع وحرق وسلب كما ذكرنا انفاً. ومع كل ذلك فلدينا بعض المؤلفات العسكرية لعدد لا بأس به من المؤرخين الأندلسيين الذين اهتموا بالميدان الحربي من معارك وأسلحة وطرق قتالية بالاضافة الى ماورد عرضا في المصادر التاريخية والأدبية الأندلسية وقد نسخت هذه الكتب واهديت الى الامراء والخلفاء والسلاطين في الأندلس عبر الفترات التاريخية في الأندلس والمغرب من خلال ما دون على الصفحة الاولى للمخطوطات والمقدمات أمثال:

1. الفقيه الغرناطي ابن ابي زمنين (ت 399هـ/ 1008م) ومؤلفاته:

(منتخب الاحكام) دراسة وتحقيق د. محمد عبد الوهاب خلاف/ مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد- 3ج1 الكويت جمادي الاول شوال 1406 يناير يونيو 1986 و (قدوة الغازي) دراسة وتحقيق مع ترجمة للاسبانية د. محمد بشير حسن راضي في أطروحة الدكتوراه الموسومة (الجيش الاسلامي في عصر الخلافة الأندلسية) والتي نوقشت بتاريخ 7 شباط 1990 في جامعة مدريد المركزية/ كلية الجغرافية والتاريخ والتي نالت درجة (امتياز شرف) وقد تم طبع الاطروحه في نفس السنة في الجامعة المذكورة، الصفحات 1032- 1091 (النص)

2. المؤرخ ابن هذيل الغرناطي (من القرن 7هـ/ 14م) ومؤلفاته العسكرية:

- (حلية الفرسان وشعار أهل الشجعان) تحقيق محمد عبد الغني حسن، القاهرة 1951 وترجم للأسبانية للمستشرقة الدكتورة ماريا خسوس بيكيرا/ مدريد 1977.
- (تحفة الانفس وشعار سكان أهل الأندلس)/ نشر مع ترجمه بالفرنسية لويس مرسي/ باريس 1936.
- (عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة) نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهره 1357/ 1938/ يعمل المستشرق الاسباني فرانشسكوا رويث خيرلا في جامعة مدريد المركزية/ كلية الاداب على تحقيقه مع ترجمة للأسبانية لنيل شهادة الدكتوراه.

3. الفقيه والمؤرخ ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي- نسبة الى المدينة طرطوشه بالاندلس- (ت 520هـ/ 1126م) ومؤلفاته:

(*) Geschichet Der Arabischen litteratar, Leiqen. E. J. Brill 1938 T./ p. 166,14 militaria unot Jagd, landwirtschaft.

- (سراج الملوك) المطبعة المحمدية/ القاهرة 1354هـ/ 1935م.
- (الحوادث والبدع) تحقيق محمد الطالبي/ تونس 1959.

4. ابن حبيش (الفقيه المؤرخ) (ت 584هـ/ 1188م) ومؤلفه:

- كتاب الغزوات/ تحقيق د. احمد غنيم/ القاهرة 1980.

5. البياسي/ يوسف بن محمد بن ابراهيم الانصاري- من بياسه Beaza بالأندلس (ت 653هـ/ 1255م) ومؤلفه:

- كتاب الالمام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام/ تحقيق شفيق جاسر احمد محمود/ عمان 1989 وقد اهداه المؤلف الى الأمير ابو زكريا يحيى بن ابي حافظ صاحب أفريقية (ب).

فمخطوط (كتاب البدائع والأسرار...) يعرض لنا معلومات وافيه وأساسية عن الأقواس الحربية التي استخدمت في الأندلس عبر العصور التاريخية، كقوس اليد أو ما يسمى بالقوس العربي وكذلك يطلق عليه بالقوس البسيط تميزاً له عن قوس الرجل أو القدم أو ما يسمى بالقوس الأجنبي أو المركب أو المعقد.

كشاف عن مشاهير الأطباء الأندلسيين ومؤلفاتهم المخطوطة والمطبوعة*

الخلاصة:

تناولنا التعريف باعلام الأطباء بالاندلس ومؤلفاتهم التي لا تزال مخطوطة في مكتبات العالم وذكر المؤلفات المطبوعة، اذ انجبت مدن الاندلس مشاهير الاطباء اثناء الازدهار الحضاري في عهد الامارة والخلافة، وبلغ التطور الطبي في خلافة عبد الرحمن الناصر اذ انجبت قرطبة كبار الاطباء والصيادلة امثال ابن جلجل الاندلسي الذي صنف 6 كتب في الطب اشهرها "طبقات الاطباء والحكماء" والزهراوي صاحب كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" وابن رشد القرطبي الذي ألف 16 كتاباً في الطب والعلاج، وقد ترجمت الى اللغات الأجنبية عدد كبير من المؤلفات الطبية ولا تزال تدرس في الجامعات الغربية.

نأمل من بحثنا اطلاع المهتمين للاستفادة والاطلاع والسعي الى تحقيق تراثنا العربي، والتعريف بالدور الحضاري للعرب في الاندلس وتأثيرهم على النهضة الأوروبية في العصور الوسطى، بفضل الاسلام وتشجيع حكام الاندلس، والحاجة الى التعرف على الامراض ومعالجتها، والرخاء الاقتصادي الذي انعم به الاندلس وظهور العلماء في المدارس والمساجد، واطلاع العرب على الحضارات الاخرى.

كان الاندلسيون مولعين ومهتمين بالتأليف في مختلف العلوم مما ادى الى ظهور حضارة عربية اسلامية مزدهرة في شبه الجزيرة الاندلسية (La Peninsula Iberica) ضمت كل اصناف العلوم في العصور الوسطى، حيث تهافت عليها الاوربيون من بقاع العالم يستجدون من منهلها العريق في دراساتهم وابحاثهم، وبالنتيجة تركت آثارها واضحة ومؤثرة في ميادين العلوم ومنها الطب.

لقد عنى العرب والمسلمون عناية كبيرة بالطب باعتباره احد الابواب الهامة للعلوم الاسلامية الصرفة، فدرسوا واستفادوا من تجارب وخبرات وحضارات الامم والشعوب القديمة واضافوا عليها وابدعوا في ميادينه، وصنفوا علومه إذ كانت ملاحظاتهم وخبراتهم وابداعاتهم وبراعتهم هي القاعدة الاساسية لمنهج الاندلسيين في التصنيف الطبي. ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار الحضارة الاندلسية وتألقها في العلوم، انه عندما دخل المسلمون الجزيرة الايبرية احترموا اهلها وعاداتهم وتقاليدهم وديانتهم، مم ساعدهم على نشر رسالتهم وتعاليمهم ونجاح دعواتهم دون عنف واجبار، ولذلك قبل سكان البلاد الاسبانية الحضارة الاسلامية الجديدة العلمية والعادلة والنافعة واستساغوها واقبلوا على معرفتها ودراستها والايمان بها والتمسك بها طوعا واختيارا لاتعسفا واجبارا.

كانت قرطبة Cordoba حاضرة الاندلس واعظم مركز للعلوم والمعارف الاسلامية في اوربا في اثناء العصور الوسطى بالوقت الذي كان الجهل والظلام والمرض يسود العالم المسيحي، ولذلك كان يتوافد اليها من المشرق والمغرب الاهل والاصدقاء والجيران، وقد قصدها عدد كبير من الامراء ورجال الدين والفكر والعلم، فقد زارها حاكم مملكة نبارا Navarra سانجو السمين Sancho el Gordo ابن الملكة طوطة Tota للشفاء من سمنته المفرطة حيث تم علاجه وشفاؤه من اطباء قرطبة في خلافة عبد الرحمن الناصر.

لقد بلغ ازدهار الطب والصيدلة ذروته في عصر الخلافة الاندلسية (300- 400هـ/ 912- 1009م) منذ تولي عبد الرحمن الناصر (الثالث) الحكم في الاندلس عام (300- 350هـ/ 912- 961م) وابنه الخليفة الحكم المستنصر بالله (350- 366هـ/ 961- 976م) الذي يرجع اليهما الفضل في انشاء اول جامعة متطورة في قرطبة وتشجيعها للعلم والعلماء واستقدامهما من كل بقاع العالم الى قرطبة، واغداقهما الاموال على اقتناء امهات الكتب في مختلف العلوم، بالاضافة الى ما كان يصل اليهما من الهدايا من حكام وملوك الدول المجاورة كوصول كتاب ديوسقوريدس في النبات

والاعشاب هدية من ملك القسطنطينية الى الخليفة بقرطبة حيث يذكر المؤرخ المقري عنة في نفحة: (ذكر ابن حيان وغير واحد ان ملك الناصر بالاندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق امة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية) وذكر لنا ابن خلدون في عبره عن المكانة التي وصلت اليها قرطبة اثناء حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر، مايرويه لنا: (ومدت اليه امم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان، واوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومه والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتماد فيما يعن في مرضاته.ووصل الى سدته الملوك من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين لجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب اليها من الثغور الجوفية، فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه).

نظراً لاستقرار الحالة السياسسية والازدهار الاقتصادي الذي تمتع بهما الاندلس وكان لهما اثر ودور مهم في انتعاش الحضارة الاندلسية بعصر الخلافة في الاندلس. ذكر المستشرق الهولندي دوزي Dozy ان الخليفة عبد الرحمن الناصر كان جديراً بالتقدير والاعجاب اهلاً لخلود اسمه في سجل العظماء والخالدين، وكان ابنه الحكم الثاني (المستنصر بالله) يحاكيه في سيرته العلمية فقد رباه والده على صفوة من ادباء ذلك العصر.

ان من يدرس تاريخ العرب والمسلمين وحضاراتهم في الاندلس ويتفحص مصنفاتهم المخطوطة والمطبوعة يقف بحيرة ودهشة واحترام امام تراث علمي ضخم لو نثرته على الانهار والبحار والمحيطات لما استوعبته لكثرة صفحاته، ان هذا التراث شمل شتى ضروب المعرفة العلمية والانسانية. وبالرغم من الدراسات المستفيضة لم يأخذ ذلك التراث الهائل حقه في الدراسة والتحقيق والتقييم، اذ مازالت اعداد كبيرة من المؤلفات المفقودة والمخطوطات الطبية منها راقدة في رفوف المكتبات العربية والعالمية تنتظر التحري والتدقيق والدراسة والتحقيق والترجمة من ذوي الاختصاص والخبرة. ومما يجدر الاشارة اليه في كتاب مختصر الطب للدكتور كمال السامرائي ماجاء بالعبارة الاتية: (معلوماتنا عن اطباء العصر الاموي، فيما يخص اعمالهم في الطب نزرة وتعتمد على مصادر موجزة، وفي بعضها كثيراً من الغموض وعدد الاطباء الذين نعرفهم في هذه الحقبة قليل جداً. وليس من المعقول ان لا يكون في اقطار هذه الخلافة التي تمتد من شواطئ المحيط الاطلسي غرباً الى حدود الصين مع الهند وفارس شرقاً الا بضعة اطباء في دمشق، وواحد او اثنان في الكوفة، وواحد في البصرة وواحد في انطاكيا، ثم لانعرف طبيباً واحداً في الاندلس او المغرب او تونس او بلاد العجم. وجهلنا بأسماء الاطباء في تلك الاقطار لا يدل علة كل حال على وجود اطباء هناك..) في حين الحقيقة والواقع يؤكد عكس ذلك لذا راينا من الفائدة والثواب وخدمة للتراث العربي والاسلامي ان نقدم هذا الكشاف الطبي للتعريف بمشاهير الاعلام من اطباء الاندلس ومصنفاتهم ونبذة مختصرة عن حياتهم ومؤلفاتهم من اجل حث المهتمين والمختصين من المؤرخين والاطباء والصيادلة والاختصاصيين من اجل التعاون معاً على توجيه طلبة البكالوريوس والدراسات العليا للقيام بدراسة النافع والجديد من المخطوطات والحقيقة لانقاذه من الضياع والتلف والتحريف، لان خدمة المخطوط في اعتقادي جزء من العبادة، حيث ان هذه المصنفات وجدت لمنفعة الانسانية وانقاذها من الامراض والضياع، ومن المعروف لدى الباحثين بان المستشرقين الاوربيين يشجعون الطلبة ولا سيما العرب على نيل الماجستير والدكتوراه بتحقيق مثل هذه المخطوطات العربية غير المنشورة مهما كانت عدد الاوراق بالمخطوطة، من اجل الاستفادة من معلوماته الجديدة، فهم يستنفعون من علمنا بواسطة ابنائنا، فنحن اجدر بالمنفعه ةالتحقيق قبلهم والله الموفق والمعين.

قائمة بمشاهير الاطباء الاندلسيين ومؤلفاتهم حسب اسماء المدن الاندلسية التي ولدوا فيها او تربوا فيها:

قرطبة Cordoba

- ابن جلجل: ابي داود بن حسان الاندلسي.

ولد بقرطبة عام 329هـ/ 940م، وتوفي بعد عام 348ه/ 994م. (انظر: المقري، نفح الطيب ج3/ 175. الخطابي، الطب والاطباء بالاندلس الاسلامية ج1/ 45)

مؤلفاته الطبية:

1. (تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس) Dioscorides مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد Biblioteca Nacional de Madrid رقم CCXXXIII وهناك نسخة في مكتبات حلب وطهران.
2. (مقالة في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديوسقوريدس Dioscorides في كتابه)، مما يستعملها في صناعة الطب وينتفع بها وما لايستعملها كي لايغفلا عن ذكرها مخطوط مكتبة بودليان Hyde Bodieian) Library, Oxford n573 34/ 3) مخطوطة، نور عثمانية، اسطنبول n3589.
3. (مقالة في ادوية الترياق)

مخطوط Bodleian Library, Oxford, n47

4. (ارسال التبين في ماقالت فيه بعض المتطببين) (مفقود)
5. (طبقات الاطباء والحكماء) (الفه سنة 377ه/ 987م) تحقيق: فؤاد سيد مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.
6. (تفسير المقالات الخمس من كتاب ديوسقوريدس).

مخطوط ايران مجلس شواري برقم 1538/ 1 نسخة جامعة حلب 734 (في 7 ورقات) وهناك مقالات ودراسات عديدة كتبت عن ابن جلجل من العرب والمستشرقين امثال الاسباني خوان بيرنيت J. Vernet وبابيرو رويث E. L. L. Ruiz.

- ابو جعفر الغافقي: ابو جعفر احمد بن محمد بن السيد الغافقي ولد بقرطبة (؟) وتوفي عام 560ه/ 1165م. (انظر: المقري، نفح الطيب، ج2/ 691، ج3/ 185).

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الادوية المفردة) مخطوط مكتبة غوطة بالمانيا n1998, Gottingen مخطوط Bodleian Library, Oxford, n. 1/ 631/ 1. دراسة وتحقيق M. Meyerhof Y. G. P. Sobhy القاهرة 1932.

فقد اعتبر المستشرق مايرهوف ان الغافقي اكثر الصيادلة العرب اصالة واحسن عالم نباتي في العصر الوسيط.

- ابو جناح: ابو الوليد مكروان بن جناح ولد في اللسانة Lucena بقرطبة بين سنة 375- 380ه/ 985-990م وتوفي في سرقسطة Zaragoza حوالي عام 432ه/ 1040م (انظر الخطابي/ الطب والاطباء ج1/ 55 ص498)

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب التلخيص في الادوية المفردة) ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء.

مخطوط تم دراسته وتحقيقه من يوسف ديرنبورغ J. Derenbourg، باريس 1880.

2. (كتاب تحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الاوزان والمكاييل) (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص498).

- ابن حبيب: ابو مروان عبد الملك بن حبيب السلامي القطبي عاش وتوفي بقرطبة عام 238ه/ 852م (انظر الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 85-110)

مؤلفاته الطبية:

1. (مختصر في الطب) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 2640 (C1442) وعمل على تحقيقه الاسبان: خيرون والبرتمور اليس F. Giron YC. Alverev de Morales تحت عنوان: الطب العربي الاسباني في القرن التاسع الميلادي. انظر مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس 1378ه/ 1959م ص340 رقم 461.

- ابن رشد القرطبي: ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي، باللاتينية Averrors ولد بقرطبة عام 520ه/ 1126م وتوفي بمراكش عام 595ه/ 1198م (انظر الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 321- 409)

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الكليات في الطب) وله نسخ في مكتبات عديدة: المكتبة الوطنية بمدريد، ومكتبة دير الاسكوريال El. Escorial بمدريد، ومكتبة غرناطة وغيرها. نشره Larache، معهد الجنرال فرانكو- مدريد 1939، وتم تحقيقه وترجمته للاسبانية من المستشرقة الاسبانية كارمن بنيه مونيوث C. Pena Munoz، غرناطة Granada، 1980 وطبع بالمغرب سنة 1939.
2. (كتاب فصل المقال) تحقيق ونشر George F. Hourani، ليدن Leiden، 1959.
3. (كتاب شرح ارجوزة ابن سينا في الطب) او (الفية ابن سينا)، مخطوطة دار الكتب المصرية، مجموع الطب رقم 1239، المكتبة الاحمدية، 5352، مكتبة دير الاسكوريال رقم: 1803 -831 .، المكتبة الوطنية، باريس رقم 1056، الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط رقم 20903825 ,2432 .، مكتبة الازجتح. حيدر اياد برقم 4089، نسخة مصورة منها بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، رقم الفلم 3186، حيث تم نشره باللاتينية والعربية والاسبانية).
4. (مقالة في الترياق) مخطوطة مكتبة دير الاسكوريال بمدريد رقم 6/ 884، 3/ 873.
5. (تلخيص كتاب الحميات لجالينوس) (Galeno) مخطوط مكتبة دار الاسكوريال بمدريد رقم 1- 884.
6. (مقالة في اصناف الميزاج) او (مقالة في الميزاج) مخطوط مكتبة دار الاسكوريال بمدريد رقم 4/ 884.
7. (مسئلة في نوائب الحمه) مخطوطة مكتبة دير الاسكوريال بمدريد. رقم 5/ 884.
8. (تلخيص الثلاث من كتاب قوى الطبيعة لجالينوس Galeno)مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد. رقم 2- 884، 3- 881
9. (كتاب في اختصار العلل والاعراض لجالينوس Galeno مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد. رقم 3- 884.
10. (تلخيص اسطو جوسات جالينوس) (Galeno). مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد رقم 1- 881.
11. (تلخيص كتاب الميزاج لجالينوس) (Galeno). مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد رقم 2- 881.
12. (تلخيص اول كتاب الادوية المفردة لجالينوس) (Galeno). مفقود (ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص532)
13. (تلخيص النصف الثالث من كتاب البرص لجالينوس) (Galeno). مفقود (ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص532)

14. تلخيص كتاب الترف لجالينوس (Galeno). مفقود (ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص532)

15. (مقالة في حميات العفن). مفقود (ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص533).

16. (شفاء السقام ومدى الالام) مخطوط المكتبة التيمورية. رقم 109 طب.

انظر مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس/ 1378/ 1959، ص256. رقم 66- 68.

- ابن رومان: خالد بن زيد بن رومان النصراني. ولد وتوفي بالقرن الثالث الهجري. انظر (عيون الانباء 66:3، طبقات الاطباء والحكماء 960 الخطابي، الطب والاطباء ج1/ 40).

مؤلفاته الطبية:

1. (رسالة في الادوية الشجرية). مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية- القاهرة- رقم 1559.

- الزهراوي: ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المعروف باللاتينية (Abulcasia). ولد بمدينة الزهراء (Alzahra, Azzahra) بقرطبة عام 325هـ/ 937م وبعدها توفي بين عام 401- 404هـ/ 1110- 1113م، انظر: الخطابي، الطب والاطباء، ج1/ 113- 274. قال الحميدي في جذوة المقتبس (ص 208- 209) عن الزهراوي (من اهل الفضل والدين والعلم، وعلمه الذي سبق فيه علم الطب، وله فيه كتاب كبير مشهور، كبير الفائدة محذوف الفضول ذكره ابن حزم القرطبي واثنى عليه وقال: ولان قلنا انه لم يؤلف في الطب اجمع منه للقول والعمل في الطبائع والجبر لنصدقن).

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف). موسوعة في الطب والجراحة والصيدلة والاغذية وحفظ الصحة وفي الزينة والتجميل، وفيها بيان الاوزان والمكاييل الطبية، تشتمل على ثلاثين مقالة. مخطوط متوفر في اغلب المكتبات العربية والعالمية، تم تحقيقه من Johannes Channing 2vol., Oxonii, 1778 واعيد نشره Hamarneh, S. K. H. Sonnedecker,. G. A. Leiden- 1963.

2. (كتاب في الطب لاعمال الجراحة) مخطوط مكتبة برلين رقم 6254 (ربما يكون فصل من كتاب التصريف عن الجراحة) مخطوط مكتبة احمد الثالث: اسطنبول برقم 199- ق 652 (نسخة منه بجامعة حلب برقم 902 (في الطب لعمل الجراحة) في 17 ورقة.

3. (رسالة في العقاقير المفردة) مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية- القاهرة- رقم 1017 طب. مخطوط مكتبة المتحف البريطاني رقم 985، انظر: مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس، 1378/ 1959، ص 302 رقم 355- 356.

- ابن الكتاني: ابو عبد الله محمد بن الحسين الكتاني. ولد بقرطبة سنة 340هـ/ 951م وتوفي بسرقسطة Zaragoza عام 420هـ/ 1029م، انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، الجزء الاول- 43).

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب التفهم) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 1/ 4764 وكتب عنه مقالة بالاسبانية من المستشرقة ماريا كونثشيون باثكث في مجلة الاندلس الاسبانية، عدد: 12، XII، مدريد- غرناطة 1976، Mª, de la Concepcion Vazaquez, Revista de al- Andalus,. Pp. 467- 475

2. (كتاب وقايات الامراض الخطيرة). مخطوط Army Medical Library, Cleveland, Ohio, A91- 9

3. (كتاب الشجرة) مفقود

- ابن ميمون: ابو عمران بن ميمون بن عبد الله القرطبي الاندلسي المعروف بالعربية: موسى بن ميمون، وبالاسبانية Mamonides. ولد بقرطبة عام 530هـ/ 1135م، وتوفي عام 601هـ/ 1204م. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 266.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الفصول في الطب)

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال رقم 869,868.

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم Hebreu 1210.

نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات العربية بالقاهرة. رقم الفلم 3065.

مخطوطة مكتبة غوطة المانيا Gottia، رقم 1937

مكتبة رضا رامبو - الهند- برقم 3295

نسخة منه بجامعة حلب برقم 1013

مخطوطة Universite Bibliotheck Leiden, n. 1344

Bodleian Library, Oxford, n. 412 heber.

Bodliean Library and College Libraries of Oxford, n. 2113, 2114, 2115

مخطوطة المكتبة السليمانية، اسطنبول، رقم 2525.

مخطوطة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم 177، 178.

وكتبت عنه دراسات عديدة وبمختلف اللغات

2. (رسالة في البواسير) او (الرسالة الطبية في البواسير)

مخطوط Army Medical Library, Cleveland, Ohio, n. A90- 1

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 1202(135 -121v .fol) 4 - بالعبرية 121 .n طب مخطوط المكتبة الازهرية، القاهرة، 381، تيمورية (118 طب، الاحمدية 5093/ 2)

وكتبت عنه دراسات عديدة بمختلف اللغات

3. (كتاب تدبير الصحة) او (في تدبير الصحة)

مخطوط بطرسبورغ .Bibliotheque de 1 Universite, Strasburg, n. 4223

مخطوط .Well Come Historical Medical Library, London, n27

مخطوط مكتبة طوب سراي احمد، اسطنبول Topkapi Sarayindaki Ahmet Salis Kutu- Phanesi- Istanbul, n 2061- 1

نسخة مصورة منه بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة. رقم الفلم 11541.

مخطوطة دار الكتب المصرية- القاهرة رقم 1774.

وكتبت عنه دراسات عديدة بمختلف اللغات.

4. (مقالة في بيان الاعراض)

مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس، الرقم، العبرية. n 1211

دراسة وتحقيق Herman، 1928.. Ariel. Bar- Sela, Hebbel. E., Hoff and Elias Faris 1964.

5. (شرح فصول ابقراط) (Hipocrates). مخطوط المكتبة الوطنية بباريس. الرقم بالعبرية (fol. 1- 59)- n.. 1204

مخطوط مكتبة مجلس شواري برقم 8512. نسخة منه بجامعة حلب برقم 785 (في 65 ورقة) دراسة وتحقيق: Morits Steinschnieder, en ZDMC, 48 (1894) PP. 218- 234.

6. (المقالة في الفاضلية). او الرسالة الفاضلية في علاج السموم وذكر الأدوية النافعة منها النفوس. او كتاب السموم والمتحرز من الادوية القتالة.

مخطوط مكتبة غوطا - المانيا Gotha الرقم 1986. .n

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم، العبرية .(fol. 123- 155) n. 1211

n 2962 (fol. 1- 33 طب) ،- 31203 العبرية (fol. 80v.- 121)

مخطوطة B. Medicea- Laurenzians, Florencia, n 253- 2.

مخطوطة مكتبة دير الاسكوريال بمدريد، الرقم 8933.

مخطوط معهد المخطوطات العربية - القاهرة، الرقم 118.

مخطوط بيروت، الرقم 285- 1.

مخطوط الموصل - العراق، الرقم 10- 175.

مخطوط المكتبة التيمورية الرقم 458 طب (رسالة في دفع السموم).

عليه دراسات عديدة باللغات الاجنبية.

7. (مقالة في الجماع).

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم، العبرية n. 1211

مخطوط مكتبة الاديرة - غرناطة B. del Sacromonte, Granada, n VIII- 2 (fol. 15- 21)

تحقيق ودراسة: Oberdorf Bopfingen, Hermann Kroner 1960

8. (شرح اسماء العقار)

مخطوط مكتبة ايا صوفيا - اسطنبول Aya- Sofya Kutuphanes Istanbul.

تحقيق ودراسة بالفرنسية: ةشرء ةتغثقاخبو مث وٌشهق 1940 يز 3711

9. (مقالة في الربو)

مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد، الرقم n DCI- 9

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم، العبرية. n 1211

وعليه دراسات عديدة باللغات الاجنبية

10. (المختصرات) او (مختصر كتب جالينوس) (Galeno)

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم، العبرية n. 1211

مخطوط برلين. Konlglichen Bibliotek Zu Berlin, n. 6231.

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد، الرقم n 802

11. (كتاب قوانين الجزء العلمي من صناعة الطب).

مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد، الرقم 95240-

تحقيق ودراسة اما دورديات Amador Diaz

12. (كتاب الاسباب والعلامات)

تحقيق ودراسة R. Levy. C Singer, 2ed Oxford, 1955

13. (تلخيص كتاب حلة البراء لجالينوس)

مخطوط مكتبة الاسكوريال بمدريد، الرقم 4 -802 n

14. (الفصول في الطب) أختارها من كلام جالينوس وكتب ابو قراط.

مخطوط مكتبة نور عثمانية - اسطنبول - الرقم 3590/ 3

15. (رسالة في الملسوعين) التقط فيها ما قاله الاطباء في شفاء الملسوعين.

مخطوط مكتبة نور عثمانية - اسطنبول - الرقم 3590/ 4.

16. (كتاب في الطب) الفه للسلطان صلاح الدين الايوبي.

مخطوط مكتبة الاحمدية، الرقم 5434/ 2

انظر مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس، 1378هـ/ 1959م، ص 273 الرقم 174- 180.

- ابن عبد ربه: ابو عثمان سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه. ابن اخي ابن عبد حاجي ربه الشاعر. وذكره حاجي خليفة (كشف الظنون) وبروكلمان (تاريخ الادب العربي ج4/ ص 270). كان يعرف في الاندلس في حدود سنة 300هـ/ 912م، بانه من المجيدين في الطب والفلك والشعر.

توفي بقرطبة عام 342- 343هـ/ 953- 954م (؟). وقد ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 489) سعيد ابن عبد ربه ابن اخي صاحب كتاب العقد، ولد سنة 286هـ/ 899م. وكان طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً وله في الطب رجز جليل. وكان معه مذهبه في مداوات الحميات (انظر الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 42)

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الاقراباذين. او كتاب الدكان)

مخطوط المكتبة الظاهرية - دمشق. رقم 3159 (قديم) 8ط. نسخة منه بمكتبة معهد التراث العربي بجامعة حلب برقم 6/ 316.

2. (ارجوزة في الطب).

تحقيق ودراسة وترجمة للاسبانية، كارمن بنيه Carmen Pena.

دراسة ونشر المستشرقة الالمانية التي تعمل في جامعة مدريد Comlutense. قسم اللغة العربية والاسلام د. روساكوني RosaKuhne في مجلة القنطرة الاسبانية al- Qantara، العدد 1980ص 279- 338.

3. (تعليق وبحريات في الطب) (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء، ص 489) انظر مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس، 1378/ 1959، ص 265. رقم 126.

- ابن عزرون: ابو موسى هارون بن اسحق بن عزرون الاسرائيلي. ولد بقرطبة وكان حياً عام 494هـ/ 1100م. انظر الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 53.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب تذييل الارجوزة) لابن سينا في الحميات.

مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم 6001، مجموع 515 بعنوان (ارجوزة في الحميات والاورام).

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد، الرقم 863، 831، 788، 831- 2.

مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد، الرقم 5265.

مخطوط المتحف البريطاني، الرقم 8934.

مخطوط جامعة ليدن، الرقم 1329.

- عريب بن سعيد (او سعد) القرطبي (كاتب الخليفة عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم المنتصر بالله) ولد بقرطبة عام 306هـ/ 918م. وتوفي سنة 370هـ/ 980م. انظر الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 45

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب تفضيل الازمان ومصالح الابدان)

تحقيق وترجمة المستشرق دوزي

R. Dozy, Leiden, 1873.

تحقيق وترجمة للفرنسية CH. Pellat, Leide 1961.

2. (كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين)

مخطوط الاسكوريال رقم 2833 - n.

تحقيق وترجمة للفرنسية H. Jahier Y A.

Naureddine, Alger 1956.

تحقيق وترجمة للاسبانية Antonio Arjona Castro, Cordoba 1983.

3. (كتاب عيون الادوية) (مفقود) انظر: بروكلمان/ تاريخ الادب العربي، ج4، ص288.

- ابن سميون: ابو بكر حامد بن سيمون

ولد بقرطبة، وتوفي بعد عام 392هـ/ 1001م

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب جامع الادوية المفردة) او (جامع لاقوال القدماء والحديثين من الاطباء والمتفلسفين في الادوية المفردة)

مخطوط مكتبة احمد الثالث - اسطنبول Topkapi Saray, Ahmat Salis, n. 2121.

مخطوط المتحف البريطاني British Museum, London, n. 11614

مخطوط بودليان اكسفورد Bodleian Library, Oxford, n. 47,48

مخطوط مكتبة النحاس - حلب، الرقم 2790.

مخطوط المكتبة القبطية بالقاهرة، الرقم 253.

2. (اقراباذين) (مفقود)

- ابن الهيثم: عبد الرحمن بن اسحق الهيثم. ولد وتوفي بقرطبة بالقرن الرابع الهجري. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 47.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الاقتصاد والايجاد في خطأ ابن الجزار في الاعتماد) (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص493)

2. (كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الاشياء) (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص493)

3. (كتاب الكمال والتمام في الادوية المسهلة والمقيئة) (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص493)

4. (كتاب السمائم) (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة في (طبقات الاطباء، ص493) انظر: الضبي/ بغية الملتمس، ج2/ 722، الرقم 1581 وقال فيه من المشهورين بعلم الطب والتقدم فيه، وله كتاب في الخواص والسموم والعقاقير، من اجل الكتب والفها

-يحيى بن اسحق: ولد بقرطبة وعاش بعصر الخلافة وذكره ابن جلجل في (طبقات الاطباء والحكماء)، ص100، رقم 43. (كان طبيباً نبيلاً عالماً حاذقا بيده، وكان في صدر دولة الناصر واستوزره وولى الولايات والعمالات، وكان له من امير المؤمنين الناصر محل كبير، ينزله مكنزلة الثقة، ويتطلع على الكرايم والحرايم) وذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء) ص488. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 48.

مؤلفاته الطبية:

1. (كناش في الطب). يقع في خمسة اسفار، الفه على مذهب الروم يسمى (الابريشم) وهو نادر محفوظ في علاج الناصر. انظر: القفطي/ كتاب اخبار الحكماء، ص235

غرناطة Granada

- ابن حسان: ابو جعفر احمد الغرناطي (خدم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور). ولد بغرناطة وتوفي بفاس بالقرن 12م. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 62.

مؤلفاته الطبية:

1. (تدبير الصحة) (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص535).

- ابن الخطيب الغرناطي Ibn al Jatib: محمد بن عبد الله بن الخطيب، لسان الدين (ذو الوزارتين) السلماني. صاحب المؤلفات (الاحاطة في اخبار غرناطة) (اعمال الاعلام) (اللمحة البدرية) (كناسة الدكان) (معيار الاختيار) وغيرها. ولد في لوشة Loja بغرناطة عام 713ه/ 1313م. توفي بفاس 776ه/ 1374م. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج2 191- 238.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب عمل من طب لمن حبا) الفه للسلطان ابي سالم بن ابي الحسن المريني، ملك المغرب 760- 762هـ/ 1359- 1361م وقد فرغ من تأليفه وهو مقيم بفاس سنة (761هـ/ 1360م)

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط، مجموع 3477)

مخطوط خزانة القرويين 6071401308 .,

مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد n. CDI, V

مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس 8 -n. 1070, 3011.

مخطوطة جامعة ليدن Universiteitsbibliotheck, Leiden n. 1365.

تحقيق وترجمة للاسبانية ماريا كنيثون باثكث بنيتو في سلمفنة Ma C. Vazquez de Benito Salamanca 1972.

2. (المنظومة في الطب)
مخطوط مكتبة جامعة ليدن Universiteits Bibliotheck, Leiden n. 1366
مخطوط Army Medical Library, Cleveland, Ohio, n. A851.
3. (كتاب مقنعة السائل عن المرض الهائل)
دراسة وترجمة M. J. Muller en Shzungsberichte der Bayeri Schen Akademien 11 (1863)- 134. M. Meyerhof, Legacy of Islam, p. 340.
4. (كتاب الوصول لحفظ الصحة في الفصول)
مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) رقم 797، مجموع 77.
مخطوط الخزانة العامة بالرباط (D 1570) 26722673 (652) ..
مخطوطة برلين Deutsche Statsbibliothek, Berlin, n 6401 (Mfl 195)
دراسة وتحقيق وترجمة للاسبانية Mª C. Vazquez de Benito.
5. (مقالة على تكوين الاجنة)
مخطوط مكتبة القرويين بفاس
6. (تعيين غاية تكوين الاجنة) (مفقود)
7. (كتاب المعلوم)
مخطوط مكتبة القرويين بفاس.
8. (ارجوزة او رجز في الطب) تبحث في الامراض المختلفة وفي الحميات والاورام وتنهي بالكلام عن الزينة والسموم والنهوش واللسوع. عدد ابياتها: 1600
مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم: مجموع 515.
مخطوط المكتبة الاحمدية، الرقم 543/ 1
انظر: مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس 1378هـ/ 1959م، ص 256، رقم 62061.

- ابن خلصون: ابي عبد الله محمد بن يوسف بن خلصون. ولد بغرناطة وكان حيا في اواخر القرن 7هـ/ 13م. وعاش ابن خلصون في عهد السلطان النصري ابي عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالفقيه الذي حكم مملكة غرناطة من (671- 701هـ/ 1272- 1302م). انظر: ابن الخطيب/ الاحاطة في اخبار غرناطة، ج3/ ص ص 256، 288). انظر: المقري/ نفح الطيب، ج6/ 248، الخطابي/ الطب والاطباء، ج2/ 8- 23.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الاغذية وحفظ الصحة) آخره: (هذا القدر كافي في الاغذية المشهورة عندنا بالاندلس، فلنختتم الآن هذا الكاتب بآخر المقالة) والكتاب مرتب على خمس مقالات: (مدخل للعلم الطبيعي، حفظ اعضاء البدن، حفظ الصحة على الاطلاق، تدبير فصول السنة، ضروب الادوية وذكر قواها).
مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم 12, 250734 .،

- ابن السمح: اصبغ بن محمد الغرناطي المهندس. وتوفي سنة 426هـ/ 1035م. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 49.

مؤلفاته الطبية:

1. (رماية العرض وحماية الجوهر عن العرض)

مخطوطة المكتبة الاحمدية بالقاهرة. الرقم 5370. ذكره ابن ابي اصيبعة في (عيون الانباء في طبقات الاطباء) ص 483.

انظر: مجلة المخطوطات العربية، المجلد الخامس، 1378هـ/ 1959م، ص 261، الرقم 94.

– ابن الرقام: محمد بن ابراهيم بم علي بن الرقام الاوسي المصري. اصله من مرسية وسكن بغرناطة وتوفي سنة 710– 715هـ/ 1310– 1315م (؟)

مؤلفاته الطبية:

1. (الزيج المستوفي) انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 73.
2. (كتاب الحيوان والخواص)
3. (تأليف في الطب). مخطوط الخزانة العامة في الرباط. الرقم 2667. انظر: المقري: (نفح الطيب) نسخة احسان عباس، ج5/ 192.

– الشفرة: محمد بن علي بن فرج الفهري القربلياني المعروف بالشفرة. ولد بغرناطة وتوفي عام 761هـ/ 1322م. انظر: ابن الخطيب/ الاحاطة في اخبار غرناطة، ج3/ 179. الخطابي:/ الطب والاطباء، ج2/ 35.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الاستقصاء والابرام في علاج الجراحات والاورام)

مخطوط مكتبة القرويين بفاس. الرقم 1285/ 8.

مخطوط الخزانة العامة في الرباط الرقم 2668.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي في الرباط) الرقم: مجموع 1716.

الكتاب في ثلاث مقالات: (في الاورام، في الجراحات، في الادوية المفردة والمركبات المسعملة في علاج الاورام والجراحات).

دراسة وتحقيق وترجمة للاسبانية ELOISA LLAVERO RUIZ. غرناطة، ديسمبر 1988 (اطروحة دكتوراه مكتوبة بالطابعة) جامعة غرناطة، كلية الاداب/ قسم دراسات اللغات السامية.

– الشقوري: ابي عبد الله محمد بن ابي الحسن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري. ولد بغرناطة عام 727هـ/ 1326م. انظر: ابن الخطيب/ الاحاطة في اخبار غرناطة، ج3/ 79– 177. الخطابي: الطب والاطباء، ج2/ 241– 283.

مؤلفاته الطبية:

1. (تحفة المتوسل وراحة المتأمل). يتضمن ثلاثة اجزاء في المعدة، في المرض الاسهالي وانفتاح افواه العروق، في تدبير الشيوخ. نسخ في 24 شعبان سنة 1158هـ.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم 2337.

انظر: مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس، 1378/ 1959، ص 310.

– الغرناطي: ابو عامر بن عبد الهزيز الغرناطي

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب البديع في الاغذية). انظر النويري الاسكندراني، محمد بن قاسم بن محمد، توفي بعد سنة 775هـ/ 1372م. (كتاب الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية. تحقيق د. عزيز سوريال. الهند 1968، ج1/ 53.

أشبيلية Sevilla

اسرة بني زهر: انجبت هذه الاسرة في مدينة اشبيلية خلال ستة اجيال متابعة عدداً من الاطباء المشهورين في الاندلس اشتهر منهم الحفيد ابن زهر. (ابو العلاء ابن زهر) وكانت له نوادر في معرفة احوال المرضى بمجرد النظر الى بولهم اوجس نبضهم، وضع كتب كثيرة في الطب.

الوزير ابو مروان بن ابي العلاء بن زهر، الحفيد ابو بكر محمد بن ابي مروان بن زهر. (انظر: د. احمد شوكت، العرب والطب، ص 57، الخطابي: الطب والاطباء، ج1/ 277– 371.

ابو مروان عبد الملك بن زهر او (ابو المعالي عبد الملك بن ابي العلاء، ابن زهر المتطبب) ولد باشبيلية عام 484هـ او 487هـ– 1091م. توفي عام 557هـ/ 1162م.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الاقتصاد في اصلاح النفوس والاجساد)

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد، الرقم 834.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 1538.

مخطوط المكتبة العبدلية، تونس، الرقم 2867/ 9.

دراسة وتحقيق وترجمة للاسبانية R. Kuhne Brahant. مدريد 1971. (اطروحة دكتوراه غير مطبوعة ولها موجز مطبوع).

2. (كتاب الاغذية والادوية). الفه لابي محمد عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين.

مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 1598، مجموع 243.

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم 2960.

مخطوط الاكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد BRAHM، الرقم n. CXXVII.

مخطوط الخزانة العامة بالرباط. الرقم 768.

مخطوط المكتبة العبدلية، تونس، الرقم 21– 7682.

مخطوط مكتبة طوب سراي احمد الثالث، الرقم 2– 2068.

نسخه مصورة منه في مكتبة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة. رقم الفلم 1038.

3. (كتاب التيسير في المداواة والتدبير).

مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) مجموع 1538.

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم 2960.

مخطوط المتحف البريطاني– لندن N. 9128.

مخطوط المكتبة العبدلية، تونس، N. 2867-7.

مخطوط بودليان Bodleian Library, Oxford n. 355 (fol. 1- 80v)

مخطوط B. Medicea- Laurenziana, Florencia, n. 215

تم دراسته وتحقيقه مرات عديدة وباللغات المختلفة.

4. (كتاب الجامع في الاشربة والمعاجين)

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، الرقم 2960.

مخطوط المكتبة العبدلية، تونس، الرقم 286718/ 2.

مخطوط مكتبة غوطا Gotha، المانيا n. 728 (fol. 52v- 67v)

مخطوط بودليان Bodleian Library, Oxford n. 355 (fol. 181v- 201v)

مخطوط B. Medicea- Laurenziana, Florencia, n. 215

مخطوط B. de l'Ecole de Medecine de Montpellier. N H25

وعليه دراسات ومقالات باللغات المختلفة.

تحقيق ودراسة وترجمة للاسبانية F. Giron Irueste

اطروحة دكتوراه في كلية الطب- جامعة غرناطة عام 1976.

5. (كتاب الزينة) (مفقود)

6. (مقالة في علل الكلية). (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء، ص 521.

7. (رسالة في البرص) (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء، ص 521.

8. (كتاب القانون المقتضب)

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس. الرقم 11/ 2867.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 1538.

9. (كتاب التذكرة) (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء، ص 521.

10. (كتاب مختصر حلة البرء لجالينوس) Galeno

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس. الرقم 14/ 2867.

11. (رسالة تفضيل العسل على السكر).

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس. الرقم 13/ 2867.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) مجموع 1538.

12. (التذكرة في الادوية المسهل).

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس. الرقم 13/ 2867.

انظر: مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس، 1378/ 1959، ص 259. الارقام 83- 90.

- ابن زهر: ابو العلاء زهر بن عبد الملك ابن زهر الايادي. المتوفي سنة 525هـ/ 1130م (خدم امير المعتمد ابن عباد، ثم يوسف بن تاشفين، وابنه علي) انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 57.

مؤلفاته الطبية:

13. (كتاب الخواص) او (مجربات الخواص)

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس- الرقم n. 2768/ 4.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم 1538.

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد. الرقم n 844- 3.

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس. الرقم 2954

مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية. الرقم 26.

مخطوط بودليان .Bodleian Library, Oxford, March. N. 520

مخطوط National bibliothek, Viena, n. 1460

مخطوط Gosudarstvenaia Publichnaia Biblloteka Leningrado, n. 122

مخطوط ليدن .Universitite Bibliotheck, Leiden, n. 1340

1. (كتاب الادوية المفردة) (مفقود) ذكره ابن ابي اصبية/ عيون الانباء في طبقات الاطباء.
2. (كتاب الايضاح بشواهد الافتضاح. (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء.
3. (كتاب حل شكوك الرازي على كتب جاليتوس) Galeno (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء.
4. (مقالة في الرد على ابي علي بن سينا في مواضيع من كتابه) (الادوية المفردة) (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء.
5. (مقالة في تبسيطه لرسالة يعقوب بن اسحق الكندي في تركيب الادوية). (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء.
6. (كتاب مسهلات بالاعتبار الفصول)

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس. الرقم 5 /n. 2768.

7. (كتاب نخب التايه)

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس. الرقم 3 /n. 2768.

8. (كتاب التبين بقطع الشك باليقين)

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس. الرقم 1 /n. 2768.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) مجموع n 1538.

9. (التذكرة او كتاب النكت الطبية)

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) مجموع n. 1538.

مخطوط الخزانة العامة بالرباط. الرقم 532 ,(n. (2650D.

10. (جامع اسرار في الطب)

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) مجموع N. 1538.

مخطوطة الخزانة العامة بالرباط. الرقم n. 2650.

11. (الوصية) (مفقود). ذكره ابن مطران.
12. (كتاب النجح)

مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم، مجموع 1538

والرسالة عبارة تعاليق على كتاب النجح لوحنا بن ماسوية. ضمنه ابو العلاء ابن زهر جملة تجاربه ورتبه على عشرين بابا تحدث فيها عن مختلف اصناف الادوية من معاجين ومطبوخات وبخاتج وذبيدات ونقوعات ولواعق واطرفلات وسفوفات ودرورات ومربيات وجوارشات واشربة وترياق، عرض فيها الامراض التي تصيب اعضاء البدن من الرأس الى القدمين.

13. (مجربات ابي العلاء ابن زهر الايادي). رسالة في وصف ادوية مجربة في علاج امراض كأورام الثديين والحصبة والجدري والحميات.

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 1538.

مخطوط المكتبة العبدلية- تونس (مجربات صحيحة) الرقم 2876/ 4.

انظر: مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس، 1378ه/ 1959م. ص259، الرقم 77- 78.

- ابو بكر ابن زهر: ابو بكر محمد بن ابي مروان بن ابي العلي بن زهير. ولد باشبيلية عام 507ه/ 1113م. وتوفي بمراكش عام 596ه/ 1199م. وخدم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بالطب في مراكش.

مؤلفاته الطبية:

1. (رسالة في طب العيون)

2. (كتاب الاقضية)

مخطوط جامعة ليدن Universiteits Bibliothech, Leiden, n Or, 2539

انظر: المقري/ نفح الطيب. ج1/ 155، 463. ج2/ 247، 248، 249، 468. ج7/ 6، 7، 9، 113. عن شخصية الطبيب ابو بكر بن زهر. الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 62.

- ابن عبدون: محمد بن احمد بن عبدون النخعي التجيبي. ولد باشبيلية اواخر القرن الحادي عشر، وتوفي بداية القرن الثاني عشر.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب عمدة الطب في معرفة النبات لكل لباب)

مخطوط الاكاديمية الملكية بمدريد Acadimia Real de Historia الرقم n. XL. وكتب عن كتاب عمدة الطب، مقالة المستشرق الاسباني ميجيل اسين بالثيوس Miguel Asin Palacios عام 1943 بمدريد.

النباتي: ابو العباس احمد بن مفرج بن ابي الخليل الاموي النباتي، المعروف بابن الرومية. ولد باشبيلية عام 562هـ او 568هـ/ 1166 او 1172م وتوفي سنة 637هـ/ 1239م، انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 69.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب تفسير الادوية المفردة من كتاب ديوسقوريدس).

مخطوط مكتبة نور عثمانية- (Nurosmaniye, Istanbul n3839 fol. 80- 129b)

2. (مقالة في تركيب الادوية). (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص538.

3. (الرحلة) (مفقود). ذكره ابن البيطار.

- الحريري الاشبيلي: عبد الله بن قاسم الحريري الاشبيلي البغدادي. ت637ه/ 1239م.

مؤلفاته الطبية:

1. (نهاية الافكار ونزهة الابصار) كتبه سنة 624ه/ 1227م، قدمه للسلطان شاه ارمن. تحقيق وتعليق: د. حازم البكري، د. الكحال. مصطفى شريف العاني. دار الحرية للطباعة، بغداد 1979.

مالقة Malaga

- ابن البيطار: ضياء الدين ابو محمد عبد الله بم احمد المعروف بابن البيطار ولد بمالقة عام 594هـ/ 1197م وتوفي بدمشق عام 646هـ/ 1248م. يعتبر الطبيب ابن البيطار علامة زمانه في معرفة النبات، سافر إلى بلاد

كثيرة باحثا عن النبات، حيث كان ويبحث فيها ويحقق في خواصها ومفعولها، واجتمع في ايطاليا واليونان بعلماء الافرنج وجادلهم في النباتات والاعشاب فاعجبوا به واندهشوا لخبراته العلمية الهائلة.

لقد دخل ابن البيطار في خدمة الملك الايوبي الكامل محمد بن ابي بكر ابن ايوب بالقاهرة فوثق به واعتمد عليه في المسائل الطبية والادوية وجعله مشرفاً ورئيساً على سائر العشابين، ثم استصحبه الملك الكامل في رحلته الى الديار الشامية حيث التقى بابن اصيبعة صاحب كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء.

مؤلفاته الطبية:

1. (تفسير كتاب ديوسقوريدس) (Dioscorides)

مخطوط مكتبة مكة (تم اكتشافه عام 1955م، كما ذكره مصطفى الشلبي) رقم 36/ 2 طب.

نسخة منه في مكتبة معهد التراث العلمي بجامعة حلب برقم 905.

نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة. ف 15.

2. (كتاب المغني في الادوية المفردة)

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس. الارقام n. 2990, 2991, 6625

مخطوط مكتبة غوطا Gotha بالمانيا. الارقام (fol. 27- 70) n. 2004, 2026- 2

مخطوط جامعة ليدن Universiteits Bibliotheck, Leiden, n. 1356.

مخطوط مكتبة بودليان Bodleian Library, Oxford, n. 1588, 1624.

مخطوطة مكتبة M. the Original Public Library at Bankipore n. 92.

مخطوط لينغراد institute Nardow Azii, Leningrado, n. 174.

مخطوط Biblioteca Medicea- Laurenziana Florenziana Florencia, 244, 224.

مجموعة الاكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد n. CXLV. CXLVI RAHM.

3. (كتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية (وصف فيه 400 دواء)

مخطوطة دير الاسكوريال بمدريد الارقام 840, 841, 842839 ,

مخطوط المكتبة الوطنية بباريس. الارقام n. 2976- 2989, 4766- 4766- 4769, 5777

مخطوط الاكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد n. CXLV. CXLVI. RAHM

مخطوط مكتبة M. the Oriental Public Library at Bankipore, n. 93

وفي مكتبات عديدة اخرى توجد نسخ من المخطوط. ثم طبع الكتاب في بولاق سنة 1291م وفي القاهرة عام 1874 - 1875م

4. (كتاب الابانة والاعلام بما في المنهاج من الخلل والاوهام) (ينقد به منهاج البيان لابن جزلة).

مخطوط مكتبة الحرم المكي. الرقم 36 (1- طب).

نسخة مصورة منه في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة. رقم الفلم 15.

5. (جامع المنافع البدنية).

مخطوط دار الكتب الظاهرية- دمشق- الرقم ط74 (قديم 3161).

نسخة منه في المعهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، تحت رقم 12/ 365.

6. (الجامع في الادوية المفردة).

مخطوط مكتبة احمد الثالث باسطنبول رقم 2059.

مخطوط دار الكتب المصرية بالقاهرة. الرقم طب 160 نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة. رقم الفلم 1511.

7. (اسماء جمادات والنباتات)

مخطوط برلين (Deutssche Staatsbibliotheck, Berlin, n 6420 (we, 1171

8. (مقالة في الليمون).

ويعتقد اغلب المهتمين بالطب بان هذه المقالة لا تعود الى ابن البيطار وانما استدت اليه من مقالة باللاتينية عنوانها ابن البيطار والليمون: (Ebn Bitar, de Malis Limonis, Venetia 1583)

ومقالة اخرى كتبت عنه بباريس عام 1602.

9. (رسالة في الاغذية والادوية)

مخطوط مكتبة رضا رامبور - الهند Raza Library de Rampur (India) n 1, 477, 92b

مخطوط الهند Aligarh Library (India) n 123, 18

10. (رسالة في تداوي السموم)

مخطوطة مكتبة قواية (نسخة منه في مكتبة دار الكتب المصرية - القاهرة) رقم n. 11, 288

11. (ميزان الطب او ميزان الطبيب)

12. (المنافع البدنية في علم الطب)

مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق. رقم 153 (قديم 7857) نسخة جامعة حلب. الرقم مجموع 4/ 299 في 69 ورقة.

مخطوط Universitetsbibliotek, Uppsala (Suecia) n. 315

انظر: مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الخامس. ص 252. الرقم 38- 41.

بلنسية VALENCIA

- ابن طملوس: ابي الحاج بن يوسف بن محمد بن طلموس (خدم الخليفة الموحدي الناصر) ولد بشقر Alcira في بلنسية عام 560هـ/ 1164م وتوفي عام 620هـ/ 1223م.

مؤلفاته الطبية:

1. (شرح الفية ابن سينا او ارجوزة ابن سينا)

وهو شرح لارجوزة الشيخ ابن سينا المشهورة

الطب حفظ صحة برء مرض

في بدن من سبب منذ عرض

مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم 189

مخطوطة المكتبة الاحمدية، الرقم 5355.

مخطوطة مكتبة الزاوية - الرباط - الرقم 7/ 68.

انظر مجلة معهد المخطوطات الغربية، المجلد الخامس 13780هـ/ 1959م ص 265. الرقم 124. الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 96.

- ابو الصلت امية: ابو السلط امية بن عبد العزيز بن ابي الصلت الاندلسي الداني. ولد بدانية Denia في بلنسية عام 460هـ او 461هـ/ 1067، 1068م وتوفي بمدينة المهدية بتونس عام 529هـ/ 1134م. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 57.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الادوية المفردة). الكتاب مرتب على عشرين باباً. الاول في الادوية المفردة المصفية للدم والباب العشرون في الادوية المفردة النافعة لامراض الانثيين. اورده القفطي/ اخبار الحكماء، وابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 514.

مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية- القاهرة- الرقم 59 طب

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 1716.

مخطوط مكتبة بودليان Bodleian Library, Oxford, 583- 3

نسخة مصورة منه في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة. رقم الفلم 43.

مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق. الرقم 4705.

مخطوط مكتبة عبد الحي الكتاني- فاس.

مخطوط Well come Historical Medical Library, Londres. Nor 57

مخطوط University Library, Cambridge, n. 29- 5

مخطوط Deutsche Staatsbibliothek, Berlin, n. 117

مخطوط Kitapsaray, Manisa, n 1815- 1

دراسة وتحقيق: ابراهيم بن مراد، مجلة الحياة الثقافية.

العدد 5، المجلد 3 1979، ص 1530- 1568.

2. (كتاب الانتصار): لحنين ابن اسحق علي بن رضوان في التتبع لمسائل حنين (مفقود) ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 514.

ملاحظة: الطبيب ابو العلاء بن زهر بن ابي مروان. البعض يقول انه ولد بدانية في بلنسية. انظر حياته ومؤلفاته في اشبيلية عائلة بني زهر.

مرسية Murcia

- ابن عربي: محي الدين محمد بن علي. ولد بمرسية عام 561هـ/ 1165م وتوفي بدمشق عام 638هـ/ 1240م.

مؤلفاته الطبية:

الدرة المنتخبة في الادوية المجربة.

مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية- القاهرة. الرقم 37م طب.

انظر: مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس 1378/ 1959 ص 266، الرقم 131.

المرية Almeria

- ابن خاتمة: ابو جعفر احمد بن علي محمد بن خاتمة الانصاري الاندلسي. ولد في المرية عام 725هـ/ 1324م وتوفي بالمرية عام 771هـ/ 1369م.

مؤلفاته الطبية: انظر من حياته (المقري/ نفح الطيب، ج1/ 24، 163، ج2/ 175، ج3/ 441. الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 78)

1. (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الواقد) تحدث فيه عن الطاعون الظاهر بالمرية عام 749هـ.
مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد. الرقم 1785.
مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد. الرقم CCLXVIII
مخطوط المكتبة العمومية، رقم 4085، نسخة مصورة منه بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة. رقم القلم .854
مخطوط المانيا Deusche Staatbibliothek (Koniglichen Bibliothek Zu Berlin) n. 6369.
عليه دراسات وابحاث عديدة من الباحثين في المجلات العالمية.

- M. J. Muller in Sitzungsberichte der Bayerischen Akademia, 2 (1863. Pp. 28- 31).
- T. DinANAH, en Archiv Fur Geschichte der Medizin, 19 (1927, pp27- 81).
- J. Fermart en Actualided Medica 44 (1958), pp 499- 513 and 566- 580.
- الاربولي: ابو بكر عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز احمد الاربولي الانصاري. ولد بالاربولية Arboleas في مدينة المرية عام (؟) القرن 14 او 15.

مؤلفاته الطبية:

1. (الكامل على الاقضية او رسالة في الاقضية). او (كتاب الاقضية)
مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد الرقم
n. 5230/ 6 (DCI 893/ 9 القديم)
تحقيق ودراسة وترجمة للاسبانية: اما دور دياث كارثية Amador Diaz Garcia
في مجلة تصدر بغرناطة Cuadernas de Estudios Medievales, VII- VIII (1979- 80)

- الرميلي: لم نتوصل الى اسمه ومكان وسنة ولادته ووفاته وكل ما نعرفه انه عاش بالمرية في القرن 11. في ايام المعتصم. انظر الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 54.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب البستان في الطب) (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 497.

رنده Ronda

- الرندي: محمد بن يحيى بن ابراهيم ابن عباد النفزي الرندي. شارح الحكم العطائية ومؤلفه الرسائل الكبرى والصغرى، واصبح خطيب جامع القروين بفاس. ولد برندة وتوفي بالمغرب عام 792هـ/ 1398م

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الاغذية وحفظ الصحة) مرتب على خمس مقالات، بدأ بذكر مزايا الحمية وكيفية اخذ الغذاء ثم استعرض اصناف الاغذية المعروفة في الاندلس فذكر خواصها ومنافعها او مضارها وكيفية دفع المضار المتولدة عنها بالادوية المفردة والمركبة، وختم الكتاب بذكر فصول السنة وما ينبغي ان يستعمل في كل فصل منها من الادوية والعلاجات، وما يوافق من الاغذية التي تعدل انحراف كل فصل من الفصول، سائر على مذهب حذاق الاطباء وعلى ما وقف عليه وعرفه بالتجربة.
مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم 85، ونسخة اخرى مجموع 77.

2. (اعمار الادوية المفردة والمركبة) مخطوط ايران مجلس شواري، رقم 1538. نسخة منه بجامعة حلب 7190 (في ورقتين)

سبتة Ceuta

- ابو عبد الله الشريشي: الطبيب الماهر الأشهر المعروف عند العامة بحكيم الرعاة، كان متقدم في صناعة الطب ومعرفة بما يرجع اليها من علم وعمل وكانت مكانته مكينة عند الامراء والملوك مع رصانة العقل وحسن الشارة وصباحة الوجه. وحانوته برحبة الوزان من سبتة وتوفي عام 771هـ/ 1369م.
- ابو عبد الله بن مقاتل: بصير بالطب استدعته الملوك، وصل ما لم يصل اليه احد في عصره، وحانوته بالصفاح من مقبرة زجلو امام المسجد الكبير، توفي عام 764هـ/ 1362م.
- ابو عبد الله بن مبارك الازدي: الطبيب، توفي سنة 791هـ/ 1388م.
- ابو عبد الله الجياني: الطبيب، شيخ عاقل ابي الهمة عارف بالطب مشارك في ما سواه، وكان مهندساً ذا بصر من اهل النجدة، ممارساً للحروب الجهادية. وكان حانوته بالسوق الكبير يقصده فيه اهل العلل واصحاب الامراض وكانت العامة تعظمه لرفقه ونصيحه. توفي عام 789هـ/ 1388م.
- ابو عبد الله المعز الصهاجي: الطبيب الذي كان موثقاً بسماط العدول مع معرفته بالطريقة الطبية واشتهاره بها.. فنهب منزله واستخرجت ذخائره وكتبه وغرب في جملة من غرب من اكابر سبتة الى فاس فتوفي بها فجأة عام 692هـ/ 1292م.
- ابو عبد الله بن مروان المعافري: الطبيب الكثير المخالطة للطب والاطلاع على دواوينه وكتبه مستحضراً لنصوص علمائه من المتقدمين كدباسقوريدوس وابقراط وجالينوس ومن المتأخرين كالرازي والزهراوي وابن سينا ابن طفيل وسواهم، عارفاً بالعلل والشكيات بصيراً بالعقاقير والاعشاب والنبات ينص ما يسائل عنه من ذلك لاول وهلة ويفتي فيه املاء من حفظه على البديهة من غير روية وكان يثني على كلام حنين ابن اسحق في البول ويحفظ كثير من رجز ابن طفيل الطبي وهو ازيد من ثلاثة الاف بيت ويأتي بأخبار وحكايات من طبقات الاطباء لابن جلجل، ويحسن التراكيب والتدابير ويعرف خواص الاحجار سخياً بما يعلمه من ذلك.. توفي في زمن الطاعون عام 817هـ/ 1414م.
- عائشة ابنة الشيخ الكاتب ابي عبد الله بن الجيار:

الطبيبة التي قرأت علن الطب عن مهرها الشيخ الشهير أبي عبد الله الشريشي.. عارفة بالطب والعقاقير وما يرجع الى ذلك بصيرة بالماء وعلاماته وتأثل لها بطريقتها صيت شيده الامراء.

- انظر: بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب/ مجهول المؤلف. تحقيق محمد بن تاويت/ مقالة في مجلة تطوان، مجلد 9 عام 1944م، ص ص 186 – 187.
- ابن مهنا: احمد بن محمد ابن مهنا السبتي. (انظر: الحميدي: جذوة المقتبس ج1/ 316) كان حيا في اوائل المائة التاسعة من الهجرة، اوائل القرن الخامس عشر للميلاد حيث كان تلميذاً لابن الخطيب الغرناطي وتوفي بفاس اواخر المائة الثامنة. (انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 81).

مؤلفاته الطبية:

1. (الايضاح والتتميم): وهو شرح لارجوزة ابن سينا في الطب.

مخطوطة الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم 11546ز، ونسخة اخرى 8775.

مخطوط المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان، الرقم 13.

ذكره المقري/ نفح الطيب، ج4/ 756 حيث اشاد بكتاب ابن مهنا فقال عنه انه (من ابدع الشروح) وانه (من الكتب المشهورة بالمغرب) ولم يتحدث لنا عن اصله وموطنه وحياته العلمية والعملية ولم يخبرنا بوفاته.

- الشريف الادريسي: ابو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف، ولد بمدينة سبتة عام 495هـ/ 1101م وتوفي بصقلية عام 560هـ/ 1166م. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 59.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الجامع لصفات اشتات وضروب انواع المفردات من الاشجار والثمار والحشائش والازهار والحيوانات).

او (كتاب الجامع لصفات اشتات النبات). او (كتاب الادوية المفردة) او (الجامع لمفردات الادوية والاغذية).

مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة. الرقم 1524 طب.

جامعة اسطنبول، القسم العربي، الرقم 1343 (في 185 ورقة) كتبه عبد العزيز ابن محمود بن عبد الله الفقيه الواعظ اليعقوبي سنة 659هـ/ 1260م.

مخطوط مكتبة الفاتح في اسطنبول. الرقم 3610.

انظر: فهرس مخطوطات الطب الاسلامي في مكتبات تركيا (مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية في استانبول، ص 132) وقد ذكره الزركلي: الاعلام، ج7/ 24). كحالة/ معجم المؤلفين، ج11/ 236- 237.

- العزفي: محمد بن يحيى بن ابي طالب عبد الله العزف. ولد بسبتة وتوفي بها عام 768هـ/ 1366م.

مؤلفاته الطبية:

1. (الاكتفاء في طلب الشفاء)

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط).

الرقم بمجموع 1044 في 177 ورقة نسخ بتاريخ 4 جمادي الاولى سنة 1121هـ. الكتاب يبحث في الامراض التي تعتري البدن من الرأس الى القدم، كما يعرض لأمراض النساء والاطفال وللحميات والاورام فيذكر وسائل العلاج والادوية وخواصها كما يبحث في خواص الزينة والتجميل والكتاب مرتب على عشرين باباً، والادوية مرتبة على حروف المعجم في كل باب من ابوابه ولعله ان يكون ملخصاً لمفردات ابن البيطار. انظر عن العزفي: (ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة في اخبار غرناطة، ج3/ 11)، (الحميدي، جذوة المقتبس، ج1/ 300). (الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 77).

طليطلة Toledo

- ابن وافد: ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير يحيى بن وافد اللخمي. ولد بطليطلة 387هـ/ 997م وتوفي بطليطلة عام 467هـ/ 1074م والقفطي ذكر ولادته عام 389هـ/ 998م. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 52.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب الادوية المفردة)

مخطوط مانجستر .Manchester 164, 1639 University Library, no. 748

مخطوط استوكهولم .B. Walleriana, Estocolmo, no. 2740

مخطوط لندن .Wellcom History Midical Library, London. No. 1996, no. 4283

مخطوط .National Library of Medicin, Maryland, no. 03126

مخطوط مكتبة سرقسطة .B. Capitular de la Seo de Zaragoza, no. 03180

وعليه دراسات وابحاث متعددة باللغات الاجنبية وتم تحقيقه في برشلونة عام 1943م.

2. (مقالة في الحمامات)

مخطوط جامعة مانجستر. Manchester University Library, no. 0139

مخطوط B. Osleriana, no. 1902

مخطوط لندن. Wellcom Historical Medical Library, London, no. 0632

3. (كتاب تدقيق الناظر في علل حاسة البصر) (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 496.

4. (كتاب الوساد في الطب)

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد. الرقم no. 833

مخطوط لندن. Wellcome Historical Library, London, no. 185

وعليه دراسات وابحاث عديدة، وتم تحقيقه ودراسته وترجمته للاسبانية: ماري كارمن البريث موراليس C. Aivarez de Morals, Toledo 1980.

5. (كتاب الادوية الركبة). ورد ذكره في كتاب الوساد في الطب، للمؤلف ابن وافد.

6. (مجربات في الطب). (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 496.

7. (كتاب المغيث). (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 496. انظر حياته ومؤلفاته: القفطي، كتاب اخبار الحكماء، ص 152.

- القوطي: سليمان بن حارث القوطي. ولد بطليطلة وتوفي بداية القرن 12م

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب العيون). مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد. الرقم 894- 2. تم دراسته وتحقيقه وترجمته للاسبانية من: جامعة سلمنقة. M. C. Vazquez de Benito, U. de Salmanca, 1973.

وهناك دراسات وبحوث متعددة عنه.

وادي الحجارة Guadalajara

- ساموئيل بن وقار: عاش في منطقة الحجارة من الاندلس وتوفي في القرن 14م.

مؤلفاته الطبي:

1. (كتاب الطب القشتالي)

مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد. الرقم n. 05240L1

عليه دراسة من الاسباني امادور دياث كارثيه .Amador Diaz Garcia

سرقسطة Zaragoza

- ابن باجة: ابو بكر محمد بن يحيى بن صاعق بن باجة. وبالاتينية Avempace. ولد بسرقسطة قبل عام 500هـ/ 1106م، وتوفي بمدينة فاس عام 533- 534هـ/ 1138- 1139م. انظر: الخطابي: الطب والاطباء، ج1/ 58.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب التجربتين على ادوية ابن وافد). (مفقود). ذكره ابن البيطار/ كتاب الجامع. انظر: ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 516.

2. (كلام على شيء من كتاب الادوية المفردة لجالينوس). (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 516.
3. (كلام في ميزاج بها حوى طبي). (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 516.
4. (كتاب اختصار الحاوي للرازي). (مفقود). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 516.
5. (كلام في النبات)

مخطوط اكسفورد Bodlain Library, Oxford, no. POC. 206

مخطوط برلين Koniglichen Bibliothek, Berlin, no. 5060.

دراسة وتحقيق وترجمة للاسبانية. ميجيل اسين بلاثيوس. في مجلة الاندلس الاسبانية.

M. Asin Palacios, AVEMPACE BOTANICO, Al Andulus, V, (1940) pp. 255- 299.

- ابن بكلاريس او ابن بكلاريش: يوسف بن اسحق بن بكلاريش الاسرائيلي. يعتقد انه ولد بسرقسطة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر الميلادي.

مؤلفاته الطبية:

1. (رسالة التبين والترتيب). (مفقود)
2. (كتاب المستعيني في الطب). الفه للملك احمد بن هود المستعين بالله، حكم 478- 503هـ/ 1085- 1109م

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم no. 673

مخطوط الخزانة العامة بالرباط. الرقم (قديم D55) no. 481. نسخة منه بجامعة حلب رقم 197.

مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد. الرقم 5009.

مخطوط المكتبة الوطنية في نابولي B. N. Napoles, no. III. F. 65

مخطوط جامعة ليدن Universities Bibliotteck, Leiden, no. 1339

مخطوط Salar Jang Library, Hyderabad.

وعليه دراسات وابحاث عالمية:

(H. P. J. Renaud, en Hesperis, 10 (1930), pp. 135- 150.

M. Leyeyal, en Janus, 55, 2- 3 (1968), pp. 134- 166.

تم تحقيق ودراسة وترجمته للاسبانية. لابرتا (اطروحة ماجستير غير منشورة):

A. Labarta, al- Mustaini, Barcelona, 1972.

ومقال اخرى: A. Labarta, en Estudios Sobre Historia de la Ciencia Arab, Barcelona.

مجلة الدراسات التاريخية للعلوم العربية

A. Labarta, en IV Coloquio Hispano- Tunecino.

- الحوار الخامس الاسباني التونسي في جزر ماريوكا Palma de Mallorcam 1979)

3. (كتاب المجدولة في الادوية المفردة). ذكره ابن ابي اصيبعة/ عيون الانباء في طبقات الاطباء، ص 501.
4. (المستعين في المفردات الطبية. (يقع في 269 ورقة)

مخطوط Biblioteca Academiac Lagduna- Batava, Cod. No. 15

نسخة مصورة منه في مكتبة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب تحت رقم 196. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، مج 1/ 22، 55 حيث ذكره المستعيني في الادوية المفردة.

اطباء اندلسيون مجهولة اماكن ولادتهم او سنوات وفياتهم:

- ابن ترمرت: ابو عبد الله محمد بن علي بن تومرت المغربي الاندلسي، مجهول محل وتاريخ ولادته الا انه توفي سنة 392هـ/ 1001م

مؤلفاته الطبية:

(فطرت الضاع في سمات الطبيعة)

مخطوط الخزانة العامة بالرباط. الرقم n. 2643 (القديم n. D 1486)

- ابن سعيد الاندلسي: محمد بن سعيد بن زكريا

مؤلفاته الطبية:

(التذكرة السعيدية)

مخطوط مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الرقم 1049 طب.

انظر مجلة معهد المخطوطات العربية/ المجلد الخامس هـ/ 1959م، الرقم 92.

- القائد علي بن ابراهيم الاندلسي.

مؤلفاته الطبية:

(منظومة في علاج العين).

مطلعها: وما ذكرته من الايارج

للحفظ والعينين والنجاتج

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط) الرقم مجموع 515 عدد ابياته: 16

(ارجوزة في خصائص الفواكه الصيفية). (يذكر فيها خصائص المشمش والتين والتفاح وحب الملوك والكمثري والعنب والرمان وغيرها من الفواكه الصيفية ويبين ما فيها من منافع او اضرار. عدد ابياتها: 290

مخطوط الخزانة الحسنية (القصر الملكي بالرباط).

الرقم: مجموع 267ك

ارجوزة في خصائص الفواكه الصيفية. نسخة ثانية.

الرقم مجموع 6499.

- الغافقي: محمد بن القسوم بن اسلم الغافقي. انظر: الخطابي/ الطب والاطباء، ج1/ 64. عاش في القرن الثاني عشر للميلاد.

مؤلفاته الطبية:

1. (كتاب المرشد في الكحل)

مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد. الرقم n. 835

دراسة وتحقيق مايروف، برشلونة M. Meyerhof, Barcelona, 19833. انظر: المقري:/ نفح الطيب، ج2/ 691.

ورد في فهرست المخطوطات المصورة (معهد المخطوطات العربية) ج3 (العلوم- القسم الثاني- الطب). وضعه ابراهيم شبوح، القاهرة 1959م، ص 170، رقم 225، المرشد في طب العين، محمد بن قسوم بن اسلم الغافقي الاندلسي. ت 560هـ.

مخطوط دار الكتب المصرية رقم 1808 طب. وصور عن مكتبة دير الاسكوريال في مدريد، نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ف 21 اعادة.

المصادر والمراجع لبحث كشاف مشاهير اطباء الاندلس

1. المقري: شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني. (ت 986- 1041هـ/ 1578- 1631م. "نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب". تحقيق د. احسان عباس. طبعة بيروت 1388هـ/ 1968م (في 7 مجلدات والثامن كله فهارس، ج1/ 366.

2. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (732- 808هـ/ 1331- 1405فم). "العبر وديوان المبتدأ والخبر". طبعة بيروت 1958- 1959م (سبعة مجلدات. ج4/ 299) وانظر: المقري/ نفح الطيب/ ج1/ 354.

3. Reinhart P. Dozy., “Historia de los Musulmanes de Espana, Ediciones Turner, Madrid 1982, Vol, III/ 88.

4. السامرائي، د. كمال. "مختصر تاريخ الطب العربي" الجزء الاول/ بغداد، دار الحرية للطباعة. (سلسلة دراسات رقم 355) (بغداد 1984/ ص 294).

دليل المكتبات العربية والعالمية للمخطوطات الاندلسية (ملحق)

2. الخزانة الحسنية (مكتبة القصر الملكي بالرباط) داخل بناية القصر، محافظ الخزانة: محمد العربي الخطابي، تحتوي على نوادر المخطوطات الاندلسية والمغربية.

2. المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان، شارع محمد الخامس، تطوان، المغرب.

2. الخزانة العامة للكتب والوثائق. ص. ب. 1003 الرباط، المملكة المغربية. محافظ الخزانة الاستاذ محمد- بن شريفة. تحتوي على نفائس ونوادر المخطوطات الاندلسية والمغربية.

2. المركز الوطني للوثائق العراقية للمخطوطات. شارع حيفا. (دار توفيق السويدي سابقاً) مقابل مبنى السفارة البريطانية، بغداد- الرصافة. مدير الدار الاستاذ اسامة النقشبندي، تحتوي على جميع المخطوطات في جمهورية العراق.

2. المكتبة الوطنية بمدريد Biblioteca Nacional de Madrid, Paseo de Castellano, Calle de Recoletos

فيها قاعة للمخطوطات العربية واللاتينية، حيث تحتوي على نفائس المخطوطات الاندلسية والمغربية.

2. مكتبة دير الاسكوريال بمدريد (ضاحية تبعد عن مدريد 50 كم) Bibllioteca de san Lorenzo de el Escorial, Paseo De Jose Antonio, I. S. L (Sr, Director de la Real Biblioteca Escorial)

توجد في مكتبت الاسكوريال صالة خاصة للمخطوطات العربية التي تعد من الذخائر والكنوز، حيث عرضت اعداد من تلك المخطوطات داخل دواليب (خزائن) زجاجية للزوار.

2. مكتبة المعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد.

Biblloteca del Instituto Hispano- Arab de Cultura "Bibllotica Islamica- Felix Maria Pareja",
Instituto de Cooperacion con el Mundo Arabe, Paseo Jan XXIII, 5, 28040 (Madrid, Espania)

تقتني كل المخطوطات الاندلسية والرسائل والكتب والمجلات، وكل ما يهم الاندلس، مديرة المكتبة، فليسا ساستري Da Felisa Sastre. واغلب موظفي المعهد يجيدون اللغة العربية، حيث ان المعهد يقوم باصدار المجلات والنشرات التالية: (مجلة اوراق AWRAQ، مجلة القلم QALAMO، مجلة العربي El ARABISMO، فهرسة للكتب الخاصة بمكتبة المعهد الاسباني العربي CUADERNOS DE LA. BIBLIOTICA ISLAMICA

وقد قام المعهد بطبع اعداد كبيرة من الكتب العربية الاندلسية حيث تباع في داخل المعهد او خارج اسبانيا، ويصدر قائمة بالمنشورات باللغتين العربية والاسبانية مثبت فيها قيمة المطبوع بالعملة الاسبانية والدولار الامريكي.

2. مكتبة الاكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد. Biblioteca de Real Academia de Historia, C. Leon (Atocha) Madrid, Espana.

2. المكتبة الوطنية بباريس Bibliotheque Nationale (58, Reo de Richelieu 75084 Paris (CEDEX 02 SERVICE PHOTO GRAPHIQUE)

2. مكتبة برلين DEUTSCHE STAATSBIBLIOTHECK UNTER DEN LINDEN 8 POST FACH 1312, BERLIN DDR- 1086.

2. مكتبة برلين: Staatsbibllotheck Preussischer Kulturbesitz Orientabteilung, Postdamer Strasse 33- Postfach 1407 D1000, Berlin 30.

2. مكتبة المتحف البريطاني Biblioteque British Museum, London (England)

قائمة باسماء فهارس المكتبات والمقالات التي اعتمد عليها البحث:

1) فهارس الخزانة الملكية (الخزانة الحسنية بالرباط) تصنيف محمد العربي الخطابي، الرباط 1402هـ/ 1982، المجلد الثاني (الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات)

2) فهرس المخطوطات التي اقتنتها دار الكتب المصرية من 1936- 1955، تصنيف فؤاد سيد، القاهرة، 1380- 1961م

3) مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي، تصنيف اسامة ناصر النقشبندي، دار الرشيد، بغداد 1981.

4) فهرس المخطوطات الطبية في مكتبة المجمع العلمي العراقي، تصنيف ميخائيل عواد، الجزء الثالث (دراسة وفهرسة)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1404ه/ 1983م.

5) فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، اعداد محمد كمال، حلب 1401ه/ 1980م.

6) فهرس المخطوطات العربية المصورة/ مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية، جمع واعداد د. محمد عدنان البخيت، نو فان المحمود، عمان 1405ه/ 1985م.

7) فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث العربي بالكويت اعدها هيا محمد الدوسري، الكويت 1984.

8) فهرس مخطوطات الطب الاسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية في مكتبات تركيا، من اعداد منظمة المؤتمر الاسلامي ومن منشورات مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستنبول، اشراف د. اكمل احسان اوغلي 1984.

9) فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة وضعه ابراهيم شبوح، القاهرة، 1959، الجزء الثالث: العلوم، القسم الثاني (الطب).

10) فهرس المكتبة البلدية (بالاسكندرية) بقلم احمد ابو علي، فهرس علم الطب الانساني والبيطري والفسيولوجيا والتشريح، سنة 1346ه- 1927.

11) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية وضعه عبد الغني القر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق 1383ه- 1963م.

12) فهرس مخطوطات المكتبة الازهرية (الكتب الموجودة بالمكتبة الازهرية الى سنة 1382ه/ 1962م، مطبعة الازهر 1382ه/ 1962م.

13) اسماء الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بعاصمة رباط الفتح المحروسة: Manuscrits Arabes de Rabot, E. Levi- Provencat Paris 1921.

مراسيم المولد النبوي في الأندلس والمغرب

اعتاد أهل الأندلس والمغرب إقامة الحفلات في الأعياد والمناسبات الدينية والاهتمام بمراسيمها، وإغداق الأموال الطائلة في عمل للموائد التي تعرض فيها أصناف الطعام والمعجنات والحلوى أكثر مما كان يحدث عند أهل المشرق ويعزى ذلك إلى ان أهل الأندلس يجاورون اخوانهم المسيحين إذ يقطن عدد كبير منهم في المجتمع الأندلسي، لذا أرادوا التفاخر والمباهاة أمام المسيحيين الذين كانوا بدورهم يعظمون ويهتمون بأعياد الدينية كمناسبة ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويطلق على المناسبة بالاسبانية (نبيداد Navidad= الميلاد) ويصادف في تقويمهم الافرنجي الخامس والعشرون من كانون الأول من كل عام وتعرف الليلة بالاسبانية Noche Buena (نوجي بوينا= الليلة العظيمة).

كما يحتفل في اسبانيا المسيحية في ليلة العام الجديدن ويطلق عليها بالاسبانية Noche Veja (نوحي بينها= ليلة العجوز أو القديمة) فضلاً عن احتفالهم في اسبوع الفصحى أو القديس، ويعرف بالاسبانية Semana Santa (سماناسنتا= اسبوع القديس) ويصادف عندهم في فصل الربيع.

وما تزال هذه المناسبات الدينية عند الشعب الاسباني تحظى بتقدير واهتمام حتى يومنا هذا شأنهم بذلك شأن العالم المسيحي قاطبة. إذ تبالغ بعض العوائل الاسبانية في هذه المناسبات بعرض أصناف الطعام المختلفة واللذيذة الباهظة التكاليف وتشتغل العائلة الاسبانية بالاهتمام في وقت مبكر لشراء الحاجيات والمواد الغذائية لعمل الموائد والزينة لاعداد المأكولات ومنها: الديك الرومي المحشى أو الخنازير الصغيرة المشوية والمحشاة بالرز (بالأسبانية Arroz= اروث) وبعض العوائل تعمل القوزي (الخروف الصغير) المحشى بالرز والوز، كما ان هناك أكلة مشهورة ومعروفة عند الاسبان تعرف بـ La Paella البائية= البقية. ولعل أصلها عربي ويريد بها بقية طعام موائد ملوك العرب، ويطلق عليها في قطرنا (البرياني) عبارة عن رز مطبوخ وفيه اللوز والجوز والشعرية واللحم بالتوابل أو القواقع البحرية.

أما الحلوى (بالاسبانية Postre بوستري) والمعجنات المتعددة الأصناف والأشكال والطعم فتعد من مستلزمات الموائد في المناسبات الدينية في الأندلس، ولا يخلو فيها الزعفران (بالاسبانية= Azafran اثوفران) الذي تشتهر به أغلب مدن الأندلس بنكهته وجودته ولونه"[1].

ان الأعياد والمناسبات الدينية لها مكانة وموضع تقدير واحترام واهتمام في المجتمع الاسلامي، وفي الأندلس صار لهذه الأعيار احترام كبير وتعظيم وتقديس لمراسيمها، وهذه الأعياد والمناسبات هي:

1. ليلة القدر العظيمة (في 27 رمضان المبارك- مناسبة نزول القرآن الكريم على سيدنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)".
2. عيد الفطر المبارك.
3. عيد الأضحى المبارك.
4. ليلة للمولد النبوي الشريف (في 12 ربيع الأول- ذكرى ولادة سيد الكائنات صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).
5. ليلة الاسراء والمعراج "سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع العليم".

(1) عن الزعفران Azafran انظر: ابن البيطار/ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية.

وفي هذه المناسبات الدينية جرت العادة عند المسلمين في المشرق والمغرب على إقامة الصلوات في المساجد، وفي الأندلس كان يتولى المهمة "صاحب الصلاة" وتوقد الشموع في المساجد وترش العطور وترتدى الملابس الجديدة الزاهية البياض وتصنع أصناف المأكولات والحلويات وتوزع الصدقات على الفقراء والمحتاجين وتبادل التحيات والهدايا بين الأهل والأقارب والأصدقاء ابتهاجاً وتعظيماً للمناسبة.

وما زالت الاعتقادات والترتيبات التي كانت تقام في المناسبات الدينية في الأندلس الاسلامية جارية حتى الآن في الجنوب الاسباني المعروف بإقليم الأندلس Andalucia وفي المجتمع الريفي الاسباني الذي يحمل تراث الأجداد العرب المسلمين من المواقع والأسماء والعادات العربية.

لقد تأثر بعض سكان الأندلس من المسلمين بالتقاليد والعادات المعروفة في المجتمع المسيحي الخاصة بالاحتفال في مناسباتهم وأعيادهم وعمل الموائد التي تعد من البدع المخالفة لتعاليم الاسلام، كما ذكر لنا المؤرخ الأندلسي أبو بكر الطرطوشي (ت 520- 525هـ) وأصله طرطوشة Tortosa في كتابه "الحوادث والبدع"، إذ قال الطرطوشي (.. من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبع وعشرون من رمضان، وكذلك على اقامة ينير (Enero) باتباع الفواكه كالعجم وإقامة العنصرة"، وخميس ابريل (Aprli) بشراء المجبنات والاسفنيج، وهي الأطعمة المبتدعة، وخروج الرجال جميعاً، أو اشتافاً، مع النساء مختلطين للتفرج، وكذلك يفعلون في أيام العيد يخرجون للمصلى، ويقمن فيه الخيم للتفرج لا للصلاة)".

ان مشاركة المسلمين في الاحتفالات المسيحية على أرض الأندلس"، جاء نتيجة صلة المجاورة والمخالطة في المجتمع وعوامل التأثير والتأثر، وقد أكدها العلماء والفقهاء المسلمون وأعدوها بدعة إذ حرمها الاسلام وحثوا على احترام تعاليم شعائر الاسلام والاهتمام بالأعياد والمناسبات الدينية وأكدوا على الالتزام بها مثل الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف للقرون والنهي عن البذخ والترف والاسراف بمراسيم الاحتفال لان ذلك يتنافى تماماً مع ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف والسنة المحمدية الطاهرة.

والاحتفال بالمولد النبوي الشريف من الشعائر التي يعمل بها في المشرق والأندلس والمغرب الاسلامي، اثر ضفت لها الكتب التاريخية في الأندلس التي اهتمت بذكر أحداث ما يجري في هذه الليلة المباركة مع عرض تاريخي عن سيرة سيد المرسلين والكائنات محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. وهذه الكتب تكون المادة الأساسية لبحثنا وهي نصوص جديدة ومهمة، وسنذكر شواهد نصية منها مثل:

1. "كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم" لابي القاسم العزفي اللخيمي السبتي "نسبة إلى مدينة سبتة الأندلسية Ceuta ت 677هـ/ 1279م) صفه والده أبو العباس أحمد (حياته 557-633هـ/ 1162- 1236م) وأكمله ولده أبو القاسم العزفي". مخطوط أندلسي له نسخ في المكتبات العالمية منها:

أ- مكتبة دير الاسكوريال بمدريد/ اسبانيا El Escorial، ويقع في 109 ورقة وتحتوي كل ورقة 29 سطراً، بخط مغربي جميل وواضح، وسنعتمد على هذه النسخة في تدوين النصوص للبحث.

ب- مكتبة المتحف البريطاني في لندن ويحمل المخطوط الرقم 851919..

ج- مخطوط مكتبة الدراسات العربية في مدريد/ اسبانيا ويحمل الرقم الأفرنجي X (ناقصة الأوراق).

2. كتاب "جنى الجنتين في شرف الليلتين" لابن مرزوق. محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني، ولد بتلمسان عام 710- 714هـ/ 1310- 1312م وتوفي بالقاهرة عام 781هـ/ 1379م.

المخطوط يتضمن 313 ورقة وتحتوي كل ورقة على 19 سطراً، بخط مغربي جميل وواضح، وأبوابه:

الباب الأول: فيما يختص بليلة القدر.

الباب الثاني: فيما يختص بليلة المولد النبوي الشريف.

3. مخطوط "كتاب التنوير في مولد السراج المنير" لابن دحية الكلبي ابلنسي، نسبة إلى مدينة بلنسية Valencia، (544- 633هـ/ 1149- 1235م. صاحب كتاب (المطرب من اشعار أهل المغرب) لقد أشار المغربي إلى كتاب التنوير".

لقد ورد ذكر "التنوير" لابن دحية الكلبي في الورقة الأُولى من مخطوط "كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم لابي القاسم العزفي وأسماه "التنوير في مولد البشير النذير" لابن دجنة الكلبي رحمه الله تعالى، وكان أحمد المصادر التي اعتمد عليها ابن العزفي في تدوين كتابه بالإضافة إلى كتب اخرى.

وذكره، المستشرق الاسباني بونس بوينجس Pons Bouiges ويقول عنه انه مخطوط في المكتبة الوطنية في باريس ويحمل الرقم 1470.

كما ذكره المحامي عباس العزاوي في مقدمة تحقيقيه عن (كتاب النبراس في تاريخ بني العباس) لابن دجنة الكلبي البلنسي ما نصه عن مخطوط كتاب التنوير "كانت عندي نسخة منه في مجموعة فلم يتيسر لي العثور عليها".

أما المصادر المشرقية فهي أيضاً تحدثت بغزارة عن مراسيم ليلة القدر النبوي الشريف، وعدد كبير من تلك المصادر ما زالت مخطوطات في المكتبات العامة العربية والأجنبية، وسنرفق ملحقاً عن ذلك في البحث.

وفي كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم، لابي القاسم العزفي وردت في الورقة الأُولى لعنوان المخطوط المصادر التي اهتمت بالمولد النبوي وهي:

- "عرف التعريف بالمولد الشريف"، لابن الجوزي.
- "حسن المقصود في عمل المولد"، للولي الأسيوطي.
- "التنوير في مولد البشير النذير"، لابن دجنة الكلبي البلنسي.
- "مورد الصلاح في مولد الهادي"، للحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي.

وبذلك أورد "كتاب الدر المنظم" معلومات وأخبار عن المولد النبوي الشريف في المشرق والمغرب والأندلس، غاية في الأهمية، خصوصاً ما كان يعمل في مدينة سبتة Ceutea في الحكم الموحدي 54- 620هـ/ 1145- 1223م والفترة المرينسة بالمغرب والأندلس.

أما عائلة العزفي فكان لها مكانة سياسية ودينية وثقافية في المغرب وصار لها نشاط ومكانة متميزة في سبتة، وعملت بخدمة الاسلام والدفاع عن حقوقه وعمل الموائد للفقراء والنزلاء بالمدينة، حيث اشادت المصادر الأندلسية والمغربية بدور آل العزفي الذين حكموا سبتة متتصف القرن السابع الهجري، وعرفوا إلى جانب حسن القيام على أحوال المدينة بالاشتغال بالعلم وتذوق الأدب، وتشجيع أصحابهما مما كان له أثر في النهضة العلمية والأدبية التي عرفتها سبتة في أيامهم وقد استبد الفقه أبو القاسم بحكم سبتة وبقي بها مسروراً معظماً ميسوراً ولم يزل أهل بلده، يعظمونه بغاية الأعظام والتقدير لجانبه والاحترام فهو من جلة الفقهاء الاعلام، ومن أهم مآثره العظام قيامه بمولد النبي صلى الله عليه

وآله وصحبه وسلم أجمعين من كل عام فيعظم فيه أهل بلده بالوان الطعام ويؤثر على أولاده ليلة المولد السعيد بالصرف الجديد، من جملة الاحسان عليهم والانعام ويمشون في الأزقة يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين.

تضمن كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم، نصوصاً هامة ومفيدة ومعلوماتها النادرة والجديدة في أغلب فصوله وتضمن الكتاب كذلك أخباراً تاريخية عن مدينة سبتة وعن مراسيم الأعياد والاحتفالات الدينية للمسلمين والمسيحين فينصحون به واراء نظريات العلماء والفقهاء عنها، وأهم ما احتواه الكتاب من معلومات عن الأعياد والاحتفالات منها:

1. الأعياد المسيحية والأعجمية التي كانت تقام مراسيمها على أرض الأندلس والمغرب.
2. انتقادات للذين كانوا يشاركون المسيحيين في أعيادهم وممارسة شعائرهم وعاداتهم.
3. استعراض الشعائر الاسلامية التي تقام في مناسبة ليلة المولد النبوي الشريف والنهي عن إقامة البدع التي ينكرها ويرفضها الدين الاسلامي لانها تخالف ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسنة المحمدية الطاهرة.
4. تحديد ليلة المولد النبوي الشريف وما جاء فيها من أقوال أو نظريات.
5. ذكر أصناف الطعام والحلويات والمعجنات التي توضع على الوائد بالمناسبة.
6. أورد العزفي آراء الفقهاء ونظرياتهم في تحليل عدد من المسائل الشرعية التي تخص إقامة المولد النبوي الشريف في الأندلس والمغرب.

أما النص الذي يتحدث مباشرة عن مراسيم ليلة المولد النبوي الشريف في الأندلس ننقل من نسخة الاسكوريال بمدريد الورقة أ 3– أ 7 فضلاً عن نسخة المتحف البريطاني أ 3– أ 5 ونسخة الدراسات العربية أ 84– ب 85 ونسخة مسجد البياني بتركيا أ 2– ب 6.

النص: "... وانظروا إلى ما جر على أهل هذا الزمن الغيبة عن مجالس العلماء والمزاحمة بالركب لاهل التقوى، وعصابة الهدى حاملي السنن القائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم فافتتن، تمسكهم بمناهج السلف اللاحبة السنن، ولا تعتروا بمن ينسب إلى العلم وقد اتبع في طاعة النسوان والصبيات هواه، قصده ذلك عن ان يكون قواماً لله بالقسط ولواه، والله تعالى يتداركنا بتوبة نصوح تلحقنا برداءة تقواه.

وان تعجب أيها الناصح لنفسه نعجب من أحصائهم لتواريخهم والإعتناء بمواقيتها، فيكثروا ما يتساءلون عن ميلاد عيسى على نبينا وعليه السلام والإعتناء، وعن ينير سابع ولادته، وعن العنصرة، ميلاد بيحي على نبينا وعليه"[1] السلام فما أغناهم التوفيق، ولا القرين المرشد، ولا الرفيق، ان يكون سؤالهم عن ميلاد نبيهم محمد ﷺ خيره الله من خلقه، وذلك من شكر نعم الله علينا بعض واجبه وحقه، هاديهم من ضلالتهم ومرشدهم من غيهم بالعزيز عليه عنتهم بالحريص على هديهم، الشديد على ضلالتهم وفتنتهم، الرؤوف الرحيم، شفيعهم الذي ضوعف لهم به ثواب محسنهم وتجاوز عن مسيئتهم، بل جماهير عامتهم ودهمائهم، بل الذين يدعونهم بطلبتهم وعلمائهم لا يعرفونه ولا يتعرفون"[2]، بل يقنعون بانه عندهم في كتبهم ويكتفون، والحمد لله.

---

(1) بداية الورقة بـ 3 الاسكوريال.

(2) بداية الورقة بـ 84 (الدراسات العربية).

فقد انتهى اليوم إلى العذراء في خدرها، والحرة المصونة في سترها، ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من يحيى عن بينه بقيام حجتها وانقطاع عددها، والله يعيذنا من الفتن ويقينا غوائل شرها، آمين".

قال المؤلف (رضي الله عنه): واضافوا للتخفي عنها بالسؤال، والمحافظة عليها والاقبال، من بدع وشنع ابتدعوها، وسنن واضحة أضاعوها، بموائد نصبوها لابنائهم ونسائهم وضعوها وتخيروا فيها أصناف الفواكه وأصناف الطرف وجمعوها، وتهادوا فيها بالتحف التي انتخبوها، والمدائن التي صوروا فيها الصور واخترعوها، ونصب ذوو اليسار نصبات في الديار، كما نصب أهل الحوانيت، فتضدوها، فقوم أباحوا أكلها لعيالهم وقوم منعوها، وجلوها كالعروس لا تغلق دونها الأبواب، وفي منصتها رفعوها، وبعضهم أكل من أطرافها، ثم باعوها.

ولقد ذكر لنا غير واحد من المسافرين ان النصبة ببعض بلاد الأندلس، جبرها الله وأمنها، يبلغ ثمنها سبعين ديناراً، أو يزيد على السبعين، لما فيها من قناطير السكر وارباع الفانيد وأنواع الفواكه، ومن غرائر التمر ما عدال الزبيب والتين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها، وضروب ذوات القشور من الجوز واللوز والحلوى والقسطل والبلوط والصنوبر إلى قصب السكر ورائع الاترج والنارنج واليم. وفي بعض الأعوام سد الحوانيت ممن لا يبيع ما يحتاجون إليه، كسوق القيسرية والعطارين وغيرهما من الأسواق، وفي ذلك لضعفائهم من الدلالين وغيرهم قطع المعايش وتعذر الأرزاق، ويطلقون الصبيان من المكاتب ويشربون بذلك قلوبهم حب البدع الرواتب، فهذه أفعالنا، فهل منا من تائب لائم لنفسه معاتب.

وكان هذا في ينير، ثم صنعوا نحواً منه في العنصره وفي الميلاد، فكيف ينشأ على هذه الفتنة إلا مصر عليها مائل إليها من الأولاد، إذ يلقون إليهم انه عمل هذا العمل، لم ينحل عامة ذلك من رغد العيش وبسعة الرزق وبلوغ الأمل. وربما جعلوا حمارة تحت اسرتهم تفاؤلاً وامارة ليكونوا في عامهم ذلك اكيس من الحمارة، فهل سمعتم يا اولي الألباب بأعجب من هذا العجاب، طاعة ذوي النهي والأحلام من الرجال إلى الولدان وثبات الحجال.

وأرى انه ما جر على أهل الأندلس هذا إلا جوار النصارى، دمرهم الله من جيران، ومخالطتهم لتجارهم، ومكاشفتهم عند الكينونة في اسارهم وبذلك حذرنا من ترائي النيران.

قال"[1]، النبي صلى الله عليه وسلم، انا بريئ من كل مسلم مع مشرك"[2]، لا تراءى ناراهما وما سرى ذلك إلى هذه العدوة، ولا بالإتباع لهم والقدوة، وما عبر عن ذلك البر، إلى هذا البر بدعة أشنع منها ولا أضر.

قال المؤلف رحمه الله ونضر وجهه وأجزل ثوابه: فأن قيل: فان كان الأمر كذلك ونبعث هذه العين المالحة من هناك حتى مدت اسيالها وبسطت أطنابها وجرت أذيالها، وسقت البطالة، ذوي الطول والاستطالة، حمياً الفتنة وجرياً لها حتى اشبهوا أجناس النصارى، وقد استقر في الأنفس ان قراره علم المغرب والأندلس، وبصائر أهل المغرب في ذلك مستبينة، وعما قرطبة عندهم كلاعمل بالمدينة، فما الراسخين من علمائها، والنحارير من حكامها وحكمائها والصالحين من دهمائها، لم يصد عوافي هذه البدع بالانكار، بالمواعظ والتذكار، بالعشي والأبكار، والعادة قاضية في الامور الكبار، ان تفشوا بها الأحاديث وتستفيض بها الأخبار.

فالجواب، والله الموفق للصواب، ان الاخبار قد استفاضت وامتلأت منها الاسماع وفاضت بالزجر والانكار، والبكع لفاعلها بالتقريع والتبديع بل بالتضليل والاكفار، لكل من أعرض عن رواية الآثار، وتعاطى الفقه وتعرض

---

(1) بداية الورقة أ 4 (بالاسكوريال).

(2) بداية الورقة ب 4 (المتحف البريطاني).

للفتوى، فلا تسأل عن السقوط لليدين والفم والعثار، وقد جمع في ذلك شيخنا الفقيه الرواية الثقة التاريخي المسند أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الانصاري القرطبي جزءاً حسناً هم مما اذن له فيه، وكتب به غير مرة إلينا.

قال في باب كراهيه النيروز والمهرجان والميلاد وذم الاحتفال لها، وترك تعظيمها والاستعداد لدخولها، وكان يمنع أكل ما يذبح لها، كان السلف رضي الله عنهم، وأهل الخير والفضل والدين والورع يكرهون هذه الفصول المذمومة ويبيعونها على فاعلها والمستعمل لها والمحافظ عليها"[1]، لانها أعياد النصارى.

ثم قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: من تشبه بقوم فهو منهم. ثم قال بعد ذلك: فإني رأيت، عصمنا الله وإياك من مضلات الفتن، واعاننا على حياء السنن، الجمهور اللفيف والعالم الكثيف من أهل عصرنا قد تواطئوا على تعظيمها شأن هذه البدع الثلاث: الميلاد وينير والمهرجان، وهو العنصره تواطاؤا فاحشاً، والتزموا الاحتفال لها والاستعداد لدخولها التزاماً قبيحاً، فهم يرتقبون مواقيتها ويفرحون بمجيئها، ولعمري لقد نشبوا في فتنة هوى، أوقعتهم في بعدة عمى، وتشاقوا الله ورسوله من حيث لا يعلمون، واستسهلوا هذه البدع حين ألفوها وعظموها حتى صارت عندهم كالسنة المتبعة"[2]، وسكت العلماء، رضي الله عنهم، عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها، وتأني السلطان في تغييرها، وتمكن الشيطان من تزينها، فوقع الناس من هذه البدع في أمر عظيم، إلا ان يتداركنا الله برحمته.

ثم قال: قال أحمد بن زياد: قال لنا ابن وضاح: جاء الحديث ان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، قال: اجتنبوا أعياد اليهود والنصارى، فان السخط ينزل عليهم في مجامعهم، ولا تتعلموا رطانتهم فتتخلقوا ببعض خلقهم، قال: وبلغني ان ناساً من أهل العراق قالوا لعبد الله بن عمر، رحمه الله: كيف نقول في النيروز، فإن أهل بلدنا يعظمونه ويهدون لنا فيه، كأنهم يسألون عن تعظيمه. قال: لا أدري ما نيروزكم هذا، من تشبه بقوم فهو منهم، وذكر الدور في ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله، نهى ان يذهب إليه في النيروز والمهرجان بشيء.

قال ابن وضاح، رحمه الله: حدثنا محمد بن سعيد بن أبي مريم ومحمد بن يحيى الصدفي المصري قالا: حدثنا أسد بن موسى عن الربيع بن صبيح عن أبان بن أبي هياش قال: لقيت طلحة بن عبيد الله بن جزبز الخزاعي، فقلت له: قوم من اخواننا من أهل السنة والجماعة ما يطعنون علىأحد ويجتمعون يوم النيروز والمهرجان ويصومونها فقال طلحة: بدعة من أشد البدع والله، أشد تعظيماً للنيروز والمهرجان من غيرهم. ثم استيقظ اني بن مالك، رحمه الله، فرقيت إليه فسألته كما سألت طلحة، فرد مثل قول طلحة كأنما كان معه على ميعاد.

وخرج فيه عن ابن وضاح: قلت لسحنون: انهم عندنا إذا كان أعياد"[3] النصارى قالوا للصبيان: جيئونا ببيض وهدايا نقلبكم إلى الكنائس.

قال: أي شيء هذا. قلت: مثل الميلاد والعنصرة يقبلونهم ويأخذون منهم الهدايا. قال: هذا بئس الرجل، لا يصلى خلفه ويقدم غيره وان قدو على ذلك.

قال ابن وضاح رحمه الله: وسألت أبا بكر زكريا يحيى بن سليمان عن امام يقبل هدايا الصبيان في أعياد النصارى ويعضمها. قال: ما أراه مسلماً. قلت: لا يصلى وراءه. قال: أنا أقول لم ما أراه مسلماً وانت تقول لا يصلى وراءه.

---

(1) بداية الورقة بـ 4 (نسخة تركيا).

(2) بداية الورقة بـ 4 (نسخة الاسكوريال).

(3) بداية الورقة أ 85 (نسخة الدراسات العربية).

قال ابن وضاح: وسألت سحنون عن ذلك فقال[1]: رجل سوء: قال ابن وضاح رحمه الله، وحدثنا بهلول بن راشد عن سفيان الثوري[2]: قال: دعي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، إلى طعام، فلما دخل من باب البيت رأى شيئاً من زي الأعجام فرجع وهو يقول: يحذر الرجل ان يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر. ثم قيل له رحمه الله: سألت محمد بن وضاح عما يصنع الناس في أول ليلة من ينير فقال: بدعة. فقلت له: افارد ما اهدى السي: ما أحسن ذلك قلت له: حسن، قال: نعم، أو استشريني في ان تتصدق بمائة دينار، ثم[3]، قال: بمائة دينار لا الا ألف دينار أو ترد ما اهدي إليك لاشرت عليك ان ترد ما اهدي إليك وتمسك ألف دينار قلت: ويبلغ به هذا كله. قال: نعم.

وسأل محمد بن خميس المعلم بن وضاح عن ليلة العجوز والذي يفعله أهل بلدنا فيها فكره ذلك وعابه عيباً شديداً، ونزع بأي ممنن القرآن منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون[4]، ثم قال محمد بن وضاح: لقد أعجبني ان ابن خميس المعلم جعل الصبيان يأتونه في هذه الليلة بالهدايا كما يفعل الصبيان، فردها وأعجبه ذلك من فعله.

قال ابن وضاح رحمه الله: وروى زياد بن عبد الرحمن قال: سمعت عثمان بن عيسى ابن كنانة يقول: لا بأس ان يضيف مشركاً إذا لم يجد بداً من ذلك واكره ان يعظم من أعيادهم. قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [5]، واكره ان تحملهم بتيابكم إلى أعيادهم.

قال ابن وضاح رحمه الله: قلت لسحنون: أرأيت ما كره ايؤكل مما اعدوه لاعيادهم، أرأيت الميلاد والمهرجان والنيروز مما يعدون لمثل هذا لا يؤكل قال: نعم، هو من ذلك لا يؤكل كل ما أعدوه لهذه لهذه الأعياد. قال أحمد بن زياد رحمه الله: حدثنا ابن وضاح وابراهيم بن محمد بن باز سحنون عن ابن قاسم عن مالك قال: بلغني ان أول ما صغت الصور حتى عبدت واتخذت في موت نبي مات فافتقده قومه فجعل لعم بعض ما جعل لهم ليأنسوا به، فما زال ذلك حتى كان فيه ما كان وعبدت. قال مالك رحمه الله: وبلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اياي وزي الأعاجم.

حدثنا ابن وضاح رحمه الله قال: حدثنا أحمد بن عمر وزيد بن البشر قالا: حدثنا به عبد الله بن وهب قال: قال لي من سمع الاوزاعي رحمه الله يتحدث عن يحيى بن أبي عمرو البسياني قال: حدثني عبد الله الديلمي قال: ما ابتدعت بدعة لا زادت مضياً ولا تركت سنة إلا زادت هواناً. قال سفيان الثوري رحمه الله: وكذلك كل بدعة عليها زينة وبهجة، وسيأتي على الناس زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم.

حدثنا ابن وضاح: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن[6] أبي عثمان النهدي ان عمر، رضي الله عنه كتب إلى عتبة بن فرقد: اياكم والتغم وزي الأعاجم.

وقد روينا ان رجلاً ولي السوق بقرطبة فبرح على الناس في النيروز ألا يزيدوا على ما في حوانيتهم. فأعجب فعله ذلك ابن وضاح وغيره من أهل العلم. ومما ينبغي لأهل العلم والخير والفضل والدين أن يجتنبوه في هذه الفصول

---

(1) بداية الورقة أ 5 (نسخة تركيا).

(2) بداية الورقة أ 5 (نسخة المتحف البريطاني).

(3) بداية الورقة أ 5 (نسخة الاسكوريال).

(4) الأعراف: 142.

(5) المجادلة: 22.

(6) بداية ورقة بـ 5 (نسخة تركيا).

المذمومة ما يذبح فيها من الحيوان وترك أكل لحمه ويرونه مما أُهل لغير الله به. وقد سمعت شيخنا أبا محمد بن عتاب رحمه الله يوم النيروز وهو يحكى عن أبيه رحمه الله ومكانه من الفضل والدين والعلم مكانة انه كان ينهي "[1]" عن أكل اللحم في هذه الفصول، وكان يقول انه انما أهل به لغير الله، ويشدد في ذلك.

وقد قيل لعبد الرحمن بن عيسى بن مدراج: ما قولك في قوم من أهل الخير يجتمعون ليلة قبل ينير أو ليلة بعده مع أقاربهم وأصهارهم فيأكلون الادام والفاكهة ويجتنبون الليلة المذمومة. فقال: كل ذلك منه وحواليه ومنع ذلك. وقد قال غيره: أي بدعة أفحش وأسمج من أن يكون المسلمون يحتفلون ويستعدون لدخول شهر أو سنة من شهور العجم وهم أعداؤنا وانما عاديناهم على كفرهم بالله، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [2]. فأي مودة تكون أبين "[3]" من تعظيمهم أعيادهم، وأي ولاية تكون أعظم من التشبه بهم والتفخيم لأمرهم والمشاركة لهم في ضلالهم وكفرهم، يالها مصيبة ما أجلها، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ام من أعظم أسباب هذه البدعة وأقوى دواعيها مطاوعة الرجال للنساء على الاستعداد لها والتفخيم لشأنها وانقيادهم لهن في ذلك عاماً بعد عام حتى رسخت في صدورهم وتصورت في عقولهم وتاقت إليها أنفسهم، وقد نبأنا القرآن ونبأهم بما امتحن الله به آدم، عليه الصلاة والسلام من البلاء والندم لما أطاع حواء زوجة على أكل الشجرة، وقد جاء في الحديث عنه، ﷺ قال: "شاوروهن وخالفوهن". فقال صلى الله عليه وسلم: طاعة النساء ندامة.

قال بعض العلماء: لو ان رجلاً قام السنة كلها وصامها الا ما يصام منها ولا يقام، وفعل ذلك بنية خالصة لله صادقة، الا انه يساعد أهله ويستعد لتلك الليلة المبتدعة، ورجلاً آخر لا يزيد على الفريضة وهو ممن لا يستعد لتلك الليلة الا بما كان يفعله أبداً في غيرها من الليالي حذراً لشرها وإجتناباً لبدعتها، لكان هذا الرجل الذي لا يزيد على الفريضة عند أهل العلم والورع أفضل من ذلك المجتهد المتلطخ بالبدعة واهدى واتقى.

ولا تقبل للذي يستعد لها شهادة، ولا يصلى خلفه إلا ان يتوب إلى الله عز وجل، من ذلك توبة صادقة. ولا تقبل لأحد في يوم النيروز، ولا في الليلة المهرجان، ولا في ليلة العجوز. ومن قبل الهدية في هذه البدع الثلاث من أحد فقد شرك المبتدعين لها في "[4]" اثمها وعارها.

ومما ينبغي أن يشدد على الناس فيه ما يصنع في النيروز من الصور المنهى عنها التي وردت الاثار عن النبي ﷺ بالمنع "[5]" من فعلها، لقوله، عليه السلام: من صور صورة كلف يوم القيامة ان ينفخ فيها بالروح وليس بنافع أبداً. وقال عليه السلام: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة. وقال ابن عباس رضى الله عنه لرجل سأله عن ذلك: ان أبيت، اخي، فعليك بالشجر وبكل ما لا روح له.

ومما فتن الناس فيه بالسؤال عن مولد عيسى عليه السلام، فكثيراً ما يتساءلون عنه أو ليس كانوا بميلاد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام اولى والتهمم به ومعرفته، فكثير "[6]" منهم لا يعلمون ذلك.

---

(1) بداية الورقة بـ 5 (نسخة تركيا).

(2) الممتحنة: 60.

(3) بداية الورقة بـ 5 (نسخة المتحف البرطياني).

(4) بداية الورقة أ 6 (نسخة تركيا).

(5) بداية الورقة ب 85 (نسخة الدراسات العربية).

(6) بداية الورقة أ 6 (نسخة الاسكوريال).

ومولده ﷺ عام الفيل يوم لاثنتين عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وتوفى ﷺ ضحى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة ﷺ وشرف وكرم هذا اولى أن يسأل عنه ويتهمم بمعرفته وحفظه لفضله وبركته صلى الله عليه وسلم.

وقد كان رحمكم الله جماعة من السلف يصبحون في يوم ينير صياماً، ويأتون المساجد فيقيمون يومهم فيها يصلون ويذكرون الله فيها ولا يأكلون يومهم ذلك اداماً ولا فاكهة. وقد كان خالد بن سعيد قال: حدثت عن شيوخ بني قاسم بن هلال انهم كانوا إذا كانت ليلة ينير ليس يوقد عندهم نار ولا يطبخ عندهم شيء. وحكى أيضاً قال: سمعت محمد بن مسروق يقول: كان عندنا قوم يقال لهم بنو الأسباط كان لا يوقد عندهم نار ليلة ينير أو كما قال: وكانوا علماء رحمهم الله وغفر لهم.

وذكر ابن حبيب رحمه الله عن بعض حكماء السلف انه كان يقول: اياكم يا معشر النساء، لا ترششن بيوتكن بالماء يوم العنصرة ولا تلقين في ثيابكن ورق الأكرنب ولا تغتسلن في ذلك اليوم إلا من جنابة، فمن فعل ذلك منكن فقد تشرك في دم يحيى بن زكريا صلى الله عليه وسلم.

قلت: ومما استفدته من المطالعة، وهو نص في الباب والحمد لله ما ذكره أبو الفتح محمد بن أحمد أبي الفوارس في أماليه التي يرويها أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن محمد بن فهد العلاق: حدثنا أبو الفضل عبيد الله بن محمد الحاكم بمرو، قال: حدثنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي قال: حدثنا محمد بن عوف الحمصي، قال: حدثنا الغرياني محمد بن يوسف قال: حدثنا سفيان عن الوليد أو ابن الوليد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: من نشأ في أرض الأعاجم نصبح نيروزهم ومهرجانهم حشر معهم يوم القيامة.

قال المؤلف رحمه الله ونضر وجهه: ما زلت (حريصاً على رفع هذه البدعة"[1] ودفع هذه الشنعة واطفاء هذه الفتنة، والاعتصام بالله مما يعاقب به أهل هذه المحنة ولم يكن والحمد لله على ذلك سلطان، ولا حملت على تلك الموارد"[2]، ولا ألمت بتلك الاعطان، ولا أحببت من دعاني إلى ذلك من الراحلين ولا القطان، وأدركت الحكام وقد قسمهم الزمان بقسمين وحلاهم بوسمين، أما أمر بمعروف فيها بغير عزيمة، نقضي على جيش البدع بالهزيمة، وأما مغمور بجاهه ولايته، معرض عن تعهد قوانين الاسلام ورعايته، فبعلتيهما النداء، وشغر الوقت عن حاكم ذي غيرة وتيقظ واهتداء، يعين على أهل البطالة والاعتداء، بمشاركة ونصرة ومعونة ولو بالاعداء، اللهم غفراً، وشكراً لنعمتك علينا معاشر "[3] أهل السنة لا كفراً، ما خلى الغرباء المتمسكين بالكتاب الحاملين للسنن المحافظين على اقامتها واحيائها بعد أماتتها بقوى مؤيدة من الحق ومنن القائمين فيها على غايات الدهر وأطراف الزمن، الهادين المهتدين لسلوك واضحة المنار ولا حب السنن.

قال المؤلف، رحمه الله رضي الله عنه: فأمعنت النظر، وأعملت الفكر فيما يشغل"[4] عن هذه البدع ويدفع في صدر هذا المنكر، ولو بأمر مباح، ليس على فاعله جناح، بما تطمئن إليه نفوسهم، وتمتد إليه أعناقهم وتميل رؤوسهم، فعلم الله النية واطلع على الطوية، فألهمني سبحانه ان انبههم على أمر إذا تقرر لديهم قامت الحجة عليهم ديناً ودنيا،

---

(1) بداية الورقة أ 6 (نسخة المتحف البريطاني).

(2) بداية الورقة ب 6 (نسخة تركيا).

(3) بداية الورقة ب 6 (نسخة الاسكوريال).

(4) بداية الورقة أ 7 (نسخة الاسكوريال).

وانقطع العذر إذا تعوضوا منه أحسن عوض، يقوم به الشفاء ويطعن به المرض، فنبهتهم على ميلاد نبيهم المصطفى سيد ولد آدم، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وان من العجب الاقبال على ما لا يغني والاعراض عما وجب، فكثيراً ما يسألون عن ميلاد عيسى، على نبينا عليه السلام وينتظرون الانتهاء إليه من الأيام فيا أُمة محمد، ويا خيرة الأُمم، كفى جفاءاً ان لا نعرف ميلاد نبينا، عليه أفضل الصلاة والسلام، ولا نتعرفه وهواهم، ونتعرف ميلاد غيره من الأنبياء، كميلاد عيسى، ويحيى بن زكريا، ولا علم لنا بهما فيما جاء من الأنباء. أو لم يكن سؤالهم عن ميلاد نبيهم عليه أفضل الصلاة وأطيب السلام والتحيات أحق وأولى، والتهمم به وبمعرفته أحمد سعياً.

نصوص مختارة عن ليلة المولد النبوي الشرف من مخطوط:

"جنى الجنتين في شرف الليلتين" لابن مرزوق التلمساني

المخطوط يتضمن معلومات مهمة ومفيدة وجديدة عن مراسيم المولد النبوي الشريف والتي تقام في الأندلس والمغرب، إذ استفاد هذا المخطوط ونقل نصوصاً وآراء فقهية من مخطوط "كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم" لابن العزفي، إذا أشار إلى ذلك المؤلف ابن مرزوق في صفحات كتابه ونصوصه، هذه هي:

الورقة 32 . . .

الباب الثاني: ما يخص ليلة المولد الشريف والكلام في تعينها وفضلها وخواصها وفيه يحسب هذا لتنويع فصول.

الفصل الأول: في تعيين ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم، في الورقة 32- 40.

الفصل الثاني: في فضل هذه الليلة الكريمة. في الورقة 41.

الفصل الثالث: فيما اختصت به هذه الليلة الكريمة من الآيات الطاهرة، في الورقة 41.

المقارنة لولادته صلى الله عليه وسلم، ذكرها كثير من أئمتنا رضوان الله عليهم متفرقة فجمعت، ومن كثير من المصنفات دونتها، ومن غصون بطون جملة من الدفاتر استخرجتها وأنا ذاكرها ان شاء الله تعالى عن التوالي حسب ما وقع إلى ذلك وبالله التوفيق.

ونقله عنها أبو علي الحسن بن الحافظ أبي الحسن بن القطان في كتابه الاعلام، وصاحب "الدر المنظم" وصاحب "كتاب الزاهر".

الورقة 54 . . .

وورد من أمثال هذه الأخبار المتضمنة اعلام أهل الكتاب بولادته ليلة ولادته ﷺ وما يضيق عنه هذا المقتضب، وانما نذكر فيه ما اختص بليلة الولادة المشرفة من الآيات المقترنة بالولادة والعلامات متنوعة.

الورقة 99 . . .

ومقارنة بين مكانة وقدسية وأفضلية ليلة القدر المباركة وليلة المولد النبوي الشريف، وفيها نظريات وآراء الفقهاء.

ومن أثره ليلة المولد بالمعنى الذي قدمناه من وجوب:

- الأول: ان الشرف حسب ما قدمناه هو العلو والرجعة، وهما نسبتان اضافيتان، فشرف كل ليلة بحسب ما شرفت به، وليلة المولد شرفت بولادة خير خلق الله عز وجل فبقت بذلك أفضليتها بهذا الاعتبار الثاني.

- الثاني: ان ليلة المولد ظهوره صلى الله عليه وسلم، وليلة القدر معصماه له حسبما قدمناه، وما شرف بظهور فان المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك. فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أشرف.
- الثالث: ان ليلة القدر احدى ما منحه من شرفت ليلة المولد بوجوده من المواهب والمزايا وهي لا تحصى كثيرة، وما شرف بإحدى خصائص من ثبت له الشرف المطلق لا يتنزل منزلة أشرف بوجوده، وظهر ان ليلة المولد أشرف بهذا الاعتبار وهو المطلوب.
- الرابع: ان ليلة القدر شرفت باعتبار ما خصت به وهو منقض بانقضائها إلى مثلها من السنة المقبلة على الأصح من القولين، وليلة المولد شرفت بما ظهرت أثاره وبهرت أنواره دائماً أبداً في كل فرد من أفراد الزمان من ليلة بهذا إلى انقضاء الدنيا.
- الخامس: ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد بظهور االنبي ﷺفيها، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى فتكون ليلة (الورقة 100) المولد أفضل من هذا الوجه وهو المطلوب.
- السادس: الأفضلية عبارة ظهور فضل زايد في الأفضل والليلتان معاً اشتركنا في الفضل فتنزل الملائكة فيها معاً حسب ما سبق مع زيادة ظهور خير للخلق ﷺفي ليلة المولد ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعاً في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام.
- السابع: ليلة القدر شرفت بشرف الملائكة عليهم الصلاة والسلام وانتقالهم من محالهم من الملأ الأعلى إلى الأرض، وليلة المولد شرفت بوجوده ﷺوظهوره، وما شرف بالوجود والظهور أشرف مما شرف بالانتقال الأمر ليلة القدر فضلت بإعتبار عمل العامل فيها، فانت إذا قدرت أهل الأرض كلهم عاملين فيها فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد ولا يلحقون عمله في لحظة، وان كان في غيرها فتثبت الفضيلة ليلة المولد بهذا الاعتبار.
- الثامن: شرفت ليلة القدر بكونها موهبة لامة محمد ﷺعند اتيانه عليه السلام، وشرفت ليلة المولد بوجهه من وهبت ليلة القدر لامته ﷺاعتبارية فكانت أفضل.
- التاسع: ليلة القدر وقع التفضل فيها على أُمة محمد ﷺوليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1]، فعمت به النعمة على جميع الخلائق. فكانت ليلة المولد (الورقة 101) أعم نفعاً بهذا الاعتبار.
- العاشر: ليلة المولد فضلت عن غيرها من ليالي السنة بولادته ﷺفأنك تقول فيها ليلة مولد محمد ﷺوتقول في ليلة القدر هو أما الشرف وأما التقدير، والاضافة في ليلة المولد إضافة اختصاص وهي أبلغ من الاضافة إلى مطلق الشرق، فكانت أفضل بهذا الوجه وهو المطلوب.
- الحادي عشر: ليلة القدر، أما ليلة الشرف أو ليلة التقدير فهي وان كان التقدير فيها من لوازم شرفها باعتباره، وليلة المولد ليلة شرف عام لا أمراً فيه، تثبت ليلة المولد وهو المطلوب.
- الثاني عشر: ليلة القدر انما يحظى بها العامل فيها، فمنفعتها قاصرة، وليلة المولد متعدية منفعتها وما كانت منفعته متعدية أفضل من غيره وهو الدعا.

---

(1) الأنبياء: 107.

- الثالث عشر: ليلة القدر ثبت في فضلها ما ثبت مما قدمناه إلا انه عرض من اختلاف في البقاء والرفع وان ضعف، وليلة مولده ﷺشرفها بأولها سنذكره بعد ان شاء الله فكانت أفضل بهذا الاعتبار.
- الرابع عشر: المدعا ان ليلة المولد أفضل ويدل عليه بأن تقول زمن شرف بولادته ﷺوإضافته إليه واختص بذلك، فتبين أهل الأزمنة قياساً على أفضلية البقعة التي اختصت به عليه الصلاة والسلام من أطباقها على سائر الأمكنة وقد فظتها إجماعاً، فليكن الزمن الذي اختص بولادة ﷺأفضل (الورقة 102) الأزمان بهذا الاعتبار.
- الخامس عشر: ليلة القدر فرع ظهوره صلى الله عليه وسلم، والفرع لا يقوى قوة الأصل ففطنت ليلة المولد بهذا الاعتبار وهو المطلوب.
- السادس عشر: ليلة المولد حصل فيها من القبض الالهي النور الذي ماعم الوجود، ووجوده مفارق لوجوده ﷺولم يقع ذلك إلا فيها، فوجب فصلها على غيرها وهو المدعا.
- السابع عشر: ليلة المولد أظهر الله فيها سر وجوده ﷺالتي ارتبطت به السعادات الآخروية على الإطلاق وافتتحت الحقائق وتميز به الحق من الباطل، وظهر ما أظهره الله تعالى في الوجود من أنوار السعادة وسبيل الرشد وافترق به فريق الجنة من فريق السعير وتميز وعلا به الدين وأصبح الكفر وهو الحقير إلى غير ذلك من أسرار وجود الله عز وجل في مخلوقاته وما عبر الوجود من آياته ولم يثبت ذلك في ليلة من ليالي الزمان، فوجب بذلك تفصيلها لهذا الاعتبار وهو المطلوب.
- الثامن عشر: وهو تنويع في الاستدلال وان كان معنى ما تقدم وهو انا نقول لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر للزم أحد امور ثلاثة هي:

  - أما تفضيل الملائكة على النبي ﷺوأما العمل المضاعف وأما التسوية وكلها ممتنع: -

  فالأول: فعلى الصحيح المرتضى، الثاني والثالث فاتفاق وبيان الملازمة.

  ان التفضيل في الأول حصل بولادته ﷺوفي الثانية (الورقة 103) أما بنزول الملائكة أو العمل.
- التاسع عشر: بعض زمن ليلة المولد وهو زمن ولادته ﷺوكل زمن ولادته ﷺأفضل الأزمنة، فبعض (يرى) ليلة المولد أفضل بعضها سائر الأزمنة فضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار.
- العشرون: أفضل الأزمنة من ولادته ﷺولا شيء من زمن ولادته ﷺبليلة القدر، فلا شيء من أفضل الأزمنة بليلة القدر وينعكس إلى قولنا لا شيء من ليلة القدر بأفضل الأزمنة وهذا ابطال الدعم الخصم المغامر.

الورقة 106...

قد جاء خبر يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وهو ثابت في الصحيح، فدل على ان يوم الجمعة أفضل الأزمان فبضل ليلة المولد، قلت (الورقة 170) هذا السؤال مشترك الازام بيني وبين من ادعى غير ما أدعيتم لي ان أتبرع فأقول الجواب عنه من أجه:

- الأول: ان الكلام في الليلة لا في اليوم ولا يلزم من كونه أفضل الأيام وان يكون أفضل الليلالي.
- الثاني: من موجب أفضلية نبينا نبينا محمد ﷺهي ولادة ادم منه عليه السلام وقبول ثورته وهبوطه إلى الأرض وقيام الساعة فيه، فالمراد بالخيرية وجود هذه الأشياء وقوعها فيه وانها لم توجد الا فيه واثبت له.

أنظرت في هذه الأمور وخبرتها وجدت نور رسول الله ﷺفائض عليها فهو سر وجود ادم وبالتوسل به إلى ربه قبلت توبته وقيام الساعة رحمة لامته لئلا يطول مقامهم ولبثهم تحت الأرض حسبما جاءت بذلك الأخبار الثابتة المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم.

الورقة 108 . . .

وقد تقدم الاستدلال غير مرة بهذا على ان ليلة المولد الشريف أيضاً أفضليتها على سائر الليالي لما اختصت به من العمل فهي أفضل الليالي التي تكثر فيها المثوبات وتتضاعف فيها الأعمال.

الورقة 112 . . .

الفصل الثاني: سمعت شيخنا الامام أبا موسى ابن الامام رحمة الله عليه وغيره من مشيخة المغرب يتحدثون فيما أحدث في ليالي المولد في المغرب وما وضعه العزمي في ذلك واختاره وتبعه فيه ولده الفقيه أبو القاسم وهما من الأئمة فاستصوبوه أو استحسنوا مقاصده فيه والقيام بها، وقد كان نقل عن بعض علماء المغرب أفكاره والأظهر في ذلك عندما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضاً، وقد وقع الكلام في ذلك فقال معناه لا شك ان المسلك الذي سلكه العزمي مسلك حسن الا ان المشتغل في هذه الليلة بالصلاة على النبي ﷺوالقيام باحياء (الورقة 113) سننه ومعونة إليه ومساهمتهم وتعظيم حرفهم والاستكثار من الصدقة وأعمال البر واغاثة الملهوف وقد...... ونصر المظلوم، هو أفضل مما سوى ذلك مما أحدث إذ لا يخلو من مزاحم في النية ومفسد للعمل أو دخول الشهرة وطريق الحق والسلامة معروف ولا أفضل في هذه الليلة مما ذكرناه من أعمال البر والاستكثار من الصلاة على النبي ﷺليحضى المستكثر منها ببعض ما ورد في فضلها.

وقد روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيث كنت". اخرجه أبو داود.

الورقة 115 . . .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما عبد لم تكن عنده صدقة فليقل في دعائه اللهم صلي على محمد عبدك ورسولك. وصلي على المؤمنين والمؤمنات والأحاديث الواردة في الباب متسعة، وقد اخرجت قديماً أربعين حديث منوعة الاسناد في فضل الصلاة عليه الصلاة والسلام فهي أفضل فليستعملها المؤمن ليلتذ حينئذكر ما في ظهوره عليه الصلاة والسلام من النعم التي أنعم الله عز وجل بها على مخلوقاته، ونذكر ما خص به عليه الصلاة والسلام من الصفات الجميلة والاخلاق العظيمة والسير الكريمة ويتذكر ما وقع في تلك الليلة من الآيات البينات والمعجزات والمعجبات وستنحصر حمد الله عز وجل ونشكره الذي لا يغني من بحر شكره على ما هداه اليه من الاسلام وجعله من امته عليه الصلاة والسلام، ويستغفر الله عز وجل في تقصيره في اداء ما وظفه عليه ونشطه عن المسارعة لتحصيل ما ندبه اليه، فتجمع يد الحمد والشكر والصلاة على النبي ﷺوالاستغفار وتختتم بالدعاء بما يعود عليه من مصالح الدنيا والاخرة فلعل الله يبركة تلك الكريمة ان يتقبل دعاءه لا حرمنا الله من خيره ورحمته بفضله.

يلاحظ من النصوص التاريخية التي ذكرت والتي تضمنت اراء ونظريات الفقهاء وتوجيهاتهم وموقفهم من البذخ والاسراف وممارسة الغناء والطرب في مراسيم ليلة المولد النبوي الشريف واحيائها في الاندلس والمغرب فهو عمل منكر وبدعة لا توافق على ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف والسنة المحمدية، ومن الافضل والواجب على المسلم ان يلتزم ويقيم الصلوات على الرسول الكريم ﷺوبتصديق على الفقراء والمساكين، وان يعظ الناس بالخطب

الدينية والقصائد المستوحاة من الشريعة الاسلامية، كما يحث الناس على الالتزام بالدين الحنيف واداء فريضة والاقتداء بسيرة سيد الكائنات واخلاقه الفاضلة.

وتطرقت المصادر الاندلسية وتحدثت عن مراسيم ليلة المولد النبوي الشريف وما كان يعمل فيها من طعام لتقديمه للناس، فذكر لنا المؤرخ الاندلسي عبدالحق بن اسماعيل البادسي في كتابه (المقصد الشريف) نقلاً عن شهود عيان بقوله: ".. لما استقر الشيخ عبدالملك (المؤذن) بمدينة سبتة حرسها الله تعالى، صار يصنع ليلة المولد طعاماً للفقراء يأكلونه، وكان طعامه الكعك والعسل، ويحضر تلك الليلة الفقراء والمحبون يعمل فيها السماع".

ويعود فضل إقامة الاحتفال في ليلة المولد النبوي الشريف واحيائها في مدينة السبتة الى القاضي ابو العباس العزفي صاحب المولد النبوي، كما ورد سابقاً- الذي لم يقف الاحتفال به عند سبتة بل عم المغرب فالشمال الافريقي ثم العالم الاسلامي اجمع".

ازداد تعظيم المولد النبوي الشريف واحياء مراسيم الاحتفال بلبثة بين اهل الصلاح والورع، فصار يحتفل بمولده في المشرق نحو 300 عام ه".

إذ ذكر القلقشندي أحداث ليلة المولد النبوي في الدولة الفاطمية وما كان يعمل فيها من الموائد والترتيبات حيث يتم العرض المهيب ويحضر السلطان بقوله: "وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار القطرة عشرون قنطاراً من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف، وتعبى في ثلثمائة صينية نحاس، فاذا كان ليلة ذلك المولد، تفرق في أرباب الرسوم؛ كقاضي القضاة وداعي الدعاة، وقراء الحضرة والخطباء، والمتصدرين بالجوامع بالقاهرة ومصر وقومة المشاهد وغيرهم من له اسم ثابت بالديوان ويجلس الخليفة في قنطرة قريبة من الأرض مقابل الدار القطبية المتقدمة الذكر (وهي البيمارستان المنصوري الان) وثم يركب القاضي بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة ولسد الطريق تحتد القصر. من جهة السيوفين وسويقة أمير الجيوش، ويكنس ما بين ذلك ويرش بالماء رشاً، ويرش تحت المنظرة بالرمل الأصفر ويقف صاحب الباب ووالي القاهرة على رأس الطرق لمنع المارة، ثم يستدعي القاضي ومن معه فيحضرون ويترجلون على القرب من المنظرة ويجتمعون تحتها وعم متشوقون لانتظار ظهور الخليفة، فيفتح احدى طاقات المنظرة فيظهر فيها وجهه ثم يخرج أحد الاستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بان الخليفة يرد عليكم السلام، ويقراء القراء ويخطب الخطباء كما تقدم في ليالي الوقود، فاذا انتهت خطابة الخطباء اخرة الاستاذ يده مشيراً برد السلام كما تقدم، ثم تتغلق الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم".

تحدثت المصادر الفقهية الأندلسية عن التشريعات الاسلامية حول مراسيم ليلة المولد النبوي الشريف وكيفية احيائها، ومن ذلك ما ذكره كتاب فتاوي الامام الشاطبي (بنسبة إلى شاطبة الاسبانية Jativo) ت عام 790هـ في الوصية الخاصة باقامة المولد النبوي الشريف المسئلة الأولى بقوله: "وهي القصية بالثلث ليوقف على اقامة ليلة المولد النبي صلى الله عليه وسلم، فمعلوم ان اقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة، فالانفاق على اقامة البدعة لا يجوز والوصية به غير نافذة، بل يجب على القاضي فسحه ورد الثلث إلى الورثة يقتسمونه فيما بينهم، وأبعد الله الفقراء الذين يطلبونه انفاذ مثل هذه الوصية".

أما الفقيه ابن الحفار الغرناطي (ت 811هـ) في كتابه "نوازل الوصايا وأحكام المحاجير" فقد تحدث عن فتاوي ليلة المولد النبوي الشريف بالأندلس بقوله: "ان السلف الصالح لم يفعلوا في ليلة المولد شيئاً زائداً على ما يفعلونه في سائر الليالي لان النبي ﷺ انما يعظم بالوجه الذي شرع في تعظيمه، وهم قد اختلفوا في تعيين ليلة ولادته، ولو شرعت فيها عبارة لعينها الصحابة. وحققوا،... ان تلك الليلة تقام على طريقة الفقراء، وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنيعة من شنع الدين، لان عمدتهم في الاجتماع انما هو الغناء والشطح، ويقررون لعوام المسلمين ان ذلك من أعظم القربان،

وانها طريقة أولياء الله وهم قوم جهلة لا يحسن أحدهم أحكام ما يجب عليه في قومه وليلة بل هم من استخلفهم الشيطان على ضلال عوام المسلمين وإذا يزينزن لهم الباطل، ويضينون إلى دين الله ما ليس منه، لان الغناء والشطح من باب اللهو واللعب وهم يضنون إلى أولياء الله وهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا بذلك إلى كل أموال الناس بالباطل فصار التحبيس عليهم ليقيموا بذلك طرقتهم تحبيساً على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما حبس في هذا الباب على هذه الطريقة ويستحب لابن هذا المحبس ان يصرف هذا الأصل من القوت إلى باب اخر من أبواب الخير الشرعية وان لم يقدر على ذلك فيفعله لنفسه".

ويبدو من النص السابق ان بعض أهل الأندلس قد استغلوا مناسبة ليلة المولد النبوي الشريف في مجال اللهو والفرح والطرب للغناء والرقص وهذا ما لا يجوز عمله في هذه المناسبة العظيمة التي تتمثل فيها الأخلاق والصدق والأمانة ومساعدة الضعفاء، ولا ينكر ما كان يقام في الأعياد المسيحية من أثر على تصرفات أهل الأندلس في احياء ليلة المولد، وهذا ما أكده عدد من المؤرخين والفقهاء الأندلسيين في مضفاتهم، حين عدوها بدعاً منكرة تتنافى وتعاليم الاسلام.

لقد اتفقت آراء فقهاء الأندلس وأفكارهم وتشريعاتهم مع ما أوردته المصادر المشرقية في محاربة البدع عند اقامة مراسيم المولد النبوي الشريف فألف الامام السيوطي (ت 911هـ) رسالته الموسومة التي أسماها "حسن المقصد في عمل المولد" أجاب فيها مستفتياً على حكمه، وما إلى الجواز عاداً اجتماع الناس لتلاوة القرآن ورواية أخبار الرسول ﷺ ثم الأكل في هذه المناسبة من البدع الحسنة، لما فيها من التعظيم لقدر النبي ﷺواظهاراً الفرح بمولده الشريف.

ووصف الشيخ تاج الدين عمر علي اللخمي السكندري الفاكهاني المالكي (ت 734هـ) كتاباً بعنوان "المورد في الكلام على عمل المولد" ويذهب فيه إلى ان عمل المولد بدعة مذمومة.

أما الفقيه المغربي الأندلسي الونشريسي المتوفي بفاس عام 914هـ/ 1508م فقد خصص في كتابه "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي الفقهاء علماء أفريقية والأندلس والمغرب" باباً عن عمل المولد النبوي الشريف نقل فيه آراء وفتاوي الفقهاء عن اقامة مراسيم ليلة المولد النبوي الشريف: "سئل الولي المعارف بالطريقة والحقيقة أبو عبد الله ابن عباد رحمه الله ونفع به، عما ينفع في مولد النبي ﷺمن وقود الشمع وغير ذلك لأجل الفرح والسرور بمولده عليه السلام.

فأجاب: الذي يظهر انه عيد من أعياد المسلمين، وموسم من مواسمهم، وكل ما يقتضيه الفرح والسرور بذلك المولد المبارك، من إيقاد الشمع وامتاع البصر وتستره السمع والنظر، والتيرين بما حسن من الثياب وركوب فارة الدوراب، أمر يباح ولا ينكر، قياساً على غيره من أوقات الفرح والحكم بان هذه الأشياء لا تسلم من بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم العهود وتقشع.

ينكر على قائله لانه مفنت وجحود، وادعاء ان هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لاهل الإيمان، ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان، أمر متثقل لتشمئز منه النفوس السليمة وترده الآراء المستقيمة".

وتحدث الفقيه الونشريسي أيضاً بقوله على انه لا يجوز الصيام في ليلة المولد النبوي الشريف مؤكداً ان هذا اليوم يوم فرح وسرور، وانكر ذلك الفقيه ابن عباد عندما استدعي إلى مائدة طعام عملت بمناسبة المولد النبوي الشريف، فاعتذر أحد الحاضرين عن تناول الطعام قائلاً لابن عباد، انه صائم، فأجابه ابن عباد: بانه لا يستحسن الصيام في مثل هذا اليوم المبارك لانه عيد من أعياد المسلمين، والذي يعبر عنه بالبهجة والفرح والصلاة والدعاء بالخير والبركة على الامة الاسلامية، والاقتداء بالمثل العلية والأخلاق الفاضلة والعطف على الفقراء بدعوتهم لتناول الطعام اكراماً وتقديراً لهذه المناسبة واعتزازاً بسيرة الرسول الكريم ﷺوحثه على مساعدة الفقراء واليتامى والمساكين من المسلمين.

القصائد الشعرية في ليلة المولد النبوي الشريف:

ومن مراسيم المولد النبوي الشريف في الأندلس والمغرب الاسلامي المدائح المحمدية والقصائد التي تمجد هذه الليلة المباركة والمناسبة العظيمة عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حيث تضم قصائد اسمى المعاني والكلمات الجميلة المعبرة عن قيمة هذه المناسبة الميمونة التي تتخللها الصفات النبيلة والأخلاق العالية التي كان يتصف بها ويتحلى بها سيد الكائنات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يتباهى الشعراء ويتبارزون في قصائدهم في عيد ليلة المولد النبوي الشريف في بلاغة المعاني والكلمات التي تستحقها المناسبة الجميلة، وفي تعدد الأبيات التي تضمها القصائد، نقتطف من تلك الأشعار نماذج ونخب رائعة من الأبيات منها:

حدثنا صاحب "كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم" قال: حدثنا الفقيه الفاضل المحدث أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون الانصاري، قال لنا الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري رحمه الله وغفر له بمنه قال: من أحسن ما جاء في نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما نظمه: أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة مدح بها رسول الله ﷺ وهي قوله: (القصيدة تتضمن 77 بيتاً). واخرها.

وكـــــان رســـــول الله أكـــــرم منجـــــب	في ظهـــــور الطيـــــبين المناجـــــب
مقابلـــــة ابـــــاؤه امهاتـــــه	مـــــبرأة مـــــن فاصـــــحات المثالـــــب

وقال ابن العزفي السبتي أيضاً:

وقال الشيخ الفقيه الكاتب الأبدع الأوحد السبتي والمعارف الجمة والنفس الابية الغالبية الهمة أبو عبيد الله بن الخضار ايفافقي رحمه الله ونفعه وسندنا إليه عن أبي رحمه الله عن الشيخ الفقيه الراوية التاريخي أبو القاسم بن حبيش الأنصاري في قصيدته الطويلة التي سماها الإبتهاج المناقب ومعراج الحسيب الثاقب، امتدح فيها النبي ﷺ فذكر منها ما يخص النسب الكريم وهو قوله رحمه الله".

أعلـــــل بالأمثـــــال نفـــــساً أعزهـــــا	بتقـــــديم غايـــــاتي وتـــــأخير مـــــذهب
وهـــل فـــضلت مـــن مراكـــب العـــشق فـــضله	تبلغنـــــي ام لا ســـــماع لمركـــــب
وهـــــل أوردت فـــــضل الرســـــول بطيبـــــة	فيـــا تـــرك احـــشاي ويـــا طيـــب مـــشرب
وان امـــــرأ وأرى البقيـــــع عظامـــــه	لفـــي زمـــرة تلقـــي بـــسهل ومرحـــب

وخاتمة القصيدة المذكورة التي تضمنت 180 بيتاً، هذه الأبيات:

عمـــــري بالـــــصلاة علـــــيهم	وادأب في حبـــــي تهـــــم كـــــل مـــــرآب
اليـــــكُ.. منهـــــا وســـــيلة	تناجيـــك عـــن قلـــب بحبـــك مـــشرب

أنشد لسان ادين بن الخطيب الغرناطي في كتابه "الاحاطة في أخبار غرناطة".

أبياتاً في المولد النبوي الشريف، إذ قال "من ذلك قولي في الجناب الكريم النبوي شرفه الله، وهو من أوليات نظمي في ذلك الغرض" مطلعها:

هـــل كنـــت تعلـــم في هبـــوب الـــريح | نفـــساً يـــؤجج لاعـــبج التـــبريح
اهـــدتك مـــن مـــشج الحجـــاز تحيـــة | غاضـــت عـــرض الفجـــاج الفيـــح

وآخرها:

صـــلى الله عليـــك مـــا هبـــت صـــبا | فَهَفَـــت بغـــصن في الريـــاض مَـــروح
واســـتأثر لـــرحمن جـــل جلالـــه | عـــن خلقـــه سر الـــروح

وأنشد لسان بن الخطيب الغرناطي أيضاً للسلطان ملك المغرب (ولعله أبو سالم محمد بن السلطان عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبي الحسن الموحدي (ت 768هـ/ 1366م) في ليلة المولد النبوي الكريم في عام 763هـ/ 1361م هذه القصيدة". ومطلعها:

تـــألق نجـــدياً فـــاذكرني نجـــداً | وهـــاج بي الـــشوق المـــبرح والوحـــدا
ومـــيض رأى كـــرد العمامـــة معقـــلاً | فمديـــداً يـــالتبر أعلمـــت الـــبردا
تبـــسم في مجربـــه قـــد تجهمـــت | فـــما بـــذلت مـــصلا ولا ضربـــت وعـــداً

آخرها:

ودونكـــها متـــى نتيمـــة فكـــره | إذا استرشـــحت للـــنظم كانـــت صـــفاً صـــلدا
ولـــو تركـــت منـــي الليـــالي صـــبابة | لاجهـــدتها ركـــضاً وأرهفتهـــا شـــدا
ولكنـــه جهـــد المقـــل الشـــوى | وقـــد أوضـــح الاعـــذار مـــن بلـــغ الجهـــدا

أنشد لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي في احاطته". قصيدة اخرى للسلطان محمد الخامس الغني بالله السلطان غرناطة بالمشوار الحافل، المتخذ بعد رجوعه إلى الأندلس في بعض ليالي المولد النبوي الشريف مطلعها.

مـــا عـــلى القلـــب مـــن بعـــدكم مـــن جنـــاح | ان يـــسرى طـــائر بغـــير جنـــاح
وعـــلى الـــشوق ان يـــشب إذا هـــب | بأنفاســـكم نـــسيم الـــصباح

خاتمتها:

دمـــت في عـــزة ورفعـــة قـــدر | بـــين مفـــدى مرفـــق ومـــراح
مـــا تولـــت دهـــم الدجيـــة غـــدواً | وجـــدت خلفهـــن شـــهب الـــصباح

وذكر لسنان الدين ابن الخطيب الغرناطي في إحاطته أيضاً" أبياتاً في ليلة المولد النبوي الكريم منها هذه الأبيات:

سبق القضاء وابرم المختوم والغيب عنا سره مكتوم

حال الزمان إذا اعتبرت غريبة والحال في التحقيق ليس تدوم

والليل سلك دُرَه ساعاته ان حل معقده هوى المنظوم

أكرم برابعه تولت بعد ما ثبتت في الصالحات رسوم

ولقد سهرت مفكراً والبدر في بحر السماء مع النجوم يُعوم

فحسب شكل البدر أبيض حائماً فوقي يُحلق طيره ويحوم

وأنشد القاضي محمد بن ورد الغساني"، شعراً في ليلة المولد النبوي الشريف منه:

يا ليلة عظمت بها الأذكار وتفتحت من نورها الأنوار

وسرى النسيم بطيبها متأرجا فله تشذا من نفخها معطار

وذكر لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي اشعاراً في مدح الرسول الكريم ﷺ ليلة ميلاده الشريفة في قصيدة طويلة ضمت 82 بيتاً نذكر منها".

اصغى إلى الوجد لما جد عاتبه صب له شُغل عَمن يعاتبه

لم يَعط للصبر من بعد الفراق يدا فصل من ظل ارشادا يتخاطبه

لولا النوى لم يبت حران مكتئباً يُغالب الوجد كتماً وهو غالبه

يستودع الليل أسرار الغرام وما تمليه أشجانه فالدمع كاتبه

لله عصر بشرَ في الحمى سمحت بالوصل أوقاته لو عاد داهنه

اخرها:

فليهن دين الهدى إذا كنت ناصره أمن يواليه أو خوف يجانبه

لازال ملكك والتأييد يخدمه تقضى بخفض مناويه قواطبه

ودوت في نعم تصفو ملابسها في ظل عز عُلا تصفو مشاربه

ثـم الـصلاة عـلى خـير البريـة مـا … سـادت إليـه بمـشاق ركائبـه

صنف المؤرخ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الحمن ت 597هـ/ 1200- 1201م) كتاباً أسماه بـ "مولد الجوزي" والشهير بالعروس". ضمنه أحاديث وأخباراً وقصائد عن المولد النبوي الشريف ومراسيمها ومكانتها عند المسلمين، نقتطف منها هذه النصوص المختارة.

" فلما ولد صاحب الناموس بدا في الحضرة كالعروس، بوجه يحكى القمر ظهوراً، وشعر يشبه في سواده ديجوراً، وجبين اطلع منه ضياءاً ونوراً وقد أقسى الجمال به قراراً، واضطرب الكون عند ولادته وكان مخموراً، ونشر السعد على الوجود نشوراً.

صـبح الهـدى مـلأ الوجـود سروراً … لمـا بـدا وجـه الحبيـب منـيراً

اطلعـت بأشـهر الربيـع مـشرقاً … قمـراً يفـوق مـع الكـمال بـدوراً

شـهر الربيـع اتـى بمولـده احمـد … ولقـد أتانـا بالهنـاء بـشيراً

وتـرنم الأطيـار عنـد ولادة … فرحـاً ومـال الغـصن منـه بـدوراً

وإلى النـسيم مبـشراً ومـصراً … بقـدوم أحمـد في الأنـام نـذيراً

والحـور في عـرف الجنـان تبـاشرت … وقـضت بمـيلاد النبـي نـذوراً

دعاء ليلة المولد النبوي الشريف:

من مخطوط عنوانه "دعاء مولد النبي صلى الله عليه وسلم"

مخطوط مكتبة دار صدام للمخطوطات- بغداد- شارع حيفا.

ويحمل رقم 39038 (كتبه الشيخ حسن بن أحمد الترك خدام الشيخ زعرور (سنة 1280هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا حضرنا مولد نبيك الكريم فأفض علينا ببركته خلقه الكريم وأسكنا بجواره في جنات النعيم وأسقنا من حوضه يوم العطش الأكبر والهول العظيم، اللهم إنا نسألك بجاه النبي المصطفى واله أهل الصدق والوفا، كن لنا يا مولانا معيناً ومسعفاً، وبوى لنا من الجنة غرفاً وأرزقنا قبولاً وشرفاً، وكفر عنا الذنوب والأوزار وأحرسنا من جميع المخاوف والأخطار وتقبل ما قدمنا من يسير أعمالنا وأغفر لنا ذنوبنا في السرور والاجهار وأرحمنا برحمتك انك حليم غفار، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم بلغ ثواب ما قرأنا وبركة نور ما تلونا من كلامك القديم ومولد نبيك الكريم في صحائف سيدنا محمد ﷺثم صدقه منه إلى جميع اخوته الأنبياء والمرسلين ومقلديهم بإحسان إلى يوم الدين وثواباً قبل ثواب ذلك وأضعافاً مثل أضعاف ذلك في صحائفنا وصحائف الدين ومشايخنا وفي صحائف اخواننا المسلمين ومن حضر جمعنا ومن غاب منا وللأصحاب الحقوق الواجبة علينا ولمن كان سبباً في اتصال هذا الخير العظيم، والقراءة مولد نبيك الكريم له بذلك عوناً ومعيناً حافظاً وناصراً وأميناً، احفظه بالقرآن العظيم والنبي الكريم في نفسه ودينه وماله وأهله وولده وأجمع له بين خير الدين والدنيا والآخرة، يا رب العالمين، وصلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون والحمد لله رب العالمين".

ملحق:

- المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية (الجامعة العربية) المذكورة في فهرس المخطوطات المصورة من منشورات المعهد/ المخطوطات العربية، ج/ الكويت 1405هـ/ 1984م.
- "بشرى اللبيب بذكرى الحبيب صلى الله عليه وسلم" للحافظ ابن سيد الناس اليعمري الأندلسي ت 734هـ/ 1374م. (الرقم 1592).
- "الروض الانف الباسم على سيرة ابن هشام" لأبي القاسم عبد الحمن السهيلي الأندلسي، ت 581هـ/ 1285. (الرقم 133).
- "شفاء الصدور في إيضاح البيان، عن كشف حقائق البرهان واعلام نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام"، للشيخ ابي الربيع سليمان بن سبع السبتي. (الرقم 1368).
- "فتح المتعال في مدح الفعال، المتشرفة بخير الأنام عليه الصلاة والسلام وما يتبعه من الكلام"، لشهاب الدين ابن العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المغربي المقري التلمساني المالكي، ت 1041هـ/ 1631. (الرقم 851).
- "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض اليمحصي السبتي المالكي ت 544هـ/ 1649م. مطبوع.
- مخطوطات مكتبة بلدية الاسكندرية – مصر.
- "بلوغ المرام لبيان الفاظ مولد سيد الأنام صلى الله عليه وسلم" وهو شرح على المولد النبوي، صنفه أحمد بن قاسم البخاري الشهير بالحريري، تأليف السيد أبي الفوز المرزوقي نزيل مكة فرغ من تأليفه سنة 1281هـ وبهامشه المولد النبوي المذكور، طبع بولاق سنة 1286. (الرقم 1699).
- "حاشية على المولد النبوي الشريف" وهي حاشيته على المولد الذي صنفه السيد أحمد الدردير 1201هـ تأليف العلاقة محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير ت 1232، كتبت عام 1247هـ. (الرقم 805م/ ن 985م).
- "النفحات العنبرية في وصف فعل خير البرية"، أحمد بن محمد بن أحمد المقرى التلمساني ت (104هـ) نسخة كتبت عام 1237هـ. (الرقم 1195 ب).
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم" السيد علي نور الدين السمهودي ت 911 نسخة كتبت سنة 1306هـ. (الرقم 3865م).
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم" الشيخ محي الدين بن عربي الموسى ت 638هـ مخطوط أندلسي. (الرقم ن 1418 ب).
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم" جمعه: محمد بن صالح البناء الرشيدي مفتي الاسكندرية عام 1269هـ. نسخة كتبت عام 1293هـ. (الرقم ن. 4460م).
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم" للشيخ ابراهيم الجارم الرشيدي، نسخة كتبت عام 1284هـ. (الرقم ن 4461 ج).
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم" المجهول المؤلف، نسخة كتبت عام 1295.
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم". للشيخ أحمد الدرير ت 1202هـ. (الرقم ن 4407 ج).
- "مجموع يشتمل على بعض أخبار النبي واسمائه ﷺ مع صلوات نبوية وغيرها/ مجهول المؤلف نسخة كتبت عام 1179هـ. (الرقم ن 702 د).
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم" للشيخ حسن المدابغي ت 1170هـ. (ضمن مجموع رقم ن 702 د).

- "الجواهر السنية بمولد خير البرية- حاشية على المولد النبوي" للشيخ محمد بن علي الشنوالي ت بمصر عام 1223هـ نسخة كتبت عام 1226هـ. (الرقم ن 526م).
- "حاشية على المولد النبوي الشريف" ضفة العلاقة بن حجر الهيثمي ت بمكة عام 974هـ نسخة كتبت عام 1336. (الرقم 1679 ب).
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم". لابن يحيى، وبهامشه لأسرار الربانية في المولد للمرغني (الرقم ن 925ج).
- مخطوطات الخزانة الحسنية (مكتبة القصر الملكي بالرباط- المغرب عن كتاب: منتخبات من نوادر المخطوطات في الخزانة الملكية- الرباط 1398هـ- 1978م.
- "كتاب الوفا بيان فوائد الشفاء لعبد الله بن محمد بن أحمد التجاني التونسي كان حياً عام 717هـ/ 1317م. (الرقم 4016).
- الأنوار في آيات النبي المختار" لابي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجعفري المتوفي بالجزائر سنة 873هـ/ 1468م. الرقم 2881).
- "الجوهر الثمين في نخب سير الأمين" لعبد النبي بن جماعة. (الرقم 1169 ز).
- "سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر" لابي عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي الفهري المتوفي بفاس عام 1109هـ/ 1697م. (الرقم 94).
- "تحفة الأخيار على شمائل النبي المختار" لاب يالحسن على بن أحمد الجريشي المتوفي 1142هـ/ 1816م.
- المخطوطات العربية في تطوان- المغرب (في كتاب: فهرس مخطوطات خزانة تطوان، اعداد: المهدي الدليرو، محمد بو خبزه- القسم الثاني (الحديث والسيرة النبوية، تطوان 1404هـ- 1984م.
- "حسن المقصد في عمل المولد" جلال أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي حياته 849هـ/ 1445- 1505م. الرقم 134).
- "مولد النبي صلى الله عليه وسلم" لابن حجر الهيتمي، ت 909- 974هـ/ 1504- 1567م.
- "النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد ادم" أو "القول السوي، في أصل وعمل المولد النبوي" لابن حجر الهيتمي. (الرقم 13/ 456ع).
- "شرح مولد النبي صلى الله عليه وسلم" للشيخ حسن المدافعي ت 1170هـ/ 1756م. (الرقم 396).
- "موردهني، لمولد سني" لابن رضوان الابياري المصري الشافعي ت 1305هـ/ 1888م. (الرقم 14م/ 456ع).
- "رسالة في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم" الحسن رجب بن محمد بن حسن السقا المصري الأزهري الشافعي ت 1326ه/ 1908م. (الرقم 14/ م 456ع).
- "المنظر البهي، في طالع مولد النبي، وما يتبعه من أعمال المولد، وحكم القيام عند ذكر مولده عليه الصلاة والسلام، لابي الفتوح محمد بن خليل زين الدين ايلهجرسي الحنفي 1328هـ/ 1910م. يتبع مخطوطات مكتبة دار صدام للمخطوطات- بغداد. (الرقم 377م).
- "مولد النبوي" مجهول المؤلف. (الرقم 1156).
- "مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، كتبه الشيخ حسين بن أحمد الترك خدام الشيخ عزرور سنة 1280هـ. (مجموع 39324).

فهرس (ثبت) حواشي الدراسة :

1. عن الزعفران Azafran انظر : ابن البيطار/ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية.
2. مراسيم احتفال أهل الأندلس باحياء ليلة القدر في مسجد قرطبة انظر: الحميري/ الروض المعطار في خبر الأقطار/ تحقيق ليفي بروفسال/ الرباط 1938م، ص 155 (.. وعن شمال المحراب يبين فيه عدد وطشوت ذهب وفضة وحسك وكلها لوقيد الشمع في كل ليلة سبع وعشرين من رمضان" المؤلف المجهور/ ذكر بلاد الأندلس/ تحقيق لويس مولينا/ مدريد 1983، ج 1/ 38.
3. الاسراء: 1.
4. الطرطوشي/ كتاب الحوادث والبدع، تحقيق محمد الطالبي، ص 140- 141.
5. لا يزال هذا العيد معروفاً في المغرب "بالمهرجان" حتى يومنا ويصادف عندهم في تاريخهم في 24 جوان.
6. المقريزي/ الخطط المقريزية/ ج 1/ 265 تحدث عن عيد خميس ابريل عن المسيحيين بمصر، حيث قال: "خميس العهد، ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه ان يملؤوا اناء من ماء ويزمروا عليه ثم يغسل للتبرك به أرجل سائر النصارى، يزعمون ان المسيح فعل هذا بتلاميذه في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع، ثم أخذ عليهم العهد ان لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض، وعوام أهل مصر في وقتنا يقولون ان خميس العدس من أجل ان النصارى تطبخ فيه العدس المصفى، ويقول أهل الشام خميس الأرز وخميس البيض ويقول: أهل الاندلس خميس أبريل. وأبريل اسم شهر من شهورهم.
7. عن الأعياد والمناسبات الدينية والاحتفال بها في الأندلس والمغرب، يستفاد من البحوث والمقالات العربية الأجنبية التالية:

- ليفي بروفسال/ اسبانيا الاسلامية طبعة مدريد (بالاسبانية) ج 5/ 282- 283.
- Levi- Provencal/ La Espana Musulmana
- ليفي بروفسال/ المشرق الاسلامي، طبعة باريس 1962 ج 2/ 591- 603، وردت فيه مقامة في القرن الرابع عشر لابن مرابع الأزدي عن المولد النبوي الشريف، الموسوعة الاسلامية (الطبعة الاسبانية) مقالة الباحث E.Mhtoch ج 3/ 1032- 1033. عن الأعياد.
- ادم متز/ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري/ ترجمة محمد عبد الهادي دوريدة، بيروت ج 2/ 282- 301 الفصل 23.
- فرناندوادي لاكرانجا (المستشرق الاسباني)، الأعياد المسيحية في الأندلس، مجلة الأندلس.
- F. ed la Granja, "Fiestas Crstiavas en al- Andalus", al- Andalus, Vol. XXXIV, Madrid, 1969 PP. 53.
- اميليو كارثية كومث (المستشرق الاسباني)، ديوان ابن قزمان، مقالة مجلة الأندلس.
- Emilio Garue, Gomez,
- Bn Quzman, al- Andalus, XXXIII.I
- أحمد مختار العبادي/ "الأعياد في مملكة غرناطة" مقالة في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد/ العدد 15 السنة 1970 الصفحات 133- 149.
- ومن أهم الاحتفالات الدينية في غرناطة، الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف في أواخر القرن 7هـ/ 13م. وهكذا كانت الحياة في مملكة غرناطة حياة دينوية صاخبة حة، وحياة دينية صوفية ورعة، صور متناقصة.

8. عن حياة المؤلف أبو القاسم العزفي ووالده أبو العباس العزفي انظر:
ابن الخطيب الغرناطي/ الاحاطة في أخبار غرناطة، ج 3/ 11 والحاشية 2/ 14.
ابن عذاري المراكشي/ البيان المغرب، ج 5 (الموحدين) الصفحات 419 (الفقيه أبو القاسم العزفي) 425/ 462.
المقري/ نفح الطيب، ج 2/ 36، 643 (أبو العباس العزفي) ج 5/ 232 (أبو القاسم العزفي).
الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب، ج 11/ 279- 280.
الانصاري، اختصار الأخبار عمن كان ثغر سبتة من سنى الاثار، ص 15، 22، ومن أشهرها بمقبرة زكلو- قبر الشيخ الامام العالم المحدث الصالح الأتقى أبي العباس العزفي اللخمي صاحب الدر المنظم، في مولد النبي المعظم.
- ابن أبي الربيع، البرنامج، ص 260، 266، 270 (أبو العباس العزفي).
- الرعييني الأشبيلي، برنامج شيوخ الرعيني، ص 42 ترجمة 14 (أبو العباس العزفي السبتي) جدول نسب عائلة العزفي في مدينة سبتة.
يوجد هنا مخطط
9. نسخة مكتبة الدراسات العربية بمدريد، انتظر فهارس المخطوطات العربية وإلا لخميادوا في مدرسة الدراسات العربية في مدريد.

J. Riberay M. Asin, Manuscritos Arabes, Aljamiados de la Biblioteca de la Junta, Madrid 1912, PP. 53, 55, 56.

10. ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح، تحقيق وترجمة للاسبانية للمستشرقة ماريا حنوس بيكيرا، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد 1977، النص العربي نشره محمود بو عياد، الجزائر 1981.
11. ابن دجية الكلبي البلنسي، المطرب من اشعار أهل المغرب، تحقيق ابراهيم الايباري، د. حامد عبد المجيد، د. أحمد بدوي، القاهرة 1954.
12. المقري، نفح الطيب، ج 2/ 104 ذكر فيه التنوير في مولد السراج المنير) لابن دجنة الكلبي البلنسي.
13. بونس بونس،

Pons Bouiges, Ensayo, P. 282, no 238.

Fagnan, cat, Argel, no 1. 479.

14. ابن دجنة الكلبي البلنسي، كتاب النبراس في تاريخ بني العباس، فقدمه المحقق المحامي عباس العزاوي، صفحة اثنين، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون.
15. ابن تاويت، محمد، "بتة المسلمة" مقالة في مجلة المناهل المغربية، ص 120 الونشريسي، المعيار المعرب، ج 11/ ص 279- 283 نقل لنا عن ابن مرزوق.
16. الباريسي، المقصد الشريف والمنزع الشريف في التعريف بصلحاء الريف ص 100، والشيخ عبد الملك المؤذن كان أندلسياً، وكان له سياحة في سنته وتطوف على الصالحين زائراً لهم.
17. ابن تاويت، "السنة المسلمة" ص 106.
18. مسز، الحضارة الاسلامية، ج 2/ 289.
19. الفلقشندي، صبح الأعشى، ج 3/ 576.
20. الشاطي الأندلسي، ابي اسحاق ابراهيم بن موسى، فتاوي الامام الشاطبي، ص 203، الترجمة الرقم 50.
21. ابن الحفار الشاطبي، نوازل الوصايا وأحكام المحاجير، ج 7/ 99- 101.

22. مخطوط "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"، لابن العزفي، الورقة أ 23- ب 24.

23. مخطوط "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"، لابن العزفي، الورقة ب 24- أ 27.

24. ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج 4/ 462 (القصيدة التي أنشدها ابن الخطيب الغرناطي (المؤرخ والوزير لغرناطة) أوردها: المقرئ، نفح الطيب، ج 4/ 158- 159.

25. ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج 4/ 465- 468 والقصيدة وردت أيضاً في كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لابن الخطيب الغرناطي، تحقيق د. أحمد مختار الغرناطي، ص 172، وعند المقريء، نفح الطيب، ج 9/ 155- 160 وأنشدت القصيدة عام 763هـ/ 1371م.

26. ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج 4/ 469- 473.

27. المصدر السابق، ج 4/ 496 أنشد ابن الخطيب الغرناطيب في الأبيات ليلاً وفي تمام الساعة حيث كان يتأمل انجلاء الليل.

28. ذكرها ابن الخطيب الغرناطي، الكتيبة الكامنة، تحقيق د. احسان عباس، ص 153 .

29. أوردها ابن الخطيب الغرناطي في كتابه، الاحاطة، نقلاً عن نفاضة الجراب ص 382 خميمة رقم 5، وذكرها المقريء، نفخ الطيب، ج 8/ 178- 183. وأنشد ابن الخطيب الغرناطي في قصيدته هذه على الاسلوب الذي أنشد به أبو القاسم ابن أبي زكريا البرجي، كان أديباً وشاعراً رحل إلى المغرب وكتب للسلطان أبي عنان المريني وكان قاضياً بفاس وتوفى سنة 786هـ/ 1384م انظر حاشية رقم (2) من كتاب نفاضة الجراب، تحقيق العبادي، ص 382.

30. ابن الجوزي، مولد الجوزي الشهير بالعروس، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، وصدرت د.ت، ص 3- 4.

الفهارس

فهرس المخطوطات العربية المستخدمة في الدراسة:

بان مرزوق، محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الأشجعي التلمساني ت 781هـ/ 1379م.

"جنى الجنتين في شرف الليلتين" مخطوط الخزانة العامة بالرباط. ويحمل الرقم الافرنجي K 1228.

العزفي اللخمي السبتي، أبو العباس العزفي، أحمد بن محمد ت (633هـ/ 1236م)، وأكمل الكتاب بعد وفاته ابنه أبو القاسم العزفي ت 677هـ/ 1279م.

"الدر المنظم في مولد النبي المعظم" مخطوط مكتبة الاسكوريال بمدريد ويحمل الرقم الافرنجي 1741 وله نسخ أُخرى في:

أ. مكتبة المتحف البريطاني في لندن وتحمل النسخة الرقم الافرنجي 919.

ب. مكتبة المسجد البياني باسطنبول- تركيا- وتحمل نسخة الرقم الافرنجي 851.

ج. مكتبة مدرسة الدراسات العربية بمدريد- وتحمل الرقم الافرنجي X.

ابن دحية الكلبي البلنسي ت 633هـ/ 1235م.

"التنوير في مولد السراج المنير" مخطوط المكتبة الوطنية في باريس، وتحمل الرقم الافرنجي 4761 ..

فهارس المخطوطات العربية في المكتبات العربية:

- منتخبات من نوادر المخطوطات في الخزانة الملكية بالرباط، الرباط 1398هـ/ 1978م.
اعداد: عبداوهاب بن منصور (مؤرخ المملكة المغربية).
- فهرس مخطوطات خزانة تاطوان (القسم الثاني: الحديث والسيرة النبوية)، اعداد: المهدي الدليرو محمد بوخبزه تطوان 1404هـ/ 1984م.
- فهارس مخطوطات مكتبة المتحف العراقي (الفقه) اعداد اسامة النقشبندي، بغداد.
- فهرس المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية، الجزء الأول، الكويت 1405هـ/ 1984م.
- فهرس مخطوطات مكتبة بلدية الاسكندرية- مصر.

المصادر الأولية:

- القرآن الكريم.
- الأحاديث النبوية الشريفة.
- ابن أبي الربيع، أبو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن أبي الربيع القرشي الأمدي بن نافع بن أبي الربيع، كتبه تلميذه أبو القاسم بن النشاط، وفرغ منه سنة 683هـ تحقيق د. عبد العزيز الاهواني، نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد الأول 1955 الصفحات 252- 271.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن ت 597هـ/ 1200- 1201م.
"مولد الجوزي" الشهير بالعروس، طبعة مصر، د.ت.
- ابن الحفار الغرناطي، أبي عبد الله الحفار الغرناطي ت 811هـ/ 1408م.
"نوازل الوصايا وأحكام المحاجير" ورد ذكره في كتاب فتاوي الشاطبي، ص 203 حاشية، 192.
- ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين أبو عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني ت بفاس عام 776هـ/ 1364م.

1. الاحاطة في أخبار غرناطة" تحقيق: محمد عبد الله عنان، 4 أجزاء، القاهرة 1393 و 1394هـ- 1973- 1974م.
2. "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" نشر: د. أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية الدار البيضاء، د.ت.
3. "الكتيبة الكامنة فيما لقيناه من شعراء المئة الثامنة" د. احسان عباس بيروت 1963م.

- ابن دحية الكلبي البلنسي، الحافظ الدين أبو الخطاب عمر بن الحسن علي بن محمد بن دحية ت 633هـ/ 1235م:

1. "المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: ابراهيم الأبياري، د. حامد عبد المجيد، د. أحمد محمد بدوي، القاهرة 1945م.
2. "كتاب النبراس في تاريخ بني العباس" تحقيق المحامي عباس العزواوي، بغداد.
3. "التنوير في مولد السراج المنير" مخطوط المكتبة الوطنية في باريس، ويحمل الرقم الافرنجي 1476 "انظر فهرس المخطوطات العربية.

- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد المراكشي، توفي بعد عام 712هـ/ 1312م.

"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" الجزء الخامس (قسم الموحدين) تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، محمد تاويت، محمد زنبير، عبد القادر زمامة، الناشر: دار العربي الاسلامي، دار الثقافة، بيروت، الدار البيضاء، الطبعة الاولى 1406هـ/ 1985م.

- ابن مرزوق، محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الأشجعي التلمساني ت 781هـ/ 1379م.

1. "المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" تحقيق وترجمة للاسبانية للمستشرقة الاسبانية فازيا خسوس بيكير M.J. Viguerai طبع المعهد الاسباني العربي للثقافة- مدريد 1977م. النص العربي نشره محمود بو عياد، الجزائر 1981.

2. "جنى الجنتين في خبر الليلتين" مخطوط (انظر فهرس المخطوطات العربية).

- الانصاري، محمد بن القاسم الانصاري السبتي.

"اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الاثار" تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط 1389هـ/ 1969م.

- البادیسي، عبد الحق بن اسماعيل البادیسي، ولد سنة 650هـ/ 1252م.

- "المقصد الشريف والمنزع الشريف في التعريف بصلحاء الريف" تحقيق: سعيد أحمد اعراب، المطبعة الملكية، الرباط 1402هـ/ 1982م.

- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصهاجي الحميري توفي نحو 710هـ/ 1310م.

"الروض المعطار في خبر الأقطار" نشر بعنوان "صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار" تحقيق ليفي بروفسال، القاهرة 1937م وأعاد تحقيقه حديثاً د. احسان عباس. بيروت.

- الرعيني الأشبيلي، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الأشبيلي ت 666هـ/ 1267م.

- "برنامج شيوخ الرعيني" تحقيق: ابراهيم شبوح، دمشق 1381هـ/ 1962م.

- الشاطبي، أبي اسحاق ابراهيم بن موسى الأندلسي ت عام 790هـ/ 1388م.

"فتاوى الامام الشاطبي"، تحقيق: محمد أبو الاجفان، الطبعة الثانية، تونس 1406هـ/ 1985م.

- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد ت 520هـ/ 1126م.

"كتاب الحوادث والبدع" تحقيق: محمد الطالبي، المطبعة الرسمية، تونس 1959م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد ت 821هـ/ 1418م.

"صبح الأعشى في صناعة الانشا" شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، بيروت 1987م.

- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي ت 845هـ/ 1441م.

"كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المعروف بالمخطط المقريزية طبعة دار صادر بيروت د.ت في جزئين.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ت 1041هـ/ 1631م.

"نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" تحقيق د. احسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت 1388هـ/ 1968م (في ثمانية اجزاء والجزء الثامن كله فهارس).

- المؤلف المجهول- "ذكر بلاد الأندلس" تحقيق وترجمة للاسبانية للمستشرق الاسباني لويس مولينا، مدريد 1983 (النص العربي في الجزء الأول والترجمة الاسبانية في الجزء الثاني).

- الونسريسي، أحمد بن يحيى الونشريسي ت 914هـ/ 1508م.
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق د. محمد حجي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت 1401هـ/ 1981م.

فهرس المراجع العربية الحديثة والمقالات:

- ابن تاويت، محمد "سبتة المسلمة" مقالة في مجلة المناهل المغربية، العدد 22، الرباط 1982، الصفحة 106.
- متنز ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو رينة، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1387هـ/ 1967م، بجزئين.
- العبادي، د. أحمد مختار، "الأعياد في مملكة غرناطة" مقالة في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، العدد 85 لسنة 1970م. صفحات المقالة 133 - 149.

فهرس المراجع الأجنبية للمقالات الاسبانية:

- De La Granja, Fernando, "Flestas Cristianas en al- Andalus", Revista de al- Andalus, VOL. XXXIV, Madrid Granada (1969) PP. 241- 290.
- Garcia Gomez, Emilio "Todo de Ibn Guzman", Revista de al- Andalus, VOL, XXXIII, Madrid- Granada 1968, PP.241- 290.
- Levi- Provencal, E. "Historia de Espaina Musulmana" tred. E. Garciu Bomez, Espasa-Calpe, Madrid, 1957, Vol. V.
- Pons Bouiguse, F. "Ensayo bio- Bibllografico sobre los Historiadores, Geografos Arabigo-Espanoles Madrid 1898.
- J. Ribera, M. Asin Palacios, "Manuscritos Arabes, Aljmiados de la Biblioeca de la Junta, Madrid 1912.

مكانة القدس الدينية عند اهل الاندلس

حظيت القدس بمكانة دينية وتاريخية مهمة عند المسلمين، وذلك لانها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وكونها الارض المقدسة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة الاسراء "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله"

لبيت المقدس فضائل عدة أوردتها لنا كتب التاريخ التي صنفت عنه ومنها:

1. "فضائل البيت المقدس" لابي بكر محمد بن أحمد الواسطي.
2. "فضائل القدس" لابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ت 597هـ.
3. "الفتح القسي في الفتح القدسي" لعماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني ت 597هـ.
4. "باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس" لبرهان الدين أبي اسحاق ابراهيم ابن عبد الرحمن بن ابراهيم الغزاري البدري، الملقب بابن الفركاح ت 726هـ.
5. "مثير العزام الى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام" لتاج الدين اسحاق بن الخطيب برهان الدين بن احمد بن محمد كامل التدمري الشافعي (خطيب مقام الخليل) ت 833هـ.
6. "الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل" لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي المقدسي الحنبلي، ابو اليمن، ت 927هـ أو 928هـ.
7. "روضة الانس في فضائل الخليل والقدس" لعارف بن عبد الرحمن الشريف ت 1383هـ.
8. "كتاب منبر الغرام الى زيارة القدس والشام" لشهاب الدين لبي محمود احمد بن محمد بن ابراهيم بن هلال بن تميم بن سرورا المقدسي الشافعي ت 765هـ.
9. "اتحاف الاقصا بفضائل المسجد الاقصى" لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق المنهاجي السوطي ت 880هـ.
10. "كتاب فيه فضائل بيت المقدس، وفضائل الشام" لابي اسحاق ابراهيم بن يحيى بن ابي الحفاظ المكناسي ق 7هـ.

هذه المصادر المطبوعة والمخطوطة تحدثت عن فضائل بيت المقدس الدينية والتاريخية حيث استقت المعلومات من القرآن الكريم والحديث الشريف. ذكر بيت المقدس في احاديث نبوية شريفة نذكر منها: عن ابي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ "اربع من مدائن الجنة مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس" وعن ابي هريرة (رضي الله عنه) أيضاً قال رسول الله ﷺ "من صلى في بيت المقدس غفر ذنوبه كلها" كما ورد عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأنهار كلها والسحاب والبحار والرياح من تحت صخرة بيت المقدس".

وعن انس بن مالك (رضي الله عنه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من زار بيت المقدس محتسباً اعطاه الله أجر ألف شهيد" وعن انس بن مالك (رضي الله عنه) أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ان الجنة لتحن شوقاً الى بيت المقدس وبيت المقدس من جنة الفردوس".

وعن ابي الدرداء (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: "فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، في مسجدي بالف صلاة وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة" رواه الامام احمد (رضي الله عنه).

فزيارة بيت المقدس والصلاة فيه كانت لها مكانة مقدسة عند المسلمين لا تقل قيمتها الدينية عن زيارة بيت الله الحرام.

نالت القدس عظمتها التاريخية ومكانتها الدينية والسياسية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كما أورد لنا المؤرخ الطبري بقوله: ".. بيت المقدس فطلب اهله منه الامان والصلح على مثل ما صولح عليه اهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراوهم على ان يكون المتولي لعقد الصلح الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد استجاب الخليفة لطلبهم وحضر بنفسه الى مدينتهم وانفذ صلحهم وكتب لهم به كتاباً وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة من الهجرة (636م)"[1] وذلك في حملة ابي عبيدة عامر بن الجراح لبلاد الشام.

منذ هذا التاريخ المبارك اصبحت القدس خاضعة للحكم العربي الاسلامي ترفل بالقيم الانسانية والحضارية تبارى المدن الاخرى في مجال الحياة حيث قصدها الناس من المشرق والمغرب للزيارة والاستزادة من منهل علمائها او التبرك بها وقصدها من الاندلس عدد كبير من مشاهير العلماء والفقهاء والادباء، فمنهم من دخل بيت المقدس زائراً او حاجاً وآخرون للحصول على الاجازات العلمية من علمائها، ومنهم من استوطن وتولى مهمات في مدارس القدس ومساجدها، وعدد من الأندلسيين من استقر بالقدس وفات متبركاً بالبقعة الطاهرة الآمنة الزاهية بالعلم، وكان من هؤلاء عدد من كبار علماء الأندلس لهم مؤلفات عديدة ودور مهم يفي الحركة العلمية في الاندلس والمشرق.

وقد تحدثت المصادر الأندلسية والمشرقية عن العلماء الأندلسيين الذين رحلوا الى بيت المقدس، نذكرهم حسب الترتيب الأبجدي منهم:

- ابراهيم بن حارث بن عبد الملك بن مروان الانطى المفزى، يكنى ابا اسحاق من أهل قرطبة Cordoba بالأندلس، رحل الى المشرق عام 380هـ فسمع بمكة ودخل بيت المقدس للتفقه والاستماع ت 391هـ"[2].
- ابراهيم بن سنبة بن عمر بن احمد الغافقي، يكنى أبا أمية من اهل المرية Almeria بالاندلس وسكن مرسية Murcia رحل حاجاً الى المشرق عام 526هـ ودخل القدس وسمع بن ابي الفتح سلطان بن ابراهيم المقدسي ورجع الى الاندلس، وتوفى بعد عام 555هـ وشغل ولاية الخطبة والقضاء بالاندلس"[3].
- احمد بن عمر المعافري المرسى، يكنى بأبي العباس، ويعرف بابن إفرند اصله من طلبيرة Talavera بالاندلس، رحل الى المشرق لغرض الحج وزار بيت المقدس، وله ابيات شعرية عن توديع اخوانه بالبيت المقدس ت. ق 5هـ"[4].

---

(1) الطبري/ محمدبن جرير ت 310ه/ تاريخ الرسل والملوك/ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة 1963).

(2) ابن الفرضي/ ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ت 403ه (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس/ الناشر مكتبة الخانجي) (القاهرة 1373ه/ 1954م) ج1/ 55 ترجمة رقم 49.

(3) ابن الابار/ ابوعبدالله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ت658ه(التكملة لكتاب الصلة/ تحقيق: ابراهيم الابياري/ المكتبة الاندلسية، المجلد 18(دار لكتاب المصري -اللبناني) القاهرة- بيروت 141ه/ 1989م) ص193 ترجمة رقم 387.

(4) المقّري التلمساني/ شهاب الدين احمد بن محمد ت 1041ه/ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان ابن الخطيب) تحقيق: د. احسان عباس/ بيروت دار صادر 1388هـ/ 1968م ج2/ 600 ترجمة 224، وابن الابار/ التكملة لكتاب الصلة ص 101 ترجمة 190.

- احمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر، يكنى بابي العباس الانصاري الأندلسي القرطبي المالكي، المعروف بالفقيه ابن المزين. تحدث عنه القاضي ابن مزحون في كتابه (الديباج المذهب) وهو من علماء المذهب المالكي، زار بيت المقدس وسمع من علمائه، ت عام 656هـ"(1).
- احمد بن محمد بن مغيث الاندلسي، يكنى بشهاب الدين، نزيل القدس وامام المالكية في المسجد الاقصى ذكره صاحب كتاب (الأنس الجليل)"(2).
- احمد بن محمد بن يحيى بن عبيد الله بن ابي عيسى، يكنى بابي القاسم من أهل قرطبة، رحل حاجاً عام 338هـ وسمع بمكة وبيت المقدس من ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن اسحاق السراج ابن اخي ابي العباس الحافظ. ت بعد 357هـ"(3).
- احمد بن محمد المقرى التلمساني من تلمسان بالمغرب صاحب كتاب الفتح الطيب، رحل الى المشرق حاجاً زار بيت المقدس عام 1029هـ، زار مكة 5 مرات، واملى الحديث فيها.
- اسماعيل بن محمد بن يوسف الانصاري الاندلسي الابذي، يكنى بأبي ابراهيم ويعرف بالمشرق ببرهان الدين"(4). من اهل أبذة Ubeda بالاندلس، رحل الى المشرق فحج بمكة وزار بيت المقدس، وسمع هاتفاً يثول لما خربت القدس:

إن يكـــن بالـــشام قـــل نـــصيري ... ثـــم حزبـــت واســـتمر هلوكـــي

فلقـــد أثبـــت الغـــداة خرابـــي ... ســـمر العـــار في حيـــاة الملـــوك

- ابو الحسن الزهري الاندلسي، كان مقيماً ببيت المقدس، كما اورد ذلك "كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل" للحنبلي"(5).
- الحسن بن خلف بن يحيى بن ابراهيم بن محمد الاموي، يكنى بابي علي ويعرف بابن برنجال، من اهل دانية Denia بالاندلس، رحل الى المشرق للحج والاستماع وزار بيت المقدس واخذ من ابي الفتح نصر بن ابراهيم عام 476هـ وبعسقلان. ت بعد عام 500هـ"(6).
- حسن بن تسيب بن احمد بن عبد الله التميمي، من اهل قرطبة، رحل الى المشرق وزار بيت المقدس واخذ من ابي السحاق ابراهيم ابن احمد الخلنجي احد علماء القدس"(7).

---

(1) ابن فرحون المالكي ت 799هـ/ الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب/ تحقيق د. محمد الاحمدي ابو النور دار التراث (القاهرة 1329هـ) ج1/ 240.

(2) ابو اليمن القاضي مجبر الدين الحنبلي/ كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الوهبية (مصر 1283هـ) ج1/ 360.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) المقَّري التلمساني/ نفح الطيب/ مقدمة المحقق.

(5) ابو اليمن القاضي مجبر الدين الحنبلي/ كتاب الانس الجليل/ ج1/ 255.

(6) المقَّري/ نفح الطيب/ ج1/ 507 ترجمة رقم 191.

(7) ابن الفرضي/ تاريخ العلماء/ ج1/ 204 ترجمة رقم 346.

- خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس بن الاسود الازدي، يكنى بابن الدباغ وابي القاسم. رحل الى المشرق عام 345هـ وسمع من بيت المقدس بعد الحج، وكان حافظاً للحديث. وعده شيوخه الذين كتب عنهم 230 شيخاً ت عام 393هـ"[1].
- سعيد بن مرشد العكي (نسبة الى عكا)، يكنى بابي عثمان، من اهل شذونة Sidonia بالاندلس، كان مشاوراً في الاحكام رحل الى المشرق حاجاً ودخل بيت المقدس، ت بعد عام 373هـ.
- صادق بن خلف بن صادق بن كتيل الانصاري يكنى بابي الحسن من اهل طليطلة Toledo"[2] بالاندلس وسكن برعش من قرى طليطلة رحلى الى المشرق وحج ودخل بيت المقدس واخذ عن نصر بن ابراهيم المقدسي عام 452هـ. ت بعد عام 460هـ.
- ابو عبد الله القرشي الهاشمي الاندلسي، الشيخ الامام العابد من اهل الجزيرة الخضراء Algeciras بالاندلس، من كبار علماء الأندلس بالفقه والحديث وصحب ستمائة شيخ رحل الى المشرق حاجاً ودخل بيت المقدس فاقام به الى حين وفاته عام 599هـ"[3]، وقال عنه المقرى صاحب كتاب "نفح الطيب": "وقبره ظاهر يقصده للزيارة زرته اول قدماتي على بيت المقدس سنة 1028 وتحدث عنه ابن خلكان في وفياته"[4].
- ابو عبد الله بن مثبت الغرناطي، نزيل القدس ومدرس المالكية وشيخ الخانقاه، ذكره ابن بطوطة في رحلته"[5].
- عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الانصاري الاندلسي، يكنى بابي محمد من اهل قرمونة Carmona بالاندلس قال عنه ابو الوليد الباجي: شيخ صالح ثقة مصحح لكتبه، كثير الرواية وتحدث عنه القاضي عياض اليحصبي، مكث الانصاري بالقدس يفقه بالمذهب المالكي"[6].
- عبيد بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد القيسي، يكنى بابي عبد الله، ويعرب بابن حميد. من اهل قرطبة بالأندلس، رحل الى المشرق حاجاً ودخل بيت المقدس عام 391هـ ت عام 392هـ"[7].
- علي بن خلف بن ذي النون بن احمد بن عبد الله بن هذيل بن جحش ابن سنان بن قومة بن عياض العبسي المقرئ، يكنى بابي الحسن من اهل قرطبة بالاندلس، وأصله من اشبيلية Sevilla رحل الى المشرق حاجاً ودخل

---

(1) المصدر السابق نفسه ج1/ 250 ترجمة رقم 415.

(2) المصدر السابق نفسه ج1/ 308 ترجمة رقم 513.

(3) ابن بشكوال/ ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ابن بشكوال الانصاري ت 578هـ ط1 (بيروت، القاهرة 1410هـ/ 1989م) ج1/ 373 ترجمة رقم 547.

(4) المقّري/ نفح الطيب/ ج2/ 54 ترجمة 23.

(5) ابن بطوطة/ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللوتي ت 779هـ تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني/ مؤسسة الرسالة ط1 (1395- 1975م) ص 78.

(6) الضبي/ احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة الضبي (ت مرسية 599هـ) "بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس" تحقيق: ابراهيم الابياري/ المكتبة الأندلسية، مجلد 14، ط1 (بيروت، القاهرة 1410هـ/ 1989م) ج2/ 456 ترجمة 961.

(7) ابن الفرضي/ تاريخ العلماء ج2/ 572- 573 ترجمة 1002.

بيت المقدس وسمع من ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي. كان ابو الحسن من كبار علماء القرآن بالأندلس، واقرا الناس القرآن بالمسجد الجامع بقرطبة. ت عام 498هـ"(1).

- علي بن موسى بن سعيد العنسي، يكنى بابي الحسن ويعرف بابن سعيد المغربي من اهل قلعة يحصب وسكن غرناطة Granada بالاندلس، من كبار علماء الاندلس وله مؤلفات عديدة، رحل الى المشرق حاجاً، وكتب مؤلفاً عن رحلته سماه: "النفحة المسكية في الرحلة المكية" وزار بيت المقدس. ت عام 685ه"(2).
- محمد بن ابي الحسام طاهر القيسي، ابو عبد الله التدميري الزاهد، المعروف بابن الشهيد من أهل تدمير Tudmir بمرسية Murcia بالاندلس من فقهاء الأندلس، ارتحل الى المشرق عند اتمام ثلاثين سنة، فسكن الحرمين ثمانية أعوام، وكان يرحل الى بيت المقدس"(3).
- محمد بن ابراهيم بن عبد الملك الازدي قيجاطي، نزل بمرسية ورحل الى المشرق ولازم ابو محمد القاسم ابن محدث الشام ابي القاسم علي بن عساكر من دمشق ورافقه الى بيت المقدس عام 599هـ ت عام 643هـ"(4).
- محمد بن ابراهيم، يكنى بأبي عبد الله ويعرف بابن غصن الاشبيلي من ولد شداد بن اوس الانصاري الجزيري، من أهل الجزيرة الخضراء، كان اماماً مقرأً، زاهداً، رحل الى المشرق حاجاً، واقرأ القرآن بمكة وبيت المقدس وله مصنفات عديدة منها: "مختصر الكافي" و "كتاب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم" ت عام 723هـ في بيت المقدس"(5).
- محمد بن احمد بن محمد بن مفرج، يكنى بابي بكر القبتوري نسبه الى قبتاروية بقرطبة. وكان القبتوري حافظاً للحديث ورحل للمشرق حاجاً ودخل بيت المقدس وسمع من 230 شيخاً، ت عام 380هـ"(6).
- محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله البكرين النشريشي المالكي، يكنى بابي بكر من اهل شريش Jerez بالأندلس، من مشايخ الأندلس رحل الى المشرق ودخل العراق ودرس بالمدرسة الفاضلية بمصر ثم انتقل الى القدس الشريف، وتولى مشيخة الحديث بالرباط الناصري ومشيخة المالكية، ت عام 685هـ"(7).
- محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب الفهري الطرطوشي، يكنى بابي بكر، ويعرف بابن رندقة، من أهل طرطوشة Tortosa بالأندلس ومن مشاهير علماء الاندلس صنف كتاب "سراج الملوك" وغيره"(1).

---

(1) ابن بشكوال/ الصلة ج2/ 614 ترجمة رقم 915.

(2) ابن سعيد المغربي/ علي بن سعيد ت 685هـ/ المغرب في حلى المغرب تحقيق:

د. شوقي ضيف، دار المعارف (القاهرة 1964م) ج1/ 309 المقّري/ نفح الطيب، ج1/ 541.

(3) الضبي/ بغية الملتمس/ ج1/ 115 ترجمة رقم 155.

(4) ابن عبد الملك المراكشي/ ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي (ت 703هـ)، كتاب النيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تحقيق: د. احسان عباس/ دار الثقافة (بيروت 1973م).

(5) المقّري/ نفح الطيب/ ج2/ 207 ترجمة رقم 120.

(6) ابن الفرضي/ تاريخ العلماء ج2/ 771 ترجمة رقم 1358، وانظر ابن فرجون/ الديباج المذهب/ ج2/ 307 ترجمة 113.

(7) ابن الفرضي/ تاريخ العلماء ج2/ 1131 ترجمة رقم 73 وانظر المقّري نفح الطيب/ ج2/ 627.

وغيره"[1]. رحل الى المشرق عام 476هـ حاجاً ودخل بيت المقدس وحدث فيه، وقال الطرطوشي: كنت ليلة نائماً بالبيت المقدس إذ سمعت في الليل صوتاً حزيناً ينشد:

أخـــوف ونـــوم، إن ذا لعجيـــب ثكلتـــك مـــن قلـــب فأنـــت كـــذوب

أمـــا وجـــلال الله لـــو كنـــت صـــادقاً لمـــا كـــان للاغـــماض فيـــك نـــصيب"[2]

تحدثت عنه المصادر الأندلسية والمشرقية منها "كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل" و "كتاب مثير الغرام" في افراط علماء الا تحدث الفقيه الطرطوشي عن قداسة القدس فقال: "وقد كنت ببيت المقدس، فإذا كان يوم عرفه، حشر اهل السواد وكثير من أهل البلد، فيقفون في المسجد مستقبلين القبلة مرتفعة اصواتهم بالدعاء، كأنه موطن عرفه" كما يذكر الطرطوشي عن بدع اخرى، فيقول ان صلاة الرغائب صارت تقام في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان، ابتداء من سنة 448هـ واستمرت وكأنها سنة، ثم يقول ان صلاة رجب تقام أيضاً في المسجد الأقصى منذ سنة 480هـ"[3].

يؤكد ما اورده الطرطوشي كتاب "تحصيل الانس لزائر القدس" لعبد الله ابن هشام بقوله: "وقد بلغني ان قوماً من الجهلاء يجتمعون يوم عرفه بالمسجد، وان منهم من يطوف بالصخرة، وانهم ينفرون عند غروب الشمس، ويرجعون القهقهري، وكل ذلك ضلالة وأضغاث أحلام" ت. الطرطوشي بثغر الاسكندرية عام 520ه.

- محمد بن عبد الله بن تمام، يكنى بابي عبد الله من أهل طليطلة رحل الى المشرق حاجاً فسمع بمكة ودخل بيت المقدس وتوفى فيه عام 343هـ"[4].
- محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، يكنى بأبي بكر الاشبيلي. من أهل أشبيلية Sevilla بالأندلس ومن مشاهير علماء الأندلس رحل مع أبيه الى المشرق عام 435هـ ولقى الامام الطرطوشي والغزالي والشاشي ودخل بيت المقدس، وذكره كتاب "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" من فضلاء الأندلس من زائر القدس. ت عام 543هـ وبعد ان حج سبع حجج وجاوز الحرمين الشريفين خمس سنين ولقى بالأسكندرية ابا الحسن علي بن المفضل المقدسي"[5].
- محمد بن علي بن الحسن بن ابي الحسين القرطبي، يكنى بأبي عبد الله من أهل قرطبة عالماً باللغة والنحو، رحل المشرق وسمع بالرملة وبيت المقدس. ت عام 372هـ"[6].

---

(1) مجير الدين الحنبلي/ كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج1/ 263.

(2) المقّري/ نفح الطيب ج2/ 86.

(3) ورد الكلام في كتاب بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة، د. محمود البراهيم، ص 107 وألف ابن الجوزي كتاب فضائل القدس/ تحقيق د. جبرائيل سليمان حبور/ دار الافاق الجديدة (بيروت 1979).

(4) مجير الدين الحنبلي/ كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج1/ 264.

(5) الضبي/ بغية الملتمس/ ج1/ 125 ترجمة رقم 180.

(6) المقّري/ نفح الطيب/ ج2/ 57 ترجمة رقم 24.

- محمد بن علي بن محمد بن الازرق، يكنى بأبي عبد الله بن الازرق، من أهل غرناطة Granada وشغل فيها منصب قاضي الجماعة، ألف كتاب "بدائع السلك في طبائع الملك" رحل الى المشرق ودخل بيت المقدس وتولى منصب قضاء القضاة فيه، وتحدث عنه كتاب "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل" ت عام 896هـ"(1).
- محمد بن يحيى بن زكريا بن يحيى التميمي، يكنى بأبي عبد الله ويعرف بابن برطال. من أهل قرطبة، رحل الى المشرق وسمع من بيت المقدس من أبي القاسم ابراهيم بن احمد بن عبد الله الخلنجي، وسمع بالرملة من ابن السيني وانصرف الى الأندلس وتولى القضاء في كورة رية Rayya وجيان Jaen وقضاء الجماعة ايام الخلافة الأندلسية. ت عام 394 عن عمر 96 عاماً"(2).
- مسلمة بن محمد البنزي، يكنى بأبي محمد محدث أندلسي رحل الى المشرق ودخل بيت المقدس وسمع عن أبي الحسن علي بن أحمد المقدسي ت 802"(3).
- هاشم بن يحيى بن حجاج البطليوسي، يكنى بأبي عبد الله، من أهل بطليوس Badajoz بالأندلس، رحل الى المشرق عام 338هـ وسمع بمكة ودخل بيت المقدس وسمع من الفضل بن عبد الله الهاشمي ومحمد بن ابراهيم السراج، وابي سعيد، ومحمد بن ابراهيم المقدسي، واحمد بن محمد الشمعي وسمع بغزة من ابي الحسن علي بن العباس بن أبي عياش الغزي. ت عام 385 ببطليوس "(4).
- تركت الرحلات العلمية والدينية بين الأندلس وبيت المقدس أثراً مهماً وبالغاً على الحضارة العربية الاسلامية، اذ نقلت مؤلفات ونظريات وعادات وتقاليد المغرب الاسلامي الى مشرقه وبالعكس، كما حثت وشجعت عدد من علماء أهل بيت المقدس في الرحيل الى الأندلس والاطلاع على معالم الحضارة به، وفعلاً نرى عدد من اعلام بيت المقدس قصدوا بلد الأندلس للزيارة نذكر منهم:
- عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن محمد بن الوليد بن سليمان بن عبد الملك بن عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم.
- ابن ابي العاص بن امية بن عبد شمس، يعرف بالسليماني، ويكنى بأبي مروان.
- من اهل القدس قدم الاندلس نحو عام 360ه في عهد الخلافة الاندلسية فاكرمه الخليفة الحكم الثاني (المستنصر بالله) واجرى عليه العطاء"(5).

---

(1) المقّري/ نفح الطيب/ ج2/ 699- 704 ترجمة رقم 307.

(2) ابن الفرضي/ تاريخ العلماء ج2/ 792- 795 ترجمة رقم 1388.

(3) الحميدي المبروقي/ ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فتح بن عبد الله الازدي الحميدي ت 488ه/ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس (القاهرة 16م) ج2/ 551 ترجمة رقم 822.

الظبي/ بغية الملتمس/ ج2/ 616 ترجمة رقم 1351.

(4) ابن الفرضي/ تاريخ العلماء/ ج2/ 170.

(5) المصدر السابق نفسه ج1/ 467 ترجمة رقم 822.

- اهتمت المصادر الاندلسية بذكر المؤلفات التي دونت عن بيت المقدس والحديث عنها والروايات التي اوردتها، كما اهتمت ايضا بالتحدث عن اعلام رجال القدس واهتماماتهم العلمية، مما يؤكد للباحث دور القدس الديني والثقافي عند الاندلسيين، كما الف عدد من علماء الاندلس والمغرب مصنفات عن القدس منهم:
- محمد بن ابي بكر التلساني من اهل القرن الرابع الهجري كتاباً اسماه: "وصف مكة شرفها الله وعظمها ووصف المدينة، ووصف بيت المقدس المبارك وما حوله" مخطوط مكتبة الاسكوريال El Escorial بمدريد/ اسبانيا.
- ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن ابي الحفاظ المكناسي من علماء المغرب في القرن 7هـ الف "كتاب فيه فضائل بيت المقدس وفضائل الشام" (كما ورد في المقدمة) واهتم ابن خير الاشبيلي في فهرسته ان يفرد باب عن المؤلفات التي دونت عن بيت المقدس، ومما ذكره:
- "كتاب اخبار بيت المقدس" لابي العباس احمد بن خلف بن محمد السبحي، حدثه به القاضي ابو بكر بن العربي الاشبيلي"[1] (كتاب رياض الانس في ميدان القدس) لابي سعيد الحسن بن علي المطوعي الواعظ"[2].

كما تطرقت المصادر الاندلسية عن قضايا فقهية تخص بيت المقدس متنوعة ومتعددة، فمثلاً اورد كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقيا الاندلس للفقيه احمد بن يحيى الونشريسي، ذكر لنا مسائل كثيرة منها: القيام ليلة النصف من رجب وشعبان في القدس عام 558هـ وعن كنائس بيت المقدس واراء الفقهاء فيها"[3].

كما خصص الفقيه ابن عبد ربه الأندلسي صاحب كتاب "العقد الفريد" صفحات يتحدث فيها عن صفة بيت المسجد وافردت كتب الرحلات الأندلسية بابا عن زيارة بيت المقدس والمعالم الجغرافية والاثارية فيه، فذكر لنا الادريسي في كتابه "نزهة المشتاق واختراق الآفاق" وصف جغرافياً عنه، كما زاره الرحالة ابن بطوطة وافرد عنه وصفاً رائعاً ومتكاملاً، وتناول الجغرافي ابو عبيد البكري القرطبي الاندلسي في كتابيه "معجم واستعجم من أسماء البلاد والمواضع" بايراد اسماء الاعلام الجغرافية فيه بالتفصيل.

وتحدث لنا ابن القاضي المكناسي في كتابه "درة الحجال في أسماء الرجال" عن مشاهير علماء بيت المقدس ومؤلفاتهم بتراجم وافية.

---

(1) اورده ابن جبر الاشبيلي ت 575ه/ فهرسته/ تحقيق: ابراهيم الابياري/ دار الكتب المصري- البناني (القاهرة- بيروت 1410ه/ 1989م) ج1/ 353 ترجمة رقم 592.

(2) المصدر السابق نفسه ج1/ 391.

(3) الرنشر ليسي/ احمد بن يحيى (ت بفاس عام 914ه).

كنيسة شنت ياقوب في جليقية (شمال غرب اسبانيا)

Santiago de Compostela de Galicia

من المعالم والمآثر الدينية المسيحية للقدس في الأندلس كنيسة القديس شنت ياقب او ياقوب (القديس يعقوب، وتتحدث الاسطورة على انه من الحواري أمر بقتله هيرود الثاني ملك بيت المقدس، وحمل تلاميذه جثته في مركب جاز به البحر المتوسط الى المحيط الأطلسي حيث دفن في جليقية (مدينة في أقصى الشمال الاسباني الغربي من المملكة) وفي عبد الملك الاسباني الفونسو الثاني AlfonsoII الملقب بالعنيف تم اكتشاف قبره وبنيت له كنيسة ضخمة"[1].

يصف لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي في كتابه (أعمال الاعلام) الكنيسة بقوله: "... وكانت على قدم الايام مكان عزهم، ومحل جمعهم وحجهم، ومزارهم، وقد سالمتها الايام منذ الف عام لحج الروم الى كنيستها من اقصى بلاد رومه لاجل التقديس، لقبر ياقب احد الحواريين الاثنى عشر، وكان هذا الحوارى اخص الناس بالمسيح عليه السلام والنصارى يسمونه اخاه للزومه اياه ولصوقه وزعم اهل التاريخ الرومي انه اسقف بيت المقدس، وساح في الأرض داعياً لمن فيها، حتى انتهى الى هذه القاصية..."[2].

وتحدث ابن عذاري المراكشي عن الكنيسة ايضا بقوله: "وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا، فيها يحلفون واليها يحجون من اقصى بلاد رومه وراءها..."[3] وهناك روايات تذكر على انه ابن يوسف النجار وله مائة وعشرون شمسية.

امتازت منطقة جليقية بأراضيها الوعرة وجبالها الشاهقة مناخها وبعدها عن قرطبة، لذا استعصى على الامراء والخلفاء في الاندلس المصول اليها، ولكن الحاجب المنصور بن ابي عامر وجه اليها حملة عسكرية عام 387هـ وهي حملته الثامنة والأربعين في عهد الخلافة استطاع بها الوصول الى جليقية وجدها خالية ولم يجد بالكنيسة الا رجلاً واحداً من شيوخ الرهبان جالساً عند قبر يعقوب، فسأله عن مقامه، فقال له: اونس ياقب، فأمر باحترامه ومنع الأذى عنه احترم الحاجب المنصور الكنيسة والقبر تقديراً لمكانة القديس يعقوب ومنزلته الدينية كما أمر بصون القبر ودفع عنه، وهو دليل على مكانة بيت المقدس عند أهل الأندلس واحترامهم لدور العبادة"[4].

وأثناء الحروب الصليبية على بيت المقدس عقد أهل القدس الآمال بأهل الأندلس من اجل تقديم العون والمساعدة بالرجال والمال والعدة العسكرية في احلك الظروف الحرجة والصعبة التي مر بها القدس الشريف أثناء

---

(1) عنان/ محمد عبد الله دولة الاسلام في الاندلس، القاهرة 1389ه/ 1969م/ ج1/ 220.

(2) ابن الخطيب الغرناطي/ لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني ت 776ه) اعمال الاعلام (نشر بعنوان تاريخ اسبانيا الإسلامية) بيروت 1956، ص67 تحقيق: ليفي بروفنسال.

(3) ابن عذارى المراكشي/ ابو عبدالله محمد المراكشي ت بعد 712ه البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب/ تحقيق كولان وليفي بروفنسال باريس 1948 إعادة طبعه دار الثقافة (بيروت د. ت) ج2/ 294.

(4) ابن الخطيب الغرناطي/ أعمال الاعلام/ ص67.

المؤلف المجهول/ ذكر بلاد الأندلس/ تحقيق وترجمة للاسبانية لويس مولينا/ (مدريد 1983م) ج1/ 193.

شكيب ارسلان/ الحلل السندسية في الاخبار المراكشية مطبعة الرحمانية ط1 1936 ج2/ 92.

الحملة الصليبية الثالثة بعد الانتصار العظيم الذي تكلل بتحرير القدس عام 583هـ/ 1187م، وقد كان لتحرير القدس رد فعل عنيف في أوروبا المسيحية (الغربية) فشرعت بإعداد حملة جديدة ضخمة تمهيداً لاسترجاع القدس من القائد صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة حطين المباركة.

بعث القائد صلاح الدين الايوبي بسفارة الى الاندلس التي كان يحكمها السلطان ابو يوسف يعقوب المنصور الموحدي بواسطة السفير ابو الحزم عبد الرحمن بن منقذ الذي كان يحمل رسالة مع هدية وذلك عام 586ه.

والجدير بالذكر ان الموحدين كانوا يمتلكون اسطول بحري كبير ومتطور كان له دور فعال في التصدي للأساطيل الأوروبية، وقد أشاد به المؤرخ ابن خلدون بقوله (مالم تبلغه من قبل ولا بعد فيها عهدناه) فضلاً عن ذلك سيطرة الأندلس على البحار والمحيطات التي تعبر منها السفن الصليبية.

تضمنت رسالة صلاح الدين الأيوبي الى السلطان يعقوب المنصور كما أوردها ابو شامة في "الروضتين" ان التصدي للغزو الصليبي والدفاع عن القدس واجب مقدس تقع مسؤوليته على المشرق والمغرب على حد سواء فدعا الى ران يمد غرب الإسلام المسلمين أكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملاها عليهم جواري كالإعلام.

لا نخوض في التفاصيل عما جرى بعد ذلك بقدر ما يزيد ان نؤكد ان للقدس مكانة عظيمة والدفاع عنها يميلة الواجب الديني لانها ارض الانبياء والمرسل.

ولع صلاح الدين الأيوبي بالمؤلفات التاريخية والعسكرية

يروي لنا التاريخ العربي حوادث عن سيرة القائد صلاح الدين الأيوبي وعن حبه واهتمامه بالثقافة، مثل أغلب الخلفاء والسلاطين والامراء، حيث كانوا مولعين بالكتب في مجالات الثقافة والعلوم، وأغداق الاموال والهدايا والاقطاعات على المؤلفين من أجل الحصول على مصنفاتهم، وكثيراً ما يتم تعيين موظفين مهمتهم الأخبار عن المصنفات الجديدة والمهمة والقيمة والذائعة الصيت من أجل إقتنائها لخزانة قصر الخلافة، وغالباً ما يبعثون بالرسائل والكتب إلى حكام وعمال الولايات الإسلامية يطلبون فيها شراء الكتب القيمة والثمينة واقتناءها من المؤلفين، وذلك قبل أن يرى الكتاب النور في الاسواق، أو قبل ان يسمع بأخباره حكام الولايات الإسلامية الأخرى، من أجل التفاخر والاطلاع والتعرف على معلوماته عاجلاً، على الرغم من بعد المسافة وصعوبة المواصلات والاتصالات البريدية ووعورة الطرق وقسوة المناخ والمخاطر الأخرى في البر والبحر.

هذا ما حدث للخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر (300- 350هـ/ 912/ 961م) حيث عرف بحبه للكتب في الأندلس، فكان ملوك العالم يهدونه الكتب، وقد أهداه ملك القسطنطينية ارمانوس "كتاب الحشائش والنباتات" للعالم الطبيب اليوناني ديوسقوريدس مع مصورات ونماذج للحشائش والنباتات باللاتينية، فوصل إلى قرطبة سريعاً. اما الخليفة الحكم المستنصر بالله (350- 366هـ/ 961/ 976م) فقد كان على سيرة ابيه الخليفة الناصر، محباً للعلوم والآداب والفنون مشجعاً للعلماء والآداب، وقد ارسل أحد علماء قرطبة عباس بن ناصح الجزيري إلى العراق لشراء المؤلفات العربية واليونانية والفارسية أو استنساخها إذا تعذر ابتياعها، وقد ذكر لنا صاعد الطليطلي عن ذلك في كتابه ما نصه: "انتدب عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم المستنصر بالله إلى العناية بالعلوم وإلى ايثار أهلها، فأستجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار الشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغربية في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية ايام ابيه ثم في مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهي ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة، وتهيأ له لفرط محبته للعلم وبعد همته في اكتساب الفضائل وسمو نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة من الملوك، فكثر تحرك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم"[(1)].

في تاريخنا العربي ثمة احداث تستحق الاطلاع عليها لما تجمل من دروس وعبر تاريخية تتطلب من الباحث التأمل والتفكير فيها. ففي مجال تصنيف الكتب إلى الخلفاء والسلاطين والأمراء، جرت العادة عند البعض من المؤلفين أن يكتبوا اسم الخليفة والسلطان أو الحاكم الفلاني تحت عنوان الكتاب، على سبيل المثال، صنف هذا الكتاب او نسخ هذا الكتاب لخزانة، أو بأمر الحاكم الفلاني وغيرها من التعابير. ولكن بعض العلماء من المؤلفين لم يستحسنوا ذلك وهذا ما حدث للعالم اللغوي الاندلسي ابي غالب المعروف بأبن التياني (ت 433هـ) كما يروي لنا ابن سعيد المغربي في كتابه"[(2)]، حيث يقول ان ابن التياني صنف كتاباً جليلاً في مدينة مرسية Murcia بالاندلس، ولما علم اميرها ابو الجيش مجاهد العامري (ت 436هـ) ارسل إلى ابن التياني ألف دينار اندلسي مع كسوة على ان يزيد في الكتاب عبارة: "مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد" لكن هذا العالم رد الدنانير والكسوة، وقال: "كتاب صنفته لله ولطلبة العلم، أصرفه إلى اسم ملك! هذا والله ما لا يكون أبداً" وبذلك زادت مكانة ابن التياني في عين مجاهد وعظم في صدور الناس.

(1) صاعد الاندلسي، طبقات الأمم، ص 88.

(2) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج 166/ 1.

أكد الإسلام على طلب العلم وجعله فرضاً على كل مسلم ومسلمة، وشجع الأخذ به والسعي من أجل الحصول عليه والانتفاع به، حيث قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) "أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك"[1].

أما العوامل والدوافع التي جعلت السلطان صلاح الدين الأيوبي مهتماً ومولعاً بالمصنفات التاريخية والعسكرية فعديدة منها:

1. الظروف السياسية للعالم الإسلامي في منتصف القرن الخامس الهجري كانت محفوفة بالمخاطر العسكرية المتمثلة بالغزو الصليبي واطماعه بالتوسع على الأراضي الإسلامية من أجل السيطرة والاستحواذ على الثروات والاعتداء على القيم والمباديء الإنسانية والتحرش على الحدود الإسلامية.
وقد وصف مؤرخو عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي، الاوضاع السائدة والمواقف السياسية التي اتخذها السلطان لمواجهة ومعالجة تلك الظروف وكيفية تحديه للمصاعب العسكرية الخطيرة والعصيبة. ومن هؤلاء الكتاب العماد الاصفهاني، حيث قدم لنا وصفاً ممتعاً لحوادث سنة 583هـ وصورة لجهاد السلطان بقوله: وكتب الملك الناصر صلاح الدين إلى الاقطار والبلاد، يستدعي من جميع الجهات جموع الجهاد، واهل للاستدعاء أهل الاستعداد، واستحضر لغزو من الحضر والبدو، وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجاد واستحشاد الحشود، وأصحار الاسود، وأحضار البيض والسود، مضيء العز ماضي العزم، صائب السهم ثائب الفهم ثابت السعود، كابت الحسود..."[1].
2. ظهور نخبة من العلماء والمؤرخين والادباء، اتصفت بروحها الجهادية واسلوبها الرفيع في التدوين حيث شاركت هذه المجموعة في أغلب الحملات الجهادية مع السلطان صلاح الدين الأيوبي، فكانت شاهد عيان للاحداث، وقد شغلت هذه النخبة مسؤوليات ووظائف مهمة في الحكومة، أمثال: بهاء الدين بن شداد، قاضي العسكر في الجيش الأيوبي (ت 623هـ) ومن أهم مؤلفاته: 1. "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" أو سيرة صلاح الدين الأيوبي. 2. "كتاب الجهاد" لمؤلفه عماد الدين بن محمد بن حامد الاصفهاني (ت 597هـ) الوزير والمسؤول عن المراسلات الحربية في جيش صلاح الدين الايوبي، وكان أديباً ومؤرخاً وعسكرياً، وأهم كتبه كتاب "الفتح القسي في الفتح القدسي" و "البرق الشامي في التاريخ". ومرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي (ت 589هـ) من الكتاب والخبراء في صناعة الاسلحة بالجيش الأيوبي، ومؤلفه: "تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ولنشر اعلام الاعلام في العُدد والآلات المعينة على لقاء الاعداء". وعبد الرحيم البيساني القاضي الفاضل كان مستشاراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي وقد رافق السلطان في أغلب حملاته وله ديوان"[2]؛ ودون وثائق في غاية الاهمية عن الجيش، علماً بأن مجلس حرب جيش صلاح الدين الايوبي كان يضم في عضويته عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء والادباء، فضلاً عن القاضي الفاضل، وقاضي العسكر بهاء الدين بن شداد والعماد الاصفهاني الاديب والمؤرخ، وكذلك بهاء الدين قراقوش، وسيف الدين المشطوب الهكاري، وقادة آخرين مثل ابو الهيجاء الهذباني، وعلم الدين سليمان بن جندر، وأمير الاسطول حسام الدين لؤلؤ،

(1) رواه الطبراني.

(2) العماد الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 12.

وأصحاب المدن والقلاع المعروفين من امثال مظفر الدين كوكبري وشمس الدين بن المقدام، وعز الدين جودريك والفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري وغيرهم"[1].

3. عمل السلطان صلاح الدين الايوبي على تشجيع العلماء وتقديم الدعم المادي لهم ومنحهم الهدايا وتقريبهم إليه باسناد الوظائف المهمة كوظيفة قاضي العسكر أو مستشار أو كاتب وغيرها، وكما ذكرنا سابقاً فان لهذه السياسة أثراً كبيراً في تشجيع العلماء على تصنيف مؤلفاتهم للسلطان.
وقد أورد لنا (ابو شامة) في كتابه معلومات تفيد ان السلطان صلاح الدين الايوبي كان يمنح الارزاق إلى العلماء، حيث شملت منح الاقطاعات والرواتب السخية، وقد تجاوزت مائتي دينار وأحياناً تصل إلى ثلثمائة دينار.

4. دفع استخدام الافرنج للاسلحة المتطورة والثقيلة كالمنجنيق والدبابة ورأس الكبش والاقواس الفولاذية إضافة إلى المراكب الحربية المزودة بالقذائف النارية واتباعهم طرق القتال المتطورة في حربهم مع المسلمين، السلطان والمختصين في صناعة الاسلحة إلى الاهتمام بالمؤلفات العسكرية لمواجهة الخطر الصليبي وانقاذ ارواح المسلمين واراضيهم وممتلكاتهم، فعمل الطرسوسي على تصنيف كتابه (تبصرة ارباب الالباب) إلى السلطان صلاح الدين الايوبي، وقد ضم الكتاب فصولاً مهمة ونافعة في صناعة الاسلحة سنذكرها لاحقاً.

5. ورثت الدولة الأيوبية ممتلكات الدولة الفاطمية في مصر التي كانت تضم خزائن السلاح من مختلف الاشكال والاحجام وبأعداد هائلة جداً، وقد شجعت السلطان على الحفاظ عليها وزيادتها والانتفاع بها في حربه مع الصليبيين.

6. كان القائد البطل صلاح الدين الايوبي مولعاً بمجالسة طبقات العلماء من مؤرخين وادباء يسامرهم ويتجادل معهم في مواضيع شتى، حيث اشتهرت تلك المجالس بالوقار والسكينة منزهة عن الهزل، حيث أكد لنا العماد الاصفهاني في برقة الشامي عن ذلك بقوله: (كان صلاح الدين مشغوفاً بمجالسة خواصه من العقلاء، وموانسة ذوي اختصاصه من الفضلاء، فإذا اراد الانصراف بعد هزيع من الليل قام إلى صلاة العشاء، وإذا فرغ من الصلاة جماعة تفرق الجمع ورفع الشمع فان كان له حاجة إلى انشاء كتاب او البوح بسر صوب اجلسني واملى علي مقاصده، وقمت وسهرت تلك الليلة لتحرير الكتب أو عرضها عليه، فان رأى الزيادة فيها أو تبديل شيء من معانيها وصل بي إلى مقاطعها، ووقفني على مواضعها، فما ابرح حتى اسوي قوامها واروي اوامها، وإذا استضائها وقد أتممت نصابها توجهاً بتوقيعه ويقول: نوجهها ولا نعوقها ونسددها إلى الاغراض ولا نعوقها)"[2].

صلاح الدين الايوبي وأهتمامه بالجهاد ومتابعة شؤونه ومصنفاته :

أبدى السلطان صلاح الدين اهتماماً شديداً وحرصاً كبيراً على متابعة الجهاد من أجل تحقيق النصر واعلاء راية الله أكبر وانقاذ القدس الشريف من براثن الصليبيين وحماية الاراضي الإسلامية من اعتداءات الافرنج الحاقدين، حيث

---

(1) ديوان القاضي الفاضل، تحقيق د. احمد احمد بدوي، مطبعة دار الكتاب العربي القاهرة 1961.

(2) حسين د. محسن محمد، جيش صلاح الدين، مقالة في مجلة المورد، المجلد 16، العدد 4، بغداد 1408هـ/ 1987م، ص 54.

بذل السلطان الاموال الطائلة والجهود المتواصلة، وعمل على تعبئة الجيوش، وحرص على مكاتبة اصحابه وامرائه خاصة في ما يتعلق بأمور الجهاد والدعوة إليه وذلك باستدعاء الاجناد للجهاد قبل كل معركة"(1).

اما الاموال التي بذلها السلطان على الجهاد، فقد وضع اموال كل ولاية إسلامية من الجبايات المستحصلة منها كرصيد جهادي ينفق في الفتح والتحرير، فقد ذكر ابو شامة عن ذلك بالنص الأتي: "... فقد انفق المولى صلاح الدين الايوبي مال مصر في فتح الشام، وانفق مال الشام في فتح الجزيرة، وانفق مال الجميع في فتح الساحل"(2).

كان السلطان حريصاً ومولعاً بمتابعة اخبار الجهاد الأسلامي ومهتماً باقتناء المصنفات التاريخية عنه، مما دفع قاضي العسكر بهاء الدين بن شداد إلى تصنيف كتاب في الجهاد إلى السلطان، كما ذكرنا آنفاً، ويقول ابن شداد عن كتابه ما يأتي: "وكنت قد جمعت له كتاباً في الجهاد بدمشق مدة مقامي فيها، بجميع احكامه وآدابه، فقدمته بين يديه فأعجبه، وكان يلازم مطالعته، ومازلت اطلب دستوراً في كل وقت، ويبلغني على السنة الحاضرين ثناءه عليّ وذكره إياي بالجميل"(3).

وقد قدم لنا ابن شداد وصفاً تاريخياً دقيقاً ورائعاً لحب السلطان للجهاد واهتمامه بشؤونه في فصل خاص عنوانه (ذكر اهتمامه بامر الجهاد) مانصه: "ولقد كان رحمه الله شديد المواظبة عليه، عظيم الاهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما انفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد أو في الارفاد لصدق وبّر في يمينه. ولقد كان الجهاد وحبه والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيماً، بحيث ما كان حديث الا فيه، ولا نظر إلا في آلته، ولا كان له اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله واولاده ووطنه وسكنه وسائر ملاذه"(4).

لقد عاهد القائد صلاح الدين الايوبي دينه وامته على ان يبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيق النصر على الصليبيين ونشر راية الإسلام وحمايتها من الاعتداءات المتكرره إلتزاماً بالقرآن الكريم وبقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (5).

كان القائد صلاح الدين حريصاً على كتمان اسرار الجهاد وخطط القتال والطرق التي يسلكها في حملاته، لدرجة أنه كان يتفرغ ليلاً لتدوين المعلومات ويمليها على مستشاره العماد الاصفهاني، بعد انصراف اصحابه عنه بالاسلوب الذي يفضله، علماً بان على الكاتب ان يقدم مسودة ذلك الكتاب على سلطانه في الصباح الباكر، فإذا رضي به وقعه وامر بأرساله فوراً للجهة المقصودة وإلا امره بتغييره واعادة صياغته من جديد.

---

(1) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ج 38/ 2 (انظر حوادث سنة 585هـ).

(2) العماد الاصفهاني، البرق الشامي ج 233/ 1– 234.

(3) المقّريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 92093/ 1.

(4) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج 241/ 1، ويذكر لنا العماد الاصفهاني في الفتح القسيفي الفتح القدسي، ص 456، ان ما خلفه صلاح الدين في خزانته بعد وفاته دينار واحد وستة وثلاثين درهماً.

(5) ابن شداد/ النوادر السلطانية، ص 86، وقد ذكر لنا ابن شداد، نفس المصدر ص 21 لقد الفت عدة كتب في الجهاد للسلطان صلاح الدين: "ولقد الف له كتب عدة في الجهاد، وانا ممن جمع له، فيه كتاباً جمعت منه آدابه، وكل آية وردت فيه، وكل حديث روى في زمنه، وشرحت غريبها، وكان– رحمه الله– كثيراً ما يطالعه حتى اخذه منه ولده الملك الافضل، عز نصره".

لقد املت الظروف على القائد صلاح الدين ان ينهج الاسلوب الجهادي وان يكرس حياته في سبيله، لصد العدوان الصليبي وتحرير الاراضي الإسلامية المغتصبة، المر الذي دفع الباحثين إلى اعتبار دولة صلاح الدين الايوبي قائمة في الأصل على اساس ان الحرب ضرورة دائمة، ونرى السلطان منشغلاً في توزيع المسوليات في جيشه ويتابع إدارة المعركة بنفسه، وينقل ابن شداد عن ذلك بقوله: "وكان رحمه الله تعالى إذا اشتدت الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد وعلى يده جنيب، ويخرق العساكر من الميمنة إلى الميسرة، ويرتب الاطلاب، ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يراها، وكان يشارف العدو ويجاوره- رحمه الله".

وبهذا نرى ان الدولة الايوبية اتسمت بطابع عسكري في الهدف والتنظيف وكانت منشغلة في المواجهات العسكرية مع الصليبيين، ومن حسن الصدف ان يظهر فيها القائد البطل صلاح الدين الايوبي ليعتلي المسؤولية الكبرى في المواجهة المصيرية والتي تكللت بالنصر المؤزر في معركة حطين عام 583هـ وتحرير القدس الشريف الذي كان عنواناً للبطولة والفخر والاعتزاز ومعجزة في التاريخ لدرجة ان نابليون بونابرت اطلق مقولته الشهيرة بعد نحو ستمائة عام من حطين (ويل للمغلوب)"(1).

وازدهرت معاني شعر الجهاد في معارك صلاح الدين الايوبي، ومهد له عدد من الشعراء الذين اشادوا بالروح البطولية والصبر والانتصار الذي حققه جيش الإسلام على الصليبيين.

وشعر الجهاد لون من الوان شعر العقيدة تميزت معانيه بالصدق وألفاظه بالايمان وصوره بالتضحية التي واكبت روائعه معارك التحرير وارتسمت فوائده في دواوين الشعراء زهواً يملأ النفس واعتزازاً يثير الكوامن وتضحية تسجل روائع البسالة وخوالد الفعال فأتسعت ابوابه في احاديث المجاهدين من الشعراء واستوحت بطولات القائد صلاح الدين الايوبي ورجاله فكانت سفراً من اسفار تاريخ البطولة.

الاهمية التاريخية والعسكرية للمصنفات التي نسخت للقائد صلاح الدين الايوبي

كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لبهاء الدين بن شداد من المصادر القيمة والثمينة التي نسخها للسلطان صلاح الدين ابن شداد حيث قدم وعرض معلومات واسعة ومفصلة ونادرة عن سيرة وانجازات السلطان خلال الخمس سنوات من عام 584- 589هـ حيث ان ابن شداد كان ملازماً لخدمة السلطان لا يفارقه ليلاً أو نهاراً إلى ان ادركته الوفاة. استعرض الكتاب وصفاً وترجمة لحياة السلطان ومدى التزامه بالفرائض الإسلامية كالصلاة والزكاة، والحج، مزدانة بنصوص وامثلة تفيد وتمتع القارىء عن سيرة احد ابطال الإسلام.

وتطرق الكتاب إلى الصفات والخصال الإسلامية التي تمتع بها السلطان كالكرم، والشجاعة، والصبر، والحلم، والعفو عند المقدرة، والمروءة، والجهاد. والكتاب غني بمعلوماته العسكرية، حيث تضمن معلومات عن الاسلحة التي استخدمت في البر والبحر، كالمنجنيق والدبابة ورأس الكبش والاقواس وغيرها، وتحدث عن اسلحة البحر كالسفن والمراكب والقذائف النارية، وقد افرد نصاً مفيداً عن المنجنيق يبين لنا مدى اعتزاز القائد صلاح الدين بهذا السلاح، بقوله: "ولقد رأيته ليلة على صفد وهو يحاصرها، وقد قال، لا نام ليلة حتى تنصب لنا خمسة مناجيق، ورتب لكل منجنيق قوماً يتولون نصبه، وكنا طول الليل في خدمته- قدس الله روحه- في ألذ مفاكهة وارغد عيش، والرسل

---

(1) نفس المصدر السابق، ص 12.

تتواصل تخبره بأن قد نصبت من المنجنيق الفلاني كذا، ومن المنجنيق الفلاني كذا حتى أتى الصباح، وقد فرغ منها، ولم يبق إلا تركيب خنازيرها عليها، وكانت من أطول الليالي وأشدها برداً ومطراً"[1].

لقد انفرد كتاب "النوادر السلطانية" بذكر النصوص المهمة والفريدة والارقام والوثائق والاتصالات والمراسلات التي تمت بين السلطان والخلافة العباسية وبينه وبين الافرنج. تمتع ابن شداد بأسلوبه الشيق البلاغي الرفيع التفصيلي المنسق في سرد الحوادث على السنين، فكان القاضي والمؤرخ والعسكري والصحفي والقاضي والاديب في تدوين المعلومات. ويمكن اعتبار "النوادر السلطانية" موسوعة تاريخية وعسكرية مهمة في سيرة البطل صلاح الدين الايوبي وجهاده ضد الغزاة الصليبيين.

كتاب تبصرة ارباب الألباب لمرضى بن علي بن مرضى الطرسوسي

وهو من المصنفات العسكرية التي دونت للقائد صلاح الدين الايوبي، حيث اختار له العنوان الذي يضم معاني حربية متعددة إذ تضمنت فصول الكتاب هذه المعاني العسكرية من طرائق تنظيم العساكر، والرايات، والاسلحة الثقيلة والخفيفة، البسيطة والمعقدة أو المركبة، وأنواع السفن والمراكب الحربية والقذائف البارودية المستعملة فيها.

ان الطرسوسي جعل في تصنيفه مصورات وزوده بتخطيطات حربية من أجل توضيح الصورة العسكرية لسلطانه، واراد ان يكون كتابه موسوعة عسكرية تقدم خدمة جليلة للجيش الإسلامي، حيث جاء بمعلومات وابتكارات حربية في صناعة الاسلحة تضاهي ماكان معروفاً او ما امتلكه العدو الصليبي، فهو بحق موسوعة حربية فريدة في العصور الوسطى ابان الحروب الصليبية.

ويبدو ان الطرسوسي كان عالماً مرموقاً في المجال العسكري، وله خبرة واطلاع وامكانية وتجربة واسعة في حرفته، وقد اطلع على مؤلفات حربية كثيرة، ودرس فن الحرب وشارك فيه، وتتلمذ على مشاهير العلماء، حيث يذكر استاذه الشيخ ابا الحسن الابرقي الاسكندراني"[2] وقد نقل منه نصوصاً او استشهد به، كما نقل من المسعودي وكتابه (اسرار الملوك)"[3].

أما أهم الفصول التي تضمنتها الكتاب فهي:

1. ذكر السيف
2. ذكر القوس
3. ذكر الرمح
3. ذكر التراس
5. ذكر الدبابات والابراج والستائر
6. ذكر اللت والعمود والدبوس
7. ذكر المنجنيقات
8. ذكر الدروع والعمود والدبوس
9. ذكر المثلثات

---

(1) الاحزاب: 23.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 19.

(3) انظر: السامرائي، عبد الجبار محمود، معركة حطين، دراسة تاريخية عسكرية مقالة في مجلة المورد، ص 28.

10. ذكر النفوط

11. ذكر ترتيب الجيوش.

وباب المنجنيقات أو المناجيق من الابواب المهمة التي تطرق إليها الطرسوسي، ويبدو ان اهتمام السلطان بالمنجنيق كان وراء الدافع، او لأهمية هذا السلاح وكونه سلاحاً فتاكاً راج استعماله في الحروب الصليبية، وقد تكون الخبرة التي يمتلكها الطرسوسي أحد الاسباب، وقد تحدث المؤلف عن ذلك بقوله: "ان للرماية عن المنجنيقات أسراراً يجب ان تحرز وتحفظ، ومعاني يتعين على الطالب لمعرفتها ان يحوط بها لتكون له معينة على بلوغ الغرض"(1).

وللمناجيق اصناف منها: العربي، والفارسي، وهو التركي، والرومي وهو الافرنجي، ولكل صنف مواده الاولية الخاصة به، وشكله وحجمه ووزنه والقذائف المستخدمة فيه، والمنطقة والاجواء التي ينصح استعماله فيها.

ومن خلال متابعتنا للمعارك التي خاضها القائد صلاح الدين الايوبي نلاحظ نماذج متطورة ومتعددة للمناجيق، وقد اطلعنا عليها ابن شداد في كتابه علاوة على عرضه اصناف المناجيق الافرنجية الضخمة الحجم والغريبة الشكل، منها ما عرض في احداث عكا عام 586هـ بقوله: "ان العدو كان قد اصطنع ثلاثة ابرجة من خشب وحديد ألبسها الجلود المسقاة بالخل على ماذكر، بحيث لا تنفذ فيها النيران، وكانت هذه الابراج كأنها الجبال نشاهدها من مواضعنا عالية على اسوار البلد، وهي مركبة على عجل، يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل، ويتسع سطحها لأن ينصب عليه منجنيق، وكانَ ذلك قد عملَ في قلوب المسلمين واودعها من الخوف على البلد ما لا يمكن شرحه، وأليس الناس من البلد بالكلية، وتقطعت قلوب المقاتلة فيه، وكان قد فرغ من عملها، ولم يبق إلا جرها إلى قريب السور، وكان السلطان قد اعمل فكره على احراقها واهلاكها، وجمع الصناع من الزراقين والنفاطين وباحثهم في الاجتهاد في احراقها ووعدهم عليه بالاموال الطائلة والعطايا الجزيلة"(2).

ان النص المذكور اعلاه يوضح لنا جملة احتمالات تاريخية وعسكرية هي:

1. تصنيع العدو الصليبي وابتكاره اسلحة معقدة ومتطورة في الشكل والحجم والعمل أو الاستخدام، من أجل التفوق الحربي على سلاح المسلمين، ويدلل على امكانياته التقنية بالسلاح.
2. فزع الأهالي من المسلمين جراء استخدام العدو لمثل هذه الاسلحة الضخمة والغريبة والخطرة مما دفع بحكومة صلاح الدين الايوبي لتدارك الموقف العسكري.
3. عملت على تدارك السلطان صلاح الدين الايوبي وزادت من اهتمامه بمعالجة ومواجهة السلاح الصليبي، وذلك بالاجتماع بذوي الخبرة الحربية وبصناعة الاسلحة في تدمير سلاح العدو وتحطيمه أو احراقه واتلافه بشتى الوسائل الممكنة والمتاحة.
4. ظهور طبقة من الصناع المهرة بالاسلحة وذلك لمواجهة ما يملكه العدو من سلاح تقني وفتاك، وقد عمل السلطان صلاح الدين الايوبي على دعم وتشجيع ومنح الهدايا والاكراميات المجزية للمبتكرين والمبدعين والمصنفين للمؤلفات الحربية كالطرسوسي وابن شداد والعماد الاصفهاني وغيرهم.

(1) القيسي، د. نوري حمودي، شعر الجهاد في معارك صلاح الدين الايوبي (مقالة مجلة المورد) ص 142.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، 26027.

5. أملت الاحداث الحربية على القائد صلاح الدين الايوبي اهتماماً أكثر بمتابعة واقتناء المصنفات التاريخية والعسكرية للاستفادة من معلوماتها في مواجهة مخاطر العدو الصليبي، حيث تم تصنيف مؤلفات عديدة في الجهاد والاسلحة للسلطان صلاح الدين الايوبي في هذه الآونة.

أما المنجنيق والدبابة فهما السلاحان المعروفان اللذان استخدما بشكل كبير من المسلمين والصليبيين، وقد تبارى كل منهما في ادخال تحسينات عليه من حيث الشكل والحجم والقدرة على استيعاب احجام كبيرة من القذائف من احجار وجذوع نخيل أو اشجار بالاضافة إلى القذائف البارودية. وذكر لنا ابن شداد ايضاً أخباراً عن المنجنيق من مشاهداته للمعارك بقوله: "وذلك ان العدو لما احس في نفسه بقوة، بسبب توالي النجدات عليهم، اشتد طمعهم وسلطوا عليه المنجنيقات من كل جانب، وتناوبوا عليها بحيث لا يعطل رميها ليلاً ونهاراً،... ولما ولج المسلمون خيام العدو ذهلوا عن المنجنيقات وحراستها، وحفظها وسياستها، فوصلت شهب الزراقين المقذوفة وجاءت عوائد الله في نصر دينه المألوفة، فلم تكن ساعة حتى اضطرمت فيها النيران، وتحرق منها بيدها ماشيد الاعداء في المدة الطويلة في اقرب آن"(1).

وكانت تكاليف المنجنيق المادية عالية، حيث وصلت المبالغ المصروفة على صناعة منجنيق كبير عظيم الشكل مقدار الف وخمسمائة دينار"(2) وهو مبلغ كبير جداً في ذلك الوقت بالاضافة إلى الجهد والوقت الذي يبذل لصناعته.

لقد توفرت لدى العدو الصليبي اعداد كبيرة من المناجيق، مختلفة الاشكال والاحجام والاغراض مما دفع بالمسلمين إلى احداث إبتكارات حربية جديدة لمواجهة مناجيق العدو واتلافها بواسطة طرق وحيل حربية، حيث يروي لنا ابن شداد حادثة شاهدها بنفسه عن احراق المسلمين لمناجيق العدو بالخبرة والقدرة التي امتلكها الجيش الإسلامي بقوله: "ان العدو كان نصب على البلد منجنيقات هائلة حاكمة على السور، وأن حجارتها تواترت حتى اثرت في السور اثراً بيناً، وخيف من غائلته، فأخذ سهمان من سهام الجرخ العظيم وأحرق نصلاهما حتى بقيا كالشعلة من النار، ثم رميا في المنجنيق الواحد، فعلقا فيه، واجتهد العدو في اطفاء النار فلم يقدروا على ذلك..."(3).

اما القذائف النارية أو البارودية فقد استخدمت في المناجيق والدبابات، وقد وصف الطرسوسي في كتابه اصنافاً متعددة منها وطرق صناعتها وكيفية استخدامها في البر والبحر وقد تحدث عن النفوط واصفاً لها واعتبرها سراً من الاسرار، وبين مناطق توفر المواد الاولية لبعض المركبات بقوله: "صفة نفط عجيب، وهو من الاسرار: تؤخذ من الاترج الاشباه، وهو اترج صغير وطعمه مر وهو كثير بثغر الاسكندرية..."(4).

---

(1) انظر الطرسوسي، تبصرة ارباب الالباب، الصفحات التي ورد فيها استاذه الابرقي الاسكندراني ص 108، 111، 113، 115، 119، 120.

(2) نفس المصدر السابق، ص 120.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 118. 21. النوادر السلطانية، ص 120، قارن هذا النص مع ما ورد من معلومات مهمة عن صناعة الاسلحة عند الطرسوسي، تبصرة ارباب الالباب، ص 120 في حديثه عن الدبابات والابراج والستائر حيث اوردلنا وصفاً مفصلاً عن الابراج والمواد المستعملة بصناعته، والاحجام والقياسات بالاضافة إلى السلبيات والإيجابيات اثناء استعماله في المعركة.

(4) ابن شداد، المصدر نفسه، ص 134 (فصل ذكر حريق المنجنيقات التي للعدو المخذوال) احداث رجب سنة 586هـ.

واسلوب الطرسوسي في تصنيفه (تبصرة ارباب الالباب...) كان واضحاً ومفصلاً واتبع الاختصار أحياناً، وقد عبر لنا عن ذلك في فصل الدبابات والابراج بقوله: "فهذا ما سنح ذكره في هذا الذكر، ولاح وصفه وشرحه في هذا الفصل، وقد يستخرج الذكي الفطرة، من هذه الآلات كل مليحة تضرعها بديع الفكرة فتأتي على هيئة مستبدعة، وصفه بالمحاسن مجتمعة يبلغ بها المراد، ويكفي بحيلتها مهلكات الفساد ولو اخذنا في تتبع هذه الآلات وطلب استقصائها ووصف جملتها، والاصهاد إلى استيفئها، لأطال بنا الكتاب، وخرجنا به عن حد الاعجاب إلى الاضجار والارتياب..."(1).

"كتاب الفتح القُسي في الفتح القدسي" لعماد الدين الاصفهاني وهو الآخر من المصنفات المهمة والقيمة التي نسخت للسلطان صلاح الدين الايوبي، التي تناولت الاحداث التاريخية للفتح المبين والمبارك للقدس الشريف، حيث زودنا هذا الكتاب بمعلومات واسعة، ونصوص نادرة وفريدة من نوعها في تفسير الاحداث التي سبقت معركة حطين، والاجراءات التي اتخذها السلطان صلاح الدين الايوبي كفارس مقدام ورجل انساني عادل ونبيل ومفكر عسكري عظيم في مواجهة المخاطر الصعبة في المهمات الخطيرة.

صار هذا الكتاب مصدراً مهماً في نصوصه ووثائقه واسلوبه البلاغي الرفيع والشيق والواضح، مكملاً للمصنفات التي دونت للسلطان صلاح الدين الايوبي، وقد أكد لنا العماد الاصفهاني عن ذلك بقوله: "... فرأيت ابداء ميامن هذه الايام الغر على الاباد بغرر الاداب، وقيدت شوارد معانيها وسيرت محامد معاليها بهذا الكتاب، وأودعته من فوائد الكلام والفرائد الفذة والتوأم دَرّ السحاب ودُرّ السنجاب، وسميته الفتح القدسي تنبيهاً على جلالة قدره، وتنويهاً بدلالة فخره، وعرضه على القاضي الاجل الفاضل، وهو الذي في سوق فضله تعرض بضائع الفضائل، فقال لي سمه الفتح القسي في الفتح القدسي، فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قُسّ وبلاغته وصاغت صيغته بنانك فيه ما يعجز ذوو القدرة في البيان عن صياغته"(2).

في النص المذكور اعلاه معانٍ تاريخية وعسكرية مهمة نوردها بالنقاط الآتية:

1. تم تأليف هذا الكتاب المبارك بعد النصر المبين للمسلمين على الافرنج الصليبيين في معركة حطين عام 583هـ وبها تم تحرير القدس الشريف من دنس الكفار اعداء الدين والإنسانية، فجاء تتويجاً للقدس بذكره تحريره.
2. يعطي الكتاب تفسيراً واضحاً ومعبراً عن حب القائد صلاح الدين الايوبي واهتمامه بالمؤلفات التاريخية والعسكرية، ودعمه المتواصل وتشجيعه واكرامه واحتضانه للمؤلفين المسلمين الذين قدموا خدمات جليلة للجهاد الإسلامي.
3. تمتع الكتاب بالاسلوب البلاغي الرفيع المبدع والعرض التاريخي الجميل، مما يدلل على إمكانية وسعة علم المؤلف العماد الاصفهاني، الذي يستحق بجدارة وظيفته كمستشار للسلطان صلاح الدين الايوبي، حيث اطلع على الاحداث عن كثب، وحصل على الوثائق المهمة التي دونها بيده وبأسلوبه البليغ بحكم صلته

(1) المصدر السابق نفسه، ص134– 135.

(2) المصدر السابق نفسه، ص136، قارن مع ما ورد عند الطرسوسي، تبصرة ارباب الالباب، ص119 (وصف المنجنيق وهو الافرنجي).

ومتابعة اعمال السلطان الادارية والعسكرية، بالاضافة إلى روحه الجهادية وشجاعته وصبره على مشاهدة الحوادث المؤلفة في ساحات الوغى.

4. اتخذ الكتاب عنوانه (الفتح القسي في الفتح القدسي) باشارة من القاضي الفاضل (عبد الرحيم بن علي البيساني) وذلك انسجاماً لطموح ورغبة وحب القائد صلاح الدين الايوبي، واكراماً وتمجيداً لبطولته الفذة في معركة حطين وتحرير القدس الشريف.

5. نهج العماد الاصفهاني في تأليفه أحداث السنوات والتعريف بحوادثها ومجرياتها التاريخية من عام 583هـ إلى عام 589هـ وهي سنة وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي- رحمه الله- ومن فصول الكتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) البارزة والمهمة:

- ذكر دخول السلطان صلاح الدين الايوبي بالعسكر إلى ديار الفرنج.
- ذكر الصليب الاعظم والاستيلاء عليه.
- فتح بيت المقدس، ووصف له.
- وصف الصخرة المعظمة.
- ذكر الاسطول.
- ذكر وصول رسول دار الخليفة العباسي الناصر لدين الله.
- ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشتاء وإنكسار البرد.
- ما اعتمده السلطان صلاح الدين الايوبي في عمارة القدس الشريف وحفر الخندق.
- ذكر نزوله على مدينة يافا وفتحها.

دور المراكز الثقافية ومكانتها في عصر القائد صلاح الدين الايوبي

ظل الاهتمام بالعلم والعلماء ومصنفاتهم من دعائم الحضارة العربية الإسلامية، واكد الإسلام عند ظهوره على العلم ورفع مكانة العلماء، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا والعالم بأسره يعيش في ظلام دامس يسوده الجهل والتخلف، إلى أن انتقلت الحضارة العربية الإسلامية إلى اوروبا ابان الفتح الإسلامي لإسبانيا وظهور الحروب الصليبية وبذلكاشرق النور العربي الإسلامي ليزيل الظلام الدامس عن اوروبا.

ان التفكر والتفكير في نظر الإسلام من افضل العبادات، ومن المأثور: ان فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة، واقرب الناس إلى درجة النبوة اهل العلم والجهاد، وجاء في الحديث الشريف:

(وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب).

حث الإسلام على التعليم، ووردت أيات عديدة في القرآن الكريم وأحاديث نبوية شريفة عن ذلك تبين قيمة العلم والعلماء في الحياة لدرجة اصبحت للشهيد والعالم مكانة واحدة، كما جاء في الحديث الشريف: (يوزن مداد العلماء بدم الشهداء). وبذل العلماء والادباء اهتماماً واسعاً وجهداً كبيراً في حث ابنائهم على مواصلة التعلم، فالمؤرخ الاندلسي ابن الخطيب الغرناطي في وصيته لأبنائه، يحث الجيل الإسلامي على طلب العلم، بقوله: "واعلموا ان بالعلم تستعمل وظائف هذه الالقاب، وتجلى محاسنها من بعد الالقاب، والعلم هو السبيل في الآخرة، وفي الدنيا إلى المخلة عادة، والذخر الذي قليله يشفع. وكثيره ينفع، لا يغلبه الغاصب، ولا يسلبه العدو المناصب، ولا يبتره الدهر إذا نال، ولا يستأثر به البحر إذا هال. من لم ينله فهو ذليل، وان كثرت آماله، وقليل اذا جم ماله"[1].

---

(1) الطرسوسي، نفس المصدر، ص 122.

ومما دفعنا إلى التطرق لهذا الموضوع ما رأيناه من الاهتمام البالغ عند السلطان صلاح الدين الايوبي بانشاء المدارس وما يحمله من افكار واهتمامات وميول ثقافية تعكس لنا مقدرته وبراعته ومتابعته، حيث اغدق الاموال الطائلة لإنشاء وتعمير دور العلم والمساجد في مصر وبلاد الشام، بالاضافة إلى اهتمامه بالمصنفات التاريخية والعسكرية، فمن هذه المراكز الثقافية تتولد المصنفات وتزهو العقول.

ازدهرت العلوم ايام صلاح الدين الايوبي، وأصبحت القاهرة مركزاً للعلماء تنافس قرطبة وبغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية، واصبحت ملجأ لطلاب العلم تأمها اعداد كبيرة من الناس من المشرق والمغرب، وقد أكد لنا ذلك المؤرخ الاندلسي ابن الازرق بقوله: "ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر، لاستبحار عمرانها واستحكام حضارتها... من جملتها تعليم العلم... من ايام صلاح الدين الايوبي"[1].

اتبع السلطان صلاح الدين الايوبي سياسة طيبة في تعامله مع المصريين، مما كسب قلوبهم واطاعوه، واستطاع تنفيذ خططه العلمية والاقتصادية وغيرها، هذا ما ذكره لنا ابن الاثير بقوله: "واستمال صلاح الدين الايوبي قلوب الناس، وبذل الاموال فمالوا إليه واحبوه واخذ إقطاعات الامراء المصريين، فأعطاها أهله والامراء الذين معه، وزادهم فأزدادوا إليه حباً وطاعة"[2].

بذل القائد صلاح الدين الايوبي الاموال السخية في بناء المدارس، وكان يهدف من ذلك إلى نشر تعاليم العقيدة الإسلامية الصحيحة ومحاربة أهل البدع، وخلق جيل مؤمن بعقيدته متفان في سبيل ارضه والدفاع عنها، وتثقيف الابناء فكرياً وعسكرياً، فعمد إلى انشاء المدارس العديدة في الامصار الإسلامية والتي كانت تدرس الفقه والدين والتاريخ والعلوم الحربية والعقلية والرياضيات وغيرها، أما الطب فكان يدرس في المستشفيات، واختار لهذه المدارس خيرة العلماء والفقهاء واغدق عليهم الرواتب المجزية وجعل لهم السكن المناسب.

اما أهم المدارس التي تأسست في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي فهي: المدرسة الناصرية وهي أول مدرسة أُنشئت بديار مصر وقد أنشأها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة 566هـ واول من ولي التدريس فيها ابن زين النجار فعرفت به بعد ذلك"[3]. وقد زارها الرحالة ابن جبير الاندلسي (ت 614هـ) ووصفها بقوله "لم يعمر بهذه البلاد مثلها اوسع مساحة ولا احفل بناء"[4].

- المدرسة الصلاحية، انشئت بعد تحرير القدس الشريف عام 583هـ وفوض التدريس فيها إلى القاضي بهاء الدين بن شداد، المؤرخ والفقيه.

وقد ادت هذه المدرسة مهمتها الثقافية بشكل ممتاز، وتولى التدريس فيها عدد من كبار العلماء، ومن ابرزهم اضافة إلى ابن شداد، ابن واصل الحموي، وعبد السلام المقدسي، واستمرت هذه المدرسة تؤدي دورها في نشر العلم والمعرفة في العهد الايوبي.

---

(1) المصدر السابق، ص 124.

(2) العماد الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 12.

(3) المعزى، نفح الطيب، ج 29/ 3 (في ترجمة ابن سعيد المغربي).

(4) ابن الازرق الاندلسي. ابو عبد الله بن محمد، بدائع السلك في طبائع الملك، ص 231.

- المرسة القمحية: أنشأها السلطان صلاح الدين الايوبي لتدريس الفقه المالكي"[1]. حيث اوقف عليها السلطان اموال قيسارية الوراقين وما يتبعها، وضيعة في الفيوم، وعين لها اربعة من المدرسين ووزع عليهم وعلى الطلبة غلة الضيعة من القمح فعرفت بالقمحية.
- المدرسة الفاضلية: سميت ونسبت للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، وقد أنشئت عام 580هـ في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي، وكان بها مكتبة تشتمل على مائة الف مجلد"[2].
- المدرسة السيوفية: أنشأها السلطان صلاح الدين الايوبي في حي الخليفة بالقاهرة، ولا تزال اطلالها باقية حتى اليوم.
- المدرسة القرافية: عمرها السلطان صلاح الدين الايوبي وكانت مجاورة لضريح الإمام الشافعي بالقاهرة وعمر المدرسة المجاورة للمشهد الحسيني وجعل عليها وقفاً كبيراً، وعمر المدرسة المالكية والمدرسة الحنفية ولها وقف جيد، والمارستان بالقاهرة، وله بالقدس مدرسة، وله المدارس والاوقاف، ووقف الكثير على ابواب البر، ووقف على البكرية والعمرية وغيرها وجدد المساجد، ولم ينسب شيئاً من ذلك لنفسه"[3].

وكان السلطان صلاح الدين الايوبي بحق قائداً ومفكراً وراعياً للعلم والعلماء وساعياً لنشر الإسلام ومحرراً للاراضي المغتصبة، حتى وصفه ونعته الاعداء والاصدقاء بصور انسانية تليق بمكانته ودوره التاريخي، فقد نعته الخليفة العباسي المستضي بامر الله: "بالعلم العادل المجاهد المرابط"[4].

أما ابن ابي اصيبعة (ت 668هـ) فتحدث لنا عن السلطان صلاح الدين الايوبي بقوله: "قادتني الضرورة إلى التوجه إلى صلاح الدين، فأخذت من كتب القدماء ما امكنني، وتوجهت إلى القدس، فرأيت ملكاً عظيماً، يملأ العين روعة، والقلب محبة، قريباً بعيداً سهلاً محبياً، واصحابه يتشبهون به، يتسابقون إلى المعروف، كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[5] واول ليل حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم، يتذاكرون في اصناف العلوم، وهو محسن الاستماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق، ويتفقه في ذلك، ويأتي بكل معنى بديع"[6].

لقد كان القائد صلاح الدين الايوبي بحق حافظاً للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومتفقهاً بالفقه الإسلامي، حيث ذكر لنا ذلك عدد كبير من المؤرخين، منهم السبكي، والسيوطي الذي قال: "رحل صلاح الدين الايوبي، إلى الاسكندرية بولديه الافضل والعزيز لسماع الحديث على السلفي، ولم يعهد بذلك لملك بعد هارون الرشيد، افأنه رحل بولديه الامين والمأمون إلى الإمام مالك لسماع الموطأ"[7].

---

(1) ابن الاثير، الكمال في التاريخ/ ج/ 16 حوادث سنة 564هـ.

(2) المقّريزي، المواعظ والاعتبار (الخطط)، ج 345/ 2- 346.

(3) ابن جبير، رحلة، ص 48.

(4) امين، د. حسين، كتاب القدس وعلاقتها ببعض العواصم والمدن الإسلامية، ص 13.

(5) المقّريزي، الخطط، ج 364/ 2.

(6) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 357/ 1- 359، والمقّريزي، الخطط، ج 2، ص 366.

(7) الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، ص 188.

اما ابن شداد قاضي العسكر للسلطان، فقدم لنا معلومات قيمة عن اهتمام سلطانه صلاح الدين الايوبي بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بقوله: "وكان رحمه الله تعالى- يحب سماع القرآن الكريم، حتى انه كان يستخبر إمامه، ويشترط ان يكون عالماً بعلوم القرآن العظيم، متقناً لحفظه... وكان رحمه الله شديد الرغبة في سماع الحديث، ومتى سمع عن شيخ رواية عالية وسماع كثير، فأن كان ممن يحضر عنده استحضره وسمع عليه، فأسمع من يحضره في ذلك المكان من اولاده ومماليكه المختصين به، وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث إجلالاً له"[1].

وكان السلطان صلاح الدين الايوبي مهتماً بتطبيق العدالة واقرار الحق، فكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام، يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء، من أجل البت في القضايا لحماية المظلومين واخذ الحق لهم"[2].

ومن الصفات الحميدة للسلطان التواضع وحبه للفقهاء واهل الدين والخير محسناً لهم، وكان شديد التمسك بالشريعة، وكان كريماً ورعاً، يذكر انه:

"رأى يوماً العماد الكاتب يكتب من دواة محلاة بالفضة فأنكرها، وقال: هذا حرام، فلم يعد يكتب فيها عنده"[3].

وكان للقائد صلاح الدين اسلوب بلاغي رفيع في تدوين خطاباته وفي التحدث مع الآخرين، وقد اكد لنا ذلك العماد الاصفهاني (كاتب ومستشار السلطان) الذي كان معجباً بأسلوب السلطان البلاغي الرفيع، بقوله: "... في ذلك سبعين كتاب بشارة، كل كتاب بمعنى بديع"[4].

ان هذا الاهتمام البالغ من القائد البطل السلطان صلاح الدين الايوبي بالمدارس ودور العلم الأخرى يعكس لنا مدى احترام السلطان وولعه بالعلم وتقديره لرجاله، إلى جانب ما وصلت إليه دولته من المكانة العسكرية والإدارية والاقتصادية في الرقي والتنظيم والاستقرار السياسي.

وبعد وفاة البطل السلطان صلاح الدين الايوبي أخذ ابناؤه وخلفاؤه في الاهتمام بالثقافة والعلماء، حتى وصل انشاء المدارس إلى 26 مدرسة، منها (دار الحديث) التي بناها السلطان الملك الكامل، وتعرف بالمدرسة الكاملية، وبنى السلطان الصالح نجم الدين ايوب (المدرسة الصالحية) وغيرها.

وسار ابناء القائد صلاح الدين الايوبي على نهج ابيهم بتشجيع حركة التأليف واغداقهم الاموال والهدايا والالقاب على العلماء، كما اتصلوا بالعلماء الذين جاءوا من مدن الاندلس كقرطبة، واشبيلية وعقدوا الحلقات العلمية في المدارس والمساجد بالقاهرة وغيرها تحت اشراف القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، وبهاء الدين بن شداد قاضي العسكر وغيرهم من الفقهاء.

---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة، ج 8/ 2.

(2) الحجر: 47.

(3) ابن ابي ربيعة، عيون الانباء، 337: 3، وانظر، رشيد، د. كاظم، جهاد صلاح الدين الايوبي مقالة في مجلة المورد، ص 113.

(4) السيوطي، طبقات الحفاظ.

ملكية الأراضي الزراعية والضرائب الخراجية عليها بالاندلس

أ.د. محمد بشير حسن راضي العامري

لقد كان الاهتمام منذ وقت بعيد ولحد الآن بالدراسات التاريخية الاندلسية موجهاً للجوانب السياسية والعسكرية والثقافية، وذلك من خلال كثرة النصوص التاريخية عنها في المصادر الاندلسية، ومادون عن التاريخ الاقتصادي فهو قليل ونادر جداً بسبب قلة المصادر وعدم تكليف الباحثين انفسهم بالمتابعة والبحث عن ماموجود في المصادر المخطوطة وفي بطون المصادر الجغرافية والتاريخية والفقهية المطبوعة، لذا نرى من الضروري والواجب التحري والبحث عن الاقتصاد الاسلامي في الاندلس وعن ملكية الاراضي والضرائب المترتبة عليها لاعطاء صورة واضحة عن هذا الجانب الحيوي من حياة المسلمين وتاريخهم الاقتصادي ببلد الاندلس.

وضع الاسلام اسساً وقواعد اقتصادية في احكام الفيء والخراج، وهي تشريعات اقتصادية تم تطبيقها في الفتوحات الاسلامية منذ صدر الرسالة، وقد وردت آيات قرآنية كريمة على ذلك منها:

"بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ ﴾ "[1] ثم اعطى سبحانه وتعالى للمجاهدين المهاجرين نصيباً من الغنائم اذ ورد في كتابه العزيز "بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ "[2].

وبموجب ماورد في القرآن الكريم من تعليمات وتوجيهات تم وضع قوانين اقتصادية وتشريعات تم تنفيذها في الحملات الجهادية، وبعد اكمال الفتوحات الاسلامية بالتاريخ العربي الاسلامي، وكان للرسول الكريم ﷺ توجيهات مفيدة للمسلمين في احقاق الحق والمساواة والعدالة، ويجب تطبيق ماجاء من توجيهاته المباركة كما اكد لنا القرآن الكريم "بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ "[3].

ظهرت تشريعات ملكية الاراضي في عصر الرسالة، وقد نقلت لنا المصادر معلومات عن الاراضي المفتوحة نذكر منها ما اورده الداودي صاحب مخطوط "كتاب الفيء والاموال"[4] عن الفقهاء "قال ابن ادريس ان القرى القريبة التي فتحت على النبي ﷺ بغير قتال انها تخمس وتكون اربعة اخماسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا قول ما سبقه به احد علمنه ويخمس ما يؤخذ من اهل الذمة ومن اهل الحرب اذا سافروا الينا".

اهتم الخلفاء الراشدون "رضوان الله عليهم جميعاً" بالتنظيمات الاقتصادية فالخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وضع اسس وقواعد وارشادات في نظام ملكية الاراضي المفتوحة، فيذكر عنه اثناء قسمة ما افاء الله على المسلمين من الفتوحات بالعراق والشام وقد ناشدته الرعية من المسلمين "وقالوا اقسم الارضين بين الذين افتتحوها

---

(1) الحشر: 7.

(2) الحشر: 8.

(3) الحشر: 7.

(4) الداودي، جعفر بن احمد بن ناصر (ولد بطرابلس وتوفي في تلمسان عام 402هـ/ 1011م). "الفيء والاموال" مخطوط مكتبة دير الاسكوريال بمدريد، اسبانيا ويحمل الرقم 1165 (فتوى رقم 4).

كما تقسم غنيمة العسكر، فابي عمر ذلك عليهم، وتلا عليهم هذه الآيات، فقال: قد اشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه"[1].

اوضح لنا القاضي ابو يوسف الانصاري عن سبب امتناع الخليفة الفاروق (رضي الله عنه) بقوله: "والذي راى عمر (رضي الله عنه) من الامتناع من قسمة الارضين بين من افتتحها عندما عرفه الله في كتابه من بيان ذلك توقيفاً من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم[2].

اما عن اوضاع الاراضي في بلد الاندلس بعد ان تم فتح اسبانيا على يد القائد طارق بن زياد عام 92هـ/ 711م وعبور الوالي القائد موسى بن نصير البكري اللخمي ومعه عدد من المقاتلين قدرتهم المصادر بأكثر من 18 ألف مقاتل بالاضافة الى المقاتلين الذين كانوا مع القائد طارق وعددهم اكثر من 12 الف مقاتل اذ يصبح مجموع المقاتلين المسلمين اكثر من 30 الف مقاتل بتقدير المصادر الاندلسية.

تحدثت المصادر الاندلسية عن المدن التي فتحت صلحاً او بالقوة على يد القائدين طارق بن زياد والوالي موسى بن نصير، وهناك خلاف بين الاراء والروايات التاريخية التي ذكرتها المصادر، فيذكر عن ذلك الداودي بقوله "وأما ارض الاندلس فقد طعن فيها بعض الناس وزعم انها او اكثرها فتحت عنوة وانها لم تخمس ولم تقسم غير ان كل قوم وثبوا على طائفة منها بغير اقطاع من الامام ولم تترك لمن يأتي من المسلمين فأن كان الامر على هذا فأوجب على من بيده شيء من ذلك يتبرأ منه فيكون في مصالح المسلمين وله ان يؤدي كراءه الى المساكين ويستعملها اذا لم يكن ممن يجري ذلك على وجهه[3].

ويتحدث المؤلف المجهول كتاب "اخبار مجموعة في فتح الاندلس" ان القائد موسى بن نصير سار الى مدينة شذونة Sidonia فافتتحها عنوة[4] ثم سار الى مدينة قرمونه Carmona وكانت حصينة فتبع الحيلة والدهاء والتقرب منها، واستشار مرافقيه من الاسبان "فقدم اليها العلوج الذين معه، وهي مدينة ليس بالاندلس احصن منها ولا ابعد من ان ترجا بقتال او حصار، وقد قيل له حين دعا اليهليست تؤخذ الا باللطف، فقدم اليها علوجاً ممن قد امنه واستأمن اليه... ودخل المسلمون قرمونه"[5].

(1) ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، عن طبعة بولاق 1302هـ ط2 (الطبعة السلفية، القاهرة 1352هـ ص 24.

(2) ابي يوسف، ص 27.

(3) الداودي "كتاب الفيء والاموال" مخطوط فتوى رقم 6.

(4) المؤلف المجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: اميليو لافوتني القنطرة، مدريد 1867م (اعيد نشره دار اسامه، دمشق، د. ت) ص 15.

(5) المؤلف المجهول، اخبار مجموعة، ص 15.

اما مدينة قرقشونه Carcasone (في اقليم سيتهانيا) فذكر عبد الملك بن حبيب فتحت صلحا في نهاية عـام 92هـ وبداية عام 93هـ[1]، ويذكر ان الوالي موسى بن نصير ارسل ابنه عبد الأعلى لفتح البيرة وتدمير Tudmir لفتحها، ومـضى الى البيرة ففتحها[2] كما تم فتح مالقة، اما مدينة غرناطة فتم فتحها عنوة[3].

اما مدينة اشبيلية Sevilla ومدينة ماردة Merida ففتحها الوالي موسى بن نصير بعد حرب وحـصار دام اشـهراً، كما ذكر صاحب كتاب اخبار مجموعة بقوله "اشبيلية فاتاها موسى بن نصير حتى حصارها اشهراً ثـم اذن الله في فتحهـا وهرب العلوج الى مدينة باجة... ومضى الى مدينة ماردة كانت ايضاً دار بعض ملوك الانـدلس.. فثبـت علـيهم يقـاتلهم اشهراً حتى عمل دبابة فدب المسلمون تحتها الى برج من ابراجها.. وكان فتح لها في رمضان 94هـ[4]".

كما ارسل الوالي موسى بن نصير بعد فتح مدينة ماردة ابنـه عبـد العزيـز عـلى رأس جـيش الى اشـبيلية فافتحهـا ورجع ثم مضى موسى من ماردة في عقب شوال بريد طليطلة Toledo[5].

كما فتح عبد العزيز بن موسى بجيشه مدينة لبله Niebla[6].

انضمت فئات اسبانية بارضها واموالها من اولاد الملك غيطشة الاسباني الى الجيش الاسلامي بقيـادة طـارق بـن زياد بعد ان انتصر على جيش الملك الاسباني لذريق (ردريك Rodrigo) في معركـة شـذونه Sidonia (وادي البربـاط، او وادي لكه) عام 92هـ/ 711م، وذلك بعد ان اثبت قدرته وشجاعته واخلاصه وانسانية المسلمين وحـبهم للـسلام وانـه جاء محرراً ومنقذاً لاهل اسبانيا وارضهم، كما جاء بالخبر الذي ذكره ابن القوطية القرطبي بقوله: ويسئلونه الامان عـلى ان يخرجوا اليه بالصباح وان يمضي لهم ضياع ابيهم بالاندلس وكانت 3 الاف ضيعة سميت بعـد ذلـك صـفايا الملـوك فلـما اصبحوا انحازوا بمن معهم الى طارق[7].

ويذكر ان طارقاً سار الى استجة Ecija "وحاصرها شهراً حتى اخذ صاحبها، وصار في قبضته ثم صالحه وخلى سبيله ثم سار الى قرطبة... ان قرطبة Cordoba انما فتحت صلحاً[8] في حـين يـذكر صـاحـب اخبـار مجموعـة ان مغيـث

---

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت د. ت) ج2، ص 13.

(2) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي (القاهرة، ط2، 1393هـ/ 1973م) ج3، ص 29.

(3) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، نشر دار الافاق الجديدة، "بيروت، ط2، 1978م" ص 25، انظـر ابـن عذاري، ج2.

(4) المؤلف المجهول/ اخبار مجموعة/ ص 16، ابن عذاري/ البيان، ج2/ 14.

(5) المؤلف المجهول/ اخبار مجموعة/ ص 16.

(6) ابن عذاري، البيان، ج2، ص 15.

(7) ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق وترجمة للاسبانية للمستشرق الاسباني: خوليـان، ريـبرا، (مدريـد 1868م)، ص3.

(8) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، تحقيق وترجمة للاسبانية: خواكين غونثالث، (الجزائر 1889) ص 21.

الرومي افتتح قرطبة وكانت دار شريفة ذات سقي وزيتون وثمار وكان له فيها بلاط منيف شريف فهي تسمى بالاندلس بلاط مغيث[1].

ويلاحظ ان القائد طارق فتح عدداً كبيراً من المدن الاسبانية صلحاً وعدداً اخر من المدن التي عصت او تمردت على المسلمين منها بالقوة او بفرض الحصار العسكري والاقتصادي عليها كما جاء ذلك بالخبر التالي: "وتقدم طارق الى اشبيلية الى استجه ففتحها بعد حصار على نحو ما تقدم ثم فرق جيوشه منها وبعث جيشاً الى البيرة وجيشاً الى ريه (Rayya) اخر الى قرطبة، واخر الى تدمير، وسميت تدمير باسم العلج صاحبها ففتحت اكثر هذه البلاط لحاً، ونهض هو الى طليطلة ودخلت قرطبة قهراً إلا الكنيسة التي كانت بالربض وان الاعلاج تحصنوا فيها فصالحوا وخرجوا فيها على سلام[2].

ويبدو ان مدينة قرطبة فتحت اول الامر صلحاً ثم تمردت مستغلة انشغال المسلمين بالجهاد مما توجب على المسلمين على شن حملة عسكرية وفتحها بالقوة.

رافقت حملة الوالي موسى بن نصير عند عبوره الى الاندلس وتعدادها اكثر من 18 الف مجاهد منهم فئة من التابعين الذين شاركوا في الحملات الجهادية وساهموا في وضع التشريعات القانونية لملكية الاراضي والغنائم ومسائل اخرى يؤكد لنا ذلك النص التالي:

"وقفل سائر التابعين بقفول موسى بن نصير وهؤلاء المذكورون لا اختلاف في دخولهم مع موسى ومشاهداتهم معه، الغنائم والمقاسم في السبي والمتاع والارضين والرباع وخروج بعضهم معه والمختلف في دخوله"[3].

وعند عودة القائد طارق والوالي موسى الى بلاد الشام بأمر من الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك عاد معهم التابعين والفاتحين وحصلوا على امتيازات مالية من الخليفة الوليد كما ذكرت المصادر المصادر قائلة "ثم وردت طائفة اخرى من الذين فتحوا الاندلس مع موسى بن نصير وطارق بن زياد مولاه على الوليد بن عبد الملك فاقرهم على ما قسم بينهم ويسجل لهم به واقطع من دخل الاندلس بعدهم من الخمس اقطاعات كثيرة"[4].

وضع الوالي موسى بن نصير الترتيبات الاقتصادية في نظام ملكية الاراضي في الاندلس وذلك بناء على ماورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتوجيهات والارشادات التي تلقاها من التابعين والفقهاء فله الفضل في قوانين ملكية الاراضي بالاندلس، فيذكر ان مساهمات الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) في تثبيت ملكية الاراضي والاخماس بالاندلس، فيذكر الوزير الغساني نقلاً من المصادر الاندلسية التي حصل عليها بقوله "فشخصت منهم طائفة (من التابعين والفاتحين) الى عمر بن عبد العزيز واخبروه بما صنع موسى ابن نصير من قسم الارض بعد اخراج الخمس واقرار الوليد لهم على ذلك واستظهر بسجلاته التي يسجلها لهم فاقرهم امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على ما اقرهم عليه الوليد بن عبد الملك وعلى ما قسمه بينهم موسى بن نصير وامضى لهم ذلك من امره وسجل لهم بمثله وكتب لهم الى السمح بن مالك بالوقوف عند عهده وانصاره وامر لهم به وانصرفوا الى فن تحلقوه مسرورين ومبشرين بما لقوه من فضله وعدله وكتب الى السمع ان يقطع الجند الذين دخلوا معه من الاخماس.

---

(1) المؤلف المجهول، اخبار مجموعة، ص 21.

(2) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص9؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 11 "فافتتحت مدينة تدمير صلحا".

(3) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 9.

(4) الغساني، الوزير محمد بن عبد الوهاب، رحلة الوزير في افتكاك الاسير، تحقيق: الفريد البستاني، (طنجة 1940)، ص 202.

قال غيره من العلماء لم تزل اموال الاخماس بالاندلس معلوقة ومعمورة لبيت مال المسلمين مدة الامراء فيها... والله وارث الارض ومن عليه وهو خير الوارثين[1]:

وتذكر الروايات بان الوالي موسى بن نصير اول من اهتم بنظام ملكية الاراضي وثبت اخماس قرطبة، وقد نقل لنا الرازي عن الفقيه والمؤرخ الاندلسي عبد الملك بن حبيب عن ذلك بقوله "قال غيره وقد جاء في الاثر ان موسى بن نصير خمس قرطبة وخرج من خمسة البطحاء التي بقبليها التي هي اليوم مقبرة للمسلمين"[2].

وفي عهد الولاية الاندلسية (98- 138هـ) اهتم ولاة الاندلس بمتابعة ملكية الاراضي وتنفيذ تعليمات الخلافة الاموية في دمشق، فلاحظنا كيف ان الخليفة الوليد ابن عبد الملك اصدر اوامره وتعليماته الى لوالي موسى بن نصير بأن اقر لهم الاقطاعات التي حصلوا عليها اثناء الفتوحات للمدن "الاسبانية".

اهتم الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بوضع الترتيبات اللازمة لنظام ملكية الارض والتقسيمات التابعة لها فاختار الوالي السمح بن مالك الخولاني لولاية الاندلس واصدار اوامره وطلب منه القيام بالاجراءات لامانته ولعدالته وخبرته كما روى لنا ذلك المؤرخ الاندلسي الرازي نقلاً عن الفقيه الاندلسي عبد الملك بن حبيب بقوله "وكان السمح بن مالك هذا من خيار اهل زمانه ثقة وعدالة وروى احمد الرازي فيتاريخه وهي رواية اخرى في صحة تخميس الاندلس، قال عبد الملك بن حبيب يرفعه الى بعض التابعين الداخلين بالاندلس، قال كان الخلفاء من بني امية اذ وردت عليهم جبايات الامصار والافاق يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو ما فيها دينار ولا درهم الا اخذ بحقه وانه فضل اعطيات اهل البلد من المقاتلة والذرية بعد ان اخذ كل ذي حق حقه فاتى وفد افريقية بخراجها وذلك انها لم تكون يومئذ ثغرا وكان مافضل بعد اعطيات الاجناد وفرائض الناس ينقل الى الخليفة، فلما وفدوا بخراج افريقية في زمان سليمان امروا با يحلفوا فحلفوا الثمانية ونكل اسماعيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم ونكل بنكوله السمح ابن مالك الخولاني، فأعجب ذلك عمر بن عبد العزيز من فعلهما ثم ضمهما الى نفسه فاختبر منهما صلاحاً وفضلاً، فلما ولي عمر ولى اسماعيل افريقية وولى السمح بن مالك الاندلس وامره ان يخمس ارضها ويخرج منها ما كان عنوة خمساً لله من ارضها وعقارها ويقر القرى في يدي غنامها بعد ان يأخذ الخمس وانْ يكتب اليه بصفة الاندلس وانهارها"[3].

حرص الوالي السمح ين مالك الخولاني على متابعة شؤون بلد الاندلس العامة ومنها الجانب الاقتصادي، وقد اخبر الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) بذلك كما قال لنا ذلك المؤرخ ابن القوطية القرطبي بنصه "فكتب اليه السمح ين مالك يعرفه بقوة الاسلام وكثرة مداينهم وشرف معاقلهم، فوجه حينئذ جابرا مولاه ليخمس الاندلس فنزل بقرطبة"[4].

(1) الغساني، رحلة الوزير، ص 202.

(2) المصدر السابق، ص 202.

(3) المؤلف المجهول، اخبار مجموعة، ص 22 واورد النص المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 24، كما اورد النص ايضاً الوزير الغساني، رحلة الوزير، ص 205 نقلاً عن رواية احمد الرازي من الفقيه عبد الملك بن حبيب الالبيري الاندلسي، وانظر ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص 26.

(4) ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الاندلس، ص 12.

ومما يجب الاشارة اليه ان الوالي موسى بن نصير حصل على الخراج من اخماس منطقة قرطبة البطحاء المعروفة بالربض وتقع بقبلتها "حيث امر الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) الوالي السمح بن مالك ان يصيرها مقبرة للمسلمين فاتخذها مقبرة"[1].

ساهم الوالي السمح بن مالك الخولاني في التعريف والتفريق بين اراضي الصلح او الشمل واراضي العنوة بالاندلس "فانما هو مال الخمس وهو ارض العنوة وما صولحوا عليه فهو حال الشمل من ارض شجر لاساير اموال الناس، وقال بعض علماء السلف بأمر الاندلس ان اكثرها انها فتح صلحاً الا الاقل من مواضع معروفة وانه لما هزم لذريق لم يقف المسلمون بعد ذلك ببلد الا اذعنوا الى الصلح ولذلك بقي الروم فيها على ارضهم واموالهم يبيعون ويباع منهم"[2].

اهتم ولاة الاندلس بالفتوحات في الشمال الاسباني وضم عدد كبير من الاراضي بالعنوة الى ارض الاندلس ومن هؤلاء الولاة عقبة بن الحجاج السلولي (110هـ- 121هـ) فاختار عقبة الاندلس وقال: اني احب الجهاد وهي موضع جهاد فولاه فدخل الاندلس سنة 110هـ فاقام عليها سنين وافتتح الارض حتى بلغ اربونة Narbone وافتتح جليقية Galicia والبه Alava وبنبلونه Pamplona، لم تبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فانه لاذ بها ملك يقال له بلاي فدخلها في 300 راجل[3].

وفي ولاية بلج بن بشر بن عياض القشيري (123هـ) ومعه جيش كثيف من العرب الشاميين حاول عبورهم الى الجزيرة الاندلسية. لكن البلديين رفضوا ومنعوا عبورهم وادخالهم الى الاراضي الاندلسية ومشاركتهم بالسكن، ولكن الوالي عبد الملك بن قطن رفض السماح للشاميين من دخول الاندلس "فكاتب بلج واصحابه عبد الملك بن قطن وسألوه ادخالهم وادخال من معهم من الجند وذكروا له ما صاروا اليه من الجهد وانهم قد اكلوا دوابهم، فابى عبد الملك من ادخالهم ولم يأمنهم وما طلبهم بيعثه الميرة والسفن"[4].

ثم سمح لهم الوالي عبد الملك بن قطن بعد ذلك لظروف طارئة وقعت بالاندلس حيث اراد الاستفادة منهم في مواجهة التمردات الداخلية وضمن شروط وضمانات اخذها الوالي ابن قطن منهم "واشترط عليهم ان يعطوه من كل جند من قوادهم عشرة رهن يضعهم في الجزيرة في البحر، فاذا فرغوا له في الحرب جهزهم وحملهم الى افريقية فرضوا بذلك واعطوه عهداً"[5] وبعد اكمال المهمات الحربية بعد سنة رفضوا العودة ثانية الى العدوة المغربية "فلما

---

(1) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 24- 25؛ انظر ابن عذاري ، البيان، ج2، ص 26.

(2) الغساني، رحلة الوزير، ص 200 وانظر: المؤلف المجهول ، اخبار مجموعة، ص 23 واورد النص باختصار المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 24.

(3) المؤلف المجهول، اخبار مجموعة، ص 37؛ المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 29.

(4) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 30- 31.

(5) المؤلف المجهول، اخبار مجموعة، ص 38- 39، وانظر المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس ص 31- 32.

فرغوا كروا قافلين الى قرطبة فقال لهم عبد الملك اخرجوا"[1] وبذلك استقر هؤلاء الشاميون ببلد الاندلس مع اخوانهم البلديون، ونظر الوالي ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي ويأمر من الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك "على تفريق العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الامارة بقرطبة اذ كانت لا تحملهم وانزلهم في كور شامهم وذلك على اختيار منهم"[2].

وبذلك تم توزيع الشاميين على مدن وكور الاندلس بالاضافة الى ماحصلوا عليه من الاموال والامتيازات اذ تم اشغالهم للاراضي الخصبة في الزراعة حيث "انزل كل قوم على قدر منازلهم في المشرق وانزل في كورتي اكشونبة وباجة جند مصر مع البلديين الاول، وانزل باقيهم في كورة تدمير، وانزل في كورتي رية جند الاردن وفي كورة البيرة جند دمشق وانزل في كورة جيان جند قنسرين وجعل لهم ثلث اموال اهل الذمة من العجم طعمة، وبقى العرب البلديون من الجند الاول على ما بيدهم من اموالهم لم يتعرض لهم في شيء منها فلما راوا بلاداً تشبه بلادهم وتوسعة سكنوا واغتبطوا وتمولوا، وهاتان الطائفتان طالعة موسى بن نصير مطالعة بلج بن بشر هما اللتان تعرفان في الاندلس بالجندين"[3].

وينقل لنا المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي رواية ابن حيان القرطبي في توزيع الشاميون على كور الاندلس وذلك بتوجيه من ارطباس قومس الاندلس بقوله "قال ابو مروان: اشار على ابي الخطار ارطباس قومس الاندلس- وزعيم عجم الذمة ومستخرج خراجهم لامراء المسلمين- وكان هذا القومس شهير العلم والدهاء- لاول الامر، بتفريق القبائل الشامين العلمين عن البلد، عن دار الامارة بقرطبة، اذا كانت لاتحملهم، وانزالهم بالكور على شبه منازلهم التي كانت في كورشامهم، ففعل ذلك على اختيار منهم[4].

ومن الامتيازات المالية التي حصل عليها الشاميون والبلديون "وكانوا احراراً من العشر، معدين للغزو ولايلزمهم الا المقاطعة على اموال الروم التي كانت بايديهم وكان العرب من البلديين، يؤدون العشر، مع سائر اهل البلد"[5].

احوال ملكية الاراضي في عهد الامارة والخلافة بالاندلس:

شهد عهد الامارة والخلافة بالاندلس اهتماماً متزايداً بملكية الاراضي ومتابعة الضرائب والمحصلين وذلك بسبب الاستقرار وبرمجة الحملات الجهادية والتي تعرف بالصوائف والشواتي على اراضي الممالك الاسبانية الشمالية.

ومن خلال ما اوردته المصادر الاندلسية من معلومات مقتضبة فيما يخص ملكية الاراضي والضرائب خلال فترتي الامارة والخلافة نحاول الاستفادة منها في تسليط الضوء على الاوضاع الاقتصادية. ومما لاشك فيه ان غالبية

---

(1) المؤلف المجهول، تخبار مجموعة، ص 40، انظر المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 32- 33 "فلما الح عليهم عبد الملك في الخروج اجتمعوا ونهضوا اليه واخرجوه من قصر قرطبة الى داره بالمدينة ودخل بلج بن بشر القصر عشية يوم الاربعاء من سنة 123هـ.

(2) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 35، وانظر: ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الاندلس/ ص 20.

(3) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 36- 37 وانظر: ابن القوطية القرطبي، تاريخ افتتاح الاندلس، ص 20، ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج1، ص 102.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج1، ص 103.

(5) ابين الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج1، ص 104 (برواية احمد بن موسى الرازي).

الامراء والخلفاء كان لهم اهتمام بنظام ملكية الاراضي والضرائب المرتبطة معها وذلك لان الزراعة كانت عصب الحياة الاقتصادي في الاندلس وذلك لخصوبة الارض وجودة الموقع الجغرافي وطيب المناخ وتنوعه ووفرة المياه من الامطار والانهار بالاضافة للخبرة الزراعية، ولكن للاسف لم تعرض لنا المصادر الاندلسية الشيء المطلوب عن النشاط الاقتصادي الا النزر القليل وسنعرض ابرز النصوص التي تخص بحثنا، اما ابرز النصوص التي وردت عن الاراضي في المصادر الاندلسية نذكر منها: اهتمام عبد الرحمن الداخل بادخال النخلة واصناف الفواكه والخضر من المشرق. ذكر ابن عذاري في بيانه حرص الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل على متابعة العمال في الكور الاندلسية وعدلهم وحرصهم بقوله "وكان هشام يبعث الى الكور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العمال ثم ينصرفون اليه بما عندهم، فيقع نظره بهدم ماتكشفه المحنة له منهم"(1).

واجهت الاندلس في عهد الامارة عدد من الازمات الاقتصادية التي اثرت على استحكام ملكية الاراضي والمنتوجات الزراعية والضرائب المفروضة على الاراضي بالاضافة الى اثار سلبية على الحياة العامة مثل: العوارض الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والمجاعات وانتشار الافات الزراعية بالاضافة الى الفتن والحروب والهجمات العسكرية من الممالك الاسبانية الشمالية على الثغور الاندلسية والتي كان لها اثار وخيمة على الاقتصاد الاندلسي، وقد عرضت لنا المصادر الاندلسية نماذج من تلك الازمات التي حلت بالاندلس خلال سنوات حكم الامارة الاموية وموقف الامراء واجراءاتهم لها تفادياً لمخاطرها ومن ابرزها:

عام 147هـ/ 764م كان قحط عظيم في جميع بلد الاندلس(2).

عام 189هـ/ 804م كانت المجاعة والوباء بافريقية والمغرب والاندلس ذهب منها ثلثا الناس(3).

عام 197هـ/ 812م في ايام الامير الحكم الربضي كانت بالاندلس مجاعة شديدة تصدق فيها الامير باموال جليلية(4).

وفي عهد الامير عبد الرحمن الثاني (206- 239هـ/ 822- 852م) "قويت الجبايات وزاد مال الخراج"(5).

حدثت مجاعات عظيمة وخطيرة بالاندلس كان لها اثار وخيمة على الاقتصاد الاندلسي في الاعوام التالية: 207هـ/ 822م، 253هـ/ 867م، 260هـ/ 873م، 274هـ/ 887م، 285هـ/ 898م(6).

ويذكر ان الامير محمد (238- 273هـ/ 852- 886م) خرج بحملة الى الثغر الاوسط بالاندلس وقاعدته مدينة سالم وطليطلة "وحل في وجهته بطليطلة واخذ رهائنهم، وعقد امانهم، وقاطعهم على قطيع من العشور يؤدونه في كل عام"(1).

---

(1) ابن عذاري، البيان، ج2، ص 66.

(2) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 115.

(3) المؤلف المجهول، تاريخ فتح الاندلس، ص 131.

(4) ا المصدر السابق، ص 131 كما ورد الخبر ابن عذاري، البيان، ج12، 73 "وكانت المجاعة التي عمت الاندلس، ومات اكثر الخلق جهداً".

(5) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الاندلس، تحقيق وترجمة للاسبانية: لويس مولينا، (مدريد 1983)، ص 141.

(6) ابن عذاري، البيان، ج2، ص 73، 81، 100، 102، 119، 139.

واشار المؤرخ ابن حيان القرطبي في مقتبسه الى الكوارث والازمات الاقتصادية التي كان لها اثار على الاراضي والضرائب المترتبة على المحاصيل الزراعية نذكر منها: سنة (232هـ/ 846م) "وفيها كان القحط الذي عم الاندلس، فهلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة"[2].

ومن حوادث الفيضانات الخطيرة التي تعرض الاندلس فيها خلال عام 235هـ/ 849م "فيها سيلان عظيمان بنهر قرطبة في شهر رجب القمري الموافق لشهر ينير الشمس رأس سنة العجم بالاندلس عدا في امهات السيول وحمل وادي شنيل ايضاً، وطغى خيثين من قنطرة مدينة استجة، وابطل عدداً من ارحائها، وطمى السيل ايضاً بكورة اشبيلية التي بهار قراره، فذهب مدة في مجتمعة هناك في 16 قرية مابين البحر وحاضرة اشبيلية فيها من ناس وبهائم وامتعة، فكان ذلك حدثاً عظيماً يتحدث الناس عنه زماناً"[3].

اصابت الاندلس مجاعات بسبب انتشار الجحراداد في الحقول واتلافه للمحاصيل الزراعية منها ماحدث في عهد الامير عبد الرحمن الثاني (الاوسط عام 207هـ/ 823م) وق "نالت اهل الاندلس مجاعة شديدة، وكان سببها انتشار الجراد بالارض ولحسه الغلات وتردده بالجهات، فنالت الناس مجاعة عظيمة، كفى حدها الامير باطعام الضعفاء والمساكين من اهل قرطبة"[4].

وفي سنة 288هـ/ 900م كان الوباء والموت والمرض بالاندلس فهلك عدد كبير من الناس[5].

كما شهد الاندلس مجاعة خطيرة على الاقتصاد الاندلسي في عام 297هـ/ 909م كما وصفها ابن حيان القرطبي بقوله "وفيها كانت المجاعة الشديدة التي عمت الاندلس ومات بعاديتها اكثر الخلق وعبر كثير منهم البحر الى ارض العدوة وهذه السنة تعرف بسنة جوع جيان"[6].

ويذكر ان الامير المنذر (273- 275هـ/ 886- 888م) كان له اهتمام بمتابعة الاراضي وتخفيف الضرائب واسقاط العشر على الاراضي الزراعية اذ انه "اخرج الاموال وفرق العطايا في الناس وسرح السجون وتحبب الى الناس بأن اسقط عنهم عشر ذلك العام ومايلزمهم فيه من خراج ومعونة نظراً للرعية وتوطيد الملك"[7].

تعرض الاندلس الى مجاعة مهلكة ادت الى ارتفاع الاسعار للمحاصيل الزراعية بشكل حاد، كما صورها لنا ابن حيان القرطبي، في احداث عام 303هـ/ 915م بقوله "فيها كانت المجاعة بالاندلس التي شبهت بمجاعة سنة ستين، فاشتد الغلاء وبلغت الحاجة والفاقة بالناس مبلغاً لم يكن لهم عهد بمثلها، وبلغ قفير القمح بكيل السوق قرطبة ثلاثة دنانير درهم دخل اربعين".

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص101.

(2) ابن حيان القرطبي، المقتبس من انباء اهل الاندلس، تحقيق د. محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، (بيروت 1973م)، ص.

(3) المصدر السابق، ص5.

(4) ابن حيان القرطبي، المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، ص93 نقلاً عن رواية هشام الشبنسي.

(5) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص156.

(6) المصدر السابق، ص146.

(7) المصدر السابق، ص150.

استمرت الازمة والضائقة الاقتصادية بالاندلس "اشتد القط بغلاء السعر وعظم البلاء وكثر الجلاء وعم الوباء، وانتهى قفير القمح 12 دينار درهم فضة ومات الناس جوعاً.. وعم الجوع الاندلس كلها ودام نحو سنة فاهلك خلقاً من اهله"[1].

علماً بان الدرهم وزنه 36 حبه وهو المستعمل في بلاد الاندلس، تعدل منه 140 حبه مائة درهم من درهم الكيل الذي هو درهم الشريعة، والدينار = 40 درهماً وفي عام 307هـ/ 919م اصاب الاندلس والمغرب وافريقية وباء وطاعون "حتى عجز الناس عن دفن موتاهم"[2].

وشهد عام 317هـ/ 929م "كان ظهور المحل، واحتباس الغيث، وغلاء الاسعار، فعهد الناصر بالاستسقاء بجامع قرطبة"[3] كما حدثت فيضانات في الاعوام 331ه/ 942م 334هـ/ 945م و 335ه/ 946م[4].

وفي خلافة الحكم المستنصر بالله (350- 366هـ/ 961- 976م) وحدثت في عام 353هـ/ 964م "كانت بقرطبة مجاعة عظيمة، فتكفل الحكم بضعفائها ومسكينها بما يقيم ارماقهم، واجرى نفقاته عليهم بكل ربض من ارباض قرطبة والزهراء[5].

ومن محاسن الخليفة هشام الثاني (366- 399هـ/ 976- 1008م) العمل على التخفيف المالي عن كاهل الرعية وذلك في 366هـ بان "اسقط ضريبة الزيتون المأخوذة في الزيت بقرطبة وكانت على الناس مستكرهة، فسروا بذلك اعظم سرور وفي عام 381هـ/ 991م انتشر الجراد بعموم الاندلس واتلف المحاصيل الزراعية واثر على المزارعين[6].

وفي عام 382هـ/ 992م تعرضت قرطبة واشبيلية والمدن الاندلسية الاخرى الواقعة على نهر الوادي الكبير الى فيضان خطير اتلف مساحات زراعية واسعة حيث "اتى سيل عظيم طلع على جوانب وادي قرطبة اكثر من ميل من كل ناحية ودام 3 أيام في الزيادة"[7].

يلاحظ ان خلفاء بني امية بالاندلس اتبعوا نظاماً خاصاً للابناء الذكور في تخصيص امتيازات اقتصادية منها اقطاعات زراعية ضماناً لاولادهم واسعارهم، كما اوضح لنا ذلك ابن حيان القرطبي بقوله "وسلك الخليفة الناصر لدين الله بذكور الاولاد لاول توالي مواليدهم له مسلك الامير محمد ابي جده في ذكور اولاده من تعجيله النظر لكل منهم اول ترعرعه بقصر يسكنه وضياع تغل له وعقار بداخل البلد يجري عليه خرجه، الى رزق هلالي ومعروف سنى يجريهما عليه تتأكد بها ملوكيته وتتأثل نعمته.. واوسع لهم من الضياع المغلة والعقار الخراجية.."[8].

---

(1) ابن حيان القرطبي ،المقتبس ، تحقيق شهاليتا، ص124.

(2) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص161.

(3) ابن عذاري، البيان، ج2، ص199.

(4) المصدر السابق، ج2، ص210، 213، 214.

(5) المصدر السابق، ج2، ص236.

(6) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص182.

(7) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص184.

(8) ابن حيان القرطبي، المقتبس (الجزء الخامس) تحقيق: شهاليتا، ص14.

ازدهرت الحياة الاقتصادية في عصر الخلافة منها في الجانب الزراعي بفضل اهتمام الخلفاء وتشجيعهم للفلاحين وحرصهم على تطوير المنتوجات الزراعية وتوفير الامن والتخفيف عن كاهل المزارعين بتخفيض او الغاء بعض الضرائب في مناسبات معينة مثل اعتلاء منصب او انتصار او زواج او انجاب ابناء او ختان وغيرها من المناسبات ووصلت جباية الخراج الى اعلى مستويات من الدخل ايام الخلافة كما صورتها لنا المصادر باحصائيات تقديرية اوردتها نذكر منها النص التالي "انتهت جباية واحوازها في ايام الخلفاء وايام المنصور بن ابي عامر ثلاثة الاف الف دينار بالحق والعدل وذلك ثلاثة بيوت مال في السنة، كان ذلك في ايام الناصر لدين الله تعالى وايام ولده الحكم وايام هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن ابي عامر "[1].

ونظراً لكثرة اموال الجباية التي حصل عليها الخليفة عبد الرحمن الناصر اضطر الى وضع نظام مالي للصرف والانفاق على بلد الاندلس، حسب ماورد عنه "وكان الناصر يقسم جباياته اثلاثاً فثلث للجند وثلث مدخر في بيت المال، وثلث ينفقه في بناء الزهراء، وكانت جبايات الاندلس يومئذ 5,48,000 دينار ومن المستخلص 765,000 دينار"[2].

كما نقل الرحالة التاجر ابن حوقل النصيبي الموصلي اثناء زيارته لبلد الاندلس في عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث(الناصر) مقدار جبايات الاندلس نقلاًعن خبراء ماليين ومحصلين للجباية الاندلسية، اذ اعرب الرحالة عن دهشته واعجابه لتفوق مقدار تلك الجبايات الاندلسية على موارد الولايات الغنية بالمشرق الاسلامي بقوله: "ان سكة دار ضربه على الدنانير والدراهم ضمانها في كل سنة مائتا الف دينار، ويكون عن صرف سبعة عشر بدينار 3,400,000 درهم، هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته واعشاره وضماناته ومراصده وجواليه".[3]

اما عن مقدار الجباية فقد احصاها ابن حوقل عام 340هـ/ 951م عن طريق عدد من الجباة الاندلسيين بقوله " وسمعت غير محصل ثقة ممن يستبطن جبايات البلد وحاصل عبد الرحمن بن محمد ان لديه مما اتجه له جمعه من الاموال الى سنة 340هـ مالم ينقص عن 20,000,000 دينار الا اليسير، ... فكان الحاصل منهم 20,000,000 دينار، يتواطأ في علم ذلك اهل الخبرة بهم ويتساوون في معرفة وجوهه، ولم يكن لهذا المالقي وقته في بلد الاسلام، ...، فانه كان مايتعامله خاصتهم بالجزيرة والعراق، ومقدارهيزيد على ذلك حتى قيل انه كان 50,000,000 دينار "[4].

اتخذ الحاجب محمد بن ابي عامر الملقب بالمنصور العامري اثناء حجابته الاندلس اكثر من 27 سنة اجراءات جديدة في ملكية الاراضي وفرض الضرائب تتماشى وسياسته مع المقاتلين والمزارعين عوضاً عن مشاركتهم بالحملات الجهادية حيث فرض عليهم الضرائب، كما اكد لنا ذلك الامير عبد الله بن بلقين في مذكراته بقوله: "فرتب ابن ابي عامر الرتب، واظهر هيبة الخلافة، وقمع الشرك، وحصن المسلمين عامة على الغزو، فعجز عن ذلك رعية الاندلس، وشكوا اليه ضعفهم عن الملاقاة وشغلهم بالغزوات عن عمارة ارضهم، ولم يكن القوم اهل حرب، فقاطعهم على ان يشتغلوا بعمارة ارضهم، ويعطوا من اموالهم كل عام مايقيم به من الاجناد من يكفيهم ذلك على اتفاق ورضى منهم فضرب عليهم الاقطاع، وحصل في الدواوين جميع اموال الناس، وكسرها عليهم وفرض بينهم مالا يرتزق منهن الجيش،

(1) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص24.

(2) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص163.

(3) ابن حوقل النصيبي الموصلي البغدادي، كتاب صورة الارض، نشر دار مكتبة الحياة (بيروت 1979)، ص104

(4) المصدر السابق، ص107

فبقيت ذلك الاقطاع عليهم الى ان عمت الاندلس عدة الثوار واتبعوهم على تلك الاثار ودأبه من ذلك انما كان على ما وصفناه. وكان الناس مؤتمنين على ما يعطونه من زكاة اموالهم في الفاض والطعام والمواشي يتسمون ذلك على المساكين بكل بلدة، ولم يكن الوالي يقرب من ذلك الا ما يقيم به الجيش والدولة التي هي قيام العالم، ولولا حماية السلاطين وعز دولتهم وذبهم عنهم ماطاب لهم عيش ولاعز بهم قرار "[1].

النص اعلاه له قيمة تاريخية اذ يوضح حرص الحاجب المنصور العامري والتفاته الى اختيار المقاتلين الجديرين للمعركة واستغناءه عن الكثرة واهتمامه بالنوعية لا بالكمية والعدد الهائل بالاضافة الى اهتمامه بالزراعة لدعم المجهود الحربي لحملات الجهاد التي خاضها على الممالك الاسبانية الشمالية اذ بلغت 57 حملة لم ينكسر فيها قط.

تطور النظام الاقتصادي الذي ادخله الحاجب المنصور العامري في عهد ولده الحاجب عبد الملك المظفر الذي استفاد من تجربة والده في تشجيع المقاتلين السكن في الحصون في الثغور الاندلسية واستثمارها بالزراعة منها حصن مقصر واصدر بياناً وتعليمات بذلك بعد ان استولى على حصن مقصر واستمللكه بقوله "وعهد الحاجب وقت الفتح الى المسلمين الا يحرقوا منزلاً ولا يهدموا بناء لما ذهب اليه من اسكان المسلمين فيه فشرع للوقت في اصلاحه ونادى في المسلمين من اراد الاثبات في الديوان بدينارين في الشهر على ان يستوطن في هذا الحصن فعل وله مع ذلك المنزل والمحرث فرغب في ذلك خلق عظيم واستقروا به في حينهم "[2].

احوال ملكية الاراضي في عهد دويلات الطوائف بالاندلس:

تعرض بلد الاندلس اثناء ضعف وانهيار الخلافة الاندلسية الى فتنة عارمة ادت الى انقسام الاندلس الى دويلات الطوائف اذ لم تستطع الحكومة الاندلسية من حماية مواردها ولا ممتلكاتها العامة والخاصة، وذلك بسبب اندلاع النزاعات السياسية والعسكرية من جهة، وما تعرضت له من حروب وفتن استمرت قرابة ربع قرن من الزمان ادت الى الى تخرب اركان من الاقتصاد الاندلسي، واستهلكت اموال وموارد بسبب تسلط كل زعيم متنفذ ليحكم مقاطعة معينة من ارض الاندلس ويفرض عليها نظام اقتصادي وضرائب معينة لتسديد نفقاته الخاصة لا العامة، وبذلك انهارت موارد الاندلس الاقتصادية من الاراضي والضرائب بيد السراق والمشاغبين[3].

وصف لنا ابن عذاري في بيانه الوضع الاقتصادي العام للاندلس بقوله "يقال ان عدة ممن اتبع المهدي من سفلة قرطبة... اعمهم بالعطاء فمضت بالناس ايام لم يوجد فيها حجام ولا كناف ولاذو مهنة ذلية وانتهبت العامة المستجاشة على حرب الزاهرة ما كان فيها من الاموال والاسلحة والخزائن والامتعة والالات السلطانية "[4].

وقد احصى لنا المؤرخ الرقيق القيرواني الاموال التي نهبت من مدينة الزاهدة مقر حكم الحاجب المنصور العامري بقوله "فرفع النهب عن الزاهرة وملكها عبد الجبار بن عم القائم محمد فرفع الايدي عن النهب لما بقي بداخلها وتمكن من بيوت الاموال فأخذ في نقلها الى قصر الخلافة على سبيل من النهب الى ان استصفى كلما وجد بها فيقال ان

---

(1) الامير عبد الله بن بلقين (اخر ملوك بني زيري بغرناطه 469- 483هـ كتاب التبيان) (نشر بعنوان مذكرات الامير عبد الله)، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف القاهرة 1955م) ص 17.

(2) ابن عذاري، البيان، ج3، ص 7.

(3) خلاف، د. محمد عبد الوهاب، قرطبة في ق 5هـ/ 11م الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر 1984، ص 84.

(4) ابن عذاري، البيان، ج3، ص 61 نقلاً عن الرقيق القيرواني.

الذي وصل الى القائم محمد بن مال الزاهرة في ثلاثة ايام 5,500,000 دينار ومن الذهب 1,500,000 دينار، ثم وجد فيها بعد ذلك خوابي مملوءة من الورق مدفونة في الارض فيها مقدار 100,000 دينار "(1)

تطرق الامير عبد الله بن بلقين في مذكراته عن الاوضاع الاقتصادية التي اصبح عليها بلد الاندلس في عهد دويلات الطوائف والامتناع عن تسديد الضرائب الزراعية بقوله "ورأى سلاطين الاندلس عند ذلك من تحامق رعاياهم واقتناعهم من مغارم الاقطاع التي كانت عليهم، مع احتياجهم الى الانفاق، ماقلق به وساء الظن من اجله"(2).

وفي عام 401هـ/ 1010م حدث فيضان خطير بنهر الوادي الكبير الذي اضر بالاقتصاد ومنه الجانب الزراعي كما ذكر لنا المؤرخ الرقيق القيرواني بقوله "كان بنهر قرطبة سيل عظيم هدم في ارباض قرطبة نحو الفي دار وما لايحصى من المساجد والقناطير، ومات فيه نحو كمن خمسة الاف نفس ردما وغرقا وذهبت فيه امتعة الناس واموالهم وهدم اكثر السور وردم كثيرا من الخندق واقام هذا السيل ثلاثة ايام"(3).

على الرغم مما اصاب من الكوارث الطبيعية والازمات الاقتصادية والفتن الداخلية لكن اقتصادها استعاد نشاطه بشكل سريع وقد اشاد بذلك المؤرخ ارشيبالد لويس بقوله "ان الاندلس لم تتأثر كثيراً بسبب الاضطرابات التي صاحبت سقوط خلافة قرطبة، اذ ظل ملوك الطوائف على جانب كبير من الغنى والتمدن"(4)

نجح بعض حكام الطوائف في استغلال امكانيات مقاطعاتهم استغلالا اقتصاديا بشتى الطرق ووسائل التعسف والتشدد في جمع الضرائب منها بطريقة تعود على هؤلاء الحكام بالنفع والثراء والغنى(5).

ويلاحظ الرخاء الاقتصادي في مدينة قرطبة ايام حكم بني جهور، كما وصفه ابن حيان القرطبي بقوله "فرخت الاسعار وصاح الرخاء بالناس ان يعلموا فلبوه من كل صقع فظهر تزيد الناس بقرطبة من اول تدبيره لها وغلت الدور وتحركت الاسواق وتعجب ذو التحصيل للذي أراءُ الله في صلاح الناس من القوة لما تعتدل حال او يهلك عدو"(6).

ويلاحظ المؤرخ الاسباني انطونيو بريتوبيس في كتابه ملوك الطوائف وبعد عام 430هـ/ 1038م بأن كمية الفضة المتداولة في الاندلس قد انخفضت اثناء فترة دويلات الطوائف ونقص هذا المعدن ادى الى تخفيض العملة الاندلسية(7).

وصف ابن حيان القرطبي السياسة المالية للوزير ابن السقاء في عهد الوليد بن جهور فذكر انه "بسط يده الى مال الخراج واحتوى عليه يأخذه كيف يشاء وينفقه فيما يريد(1)".

---

(1) المصدر السابق، ج3، ص61 برواية الرقيق القيرواني.

(2) الامير عبد الله، التبيان، ص109 ويرى الفقيه ابن حزم القرطبي ان جمهور المجتمع قد فسد بتداول النقود التي اصبحت من المحرمات من جراء عدم شرعية الخراج، انظر Miguel ASIN PALACIOS (un codice inexplorado del cordobes ibn Hazem, Revista al- ANDALUS, VOL. 2(Madrid- Granada 1934) p- 40

(3) ابن عذاري، البيان، ج3، ص105

(4) ارشيبالدلويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة احمد محمد عيسى (القاهرة 1960) ص332.

(5) خلاف، قرطبة الاسلامية، ص242

(6) عند ابن عذاري، البيان، ج3، ص187.

(7)Antonio prieto vives, los Reyes de Taifas, p. 104

حرص حاكم قرطبة ابو الوليد بن جهور على توزيع المناصب بين اولاده حين اسند الجانب المالي الى ولده عبد الرحمن كما اورد ذلك ابن حيان القرطبي بقوله "ثم خاف عليهما فجعل الى اكبرهما (عبد الرحمن) النظر في امر الجباية والاشراف على اهل الخدمة والتوقيع على الصكوك السلطانية المتضمنة"[2]

اما ولده عبد الملك بن جهور فقد استباح اموال المسلمين وكانت سياسته الاقتصادية في قرطبة تمتاز بالسلب والنهب لاموال القرطبيين[3]

اوضح الطرطوشي في كتابه "سراج الملوك" نظام الاراضي والضرائب المفروضة عليها وذلك في نهاية عصر الخلافة الاندلسية وعهد الطوائف والاوضاع العامة نقلا عن شهود عيان اندلسيين بقوله "وسمعت بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون: مازال اهل الاسلام ظاهرين على عدوهم، وامر العدو في ضعف وانتفاض، لما كانت الارض مقطعة في ايدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته، وكانت الارض عامرة والاموال وافرة، والاجناد متوافرين، والكراع والسلاح فوق مايحتاج اليه، الى ان كان الامر في ايام ابن ابي عامر، فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الاموال على النطع، وقدم على الارض جباة يجبونها، فاكلوا الرعايا، واجتاحو اموالهم واستضعفونهم فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة، فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان، وضعفت الاجناده قوى العدو على بلاد السملمين، حتى اخذ الكثير منها ولم يزل امر المسلمين في نقص وامر العدو في ظهور الى ان دخلها المتلثمون، فردوا الاقطاعات، كما كانت في الزمان القديم ولا ادري مايكون وراء ذلك[4].

اوضاع ملكية الاراضي في عهد المرابطين بالاندلس:

تم استدعاء المرابطين من الامير المعتبن عباد حاكم ا لانقاذ الاندلس من المحنة والخطر الاسباني وذلك بعد سقوط طليطلة عام 478هـ/ 1085م بيد حاكم قشتالة الملك الفونسوا السادس، ولم تغب عن بال المعتمد اطماع المرابطين الاقتصادية على الرغم من تحذيرات وزرائه من خطر وقوع ثروات الاندلس الاقتصادية تحت سيطرة المرابطين ولكنه عزم على استدعائهم من العدوة المغربية وقد اطلق عبارته المعروفة "ولان يرعى اولادنا جمالهم احب اليهم من ان يرعوا خنازير الافرنج"[5].

---

(1) عند ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، نشر جامعة فؤاد الاول (القاهرة 1939 – 1945م) القسم الرابع، المجلد الاول، ص188

(2) عند ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق 1/ 2/ 122.

(3) ابن عذاري، البيان، ج3، ص260

(4) الطرطوشي، ابي بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري المالكي الشير بابن ابي رندقة الطرطوشي، ولد عام 450ه بطرطوشة وتوفي بالاسكندرية عام 520ه/ سراج الملوك/ نشر المكتبة المحمودية (القاهرة 1354ه/ 1935م) ص239.

(5) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج7، 115، المقّري، نفح الطيب، تحقيق: د. احسان عباس (دار صادر، بيروت 1388هـ/ 1968م، ج7، 115، 359، الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: ليفي بروفنسال (القاهرة 1937م) ص 85، قال المعتمد بن عباد: "رعي الجمال خير من رعي الخنازير"

اتبع المرابطون سياسة اقتصادية في الاندلس مثلما عملوا في بلدهم المغرب، وهي تعتمد على التحكم بالموارد الاقتصادية "ولم يرد في بلد من بلادهم ولاعمل في اعمالهم اثناء حكم يوسف بن تاشفين رسم مكس ولاخراج، لا في حاضرة ولا في بادية الا ما امر الله به واوجب حكم الكتاب والسنة"(1).

ويشير المؤرخ ارشيبالدلويس الى ان المرابطين في سياستهم الاقتصادية لم يكونوا مخربين وهدامين للاقتصاد وظلت املاكهم، سواء في المغرب الاقصى وبلد الاندلس، على ما كانت عليه من رخاء(2).

ويؤكد المستشرق الاسباني كوديرا على ان سياسة المرابطين المالية والاقتصادية كانت اعلى مستوى حضاري من سياسة كل الحكومات التي سبقتهم، ودليله على ذلك قطع العملة النقدية التي بقيت من ايام المرابطين وهي تفوق في جمالها وهيئتها كل قطع العملة التي عرفت من قبلهم والشيء الجدير بالذكر ان هذا النظام النقدي انما جاءوا به من المغرب وادخلوه الى الاندلس اثناء عبورهم للجهاد(3).

ومما يجدر الاشارة اليه اننا لا نجد عموماً قضية تسمى الدراهم، كانت اما من النحاس او فضة رديئة جداً وذات وزن متغير، اما المرابطون عادوا الى ضرب النقود الفضية الجيدة، ووضع النقود الصغيرة من كسور الدرهم وهي نصف الدرهم، وثمن الدرهم 1,16 من الدرهم وكانوا يطلقون على هذه القطع الصغيرة اسم الخروبة.

ولدينا نماذج من النقود المرابطية التي ضربت بمدينة سبتة في الشمال للمغرب وكتب عليها العبارات التالية:

نموذج -1-	الوجه الاول	الوجه الثاني
في عهد الامير	الامام عبد الله امير	لا اله الا الله محمد رسول الله
يوسف بن تاشفين	المؤمنين	الامير يوسف بن تاشفين

وفي الحاشية المدورة للعملة: ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين/ بسم الله ضرب هذا الدينار بسبتة سنة 484هـ.

نموذج -2-	امير المسلمين علي بن يوسف	لا اله الا الله محمد رسول الله
عهد الامير علي	بسبتة	
بن يوسف	امير المؤمنين علي بن يوسف	لا اله الا الله محمد رسول الله
	ولي عهده سير	سبته
	علي امير المسلمين والامير	(غير مقرو)
	تاشفين بسبتة	
	امير المسلمين علي بن يوسف	لا اله الا الله محمد رسول الله
	والامير تاشفين	سبته
نموذج -3-	الامام عبد الله امير المؤمنين	لا اله الا الله محمد رسول الله
عهد القاضي	العباسي	صلى الله عليه وسلم/ المهدي
عياض ابو الفضل		بأمر الله

(1) الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 54.

(2) ارشيبيا لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 386- 387.

(3) Francisco Codera Zeidan, Decadencia de Descrapcion de los Almoravdes en Espana, Zaragoza 1899, p. 218.

بسم الله ومن يتبع غير　　　بسم الله الرحمن الرحيم ضرب
الاسلام دينا فلن يقبل منه　　　هذا الدينار بسبتة عام 542
وهو في الاخرة من الخاسرين

نموذج -4-　　الامام عبدالله امير المؤمنين　　لا اله الا الله محمد رسول الله
عهد الامير يحيى　　العباسي　　المهدي الذي يشرك النبي امير
بن ابي بكر بن　　المسلمين يحيى بن ابي بكر بن
علي صحراوني　　علي بن يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بسبتة عام 543 هـ[1]

ومما يجب التنويه اليه ان نظام ملكية الارض قد تدهور واضطرب في المغرب ايام المرابطين وذلك بعد سقوط القيروان واستيلاء قبائل بني هلال وبني سليم على افريقية والمغرب الاوسط اذ حصل تحول في ملكية الارض في المغرب الادنى والمغرب الاوسط، اما في المغرب الاقصى حيث حكم المرابطون واصدر الامير عبدالله بن ياسين الجزولي قراراً منح فيه الاراضي المفتوحة الى المجاهدين اذ قسم الخمس على القبائل اللمتونية[2].

ويلخص المؤرخ ابن ابي زرع الفاسي السياسة المالية للمرابطين في عهد يوسف بن تاشفين بقوله: "ولم يوجد في بلد من بلاده، ولا في عمل من اعماله على طول ايامه رسم مكس، ولا معونة، ولا خراج حاضرة ولا بادية الا ما امر الله تعالى به، واوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والاعشار وجزية اهل الذمة واخماس غنائم المشركين، وجبى في ذلك من المال على وجهه مالم يجبه احد قبله، ويقال انهم وجدوا في بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر الف ربع من الورق، وخمسة الاف واربعين ربعاً من دنانير الذهب المطبوعة"[3].

وقد شهد الاندلس في ظل حكم المرابطين نظاماً اقتصادياً متطوراً عما كان عليه في فترة حكم دويلات الطوائف، اذ حصل الموحدون بعد الاستيلاء على السلطة الاندلسية على اموال طائلة من خراج الارض في المغرب والاندلس وقد ذكر لنا ذلك المؤرخ عبد الواحد المراكشي في معجبه وذلك في ايام الخليفة الموحدي امير المؤمنين ابو يعقوب بقوله: "ودانت له جزيرة الاندلس باسرها وكثرة في ايامه الاموال واتسع الخراج"[4].

ومما لاشك ان الموحدين اهتموا بالاراضي الزراعية وادخلوا تحسينات على الزراعة وتدبيرات على جباية اموال الخراج من الاراضي ففي بلاد المغرب تم استغلال الاراضي الخصبة التي كانت تدر اموالاً طائلة حتى صار الخليفة

(1) نقلاً من: ابن حافظ، توفيق راجح و خوان خوسي/ مسكوكات سبته الاسلامية (مدريد، 1987) ص 108- 109 مع اللوحات المصورة عن المسكوكات الصفحات L- x 11 ان وزن الدينار المرابطي يساوي 4,72 غرام، وهو الوزن الذي عرف به دينار الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان.

(2) د. الحبيب الجنحاني "نظام ملكية الارض في المغرب الاسلامي" مقاله في مجلة المؤرخ العربي، العدد 23 (بغداد 1983) (الصفحات 27- 41)، ص41.

(3) ابن ابي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، طبعة الرباط 1973، ص128.

(4) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم: د. ممدوح حقي، دار الكتاب (دار البيضاء، د. ت) ص 367.

الموحدي ابو يعقوب يقدم الاموال الطائلة الى ولاته والشعراء، وعلى سبيل المثال منح الخليفة الى صاحب شرقي الاندلس هلال بن محمد بن سعد 12 الف دينار في يوم واحد[1].

ويلاحظ ان نظام ملكية الارض في الاندلس قد تأثر بما كان عليه في المغرب اذ ادخل الموحدون خبرتهم وسياستهم الاقتصادية في الخراج الى الاندلس، واصبحت بعض مناطق المغرب وما جاورها من اغنى بقاع الارض ثروة منها رباط تازا الى مدينة مكناسة الزيتون كما ذكرها المراكشي بنصه "وهي اخصب رقعة على الارض فيما علمت، واكثرها انهاراً مطردة، واشجاراً ملتفة، وزروعاً واعتاباً ومدينة سلا واعمالها وسبتة واعمالها- واعمال سبتة هذه في غاية السعة والضخامة، لان بلاد غمارة كلها ترجع اليها"[2].

استولى الموحدون ايام الخليفة ابي يعقوب على مساحات شاسعة من الاراضي الخراجية، وبذلك حصلوا على الاموال الطائلة حتى قيل "فلم يرتفع لملك من الملوك- اعني ملوك المغرب- قبل ابي يعقوب هذا وبعده ما ارتفع اليه من الاموال"[3].

ويذكر شهود عيان ان خرائط كثيرة للاراضي الزراعية الخراجية في المغرب والاندلس كانت تعرض على الخليفة الموحدي للتأييد والموافقة والتوقيع، كما ذكر لنا المراكشي بنصه "وقد بلغني من جهة رجل من اصحابنا كان يتولى بيوت الاموال، قال لي: وجدت خرائط كثيرة مما كان يرتفع الى امير المؤمنين ابي يعقوب بختمها... قال لي هذا القول في غرة سنة 611م"[4].

عمل الموحدون في المغرب والاندلس على منح الاقطاعات الزراعية كهدايا للولاة والشعراء والضيوف الوافدين على الامراء الموحدين، اذ منح الخليفة الموحدي ابو يوسف اقطاعات زراعية تدر اموالاً خراجية طائلة الى عدداً من إمراء الغز المصريين الداخلين الى المغرب والاندلس للعيش والارتزاق من حاصلاتها الزراعية وذلك اعجاباً وعطفاً وتوثيقاً للصلات معهم، كما جاء الخبر التالي "الفرق بين هؤلاء (الغز) وبين الموحدين ان هؤلاء غربا لاشيء لهم في البلاد يرجعون اليه سوى هذه الجامكية، والموحدون لهم الاقطاع والاموال المتأصلة هذا مع انه اقطع اعيانهم اقطاعاً كاقطاع الموحدين او اوسع: اقطع رجلاً منهم فيما اعرف، من اهل اربل، يعرف باحمد الحاجب، مواضع ليس لاحد من قرابته مثلها، واقطع شعبان المذكور بالاندلس، قرى كثيرة تغل في كل سنة نحوا من 9 الاف دينار"[5].

واجهت الاندلس في فترة حكم الموحدون ازمات اقتصادية من مجاعات بسبب انحسار الامطار اذ تعرضت بعض المناطق الاندلسية الى الفيضانات بالاضافة الى الحروب والفتن، اذ كانت لهذه الازمات اثر كبير على الضرائب الخراجية، وسنذكر اهم تلك الازمات الشديدة والتي اوردها صاحب البيان المغرب معتمداً على مصادر ووثائق عديدة منها:

---

(1) المصدر نفسه، ص 367- 368.

(2) المصدر نفسه، ص 370.

(3) المصدر نفسه، 371.

(4) المراكشي، المعجب، ص 371.

(5) المصدر السابق، ص 414- 45. وفي مصادر الموحدين مثل مذكرات الامير عبدالله بن بلقين يلاحظ وجود اقطاعات عقارية او ضرائب لا نعرف طبيعتها الحقيقية بالضبط، وهل تدخل فيما يسمى الاقطاع في المشرق الاسلامي.

1. مجاعة اشبيلية عند دخول الموحدين للاندلس وانها الوجود المرابطي، وحدث الغلاء وارتفعت الاسعار للمحاصيل الاساسية التي تشكل دخلاً هاماً للاندلس كالقمح والزيتون كما جاء بالنص "بقيت اشبيلية محصورة براً وبحراً والناس بها في شدة عظيمة من عدم القوت حتى بيعت خبزة بدرهم ونصف" وبيع قدح القمح ب 36 درهماً وباع الناس اموالهم باشبيلية بالايسر اليسير، واستوى الغني بها والفقير، وبيع اصل زيتون بالشرف (اقليم) بنصف درهم، ودار تساوي 100 دينار بـ 10 درهم"[1].

كما اصاب مدينة مرسية Murcia مجاعة عظيمة عام 568هـ/ 1172م بسبب ازدحام الناس بها للدرجة انه "رغب اكثر الموحدين والعساكر في السراح الى بلادهم واوطانهم عند ضيقة مرسية بهم وغلاء السعر فيها بسببهم فاذن لهم بذلك وارتحل اكثرهم واقام اشياخهم وكبراؤهم"[2].

وعانت مدينة باجة من ازمات اقتصادية لسوء سياسة الوالي ابن وزير حماد مع الخليفة الموحدي ابي يعقوب ان يعزله ويولي على باجة ابا علي عمر بن تيمصليت فابتهج اهل باجة، كما ورد بالخبر التالي: "فاتصلت الغبطة وتمكن الناس بباجة وتمكن الناس بقبضتها وفي ديارهم الحديثة البنيان وتبايع الناس ارضها بينهم في خارجها وداخلها وحرثوا الارض وعمروها وبنوا الحوانيت والرباع ورفعت الى دار الاشراف باشبيلية الازمة باعشارها وكراء رباعها وسر امير المؤمنين بذلك"[3].

تابع الخلفاء الموحدون القضايا المالية وتمت على ايديهم معالجة المشاكل الخاصة بالاراضي والضرائب، ففي سنة 571هـ/ 1175م عاقب الخليفة الموحدي ابو يعقوب مشرف اشبيلية المالي محمد بن عيسى، واصدر امراً بمصادرة امواله "واستصفى مكان عنده من المال والعقار بانواع العذاب وأسوأ العقاب"[4].

شهد بلد الاندلس الرخاء الاقتصاد في فترة حكم الخليفة الموحدي ابو يعقوب بن عبد المؤمن، ففي حملته الحربية على شنترين حدث انخفاض في اسعار الحبوب، كما جاء بوصف ابن عذاري بقوله: "وقد ضربت له القبة الحمراء وهم فرحون مستبشرون والخيرات كثيرة بكل جهة ومكان واتسع الناس في اقواتهم ووصل الشعير 12 مدا بدرهم، والقمح 15 مدا بدرهم، وقال ابو مروان بن صاحب الصلاة لقد رايت في هذا اليوم ثوراً بيد عربي باعه بدرهم واحد، ولقد اشتريت مع اصحابي بقرة سمينة بثلاثة دراهم، وامتلأت المحلات على كثرتها وكبرها من البقر والغنم"[5].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، (قسم الموحدون) ج5/ ص 38.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص 124.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص 34.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص 154. كان السقي للاراض احد اهم المظاهر في المجتمع الاندلسي القروي، وحدثت منازعات عديدة حوله منها تحويل مجاري المياه التي كانت في الغالب صغيرة متواضعة، واستناداً الى مصادر نصرانية منها في سهل جانديا على الساحل الشرقي بقليل للاستعمار الاراضي الذي وقع عام 637هـ/ 1240م بوصفاً دقيق لنظام توزيع المياه، حيث يلاحظ فيه القرى التي تتناوب على المياه بالدور كما نص العرف، وتحمل الوثيقة اسماء الاشخاص المستفيدين. بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لاسبانية المسلمة من الفتح حتى نهاية حكم الموحدين، ص 991.

(5) ابن عذاري، البيان، ج5، ص 154.

وفي عام 616هـ/ 1219م اصابت الاندلس مجاعة خطيرة واثرت على ارتفاع اثمان المحاصيل، وكان للخليفة الموحدي المستنصر بالله موقفاً طيباً في معالجة الازمة بتوزيع الاطعمة، كما ذكر ابن عذاري بقوله: "وكان المحل ايلعظيم والمجاعة التي شكاها الطاغي والمقيم وتناهى الحال في مزيد السعر الى مالا نهاية، وكان ابتداء الحال فيه في السنتين المتقدمتين هذه السنة المؤرخة كان للمستنصر بالله في هذه السنة فعل جميل وخبر جزيل وذلك بفتح المخازن المعدة لختزان الطعام، ففتحت للعامة وفرقة عليهم فذكر انها كانت بثمن للاقوياء بغير ثمن للضعفاء"[1].

اهتم الخلفاء الموحدون بضرب السكة في الاندلس منها في مدينة سبتة، حيث تم العثور على دراهم منها:

1. دينار يعود الى الامير ابي محمد عبد الواحد الثاني الرشيد 630- 640هـ/ 1232 - 1242م.
2. دينار الوجه الاول منه: القائم بامر الله الخليفة ابو محمد عبد المؤمن بن علي امير المؤمنين ابو يعقوب امير المؤمنين ابو يوسف بن الخلفاء الراشدين.

الوجه الثاني: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد واله لا اله الا الله محمد رسول الله المهدي امام الامة سبتة.

دينار: القائم بامر الله الخليفة ابو محمد عبد المؤمن بن علي امير المؤمنين ابو يعقوب امير المؤمنين ابو يوسف امير المؤمنين المجاهد في سبيل الله المأمون.

الوجه الثاني: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد واله لا اله الا الله محمد رسول الله المهدي امام الامة سبتة[2].

اوضاع ملكية الاراضي والضرائب في سلطنة غرناطة:

لم تتطرق المصادر الاندلسية الى اوضاع الاراضي في سلطنة غرناطة خلال مدة حكمها قرابة قرنين ونصف الا معلومات بسيطة علما بان اراضي غرناطة من اجود بقاع الاندلس خصوبة بالاضافة الى جودة المناخ ووفرة الانهار وكثرة الامطار والثلوج في فصل الشتاء، وقد وصف لنا الجغرافي الاندلسي الشريف الادريسي مدينة غرناطة بقوله: "غرناطة وهي مدينة يشقها نهر يسمى حدروا على جنوبها نهر الثلج المسمى شنيل ومبدؤه من جبل شلير وهو جبل الثلج وذلك ان هذا الجبل طوله يومان وعلوه في غاية الارتفاع والثلج به دائما في الشتاء والصيف ووادس آش وغرناطة في شمال الجبل"[3].

وتطرق الشريف الادريسي عن زراعة الحنطة وذكر انها تزرع في اقليم لشبونه غرب غرناطة بقوله: "ويخبر اهل لشبونه واكثر اهل الغرب ان الحنطة تزرع في هذا الفحص فتقيم في الارض 40 يوماً فتحصد وان الكيل الواحد منها يعطي مائة كيل وربما زاد ونقص"[4].

وتحدث المؤرخ ابن الخطيب الغرناطي عن البساتين والجنان في غرناطة والغنى الاقتصادي الذي يدير ضرائب طائلة وخراجاً كبيراً للدولة الاسلامية بقوله: "منها الجنة المعروفة بفدان الميسة، والجنة المعروفة بفدان عصام والجنة

---

(1) المصدر نفسه، ج5، ص266.

(2) ابن حافظ، مسكوكات سبتة الاسلامية، ص 88- 89.

(3) الشريف الادريسي ت 560هـ/ 1165م، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، نشر عالم الكتب، ط1 (بيروت، 1409هـ/ 1989م) ج1، ص569.

(4) الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 549.

المعروفة بالمعروي، والجنة المنسوبة الى قداح بن سحنون والجنة المنسوبة لابن المؤذن، والجنة المنسوبة لابن كامل وجنة النخلة العليا، وجنة النخلة السفلى، وجنة ابن عمران، والجنة التي الى نافع، والجرف الذي ينسب الى مقبل، وجنة العرض، وجنة الحفرة، وجنة الجرف، ومدرج نجد، ومدرج السبيكة، وجنة العريف، كلها لا نظير لها في الحسن والدمائة، والريع، وطيب التربة"[1].

مختارات من المسائل الفقهية في احكام حيازة الارض والمحاصيل والضرائب المترتبة عليها في بلد الاندلس مستخرجة من المصادر الفقهية الاندلسية:

تحدثت المصادر الفقهية الاندلسية عن مسائل مختلفة تخص ملكية الاراضي والمحاصيل والضرائب الخراجية، وهذه المسائل عرضت على قضاة وفقهاء الاندلس في مختلف مدن الاندلس في سنوات الحكم الاسلامي يستفاد منها في التعريف بقضايا ملكية الاراضي وما يتعلق بها، نحاول ايراد نماذج منها للتعرف على الاحوال المالية نذكر منها:

اعتمد اهل الاندلس على المذهب المالكي الذي يعود للامام مالك ابن انس (رضي الله عنه) صاحب مذهب المدينة المنورة وصاحب كتاب الموطأ منذ عهد الامير الحكم ابن هشام المعروف بالربضي "فحولت الى رأي مالك بن انس واهل المدينة فانتشر مذهب مالك بالاندلس وذلك بامر الحكم"[2]. واستمر الاعتماد على المذهب المالكي بالاندلس حتى انتهاء الوجود العربي بعد ضياع غرناطة 897هـ/ 1492م، فعليه يعتمدون في اسناد المسائل الشرعية.

ومن المسائل التي وردت في كتاب الموطأ والتي تخص الاراضي لاهل الصلح والعنوة في باب احراز من اسلم من اهل الذمة وتنص: "سئل مالك: عن امام قبل الجزية من قوم فكانوا يعطونها، أرايت من اسلم منهم ان تكون له ارضه، او تكون للمسلمين ويكون لهم ماله؟ فقال مالك: ذلك يختلف أما اهل الصلح فان من اسلم منهم فهو احق بارضه وماله، واما اهل العنوة الذين اخذوا العنوة، فمن اسلم منهم فان ارضه وماله للمسلمين، لان اهل العنوة قد غلبوا على بلادهم. وصارت فيئا للمسلمين واما اهل الصلح، فانهم قد منعوا اموالهم وانفسهم حتى صالحوا عليها فليس عليهم الا ما صالحو عليه"[3].

وتطرق الفقيه الاندلسي ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي زمنين 399هـ/ 1008م في مخطوطته (كتاب قدوة الغازي) في مسائل فقهية هامة عن الارض والمحاصيل في الحملات الجهادية في الاندلس، ومن هذه المسائل نورد منها:

المسألة -1-... غزا اهله فاما كل بلد داخلاً في ارض العدو ولا يطمح المسلمون ان يحوزوه لبعده وانقطاعه في ارض العدو فمجتمع عليه من اهل العلم انه لا بأس بتخريب حصونهم ودورهم وعامرهم وقطع شجرهم المثمر وغيره وعقر دوابهم ومواشيهم وافساد اطعمتهم واحراق نخلهم وتغريقهم واخفاء كل ما ملكوا واستيصاله لان ذلك ذل وحقاية ونكاية وغيظ"[4].

---

(1) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة في اخبار غرناطة،، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1395هـ/ 1975م) ج1، ص 116.

(2) المؤلف المجهول، ذكر بلاد الاندلس، ص 125.

(3) مالك بن انس (رضي الله عنه)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار، احياء الكتب العربية (1370هـ/ 1951م) ج2، كتاب الجهاد، ص 470.

(4) ابن ابي زمنين، كتاب قدوة الغازي، مخطوطة المكتبة الوطنية بمدريد برقم 5/ 5349، الورقة ب 43.

المسألة -2- ما يجوز للغزاة اكله من ثمر القرى الخالية وما لا يجوز "قال عبد الملك (بن حبيب الالبيري) سمعت اهل العلم يقولون اذا غزا المسلمون فوجدوا قرى للمسلمين او لاهل الذمة قد اجلى الغزو منها اهلها وطال جلاؤهم وليسوا منها فلا بأس ان يصيب الناس تلك الفواكه وان كان الامر لم يطل جداً ولم ينقطع رجاء اهلها منها او رجاء ورثة اهلها الذين جلوا عنها فلا يحل لاحد ان يصيب منها الا على حال الاضطرار"(1).

تحدث الفقيه الاندلسي محمد بن احمد الاموي المعروف بابن العطار (330- 399 هـ/ 941- 1008م) في كتابه (الوثائق والسجلات) معلومات مفيدة جداً عن مسائل عديدة منها تخص ملكية الاراضي والضرائب المستحقة عليها والمحاصيل الزراعية التي تدرها في اراضي الاندلس اثناء عصر الخلافة وهي غاية في الاهمية للباحث للانتفاع منها في معرفة الاوضاع الاقتصادية التي شهدها الاندلس في التفصيل من وثائق عرضت على الفقيه ابن العطار او حصل عليها من المجالس الشرعية بالمحاكم الاندلسية، اذ عرض اكثر من 221 وثيقة منها اكثر من 23 مسالة او وثيقة قضائية تخص الاراضي والضرائب والمحاصيل الزراعية ومل دار حولها من منازعات واشكالات وحلول وفتاوي صدرت حولها وسنذكر اهمها منها:

اوضح ابن العطار قيمة الدينار والدرهم في عهد الخلافة الاندلسية بقوله: "واصل الدينار مثقال كان صرفه فيها سلف بالاندلس 8 دراهم فاستعمل ايقاع هذه اللفظة على 8 دراهم، وقوله كذا وكذا – ديناراص دراهم بدخل اربعين- اختصاراً لفهم السامع والحقيقة ان تقول – دخل 140 في 100 كيلا- واصل ذلك ان الدراهم كانت تجري بالاندلس والمشرق وفي صدر الاسلام كيل الدرهم درهم وخمسان،ودراهمنا مجموعة في الوزن تراطل منها 140 درهماً 100 درهم كيلا، فلذلك اختصر وقيل –دخل 40-"(2).

وثيقة تنعقد في ارض معمورة يبتاع المزارع عمارتها:

وملخصها: ان المزارع الفلاني زرع في ارضه البيضاء التي بقرية معينة من قرطبة لعام او عامين وفي السنة الاولى زرعها باصناف معينة من القمح والشعير والحبوب الاخرى، ولو زرعها مزارع اخر بنفسه واجرائه وازواجه والاته، وعليه الاجتهاد في ذلك بابلغ طاقته واداء الامانة في سر امه وجهره. ويقوم المزارع فلان (الاول) بجميع العمل والمؤونة في الزراعة وغيرها الى تمام الرفع وتهذيب الاصابة، وتكون الاصابة بينهما بنصفين بعد ان قوماً كراء الارض المذكورة وجميع عمل المزارع فلان فيها الى تهذيب الاصابة، فكان كراء الارض المذكورة مكافئاً بقيمة عمل المزارع فلان ومساوياً له...(3).

---

(1) ابن ابي زمنين، قدوة الغازي، الورقة ب 56- أ 57. وفي الورقة أ 54 (مسألة: ما يجوز من حمله من ارض العدو ولا يدخل في المقاسم وما لا ييجوز، وفي الورقة ب 56 مسألة: ما يجوز للغزاة اكله من ثمر، وفي الورقة 57 القرى الخالية وما لا يجوز) انظر: محمد بن حارث الخنشي القيرواني (ت حوالي 361هـ)، اصول الفتيا في الفقه على مذهب الامام مالك، حققه وعلق عليه الشيخ محمد المجدوب، محمد ابو الاجفان، عثمان بطيخ، الدار العربية للكتاب تونس 1985م، ص 98- 102 باب الجهاد- اموال المسلمين الواقعة في العنيمة.

(2) ابن العطار، كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق: ب. شالميتا، ف. كورنطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد 1983، ص9.

(3) المصدر نفسه، ص 58- 59.

وثيقة مزارعة على الثلث:

ملخصها: زارع فلان في ارضه البيضاء التي له بقرية من اقليم معين على ان يخرج فلان رب هذه الارض ثلثي مايبذره فيها، ويخرج فلان المزارع الثلث الثالث ويخلطالها، ويتولى المزارع فلان زراعتها بنفسه وازواجه واجرائه الى تمام الرفع وتهذيب الاصابة عاما اولها زراعة شهر معين من السنة، بعد ان قوما كراء الارض المذكورة، وعمل المزارع فلان فيها الى تمام الرفع، فكان ثلث كراء هذه الارض معادلا لثلثي عمل المزارع فلان في نيب رب الارض المذكورة، وعلى المزارع فلان الاجتهاد في ذلك بابلغ طاقته واداء الامانة في سر امره وجهره، لهما في تعاملهم هذا سنة المسلمين في مزارعتهم الصحيحة[1]

وثيقة مزارع على الربع:

ملخصها: زارع فلان في ارضه البيضاء التي له بقرية معينة من اقليم معين في عمل قرطبة او في كورة كذا على ان يخرج فلان رب هذه الارض ثلاثة ارباع مايبذره من الحبوب كلها، ويخرج المزارع فلان الربع الرابع ويخلطالها ويزرعها فلان المزارع فلان بنفسه وازواجه والته واجرائه مزارعة، صحيحة بعد ان قوما كراء الارض، وعمل المزارع فيها فكان ثلاثة ارباع عمله مساويا لربع كراء الارض، وتبنى على ماتقدم من العقد.

وان كان تطوع له رب الارض بسلف ذكرت على متقدم من ذكره، وان كان للعامل نصف الثورين ونصف الالة ذكرت ذلك وقلت: "بعد ان قوما كراء الارض وعمل المزارع بالثورين فيها وكراء النصف الذي له فيها الى تمام الرفع، فكان ربع الكراء معادلا لثلاثة ارباع عمل المزارع فلان فيها، شهد."[2]

وثيقة مزارعة على الخمس:

زارع فلان في ارضه البيضاء والتي له بقرية كذا من اقليم كذا من عمل كذا، بأن يخرج فلان رب هذه الارض اربعة اخماس مايبذر فيها، ويخرج فلان الخمس، ويتولى المخامس فلان حرث ذلك وزراعته في ارض فلان بهذه القرية بيقر فلان رب هذه الارض وآلته مزارعة صحيحة لكذا وكذا عاما، اولها زراعة سنة كذا، بعد ان قوما كراء الارض، وعمل المخامس فلان الى تهذيب الرفع فكان خمس كراء الارض مساويا لاربعة اخماس المخامس فلان، وان كان رب الارض اسلفه خمس الزريعة طائعا ذكرت ذلك على ماتقدم من العقد.[3]

وثيقة مزارعة على السدس:

زارع فلان في ارضه البيضاء التي له بقرية كذا من عمل كذا، بان يخرج خمسة اسداس مايبذر فيها، ويخرج فلان المسادس السدس ويخلطاها ويتولى المسادس فلان زراعتها على السدا على السدس بنفسه بيقر فلان رب هذه الارض وآلته الى تمام الرفع لكذا وكذا عاما، اولها زراعة سنة كذا، وقوما كراء الارض والبقر، فكان سدس كرائها معادلا لخمسة اسداس عمل المسادس فلان، شهد.[4]

---

(1) المصدر نفسه، ص66.

(2) ابن العطار، كتاب الوثائق والسجلات، ص67

(3) المصدر نفسه، ص68

(4) ابن العطار، كتاب الوثائق والسجلات، ص69. وفي ص73- 74 وثيقة مغارسة، ص75- 76 وثيقة المغارسة، ص82 وثيقة غرس، ص83 وثيقة مساقاة في جنان سوادها غلب على بياضها، ص85 الارض البيضاء، ص182 وارض الحبس

ومن احداث عام 383ه/ 993م و 384ه/ 994م بالاندلس ان يخرج المحبس عليه فلان نصف مايبذر في ارض الاملاك من القمح والشعير وجميع الحبوب، ويخرج المزارع فلان النصف الثاني ويخلطاها، ويتولى المزارع فلان زراعتها في ارض الحبس المذكورة بنفسه وازواجه والته واجرائه، ويقوم بجميع المؤونة فيه الى تمام الرفع وتهذيب الاصابة، وتكون الاصابة بينهم بنصفين على حسب اشتراكهما بالبذر، وقوما كراء الارض المذكورة، وكراء عمل المزارع فلان فيها الى تهذيب الاصابة، فكان كراء الارض متساوياً ومتعادلاً لعمل المزارع فلان، وتواصفا البذر، وعرفا قدر ماتعاملا فيه وان كان سواد الاملاك مثل بياضها، وشاء الا يكون تبعا للبياض عقدت في الارض كراء او مزارعة على ماتقدم، وفي السواد مساقاة تقول انها في صفقة اخرى[1]

ويقول ابن العطار "وجرت الفتيا ببلدنا (الاندلس) ان التطوف على الارض مع الشهود وتخلي المحبس عنها بالكلام الى المحبس اليه بمحضرهم حيازة تامة"[2].

كما اوضح لنا ابن عبد البر النمر القرطبي ت 463ه/ 1070م في كتابه (الكافي في فقه اهل المدينة المالكي) عن فقه الاراضي واحكامها في الاسلام وما تم تطبيقه في بلد الاندلس في ارض العنوة واحكامها في الاستغلال واراضي الصلح اذ ذكرها تحت عنوان- فتوح الارضين بقوله: " ارض العنوة موقوفة لمنافع المسلمين يجري خراجها وغلتها مجرى الفيء، توقف لنوائب المسلمين ويقر اهل العنوة في قراهم ويضرب عليهم الخراج على قدر احتمالهم في الارضين دون الدور وركاب الارضين للمسلمين لايملكها احد ابداً وهي فيء لجماعة المسلمين واذا مات من اهل العنوة احد او انتقل عن موضعه دفعت الارض التي كانت بيده والى غيره ولم يرثها عنه احد من ورثته، وليس لاهل العنوة احداث كنيسة وهم بمنزلة اهل الذمة وليس لاهل الذمة احداث كنيسة وقد قيل انهم اذا كانوا ساكنين في موضع لهم فيه مع المسلمين كنيسة فينتقلون معاً متعاونين فانهم يكونون على ماكانوا عليه ولايمنعون اذا امروا وسكنوا من كنيسة واحدة الا ان يشترط ذلك عليهم.

اما ارض الصلح فهي لاربابها الذين صولحوا عليها وحسبهم وما صولحوا عليه مع جزية الرؤوس ومن مات منهم ورثه ورثته. ومن اسلم منهم سقط الخراج عن ارضه كسقوط جزية رأسه وارضه له وعليه فيها بعد ذلك ماعلى المسلمين في ارضهم"[3].

ويذكر الانصاري القرطبي في كتابه "الجامع لاحكام القران" عن "الشيء الذي يناله المسلمون من عدوهم بالسعي وايجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة ولزوم هذا الاسم بهذا المعنى حتى صار عرفا. والفيء ماخوذ من فاء يفي اذا رجع، وهو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا ايجاف كخراج الارضين وجزية الجماجم وخمس الغنائم"[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص181- 182.

(2) المصدر نفسه، ص184.

(3) ابن عبد البر النمري القرطبي، ابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد- الكافي في الفقه اهل المدجينة المالكي، نشر دار الكتب العلمية، (بيروت 1407ه/ 1987م) ص219- 220.

(4) الانصاري القرطبي، ابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، طبعة دار الكتب المصرية (القاهرة 1936م) ج8، ص1.

وتحدث القاضي ابو الوليد بن رشد القرطبي الاندلسي (الحفيد) ت595ه/ 1198م في كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في حكم مافتتح المسلمون من الارض عنوة وقال "اختلفوا فيما افتتح المسلمون من الارض عنوة، فقال مالك: لاتقسم الارض وتكون وقفا بصرف خراجها في مصالح المسلمين من ارزاق المقاتلة وبناء القناطر والمساجد وغير ذلك من سبل الخير الا ان يرى الامام في وقت من الاوقات ان المصلحة تقتضي القسمة فأن له ان يقسم الارض... وسبب اختلافهم مايظن من التعارض بين آية سورة الانفال وآية سورة الحشر، وذلك ان آية الانفال تقتضي بظاهرها ان كل ماغنم يخمس وهو قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ [1] وقوله تعالى في آية الحشر ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [2] عطفا على ذكر اللذين اوجب لهم الفيء، يمكن ان يفهم منه ان جميع الحاضرين والآتين شركاء في الفيء"[3].

كما نقل لنا الفقيه الونشريسي في كتابه (المعيار المعرب) فتاوي عن فقهاء الاندلس وغيرهم فيما يخص الاراضي منها مسئلة المستحق انها يتخاصم من بيده عن الفقيه الاندلسي ابن ابي زمنين عندما سئل عن رجل يشتري من رجل قطعة ارض فقام عليه يأثر ذلك رجل، فزعم ان له فيها نصيباً، فيقول المشتري للقائم، عليك بالبائع فاياه خاصم، واما انا فاشتريت بدراهمي شراء المسلمين، على من ترى قيام الذي في ذلك "فاجاب: ليس على البائع في كل الاشياء هو يتبع بشيء وانما يقوم القائم على المشتري فان ثبت ذلك للقائم بينه وجب له، ورجع المشتري بثمن ذلك المستحق من يده على البائع ان شاء الله"[4].

وعرض لنا الفقيه القاضي ابي الاصبغ عيسى بن سهل الاندلسي توفي بغرناطة عام 486هـ/ 1093م في كتابه (الاحكام الكبرى) مسائل فقهية متعددة مايخص ملكية الاراضي والضرائب المستحقة على المحاصيل الزراعية منها في فترة دويلات الطوائف بالاندلس فيذكر استيلاء الحكام على اراضي العامة بالقوة والاكراه بعيداً عن القانون والشريعة الاسلامية وفي "نوازله قضية تفيد بان حاكم قرطبة ابا الوليد بن جهور استغل ن في الاستيلاء على جزء من قطعة ارض، وان اصحابها خافوا من عرض الامر على القضاء في ذلك خوفاً من سلطته وبطشه ورياسته للدولة، ولكنهم بعد زوال اسرة بني جهور من قرطبة، عرضوا القضية على صاحب المظالم بقرطبة وهي دعوة استرداد الحيازة"[5].

---

(1) الانفال: 41.

(2) الحشر: 10.

(3) الامام القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد القرطبي الاندلسي الشهير بابن رشد الحفيد) ت 595هـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، نشر دار الفكر د-ت) ص 293.

وله فتاوي في عصر المرابطين حول محلة ريفية او قرية مؤلفة من عدة احياء يحمل كل منها اسم مجموعة او قوم فاعترف لهم القاضي بملكيتهم وملكية ابائهم لفتاوى اخرى عن السقي للمزارع.

(4) الونشريسي، ابي العباس بن يحيى الونشريسي (بفاس 914 هـ/ 1508م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، الاوقاف المغربية 1401 هـ/ 1981م، ج6 ص 175 (المعيار في 13 مجلد).

(5) ابن سهل الاندلسي/ النوازل، مخطوط، الورقة 150 عند خلاف، قرطبة الاسلامية ص89.

وذكر القاضي ابن سهل الاندلسي مسسائل عديدة في بيع الحاصل وما يترتب على ذلك من تشريعات قانونية منها:

"من ابتاع نصف كرم بثمن منجم على ان ينفقه في تحصين الكرم وعمارته"(1).

وذكر القاضي بن سهل الاندلسي مسألة بيع العقار المثمر في عهد الطوائف بالاندلس بقوله "قال ابن عتاب انه شاهد ابن الفخار سنة 400 هـ (1009م) استغنى رجل باع ملكه له بقرية وفي الملك شجر زيتون وقد طاب ثمرها ولم يشترط المبتاع الثمرة، الا انه في العقد "اشترى فلان بن فلان جميع ماحوته املاكه من الارض والشجر"(2)

ويرى القاضي ابن سهل الاندلسي: ان فساد العقد يرجع الى ان فلان باع نصف الكرم بثمن واجره مجهولة الاشتراطة على المبتاع فرج عمارة الكرم وتحصينه بالثمن ومثله، بما يشتري في الاعوام الثلاثة من غلته، والحاصل في الغلة مجهول وكذلك التصرف في انفاقه مجهول، والاجرة في ذلك مجهولة، وقد يغل الكرم ماينفق في اصلاحه وقد لايغل، وليس في المخاطرة والغرر ابين هذا(3)

الضرائب الخراجية:

وبالاستناد الى مصادر نصرانية معاصرة لفترة احتلال القشتاليين والارغوانيين للاراضي الاندلسية، وهي مصادر وفيرة نسبياً، وعلى العكس من ماهو شائع حول وجود ضرائب مرهقة تثقل كاهل الفلاحين المسلمين ظهران هذه الضرائب كانت معتدلة وانها لم تبتعد اساسا عن النص الاسلامي للخراج ولا تشير الوثائق النصرانية الا الى ضرائب حكومية لاتنطوي على اي طبيعة اقطاعية فرضت كحقوق على الارض والانسان(4)

وفي شأن الضرائب الخراجية الثقيلة فتحدث الفقيه ابن حزم القرطبي وهو يحتج بشدة على الضرائب التي تخرج عن الحد القرآني- ومعنى ذلك انه يجدها مبالغة فيها، والتي كان يفرضها ملوك الطوائف على الرعية بالاندلس، وينتقد ابن حزم القرطبي ويعنف على الطاغي الذي يستخدم اموال الخراج لدفع اجو سلطانه، فالعسكر وط حكام يستخدمون بدورهم هذه النقود لشراء الحوائج و الم التي يبيعها التجار والصناع في المدن وهم بدورهم يشترون بهذه الاموال مايحتاجون اليه من رعايا اخرين لهذا الحاكم الطاغي(5)

لدينا وثيقة بيع بستان في مدينة وشقة بالاندلس تتحدث عن اسلوب ونظام الضرائب وحقوق البيع للسلطة (كتبت وثيقة البيع في جمادي الثاني 667 (شباط- فبراري- عام 1269م)) ونرد النص للاطلاع والفائدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

"ابتاع دون بار ارنالد بـلبرطه وزوجته مرتينة النصارنيين الساكنان بمدينة وشكة من نزهتي بنت ابو محمد بن صفوان جميع الجنان التي لها بربض المقبرة يوشكة حد الجنان المذكور في القبلة جنان لعبد الرحمن طربيالة وفي الشرق

---

(1) المصدر نفسه، مخطوط الورقة 139.

(2) المصدر نفسه، مخطوط الورقة 137. عند خلاف، قرطبة الاسلامية ص194

(3) ابن سهل الاندلسي، النوازل، مخطوط الورقة 142

(4) بيير غيثار "التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة من الفتح الى نهاية حكم الموحدين، مقالة نشرت في كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، باشراف د. سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت 1998)."ج2، ص987.

)5 (Miguel ASIN PALACIOS UN CODICE INEXPLORADO DEL CORDOBES IBN HAZEM " P. p. 40

جنان الاسقوف وفي الغرب جنان لورثة دون باطره كسناره وفي الجوف المقبرة بجميع منافعه ومرافقه وحقوقه كلها اجمع الداخلة فيه والخارجة عنه ابتياعاً صحيحاً جائزاً بتة مبتولا بلا شرط مفسد ولا ثنيا ولا خيار بثمن عدته مائتين ديناراً اثنين وتسعون ديناراً دة قناشر جقاشية من السكة الجارية الان نقدا المبتاعين المذكورين للبائعة المذكورة جميع الثمن المذكور طيبا جياداً مقليا وقبضتها البائعة المذكورة منهما على الوصف الموصوف وابرأتهما من جميع ذلك ابراء صحيحاً تاماً، فبرئ واستقر الثلث الثالث من جزء الجنان المذكور فوق هذا بيد المبتاعين المذكورين ليدفعاه لسلطان ايده الله على الـء كور هو لجهة بلة ملاصق نان عبد الرحمان طريبالة ولجهة الغرب بطريق ذة والثلث الذي قبض هو من جزء الجنان المذكور فوق هذا وليس على الجزء المذكور طبل وقبضا المبتاعين المذكورين البيع المحدود وحلا فيه وفي جمع حقوقه محل البائعة المذكورة ونزلا فيه منزلتها ومحل ذي الملك في ملكه وعلى بيع الاسلام وشرطه ومرجع الدراك فيه بين اهله عرفا قد=ر ذلك ومنتهى خطره لم يجهلاه ولا شيئاً منه ومضاف الى ما ذكرناه ان الجزء الثاني من الجنان المذكور هو لجهة المقبرة وهو لجهة الجوف يؤدي طبل من كل عام احد عشر رطل من زيت الزيتون ابدا الابد وباداء ذلك التزم المبتاعين هذا البيع المذكور والطبل المذكور يدفعاه المبتاعين لدار شنت قروس وهو من المنجش في كل عام في اول يوما من رمضان النصاري الكبير شهد اشهاد البائعة والمبتاعين المذكورين فوق هذا على انفسهم بذلك كله من عرفهم وسمعة منهم في صحتهم وجواز امرهم وذلك في شهر فبرير الموافق لجمادي الاخر الذي من سنة سبعة وستين وستمائة فيه ملحق وحلا وبه صح.

ابراهيم بن عبد الله بن محمد التجيبي وموسى بن سلمة بن خلف ثمر البحر الاموي"(1).

وثيقة بيع ارض زراعية بين الاخوة في مدينة وشقة مؤرخة بتاريخ ذي الحجة 548هـ/ في 15 شباط (فبراير 1154م).

بسم الله الرحمن الرحيم

"ابتاع اسمعيل بن عبد الله بن مسعود بن ثرثال الانصاري من اخيه لابويه مسعود بن عبد الله المذكور جميع الفدانين الارض المزروعة السقي اللذين عند المنية المنسوبة الى الصباغ والى الابيتر (البيطار) بقبلي مدينة وشقه تحت مرج غليانق وهما الفدانان اللذان خرجا اليه حين قسمته مع اخيه اسمعيل المذكور حد احدهما وهو دمنة في القبلة من المنية المذكورة بينهما اندر وحد الثاني وهو فاشة في القبلة ارض مرتين النصراني من النيان وشرقيه كذلك وغربيه ساقية بجميع منافعهما وحرمهما وحقوقهما كلها ابتياعاً صحيحاً لم يتصل به شرط مفسد ولا ثنيا ولا خيار بثمن عدته اربعون دينرا قناشير فضة من السكة الباقية الجارية الان بوشقة نقده المبتاع المذكور جميع الثمن المذكور طيبا مقلبا وقبضه منه البائع المذكور على الصفه المذكوره وأبرأه منه ابراءا صحيحاً فبرئ وقبض المبتاع المذكور البيع المحدود وحل فيه وفي جميع حقوقه محل البائع المذكور فنزل منزلته ومحل ذي الملك في ملكه على سنة المسلمين في طيب بيوعهم ومرجع ادراكهم بعد معرفتها بقدر ماتبايعاه ومبلغه ومنتهى خطره لم يجهلا شيئاً منه واقر المبتاع المذكور انه انما ابتاع الابتياع المذكور لختنته أملي بنت صالح بن محمد زوج مسعود المذكور ومن مالها نقد فيه الثمن المذكور وأنه انما اوقع اسم نفسه في رسم الابتياع

---

(1) نشرها: المستشرق الاسباني خاثينتو بوش بيلا بعنوان: وثائق عربية في مركز وثائق كاتدرائية وشقة، بالعربية والاسبانية في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، اسبانيا، المجلد الخامس (مدريد 1957) ص 46- 47

" Jacinto Bosch Vila ''Documentos Arabe del Archivo Catedral de Huesca'' المقصود بالطبل: ضريبة سنوية.

على وجه العارية والصناية والكفاية لها شهد على البائع مسعود والمبتاع المقر اسماعيل المذكورين بذلك من عرفهما في صحتهما وجواز امورهما في شهر ذي الحجة سنة ثمان واربعين وخمسمائة..."[1].

وثيقة توضح ضريبة الخراج على النصارى في ظل الحكم الاسلامي بمدينة وشقة مؤرخة في شعبان 599هـ/ نيسان 1203م، وقيمة الضريبة السنوية 5 دنانير قناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاستعان

عاوضا يوسف وغالتي ابنا محمد بن عياش مع دون مرتين واخيه دون يوان ابنا دون غرسيه شنش المعروفين من سراش على ان خرجا يوسف وغالتي المذكورين بالفدان المذكور من كتاب خط الرم المنعقد بينهم وخرج دون مرتين ودون يوان المذكورين بالفدان الذي في حومة المريبح بوشقة الذي قبليه فدان الدونة بلنكارة وشرقيه ساقية العامة وجوفيه فدان لدون غولم الافرنج وغربيه مسقا بجميع المنافع والمرافق والدخول اليه والخروج منه وكل حق لهما فيه لـلان او بغيب اليهما وخرجا يوسف وغالتي بالفدان المذكور في كتاب الرومية المذكور ويأتي ذكره في هذا الكتاب ان شاء الله وذلك الفدان الذي يعرف في الحومة المذكورة فوق هذا قبليه فدان لدونة بلنسية وشرقيه الوادي وجوفيه فدان لبيرد لبسية وغربيه الساقية كذلك بجميع المنافع منه والمرافق والدخزل اليه والخروج منه يؤديا عنه خمسة دنانير قناشير على وجه الطبل دائما مستمرا- إلى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لاغير ذلك ويؤديا ذلك يوم شنت مرية من شهر شتنسبير في اول العشر منه، وإن احتاجه يوسف وغالتي المذكورين الى بيع ذلك يعرفا لك لدون مرتين ولدون يوان المذكورين وان اراد يشتراه يعطا لهما باقل من الثمن الذي يجد فيه خمسة دنانير قناشر فضة من السكة الجارية..."[2].

(1) نشرها المستشرق الاسباني (خاثينت بوش بيلا "وثائق عربية في مركز وثائق كاتدرائية وشقة" في مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، العدد 5 (مدريد 1957) ص 19- 20 مع ترجمة للاسبانية ووثيقة اخرى مؤرخة في محرم 579/ مايس (ايار) 1183م بين اسقف كنيسة القديسة مريم ومحمد بن يوسف النجار حيث دفعت له الكنيسة جميع الكرم الاعناب والثمرة بحومة المائدة بوشقة مقابل ارض تنازل بها للكنيسة وان يغرم بدفع ضريبة عشور للاساقفة. ص 26- 27 من نفس عدد المجلة.

(2) خاثينو بوش بيلا، وثائق عربية، ص 32.

تطور العلاقات الإجتماعية في الأندلس

شهد الأندلس (اسبانيا الاسلامية) علاقات اجتماعية طيبة تقوم على الاحترام والتسامح والحرية بين أبناء المجتمع العربي الاسلامي وروابط اجتماعية مع أهل الديانات الأُخرى.

من أهداف الفتح العربي الاسلامي لشبه الجزيرة الاسبانية هو انقاذ المجتمع الاسباني من الظلم والفقر والجهل والتفرقة، ونجح الفاتحون في كسب المجتمع الاسباني بفضل تحقيق الأهداف والسعي إلى نشر الأمن والاستقرار وتحسين الراوبط الإجتماعية بين الأهالي الاسبان والفاتحين المسلمين، وتمت المصاهرات واعتناق الاسلام ودخول المدن والقصبات بسلام إلى الحكومة الاسلامية.

تسامح الفاتحون مع الاسبان في اعتناق الأديان والمذاهب فقد ظل عدد كبير من الاسبان يعتنقون النصرانية ولكنهم تأثروا بثقافة المجتمع العربي وعاداته وتقاليده، ويعرف هؤلاء الاسبان بالمستعربين وبالاسبانية Mozaraber الذين تثقفوا بالثقافة العربية وكانوا يرتدون الأزياء العربية ويتحدثون العربية وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير ووصفوا الحناء على شعورهم وعملوا الختان لأولادهم، كما سمح لهم ببناء الكنائس وممارسة طقوسهم بحرية تامة، كما صار لهم قساوسة عليهم وممثل في الامارة الأندلسية.

تطورت العلاقات الإجتماعية سريعاً في تاريخ العرب في اسبانيا وامتزجت الدماء العربية الحادة مع دماء الاسبان، ويذكر المتشرق غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب ان العرب الفاتحين تزوجوا في بدء الفتح عام 92ه/ 712م ثلاثين ألف نصرانية، وأول زواج رسمي كان للوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي تزوج من أرملة الملك الاسباني لذريق Rodrigo التي اشتهرت بجمالها وذكائها والتي اجبرت الوالي على القيام بتقاليد اسبانية في الزي واجبار الرعية من الركوع له عند الدخول إلى مجلسة، مما أدى ذلك إلى تغير سلطنة وقتلة من المسلمين مختبرين أعماله مخالفاً للتعاليم الاسلامية والانحراف إلى تقليد النصارى وهو بدعة.

ويرى غوستاف لوبون وغيره أنه نشا عن توالد النصارى والعرب الذي دام في بيئة واحدة قروناً كثيرة عرقٌ جديد مختلف عن العروق التي فتحت اسبانيا، وان العناصر الكثيرة التي أدى تمازجها إلى ظهور ذلك العرق كانت في أحوال تؤدي إلى تكوينه وتحسينه، وهذا ما يلاحظ على الجمال في جنوب اسبانيا لاختلاطه بدم العرب.

عمل العرب المسلمون على تطوير الحياة الاجتماعية في الجزيرة الاسبانية بشكل سريع ورائع اعجب الكثيرين من الباحثين بفصل اسس وقواعد اعقدت عليها الحكومة الأندلسية باقتسأم الأرض والمأكل والمشرب بين أبناء المجتمع، واعجب لوبون بذلك بقوله "وقد أسلم كثير من النصارى، ولكنهم لم يسلموا طعماً في كبير شيء، وهم الذين استعربوا ففدواهم واليهود مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة، فكانت اسبانيا العربية البلد الأوروبي الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها، فزاد عدد اليهود فيه كثيراً".

اتصف أبناء المجتمع الاندلسي بالخصال الحميدة من قيم وتعاليم الاسلام بالتسامح العظيم، ويتصفون بالفروسية المثالية فيرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبستها الأُمم النصرانية بأوروبا فتؤثر في نفوس الناس تأثيراً لا تؤثره الديانة.

اعجب الباحثون في دراسة المجتمع الاسباني بقدرة العرب المسلمين على كسب أبناء المجتمع الاسباني من النصارى واليهود وتعاطفهم مع المسلمين واستمرار الحكم العربي الاسلامي في اسبانيا أكثر من ثماني قرون بفضل عوامل انسانيته وعطفه واحترامه للمجتمعات الأُخرى، حتى صار من الصعب على المرء التعرف على قومية وديانة الفرد في اسبانيا، وانصهر المجتمع في بودقة الامان والتسامح والعدالة والحريات، كما عبر عن الموقف المتشرق الاسباني الماكرو كاردناس بقوله:

"ان الفضل يرجع إلى تسامح الولاة والامراء الأوائل في أنه خلال العصور الأُولى من الحكم الاسلامي، كان الشعبان المسلمون والمستعربون يعيشان جنب إلى جنب عيشة حرة".

وغدت اسبانيا من أبرز الأمم في حسن العلاقات الاجتماعية في ظل الحكم العربي الاسلامي، وقد أوضح لنا المؤرخ الفقيه ابن هذيل الغرناطي بقوله:

"واتضح لهذا القطر الأندلسي دين الاسلام ببركة دولة هذا البطل الهمام... فالحمد لله الذي شرف دولته على جميع الدول وجعل ملوك الأرض لها كالاتباع تحت طاعتها يمرحون وفي ماء غيابتها يكرعون وإليها وفي مهماتهم يقرعون ابقاها الله في ذروة العزالمكين والحذر الأمين والتوفيق الواضح المستبين بمنه وفضله فؤمن العام نبيل إلى مقام ملك خليل لاسيما إذا كان ذلك فيما يتعلق بصفة الملك الغالية عليه ويختص بشجية المنوطة به وفطرة الراجح حكمه إليه"

أشار المؤرخون الأندلسيون بسيرة حكام الأندلس وحسن معاملة أبناء المجتمع وما قدموه من اصلاحات اجتماعية، فيذكر ان الأمير عبد الرحمن الداخل كان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويصلي بالناس في الجمع والأعياد ويخطب في الاستسقاء ويبكي ويتضرع، كما انه كان يخرج في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه صور الدراهم يتحرى بها المساتير وذوي البيوتات من الضعفاء.

اتصف الامير الاندلسي هشام بن عبد الرحمن بأنه كان يبعث الى الكور قوماً عدو لايسألون الناس عن سير العمال.

كانت بدأت ابناء المجتمع وشكاوهم تصل الى دار الامارة في قرطبة، فيذكر ان امراة مسلمة اطلقت صرخة مدوية تستنجد بالامير الحكم بن هشام لانها وقعت باسر الافرنج واساءوا معاملتها في الثغر الاندلسي فوصل الخبر الى الامير الحكم الريضا وانجدها، كما ورد ذلك بالنص "... انه سمع امراة تصيح باعلى صوتها واغوثاه بك ياحكم فلقد غفلت عنا حتى تركتنا نهباً للعدو فاحفظه ذلك، فتجهز في وقته وخرج بنفسه حتى اتى ذلك الثغر فامكنه الله من العدو.. وقال للوافد عليه دلينا الى موضع المراة التي سمعتها صارخة فقصدته نحوها، فكما خرجت اليه دفع عليها عدة من الاسرى تعادي بهم من اسر من اهلها وضرب اعناق الباقين لابل اغاث ونصر فنصره الله واغاثه"

احترم اهل الاندلس للروابط الاجتماعية وفقاً لتعاليم الاسلام وكان الحكام قدوة حسنة لابناء المجتمع فتشير المصادر لى احترام بيت الزوجية وينقل لنا المؤرخ ابن القوطية القبطي نموذجاً عن سيرة الامير الحكم الريضي بقوله "ذكر عن بعض الخاصة ان كريمة من كرائم الحكم رحمه الله ذكرت ان الحكم قام عنها ليلاً فساءله ظنها على مايتوهم النساء ويسبق اليهن من وجه الغيرة قالت فقعوت آثاره فوجدته في بعض الاماكن يصلي ويدعو وقالت فلما انصرفت الى اعلمته بما ظننته وبما فعلت وما رايته عليه من الصلاة والدعاء"

تمتع المجتمع الاندلسي بنصب كبير من التطور والازدهار في ظل عصر الامارة وفي عهد الامير عبد الرحمن الثاني حتى اصبحت ايامه تعرف بأيام العروس اذ امر الامير بهدم فندق الخمر واظهار البر ونملى الناس معه العيش، وقد اكرم العلماء، كما تابع اخبار الرعية في الجزر الشرقية في البحر المتوسط وخاطبهم بكتاب جاء فيه "اما بعد، فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه امركم واغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم..."

العطف والرحمة من خصال العرب وقد التزم بها حكام الاندلس ويذكر ان الامير عبد الرحمن الثاني كان يعطف على الفقراء والمساكين وقد اخرج الاموال والكسوات ففرقها في الناس وسرح السجون ورد المظلم واخراج خمسة الاف دينار من صلب ماله وفرقها في اهل الحاجة والفاقه من اهل قرطبة، كما امر بتغيير المنكرات وازال ضريبة المكوس، وامر بهدم المروس التي يباع فيها الخمر وهدم ديار الفساد وضرب اهل الفساد وطردهم من قرطبة، فاحبه الخاص والعام

وضج الناس له بالدعاء واخذ نفسه بالاقتصاد والاخذ بالعفو في كل الامور الا في اقامة حدود الله تعالى فاعتلى بذلك وعز سلطانه

ساهم الامير عبد الرحمن الثاني وابنائه في معالجة ازمات المجتمع الاندلسي في الجانب الاقتصادي ومنح العطاء الى الجند وضاعفه كما اسقط ضريبة العشور عن عامة الناس.

تطورت العلاقات الاجتماعية ونضجت في عصر الخلافة بفضل سياسة الخلفاء وعطفهم على طبقات المجتمع، منح الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله الحقوق والامتيازات فيذكر المؤرخ ابن حيان القرطبي في "المقتبس" ان الناصر خصص لابنائه الاراضي والاموال واعتنى بتربيتهم وفقاً لتعاليم الاسلام بالعدل والاحسان والمساواة.

حصن الخليفة الحكم المستنصر بالله المجتمع وحافظ على التعاليم وحارب الخمور وامر بأتلاف محصول الكروم الذي تصنع منه الخمور في الاندلس وهدم المصانع المخصصة لذلك ولكنه عدل عن موقفه بسبب براعة الاندلسيون في صناعة الخمور من مختلف المحاصيل بعد اقناعه من الخبراء والمستشارين له خشية من الاضرار بالمجتمع.

اهتم الخليفة الحكم المستنصر بالله في القضاء على الجهل والامية في الطبقات الفقيرة، فخصص لهم دار للصدقة، كما فتح 27 مكتباً لتعليم اولاد الفقراء مجاناً وكان منها 3 مكاتب حول المسجد الجامع بقرطبة، وكانت رواتب المعلمين تجري لهم من الدولة.

تمتع المجتمع الاندلسي في ظل الحاجب المنصور العامري بعلاقات اجتماعية طيبة ومكانة عالية واحتراماً بالغاً من الممالك الاسبانية، ونال الرغبة حقهم حتى ليذكر ان رجل من العامة وقف على باب مجلسه يوماً فنادى ياناصر الحق؟ ان لي مظلمة؟ فاجابه الحاجب ورد له حقوقه، كما اهتم الحاجب بالفقراء وتفقد احوالهم ففي الازمات الاقتصادية كان يوزع 22 الف خبزة بيده على المحتاجين واسقط عن الناس ضريبة الاعشار والزيتون وتكفين الاموات واغاثة الاحياء.

اصبح للمراة مكانة اجتماعية بالاندلس وساهمت في كل المجالات وبرزت في الميدان الفكري وتمتعت بحرية واحترام وعدل ومساواة، وترد في المصادر اسماء عدد كبير من النساء ومشاركاتهن في الحياة العامة منهن بنات حكام الاندلس والزوجات والعالمات والجواري ودورهم في المجتمع.

لدينا اشارت تؤكد على تطور المجتمع وازدهاره وتفوقه على غيره من المجتمعات

نماذج من سيرة سيدات النساء في الاندلس

انجبت الاندلس شخصيات نسائية شاركن في مختلف مجالات الحياة العامة، وبرزت منهن طبقات في الادب والفن والعلوم العامة،ترجمت المصادر الاندلسية عن اعلام نساء الاندلس، وقد كتب الفقيه ابن حزم القرطبي عن المرأة في كتابه وطوق الحمامة في الغة والالاف، معلومات مهمة ومفيدة باسلوب منهجي رائع وممتع، وقدا طلع على اخبار النساء في القصر وتصرفاتهن بشكل مباشر وله نظكرية في المرأة فيقول "ان المراة اذا بقيت بغير شغل انها تشوق الى الرجال وتحن الى النكاح، ولقد شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري، لاني ربيت في جحورهن، ونشأت بين ايديهن،ولم اعرف غيرهن، ولاجالست الرجال الا وانا في حد الشباب، وحين تغير وجهي/ وهن علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الاشعار، ودربني في الخط، ولم يكن وكدي واعمال ذهني فذأول فهمي وأنا في سن الطفولة جدا الاتعرف اسبابهن،والبحث عن أخبارهن وتحصيل ذلك، وأنا في سن الطفولة جداً الاتعرف اسبابهن، والبحث عن اخبارهن وتحصيل ذلك، وأنا لاانسى شيئاً مما اراه منهن، وأصل ذلك غيره شديدة اطبعت عليها، وسوء ظن في جهتهن فطرت به، فاشرفت من اسبابهن على غير قليل" ونقل لنا صوراً عن المحبين والمحبات في ابواب متعدده من كتابه في الحب العذري شاركت المرأة الاندلسية في الحركة العلمية في عصور التاريخ كما ذكر لنا كما ذكر لنا عبدالواحدالمراكشي في كتابة المعجب في تخليص اخبار المغرب نقلا عن ابن مناض في تاريخه في اخبار قرطبه قال "كان بالويض الشرقي من قرطبة في تاريخه مائة وسبعون أمراة كلهن يكشبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا مافي ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها"كتب ابن الابار البلنسي في كتاب التكملةعن التراجم اعلام النساء الاندلسيات وعددهم 68 ترجة منهن زوجات الحكامو الادباء وعاملات وكتابات وفنانات وجواري فيهن الشفاء جاريه الامير عبد الرحمان بن الحكم وكانت من اجمل النساء عقلا ودين وفضلا وفضل المدينة جارية اشتريت للامير عبد الرحمان الثاني وقلم جارية الامير عبد الرحمان الثاني واصلها من بني البشكنس، والجارية طروب ولها مسجد قرطبة باسمها من جواري الامير عبد الرحمان الثاني وفخرالجارية، ونظام كاتبة هشام المؤيد،ومتعة جارية زرياب وكانت رائعة الجمال وحمدونة بنت زرياب وعلية التي طال عمرها بعداختها حمدونة، ومصابيح جارية اخذت عن زرياب، وتمر الجارية البغدادية وكانت من اهل الفصاحة.

والبيان المعروفة بصرع الالحان/ وزينب بنت الخليفة ابي يعقوب يوسف الموحدي اورد لنا ابن سعيد المغربي في كتابة المغرب حلى المغرب عدد من نساء الاندلس منهن مهمجة بنت الشياني وكان ابوها يبيع التبن، قريبة من ولادة نبث المستكفى الشاعرة، وكانت من اجمل نساء زمانها، والاديبة ام علاء بنت يوسف الحجارية البربرية وكانت شاعرة بارعة وام الكرم بنت المعتصم حمادح، وصفحة بنت حمدونة الحجارية، وصفحة بنت الحاج الركونية التي نشدت عبدالمؤمن الموصدي والرميكية والشاعرة الغسانية البجانية ونزهون بنت القلاعي وكانت شاعرة ماخبة والشاعرة ولادة بنت المستكفي.

افراد ابن جبان القرطبي في كتابة المقتبس باب ذكر نساء الخلفاء وبنائهم وفهن مرجان الزائدة الحظوة عندالخليفة عبدا الرحمان الناصر وكانت ام الخليفة الحكم المستنصر بالله وكانت متميزة على ضرتها القرشية وقيل عنها"كانت السيدة الكبرى مرجان ام الخليفة الحكم الثاني من السريات المفضلات عليهن لفضل ادب كان لها ورشاقة حركة يستحستها مولاها الناصر لدين الله منها.

فلا يزال كذلك يستيدينها كثيراً، ويعجب بخدمتها، ويكثر تقريبها وتعجبه لباقتها وقد كانت اوتيت من اللبابة والفطانة واللطف والحلاوة وجمال الصورة وعذوبة المنطق وملاحة لاشارة وحلاوة الخليفه افضل ما اوتيته انثى..."

اورد ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الاندلس اسماء ومعلومات عن عالمات اندلوسيات منهن غد بنت عبد الله بن حمدون من اهل قرطبه محدثه سمع منها، والعالمه فخر المعلمه توفيت سنة 317 وذكرها الرازي.

تحدث الحميدي الاندلسي ت 488هـ في كتابه جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس قائمه من النساء الشهيرات منهن صفيه بنت عبد الله الربي وهي اديبة شاعرة موصوفه بحسن الخط والغسانية من شاعرات الاندلس تمدح الملوك وكانت بمدينة بجانة مدحت الامير خيران العامري صاحب المريه، ومريم بنت ابي يعقوب الفصولي الشلبي وكانت حاجه واديبه شاعره جزله مشهوره، وكانت تعلم النساء وتحتشم لدينها وفضلها، وعمرت سنوات طويله وسكنت اشبيلية بعد الاربعمائة الهجرية

وصف ابن الخطيب الغرناطي وامتدح بنات غرناطه بقوله "وحريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السمن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفت الحركات ونبل الكلام وحسن المحاوره، الا ان الطول يندر فيهن، وقد بلغن من التفتن في الزينه لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات، والتنافس في المذهبات والديباجات، واكتهاجن في اشكال الحلي الى غاية بعيدة". اللمحة البدرية في الدولة النصرية.

نصوص أندلسية مستخرجة من كتاب "الالمام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأُمور المقضية في وقعة الاسكندرية" للنويري الاسكندراني المالكي (ت 775هـ/ 1372)

سيرة المؤلف: محمد بن قاسم بن محمد االنويري الاسكندراني المالكي.

ولد في مدينة النويرة في صعيد مصر، فاشتهر نسبه لها، والظاهر أنه كان على درجة من الثقافة والاطلاع على أُمهات المصادر المهمة في مختلف أبواب الثقافة والمعرفة وانها الكتب الأندلسية التي اعتمد عليها النويري نذكر منها:

1. كتاب المسالك والمهالك/ للقرطبي.
2. كتاب العقد الفريد/ لابن عبد ربه الأندلسي.
3. كتاب نصوص الحكم/ لابن العربي الأشبيلي.
4. كتاب البديع في الأغذية/ لأبي عامر بن عبد العزيز الغرناطي.
5. كتاب ريحانة الأدب/ لأبي الحسن الأندلسي التبسي.
6. رسالة لأبي محمد ابن أبي زيد القيرواني.
7. شرح رسالة ابن أبي زيد في الفقه/ للجزولي.
8. كتاب المدارك/ للقاضي عياض السبتي.

تحدثت كتاب الاعلام عن حياة المؤلف النويري الاسكندراني فذكره ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)"(1) واعتبره اندلسياً بقوله "محمد بن قاسم بن محمد النويري الملقي الاسكندراني وصنف تصنيفاً في ثلاث مجلدات عمل فيه صفة الكائنة العظمى التي وقعت للفرنجفي أول سنة 670هـ حيث ملكو الاسكندرية ونهبوا أموالها واسروا نساءها ورجالها، وانما اطاله باستطراده من شيء إلى شيء فأنه بدأ بفتح الاسكندرية فاطال في ذلك وساق أخبارها فكان خبر الوقفة في جانب ماذكر "كما ذكره السخاوي (ت 902م/ بقوله "المحمدين قاسم بن محمد النويري السكندري المالكي صفة الكائنة العظمى التي وقعت للفرنج في أول سنة 767هـ حين ملكوها ونهبوا أموالها وأسروا نساءها ورجالها، في ثلاث مجلدات، ولكنه استطرد فيها من شيء إلى شيء فأنه ابتدأه بصفة فتحها واستمر، بحيث كانت الواقعة في جانب ماذكر كالشامة"(2).

وتطرق عنه حجي خليفه في كتابه كشف الظنون، كما ترجم له عمر كحالة في معجمه"(3) بقوله "محمدين قاسم بن محمد النويري الاسكندراني، مؤرخ من أثاره:

---

(1) النويري الاسكندراني/ شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ ط اولى حيدر آباد د. ت ج 4/ 142 ترجمة رقم 375.

(2) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت 902هـ حققه وعلق عليه بالانكليزية فرايز روزنثال، ترجمة د. صالح أحمد العلي بغداد- مطبعة العاني 1382هـ/ 1913.

(3) كحالة، عمر نصار، معجم المؤلفين، متراجم مصنفي الكتب العربية، (دمشق 1380هـ/ 1960م) ج 11/ 147.

4 Brockelmann, Geschichet (supplementbnd, (leiden, E. J. Brill 1938) 11/34.

5 Pons Boigues, Ensayo bio- Biblografico sobre. Los Historiadores, Geografos Arabigo- Espanoles (Madrid 1898) num 2142.

6 F. codera zeidan (Bibllotheca Arabico Hispana (Madrid 1886- 9) p. 6.

منصف في تملك الفرنج الاسكندرية في أول سنة 767هـ" كما أشار إليه كارل بروكلمان والاسباني بونس بويبخس في فهرسته" وذكره المستشرق الاسباني فرانشسكوا كودبرا زيلان".

وصف موجز لكتاب الالمام: صنف النويري الاسكندراني كتاباً قيماً عن هجوم وغزو الافرنج لمدينة الاسكندرية في شمال مصر من البحر المتوسط ووصف المؤرخ ابن حجر العسقلاني الحادثة (بالكائنة العظمى) لخطورتها والخسائر التي نجمت عنها.

أما غرض المؤلف هو أنه أراد تسجيل مذكراته ومشاهداته وما أمكنه من جمع المعلومات والحقائق لتلك الحملات الصليبية الكاسحة التي وقعت على مدينة الاسكندرية المسلمة من غدر وجرائم صليبية، وكان اسلوبه الاسهاب والتطويل في السرد والاسهاب في عرض الحادثة حتى أصبح كتابه أشبه بموسوعة تاريخيةوجغرافية وأدبية ممتعة وغنية بالتفاصيل والعرض لامهات المصادر العربية ومنها الأندلسية.

وما أورد النويري الاسكندراني المالقي من نصوص ومعلومات أندلسية مفيدة للباحث نحاول جمعها وتبويبها ودراستها ومقارنتها بالمصادر الأولية الأندلسية ذات قيمة تاريخية لأن المؤلف اعتمد على مصادر بعضها مفقود أو مخطوط أو مطبوع نادر يصعب على بعض الباحثين بالأندلسيات معرفته أو الاطلاع عليه.

خطة البحث: سنذكر النصوص الأندلسية من أجزاء الكتاب وصفحاته وسنرمز لها بالأرقام والعناوين للنصوص، أما التعليقات والتوضيحات فتكون عند الانتهاء من سرد النصوص كاملة معتمدين على المصادر الأولية الأندلسية في ملحق خاص يحمل أرقام النصوص عند اكمال ذكرها من أجل تسهيل مهمة اطلاع الباحث وتعريفه بالنصوص الأندلسية التي اعتمد عليها النويري او التي تحدثت عن الموضوع الذي ورد في "كتاب الالمام".

النصوص الأندلسية المغربية:

"في كتاب الالمام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية" لمحمدين قاسم بن محمد النويري (ت بعد 775هـ/ 1372م) تحقيق د. عزيز سوريال عطية (حيدر اباد الدكن- الهند 1393هـ/ 1973م).

النصوص في الاجزاء والصفحات

النص -1- أصل تسمية الأندلس: أن الذي بنى الأندلس يقال له أندلس بن سام

ج 1/ 96 نوح عليه السلام، ثم أفضى الملك بعد ملوك كثيرة إلى دقيانوس فأمعن في قتل النصرانية، ومنه هرب أهل الكهف لما آمنوا بربهم".

النص -2- بناء الملك قسنطنطين لبعض ملوك الأندلس

ج 1/ 97 "ملك قسطنطين المؤمن بعيسى عليه السلام، وهو الذي بنى مدينة سرقسطه (Zaragoza) بالأندلس، ومدينة ماردة (Marida)، ومدينة اشبيلية (Sevilla) ومدينة قرمونة (Carmona) في ذلك العصر، وهو الذي يحكي عنه في الانجيل: ان أكثر أهل الدنيا خضعت له ملوكها كخضوعها للأسكندر".

النص -3- مقارنة صاحب قبرص وملوك الأندلس

ج 1/ 133- 114 "واعلم ان صاحب قبرس هو بين ملوك النصرانية إلا في الدرجة السفلى الحقيرة وما هو بينهم الاكراعي قرده في جزيرة وليس هو كقيصر طريان الذي أذل أجناساً كثيرة، وعبر الفرات وغلب على كور العراق والحيرة وليس هو كملوك النصارى الأندلس اللذارقة الذين إذا ركب بالملك منهم صارت الشواهين في الهواء تظله ومع ذلك قهرهم المسلمون، وفتحوا أرضهم وسكنوا معهم في جزيرة الأندلس وصاروا يحاربونهم ويقتلونهم ويأسرونهم وملكوا مدنهم وأموالهم وصارت نساؤهم إماء لهم، كما سيرد ذلك فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى".

النص -4- عودة مدن الأندلس للاسبان

ج 1/ 140 "وليست مدن جزيرة قبرس كمدن نصارى الاندلس مثل: اشبيلية وقرطبة وطرطوشة وطليطلة وغيرها من المدن، وكانت تلك المدن للمسلمين ملكوها من النصارى وأقاموا بها مدة سنين ثم غلبهم النصارى وهي الين في سنة 775 بايديهم".

النص -5- محاصرة الافرنج Francos لمدينة لارقة Lorca الأندلسية

ج 2/ 160 "اخبرني الشيخ الفقيه العالم الفاضل المدرس أبو عمرو التونسي عن جده لأمه قال: اني من أهل مدينة لرقة ببر الأندلس، وان الفرنج حاصرتها وأنا بها مدة تزيد على ثلاث وعشرين سنة، وبنوا إلى جانبها بلداً. وانتهى امر المسلمين فيها إلى ان كان الرجل يخرج بالطبق فيه الذهب والجوهر لم يجد من يملأه له عوض ذلك قمحاً ولا شعيراً، وبقي عندهم كلب ولا هر ولا فأر حتى أكلوه. وقدموا سقوف ديارهم تحت قدور عصائدهم. وبعد ذلك صالحوا الفرنج على أنفسهم، وخرجوا بعد المدة المذكورة فتسلمتها الفرنج بعد تلك المدة الطويلة. وأهل الاسكندرية تسلمتها الفرنج منهم في بعض يوم بفرارهم منها...

النص -6- غنى وخيرات الأندلس من الجواهر

ج 2/ 206 "ولما فتح المسلمون الأندلس جاء انسان إلى الأمير موسى بن نُصير فقال، ابعثوا معي حتى أدلكم على كنز للروم. فقال لهم الرجل: احفروا هنا، فحفروا حائطاً فسال عليهم من الزبرجد والياقوت شيء لم يرا مثله قط وقيل أن موسى بن نُصير لما دخل الأندلس وثبت جيوشه فيها فتح عليه من السبتي... مالم يفتح مثله للمسلمين في غزوة قط، لقد كان البربر يجد ان الطنفسة الذهب والفضة منظومة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فلا يستطيعان حملها حتى يأتياه بالناس فيضربان وسطها فيقسمهانها ويحملان والناس مشغولون بمثل ذلك انتهى.

النص -7- قصة الشيخ السكاك بمدينة فاس Fez

ج 2/ 321 "حكى ان رجلاً كان بمدينة فاس من أرض المغرب يعرف بالسكاك، وكان وكيلاً لأم العلا اخت السلطان، وكان في السكاك كبر وعظمة، فأتاه بعض الشعراء بقصيدة مدحه بها لينال بره، فانتهره السكاك وطرده، فانكسر خاطر الشاعر، وسهى عن البيتين المشهورين هما:

عليـــك بتبجيــــل واكــــرام ســـتة ــــــ مـــن النـــاس واحـــذر شرهـــم وتوقــــه

طبيبـــاً وكحـــالاً وشـــيخاً وشـــاعراً ــــــ ومـــن كـــان ذا حكـــم ومـــن يفقــــه

فمضى الشاعر اصطحب لخولى السلطان، وجعل يترقب متى يأتي السلطان يتنزه فيه، فلما حضر السلطان كتب الشاعر بيتين في ورقة ودمجها وجعلها في قصبة وسدها بالشمع وأطلقها في مجرى الماء الذي يصيب في الفسقية التي يجلس عليها السلطان للتنزه، فبينما السلطان ينظر إلى جرى الماء إليها إذ دخلت تلك القصبة، فأمر جواريه أن يأتوه بها فوجدها مشمعة المنافذ ففك الشمع فيها/ ونظر فاذا داخلها/ فأخرج الورقة وفتحها، فاذا فيها بيتان من الشعر وهما:

ام العُلى على جلاله قدرها يمسي ويصبح عندها السكاك

ولقد يقال بأنه ذو بهجة ولقد يقال بأنه.........

وسكت الشاعر عن كتابة بقية البيت لأنه مفهوم ولأن في ذكر بقية قبح لبنت سلطان واخت سلطان ومواجهة سلطان بهجر الكلام ففهم السلطان بقية البيت وطلب السكاك فأحضر، فأمر بأن يركل بالارجل إلى أن يموت، فرُكل إلى أن مات، فجرُ برجله والقى على مزبلة، فاقام بها ثلاثة أيام إلى أن شفع فيه حتى دفن فصح كلام المتنبي من قوله:

وعداوة الشعراء بئس المقتنى

النص -8- أضاف مراكب الأندلس وعمالها

ج 2/ 233 والبحر الرومي عليه من المدن صور وعكا وطبرية والرملة وعسقلان وغزة والفما وتنيس ودمياط وتقطع الاسكندرية ثم يمر على بلاد برقة وطرابلس الغرب والقيروان وفاس "والأندلس فمراكية الكبار وتسمى قرقر واحدة قرقورة وصاحبها يسمى بلغة الفرنج كبطان، وكاتبها على حملها كبضائعها يسمى شكرمان وتاجرها يسمى البترون، ومنها زورق واحدها زورق، ومنها طرائد واحدة طريدة، ومنها غربان واحدها غراب، ويقال للغربان أيضاً شواني واحدها شيني، ويقال لها: أجفان واحدها جفن، وهي ذوات أجنحة، ومنها شياطى واحدها شيطى. ومنها عشاريات واحدها عشاري والقراقر والزوارق لحمل البضائع.

النص -9- وفاء مدينه سبتة ceuta- مرثاة ابن أبي حجلة

ج 3/ 88 "نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته"

وحقك عندى للفرنج مكائد فليت ولى الأمر يدري بما أدري

فمن لي بأسطول به أهل سبتة بغربانهم مثل النسور إذا تسرى

يعني يولي الأمر إذ ذاك الأمير الأتابكى بليغاً الخاسكي، قصد بقوله ذاك تعريفه مكائد حرب البحر، وتلك المكايد تعرفها أهل سبتة ومن جاورهم من المسلمين. والفرنج التي بجزيرة الأندلس يخشونهم لحذقهم ومعرفتهم بقتالهم وغربانهم المرصدة لذلك. وقصده أيضاً تحريض الأمير يلبغا على تكثيره بالاسكندرية قياد المغاربة لأنهم فرسان البحر لاعتيادهم لذلك.

النص -10- أبواب مدينة سبتة وخليجها

ج 3/ 89 "وقيل ان عدة أبواب سبتة أحد وثلاثين باباً، واحد للبروالبقية لدار صناعنها للبحر، وداخل كل باب منها غراب راكب على حماره الخشب المعتدل فاذا جرت حركة مع الفرنج أو أتتهم بأفروطة اخرجت القياد تلك الغربان بجرهم حمرها، فرتمى تلك الغربان البحر دفعة واحدة وشحنت برماتها وقيادها وأسلحتها وازوادها وقد صاروا

على الكفار، كاشتعال النار. فإذا كان بالاسكندرية مثلهم يتفق عليهم كل شهر نفقتهم الكافية لهم، حفظت بحفظ الله دارها، وانتفى عنها عارها وشنارها.

ومدينة سبتة محاذية لجزيرة الأندلس بينهما تعدية الخليج المعروف بزقاق سبتة، وبه القنطرة التي بناها بعد حفره له الاسكندر، فعاد القنطرة الماء دفعه من البحر المحيط، فصارت القنطرة ترى من أسفل الخليج لصفاء الماء. وذلك ان الاسكندر فتح هذا الخليج كما قيل يعرق به بلاد الكفار، وصارت الأراضي المرتفعة جزراً كجزيرة قبرس وجزيرة رودس وجزيرة سردانية وجزيرة صقلية وجزيرة رواد وجزيرة اغزوه وغيها من الجزائر العديدة...

وقيل ان الاسكندر لما قصد حفر هذا الخليج المعروف بزقاق سبتة لم تعمل المعاول في أرضه لتحجيره وصلابته، فسأل الحكماء في ذلك فقالوا له: تأمر بجمع الحطب الكثير فتضعه على أرضه وتطلق فيه النار فإذا صار جمرا اطفى ذلك الجمر بالخل فيسهل حفه. ففعل ذلك فارتخى حجره وتهيأ حفره. ثم بنى قنطرة يمشى عليها من بر سبتة إلى بر الأندلس فلما جرى الماء في ذلك الخليج ركب الماء القنطرة لقوة جريانه وكثرته، فعلا عليها فغرق المنخفض من الأرض، وصار المرتفع منها جزرا فيها عيون فيها مياهها العذبة الجارية بها، تجرى على حمالها.

النص -12- مدينة قرقشونة وبالاندلس مدينة تسمى قرقشونة بها كنيسة معظمة

ج 3/ 112 عند النصارى تسمى ستمرية فيها سبع سواري من فضة وأحدها سارية ولها يوم في العام ترده النصارى من كل الافاق الرجال والنساء".

النص -13- خبر زواج الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير من أرملة الملك

ج 3/ 123- 124 لذريق "فأنظر أيضاً كيف أهلك الله الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير لما أطاع زوجته النصرانية بقولها له: أترك اصحابك يسجدون لم كما كان أصحاب الملك لذريق يسجدون له. وكان عبد العزيز محباً لها وسامعاً لأمرها لحسنها وجمالها وكثرة أموالها، وكان قولها له ذلك حيلة منها عليه بثأر أبيها المقتول منه لعلمها بأن المسلمين لا يسجدون لغير رب العالمين، فاذا قال لهم ذلك قتلوه، ولتخلص من عصمته وتتزوج بابن ملك نصراني على دينها، فلما فعل عبد العزيز ذلك قتل وبلغت النصرانية مرادها فيه وذلك ان عبد العزيز المذكور كان مقدماً على عساكر المسلمين حين فتحوا جزيرة الأندلس في دولة بني أُمية. تزوج عبد العزيز بنت الذريق ملك النصارى بعد قتله وكان الذي قتله طارق بن زياد فجاءت تلك النصرانية لعبد العزيز من الدنيا بشيء كثير لا يوصف ولاتحد، فلما صارت عنده قالت: مالي أرى أهل مملكتك لا يسجدون لك كما كانت اهل مملكته يسجدون له ويعظمون بالسجود؟ فقال في نفسه كيف ينبغي لي ان أترك المسلمين يسجدون لي من دون الله تعالى ام كيف يرضون؟ هذا لايجوز ولايكون أبداً، ثم أنكر في نفسه وقال: مطأطاة رؤسهم إلى أهوت من سجود. فأمر بباب نقب من جهة قصره مقابلاً وكان جلوسه وجعله قصيراً غير مرتفع، فكان يأذن للناس فيدخلون عليه منه منكسين رؤسهم لقصر ذلك الباب، وزوجته النصرانية تنظر إلى المسلمين من شبابيك بنظرتها المقابلة لذلك الباب القصير. فلما رأت الملعونة فعلهم ذلك قالت: الان قوى ملكك وعظم أمرك حين طأطأت لك جندك رؤسها. فتخيل ذلك بباله وفرح به ففحص المسلمون عن فعله ذلك ومنعه الدخول عليه من الباب المرتفع، فبلغهم انه مانقب ذلك الباب إلا لهذا المعنى، فأنزعجت القلوب لذلك فثار عليه حبيب بن عبيد الفهري، وزياد بن النابغة التيسمي وأصحابهما من قبائل العرب، واجتمعوا على قتل عبد العزيز فأتوا إلى مؤذنه وقالوا له: أذن بليل لكي يخرج عبد العزيز إلى الصلاة. فأذن المؤذن فخرج عبد العزيز فتقدم للصلاة فقرأ الواقعة إلى قوله تعالى "رافعة" فوضع حبيب السيف على رأس عبد العزيز فأنصر عبد العزيز هارباً حتى دخل ببيته، فدخل بستاناً بداره واختفى فيه تحت شجرة وهرب حبيب وأصحابه واتبعه زياد بن النابغة فدخل على أثره فوجده تحت الشجرة، فقال له عبد العزيز يا ابن النابغة استبقني ولك ما سألت.

فقال: لاتذوق الحياة بعدها تأمرنا أن نسجد لك من الباب القصير لتسربه زوجتك النصرانية التي امتثلت أمرها فيها أمرتك به واحدثت في الاسلام حدثاً لم يكن واجهر عليه واحتز رأسه، وبلغ ذلك حبيباً وأصحابه فرجعوا ثم خرجوا برأس عبد العزيز وساروا من الأندلس إلى ان قدموا على أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بدمشق فوضعوا الرأس بين يديه بعد أن اخبروه خبره. وحضر موسى بن نصير أبو عبد العزيز المقتول فقال له سليمان: تعرف هذا؟ قال: اعلمه صواماً قواماً. فقال سليمان: هذا الذي أراد أن يسجد له كما يفعل للذريق ملك النصارى فكان جزاؤه ماترى. فأخذ موسى رأس ولده ومضى به في نكاية وخزيه وقال: هذا جزاء من يتزوج بنصرانية، لقد غزت المعونة فيه كما غزى 30000 في أبيها... عبد العزيز بحسرة ماله وأهله وأمره متهيب وذلك لتعلقه بالدنيا وزهرتها، فمن قل تعلقه بالدنيا لم يتحسر عند فراقها. انتهى.

النص -14- خبر الجارية التي اهداها ملك برشلونة إلى صاحب سرادنية "جزيرة ج 3/ 127- 129 سردانية يحيط بها البحر ثلاثمائة ميل وكان صاحب برشلونة ارسل إلى صاحب سردانية هدية فيها جارية جميلة فلما أراد الاجتماع بها اخبرته انها حامل من صاحب برشلونة فانعزل عنها إلى ان وضعت ولداً أسماه جرد سشبربوريا فلما كبر الولد عرفته امه بأبيه وبالاندلس فقال: إذا لم تكن هذه البلاد بلادي وأبي صاحب برشلوتة فأحملوني إليه فحملوه إليه وعرفوه انه ولد من الجارية المهداة بحملة الهدية، فغضب صاحب برشلونة وقال: لم لا عرفني به وهو حمل في بطن أمه؟

وسردانية بها معادن الفضة الخالصة. فأتى البرشلوني في مراكبه بجيوشه إلى سردانية معه ولده الذي من الجارية المذكورة، فأتاه صاحب سردانية سلم عليه فلم يرد السلام عليه وقال: كيف يكون لي عندك ولد ولم تعلمني به من أول وهلة حتى ولد وكم ذكرت أمة لم ذلك من قبل قالوا انه طلب الحضور بمالى عندي ماكنت احضرته؟ فقال: كان عندي في أجل مكان إلى ان تميز فعرفناه فطلب السفر إلى حضرة الملك فأرسلته له. فلما سمع البرشلوني ذك منه كوم له كومين كبيرين الواحد دنانير والآخر تراب وقال لصاحب سردانية: اختر كوما منهما. فأشار إلى الذهب فقال: خذه واخرج عن هذه الجزيرة وإلا قاتلتك بهذا الجيش الضخم وانتزعت جميع أموالك وجعلتك جالساً على مثل هذا الكوم التراب الذي تراه لاتملك غيره. فجمع صاحب سردانية حينئذ ماله ورجاله وأهله وعياله وترك للبرشلوني جزيرة سردانية وخرج منها لعدم طاقته به، فحينئذ ولى البرشلوني ولده جرد شبربوريا جزيرة سردانية، وأقام لها جيشاً ضخماً من جيوشه، فصاله معادن الفضة كما لها يحمل جرد شبر بوريا لأبيه في كل سنة حملا منها مع حمل خراجها خارجاً عن كفاية جيشها...".

النص -15- حصار الافرنج لجزيرة الأندلس وعودة إلى مرثاة ابن أبي حجلة ج 3/ 174- 177 للحادثة.

"ولنرجع الآن إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته: ومن لي بفرسان الجزيرة عندما تعامل أهل الكفر في البحر بالسحر يعني بها جزيرة الأندلس أو المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء باالأندلس. والأندلس في الأقليم الرابع من الأقاليم السبعة. وكانت الجزيرة الخضراء للمسلمين، فحاصرها الفرنج نحو السنتين، فخرج أهلها المسلمون منها لطول الحصار ولعدم القوت سالمين من أسر الفرنج الكافرين، وذلك أن الفرنج ارسلوا يقولوا للمسلمين: ان اخترتم الحصار حاصرناكم طويلاً إلى أن تموتوا جوعاً وعطشاً، وان اردتم الخروج من البلد بأموالكم وحريمكم وذراريكم من غير أن يتعرض أحد منا لكم فعلنا ذلك وما قصدنا إلا البلد خاصة. فتشاور المسلمون فيما بينهم وقالوا: ان البلد تخلف بغيرها، والرجال لاتخلف اذا هلكت. فخرجوا منها وتركوها لهم بعد أن أمنهم ملك الافرنج على أنفسهم وأموالهم وحريمهم وذراريهم. فخرجوا منها ينجرون بين عساكر الافرنج، قد أخلت الافرنج لهم طريقاً ينصرفون منها، فصاروا سائرين في تلك الطريق من غير معارض لهم، فبينما هم كذلك وإذا بعلج محتشم تعرض لامرأة جميلة معها أمها، فقبض

على يدها ومضى بها إلى خيمته، فصرخت امها، فسمع ملك الافرنج من سرادقه صراخاً عالياً مستمراً، فسأل عنه، فأعلم بالخبر، فادعى بالمرأة الصارخة وسأل عن أمرها وما سبب صراخها، فقالت: أيها الملك انت قد امنتنا على أنفسنا، وقد اخذت ابنتي مني، قال: من اخذها؟ قالت: رجل من أصحابكم صفته كذا وكذا، فادعى الملك به فحضر. فقال: الان تحضر ابنة هذه المرأة، فاحضرت سريعاً، فقال له الملك: أما سمعت اماننا للمسلمين؟ وانا اذا أعطينا الأمان وفينا به، ولم تغدر ولم تنكث، وانك قد غدرت وخالفت الفعل القبيح، وخرجت عن شرع المسيح انزعوا ماله منه جميعه حتى ملبوسه الذي عليه. فافشل أمره، فقال: اعطوا ذلك كله للمرأة وابنتها ليتطهر هذا الباغي من الغدر الذي غدره والكدر الذي كدره في دين النصرانية وابتدعه بهمته الشيطانية فقبضنا حينئذ مال العلج المذكور، ومضنا بالفرح والسرور، فاستغنينا بعد فقر، مع طول حصر. وارتحل الفرنج من ظاهر البلد سكنته وملكته، فأقاموا به نحو الثلاثين سنة، ورجع البلد بعد ذلك للمسلمين، وسيأتي ذكر كيفية رجوعهم إليه ان شاء الله تعالى.

النص -16- السلطان أبو الحسن علي بن يعقوب المريني

ج 3/ 177- 182 "وكان السلطان أبو الحسن علي بن يعقوب المريني صاحب مدينة فاس وأعمالها حصر مدينة تلمسان بأرض المغرب مدة ستين وبنى إلى جانبها مدينة وسماها المنصورة، وقال: لا ابرح حتى أملكها. وكان صاحبها إذ ذاك أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عمران بن زيان العبد الوادي، وكانوا ملوكا احرارا، وكان أبو الحسن المريني اصوله عبيداً، فأرسل خطب فاطمة بنت ابي تاشفين فرد رسوله وقال: نحن احرار لم نزوج بناتنا من أصله عبد فاتكا له أبو الحسن، ثم ان أبا تاشفين ارسل وزراءه وقواده إلى مدينة تونس يحاربون سلطانها أبا بكر. فلما قدموا إليها هرب منهم أبو بكر لكثرتهم وقوتهم فاستغلبوا على تونس، واخذوا زوجته بنت الرصافي وأولاده وحريمه، ونهبوا بعض أمواله، ورجعوا إلى تلمسان، فحصلت العداوة بين صاحب تلمسان وصاحب تونس. فأرسل أبو الحسن المريني صاحب فاس خطب فاطمة بنت أبي بكر صاحب تونس فزوجه بها نكاية في أبي تاشفين. ثم ان أبا الحسن حاصر تلمسان بسبب فعله بصهره وبما رد به رسوله إليه من نسبته الاصوله الغير احرار، فطالت محاصرته لها حتى هلكها، وذلك ان ابا تاشفينكان مشتغلاً باللذات، مستغرقاً في الشهوات، وسماع أصوات الغانيات، على حس الدفوف والنايات. ولم يباشر الحرب بنفسه نحو سنة من حصاره. وكان يقول لحريمه: والله لاسلمتكن لأبي الحسن أبداً، فاذا غلبت ذبحتكن فنصب أبو الحسن المجانيق على البلد، فجعل على باب كشوط سبعة مجانيق، وعلى باب العقبة اثنين، وفي باب القرمادين اثنين، وصار يبني الحائط بعد الحائط لتمنع السهام التي تأتي من رماة السور، إلى ان هدم مواضع من السور ودخلها. فلما رأى أبو تاشفين الغلبة أتى إلى حريمه بسيفه يقتلهن كما وعدهن، فغلقن الأبواب في وجهه فسلمن. فقبض عليه أبو الحسن فقتله صبرا، وأخذ أمواله قهراً. فلما فتحها أبو الحسن في العشر الأخير من رمضان سنة 737، قويت سلطنته ووقعت في القلوب هيبته، فملك البلاد وأعاعته العباد، وفزعت منه الفرنج التي بجزيرة الأندلس فلما كان بعد ذلك حدثته نفسه بجهاد الفرنج ومحو اثارهم منها، وأن يجعلها دار الإسلام ليصير له بذلك الذ1كر على طول الأيام، فجهز الجيوش وجمع المقاتلة وعدى بها من زقاق سبتة، وذلك في بضع واربعين وسبعمائة. وقد تبعه من المسلمين خلق كثير بنسائهم وذراريهم قاصدين أرض النصارى يسكنون ديارهم ويتسعون بنهب أموالهم وزراعة أراضيهم. فكان جيشه كما قيل مائتي ألف مقاتل وتبع ذلك الجيش من المقاتلة المتطوعة أضعافها. واستصحب أبو الحسن معه زوجته فاطمة بنت السلطان أبي بكر وحريمه وخزائن أمواله، ليملك البلاد ويخليها من النصارى أهل العناد بقتله فيهم الكبير والصغير ويظهر جزيرة الأندلس من الخمر والخنزير ويمحو منها الصليب ويجعلها سكنى لكل عبد منيب: فلما تكامل جيشه بجزيرة الأندلس اجتمع به سلطان المسلمين بها وهو المعرنوف بابن الأحمر وكرس مملكته مدينة غرناطة، وجالمسلمين بها وباعمالها يحاربون النصارى، والنصارى تحاربهم أيضاً، فتارة لهم وتارة عليهم، فتنعم كل طائفة غلبت

من الطائفة المغلوبة، فاذا وقع بينهم الصلح، يصير المسلم يحرث في أرضه، والنصراني يحرث في أرضه المجاورة لارض المسلم، بينهما حد الزرع لا يعارض الواحد الآخر.

طقيل لبعض المسلمين المجاورين لارض النصارى: أما تخشون مكر النصارى وخبثهم؟ فقال: كيف نخشاهم والذي يجبونا يحمينا، لولا الجباية سقطت الحماية".

النص -17- "حروب أبي الحسن المريني الأحمر في الأندلس"

ج 3/ 183 نعود إلى ماكنا من ذكر غزوة أبي الحسن المريني لنصارى الأندلس"، وذلك انه لما كملت جيوشه بجزيرة الأندلس نصب لأبي الحسن قبة عالية من الخشب في وطاقه، فلما صعدها ورأى ذلك العسكر العظيم الذي فرش الأرض اعجبته نفسه لما رأى من كثرة الخلائق التي اتبعته بعيالها وذراريها ليقاتل كل رجل عن حريمه ولايفر، فلما نزل من القبة إلى الأرض لحقه الاعجاب فأخذ مزراقه وهزه وقال: لامزراق اعلا من هذا المزراق في هذا اليوم. فكان قوله ذاك سبب خذلانه، ولو ترك الاعجاب وتواضع لرب الارباب نصره العزيز الوهاب ولكنه صار كما قال الشاعر:

مـــــــا طـــــــار طير وارتفع إلا كـــــما طـــــــار وقـــــع

عن الشيخ أبي يعقوب السائح قال: أقمت مدة ثلاثين سنة سائحاً في الجبال وكانت الأحوال تطرقني فاهيم على وجهي مجردا وتسفى على الرياح إلى ان تبقى فوق جلدي جلد آخر من الوسخ فجاءني ذئب فنظر إلي مبتسماً ولحس جلدي كله حتى تركه كالجمار ثم ذهب عني، فداخلني العجب فرجع الذئب إلي ونظر إلي مغضباً ثم بال علي وانصرف فأتيت عين ماء فاغتسلت وقلت هذا جزاء الاعجاب ان تبول على المعجب الذئاب، انتهى.

ثم ان الملكين أبا الحسن المريني وابن الأحمر اتفقا وسارا يقصدان قطع جادة الكفر فاجتازا في طريها بمدينة للنصارى يقال لها طريق، فقال السلطان ابن الأحمر للسلطان أبي الحسن: افتح نباء هذه المدينة ولا تتركها خلفنا. فقال أبو الحسن: هذه أقل وأذل من أن نبتدي بفتحاً، وان بها الأموال الكثيرة، وتخشى ان نفتحا اولا، ينهب العسكر أموالها، فاذا اخذناها اجتمعت لنا أموالها، ولا نبتدى الان إلا بمثل مدينة قرطبة وأشبيلية وطليطلة وأشباها. واعجبته نفسه بما معه من العساكر التي هي كالبحر الزاخر. ولم يخطر بباله في ذلك الوقت إلا انه هو المنصور، على كل رجس كفور، ولم يذكر حينئذ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [1] هم إن أبا الحسن نصب سرادقه وطاقه بأميال يسيره من مدينة طريق وترك هناك خزائن أمواله وحريمه وطائفة من رجاله. وكانت النصارى التي بطريق لما عاينوا جيوش المسلمين ينجزون كالسيل في النهار والليل. ايقنوا بالذل ص 186 والويل، وصاروا من الفرنج حيارى، وقالوا ذهب وحتى المسيح ملك النصارى فعلقوا أبوابها، واقاموا يتنظرون الموت، عند وقع الصوت. وكان ملك النصارى المعروف بالفنش، وهو أول ملوك النصارى السبعة التي بالأندلس، قد اهتز لجيش أبي الحسن، وفزع منه وقال: ذهب ملك النصرانية، وانقضت دولة الرومانية وانقرضت أهل ماء المعمودية، بسبب انقضاء دولة الروم. ثم سأل عن مدينة طريق هل هي سالمة أو لا؟ فقيل له: انها سالمة، لم يحصل لها من جيش المسلمين ضرر، وأهلها فقيمون بها، فقال: ان فيها خمسة آلاف مقاتل، ويمضي إليها خمسة آلاف الأخرى، فأرسلهم لها من غير طريق أبي الحسن وخرج الفنش بعساكره من مدينة أشبيلية وكان الفنش قدم القول مع الخمسة آلاف التي أرسلهم نجدة لطريق، أن تكونوا أينم والخمسة آلاف التي بها من وراء عسكر المسلمين، ونحن من بين ايديهم، وتعتمدوا على نهب سرادقات ابي الحسن وطاقه، وتقتلوا من فيه، فتاخذوا خزائن أمواله فان في ذلك ذلته وكسرته، فخرج جيش مدينة طريق العشرة آلاف مقاتل ومن تبعهم من نصارى البلد في الليل،

---

(1) قرآن كريم 9: 25.

كيسوا الوطاق الذي به حريم ابي الحن وخزائن أمواله، فملكوا الخزائن والحريم بعد قتلهم لمن كان به من حماية، فاتى الخبر إلى ابي الحسن بذلك، فعلم انه هالك مع ماوقع في جيشه من الغلاء الكبير لكثرة الخلائق التي معه، فزحق الفنش على أبي الحسن وابن الأحمر مع زحف مقاتلة أهل مدينة طريق من خلفهما كسرهما فلما انكسر جيش المسلمين قتل منه كثير من العالمين، وتشرد من تشرد في القفار والبراري وأسر الفرنج الحريم والذراري فلاجع السلطان ابن الأحمر طالباً مدينة غرناطة مهزوماً، وكذلك أبو الحسن رجع مهموماً مغموماً، قد نهبت خزائنه، وأسرت فاطمة زوجته فأنكسرت همته، وطالت حسرته، فعدى من زقاق سبتة، وأتى مدينة فاس في نكاية وبهتة. هذا ماكان منه، وأما ماكان من زوجته فاطمة بنت السلطان أبي بكر صاحب تونس فأنها أمرت جواريها وخدمها أن يقاتلوا معها من يأتيهم من الفرنج يأخذهم، فلما أتاها الفرنج بكثرتهم، لم تستطع قتالهم، فقالت عند ذلك: لا يأخذني إلا ابن ملك لاني بنت ملك وزوجة ملك فأتوا إليها على ماقيل بابن الملك الفنش، وقالوا له تلم بيدك بنت ملك المسلمين وتمتع بزوجة ملك المسلمين وتهن بها ابها الملك وابن الملك. فمد يده مسك بيدها ليمضي بها، فضربته بسكين كانت اعدتها له، فوقعت في بطة شقة، فخرجت حشوته بارزة ممزقة، فوقع على وجهه يتخبط في دمه. فلما رأت مماليكه وغلمانه ما فعلته به، وثبوا عليها بسيوفهم قتلوها مع جواريها، فمتن كريمات شهيدات فحصل للفنش بقتلها لولده نكاية ظاهرة، بما فعلته تلك الحرة الطاهرة. فبلغ فعلها ذلك زوجها أبا الحسن فترحم عليها، وأعجبه فعلها. فارسل خطب اختها من أبيها وتزوج بها. وحصل له الندم الأكبر، لمخالفته للسلطان ابن الأحمر، في تأخيره فتح مدينة طريق التي تركها خلفه، حتى جاءه العدو من بين يديه ومن خلفه.

وكان أبو الحسن لما دخل الأندلس معه من الجيوش الكثيرة والعساكر المجرورة، اعجبته نفسه واغت بتلك الجنود، التي هي كالدود فكان اعجابه بنفسه، مضرة عليه وعلى حريمه وعرسه، ولو جعل اعتزازه بالله، وسلم امره إلى الله، انتصر وما انكسر، وانجبر وما انقهر. ولله در القائل حيث يقول:

لـيكن بربـك كـل عـزك يـستقر ويثبـت

فـاذا اعتـزرت بمـن يمـو ت فـان عـزك ميـت

وفي منشور الحكم "اعتز من اعتز بغير الله فالعزيز من أعزه الله والذليل من أذله الله". وليس من التعزيز والتذلل بأيدي المخلوقين شيء، فأن الله تعالى يعز من يشاء، ويذل من يشاء. الا ترى ان اخوة يوسف أرادوا اذلال يوسف، فأذلهم الله عز وجل، وأعزه حتى قاموا بين يديه وقالوا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [1] واعلم ان من تعزز بالله لم يذله سلطان، ومن توكل عليه لم يضره شيطان: قال الشيخ أبو مدين: الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس وحال، فأيما قلب رآه مؤثر اله حفظه من طوارق المحن، ومظلات الفتن والأعمال بالنيات معناه ان العبادات التي تنفع بها عند الله، ما أخلصت النية منه لله، ولا يزال المؤمن يكابد دنياه، حتى يلقى مولاه، جبر الله صدع قلوبنا، وغفر عظيم ذنوبنا، وجعلنا من أوليائه وأهل طاعته.

النص -17- تبادل الرسائل والقذف بين الفنش والمريني.

تعود إلى ذكر مكاتبة الفنش ملك النصارى للسلطان أبي الحسن المريني بعد ظفره بعسكره، وجواب أبي الحسن عنها، وذلك ان نصارى الأندلس لما ظفروا بالمسلمين أسروا منهم في كسرة السلطان أبي الحسن خلائق كثيرة. قيل انهم

(1) قرآن كريم: 12: 88.

أسروا من أولاد المسلمين أربعة وعشرين صبي وصبية، وأما الرجال والنساء فلم يعلم لهم عدد، منهم من قتل، ومنهم من اسر ثم ان الفنش اللعين، الكلب المستهين، كتب كتاباً أرسله للسلطان أبي الحسن المريني صاحب مدينتي فاس وتلمسان وأعمالها يقول فيه: باسمك اللهم فاطر السماوات والأرض ومخرج النبات، ومجي العظام وهي رفات والعالم بها مضى وماهو آت، وصلى الله على الفصيح صاحب الدين الصحيح والمنهج القويم الرجيح، عيسى بن مريم المسيح، الذي تزين بالزنار، وقفا أثر الحواريين والأنصار، وصلى من الجهات شرقاً، لرب يبقا. من الأمير الفنش بن الأمير جانه صاحب قشتيلة وطليطلة وقرطبة وأشبيلية إلأى أمير المسلمين ابي الحسن المريني. أما بعد، أيها الأمير فانه لايخفى على كل ذي لب عازب، وذهن ثاقب، انك أمير المملكة الحنيفية، كما أ،ا صاحب المملكة النصرانية. وقد تعلم أيها الملك أصحابكم عليه بالأندلس من التخاذل والتواكل، وأهمالهم الرعية، وجورهم في القضية، وما بأيديهم من بلاد الأندلس، فاذا سيمهم بسيمة الخسف، واشينهم بشيمة العسف، فاحزب البلاد، واقتل العباد، واسبي الحريم والأولاد، واقتل الشباب والرجال وأذيقهم مر النكال وثبت عندكم أنا نحن الكفرة، بل انتم الشياطين الفجرة، سلطنا عليكم من بيده أمور مقدره، وأحكام مدبرة، فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، من طلب اماننا سلم، ومن رام حربنا خسر وندم. اكلتم الحرام وأظهرتم البدع، فعاؤكم عندنا لايجاب ولا ينفع. وانتم تزعمون انكم تهمون بنصرهم، وتساعدون ابن الأحمر علينا، وتصلون شركم الينا. فما نعلم هذا الجبن ابطا بكم، أو تكذيباً لما نزل على نبيكم، وقد قلتم انه نزل على نبيكم في كتابكم انه كتب الله على كل واحد منكم عشرة منا، ولكن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً، وقد صار كل واحد منا يغلبمنك ألفاً. وانتم تزعمون انكم تجدوا للجواز من خليج سبتة سبيلا، وأمر الحزم عندكم بخيلاً. والان ابدى لكم مافيه الكفاية، وابث لكم مافيه النهاية، وارشد عليكم بالدليل والبرهان، واحلف عليكم بأعظم الايمان، على مافي ايديكم من القطائع والطرائد والأجفان، تسوقونها بأيديكم، فان كان الغب لكم فنعمة أنعمها الله عليكم، وان كان الغلب لنا، فجاء لمثلكم الأحزان، ونشاط لكم النيران، لأن نساءكم في ايدينا، وأولادكم خول لنا، وقد نتنت بلادنا من خبث القتلى، وقد أصبح عقدكم منحلا، وقد رثينا بما تزل بكم من الشنار، وما تركتم في الملة الحنيفية من العار، لانكم تزعمون انكم تغلبون. فلما تراءت الفئتان وليتم الأدبار، دون طعان ولا نضال. ولقد حلفنا بالصليب الأكبر، وكتابنا الانجيل الأشهر، لا رجعنا حتى نأخذ حصولكم وأموالكم واليمن والشام، ونجبر منكم الأوهام، والله الموفق لاسعاده والمحب لمن اختار من عباده.

فلما وقف السلطان ابو الحسن المريني على كتاب الفنش، امر برد الجواب بأحسن خطاب، فكتب جواب الكتاب: من امير المسلمين بن امير المسلمين علي بن يعقوب بن العباس المريني إلى الأمير الفنش ابن جانه المملكة النصرانية.

دمرها الله تعالى وسلبها عزها، وأباد (ص 196) ركزها. أما بعد، ايها الأمير الكافر بالعليم الخبير افقد وصل كتابك، وفهمنا خطابك. وما حدثتم به نفوسكم الكاذبة وظنونكم الخائبة، من الوعد والوعيد، والحركة والتشديد، وقد وصفتم أصحابنا أهل الأندلس بأنهم أهل الذل، وهم قد أهلكوكم بالاسر والقتل، فهم والله الرجال وأبناء الرجال، والدليل على هذا بيان صبركم لشركم، واقامتكم متجاورين لارضكم، وقتلهم أكثركم. فم قتلوا منكم رجالاً، وسلبوا منكم عيالاً، واذ اقوكم كأس النكال، فاوعدهم من الله الظفر بكم، واورثهم بلادكم وأرضكم.

وأما فخركم بالهزيمة، وما تحصل بايديكم من السلب والغنيمة، فتلك عادة الله فينا وفيكم، فلم يزل يبتلينا ويبتليكم، حتى يعلم المجاهدين، ويزيد أجر المحسنين، فهي في ايديكم أمانة، حتى تأخذها بالاهانة. وقد نزل على سيد

المسلين والناس. "وتلكا الأيام نداولها بين الناس"[1] وأما قولكم إنا ولينا الادبار، دون طعن ولا نضال، فقد داخلنا العجب حتى ضيعنا الرجال، فلم تخطروا لنا على بال، حتى عرفتم طرق الاختيال، فمن مات منا مات شهيداً، ومن عاش منا عاش سعيداً، فلابد لنا من الكره، واطفاء تلك الجمرة. فان كان النصر لنا فنعمة من الله، وان كانت الاخرى فشيئاً في سبيل الله. فأُمور المسلمين باقية، وسيوفهم بالموت قاضية. فلابد من فتح بركم، واطفاء ناركم، وقد كان لكم اليمن والشام في الزمن السابق، وملكتم المغارب والمشارق، والحصون والمدائن، والمواضع والأماكن، فنزعناها من ايديكم ونصرنا عليكم واخرجناكم، وملكنا الله مصر والشام واليمن إلى البحرين واشحطناكم من بلادكم، واذقناكم الشين، فصرتم منا منفيين، إلى أطراف البلاد متجليين. فلو وجدنا الطريق لكم مبينا، أرسلنا لكم عذاباً مهيناً، وأما قولكم ان الله كتب على كل واحد منا قتال اثنين منكم والرجال منا يلقى الفا بقوة الايمان، وما وعد الله عز وجل من الثواب في جنة الرضوان. بل الاندلس عشر من أعشاركم، فقد قتلوا امراءكم وكبراءكم. منها نحن عائدون، وعلى مقابلتكم عازمون، فينصر الله من يشاء من عباده ويورثه أرضه وبلاده. والسلام على من اتبه الهدى، وأطاع الملك الأعلى.

النص -18- غزوة الأندلس سنة 768م

198 قال المؤلف غفر الله له ولوالديه، وللأقربين اليه، ولجميع المسلمين: وردت الأخبار من الأندلس إلى الاسكندرية بأن المسلمين انتصرت على الفنش وجنوده الكافرين، وذلك في سنة ثمان وستين وسبعمائة، واخذوا فهم تلك الأمانة بالاهانة، وقتلوا من الافرنج أضعاف ماقتلت الافرنج من المسلمين في كسرة السلطان أبي الحسن وابن الأحمر، وحرثوا مدنهم بالبقر، ثم ان المسلمين فتحوا بالأندلس أيضاً المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء المتقدم ذكر أخذ الفرنج لها من أيدي المسلمين بطول المحاصرة، فأخرج المسلمون الفرنج منها ذليلين حقيرين، بعد أن أقاموا فيها ثلاثين سنة. وقد زرعوا ارضها زيتوناً، ولم يكن شجر الزيتون قبل ذلك بها. وزرعوا أيضاً بها البساتين والكروم وزادوا في عمارة أرضها ودورها. فلما فتحها المسلمون في سنة احدى وسبعين وسبعمائة، رسم السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر سلطان الأندلس ان ينادي في البلاد ان كل من له دار بباطنها أو أرض بظكاهرها او مزرعة بأراضيها يمضي اليها ويأخذها ان كان حيا، والا ورثته تقتسمها على حكم الفريضة الشرعية ان كان ميتاً من غير منازع ولا مدافع. فرجع اهلها المسلمون اليها سكنوها واستوطنوها. فمن كان فقيرا يستغنى بما صنع له على يد الفرنج الكافرين، ومن كان غنيا زادت أمواله بالالوف والمتين، فخاب سعي الفرنج الضالين، وصاروا على اتعبوا عليه وبانشائه لانفسهم نادمين، لعنة الله عليهم اجمعين. فان قيل كيف قدر المسلمون على الاقامة بجزيرة الأندلس في مسيرة سبعة أيام والنصارى في مسيرة سبعة شهور وفيها من النصارى (ص 200) مالا يحصى كثرة والمسلمون شرذمة قليلة؟ قيل ان ملوك النصارى السالفة غزاهم المسلمون فحصل للنصارى الهيبة منهم فتركوا محاربتهم لما يتقنوا انهم كلما غزوهم خذلوا، فذلك تركهم النصارى مقيمين معهم في جزيرتهم حتى كانت وقعة أبي الحسن المريني، فانتصر النصارى على المسلمين ذلك لاعجاب أبي الح.... سن بنفسه في تلك الغزوة التي ظن انه لم يكن ملك بالارض الا وهو دونه لكثرة جيوشه انتهى.

واعلم ان الاندلس درب الاسلام وحصنه ليس وراء اهله المسلمين الا الكفرة الضالون، والعرش يهتز من تكبير المسلمين المقيمينوذلك لما روى عن ابي ايوب الانصارى قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم اذ توجه تلقاء المغرب وسلم وأشار بيده، فقيل له: على من يارسول الله سلمت واشرت بيدك اليه؟ قال: "رجال

(1) القرآن الكريم 3: 14.

من امتي يكونون في هذا المغرب الاقصى بجزيرة يقال لها الاندلس، حيهم مرابط، وميتهم شهيد" وهم ممن استثنى الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (1) فهم آمنون من الصعق.

قال الشيخ ابو العباس المرسي: كنت ليلة من الليالي جالساً بالاسكندرية أكتب كتاباً لبعض اصحابنا، واذا بالشيخ البشتيلي في الهواء، فقلت: الى اين انتهت سياحتك في هذه الليلة؟ فقال: خرجت من بشتيل القناطر، وانتهيت الى جبال الزيتون بالمغرب الاقصى، وانا اريد ان اذهب الى بيت المقدس، واعود الى بلدي، ولو بسطت لي اكثر من ذلك لانبسطت قال الشيخ ابو العباس فقلت: ليس لو اردت اخذ بيدك واضعك على جبل قاف وانا هاهنا فعلت.

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء: سمعت الشيخ المرسي يقول: كنت وانا صبي عند المؤدب جاء رجل فوجدني أكتب في لوح، فقال لي: الصوف لايسود بياضاً.

قال فقلت له: ليس الامر كما زعمت. ولكن يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب، قال: فسكت ولم يجد جواباً قال ابن عطاء: دخلت عليه وقد جاء من السفر لأسلم عليه، قال: يا أحمد كان الله لك ولطف بك وسلك بك سبيل اوليائه وبهاك بين خلقه، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء. انتهى.

النص- 19- أنهار الاندلس

ج3/ ص26 وبالاندلس من الانهار المنصبة في البحر الرومي والبحر المحيط سبعة انهار، منها نهر قرطبة وهو المعروف بنهر بيطي(2) ومسافته ثلاثمائة ميل وعشر اميال، نهرانه ومخرجه بشرقي الاندلس ومصبه في البحر المحيط باكشونيه وعدة اميال ثلاثمائة ميل وعشرون ميلا. نهر تاجه ومخرجه من جبال شرقي الاندلس بناحية تطيلة ومصبه في البحر المحيط وعدة امياله ستمائة ميل وعشرة اميال. نهر دويره ومخرجه من جبال البريونه ومصبه في البحر المحيط بجليقية بين قلمرية وبرطقال وعدة امياله خمسمائة ميل وثمانون ميلا. نهر ديوبيه وهو وادي أرطة ومخرجه من جبال النش من بلاد فرنجة وعدة امياله تسعمائة ميل وعشرون ميلا، ويقال ان هذا النهر اكبر انهار الدنيا واكثرها ماء. نهر ابره ومخرجه من جبل البينو فوق ارنيط ومصبه في البحر الشامي القبلي بناحية طرطوشة وعدد امياله مائتا ميل وعشرة اميال. نهر مينبوه ومخرجه من جبال انية ومصبه في البحر المحيط بجليقية وعدد امياله ثلاثمائة ميل وعشرون ميلا. انتهى.

النص- 20- خبر ابن الاحمر (محمد الخامس الغني بالله).. 673- 793م/ 1362- 1391م كونت بطرس ج5/ 387 الفاسي 1369- 1355م.

فالواجب عليهم النهوض لاخذ الثأر من الكفار، كما نهض السلطان ابو عبد الله محمد ابن يوسف سلطان المسلمين بالاندلس، المعروف بابن الاحمر على القند ملك النصارى بالاندلس، اطلق فيه وفي جنده النار بالسيوف القواطع. واخرب مدنه والديار، وكتب بذلك كتاب يبشر السلطان المسلمين بمدينة فاس بما فتحه الله على يديه، ونص الكتاب المذكور هذا.

سلام كريم يتم بفتح الفتوح المؤيد بالملائكة والروح، عرفه يهدي أنفاس ريحان الجنان، فيغني عبارة اللسان، ومدارك عالم الانسان، ووصفه يختص مقامكم الاعلى، ومثابتكم الفضلى، ورحمه الله وبركاته، أما بعد، حمد الله كافي من استكفاه وهادي من استهداه، الذي نصر الحق واعلاه، ودحض الباطل وارداه، ووعد من توكل عليه، وفوض امره اليه،

---

(1) القران الكريم 39: 67.

(2) منيا Baetis وباللاتينية Baitis وسماه العرب الوادي الكبير وبالاسبانية Guadalquivir

يحسن عقباه، واخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر، وقد ظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله[1] فما اسبغ نعماه، واوسع رحماه. والصلاة على سيدنا محمد رسوله سر الوجود ومعناه، الذي نصره الله بالرعب على اعداه، وروي له الارض فرأى ملم أمته يبلغ ماله منها وراه، والرضى على آله وصحبه، وعتته وصحبه المخصوصين بمزية قربه، ومنقبة حبه فان ماكتبنا لكم كتب لله لكم فحذا رباه، وسعد مشيداً مبناه من حمراء مدينة غرناطة والحمدلله، مبدأ كل سعد ومنتهاه، فما كنا لنهدي لولا ان هدانا الله، فكتبنا لكم نجلوا عليكم خبر الفتح المخبور لزمتنا وزمنكم، المدخور فضلا من الله سبحانه وتعالى علينا وعليكم من ديون في الكفر تقتضي، ومعارج للذكر الجميل ترتقي، انتهى.

(1) اقتباس من القران الكريم سورة 59 اية 2.

(الانموذج المعماري الرائع للجامع الاموي بحلب وأثره
في بناء المسجد الجامع في قرطبة الأندلس)

يعد الجامع الاموي في حلب من النماذج العمرانية الرائعة والجليلة التي تميزه بمهارة البناء وجمال الزخرفة والتنظيم والروعة بالتنسيق المعماري المتميز.

اهتم المتخصصون بالفن المعماري بالجامع ليكون من ايات الفن العربي ليعكس معاني العظمة والتوفق والابداع العربي والتي تليق بمكانة حلب أيام الحكم الاموي والحمداني والايوبي لتكون حاضرة كما أرادها الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك.

وقد وجدنا تشابهاً بالعمارة والتصميم والديكور والمأذن والمحراب معى ما شيده عبد الرحمن الداخل في عمارة المسجد الجامع بقرطبة الاندلس ويبدو أن هناك علاقة هندسية معمارية متنوعة من حيث مواد البناء والديكور وكأن الامير الاموي الداخل أراد أن يثبت للتاريخ بأن المسجد الجامع بقرطبه هو استنساخ لما شيده جده الاموي الوليد في حلب.

زار الجامع الاموي في حلب عدد من الرحالة الاندلسيين منهم :

ابن جبير البلنسي ووصفه في كتابه اعتبار الناسك المعروف بالرحلة وصفاً جميلاً:

وهذا الجامع من أحسن الجوامع وأجملها، قد أطاف بصحنه الواسع بلاط متسع مفتح كله أبواباً قصرية الحسن الى الصحن، عددها ينيف على الخمسين باباً، فيستوقف الأبصار حسن منظرها، وفي صحنه بئران معينان. والبلاط القبلي لا مقصورة فيه فجاء ظاهر الاتساع رائق الانشراح. وقد استفرغت الصنعة القرنصية جهدها في منبره، فما رأى في بلد من البلاد منبراً على شكله وغرابة صنعته، واتصلت الصنعة الخشبية منه الى المحراب فتجللت صفحاته كلها حسناً على تلك الصفة الغريبة. وارتفع كالتاج العظيم على المحراب وعلا حتى اتصل بسمك السقف، وقد قوس اعلاه وشرف بالشُّرف الخشبية القرنصية، وهو مرصع كله بالعاج والآبنوس، واتصال الترصيع من المنبر الى المحراب مع ما يليهما من جدار القبلة دون أن يتبين بينهما انفصال، فتجتلي العيون منه أبدع منظر. يكون في الدنيا، وحسن هذا الجامع المكرم أكثر من أن يوصف.

كما زار الجامع الاموي بحلب الرحلة الاندلسي ابن بطوطه الطنجي وذكره برحلته المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجاب الاسفار بوصفه:

ومسجده الجامع من أجمل المساجد، في صحنه بركة ماء، ويطيف به بلاط عظيم الاتساع، ومنبرها بديع العمل مرصع بالعاج والابنوس.

من خلال الوصف وزيارة الى الجامع الاموي في حلب والمسجد الجامع بقرطبة في اسبانيا بلد الدراسة استوقفني الكثير من المعالم المعمارية والروعة الفنية والتحفة الاسلامية اذ يوجد التاثير الفني للعمارة الاموي في المشرق على الغرب الاسلامي اذ كان هناك تنافس حضاري في العماري والفنون أيام الامراء والخلفاء الاموين المشرق والاندلس. اذا تم تشيد المسجد الجامع في قرطبة الامير الاموي عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بالداخل (وصقر قريش) وبذالك ارادة أن يقلد أجداده وينقل بصماتهم بالعمارة.

لو نقلنا وصف المسجد الجامع بقرطبة كما جاء عند الشريف الادريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الافاق، وما نقله عنه الحميري في الروض المعطار كما جاء:

المسجد الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقاً وطولاً وعرضاً.

وطول هذا الجامع مائة باع ومرسلة وعرضه 80 باعاً ونصفه مسقف ونصفه صحن للهواء وعدد قسي مسقفه 19 قوساً وفيه من السواري أعني سواري مسقفة بين أعمدته وسواري قبلته صغاراً وكباراً مع سواري القبة الكبيرة وما فيها الف سارية وفيه 113 ثريا للوقيد أكبر واحدة منها تحمل الف مصباح وقلها تحمل 12 مصباحاً وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز مسقفة وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي... ولهذا المسجد قبلة تعجز الواصفين أوصافها وفيها أتقان يبهر العقول تنميقها وكل ذلك من الفصفص المذهب والملون مما بعث به صاحب القسطنطينية العظمى... وللجامع في الجهة الشمالية الصومعة الغريبة الصنعة الجليلية الاعمال الرائقة الاشكال التي ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي منها 80 ذراعاً الى الموضع الذي يقف عليه الموذن بقدميه.

ناله المسجد الجامع في قرطبة تطورات واضافات معمارية وفنية وزيادات في المساحة أيام الامراء والخلفاء الاموين وأكبر تلك الزيادات في عصر الخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر وولده الخليفة الحكم المستنصر بالله والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر العامري كما أكد الجغرافيين والمؤرخين الاندلسيين منهم ابن غالب الاندلسي في كتابه فرحة الانفس بقوله كان طول المسقف منه من القبلة الى الجوف 225 ذراعاً وعرض من المشرق الى الغرب 138 ذراعاً ثم زاد المستنصر بالله في طوله 105 ذراع فكمل طوله المسقف 338 ذراعاً، وزاد الحاجب المنصور في عرضه من جهة الشرق 80 ذراعاً فتم العرض 208 ذراع وطول الصحن من الشرق الى الغرب بزيادة العامرية 218 وعرضه من القبلة الى الجوف 10 ذراع.

هنالك مصورات للجامع الاموي بحلب والسجد الجامع تبين معالم التشابه والمبالغة المعمارية بالمسجد الجامع بقرطبة بعدد أعمدته حتى وصفها الجغرافيين بالغابة المعمارية.

دور اسرة بني زهر الاشبيليه
في ازدهار الطب في اسبانيا والعالم

لعلم الطب تأريخه مثلما لكل الناس تأريخهم، ومن البديهي انه لايمكن ان يفهم حاضر الناس الا بعد الوقوف على معرفة ماضيهم، وكذلك الامم، فليس بمقدور احد ان يفهمها في حاضرها الا بقدر ما لدية من معرفة ماضيها والوقوف على حاضر الطب يتوجب على روادة ان يطلعوا على ماضية.

تمخضت النهضة العلمية بالأندلسْ في مجال الطب عن نشاط واسع النطاق في تأليف وتصنيف الكتب، إذ ازدهرت حركة التأليف في عصر الأمير عبد الرحمن (238- 5273) وابنه الامير عبد الله (275- 5300) حيث برع بعض من الاطباء بتصنيف المؤلفات الطبية، وفي عصر الخلافة الاندلسية ازدهر علم الطب وبلغ اوج نشاط الاطباء أمثال ابن جلجل والزهراوي وغيرهم كثيرون.

وفي مدينة أشبيلية ظهرت اسرة ال زهر اختصت في مجال الطب بفروعه، وقد تردد عائلة بني زهر وشهرتها في علم الطب على مدى ثلاث قرون، وتعد الاسرة من نبلاء الاندلس العرب العدنانيين الذين عرفوا بالجاه والتقوى والطب، والفلسفة، وتولي المناصب الادارية كالوزارة والقضاء في عصر المرابطين الموحدين بالاندلس والمغرب.

قدمت اسرة بني زهر للحضارة الانسانية ستة أجيال من عباقرة الأطباء والطبيبات الذين ساعدوا على ازدهار الطب في الأندلس واوروبا:

1. أبو بكر محمد بن مروان (ت 422هـ/ 1030م).
2. أبو مروان عبد الملك بن محمد (ت 471هـ/ 1078م).
3. أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد (ت 525هـ- 1130م).
4. أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء (ت 557هـ- 1161م).
5. ابو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الحفيد (ت 595هـ- 1198م).
6. أبو محمد عبد الله بن الحفيد (ت 602هـ- 1205م).

ذاع صيت امرأة من بني زهر في مجال الطب هي اخت الحفيد أبو بكر بن عبد الملك وابنتاها اللتان كانتا عالمتين بالطب والتداوي ولهما ممارسة واسعة فيما يخص مداواة النساء وكانتا تدخلان الى نساء الخليفة المنصور الموحدي ولا يقبل لمداواة اهله عداهما.

أصدرت اسرة بني زهر مؤلفات طبية من مهمة منها مخطوطات في الخزانة الملكية بالرباط هي:

1. كتاب القانون/ لأبي مروان عبد الملك بن زهر، برقم 1528مجموع
2. كتاب الخواص/ لابي العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر/ برقم 1538
3. مجربات أبي العلاء بن زهر الأيادي (رسالة في علاج اورام الثدين والحصبة والحميات) برقم 1538
4. مختصرات كتاب حيلة البرء للجالينوس/ للوزير الرئيس أبي بكر بن زهر (ت 595هـ/ 1199م) برقم مجموع 1538
5. جامع اسرار الطب/ لأبي العلاء زهر بن عبد الملك برقم مجموع 1538
6. التيسير في المداواة والتدبير/ لأبي مروان عبد الملك بن زهر/ برقم مجموع 1538
7. كتاب نجح النجحح/ لأبي العلاء بن زهر/ برقم 1538 مجموع
8. مقالة النباتات الطبية/ لأبي العلاء زهربن عبد الملك/ مخطوط اكسفورد مكتبة بودلين/ مارش 390.

اعتمد عدد كبير من اطباء الأندلس والمغرب على المؤلفات الطبية لاسرة بني زهر منهم الطبيب ابن رشد القرطبي ت 595هـ/ 1198م وابن البيطار المالقي ت 646هـ/ 1240م الذي استفاد من كتاب الخواص للطبيب زهر بن عبد الملك ابن زهر 525هـ وعلى كتاب الاغذية لأبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء ابن زهر ت 55.

ترجمة مصنفات اسرة بني زهر الاندلسية في الطب الى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى نذكر منها كتاب الأغذية قام بترجمته بروفايترس وبرناردوس Profatius et Bernardus وكتاب التيسير، بترجمة جان روكايو Jean de Capoue كما ترجم كتاب (التذكرة) لابي العلاء من قبل كولان (Colin) عام 1911 في باريس وكتاب الاقتصاد في اصلاح الانفس والأجساد الذي ترجم الى الاسبانية في رسالة دكتوراه للمستشرقة الالمانية (Rosa kune) هذه التراجم وغيرها تؤكد على اثر ودور عائلة بني زهر الأشبيلية الأندلسية في ازدهار الطب في العالم.

فهرست المخطوطات والمصادر الأولية والمراجع الحديثة والمقالات العربية والأجنبية

"ملكية الأراضي الزراعية والضرائب الخراجية المترتبة عليها في الأندلس"

د. محمد بشير حسن راضي العامري

قسم التاريخ

أ. القرآن الكريم

ب. الأحاديث النبوية الشريفة

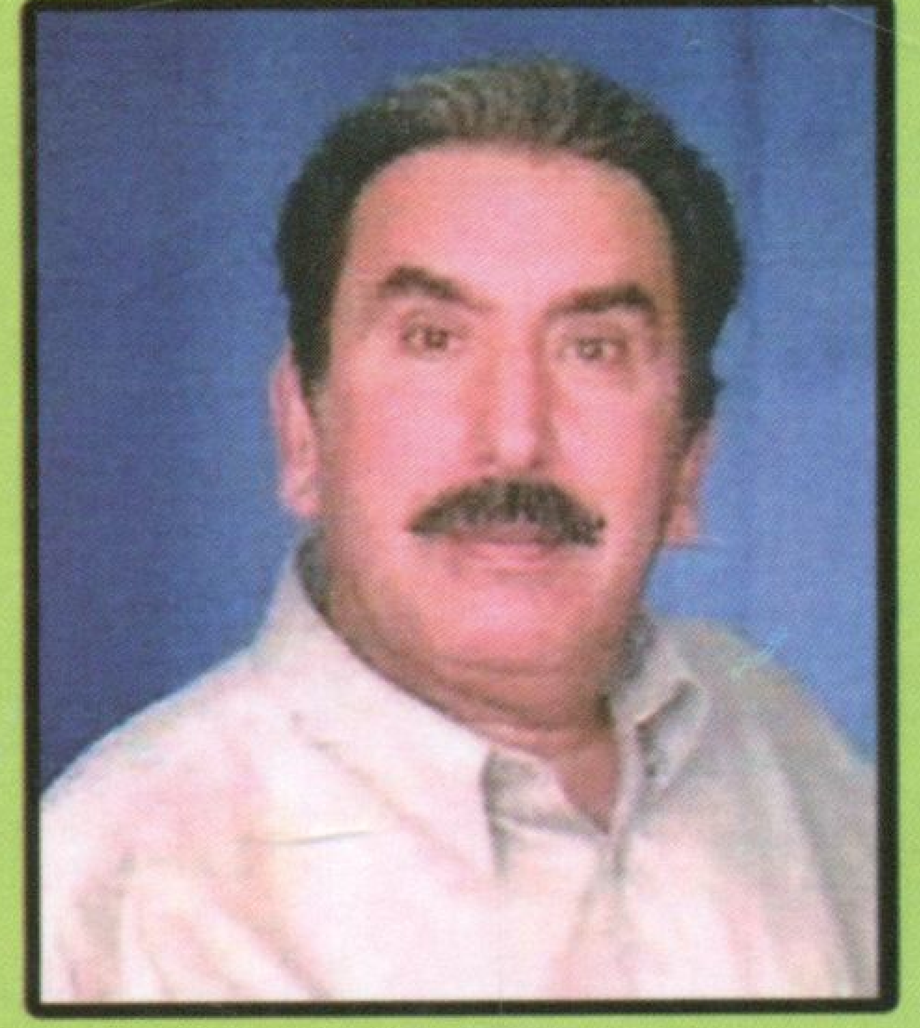
فهرست المخطوطات العربية:

- الداودي، جعفر بن احمد بن ناصر (ت 402هـ/ 1011م)
كتاب الفيء والأموال، مخطوط مكتبة دير الاسكوريال Escorial بمدريد اسبانيا، يحمل الرقم 1165.
- ابن ابي زمنين محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن ابراهيم بن ابي زمنين
- ويلقب (المري، القرطبي، الاندلسي) حياته 324- 398 او 399هـ/ 935- 1007 او 1008م) كتاب قدوة الغازي مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد/ اسبانية يقع ضمن مجموع يحمل الرقم الافرنجي 5/ 5349.

المصادر العربية الاولية:

- ابن بسام الشنتريني، ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت 542هـ/ 1050م) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة نشر جامعة فؤاد الاول (القاهرة 1939- 1945م)
- ابن بلقين، الامير عبد الله (اخر ملوك بني زيري بغرناطة ت 483هـ/ 1090م كتاب التبيان/ نشر بعنوان مذكرات الأمير عبد الله، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف (القاهرة 1955)
- ابن حوقل النصيبي الموصلي البغدادي (ت 367هـ/ 1977)
كتاب صورة الارض نشر دار مكتبة الحياة (بيروت 1979م)
- ابن حيان القرطبي، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان ت 469هـ/ 107م
المقتبس من انباء اهل الاندلس تحقيق د. محمود علي مكي، طبعة دار الكتاب العربي. بيروت 1973)
كتاب المقتبس من تاريخ رجال الاندلس تحقيق: ملشورم. انطونية، باريس 1937
المقتبس من اخبار بلد الاندلس تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة (بيروت 1965م)
- الخشني، محمد بن حارث الخشني القيرواني (ت حوالي 361هـ/ 1971م)
- اصول الفتيا في الفقه على مذهب الامام مالك تحقيق: محمد المجذوب، د. محمد ابو الاجفان، د. عثمان بطيخ، الدار العربية للكتاب (تونس 1985م)
- ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد علي بن احمد السلماني ت 776هـ/ 1374م.
- الاحاطة في اخبار غرناطة تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2 (القاهرة 393هـ 1973)
اللمحة البدرية في الدولة النصرية نشر دار الافاق الجديدة، ط2 (بيروت 1978)
- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر بن خلكان 608- 681هـ/ 1211- 1282م
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان تحقيق: احسان عباس، (بيروت 1968 ثاني مجلدات)
- ابن رشد الحفيد، ابو الوليد محمد بن احمد بن عمر بن احمد بن رشد القرطبي الاندلسي (ت 595هـ/ 1198م)

تم بحمد الله



سيرة المؤلف

الأستاذ الدكتور محمد بشير حسن راضي العامري

- حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة مدريد المركزية في (7 /2 / 1990) عن أطروحة الدكتوراه الموسومة (الجيش في عصر الخلافة الأندلسية) بالاسبانية من كلية الآداب – جامعة مدريد – قسم اللغة العربية والإسلام تحت إشراف المستشرق الاسباني خواكين بالبيه برميخوا أستاذ في التاريخ الأندلسي وعضو الأكاديمية الملكية للتاريخ في مدريد وصاحب المؤلفات عن المدن الاسبانية .
- ولد المؤلف في بغداد الكرخ ونال درجة البكالوريوس من جامعة بغداد كلية التربية عام 1970 – 1971 وعمل مدرساً للتاريخ في محافظات العراق والتحق بزمالة دراسية لنيل شهادة الماجستير والدكتوراه من اسبانية – جامعة مدريد
- تم طبع أطروحة الدكتوراه من جامعة مدريد في اربعة مجلدات وتحتوي على 1600 صفحة وفي 15 فصل وتضم دراسة 44 مخطوطاً وقد نالت درجة امتياز شرف .
- للمؤلف كتاب منهجي في تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي - للصف الثاني تاريخ تربية – وله مؤلفات ومقالات في المجلات العلمية ومشاركات عديدة في المؤتمرات في داخل القطر وخارجه
- يدرس في جامعة بغداد / كلية التربية للبنات قسم التاريخ ومحاضر [illegible] اللغات قسم اللغة الاسبانية – وقد اشرف وناقش العديد من الرسائل الجامعية في التاريخ والحضارة الأندلسية .





دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+
خلــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

